سيرة الظاهر بيبرس



المجلد الثاني

الهيئة المصرية
العامة للكتاب

أدب الحرب

سيرة الظاهر بيبرس

الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٩٩٦

رئيس مجلس الإدارة
أ. د. سمير سرحان

رئيس التحرير:
جمال الغيطانى

أشرف على هذه الطبعة:
خيرى عبد الجواد

الغلاف للفنان: **محمد بغدادى**

سيرة الظاهر بيبرس

تاريخ الملك العادل صاحب الفتوحات المشهورة ﴿ السلطان
محمود الظاهر بيبرس ﴾ ملك مصر والشام وقواد عساكره
ومشاهير أبطاله مثل شيحة جمال الدين واولاده
اسماعيل وغيرهم من الفرسان وما جرى
لهم من الاهوال والحيل وهو
يحتوى على خمسين جزء

الجزء الحادى عشر

﴿ الطبعة الثانية ﴾

سنة ١٣٤١ هـ - ١٩٢٣ م

﴿ طبعت على نفقة مصطفى افندي السبع ﴾
بشارع الحلوجى بمصر قريباً من الجامع الازهر والمشهد الحسيني

﴿ مطبعة المعاهد بميدان بيت القاضى بجوار قسم الجمالية بمصر ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

واذا فيه خطابا من أبيك وقلاون الي بين أيادى هلاون اعلم أننا خاص الاعداء للولد بيبرس وأنت أيضاً عدوله فأذا طلع النهار فاركب أنت في كامل رجالك واطلب المحلة فاذا ظهرت عساكره وتوسطوا الي الميدان وكان هو معهم ركبنا نحن الآخرين وساعدناك عليه حتى أننا نصرم عمره ويفرغ أجله ونأخذ ماله وما تملكه يده والسلام وهذا الكتاب خطنا وختمنا فيه يشهد علينا ثم أننا نعرفك انك تقتل حامل الكتاب لاجل أن يكون السر مكتوما بيننا والسلام (قال الراو) ولما قرأ الامير الكتاب التفت الى الرجل وقال له اعلم يافتى أن عثمان كان سبباً الى نجاتك من القتل وذلك أن ابيك كان أمر القان هلاون بقتلك لاجل أن يكون السر مكتوم بينهما ولولا أن أجلك مديد وعمرك فيه تأخير ما قبض عليك فاخبرني بما تريد هل تريد أن تقيم عندى أو ترجع اليه فقال له ياسيدى أريد أن أقيم معك وأكون خادماً لك وبين يديك (ياساده) ثم أن الامير نهض من وقته وساعته وقال يا عثمان القي بالك من الخيام والاعلام والرجال والغلمان حتي أني أعود اليك فاجابه بالسمع والطاعة ثم سار ليلا الى أن دخل الى عرض اللئام وتجسس على خيمة رشيد الدولة وكان الامير يعلم بأن رشيد الدولة مسلم يكتم أيمانه فلما

وصل اليه سلم عليــه سلام الاحباب وسأله عن سبب مجيئه فقال له السبب عجيب وأمر مطرب بديع غريب ثم أعاد عليه القصة من أولها الي آخرها وكشف له عن باطنها وظاهرها فقال له وما الذي تريد فقال له أريد أن أكون عونا مع القان هلاون على عسكر السلطان لاعلي غيرهم وأفعل معهم مثل ما أرادوا أن يفعلوا معي فقال له رشيــد الدولة يا سيدي ماعليك في ذلك من اثم وأنا أوصلك الي ذلك ثم أخــذه من يده وسار به حتى أنه أدخله الى عند الملك وقال له ياقان الزمان اعلم أن هذا هو بيبرس العجمي وانه قــد أتي اليك طائعاً مختاراً واعلم انه قد كان أصله من العجم وعاد الى العجم وانه يريد أن ينصرك على الاعداء ويكون عونا لك في هــذه الركبة فقال له القان هلاون قوم بلاد يعني مرحبا به ثم أنه ترحب به وأجلسه الي جانبه فهذا ما كان من أمر هؤلاء (قال الراوي) وأما ماكان من أمر أيبك فانه قعــد ينتظر عودة الرسول فــلم اتاه ولا سمع عنه خبر فصبر الي الصباح وقــد خفي عنه خبر الامير بيبرس فظن انه هرب فقــال لرفقائه اعلموا أن بيبرس هرب وترك الحرب وها نحن قد ارسلنا الي هلاون ذلك الكتاب وأقول انه لا بقي يقصر فينا ولا يحاربنا والرأى عندي اننا قبل كل شيء ننهب مال هذا ولدالزنا الاجل أن تبلغ الاخبار الي هلاون فيصدق قولنا وما ذكرناه له من كتابنا فقالوا له هذا هو الرأى الصواب ثم انهم طلبوا السرادقات والاعلام وتعصبوا وأرادوا أن ينهبوا فبينما هم كذلك واذا بصايح قدصاح عليهم الله أكبر فتح الله ونصر فتأموه واذابه عثمان بن الحبلة وجماعته وعقيرب وجماعته وحرحش وجماعته ورجالهم والمماليك والرجال حول الاعلام بالسيوف الصقال وهومجذوب بايديهم وعثمان بالرزة يقول وعزة الله كل من يقرب من السرادقات لاهرق دمه بهذه الرزة (ياساده) ولما عاينوا ذلك الحال ورأوا ما حل بهم من الرجال رجعوا على أعقابهم خائبين والي أماكنهم طالبين (ياساده) ثم أن عثمان أمر بالزماره والارغول وجمع الرجال وجعلوا

يغنون ويصفقون ويرقصون وايبك وجماعته من ذلك يتعجبون ولم يعلموا الى بيبرس من خبر ولم يقفوا له على حلية اثر فبينما هم متحيرين فى ذلك الامور واذا بالطبول قد دقت ونزل الي الميدان فارس في الحديد غاطس وهو فصيح اللسان عالي الجنان وسار حتى توسط الميدان ونادى بأفصح لسان ميدان ياعصبة الايمان مافي الميدان الا الامير بيبرس الذي أصله من العجم وها هو عاد الى العجم فلما سمعوا ذلك قال ايبك الفاتحه المشوم كفر يابشتك وما لنا غير القتال معه ونسأل الله النصر عليه ولكن قوم يابشتك انزل اليه فنزل اليه بشتك فطاوله الامير الى ان غاب عن أعين الناظرين وأخذه من بحر سرجه وقبض عليه وضربه بالت صفحا وثمانين وقال له بعد ان اعاده الى سرجه عد الى اصحابك ولا تذكر لهم شيئاً مما لك فعاد وقد قال في سره لم اتكلم بحرف واحد حتى ينزل اليه غيرى ويفعل به مثلي ويطعمه من هذا الطعام ويذيقه شراب الآلام ولما وصل الي ايبك قال له ماذا جرى بينك وبين هذا الولد ابن الحرام فقال له اعلم اني لما تحاربت انا واياه غلبته وأسرته وأردت ان آتيك به فوقع في عرضي فتركته في ذلك النهار وقلت لباقي الايام كثيره ولا بد الذى يأتي اليه غدا يأسره والسلام (ياساده) ثم عاد بيبرس ايضاً فسألوه عن خصمه فقال لهم الآن كان الحرب بيننا سوي ولما كان ثاني يوم نزل سنقر ففعل به مثل مافعل ببشتك فرجع وهو ساكت على مضض ولم يزل كل من ينزل اليه يفعل معه كذلك حتى فعل بالامارة جميعها :لكنه لم يأخذ منهم أحد أسير فلما كان الدور الاخير على ايبك ففعل معه هذه الفعال وهو لا يصدق الا نفلات من يده وبعد ذلك نزل الامير الى الميدان وطلب البرراز وسأل الانجاز فلم يبرز اليه أحد من الناس فنزل الى عند الوزير رشيد الدولة وقد انكسرت شوكة ايبك وجماعته ونزلت عليهم الخيبة والحملة فهذا ما كان من امر هؤلاء (قال الراوى) ياساده واما ما كان من امر ايبك فانه جمع قومه وقال لهم كيف رأيتم ما فعل

بنا هذا العلق بيبرس من الفعال والله أنه ضربني حتى كدت أن أشرب شراب الهلاك فقالوا ونحن قد فعل بنا مثلك فقال ايبك وعلى ذلك ما يكون لنا من طاقة والرأى عندى أن اكتب الى الملك الصالح جواب واعلمه بما جرى فقالوا هذا هو الصواب والامر الذي لا يعاب ثم انه سطر كتاب وسلمه الى نجاب وامره بالمسير فاخذه وسار طالب الديار المصريه فهذا ما كان منه واما ما كان من امر الملك الصالح ايوب ولي الله المجذوب فانه جلس فى بعض الايام وقد تكامل الجند من حوله قرأ القاريء وختم ودعا الداعي وختم رقا الراقى وختم وصاح جاويش الديوان وهو يقول

لله كل الامور جميعها | والله العليم بما فى سرائري
وكل ما كان لله فهو واصل | وماكان لغير الله فهو الخاسري
يا ابن آدم اسمع واعتبر | وخذ النصيحة من ظاهرى
أوصل حبل الوداد محبة | وابعد حبل البعاد عن القادر
واتبع حبل الرسول محمد | الهادي الشفيع الطاهر
من مات مسلماً ومسلماً | كان آمناً حقا ولم يك كافر

(قال الراوى) يا كرام فقال الملك آمنا سبحان مالك الممالك سبحان المنجى من الشدائد والمهالك يا حاج شاهين جزاهم على الله الطير بعد عن الطيور وراح عند الطيور السود ولكن هذا مما قد اصابه من الطيور لانه زعل وراح عند الطيور السود والطير ضرب الطيور بمنقاره وآمنهم بعد ان قدر عليهم والطيور غلبوا من الطيور والطير ظفر بالطيور والحق بيده ياحاج شاهين قال الوزير يامولانا السلطان ما معنى هذا الكلام قال له الملك انا رجل عبيط ما تأخذني على كلام فبينما الملك يدندن ويتكلم بمثل ذلك واذا بالنجاب يقبل الارض بين يديه النبي صلوا عليه فقال الملك انت ايش فقال له نجاب وحامل كتاب قال الملك من اين والى اين قال من عند الوزير ايبك قال الملك هات الكتاب فناوله له فقرأه وفهم معناه

قال الملك لا حول ولا قوه الا بالله العلي العظيم خذالكتاب ياقاضي اقراه حتى
تسمعه كل الرجال واذا فيه الصلاة والسلام على من تظلله الغمام كتابا من الوزير
ايبك الى ايادي ملك الاسلام اعلم اننا سرنا كما أمرتنا مع بيبرس فقال من على
قلعة العريش فنزل عليه العين فرنجيل وعراه هو وجماعته فحضرنا وخلصناه
من يده وخلصنا له جميع ما أخذه وسرنا الي الشام فتركنا وذهب الى الفداويه
وسرنا الى حلب نحن نقاتل الاعادي الى أن حضر بيبرس ونحن نقاتل ونطاعن
ولم يخف يده الى صدره فيوم من الايام قلنا له يا أخى هذا امر لا يصح
والاقدمين قالوا يد على يد تساعد فقال غداً احارب معكم فلما اصبح وجدناه
نزل الي الميدان من عرضى الشام وصاح انا بيبرس أصلي من العجم ورجعت الى
العجم ومالي بالاسلام من حاجة فنزلنا اليه وحاربناه ولكن انت تعلم ان
الكثره تغلب الشجاعه فلما تكاثروا علينا ونحن فى عدد قليل وبيبرس
وجماعته متفقين معهم أعيانا الامر فكتبنا ذلك الكتاب ادركنا من
بيبرس ولذلك لا ننا لا نكرمه الا لاجل خاطرك والسلام على نبى تظلله الغمام
(قال الراوى) فكل من كان فى الديوان صار يتفكر فى هذا الامر والشأن
الا الوزير الاغا شاهين فانه علم بباطن الامور واما ما كان من أرباب الدلة
فجماعة قالوا بيبرس رجع الى اصله كفر ومنهم من دخل فى الشك هذا والقاضى
قد انفتح له باب وتحرك من مكانه وهز ديدبانه ونفض اكمامه وقعد وقام ودور
العمامة وجنح طيلسانه وقال اشهد ان لا اله الا الله واشهد آن محمداً رسول الله
يا أمير المؤمنين انا كم أقول لك القول مرارا واعيده لك تذكاراً واجهاراً واقول
لك أن ذلك الغلام اتانا من بلاد الاعجام يريد أن يفسد ملكك فانت تكذبني
ولا تصدقني ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم يا ملك الاسلام هذا الغلام
لا يصفى قلبه ابدا الى الاسلام وما هو الا دسيسة ارسلوها اليك اللئام والرأى
عندى انك ترسل له من يحاربه ويضاربه ويقهره ويأتيك به اسير وتريح

العباد من شره فقال الملك وعزة الله الابديه لا يتوجه الي هــذا الامر أحد غيرى ثم أن الملك أمر بالتجهيز وكتب للرجال وأمر بالرحيل وجلس الامير جلخان الطور مكانه قام مقام الملك وارتحل الملك وكان الوزير من حسن رأيه أخـذ كتاب ابيك وحفظه معه وذلك أنه يعلم أن ما ذكره أبيك من المقال فهو باطل ومحال (ياساده) وقد سار الملك بالرجال حتى أقبل الى العريش وقال الملك انزلوا هاهنا وبعد أن استقر قرار الملك الصالح قال يا قاضي أريد منك أنك تسير من عندي الي عند اللعين فرنجيل وتأمره أن يأتى الى عندي حافي الاقدام عاري الرأس وماأرسلتك اليه الا لانى أعرف انك تعرف بلسانه وان أبى ولم يأتى وعزة الله لا أبرح عن هــذه حتى أقتله فقال القاضي السمع والطاعه يا أمير المؤمنين ثم أن القاضى سار الي قلعه العريش وطلع الي اللعين فرنجيل فتلقاه وسلم عليه سلام الاحباب وقال له اعلم أن ملك الاسلام يدعوك اليه وقــد أرسلني اليك بذلك والرأى عندي أن تسير معى اليه واذا وقفت أمامه دعنى أتكلم أنا بما أريد من الـكلام فلو انى ضربتك في حضرته بالنعال فما عليك من هذا المقال ولا تأخذ في نفسك شيء لان الملك أرادالمحاربة وأنا الذي منعته من ذلك فقال سمعاً وطاعة ثم نزل مع القاضى حافى الاقدام مكشوف الرأس الي أن أوقفه بين يدي السلطان فقال الملك قد أتيت به ياقاضي قال القاضى هذا ملعون فلو أنه عصي أو خالف أمري كنت قتلته بيدى فقال الملك يا فرنجيل من مثلك ينهب عساكرى وولدى بيبرس وتأخذ ماله وتعريه فلما سمع الامير ذلك المقال قال لا وحق رأس أمير المؤمنين وحق المسيح والانجيل ومن أكون أنا حتى أنهب بيبرس يا ملك الاسلام أناقدرت عليه وهو صغير بلا رجال وقتل ولدي تومه فكيف أقدر عليه وهو له عزوه ورجال كثيرة وحق شوكة ولوكه وزراره الفرداذ وكرسوم العربان وفرعة الذي غرق فى شخاخ الرهبان وحق الشهيد مكعنين المقتول في دير الطين انى ما نهبت بيبرس ولا

تعرضت له والا اكون مسلما مثل المسلمين واغسل بالوصي والسنحي وانطيب والبس العمامة البيضاء انى ما فعلت ذلك ابدا واما هو الذي فعل معى كذا وكذا ثم اعاد على الملك والرجال جميع ما كان من أول الامره الي آخره فقال الملك يا وزيرى كلام هذا اللعين مخالف لما فى كتاب ابيك فقال الوزير يا ملك الاسلام العلم عند الله هذا وقد قام القاضي وقال له تجذب يا ملعون وانى لا اصدقك ابداً هذا وقد قال الملك اين أبو حديده عوجه فقال نعم يا ملك الاسلام فقال له ملص لى اذن هذا الكلب القربان فصاح عند ذلك اللعين انا فى عرض قاضيكم يا مسلمين وكانوا يتكلمون بالاشارات بينهم باعينهم فقال فرنجيل يا قاضى وحق المسيح أن ينظروني لاقر عليك انك نصراني واخليهم يحرقوك قبلي فقال له ان فعلت ذلك تكفر في ملة المسيح ولكن اقع انت فى عرضي ففعل اللعين ما أشار اليه به فهذا كان الاصل والسبب هذا قد نهض القاضى على الاقدام وقال يا مولانا السلطان اكرمه لاجل خاطري وقد قال القايل شعرا فى المعني

يهان علينا ان تصاب جسومنا وتسلم أعراضا لنا وعقول
وما يضيع العرض الا كل جاهل وما يحفظ العرض الامن كان مقبول

ثم ان القاضى قال يا مولانا السلطان شعره من الخنزير خيرا منه وهذا اللعين يشترى نفسه منك بالمال فقال الملك لا ابيعه الا بخزنة مال معدوده منقوده مفروزه فقال اللعين على الطاشطه فان اطلقتونى ارسلت اليكم الخزنة المال قال الملك لا اطلقه الا بضامن يضمنه فقال اللعين ضمانى على القاضي قال القاضي ضمانه على يا امير المؤمنين قال الملك اطلقوه فلما وصل الى القلعه ارسل الخزنة المال الى الملك ثم ان الملك ارتحل حتي اقبل الي الشام فتلقاه عيسي الناصر شرف الدين وقبل الارض بين يديه ووقف فى خدمته قال فبينما الملك جالس وعيسي الناصر بين يديه واذا بالسيدة فاطمه تقبل الارض وهي

تقول نعم يا أمير المؤمنين فقال الملك اهلا وسهلا بالسيدة فاطمه بنت الاقواسي انت اسمك ايش فقالت له نسبت للاولياء الكرامة يا سيدي انا فاطمه الاقواسية مظلومة يا امير المؤمنين فقال الملك ومن ظلمك في مدتي وانا ملك الاسلام فقالت له ظلمني هذا الرجل عيسي الناصر شرف الدين ثم انها اخرجت الحجة التي كانت كتبت عليه قرأها وأشفق عليها وقال له ومن امرك أن تأخذ الخزنة المال من هذه الحرمة فقال يامولانا السلطان رددتها اليها فقال الملك ها هي مكتوبه عليك على يد العلماء وعزة الله الا تعطيها خزنة مال لانك انت الجاني على نفسك ولو كنت اعطيتها المال كنت اخذت منها الحجة هذا وقد امر باحضار المال فأخذت المال ثاني مرة فلما اخذتها قال له اخبرني لاي شيء اغلقت ابواب الشام في وجه بيبرس دون غيره أما هو مسلم فسكت فقال الملك وعزة الله الا يوضع في الحديد ويسجن في سجن ضيق ظلام واكتبوا الى بيبرس حجة شرعية باني اوهبته له مالا ودما اذا هو قتله فما احد يطالبه بدمه والمؤمن عند قوله فكتبت الحجة وختمها السلطان وقال ودوه الى السجن حتي يحضر بيبرس ويجلس على تخت السام ويفعل كلما أراده به هذا وقد سجن باشت الشام ونزلت السيدة فاطمه وصرفت خزنة المال على الفقراء والعلماء فهذا ما كان من أمر هؤلاء

(قال الراوى) وأما ما كان من أمر الملك الصالح فانه جلس على تخت الشام على الاقواسى وارتحل طالب أرض حلب بعد أن أخذ الراحة فلما وصل اليها تلقوه الرجال والامراء أراد أيبك أن ينزله عنده واذا بعثمان مقبل عليه قال الملك أهلا وسهلا يا شيخ عثمان قال عثمان انزل مكانك يستناك فقال الملك سمعاً وطاعة لاني لا أخالفك يا شيخ عثمان ثم صار معه حتى جلس داخل صيوان بيبرس ولما استقر به الجلوس وراق الحي سأل الملك أيبك على ما جرا فاخبره مثل ما أرسل في الكتاب فلما سمع الملك ذلك الكلام قال وعزة الله لا ينزل غدا الى الميدان ويحارب بيبرس غيرى انا ثم انه صبر حتى طلع

النهار وذهب الاعتكار وصاح بابو الخير هات الشهبه فركب الملك الشهبه وتقلد بسيفه الخسب والطليحيه على رأسه والترس الجميز فى يمينه وساروا قسم أن لا يتبعه أحد من الرجال فلما توسط الميدان صاح ميدان يا بيبرس وعزة الله لا ينزل الي الامير بيبرس الذى أصله من العجم ورجع الى العجم فلما سمع بيبرس ذلك الاخبار ركب من ساعته وقد ظن بيبرس ان هذا رجل من الرجال (ياساده) ولما تقرب من الميدان واذا به يرى الملك الصالح هو الذى فى الميدان فلما عاين ذلك تحول سريعاً على ظهر ركوبته ولزم أدبه وحشمته وقال يا ملك الاسلام يعز على هذا المرام ثم أن الامير بيبرس قبل الارض بين يديه وقال له

أيا مالك حاز كل المفاخر ونصره الله على الكفار
وقد حاز السمادة من كريم جل الذى أعطاه هذا القمار
وأوهبك السيادة حقا سبحانه هو الواحد القهار
لا تأخذنى بذلتي وبذنبي ان الكريم يعفوا عن الاوزار
وما فعلت هذا الإ بما لامنى من كيد اخصامى ولبس العار
ظلموني الاعادي بمكرهم وهواهم وأنا العبد وأنتم الاحرار
يا سيدي قد جنيت ذنوبا فان شئت فاعفوا والا نخذ بالثار
ارمونى عداى بسهم أصابنى بيمين مع يسار
وانى أتيت اليك الآن معتذرا فاقبل من أتاك بالاعتذار
وانت حقاً من نسل طه محمد الهادي كامل الانوار

(قال الراوي) فعند ذلك تبسم الملك ضاحكا وقال له اركب ركوبتك وحاربني يا بيبرس فقال يا ملك الاسلام العفو من شيم الكرام وأنا لا يمكني أن أقاومك فى حرب ولا نزال ولا طعن ولا ادخال فقال الملك لا بد من ذلك فلا تخالفني ثم أن بيبرس ركب الجواد على مضض منه وتقدم اليه وهو غارق في بحر الحياة فقال الملك يا دايم وأشار الى بيبرس واذا بيبرس

عاب عن الوجود وبقى حاضر في صفة مقود ومفقود في صفة موجود وقد رأى من ذلك عجب عجيب (قال الراوى) وأعجب مافى هـذه السـيرة العجيبة أن بيبرس أخذه النوم فرأي نفسه كأنه في واد احقر اقفر مافيه من الماء قطرة وقد أصابه العطش من شدة حر ذلك الواد حتى كاد أن تزق روحه وقـد حصل له من ذلك ضيق عظم وشيء عجيب جسيم وكلما يمشى في ذلك البر يشتد عليه العطش والحر وهو يستغيث فـلا يغاث فبينما هو كذلك واذا قد ظهر له سبع عضنفر قدر الثور الـكبير أو أكبر وهجم على بيبرس يريد قتله فأراد الامير أن يطلبه بالسلاح فلم يجد من السلاح شيئاً معه وقد طمع الاسد فيه لاجـل انه خلى من المده فزاد عليه الضيق وأخـده القلق والفزع فاراد الصعود الى رأس الجبل واذا بالواد قد امتلأ بالماء حتى عم الارض جميعها ووجد نفسه في وسط ذلك الماء وكل ما أراد التخلص يجد الماء قد زاد عليه فالتجأ الى جانب جبل وسلم أمره لمولاه وتوكل عليه واذا به يري الماء يصل الى عند ذلك الجبل وتضربه الامواج فتقطع منه قطع كبيرة مثل الامواج وهو يتهايل عليـه حتي أنه يريد أن يقع عليه فقصد التخلص من ذلك الهول المهن الى جهة اليمين واذا بنار قد اشتعلت فيه فهرب من النار الى جهة اليسار فرأى ذلك البحر قد طغى وفار فعاد الى خلف فرأى الجبل وهو يتهايل فعاد الى قدام فرأى الاسد الضرعام فلما أعياه الامر وزاد به الضرر فما وجد حيلة الا الدعاء الى مولاه فرفع وجهه الى السماء قبـلة الدعاء وقال هـذه الابيات صلوا على سيد السادات

يا لطيف بالعبـاد جميعها ... يا رحيما بالغريب وبالغرب
كن عونى يا الهي ومنقـذي ... وفرج عني ماحل بى من الكرب
ونجنى يا رب من كل شدة ... بحق حبيبك المنجى غاية الطلب
اعني محمـداً خير الانام بجمعهم ... عليه الصـلاة ما هطلت سحب
وخصـه مني بالسـلام تكرما ... ما لاح فجر فى شرق وفي غرب

فاعف عني يا الهى وخالقى وخلصنى من شدتي ومن كرب
وادفع عني الاعادى وصدهم بحقك يا رحمن يا كاشف الريب
ولا تأخذنى بذلتى وذنوبي بجاه المصطفى المحبوب صفوة الرب
وخذ بيدى منة وتكرما انت الرحيم الكريم بكل قلب
عليك توكلى ثم اعتمادى لك أسلمت أمري من بعد وقرب

(قال الراوى) فلما فرغ الامير بيبرس من ذلك الكلام وما قاله فى ذلك المنام أشار عليه الاستاذ الملك الصالح أيوب بيده فأفاق وهو يقول قولا عدلا أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمداً رسول الله أنا فين فقال الملك يا دايم يا حق يا معبود يا علام الغيوب انت عندى يا بيبرس اخلى السبع والجبل يقع عليك او البحر يغرق عدوك او النار تحرق ضدك فقال له يا سيدى أرجو منك السماح واجعلنى مثل ما قال الشاعر في حقه هذا المعنى

العبد مذنب والمسامح كريم والعفو يمحوا كل ذنب جرا
أنا قد قرأت في الكتاب المبين لولا الذنوب ما كانت المغفرا
والعبد أساء وقد رجع معتذرا اليك والذنب منى جري

(قال الراوي) فقال الملك سامحك الله عما فعلت من ذلك ولكن لا بد من التحقيق بينكما وما يكون الرأي في ذلك الركبه فقال يامولاى اعلم أن الاعجام واثنين منى ولكن انت رجعت الى العرض وأنا رجعت اليهم واقبل الليل بالاعتكار ارسل الى اخواتى الفداويه وأنا أكون معاونا لهم على كبس الركبة وتهب الاعادى فقال الملك هذا هو الصواب والامر الذي لايعاب ثم رجع الى مكانه بعد أن تودع السلطان منه وعاد بيبرس وقد اجتمع برشيد الدولة وأعاد عليه سرا بينه وبينه ففرح رشيد بذلك الخبر وتهلل وجهه واستبشر ثم أخذه ودخل على القان هلاون وقال له اعلم أن بيبرس العجمى قد تحارب مع قان عرب وكان مراده أسره فلم أمكنه ذلك ولكن لا بد أن يأسره غداً ان شاءت النار

فقال اللعين قوم بلاه ثم انهم صبروا الي الليل وقد نامت الاعجام وهم آمنين من حوادث الزمان وما خبيء لهم عند مدير الاكوان حتي توسط الليل فبينما هم في الذ ما يكون من المنام واذا بالصياح قد أخذهم من سائر الاقطار ووقع فيهم القتل بالسيف البتار فلا أحد قدر ان يثور من مكانه حتي طارت رأسه عن ابدانه وربما كان الرجل منهم اذا اخذ سلاحه قتل به اخاه واعدمه الحياة ومنهم من كان متجرد بغير حسام وصارت المجوس شنيارها معكوس وجيشها مكبوس وعمل فيهم السيف والدبوس ولمعت السيوف في غياهب العلموس وزهقت النفوس وجري الدما من الرجال متل ذبح التيوس وعاد صباحهم معكوس وعمل فيهم البتار وقد اشتعلت نار الحرب اشعال وتجندل الافيال وجري الدما وسأل فلا كنت تسمع للسيوف الا الرنين ولا للمجاريح الا الانين وأخذهم السيف من الشمال واليمين وضاق عليهم البر الفسيح وتعاووا مثل عي الذبيح وضاق الخناق وشربوا من الموت أمر مذاق ووقف الحرب على قدم وساق وتعلقت الفرسان بالفرسان والشجعان وطارت الرؤوس من الابدان وزهقت النفوس من شدة الوهان وشيب الشجاع المصان وولى الجبان المهان وصار الدم ينزل والسيف يعمل ونار الحرب يشعل وكانت هذه الواقعة لا يعرف لها أول من آخر (ياساده) وكان السبب في ذلك سبب عجيب وهو انه لما رجع الملك من الميدان اخبر الوزير بما دار بينه وبين بيبرس من الكلام فقال له الوزير يا ملك الاسلام لقد قال بيبرس احسن الكلام فقال الملك دبر انت يا وزير الزمان هذا الامر برأيك واحكم فيه بحكمك فقال يا ملك الاسلام اعلم ان هذا الامر لا تنفع فيه رجالنا ولا تستقيم فيه أبطالنا وان بيبرس نظر موضع النظر وبما في ضميره اخبر ولقد قال الحق ونطق بالقول الشديد الصدق ما لهذا الامر الا الرجال العتاه اولاد اسماعيل

الذين هم معدودين لكل أمر مهين لانهم ارباب الحروب واخبر بهذه الاسور وأما نحن ارسلنا رجالنا لامرك هلكوهم الاعادي وسارت عليهم اشأم خسارة فقال الملك وفق الله للخيرات ولكن ارسل لهم أنت سراً حتي لا يعلم أحد من الامراء ولا غيرهم ويكون هذا الامر مكتوم بيننا لا ننا لا نسلم أن يكون عندنا عيون أو ارصاد أو من ينقل اخبارنا الى أعدائنا فيأخذوا حذرهم منا فقال الوزير السمع والطاعة ثم أن الوزير ركب من تلك الساعة وسار حتي اقبل الى وسط الواد وكتب كتاب وختمه بخاتم الملك بعد أن انفرد عن سائر العباد وناوله الى نجاب وقال له سر الآن الي المعرة وسلم هذا الكتاب الى نقيب الرجال وأمره أن يعمل بما فيه ثم عاد بعد ذلك الوزير الى مكانه وسافر النجاب بالكتاب على عجل من أمره فوجد الرجال مجتمعين فسلم الكتاب الى النقيب فلما فضه وجد التره الملكيه والخاتم الملكي فصاح سلام ورحمة الله وبركاته فصاحت الرجال سلام ورحمة الله وبركاته ثم انه قرأ بجد الصلاة والسلام على المظلل بالغمام خطابا من الفقير الى الله تعالى الرجل الصالح أيوب الى بين ايادي أولاد اسماعيل الاشراف نسل عبد مناف المنسوبين الى جد الاشراف يسلم عليكم ولدى بيبرس ويأمركم أن تكونوا على اهبة من امركم وتسيروا من أول حضور الكتاب عندكم حتى اذا اقبلتم الى حلب فلا تجعلوا أحد من الدولة ينظركم بل انكم تختفوا في الجبال حتى يأتي الليل بالانسدال وتم الساعة اربع وتهجموا على الاعجام وتجدوا بيبرس لكم في الانتظار والحذر ثم الحذر من المخالفة والسلام على نبي تظلله الغمام فلما سمعوا ذلك الرجال اجابوا بالسمع والطاعة وركبوا خيولهم في أقل من ساعة وساروا حتى اتوا الى ذلك المكان واختفوا حتى لا يراهم انسان حتي توسط الظلام وانحدروا من الاكام وقد تقسموا أربع أقسام واحتاطوا باللثام وصاحوا صيحة واحدة ونزلوا عليهم نزول السيل كما ذكرنا وابادوا الاعجام كما

وصفنا وجري من القصة ما قدمنا فهذا كان الاصل والسبب وسنرجع الي ما كنا فيه من تمام كلامنا و نصلى على محمد تاجنا واسامنا وما زالت الرجال تقاتل وتجاهد حتى محق الله ايادي الكفار هذا ولما سمع القان هلاون بذلك الصياح اخذه الخوف والانزعاج وخرج من ظهر الصيوان تحت الظلام وهو لا يصدق بالظلام مما نزل به من بلاه ولما تضاحا النهار فما بقى من الكفار ولا نافخ نار ومضي الليل وارتحاله وايد الله الاسلام الابرار بتوحيد الملك الجبار فأمر الملك بجمع الاسلاب والغنايم فجمعوها ودوروا على هلاون فلم يجدوه وكان أول من هرب وتبعه رشيد الدولة وقد خلع ملابسه وسار عاري الجسد على جواد مجرد فلما رآه هلاون عذره وقال له ما حالك يا رشيد قال له اعلم انى قد نحتنى النار من هؤلاء الرجال ولولا اني تركت ملابسي وما تملكه يدي والا كانوا قتلونى فصدقه القان هلاون فى ذلك المحال ولم يعلم انه فعل من أول الليل هذه الفعال لانه كان يعلم بذلك كله وكان بيبرس اخبره فتجرد من ملابسه وطلع كما ذكرنا وقابله هلاون كما وصفنا فساروا الاثنين هاربين والى النجاة طالبين (ياساده) وقد جمع الملك الاموال والخيام وأخذه وسار الى حلب بعد أن أمر يدفن القتلا وترتيب له البلد والامير بيبرس راكبا الي جانب الملك حتي جلس على كرسى حلب والامارة حوله ووقف بيبرس بين يديه فقال الملك يا وزير شاهين الآن أريد أن احقق هذا الامر فأين الكتاب الذي ارسله ايبك الينا فأخرج الوزير الكتاب فقال الملك اعطوه الي القاضي يقرأه في حضرة ايبك الينا والامراء فقرأه القاضي وسمعوه الرجال وقال الاغا شاهين انت ياايبك الذي خلصت بيبرس من يد فرنجيل وخلصت له متاعه الذي كان أخذه منه على قلعة العريش فسكت ايبك ولم يتكلم بكلمة واحدة فقال الوزير يا بيبرس ايبك هذا قد خلصك من يد فرنجيل وهو قد أخذ مصالحك ومتاعك فتبسم بيبرس وقال تعالى يا أيبك أنا ما خبرتك

فى المسير فقلت اسير أمام قال نعم قال فلما سرت ووصلت العريش نزل عليك فرنجيل وعراك انت ورفقاك قال نعم يا سيدي قال له ورجعتم عرايا فكسيتكم قال أيبك نعم قال له وبعد ذلك أمرتني أن أسـير أمامك فسرت أنا ورجالى وطاوعتك وتخلفت انت عني قال له ايبك نعم ولمـا أتيت الى الشام وأنا سائر الى الركب بأمر السلطان غلقت الابوات فى وجهي وفتحت لكم قال ايبك نعم قال ولما رحلت اقبلتم انتم ودخلتم الشام فتلقاكم ونهبتم من أمى خزنة مال بواسطة عيسي باشت الشام قال ايبك نعم فقال الملك يكفي هذا ياولدي الله يخزى أهل الباطل اقعد يارجل ياايبك اقعد دم على قلبك يبقى بقيت أنا عندك مضحكه ثم أن الملك قال لبيبرس دعنا ياسيدى من فعال هذا الخائن وحدثنا انت على الامر كله وما يكون سبب رجوعك الى العجم وتركك لهؤلاء الامم فقال له يا مولانا السلطان اسأل هذا الغلام واشار بيده الى الرجل الذي كان أرسـله ايبك بالجواب الي هلاون ثم انه اخرج الـكتاب وقال وحق الـكريم المتعال هذا الـكتاب هو الذى منعني من صحبه هؤلاء الاندال فأخذ الملك الكتاب وقرأه بما قد ورد وتقدم فقال الملك لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ثم أقبـل الملك على ذلك الغلام وقال له اخبرني يا مسكين عن القصة كلها لانك من رجال ايبك فقال يا مولانا ان أيبك اجتمع برفقائه وعمل بينهم مشورة وكتب ذلك الـكتاب وارسلني به الى هلاون وقد ذكر فيه قتلى وانا لااعلم بشيء من ذلك فلما سرت بالـكتاب صادفني عثمان فأوقفنى عند سيده فأعطانى الامان وسألنى فأعطيته الـكتاب والحمد لله الذي نجانى من الموت على يده وقد خدمت عنده ثم أعاد عليه الامر فقال الملك هذا يصح منـك يا ايبك ويحل لك من الله ان تأخـذ ذنب هـذا الرجل فى رقبتـك وتنصر الـكفار على الابرار ولـكن جزاك الله وعزة الله الابديه لم تأخـذ من هذه الغنائم شيئا ابداً لا انت ولا رفقاك وجميع ما غنمناه وما اكتسبناه فهو وهبـة منى الى

ولدى الامير بيبرس يتساعد به على فقره لانه هو الذى قد انظلم فى هذه النوبة وقدأضاع مال كثير وانتم يكفيكم مانهبتوه من أمه بغير حق فكانايبك وجماعته الموت لهم أحسن وأولى من سماع هذا الكلام قال ايبك الفاتحةهذا وقدتغيرمزاج السلطان من أيبك ورفقاه وجلس علي كرسى حلب للراحة سبعة أيام وقد اقاموا معه أولاد اسماعيل ثلاثه أيام وارتحلوا بعد الاستئذان وارتحل الملك حتي دخل الشام وقد تزينت الشام لقدومه فلما جلس على التخت وقف الامير علىالاقواسى فى الخدمة وقد تكامل الديوان وجلست الرجال بين يدى السلطان فقال الملك هاتوا باشت الشام وكان من تلك المدة فى السجن كما ذكرنا وكان سائق أحواله كماوصفنا وقد ضاقت عليه الدنيا فجعل يبكي وينوح من كبد مظنى مجروح وهو يقول

قد جفانى الاحبة والاخلا   واصبحت في السلاسل والقيود
واسيت فى ظلام من فعالى   وأشتفى منى الحسود
وآلمني قلبي وزادت وساوسى   وحط في وجهى وزال سعودي
وهجرنى المنام من بعد عزي   واعترانى الافتكار بالجحود
وما أدرى ماالدى يجرى على   من جاهكم أقوي من الجلمود
فيارب فرج عني كربتى   وبلغنى يارب غاية المقصود

(قال الراوي) فبينما هو ينعى علي روحه وينشد الاشعار ويرخى الدموع الغزار ويطلب الفرج من الملك القهار واذا بالرجال داخلين عليه وقد أخذوه بقيوده في يديه ورجليه وعادوا به حتيأوقفوه بين يدي السلطان فلما وقعت العين على العين وتأمله الملك وهو في هذه الحالة فقال الملك سبحان المعز المذل ياسيدى بيبرس اناأوهبتلك هذا الرجل مالا ودما وعزةالله الابدية ان قتلته او صلبته ما احد يقول لك لاي شيء فعلت ذلك ابدا ولا أحد يطالبك بدمه ابدا وذلك جزاؤه عما فعل معك من الفعال المذمومة والامور المشؤومة لانه رجل ظالم جبار وقد فعل فعل الانذال لاسيما وقد

ظلم أمك فى المال وطاوع الشيطان وخالف الرحمان فقال الامير بيبرس يامولانا السلطان مرادى اتمنى عليك فقال الملك تمنى ماتريد فقال له تمنيت على الله ثم على جنابك العفو عن باشت الشام ياملك الاسلام واعادته الى تخته والعفو منك عنه وعن فعلته فقال الملك الله ياوزير حقيقة ان بيبرس ابن ناس وقد يقال فى هذا المعنى ابيات

جبت عود ورد فى بستان ونشيته   وجبت له زهر مع ماء وردوسقيته
وغبت عنه ثلاث ايام وشميته   فجت على روايح قلت من بيته

(قال الراوى) فقال الامير بيبرس يامولانا السلطان المجازى هو الله وكل شيء بقضاء الله وانى قد سامحته فى كل مافعله فقال الملك قم الآن وخلصه بيدك من نطعه الدم وذلك يبقي من معاتيق سيفك واعلم ان الله قد استجاب لك دعاك ويلغك من اعاديك مناك فتقدم بيبرس وحل كتافه واطلقه مما قداعتراه من تلافه وخلصه من الحديد فقال الملك يارجل ياعيسى قبل يد الامير بيبرس فاجاب بالسمع والطاعة وباس يده على مضض منه والقلوب لايعلم بها الا علام الغيوب ثم أمر له بالجلوس فجلس هذا والملك جعل يترجم ويقول يارجل ياعيسى اعلم انه هذا هو الغلام الذي كان ضعيف انظر الي فعل ربك كيف انه يخفض العالى ويرفع الواطى انظر ياعيسى كيف ان الله ايده بالقبول ومن عانده مسعد مات مكمد وجعل يتكلم بمثل هذا الكلام فهذا ماكان من أمر هؤلاء (قال الراوى) وأما ما كان من اللعين القاضي وما يفعل هو وأيبك من الكلام العجيب والامر المطرب البديع الغريب وذلك ان ايبك لما جرت له هذه الامور كبرت علته وزادت حسرته ونما همه وزادت بليته ولما أعياه الامر وعدم منه الصبر اجتمع على القاضى ليلا وشكى اليه حاله وما الذي قد أصابه وأناله وقال في مقاله انظر ياقاضى كيف دبرنا وما فلحنا وتعبنا وما بلغنا واجتهدنا وضاع تعبنا وبعد هذا كله يعطيه الرجل الصالح السلب والغنيمة ولا يرعى لنا جاه ولا قيمه

وكيف يكون الرأي فقال القاضي اصبر وما صبرك الا بالله ولا تعجل فى هذه الامور ايها الوزير فلا بد ان أفعل معه كل أمر خطير ثم ان اللعين أخرج دواة وقرطاس وسطر كتاب وطواه وقال لغلامه سر بهذا الكتاب الى قلعة زهير وهي قريبة من هذا المكان وسلمه الى زهير وأمره ان يعمل بما فيه فأخذ الكتاب وسار ولم يزل ساير حتى وصل الي ذلك القلعه فدخل على زهير واذا به جالس بين اقرانه كأنه الاسد الغضنفر فسلم عليه واعطاه الكتاب فحله وقرأه وفهم رموزه ومعناه واذا فى أوله صليب وآخره صليب وعنوانه صليب ونحن وأنتم نوحد الملك القريب المجيب خطابا من شيخ الاراجيس وفى الارض خليفة ابليس عالم الملة المسيحية جوان الى بين ايادي ولدى زهير ياولدى حال وصول هذا الكتاب اليك تسير الى أرض الشام وتصبر حتى يقبل الليل وتدخل على بيبرس تسرقه وتسير به الى بين حلب والشام حتى تتوسط البلدين هناك مكان منقطع عن العمران يقال له فم الزمانة وعلت الصوانة وهو محل مشهور بين حلب والشام فاذا وصلت به الى ذلك المكان تقطع رأسه وتخمد انفاسه واعلم انى اخبرنى بذلك السيد المسيح وقد اوهب لك الاجر الكثير ومائة سنة زياده فى عمرك وعشرين فدان فى الواد الاحمر فقال اللعين شكراً للمسيح وكان اللعين جبار لايطاق وعلقم مر المذاق فرد الجواب الى البرتقش وقال له سرالي استاذك وسلم عليه واعلمه بانى فاعل كلما امرنى به فسار البرتقش واعلم جوان بما جرى وكان فهذا ما كان منه (قال الزاوى) وأما ماكان من امر ايبك فانه فرح فرحا شديد ما عليه من مزيد وظن انه يبلغ مناه وان بيبرس يذوق كأس فناه ولم يعلم بأنه فى حفظ مولاه (ياساده) ولما جن الليل وصلوا صلاة العشاء دخل الامير الي صيوانه يريد المنام واذا بعثمان داخل عليه فقال سلام عليكم قال بيبرس عليكم السلام قال عثمان قوم بنا نلعب النطه فقال له دعني انام أنا ما العب شيء قال عثمان خلينا نتحدث مع بعضنا الليله واترك النوم قال الامير انصرف عنى ياعثمان قال عثمان نلعب الكوره قال

الامير انا لا العب شيئاً قال عثمان وأنت الآخر جائك داهيه من عند الله ولكن مدركاك فيها الالطاف فقال له سر انت الى حال سبيلك فتركه وسار وهو ينادي بعلو صوته ادركيه يامبرقعة بالانوار فهذا ما كان من عثمان واما الامير فانه بعد أن قرأ ورده وصلى فرضه نهض وخلع ملابسه ونام وتوكل على الملك العلام (قال الراوى) وكان اللعين قد أقبل ولبس ملابس الاسلام وسأل عن ذلك الصوان فعرفه وعلمه وخرج حتى أقبل الظلام ونام كل انسان وقد أقبل اللعين وشق ظهر الصوان فرأى الامير نايم على قفاه مشاهد مولاه فاخرج منديلا بالبنج التيار وفرده على وجهه وهزه القى النوم على النوم ثم وضعه في جمد ان واحتمله وسار به الى ذلك البر والوديان ولم يزل ساير حتي أقبل الى فم الرمانه وعفنة الصوانه ونزل الامير الي الارض وشده كتاف وقوى سواعده والاطراف واعطاه ضد البنج افاق يقول اشهد ولا اجحد انا فين فصاح اللعين عليه أنت عندي يا كناس أنت من متاع محمد مابقي لك خلاص من ضيق الاقفاص قول كلمتك عند المنطار فقال له الامير انت ايش قال له انا زهير فقال له ومن اوصاك على ليتني طاوعت عثمان فقال له اوصانى عليك عالم الملة جوان فقال له الامير ان كان اعطاك الف دينار انا اعطيك الفين فقال له اللعين يارى اعطانى مايه سنة زيادة في عمرى وعشرين فدان في سقر فقال الامير لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ليس بعد الكفر ذنب يامعلم اعمل جميل اصنع معروف فقال له يا كناس هل رأيت نصرانى يعمل في مسلم جميل هذا الامر مستحيل فقال له تأخر عنى حتى اطلب الفرج من صاحب الفرج فضحك اللعين عليه وجعل يهزأ به ثم تأخر اللعين عنه وقد رفع الامير طرفه الى السماء قبلة الدعاء وقال

يامن عليك توكلى مولى الموالى　　أنت وسيلتي فى كل حال
وقفت ببابك الاعلى سحير　　لتغنعنى بفضلك عن سؤالي
فان سامحتنى ومحوت ذنبي　　فلا خوف على ولا ابالى
وتسامح زلتى وجمع الخطايا　　ووحدتى يارب ثبت سؤالى

ونجنى يارب مما أصابنى فانت الكريم ومولى الموالى
لك سلمت أمري يا عالم بحالى ففرج كربى وذلي ووبالى

(قال الراوى) فبينما الامير يبتهل الى مولاه ويتضرع الي الله واذا بالغبار قد ثار وعلى وسد الاقطار وقد انكشف الغبار عن خيال طويل القامة عريض الهامة واسع الصدر عريض الاكتاف راكب على جواد من أوفى الخيول الجياد وقد أقبل الى عند اللعين وصاح عليه يقول ايش يكون الزوال فى ظلام الليل فصاح اللعين كناس مرفوص هلان مقطوع الزنار وافص قبر اصفوط برجل حمار فلما سمع الخيال ذلك المقال قال له جيبنك يا ندل الانذال ويا ولد غير حلال فانطبق اللعين عليه كأنه جبل من الخيال واندوا عليه مثل انفصال اللبوة على الاشبال فتلقاه ذلك الخيال واشتد بينهما الحرب والنزال والطعن والجدال ولم تكن غير ساعة حتى أن الخيال أخذ من الملعون وأعطاه وبايعه وشراه وضربه بالحسام على قفاه طلع يلمع من علائقه فوقع اللعين قتيل وفى دماه جديل وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار هذا وقد تحول الخيال عن ركوبته ونزل الى الارض من ساعته وجرد اللعين من شاكريته وقد أخذها وتقلد بها وأخذ أيضاً شاكرية السيار وقد أخذ ملابس الملعون وجواده وتركه ملقي على الارض وركب وسار الى حال سبيله وقد ترك الامير بيبرس وهو على حالته التي ذكرناها وأراد أن يسلك البر فصاح عليه الامير يا مقدم فقال المقدم جيتك انت الاخر فقال له أنا ما جيتك يا أخي ولكن أقبل الى عندي فقال سمعاً وطاعة ثم أقبل الى عنده الخيال فرآه مشبوح تلك الشبحة فقال له انت ايش قال له أنا بيبرس خادم أمير المؤمنين قال له انت بيبرس محمود قال نعم قال له العجمي الدمشقي الدربندى قال نعم قال الخيال ما أسعدها من ليلة بأخذ الثار وجلي العار فقال له الامير وكيف ذلك يا مقدم فقال له اعلم أن أبوك قتل أبي وأنا اخذ بثاره منك والا اشتري نفسك مني بالمال فقال له يا مقدم أنا أشترى نفسى بما تريده من الاموال قال الخيال أنا سامعك وانت

تقول لهذا اللعين على الفين دينار وأنا رجل غير طماع وانا احق وأولى من هذا الـكلب ابن اللئام فقال له سمعاً وطاعـة فقال الخيال اكتبهم لى عندك مال بتمام كل مايقعد عام يريد وينموا فقال له الامير ما معي ورق ولا دواة فقال له خذ هذه الدواة والورق فـكتب الامير ذلك وقال له ما اسمك يامقدم فقال له اسمي وقع مني ها هنا ولم اراه الا هاهنا ان شاء الله تعالى ولـكن اكتب ضايع الاسم فكتب له ما امر بعد ان حله من وثاقه واراد ان ينصرف فقال له الامير اعمـل معروف واعطني جواد هـذا الملعون حتى اروح عليه فقال له ما مال يحلو من بيع فقال له تبيعها يا مقدم قال له نعم وحق الملك العلام قال له بخمسماية دينار له اكتبهم لي عليك فكتبهم واراد ان يجردها من الحزام ومسرج واللجام فقال له والاخرين بخمسماية دينار فقال له كسبتك ثم سلمه ذلك واراد أن يسـير فقال له من اين يكون الطريق فقال له يا دولتلى من الذل السؤال ولوا ابن السبيل هين دراهمك ولا تهين نفسك فتعجب الامير من امره واستعجب من طمعه وكتب له خمساية دينار ودله على الطريق وقدواي أكثر فرحه بالشاكريه التي اخذها فقال له يا مقدم اعطنى هذا الحسام قال له والاسم الاعظم ولو اعطيتني ما واهل الدنيا ما سلمتك اياه فقال له ولاى شيء قال له ان شاء الله سوف تعـلم السبب ينكشف عنك الغطا وتعلم حقيقـة الحال اذ آن الاوان فتركه الامير وسـار الي حال سبيله

(قال الراوى) وكان هذا المقدم يقال له ابراهيم الحورانى بن حسن الحورانى والسبب فى مجيئه انه كان عاجز بشقته اليمين فمر به الخضريه عليه السلام وعاهده واخـذ عليه الميثاق ودوا وبشره بشارة عظيمة من جملتها انه قال له قاتل كيف شئت فلا تموت الا على فراشـك بعد مدة طويلة لا قتيل ولا غريق ولا حريق ثم تفل فى فيه وكحله فسار لايخطيء نظره وله تأصيلة عجيبة وامور غريبة ولكن سوف نذكر كل شيء فى محله بحول الله وفضله (يا ساده) ولما جرى ما جري

للامير واستغاث كما ذكرناكان ذلك المقدم فى وسيع الآكام وأقبل اليه الخضر عليه السلام وقال له سر الى المكان الفلانى وانجد الامير بيبرس مما هو فيه واذا سألك عن اسمك فقل له ضايع الاسم ولاتعرفه بشيء حتى يؤون الاوان فقال له المكان الذي وصفته لى بعيد فقال له لله رجالا اذا رفعت حواجبها يقضين الله حوائجها يقولون لهذا الغلام كن باذن الله فى عفنة الصوانه وفم الرمانه واشار الشيخ بيده عليه فتميز الارض واذا بها عفنة الصوانه وفم الرمانه ووجد الامارة والاشارة فاقبل وفعل ماذكرناه فهذا ماكان من أمر ظهور ابراهيم

(قال الراوى) وأما ماكان من أمر الامير بيبرس فانه سار الى ان تقارب من العرضى واذا بعثمان مقابله فقال له اين كنت فقال له كنت اتفسح في الحلوات قال عثمان قابلت الرجل الكبير وقال لك انا ضايع الاسم قال ومن أين لك معرفة بها قال انه مشدود عقيرب وهو الذي أرسله اليك فقال له اقصر كلامك جاتك داهيه انت وعقيرب سوا فقال عثمان والرجل مات فقال له اسكت ياعثمان ولا تبدي كلام ولكن اخبرنى ايش يكون جوان فقال عثمان القاضى فصاح عليه الامير اخرص ولاتقذف فى حق شيخ الاسلام قال عثمان ابن الخرا لايصدق حتى يرى ثم ان الامير دخل الي مكانه

قال الراوى فهذا ماكان من أمر هؤلاء وأما ماكان من أمر القاضي وايبك فانهم صبروا حتى اصبح الله بالصباح وافتقدوا الامير بيبرس فوجدوه فى غاية من الصلاح وهو فى مكانه مؤيد بعون الله وسلطانه قال ايبك ياقاضى هاهو باقي على أحسن حال وأتم منوال وكان الرجل الذى ارسلته لم يطاوعك فعند ذلك صاح القاضى بغلامه وقال له يامنصور سر من هاهنا واكشف لى خبر زهير فاجابه بالسمع والطاعة وسار من تلك الساعة طالب قلعة زهير وما زال كذلك الي ان دخل اليها فوجد أخيه جالس مكانه وزهير ماهو فيها فسأل عن الخبر فأخبروه بانه ترك القلعة وسار من يوم ما أرسل اليه الكتاب من عند عالم الملة فرجع البرتقش الى حال سبيله ثم أتى الى عرضى الامير بيبرس فوجد حجرة زهير هناك فعرفه وعادالي

استاذه وقال له انى وجدت من الامرما هو كـذا وكذا وعاد عليه الامر من أوله الى آخره وكشف له عن ظاهره وباطنه فقال له قد هلك زهير يابرتقش وحق ديني ولـكن الى لعنة المسيح ثم ان اللعين سطر كـتاب وقال للبرتقش خذ هـذا الـكتاب وسر به الى كـفير أخيه وأعطيه الـكتاب وأمره يفعل بما فيه فقال له الاول قتل وتريد ان تقتل الثانى فقال له سر بلا غلبه استاذك ماله خير في أحد أبدا لانصرانى ولامسلم وانى أقول ماطلعت الشمس بعدى هذا وقدسار البرتقش بالـكتاب حتى وصل الى القلعة ودخل على كفير واعطاه الـكتاب ففضه وقرأه وفهم مافيه من معناه واذا به أوله صليب وآخره صليب وعنوانه صليب ونحن وأنتم نوحد الله الملك القريب خطابا من عالم الملة الى بين أيادي ولدى كفير اعلم انى أطلعت على قايمة الاعمار فوجدت عمرك قصير وعمر أخيك طويل فاخذت من عمر أخيك ورددت فى عمرك وأرسلت اخوك الى سقر والواد الاحمر فاذا قرأت كتابى هذا فسر به الى بيبرس واسرقه ليلا واعمل على قتله وأوهبت لك خمسين سنه زيادة فى عمرك وعشرين فدان في سقر فلما آتى الى آخره صاح بعلو صوته شكراً يا مسيح ثم باس الـكتاب وكتب له رد الجواب وأرسل به البرتقش فعاد به الى جوان فلما سلمه اليه قرأه واذا هو بامتثال امره ففرح اللعين بذلك وفرح ايضا ابيك فهذا ما كان من امر هؤلاء (قال الراوي) واماماكان من امر اللعين فانه لما اقبل الليل بالاعتـكار لبس ملابس العيارين وسار الى ان وصل الشام دخل الى العرضى وهوعلى صفة الاسلام ولم يزل كـذلك الى ان وصل الى صيوان بيبرس وميزه وعرفه وحققه واختفي بعد ذلك ينتظر هجوم الظلام (ياساده) فلما جن الليل بالاعتـكار بينما الامير جالس واذا عثمان داخل عليه قال السلام عليكم قال له عليكم السلام ماتريد منى ياعثمان قال اريد ان اجلس معك واحدثك الليله فقال روح الى مكانك فانى اريد ان انام فقال عثمان طاوعنى فى ذلك فقال لا اطاوعك أبداعلي ذلك فقالت انت الآخر جاتك داهيه من الله ولـكن متلقيها عنك عثمان

بن الحبلة فقال روح الله يجازيك فى كلامك ثم ان عثمان تركه ومضى هـذا وقد هودالليل ونام الاميربيبرس وعبر اللعين يريد الامير كما وصفنا واراد ان يدخل على الامير بيبرس ويدنوا منه واذا برزه عثمان تفرقع فى نافوخة قد شدب رأسه الى الارض صريع يعج علقما ويخبع وقد صاح اللعين بعلو صوته واى فانتبه الامير ويده علي الحسام وخرج من مكانه فزعان فتأمل فرأي القتيل وعثمان فلما رأى ذلك قال ما الخبر ياعثمان قال عثمان ها انت شايف فتأمل ببرس فرأى ذلك القتيل وعليه ملابس الاسلام فقال ومن قتل هذا قال عثمان أنا بقبقته بالرزه فقال الامير لاحول ولاقوة الا بالله العلي العظيم هذا رجل من أتباع القاضى وكانه خرج يريد قضاء الحاجه فتاه فى الخيام فاتى الى هاهنا فقال عثمان والرأى فى ذلك قال الرأى انك تأخذه تحت الليل ونسير به الى الخلوات وتدفنه قبل أن يطلع النهار ويظهر أمره وان سألك احد عن ذلك فانكر واذكر له أننا لارأينا ولا نظرنا فقال عثمان هذا هو الرأى الحسن وتدخل انت الى مكالك وعثمان اخذ القتيل من رجله اليسري وصار يجره والدماء يسيل على الاوض حتى اقبل الى خيمه القاضى وقال له عثمان ها هى خيمة قريبك خليك عنده ولا ترجع ثم تركه عثمان وعاد الى محله وصبر قدر ساعة وخرج واذا به وجد القتيل عند خيمة بيبرس فقال عثمان من أذنك بالرجوع الى عندنا وتترك رفيقك (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك ان عثمان لما جره الي خيمه القاضى كما ذكرنا وتركه كما وصفنا فخرج القاضى يريق الماء فوجد هذا القتيل فتأمله فعرفه فرجع وقد يبست أعضاءه وتعلقت الى حلقة حصاه فدخل على غلامه وقال منع منى نزول الماء فوجد الغلام على ذلك الحال فسأله عن الخبر فاعاد علته ماجري ثم أعلمه ان كفيرمات ثم قال له ياولدي اعمل جميلا جره الى خيمة بيبرس فاذا طلع النها دبر با الامر على ماقد ارى فأجاب بالسمع والطاعـة وخرج البرتقش وجره الى خيمة بيـبرس من تلك الساعة وتركه هناك فخرج عثمان فرآه كما قدمنـا فقال عثمان لايضر بشيء ابداً انا أرجعك الى قريبك

ثم جره الى خيمة القاضى ثانى مرة هذا وقد لعبت رجلين القاضى واشتغل فذلك قلبه فصبر قدر ساعة وقال للبرتقش اخرج الي خارج الخيام وانظر أين القتيل واخبرني يا ولدي لاني أخاف ان يكون رجع الينا ثانى مره فقال البرتقش نعم فخرج فرآه فجره الى خيمة بيبرس فطلع عثمان ثالث مرة فرآه فقال له النوبه الاولى رجعتك والثانيه ساحتك وهذه الثالثه فلا أسامحك فيها ابدا ثم انه صاح ياعقيرب انت فين فقال عقيرب نعم يا اسطى وأتاه فى عاجل الحال فاعاد عليه القصة من أولها الى آخرها الي ان قال له هذه الثالثه وهو يخالفنى ويرجع ويترك أهله ولكن أنا أعرف خلاصى مع هذا الكلب ثم أمر عقيرب فشبحه علي وجهه فى الارض ونهض بالرزة وجعل يضربه ويقول له بقيتش ترجع الى عندنا وتترك أهلك وما زال عثمان يضرب فيه حتى لاح الفجر واتضح النهار هذا.وقد خرج القاضى من مكانه فرأى عثمان يفعل هذه الفعال فقال القاضى هذا يحل من الله ياعثمان فقال له انت لا يخصك بذلك شيء وقد طهر له باب من أبواب المصائب ثم انه صبر حتي اتضح النهار وكان قد أعلم أبيك بالقصة وفهم المماليك وأشهدهم على ذلك بالبطال ثم أخذهم فشاهدوا فعال عثمان ثم انه دخل على الملك واعاد عليه القصة حرفا حرفا فلما انتهى من مقاله قال له الملك اجلس مكانك ياقاضى فقد سمعت كلامك فجلس القاضى ثم ان الملك أمر باحضار بيبرس فلما حضر سأله الملك عن ذلك الامر فقال لا أدرى شيء من ذلك يامالك الاسلام فقال القاضى يا أمير المؤمنين لايخبرك بالقصة الا عثمان بن الحبله قال الملك صدقت ياقاضى على بعثمان فأتوا به الى عنده فلما وقف بين يديه قال عثمان عايز ايه يابو جوطه فقال له أريد ان أسألك عن هذا القتيل ومن قتله وان القاضى يدعى انك انت الذى قتلته وانه من رجاله فقال عثمان انا نبطته خبطة واحدة بالرزه هذا لانى وجدته داخل بالليل هاجم على الاشقر وانه يريد قتله فقتلته انا كما اخبرتك

فأشار بيبرس اليه بعينيه يغمزه فقال عثمان غمزك حنش يدق فى بيضك أنت وأبى قوطه سوي ثم أن عثمان جعل يحدث الملك بالقصة وكيف قتله وو داه عندالقاضى وطلع فرآه ثلاث مرات ثم أن عثمان جعل يضربه بالرزة حتى جاء القاضى ورأى ذلك ثم أخبرك وأنت سألتنى أخبرتك والسلام فقال الملك ياحاج شاهين سمينا يالاحرار كاتمين الاسرار ولكن ياحاج شاهين قبل كل شيء اكشفوا لناعلى هذا القتيل لان الذي يفعل هذه الفعال ماله حظ في الاسلام فنهض القاضي وكشف عليه بين أيادى أمير المؤمنين وقال أعوذ بالله من الشيطان الرجيم أقشعر بدنى ياأمير المؤمنين فقال الملك يادايم ياعلام الغيوب هذا لابس ملابس القضاة يا قاضى وانى أقول ان كل من كان بهذا الذي يكون نصرانيا والعياذ بالله فقال عثمان صدقت ياجوطه كلهم قرايب بعضهم وسرها فى مقامها فقال القاضى لاتتكلم ياشيخ عثمان بهذا الكلام واتقى رب الانام واعلم أن أمير المؤمنين لايقول هذا الاعلى سبيل المزاح فقال له ما علينا سمينا من الاحرار كاتمين الاسرار فقال القاضى خذوا هذا اللعين وادفنوه فى قبور الكفار قال الملك هذا جزاؤه منك ياقاضى ففعلوا ماأمرهم به القاضى هذا ما كان من هؤلاء يا سادة ثم أن الملك أقام قليل من الايام وأمر بالرحيل فرحلوا طالبين ارض المحروسة فلما وصلوا الى العدلية وبلغ خبر الملك الى باقى الدولة ضربت لقدومه المدافع وتبادرت المنادات بالزينة والمهرجان ودخل الملك المحروسة فى نهار لا يعد من الاعمار وبيبرس عن يمين السلطان والوزير عن يساره هذا وقد تكلمت الناس في شأن ذلك فقال واحد انظر يا اخى الى بيبرس والله يحق للملك ان يصالحه لانه محبوبه فقال الاخر الملك بتاع صغار فقال الثالث بعد ما اخذوه العجم وصار منهم وترك دين الاسلام راح الملك الصالح جابه من هناك لانه لايقدر على فراقه قال آخرهم الاثنين اصلهم اعجام قال آخر لاتصدقو هذا الكلام ولكن هذه الامور كلها من دسايس ابيك والقاضى لانهما يا حاج ابراهيم خاينين وكثر كلام مصر والملك يعرف ذلك منهم ولكنه يدعوالهم بالنصر

والعز والتمكين ومازال كذلك حتى اتى الي قلعة الجبل وقد طلع الى سرايته وبات تلك الليلة فلما اصبح الله بالصباح واضاء الكريم بنوره ولاح وطلعت ارباب المناصب الى مناصبها وجلسوا في مراتبها وقد تكامل الديوان وجلست الفرسان ودخلت الاغوات الى حضرة السلطان اعلموه بان الديوان تكامل قال الملك وعلى الله الكمال ثم نهض الملك على الاقدام وصار يتوكأ على قضيب خيزران وهو يصلي على سيد ولد عدنان الى ان وصل الى الديوان وابدأ بالسلام فنهضت له العساكر على الاقدام وردوا عليه السلام ودخل الملك وبسط اياديه وقرأ الفاتحة ام الكتاب وأهدى ثوابها الى ضامن جملة العاجزين والعاوزين ثم الي روح الملوك الذين تقدموا من قبل ومن بعد ثم جلس على التخت وامر الرجال بالجلوس فجلسوا وقد قرأ القارى وختم ودعى الداعي وختم وصاح جاويش الديوان وهو يقول

الله سلطان كل الانام يعزل ويولى ويعدل فى الاحكام
يمرض يعافى لم ينسب الى غرض يمنع ويعطي من يشاء من الانام
يعفوا عن المسىء تكرما يعذب الطاغين عدلا ولا يلام
فنسأله من فضله الرضا بجاه المصطفى البدر التمام

قال الراوي قال الملك آمنا سبحان ملك الممالك سبحان المنجى من المهالك سبحان من عنده كل مليك كمملوك وكل غني كصعلوك قال الوزير آمنا قال الملك ياحج شاهين جزاهم على الله الطير حارس الطيور والطيور داروا يعكسوا فى البرج متاع الطيور والطيور السود كانوا الطيور البيض والطيور البيض دبابيسهم متاق ولكن جزاهم على الله فقال الوزير لا اله الا أنت يارب خلقتنى ورزقتنى وبخدمة هؤلاء الرجال أوعدتني ولكن لا أعرف شيئاً مما يقولوه الهى لاتحرمنى من أصحابى ياملك الاسلام مامنعى هذا الكلام قال له الملك يارجل ياشاهين انا رحل عبط اتكلم زي ما اعرف وان كلامي هذا من قبل الرجل الذي يجيب الخوص اقول له هات لى خوص من النخلة العدلة يجيبه من النخلة العوجه

قال الراوى فبينما الملك يدندن ويقول ذلك الـكلام واذا نجاب يقبل الارض بين يديه النبي فاز من صلي وسلم عليه وهو يقول نعم ياأمير المؤمنين قال له الملك من أنت قال له نجـاب قال الملك من أين والى أين قال له من بيت المقـدس معى كتاب من عند خادمك على القموي باشت القدس ثم ان النجاب أخرج الـكتاب وسلمه للحفظة ناولوه للسلطان فحله وقرأه واذا فيه الصـلاة والسلام علي المظلل بالغمام خطابا من عند على القموى الى بين أيادى أمير المؤمنين الذى أعلمك به لا أعلمك الله بسوء ولا بمكروه اننا قد ظهر عندنا نقص من بيت المقدس وكل يوم تذهب عمله من بيت رجل ولا نعلم من الذي يفعل ذلك الفعال فلما أعيانا الامر وضاق منا الصدر أرسلنا اليك هذا الكتاب ادركنا واغثنا من التجار والخوجات والسلام علي نبي تظلله الغمام فلما قرأ الملك الـكتاب قال لاحول ولاقوة الا بالله العلى العظيم ومن الذى فعل هذه الفعال وأبلانا بهذا النكال ياقاضى قال القاضى هذا شيء لاأعرفه أبداً لانه لايعلم الغيب الا الله الملك المتعال قال الملك آمنت بالله العظيم ولـكن من يكشف عنا هـذه النقمة ويمنع هذه البلية الدهمة فقال القاضى وقد نهض على اقدامه اعلم ياملك الاسلام انه لايفعل ماذكرت من الاحكام الا ولدك المحفوظ المنصور الذى سعادته تضيء على رأسه كالمصباح قال الملك يا قاضى أن ولدي صارى عسكر وهذه الرتبة رتبة بشويه فقال القاضى هذا لا يضر شيء يامولانا أبداً بل أعطيه يكون باشا بالقدس حتى يكشف هـذه الغمـة عن الناس الفقراء فقـال الملك ياقاضى اعلم أن ولدي فقير وهذا الامر محب المساعدة قال القـاضي صدقت ياأمير المؤمنـين أنا أسـاعده من مالي وصلب حالى بعشرين جواداً وعشرين مملوكا وعشرين كيسـاً من المـال وعليك ياوزير ايبك مثلهـا امض ياأيبك هـذه الاول والآخر قال الملك هاتوا ماذكرتمـوه من الاموال فاتوا بذلك في الحـال ثم ان الملك قال للوزير لبسه يا شاهين باشا بالمقدس فارمى

عليه الوزير الكرك وأولاه باشا ببيت المقدس قال ثم أن الملك اوهبه ذلك المال كله ونزل من الديوان فى موكب عظيم وخطر بالموكب في مصر فلما رأوه الناس تكلموا فنهم من ذم ومنهم من شكر ومنهم من قال هذا بيبرس فارس ماله مثال ويستاهل أكثر مما هو فيه ولا بد له على ممر الزمان أن يكون ملكا وسلطان ومنهم من قال ابن الصالح لا يحبه ألا-لاجل الفاحشة لاجل ذلك كل ما يأت فى حضنه ليله يصبح يلبسه منصب قال واحد منهم على أى حال هذا هو رجل مسعود والسلام هذا وقد دعوا له وهو يسلم عليه بيده اليمين وله في العطايات طائلة وما زال كذلك حتي أتى الى بيته ووضب نفسه وسار الى الديوان وطلب الاذن من السلطان ثم أنه تودع من رجال الدولة وأخذ عثمان بصحبته وكذلك المقدم سليمان الجاموس والسقورة الاثنين رفقته وضم رجالهم الى باقي عيلته وتوجه طالب بيت المقدس ولم يزل يجدْ فى المسير الي أن أتى الى هناك وقد بلغت الاخبار الى على القموي باشت تلك الارض والبلاد وقد أعلموه بانه نزل بدله وقد نظر اليه الامير فقد علم حاله قال له لا يكون عندك فكر فى مجيئى أبدا واعلم أنني ما أتيت الى هنا الا باذن السلطان لاجل أن أكشف العمل واظهر الغريم واعلم ان هذا محلك وهو باقي برسمك ولا احد يأخذه منك فشكره على ذلك وقال له يادولاتلي انا مرادى إن تكون دائما حاكما على هذا المكان واكون انا لك من بعض الغلمان فشكره الامير ايضاً على ذلك وجلسوا ذلك اليوم وهم فى اهنأ ما يكون من اللذات الى ان أقبل الليل بالاعتكار وذهب النهار بالانوار قال الامير مرادي أن اسير الى بيت المقدس لعل الله ان يأخذ بيدي قالوا له الرجال نسير معك لربما يحصل لك امر من الامور قال لهم جزاكم الله عني خيراً فاعلمكم انى نازل الى ذلك الامر بنفسى ولم يكن معى غير ربى ثم انه غير زيه ولبلسه ونزل يشق تلك الارض طولا

وعرضا فبينما هو سائر في ذلك البطاح واذا قد لاح له شخصين كافران فتبعهم وتأمل فوجد أحدهم معه شكمجية وهو حاملها والآخر معه سيف مجرد وماشي خلف رفيقه يحرسه من واشي أو رقيب وهما سائرين لايخافون الموت ولايرهبون الفوت قال الامير فى نفسه اتبع خبر هؤلاء الملاعين وانظر ماذا يكون من امرهم ثم سار خلفهم الى ان دخلوا مكان خالى من الناس فدخلوا فيه هؤلاء الاثنين وهو على اثرهم الى أن دخلوا الي المكان فوقف الامير خلف الباب فلما عبروا صاح عليهم كبيرهم بلغتهم وقال لهم مافعلتم في هذه الليلة قالوا سرقنا شكمجيه من سراية علي القمرى واتينا بها الي نصف الطريق فتبعنا بيبرس الذي أتى الى هاهنا من عند رب المسلمين وهو الآن خلف الباب قال لهم يا كناساب ويتدارى في البيبان والحيطان الاالنسوان وان كلامك صحيح وما ذكرته باسانك صدقا ومليح وكان هو صاحب عزم وهمة يدخل الى عندنا وينصب طوله بيننا

(قال الراوي) فلما سمع الامير بيبرس كلامهم وماقالوه من حديثهم هاج كما يهيج الجمل الولهان واخرج سيفه من غمده ودخل بقلب قد من سنديان وقال الله اكبر فتح الله ونصر واخذ باللئام من كفر واراد ان يضع فيهم الحسام وقد هاجوا فى بعضهم في وسط ذلك المكان واذا بالعين الكبير ينادي عليهم بلغتهم اسبيته يعنى لاتعجلوا بل تأنوا لان البنج قد تمكن منه فجمدوا وقد صاح الامير تلك الصيحة ووقع كانه الجدع المعدود لان اللعين عند دخول الامير ارمى رحفنة من البنج ولم يكن الامير محترسا علي ضده فلما تبنج الامير بيبرس فنهضوا اليه الكفار واحتملوه وأخذا ماعندهم من الاموال الذى جمعوها وساروا بالجميع وكان عددهم أربعين بطريق وما زالوا سائرين الى أن اتوا الي مكان منقطع عن العمران وقرر قرارهم فى ذلك الفلوات ثم انهم ونقوا الامير بيبرس كتاف وقووا سواعده والاطراف ودقوا له اربع سكك

واعطوه ضد البنج عطس فقال اشهد ولا اجحد بالدين العربى محمد اين انا فصاح عليه كبير اللئام وقال له عندي يا كناس يامرفوص يامقطوع النخاع فقال له ومن انت قال له فتح عينيك انا عبد الصليب وهؤلاء رجالى فقال له ومالك ومالى قال له سلطنى عليك عالم الله جوان

قال الراوى وكان السبب فى ذلك ان اللعين جوان لما ضاقت به الحيل وخاب ما كان يرجوا من الامل ارسل كتابا الي البيب ميخائيل مع بعض السفار فلما وصل الكتاب اليه فضه وقراه واذا اوله صليب وآخرة صليب وعنوانة صليب ونحن وانتم نصلى على النبى الحبيب خطابا من عالم الملة المسيحية وناصر دين النصرانية جوان الى بين ايادى البب ميخائيل الذى اعلمك به اننى قد ضاق صدرى وعيل صبرى من امر بيبرس ولا بلغت منه مرادى وضاقت على الحيل ولا وسعني سهل ولا جبل فساعة وصول جوابى اليك ترسل الى ولدى عبد الصليب كبير العيارين فارس اللصوص وراس الماكرين وتسيره هو ورجاله اجمعين ويأتى بالجميع الي بيت المقدس ويسكن برجاله فى الخلوات ويعطعطوا في البيوب والخلوات ويسرقوا العملة ويأخذوا ما طاب لهم من الحاجات فاذا وصل الخبر الى امير المؤمنين بذلك الامر المهين تحايلت انا في ارسال بيبرس الي بيت المقدس فاذا وقع لهم وسرقوه يعملون على قتله وقد اوهبت لمن يفعل ذلك ثلث سقر بعد الزيادة الكثيرة فى عمره فلما قرا الكتاب ارسل هؤلاء العيارين صحبة هذا العايق اللعين وكان يعرف البنج وضده والفرد ورمية فلما وصلوا الى بيت المقدس فعلوا ما ذكر من الفعال وشاعت الاخبار كما قدمنا وارسل باشة المقدس للملك كما حررنا وتسبب القاضى فى ارسال ما كنا فيه من بيبرس وجرى له ماشرحنا فهذا ما كان من الاصل والسبب وسنرجع الى كلامنا ونصلى ونسلم على سيدنا محمد تاجنا وامامنا قال (الراوى) وقد فاق الامير ووجد نفسه كما حررنا هذا وقد سل اللعين سيفه وصاح به على بيبرس وقال له قل كلمتك عند

المنطار فقال له تأخر عنى حتي أطلب الفرج من صاحب الفرج فتأخر اللعين عنه وهو يضحك من قوله وصار يهزأ به والامير لم يلتفت اليه بل رمق بطرفه الي السماء وهو يقول

يا اله العالمين بامرهم فرج كربتى يا خالقي وشد ايد
وانقذني من عدوي يدالى اسواه وشد سواعد
وحملني حملا ثقيلا بفعله وارمانى بزلة ومكايد
وانت العليم يا سيدى بمصيبتي وانت الخبير بحالتي يا سيدي
وانت القدير على ازالة ضرنا وانت المطوف بنا والمنجد
وانت الاول فلا بدا ولا نهاية لاخر منك ومبتد
وانت الرحيم بالاطفال في ارحامها والرؤوف المرشد
توسلت اليك بخير من جاءنا بالهدي المقتدي
عليه صلاة مع سلام دائما ماهطلت الامطار أو عيب ند
كذلك الآل والاصحاب كامل جمعهم والتابعين لهم دواما سرمد

(قال الراوي) فبينما الامير يطلب الفرج من صاحب الفرج ويستغيث وهو فى أشد ما يكون واذا بالجو قد أظلم والغبار قد ثار وانحدر اليهم خيال وهو قاصد اليهم ولم يكن بأسرع ما صار في أوساطهم وصاح بهم حاس عنه ياقرون الله أكبر فتح الله ونصر واخذل من كفر فلما عاينوا اللئام ارتعدوا منه الابدان وتلجلج منهم اللسان وارتعبت قلوبهم من صرخته وتخلخلت اعناءهم من عظم صيحته وحارت افكارهم وزاغت أعينهم من عظيم هيكله وصورته

(قال الراوي) وقد ضرب الاول منهم فدعاه قتيل والثاني اهواه والثالث اعدمه الحياة ولم يزل بهم كذلك وهما منحصرين في ذلك المكان ولم ينفلت منهم انسان وهو يلعب فيهم بالحسام الرنان حتى لم ينجوا منهم انسان وعجل

الله بارواحهم الى النار وبئس القرار هذا وقد جرد ما معهم من السيوف بعد أن اساقهم شراب الحتوف وأخـذ سلاحهم والامتعة ولم يترك منها شيئاً له منفعة بل تركهم طعما طعما للوحوش فى الاكام وقد نصر الله الامير على يد ذلك المقدم (ياساده) ثم أنه تقدم اليه وقال له بالاسم الاعظم الاكرم الامجد المعظم ماهذه نجده عظيمة قال له الامير والاسم الاعظم نجده واي نجده والله هذه الجميلة لا يقاومها مال ولا نوال فقال له خذ هذه الدواة والقرطاس واكتب لى خمسة آلاف شريفى ذهب فقال له وما اسمك قال له اسمي ضايع الاسم فعرفه وسلم عليه وكتب له ما طلب منه فقال له يامقدم وللان ما لقيت اسمك قال لا قال له وماسم ابيك قال له ضايع الاسم أيضاً قال وماسم أمك قال له ضايعة الاسم أيضا ثم ان الامير تركه الخيال بعد أن خلصه من وثاقه وغاب في البر من وقته وساعته وغاب من حيث أتى قال وكان السبب في مجيئه شيخه الخضر عليه السلام وسنذكر كل شيء فى محله بعون الله وفضله (ياساده) ثم أن الامير سجد شكراً لله تعالي وعرف ذلك المكان وسار ليلا الي نحو الديار فلما وصل واذا بعثمان مقبل عليه فقال له عثمان انت كنت فين تبنجت قال له اسكت ياعثمان أنا كنت فى البر وقصدي ا كشف الغريم قال عثمان قابلت الرجل ابو كرش كبير وخلصك وكتبت له المديات الصفر قال الامير اسكت يارجل قال عثمان وكتبت له ثمنية قال له اسكت يارجل قال مابقيت تطاوعه هذا رجل طماع قوى ياشقر قال الامير ومن اين لك معرفه بذلك قال له قالت لي العصفورة قال الامير ياعثمان تعرف اسمه قال عثمان انت غشيم عنه اسمه عقيرب قال له الامير غور جاتك داهيه انت وعقيرب سواء ولكن ياعثمان سر الى المكان القلالي وخذ معك ماشئت من الغلمان وأتني بما فيه فأجابه عثمان بالسمع والطاعة وأخذ الرجال والبغال وسار الى نحو ذلك المكان وأخذ المال والنوال واذا به أربعة وعشرين شكمجيه من المال وتسعة من الجواهر الغوال فحملهم عثمان على ظهور البغال الي ان اتوا

الى سيده فاطمأن قلبه وسكن روعه فهذا ماكان منه (قال الراوي) وأماماكان
من أمر على القموي باشت بيت المقدس فانه صار منتظر عودة الامير فلم يأته
خبر عن ذلك فقلق قلق عظيم ولم يزل فى فكر وحيرة حتى طلع النهار فبينما
هو كذلك واذا بالامير قد طلع عليه فنهض له وتلقاه وسلم عليه وحياه وبالسلامة
هناه وأجلسه مكانه ولما استقر به الجلوس سأله عن حاله وماكان من أمره قال
قد نصرنا الله على الاعداء فارسل النادي ينادى ان كل من كانت له حاجة
ضايعة يأتي ويأخذها من المكان الفلاني وذلك بعد أن يصفها باوصافها قال
له جزيت خيرا ولكن يا سيدي أخبرنى بما جرى لك فاعاد عليه ما قدمنا
ذكره فتعجب من ذلك كل العجب وقال له انت منصور من الله الواحد الاحد
ثم أمر المنادي ينادى بما أمر به الاسير فنادي بذلك فلما سمعت الخواجات
النداء اتوا الى الديوان يهرعون من كل مكان وجعل كل واحد يصف ما ضاع
له للامير فيسلمه اليه ويأخذ عليه حجة مختومة بذلك الى أن أعطى كل ذي
حق حقه ولم يغب لاحد من اهل بيت المقدس شيء ثم ان الامير جلس بعد
ذلك ثلاثة أيام ونزل في اليوم الرابع لاجل الفرجه فنظر الى النهامة القدسيه
العنيفة وقدامها بيت المقدس فتأملها الامير ونظر الى النهامة فوجدها مبنية
بالرخام الالوان والفراشات المزخرفة والقناديل البلور المغمرة بدهن اللون
فى سلاسل من خالص الذهب والفضة والمباخر معيقة والروايح فائحة فائقة
فسأل عن ذلك قالوا له هذه النهامه المتيقة القدسية بتاعت الكفار فتعجب
كل العجب والتفت الى بيت لمقدس قال وما هذا قالوا هذا جامع بيت
المقدس فتأمله واذا به مفروش بالخسف وبعضه من غير فراش فزاد عجبه
وتأمل طويلا وبكي وتحسر وفى ذلك الامر تدبر وقال وحق دينى لابد لى
أن أقيم شعائر الدين وأجعل هذا المكان حرم للمسلمين وأحرم الكافرين

أن يصلوا الي هــذا المكان وأسد باب الغمامه بالطين وأفسد عليهم ماهم عليه من اليقين وأظهر فى هــذا المكان أثر عظيم ثم أن الامــير تأسف على تلك الاحوال وزاد به البلبال وأنشد وقال صلوا على باهي الجمال

عجباً من الديار ومن أهلها — وزاد عجبى فى صنع الكوافر
زينوا الغمامــة من كل زينــة — مما تتحـير من حسـنه النواظر
وجعـلوا القناديل في أوسـطها — مغمورة بدهن لون أخضر
معلقــة في سلاسـل من فضــة — مطليـة من فوقهـا بذهب أحمر
مفروشــه بالخز والديبـاج من — حرير أبيض فى أسود في أصـفر
وكذا الستور تحير لونها — كلاها من الحرير الاخضر
والارض راقت بالرخام مـلونا — يزكوا عليها الفراش المـدثر
كذا الابخار قــد تصاعد ريحها — يصح منها مسـكها والعنـبر
فـلابد لى ما أبطـل رسـمها — وآجاهــد كل الجهاد بالأبتر
فأما ان أفوز بكل مطالبي — وأما ان أموت وأقـبر
محا الله قوماً أتوا يسكنونها — كلاب الـكفر اللئام الفجر
مالى أري البيت الحرام مـندثرا — خالي من التجيف حقـا مثغر
هو بيت الله في الارض كلها — مسكن الاحباب أهـل التـدبر
قـد جعـله حرما آمنـا للورى — وحرم الـكفار منـه المنظر
ولا بذلن الجهد في طاعـة الذي — خلق الانام وأجري الابحر

(قال الراوي) ثم أن الامير دخل الى المسجد ودخل عليه فتلقاه الامام النووى رضي الله عنه فسـلم عليه الامير وقبـل يده وأجلسه الى جانبه فلما استقر به الجلوس قال له الاسـتاذ ما تريد قال له أريد أن أسـدد الغمامــة العتيقة ولا يكون هنا مشهور خــلاف بيت المقدس فقال له الاستاذ هــذا شيء لا يكون ابدا لان علينا خزنة مال للسلطان من العام الى العام توردها

النصاري الى ملك الاسلام واذا سدت ياولدي تتحرك الشام من ساير الاقطار والاكام ويصير الغز وفي بلاد الاسلام واعلم انك لايخرج من يدك ما ذكرت قال الامير وعزة الله تعالى لا بد من سدها فقال له اعلم اننا لانسلم لك في ذلك الا أن أتانى خطاب من ملك الاسلام وذلك لاجل اذا اتي بعد ذلك أمر من الامور يكون هو الذي يتلقاه بنفسه عن الاسلام دون غيره فقال له الامير لك على ذلك ثم أن الامير قال والاسم الاعظم ان لم يأمرني أمير المؤمنين بما خطر يبالى من سد الغمامه والا رجعت من هاهنا الي بلادي ولاأسكن بلدا يكون فيها من يخالف أمري فى طاعة ربي ثم ان الامير سطر كتاب وذكر فيه كل ماجرا من أول الامر الى آخره وختم الكتاب وسلمه الي عثمان وقال عليك بالملك الصالح والديوان المصري فاجابه بالسمع والطاعة ثم أنه سار من تلك الساعة ولم يزل كذلك حتى طلع الى الديوان

(قال الراوي) وكان الملك الصالح بات واصبح مثلك يوحد القديم الامجد ظهر جلس على التخت تكامل الديوان جلست الرجال والغلمان قرأ القارى وختم دعا الداعي وختم رقا الراقي وختم صاح جاويش الديوان وهو يقول

لا تحسبن الله يغفل ساعة الا ينفذ حكمه فاذا نفذ
أعطي الذين تجبروا في ملكه حتي اذا افرحوا بما او تواخذ

(قال الراوي) قال الملك سبحان مالك الممالك سبحان المنجى من المهالك ياحج شاهين الطير حق كثير وحلف انه يطرد الطيور السود والطير الكبير لم يرض بذلك وخاف من الطيور السود ولكن نحن نسلم للطير في ذلك والامر لله والحق بيده ياحج شاهين وعزة الله الابدية الا يسدها كطها وكرما ثم ان الملك ما زال يتكلم في ذلك والوزير يتعجب والدولة لا تعلم ما يقول من الكلام واذا بعثمان يقبل الارض بين يديه وهو يقول ياليل

أحبكم ملو قلبي وعينيه وملو جثتى وعقلى وايديه
وحق من زين الانجم بالزهربة لم أنس هواكم ولو كنتم أعاديه

(قال الراوي) قال الملك اهـلا وسهلا بالشيخ عثمان قال عثمان لا أهـلا ولا سهلا خـذ وفوق ثم أخرج الكتاب وناوله للسلطان فحله وقرأه وفهم رموزه ومعناه واذا فيـه الصلاة والسلام على سيد الانام سيدنا محمد البدر التمام ومصباح الظلام عليه الصلاة والسـلام خطابا من المحب الاصغر الي بين ايادي المحب الاكبر أمير المؤمنين من كان على أثر سيـد النبيين سيدنا محمد وعلى آله . وصحبه أجمعين وبعد فالذى نعلمك به ان الله أخذ بيدنا وقبضنا الاخصام وقتلناهم ورددنا البضائع الى أصحابها ونصرنا ربنا على الاعـداء ثم اننا بعد ذلك رأينا الغمامة قـدام ببت المقـدس وذلك اني لا رضيت بذلك فاردت أن أسدها فمنعني من ذلك الشيخ النووى ومن معه من السادات وقالوا لى لا يمكن ان تسدها الا بعد أذن أمير المؤمنين وهذه حاجتى قـد أرسلت اليك لاجلها واعـلم أن هذه ضلالة واذالتها واجبة واني اقسمت قسما صادقا أن لم تأذن لى بسدها والا سافرت الي بلدي والسلام على نبى تظلله الغمام فلما قرأ الملك الكتاب أعطاه للقاضي وأمره أن يقرأه على رؤوس الاشهاد فقرأه القاضى الى أن اتي الى آخـره فنهض القاضي على الاقـدام وقال ايش يا أمير المؤمنين من يقول هذا المقال وسد الغمامة القدسية اعلم يا أمير المؤمنين انى أقول لك القول مراراً واعيـده لك تذكاراً واجهارا وأقول لك أن هـذا الغلام اتى من بلاد العجم يريد ان يفسد ملـكك فلا تصدقني في كلامي وما مراده الاهـلاك الاسلام والله اذا سلمت انت له فى ذلك كان يتحرك علينا أكابر الكفار والبابات والقرانات مثل البب مفلوبي والبب تاجربي والبب ميخائيل والفرتما كوس وفرنجيل درمان وروم الازرق وهلاون وتاجربي والاصطالود الفلفي فقال الملك هذا ايش ياقاضي انت عارفهم بالواحد فقال القاضي سمعت من التجار ومن السفار فقال الملك ياقاضى ماهم الالئام كفار واذا تحركوا ماذا يكون من أمرهم وماالذي يجري من غير أمر الله وعزة الله الا يسدها كظما وكرما

ا كتبوا له ان يسدها وا كتبوا جواب الى الشيخ النووى بذلك فاجابوا بالسمع والطاعه ثم كتبوا رد الجواب واعطوه الي عتمان فاخذه وسار ولو كان له أجنحة لطار ولم يزل مسافر حتى أقبل الى سيده و ناوله الكتاب ففرح واستبشر وحمد الله وشكر فهذا ما كان من أمر هؤلاء (قال الراوي) واما ما كان من أمر القاضى وابيك فانهما نزلت عليهم الرزية وزادت عليهم البلية وقدعلم القاضي بأن عبد الصليب هلك هو وجماعته وطلع السعد بيد بيبرس فكاد أن يموت من الحسرة والكمد وكذلك ايبك جرى على قلبه مالم يجرى على أحد ثم انهم اجتمعوا وشكوا الى بعضهم ماقد نالهم من هذه الامور والاسباب وجعلوا يدبرون انفسهم ويعملون على مكيدة للامير فهذا ما كان من امرهم (قال الراوى) وأما ما كان من الامير فانه عرض الخطاب الملكي على الشيخ النووي ومن بصحبته من أهل الفضل والكمال فلما رأوه قالوا له افعل مابدالك فاننا كلنا مطيعين لافعالك مادام الملك يأمرك بذلك فعند ذلك أمر الامير بيبرس باشت بيت المقدس بالمناداه في القمامة بذلك فنادي المنادي معاشر الرهبان والقسوس والبطارقة المقيمين داخل القمامة القدسية اخرجوا منها لان الملك أمر بسدها فهرغت القسوس والرهبان من ذلك المكان ودخل الامير بيبرس ثم أمر بسدها مخدع من بعد مخدع وتأمله واذا فيه بطرك يقال له بيت لحم فرآه جالس يوحد الله تعالى فقال له الامير ياراهب الزمان قم من هذا المكان وامضى الى حال سبيله حتى انى أسد هذا المخدع فقال له الاستاذ يامولاى دعني من داخله وسده على فقال له الامير وقد تعجب ومن أين تأكل ومن أين تشرب قال له هذا جهلا منك الم تعلم ياولدي ان الله خلقنى تكفل برزقي وأيضاً رزقني فى ظلمة الاحشاء فكيف ينسانى فى دار الدنيا والذي لم ينسانى من الموت لم ينساني من الرزق قال فعلم الامير ان هذا رجلا من اولياء الله الصالحين فتركه وسد المخدع عليه وسيأتي له كلام ان شاء الله تعالى اذا اتصلنا اليه نتكلم عليه ولم يزل

يسد مخدع بعد مخدع الي أن سد المخادع جميعها والاماكن وبنى عليها من خارج بابها وقد مشى كلامه وجلس بعد ذلك في بيت المقدس فهذا ما كان من امر هؤلاء (قال الراوي) واما ما كان من امر الكلب القرنان عدو الله ورسوله جوان فانه لما اعياه الامر وضاق منه الصدر فسطر كتاب عن لسان البب ميخائيل وختمه بختمه وسار به ليلا الى حارة الروم واجتمع بأربعة من العياق وقال لهم يااولادي خذوا مني هذا الكتاب وسيروا به الى سطح الخانكة وتقيموا في الحر والشمس الي أن تتغير وجوهكم ويبان عليكم علامة السفر ويتهيأ لمن يراكم انكم سفار ثم بعد ذلك سيروا الى مقابر المسلمين وقفوا فى سكة الوزير فاذا هو اتى ورآكم فلا بد ان يقبض عليكم فاذا قبض عليكم وسألكم عن حالكم فقولوا له قصاد من عند البب ميخائيل صاحب القسطنطونية العظمي وقد ارسلنا بكتاب الى رين المسلمين فسرنا به الى أن اتينا الي هاهنا فهنا حتي اتيت انت وسألتنا فاذا رأي معكم الكتاب ينعم عليكم ويعطيكم المال الجزيل وأما انا فقد اود.ت لكم ما يتين سنة زياده في اعماركم وضفت لكم خمسين فدان في سقر فقالوا اشكراً للمسيح واخذوا الكتاب وساروا الى سطح الخانكة كما امرهم فهذا ما كان من أمر هؤلاء (قال الراوى) واما ما كان من الوزير شاهين وهو فى بعض الايام نازل من بيته قاصد الى الديوان كما هي عادته فوجد هؤلاء الملاعين وهم يتجاروا على مقابر المسلمين فأمر بالقبض عليهم فأتوابهم اليه وأوقفوهم بين يديه فقال لهم من أنتم قالوا نحن من القسطنطونية من عند البب ميخائيل معنا كتاب الى رين المسلمين وتهنا عن القلعه قال فلما سمع الوزير ذلك قبض عليهم وسار بهم الى الديوان وصبر حتى تكامل الديوان قرأ القاري وختم ودعى الداعي وختم رقي الراقي وختم صاح جاوتش الديوان وهو يقول

يا من له الدوام والبقاء والعز والتعظيم والابقاء
والمجد والاقتدار حقا له والامر والنهى والابقاء

(قال الراوي) قال الملك آمنا سبحان ملك الممالك سبحان المنجى من المهالك ياحاج شاهين جزاهم على الله والله ياحاج شاهين ان الطير لم يعلم بذلك أبداً بل انه مظلوم ولكن ظلمه من احب الناس اليه قال الوزير من هو هذا ياملك الاسلام قال له قم على حيلك واظهر ما رأيت فتذكر الوزير الاربعة أنفار الذي لاقاهم فنهض على الاقدام ونزل الى باب الديوان وأتى بهم الى السلطان فلما وقفوا بين يدي السلطان قال لهم ما معكم من الاخبار فأخرجوا ذلك الكتاب قال الملك اعطوه للقاضي لاجل أن يكون كل انسان تسلم كتابه بيمينه فأخذه القاضي وفضه وقراه واذا أوله صليب وآخره صليب وعنوانه صليب ونحن وأنتم نصلي على النبي الحبيب خطابا من ميخائيل ملك القسطنطينية الى بين أيادي زين المسلمين يا زين المسلمين وحق المسيح الطيب النفيس المرفوع انك اذا سديت الغمامة القدسية كما بلغنا عنك لاركبن عليك ركبتين ركبة فى البر وركبة فى البحر أولها القسطنطينية وآخرها اسكندرية وأما التى فى البر أولها كما تقدم وآخرها حلب واملك بلادك وافتح الغمامة غصباً عنك والسلام شكراً يا مسيح قال فلما سمع الملك ذلك الكلام تغير لونه واضطرب كونه وقال الملك وعزة الله الابدية لا بد أن يأتى الى عندي هذا الكلب ميخائيل فى القيود والاغلال والباشات الثقال وأرميه فى نطعة الدم فمن مثل هذا الكلب ابن اللئام حتى يناظرنى بمثل هذا الكلام ويمانعني في الاحكام ثم ان الملك أمر بسجن هؤلاء الاربعة ففعلوا بهم ما أمر به الملك فهذا ماكان من أمر هؤلاء وأما الكتاب فانه أخذه الوزير شاهين عنده (يا ساده) وقد قال الملك ومن يمضى الى الكلب ميخائيل ويأتى به الى عندي أسير حقير ذليل فعندذلك سكت كل من كان في الديوان فأعاد الملك الكلام فلم يجبه أحد من الانام فتكلم الملك الثلاثة وقال يا عصبة الاسلام وفوارس الضرب والزحام حلفت يمين وأنتم سامعين فمنكم من يفعل ذلك ويأتينى بالغريم وله ما يريد من المال الجسيم فلم يجاوبه أحد من

الحاضرين هذا وقد نهض القاضي على الاقدام ونفض الاكمام وجنح الطيلسان
وقال يا مولانا السلطان أريد أن أتكلم كلمة حسنة قط والا أنصت قال الملك
تكلم يا قاضي قال القاضى لا يأتي بالغريم ويبر هذا القسم العظيم الذي اقسم به
أمير المؤمنين الا ولدك المحفوظ المنصور الذي سعادته تضيء على رأسه كالمصباح
قال الملك صدقت يا قاضي ولكن ولدي الآن في بيت المقدس فمن يتوجه اليه
ويعرض هذا القول عليه قال القاضي اذا كان ولا بد فالوزير ايبك يتوجه اليه
هو وجماعته الخمسة وثلاثين أمير ويكونوا مساعدين له في ذلك الامر الخطير فقال
الملك اكتبوا كتابا الى بيبرس بذلك وسلموه الى الوزير ايبك فاذا وصل اليه
يعطيه الكتاب ويكون هو وجماعته من جملة الخدام والاصحاب فقال ايبك
سمعاً وطاعة هذا وقد كتب الكتاب وختمه الملك وسلمه للوزير ايبك والاصحاب
فنزلوا به من الديوان ونزل القاضى أيضاً آخر النهار واجتمع بايبك فقال القاضى
اعلم يابا أحمد اني دبرت هذا التدبير وأنا كنت السبب فى ذلك الامر الخطير
وقد بان لنا الباب فاخف أنت هذا الكتاب وسر أنت بمن عندك الى بيبرس
فاذا وصلت اليه فقل له قم معنا لاننا قد نوبنا الملك الى القسطنطونية حتى تأتى
بميخائيل لان الملك طالبه فاذا هو سار معكم فاغتنموا الفرصة واقتلوه وان لم يسر
فاكتبوا كتابا بأنه مخالف لامره فيقتله الملك فها هو مقتول على كل حال والسلام

(قال الراوي) يا سادة فسمع ايبك كلامه وصار يجهز نفسه وكذلك
رجاله فهذا ما كان منه وأما ما كان من الوزير شاهين الافرم رحمة الله عليه فانه
فهم ما دبر القاضى من المكايد الى بيبرس وصبر حتي نزل من الديوان وسطر
كتاب وختمه وقال لاحمد بن دغان خازنداره خذ هذا الكتاب وسر به الى بيت
المقدس واعطيه الى ولدي بيبرس وأمره أن يفعل بما فيه فأجابه بالسمع والطاعة
وسار يجد المسير ليلا ونهاراً وعشية وأبكاراً حتى أشرف على بيت المقدس ودخل
على الامير بيبرس وسلم عليه وأعطاه الكتاب فحله وقراه واذا فيه أوله هذه الابيات

يا كتابي اذا قراك حبيبى   قبل الاقدام وبوس أياديه
وتأنى ولا تكن عجولا   واعلم أن ررحى وراحتى فيه

خطابا من الاغا شاهين الافرم الى بين أيادي ولدي بيبرس نعرفك أن الملك الصالح أرسل اليك الامراء وقد أمرهم أن يكونوا فى خدمتك وأنت الآمر الناهي عليهم وذلك ان الملك حلف وأقسم انك ان لم تأت اليه بالغريم وهو البب ميخائيل والا يقتل عدوك ومعهم لك كتاب مرسوم بذلك من السلطان وأيضاً انه أتاه اربع رجال بكتاب عن لسان ميخائيل بأنه اذا سد الغمامة يركب عليه ركبتين فى البر والبحر فاذا وصلوا اليك الامراء وسلموك الكتاب فاترك علي القموى نائب مكانك وسر معهم حسب مافى الكتاب وان انكروا الكتاب فلا تركن اليهم ولا تسمع كلامهم أبداً واحترس لنفسك منهم لانى أعلم ان لا أحداً منهم مراده يراك وقد أعلمتك والسلام قال فعرف الامير المعني وتحقق ان هذا شفقة من الوزير عليه ومن حسن معرفته قال وكان ذلك الكتاب وصل اليه قبل مجيء ايبك ورفقاه ثم ان الامير أمر باحضار النجارين فلما حضروا بين يديه قال لهم اعلموا انى اريد منكم ستة وثلاثين خازوقا من الخشب وكل واحد منهم كحكه على قدر الذى يقمد عليه وتحت ذلك الكحكة بريمة مثل العصفورة اذا فركها الانسان ذات اليمين ثبت القاعد من غير أذى واذا فركها ذات اليسار سقطت الي اسفل العامود فيدخل الخازوق فى دبر الذي يقعد عليه حتي يطلع من رأسه أو من كتفه أو من جنبه ويكون له بخراز حديد مركب على تلك العصفور لكنه لا يظهر الا فوق حتي ينزل الرجل الذي يقعد عليه الى اسفل فاذا هوي ذلك القرص الى أسفل ظهر المخراز الى اعلا وكان أول ما يدخل فى دبر بنى آدم يموت فأجابوه بالسمع والطاعة ثم انه كتب رد الجواب الى الوزير فأخذه احمد المذكور وتودع من الامير وسار طالب الوزير شاهين (يا ساده) وقد صنعوا النجارين ما أمرهم به فى عاجل الحال فأعجب الامير

فعلهم فأمر أن يكتب كل واحد منهم باسم رجل من الامراء القادمين اليه و بعد ذلك جعلهم فى مخدع وأرخى عليهم ستار ثم انه ركب كل خازوق منهم على أربع عجلات يسير به الانسان الى أين أراد واذا تركه يقف على ذلك العجل ثم أمر باحضار السلاسل والاغلال وجعلهم فى اطباق وغلق عليهم وتركهم عند الطباخ وقال له اذا أتى عندي الوزير ايبك تكون أنت هيأت الطعام والشراب من المآكل الفاخرة ولكن تكون قد جعلته مالح قوى فاذا أتيت اليك وتهمت عليك وأمرت بقطع يدك فلا تخف بل أقع في عرض الوزير ايبك لانى اريد انهم لا يأكلون شيئاً من طعامى

(قال الراوى) وقد سير الامير بيبرس الخزندار احمد بن دغان بعد ان خلع عليه كما ذكرنا وامره ان يسير على غير طريقه وقال له لا تقابل الامراء ولا تجتمع بأحد منهم حتى يكون هذا الامر مكتوما بيننا فسار على ذلك فهذا ما كان من أمر هؤلاء

(قال الراوى) وأماما كان من ايبك فانه ارتحل بمن معه وهم عازمين على ما قال عليه القاضى ولم يزالوا كذلك الى ان اشرفوا على بيت المقدس فلما قربوا منه نصبوا الخيام والسرادق والاعلام وتسلحوا بعد ان اخذوا الراحة باقى ذلك النهار ودخلوا على الامير وهم على غاية من الكبر والنفخة ولما وقعت العين على العين قال ايبك سلام عليكم فرد الامير بيبرس السلام وقال اهلا وسهلا فقال ايبك قم معنا يا بيبرس لاننا نريد السفر الى القسطنطونية وذلك لاجل ان نجيب البب ميخائيل لان الملك امرنا بدلك وقال خذوا بيبرس معكم وحلف واقسم فقال لهم الامير اعلموا ان امير المؤمنين ارسلنى هاهنا باشا فى بيت المقدس وانا ان سرت معكم اصير مخالفا لامر الملك فاذا كان ولا بد فيرسل الي كتابا مرسوما بالخط الملكى والختم الملكى فقالوا له ولم ذلك قال لاجل انه اذا سألنى فى ذلك اقول

انا سرت معهم بموجب هذا المرسوم فقالوا له واحنا كلامنا بطال اعلم أن الملك قال خذوه معكم ولا يلزم الامر لـكتاب قال فعرف الامير ماعندهم وقال لهم لا يضر شيء وسكت على مضض منهم ثم قال لهم لا بد قبل المسير من العزومة فنظروا لبعضهم ولسان حالهم يقول نأ كل ما عنده ونضمر له ماعندنا(ياسادة) ثم أن الامير اجلسهم الي أن جاء وقت الغداء وقد حضر السماط فتقدموا اليه الامراء وتقدم معهم أيضا الامير بيبرس وأرادوا أن يأ كلوا من ذلك الطعام واذا به حادق لا يقدر أحدا أن يذوق منه شيء فعند ذلك صاح الامير بيبرس على الطباخ فأتوا به اليه فلما وقف بين يديه قال له يا هذا هذا طعامي متكلف كثير أم قليل فقال له متكلف شيء كثير قال له ولاي شيء اتلفته وجعلتـه حادق قال له يا سيدي الصناعة خوانة تخطيء يد صاحبها كما يقال في المثل الصنعه تخطي قال له الامير انا لا أعرف ذلك أبدا وسوف اجازيك على ما فعت لانك فضحتني بين الامراء ثم صاح على من حوله من الغلمان ان اقبضوا عليه فقبضوا عليه فقال الامير اقطعو يده فعند ذلك صاح الطباخ انا فى عرض الوزير ايبك فعند ذلك صاح ايبك وتقدم الي الامير بيبرس وقال له يا أخينا أكرم هذا الرجل لاجل خاطري قال له يا وزير بعد هذه الفضيحه التى فضحها لي بينكم وا تلاف مالى ولـكن قد اجرته وا كرمته لاجل خاطرك وعندى ماهو احسن من هذا الطعام فقوموا بنا الى الدوار فنهضوا معه وهم يقولون الذى نأ كله خيراً من الذي يفوتنا فلما دخلوا الي الدوار واذاهم رأوا ستاير مرخيه فصاح الامير بالغلمان ان حضروا الطعام فرفعت الستايره ودخلوا فلما استقر بهم الجلوس اصطفت الاوانى بين ايهم فتبادروا الي المـكبات وقد رفعوها من فوق الاصحن وتأملوا واذا فى كل صحن قيد زويد وله قفل من حديد فلما عاينوا ذلك اخذتهم الدهشه واصفرت منهم الوجوه وحارت منهم الافـكار فعندها صاح الامير بهم أن البسوا يا كلاب فعند صياح الامير ارتفعت ستاره اخرى وخرجوا من داخلها

رجال وأى رجال بالشواكر المجذوبة قال وكان هؤلاء اولاد اسماعيل هم مع الامير وهو الذي اعدهم وندبهم فلما نظروا الى ذلك الحال صاروا في حيرة عظيمه وأول من لبس الضامن فى عنقه ايبك وكذلك رفقاه وقد ساروا الجميع فى القيود والاغلال والباشات الثقال وقد توكلوا بهم الغلمان من ساير الجهات وايقنوا بالفنا والممات وقد انقطعت ظهورهم (ياسادة) وقد امر الامير برفع ستارة اخري فكشفت فرأوا من داخلها ستة وثلاثين خازوق وكل واحد منهم مكتوب عليه اسم صاحبه فامر باخراجهم فرأي ايبك مكتوب على الاول الدين وحق الملك الرحمن هذا لايبك التركاني وعلى الثانى مكتوب وحق تمالك يوم هذا الامير علاى الدين والثالث مكتوب عليه وحق الكبير الاكبر هذا للامير سنقر والرابع مكتوب عليه وحق من لا تراه العيون هذا للامير قلاون والخامس مكتوب عليه وحق الملك الامجد هذا للامير بشتك وكل واحد مكتوب عليه اسم صاحبه على هذا الترتيب فلما نظروا الى ذلك حاروا فى امورهم وبالوا فى سراويلهم وصاحوا بعلوا رؤسهم انا في عرضك يا سيدنا يا حبيبنا يا بيبرس اعتقنا من هذه الامور الرديه ولا تفعل بنا هذه البليه واجعلنا لك رعيه فقال لهم الامير بيبرس يا كلاب انا كم اقدر واعفي وانت أن تقدر تذبح يا ابن آدم ما طمعك اذا كنت لم تفعل جميل افعل كما يفعل معك والاسم الاعظم لا اقيلكم من هؤلاء الخوازيق وما انتم فيه من الشدة والضيق حتى ترجعوا عن ما انتم عليه عازمين وتحلفوا لي يمين بالله رب العالمين والنبي الامي فقالوا له نحلف لك على السيف والكتاب اننا نكون لك عونا وخداما واصحاب ونكون لك ولا نكون عليك مادمنا بين يديك فقال لهم الامير وانا بذلك رضيت ثم انه احضر لهم السيف والكتاب الشريف فحلفوا بالايمان الواثقة انهم يكونون مع الامير حسب مراده ويبقوا صحبة والجميع يدا واحده فعند ذلك صدقهم الامير لاجل الاقسام لانه كان صافى النية فقال

لابيك اين الكتاب الملكى فقال له ها هو معي ثم اخرج اليه كتاب الملك الصالح فقال له ولاي شيء كنت كتمت هذا عني وورايته منى فقال له كنت نسيته يا أخى فلا تؤاخذني في ذلك وقد مضى مامضى قال فاخذ الكتاب وحله وقراه واذا فيه الصلاة والسلام على صاحب المعجزات وسيد السادات خطابا من الملك الصالح الفقير الى الله الى بين ايادي ولدى الامير بيبرس ياولدي اعلم انى حلفت يمين انه لا بد من حضور البب ميخائيل صاحب القسطنطينيه الكبرى الى عندي في القيود والاغلال والباشات الثقال ثم ان المشورة جاءت عليك فارسلت هذا الكتاب اليك وايبك والامر أ كلهم خداماً لك وبين يديك فسر معهم برأيك وكل من خالف امرك منهم ملص أذنه وقطع رأسه وعجل هلاكه ونكسه بشرط انك لا تأتى الى عندي الا باللعين ميخائيل في القيود والاغلال وان جيت من غيره ملصت أودانك الخط خطي والختم ختمي يشهد علي والسلام على نبى نظللة الغمام (قال الراوى) فلما قرأ الامير الكتاب قال لهم الآن مضي ما قد مضى وان كنتم تفعلوا شيئا من الاذى جازيتكم عليه كما أمرني الملك في هذا الكتاب فاحترسوا لانفسكم قالوا سمعا وطاعة ثم أن الامير أمر بحل الاغلال والسلاسل من اعناقهم وقدم لهم الاطعمة فأ كلوا وشربوا ولذوا وطربوا وقد طلع ايضا الى الديوان وأجلس على القموى مكانه وتودع منه وأخذ رجاله وسار طالب القسطنطينية قال ولم يزل يجد المسير ليلا ونهارا الى أن أقبل اليها وحط عليها (ياسادة) وكان بينه وبينها البحر قال فجلس الامير على حافة البحر وقد نصبت الخيام والاعلام ونزل بمن معه من الرجال فامتلأ بهم جانب البحر (قال الراوي) وقد بلغ الخبر الى البب ميخائيل بان المسلمين نزلوا علي القسطنطينيه فتعجب من ذلك غاية العجب لانه كان يعلم بما فى الكتاب بل كل هذا تدبير اللعين القاضى ثم تفكر في نفسه قال أنا لا ارسلت جواسيس ولا غيرهم ولا قطعت

سكة السفار ولا امتنعت من الخراج ولا شيء يأتوا الي هؤلاءالمسلمين ثم انه سطر كتاب وارسله مع اثنين بطارقة من اتباعه وقال لهم سيروا الي هؤلاء المسلمين وانظروا ما يريدون فنزلوا في مركب صغير وساروا اليأن اتوالي البر الآخر وكان الامير جالس من خارج الخيام فلما رآهم علم انهم قصاد قال لهم ما معكم من الاخبار قالوا له كتاب فاعطوه له فحله وقراه واذا فيه خطابا من البب ميخائيل الي بين ايادي المسلمين اني انا لا عملت معكم شيئا ابداحتى اتيتم الى ونزلتم على ارضى وبلادى وانا ليس لي دعوة بالمؤمنين ولكن اخبرونى ان كنتم طالبين شيء للسفر مثل زخرة أو مآكل أو مشارب أناارسل لكم كل ما تطلبون وان كان شيء غير ذلك ارسلوه لي حتى اعلم ما الخبر وماالذي تريدون مني شكرا يا مسيح والسلام (قال الراوى) فلما قرأ الكتاب علم انه مظلوم فى الكتاب الذي قد اتي الي الملك فكتب له رد الجواب يقول فيه الصلاة والسلام على من اتبع الهدي وخشى عواقب الردي واتبع الحق الاعلي ولعنه على من كذب وتولى خطابا من الامير بيبرس الي مخائيل اعلم انه قد طلع على السلطان كتاب عن لسانك بخطك وختمك مذكور فيه انك تركب على الملك ركبتين فى البر والبحر وذلك لانه سد الغمامة فحلف الملك واقسم انه لابد من حضورك بين يديه فان أردت لنفسك النجاة تأتى الى طائع مختار وانا آخذك وادخل بك ويقيم الدعوة وانا والاسم الاعظم أن أتيت معى طائع مختار لا يجري عليك شيئا وانا الضامن لسلامتك ولا اخليك تورد مال ولا نوال وان انت ابيت وخالفت فاعلم انى مأمور بحضورك ولو اقمت هنا خمس سنين او اكثر فلااعود الى الملك الابك وقداعلمتك والحذر من المخالفة والسلام على نبى تظلله الغمام ثم انه ختم الكتاب وسلمه الي البطارقة وانعم عليهم وساروا الى عند ميخائيل واعرضوا عليه الكتاب فلما قراه غضب غضبا شديدا ما عليه من مزيد وقال انا مالي ومال المسلمين

ومن يكون خالصا ويشبك نفسه وكيف اسلم روجى اليهم لا وحق المسيح لا يكون ذلك ابدا ولو اقاموا على بلدى دهرا سرمدا ثم صاح على البطارقه اقفلوا البحر بيننا وبينهم واتركوهم حتي يكلوا ويعلوا من القمل والوسخ وروايح البحر والبرد والرياح ويرجعوا الى بلادهم بلا فائدة فعندذلك اجابوا با لسمع والطاعه وقفلوا البحر بالسلاسل الحديد قال وذلك ان السلاسل متصله من برج القسطنطينية الى برج آخر في البر الثانى فاذا ارادوا اقفل البحر مدوها فلا تقدر المراكب تجاوز هذه السلاسل فعلم الامير بيبرس المغنى واقام على شاطىء البحر ثلاثة شهور فلما كان ذات ليلة من الليالى خرج الامير ليلا الي خارج الصيوان وقد صار يتسلل علي الامراء حتى وصل الى ظهر الصيوان الذى هم فيه فوجدهم جالسين مع بعضهم وكل واحد منهم يقول كلام خلاف كلام الآخر ويتحدث كل منهم على قدر مايري من الكلام قال ايبك ياامراء متاع مصر وبعد قعادنا هنا فى البرد والصقيع والقمل وريحة البحر وقد علانا الوسخ والقزارة قال بشتك احنا فلاح نقيم هنا قال علاي الدين احنا بكره ندخل على البشت بيبرس ونقول له احنا مابقينا نقيم هنا ولا نساعد احدفان اجاب وسار معنا سار بغير فائدة والسلطان جلف ان هو اتاه بغير ميخائيل يقتله والسلطان يمينه صادق وما هو مثل ايماننا الي نحلفها لا ننا احنا ايماننا مثل بياعين الخضار والسمك وان خالفنا نقطعه بسيوفنا ونتوجه الى مصر واذا سالنا أحد نقول له مات بيبرس ودفناه وذلك على يد الوزير ايبك وفلان وفلان والسلام فعلى كل حال هو ميت لا محاله قال ايبك هذا هو الرأي السديد قال فلما سمع الامير قولهم وعلم فساد قلوبهم قال لاحول ولاقوة الا بالله العلى العظيم الهى اسألك السلامة من خائنين العهود والايمان ثم ان الامير أخذ طوبة صغيرة من الارض وضرب بها النور الذي هم جالسين فيه فانكسر وانكب ما فيه

٤ — م حادى عشر

من الدهن وانطفى قال ايبك الفاتحة على ذلك وقام كل واحد منهم الى مكانه فهذا ماكان من أمر هؤلاء (قال الراوى) وأما ماكان من أمر الامير بيبرس فانه ضاق صدره لما علم بخيانة هؤلاء الرجال فسار على شاطيء البحر والليل سابل ستره على الخائفين ثم تقدم الامير الي البحر توضأ وصلى ركعتين وتضرع الي الله تعالى بالدعاء وهو يستغيب ويقول

الهي ادعوك بسيد الوري محمد المبعوث من نسل طاهر
ادعوك ربى بجاهه وبحبه تفرج كربى باطنا ثم ظاهر
توسلت اليك سيدي بحبيبنا تنصرنى علي كل خصم غادر
وتسهل لى الامور جميعها فانت العليم وانت نعم القادر
علمت باسراري فخذ بيدى وانت الرؤوف الرحيم الناصر
لك اسلمت امرى أجبد عوتى وحفني ياخالق بالمنصر
واقضى حاجتي ياعليم وكن لى نصيرا على جميع الفواجر
انت الذى تعلم الامور جميعها انت الذى تكشف البلوى للصابر
انت تنقذ الغرقا من كل شدة وسط البحور الفجاج الزواخر
أرسل لي يارب من يعينى ويعينني على ماأريد ياقادر

(ياساده) فبينما الامير يتضرع الى مولاه واذا بالبحر هاج وماج وارعى وازبد وفار وطلع من وسط البحر فلوكه من الجريد الاخضر بمقدافين من الجريد بقنديل معلق وفى وسط ذلك الفلوكه رجل مغربي ومن يعشق النبي يصلى عليه وهو يقول بلغة المغاربه انا كلي فى الشرق وحالى فى الغرب غريب من نجد يلوح البرق يبقى في عجيب الصلاة والسلام عليك يا نبينا ياشافع فينا يانبينا يارسول الله السلام عليكم ياسيدي بيبرس قال له الامير عليكم السلام ياسيدي وانشد يقول

اليكم تذل النفس وهي عزيزة وليست تذل النفس الا لمن تهوى
فلا تحوجوها ان تحيل لغيركم وتسأل من يسوى ومن لم يكن يسوي

ولا يطيب العيش الا بقربكم ولوكنت فى الفردوس أوجنة المأوى
أنتم كرام اللحا دنيا وأخرى أنتم أهل المكارم كاشفين للبلوى

(قال الراوى) فقال له اعلم أنى أنا عبد الله الفقير الي الله الراجى عفو الله الرجل المغاوري انزل معى فى هذه القلوكه ونسير الي البر الثانى فاذاطلعت للبر الثاني تمشي الي الصور تصيح أنت فين ياصاحب الوقت فيأتى اليك غلام اسمر حلو المنظر فقل له عريفك الذى كان يقريك فى المكتب يسلم عليك ويقول لك هات الامانة فيأتي اليك بالبب ميخائيل نخذه منه ولا تسأله عن حاله أبداً لان من استعجل على شيء قبل أوانه عوقب بحرمانه فقال له سمعا وطاعة ثم ان الامير نزل الى الفلوكه وسار به الاستاذ وقد قفز أول قفزة وقال سبحان هاديه وقذف الثانية وقال سبحان مجريه وقفز الثالثة وقال سبحان من يعلم بما فيه فأتي الى البر التانى فقال له قم اطلع فها انت فى البر الثاني وأنا منتظرك هاهنا فقام الامير وقد تعجب من أمره وكراماته وسار الى تحت الصور وصاح انت فين ياصاحب الوقت فما تم الكلام حتى أتى اليه غلام جميل الصورة حلو المنظر حسن الوجه مكتحل العيون قصير القامة رشيق خفيف يغلى على الارض مثل القدر على النار كما قال فيه بعض واصفيه هذه الابيات

أيا قمر تبسم عن اقاح ويا غصن يميل مع الرياح
جبينك والخدودمع الثنايا صباح فى صباح فى صباح
واللحظ منك يرمى بسهام صائبات ملاح
والقد منك أغى وافي واورت المشاق التراح
لك العز دون كل السوى ولك فلاح في فلاح في فلاح
حظيت بالتهاني يافتى وأعطيت نجاح فى نجاح فى نجاح

(ياساده) فلما رآه الامير تعجب منه واحبه قلبه فقال له عريفك يسلم عليك ويقول لك هات الامانة فقال له سمعا وطاعة قف مكانك ثم غاب

وعاد ومعه جمدان مزرر فأعطاه اياه فلما سلمه له فما هان عليه أن يتركه من غير سؤال فقال له ما اسمك يا أخي ومن أنت فقال له عريفى هاهو وراك فان أنا أخبرتك ضربنى فالتفت الامير ينظر ما الخبر واذا بالغلام غطس ما بان كأنه ما كان فزاد تعجب الامير وعاد بالجمدان الي الاستاذ فقال له أناماقلت لك لاتسأله ولا تحدثه فلا بد أن تبقي انت وهو حالة واحده

(قال الراوي) وكان هذا جمال الدين شيحا ويقال انه كان معزوما عندالبب ميخائيل هو وابيه في تلك المدة أويقال ان هذه من بعض كراماته رضي الله عنه ثم ان الاستاذ عد الامير الي محل ما أتى منه وسار فى البحر الى حال سبيله فهذا ما كان منه (ياساده) وأما ما كان من أمر بيبرس فانه سار بالجمدان واذا بعثمان مقابله فقال عثمان انت كنت فين بتتخنت فقال له محل ما كنت ها انا جيت قال عثمان قابلت الرجل الذي طلع من البحر وقال لك روح الى الولد الكويس ورحت له وجبت اللعين من هناك قال الامير ومن اعلمك قال له وزلت معه في المركب الصغيرة ووصف لك الوصفه فقال له لا تتكلم ياعثمان ولكن ياعثمان وما يكون هذا الغلام قال عثمان هذا عقيرب فقال له جاتك داهيه انت وعقيرب سوي ولكن خذ هذا ميخائيل عندك واخفى خبره ولا تظهره لاحد أبداً فقال سمعا وطاعة ثم أخذه وسار به وهو في الجمدان فهذا ما كان منه (ياساده) وأما ما كان من امر الامير فانه صبر حتي أصبح الله بالصباح وجلس في مكانه واذا بالامراء داخلين عليه فلما سلموا وجلسوا واستقربهم الجلوس قالوا له وبعد قعادنا هنا قال أنا مابيدى حيلة في ذلك لاني أنا مأمور ان أقيم عوض الستة عشرة الي أن آخذ البب ميخائيل فقالوا له اعلم اننا لا بقينا نقيم فى هنا ولا ساعة واحدة فان البرد والبق والقمل وروايح البحر اهلكتنا وقتلتنا والبحر كما ترى هاهو مسدود من اين انت اوغيرك يأتي بمخائيل ياترى نطير الي السماء ونجيبه اونغوص البحر ونجيبه ومافى الامر الا انك تسير معنا وتريح نفسك

من هذا العناء والملك يبقى يصوم له ثلاثة ايام كفارة يمينه والسلام وان كنت أنت تقيم وحدك هاهنا نسير احنا الى مصر فقال لهم الامير هذا ماهو مرسوم الملك ولكن اذا كان ولا بد فانا لا اخالفكم فى شيء عشرعتم فيه أبدا ولكن اكتبوا لى عليكم حجة شرعية بخطكم وأختامكم انى طلبت الاقامة فما رضيتم بذلك فقالوا نكتب لك حجة قال ايبك اكتب قال علاى الدين ماأظرط من حبرك الا ورقك ثم كتبوا الحجة بذلك وختموها فأخذها الامير وأمر بالرحيل (ياسادة) وذلك لان حاجته قضيت والا ما كان رحل معهم أبدا وهو كفوا لهم ولا مثالهم لاسيما الرجال الذين هم بصحبته (ياساده) ثم انه رحل وطلب المهمه الاغبر والحضاد المحجر ومن يصلى على النبي يستفيد ليس يخسر (قال الراوى) فهذا ماكان من أمر هؤلاء وأماما كان من اللئام فانهم اصبحوا فلم يجد البب ميخائيل ورأوا المسلمين قدرحلوا من المكان الذى هم نازلين فيه فتعجبوا من ذلك غاية العجب وقالوا كيف ان البحر مقفول وقداخذوا ملكنا ثم انهم كتبوا كتاب وارسلوه الى الفرتماكوس على اجنحة الطيور واعلموه فى الكتاب بالقصة من اولها الى آخرها وكشفوا له عن باطنها وظاهرها وقالوا له انهم مقبلين عليك ومعهم ملكنا فاذا اقبلوا عليك فاغزهم وخلص ملكنا من أيديهم فصارت المكاتبة اليه فى وقت فامر باحضار الحصارات

(قال الراوى) فهذا ماكان منه وأما ماكان من أمر الامير بيبرس فانه ارتحل أول يوم وثانى يوم وأقام للراحة فى اليوم الثالث واذا بعثمان داخل عليه وهو يبكى فقال له الامير ما الخبر قال له لاتغتم ياشقر ميخائيل راح وانا أجيب لك رجل غيره من خلق الله قال فلما سمع الامير ذلك صعب عليه وكبر لديه واسودت الدنيا في عينيه وجرد اللت وصاح على عثمان فتركه وسار يجري والامير خلفه فى البر والآكام من شدة ماجرا على قلبه فبينما هو كذلك واذا بخيال مقبل من الارض قال له عثمان أنا فى

عرضك ياخيال فقال له لاتخف ثم اقبـل الامير وقال له ماالخبر ولاي شيء تريد ان تضربه قال له دعني حتى اقتله وبعد ذلك اخبرك بأمره وقصته فقال له وبعد قتله ماذا تكون الفائدة في اخبارك لى قال له انى أريد قتله قبل أن أموت انابسببه فقال له دعه فانه قدوقع فى عرضى وان من دون عرضى ضرب الحسـام فقال له وأنا لا اطلقه فقـال له جيتك وانطبقا على بعضهما فى وسيع تلك الارض وقد وقع بينهما ضربات هائلات حتى ان ذلك الخيال كل ومل ومديده الامير فأخذه بسير بعدذلك قال له الخيال جزاك الله عني كل الخير ردني ياسيدي الى ظهر ركوبتي ثم انه رفع اللثام فتحققه الامير واذا به المقدم سليمان الجاموس نقيب الرجا وغفير الدرب فسأله عن سبب مجيئه الى هـذا المـكان فقال له قد بلغتني الاخبار انك سافرت الى القسطنطونيه فخفت عليك من الاعادي فتركت فى مكاني من يقوم مقامي وسافرت اليك فى رجالى وأبطالى فلما رأيتـكم هاهنا نازلين وشممت رائحة اللعين سرقته انا من عثمان وخبرك عثمان بذلك فجريت خلفه فمنعتك انامن ذلك فـلاقيتني فهذه كانت حكايتى والسبب ثم انه غاب وعاد بالجمدان الذي فيه ميخائيل وناوله الى عثمان فقال عثمان جاتك داهيه كلـكم حراميه (يا ساده) وقدار تحل الامير بعد ذلك فلما نزل للراحه دخل عليه عثمان وقاله ميخائيل راح فطلبه كالاول فالتقاه خيال وحاربه وكان هـذا الفارس حسن الحوراني وثالث مرة ذيل البيساني ولم يزل يسرقوه من عثمان واحد بعد واحد وهـكذا سبع مرات وكل ذلك من الفداوية والسبب فى وصولهم الى هذه الاماكن طلبهم النصر للامير بيـبرس (ياسـاده) وقـد تكاملوا معه الرجال اولاد اسماعيل وساروا يجدون المسير الي ان وصلوا الى انطاقيـة لان طريقهم من عليهـا فلما أتواها غلقت الابواب وخرجت عليهم جلل المدافع من الاربع اصوار فنزل الامير على حدرمى النـار ولما كان ثانى الايام فتحت ابواب انطاقية وخرجت المشركين يطلبون القتال . الطعن والنزال فلما رأى

الامير ذلك قال قوموا ياأمراء مصر والاسم الاعظم لايحارب الاعادى غيركم فنهض ايبك جماعته الخمسة وثلاثين وقد نزلوا على غير خاطر وقد امتلات قلوبهم غيظا من قول الامير لكنهم لم يبدوا كلام (ياساده) فبرز المشركين اليهم واحتاطوا بهم من كل جانب ومكان فلزمهم المحاماة عن انفسهم فساروا يقاتلون الاعداء على مضض منهم ومازالوا يمانعون عن انفسهم طول ذلك النهار الى آخره وعادوا وقد انفصل القتال ومارجعوا الا وهم مجرحين تعبانين ونزلوا الى خيامهم وماقدروا ان يأكلو شيئاً من عشائهم مما نالهم فى ذلك اليوم هذا وقد علم الامير سرائرهم فلما كان ثانى الايام أمرهم الامير أيضاً بالنزول وتأخر الامير هو وجماعته فأرادوا الانهزام فنظر الامير اليهم وقد علم سرائرهم فقال لهم اعلموا انى انا ورجالي خلفكم نظر اليكم وكل من رأيته تأخر عن القتال منكم وولى منهزما أعدمته الحياة فنزلوا على غاية من المشقة وماعادوا آخر النهار الا وهم على حياض الموت وكثر منهم الانين كل هدا والخوازبق مع الامير لايفرط فيهم واذا ساروا يجعلهم الامير امامهم وكل من رآهم خاف وتفكر ماصنع الامير معهم في بيت المقدس فعلموا انهم اذا خالفوه لايشفق عليهم ولايرحمهم وقد اعياهم أمر القتال فقالوا له نحن كلنا واقعين فى عرضك أيها الامير لاتأخذنا بذنوبنا هذا وقد قال ايبك لعن الله القاضي ماأقبح حيلته وما أضر شورته (يا كرام) ولما وقعوا في عرض الامير رق لهم ورثي لحالهم وقال لاتخافوا ثم ان الامير أمر باحضار رجل طبيب يداوى الجراحات فتجارت الرجال ينظرون الي طبيب فرأوا رجلا حامل خرج على كاهله وهو ينادى ويقول مكسور نداوي فقالوا له أجب الامير فسار معهم حتي اتى الى عنده فقال له أنت حكيم قال نعم قال له داوى هولاء الامراء فقال له سمعاً وطاعة ثم نهض اليهم وقطب الجراحات ودهن بعد ذلك بدهن الاستقطاب فبروا من ساعة واحدة فتعجب من ذلك الامير وقال له هل يكون لك ان تكون حكيما عندي فقال له اعلم يا سيدى اني

داير فى حب الله تعالي ولـكن خذ مني هذه العلبة واعلم ان فيها دوى فاذا جرح عندك أحد تداويه منها فاخذها الامير وشكره علي ذلك واراد أن ينعم عليه فقال له أنا لا آخذ منك غير هذا المنديل المزركش بالقصب لانى أري اسمك عليه مكتوب انا أيضا صفتى مكتوبة على العلبه فأثنى عليه الاميروقال له ياأخي اعلم ان هؤلاء الحاجتين امارة بيني وبينك فاذا أنت نظرت هذه العلبة تذكرتنى وانا اذا نظرت في المندبل تذكرتك وكل من تذكر منا صاحبه يدعو له بخير فاجابه الامير بالسمع والطاعة ولا يعلم باطن القصة ثم ان الحكيم تودع منه وسار الي حال سبيله فهذا ما كان منه (قال الراوى) وكان هذا الحكيم هو جنيدوسيأتى ذكره ان شاء الله تعالى هذا ولما كان رابع الايام فبرزت المشركين الي القتال فبرز الامير بالدوله والفداوية واحتطاطو بالمشركين من كل جانب ومكان وهم ينادون الله أكبر فتح الله ونصر واخذل باللئام من كفر وقد تصايحوا أولاد اسماعيل عن الشمال واليمين واشتعل الحرب وقوى الضرب والطعن وما زالوا كذلك الى أن جاء وقت العصر وقد قتل من اللئام نحو خمسة آلاف فارس من كل مدرع ولابس ومندرع وتارس وانجرح اكثرهم فما كان لهم اوفق من الهرب وهم لا يصدقون بالنجاة من العطب فولوا الادبار وركنوا الى الفرار ودخلوا الي أنطاكية والاسلام خلفهم وازدحموا عند دخولهم فى الابواب وقد كبسوهم الاسلام من كثرة الازدحام حتي هلك أكثر من نصفهم قبل الدخول من الابواب يا كرام وقد غلقت ابواب أنطاكية وكانت عليهم هذه الداهية اعظم داهية وقد انكسرت شوكة الكفار وصاروا خايفين من الابرار والاسلام احتاطوا بالبلد من جميع الاسوار وكان السبب فى ركوب الفرتماكوس في هذه النوبة الكتاب الذى أرسلوه دولة ميخائيل الذي قدمنا ذكره (يا كرام) ونزل الامير الى مضاربه وخيامه وقد فرح بذلك النصر من الله تعالي وصار يقول ماكان مرادي الا القبض على ملك تلك المدينة اللعين الفرتماكوس حتي أبليه بالويل والعكوس (ياساده) فلما استقر بهم الجلوس

حتى دخل علـيه ضائع الاسم فلما رآه ترحب به وعرفه وسأله عن حاله قال له قم ادخل البلد واغزيها بسيفك قد فتحت لك ابوابها وذبحت حراسها وأتيت اليك بملكها فماتقول فى هذه النجاة قال له خطر ببالى وتصور في ذهني وببالي والله انهـا لنجاة عظيمة لم أكافئك عليها أبداً ثم انه كتب له التمنـية والقجدة وسلمه بعد ذلك اللعين الفرتماكوس وذهب من ساعته الى حال سبيله (باكرام) وقد ركب والفداويه والرجال والمماليك والخدم والصعاليك ودخلوا الى ذلك البلد فـلم تفق اللئام الا وحيها مكبوس وشنيارها ممكوس والسيف يلعب فى أعناقهم والترس والطبر والدبوس فلا بقى الخل يدرى عن خليله ولا الصديق يدري عن صـديقه جري الدما وساح كالبحر الطفاح وقد فارت القتلا كيمان والدما كالخلجان والحصا كالمرجان والمثل السائر يقول عسكر بلاباش مايسواش وصاحو الافرنج الامان الامان من السيوف السنان فأمر الامير برفع السيف عن من بقى من اللئام وسار من جانب البلد حتى جاوز الى الجانب الآخر وأمر بالنزول هناك فنزلوا وقد جمعو الاسـلاب والخيول الشاردة والعدد المبدده والاموال الكثيرة وضربت السرادقات والاعـلام وترك الامير فى سرادقـه وقد أمر بطلب باقى رجاله والامراء والاصحاب فتجارت الخدام يطلبون الامراء فـلم يجـدوا لهم خـبر ولا وقفوا لهم على جلية أثر فتعجب الامير من ذلك غاية العجب ولم يدر ما السبب وكان السبب فى ذلك ان الأمراء لمـا رأوا الحـرب وقد اذدحم والقتال قد التحم قالوا لبعضهم مالنا بالقتال من حاجة لاننا قـد تعبنا فى الاول ومانالنا غـير اللجاجه فمن الصواب اننا نتركه هـاهنا ونسير الى حال سبيبنا و نطلب اماكننا وأوطاننا وندع هـذا الغلام ها هنا على حاله ثم لمـا اجتمع رأيهم على ذلك الحـال ركبوا خيولهم وانسـلوا من وقتهم وسـاعتهم خلف بعضهم ومازالوا كذلك حتى تخلصـوا من المعركة والبـلد وطلبوا ديار مصر فهذا ما كان من أمر هـؤلاء (ياسـاده) ثم ان الامير بيبرس

احضر الفرتماكوس وأعطاه ضدالبنج عطس وقد رأي نفسه فى قيود واغلال وباشات ثقال وهو فى ايدي الاسلام فصاح بعلو صوته انا في عرضكم يامسلمين انا اشترى نفسي بالمال وماتطلبوه من النوال قال الامير ياملعون قد اخذنا الاموال ويتمنا الاطفال وقتلنا الرجال واخربنا الاطلال وهذا جزاء من يفعل فعال الانذال ثم ان الامير أقسم بالله لا يأخذ فداه ابدا ولم يتركه يدخل بلده ثم عادوه الى مكانه من الاغلال وبنجوه ووضعوه فى ذلك الجمدان وأخذه الامير معه أسير وأخرج ثلث الغنيمه الى اولاد اسماعيل وأخذ الثلثان وأعطى لكل واحد مايزيد عن الكفاية فشكروا فضله واحسانه وتودعوا منه وساروا طالبين القلاع فهذا ما كان من امر هؤلاء (ياساده) وان الامير بعد ان اخذ الراحة لنفسه ورجاله وآمن على نفسه من الاعادي امر بالرحيل فرحلت الرجال والابطال وركب الامير وهو على غاية الحذر على نفسه ولما سار فى البر تذكر ماحصل له من الظفر والنصر وكيف الله بلغه وظفره باعداء فسجد على ظهر جواده شكرا لله تعالى وجعل يترنم بهذه الابيات

قد فاز من توكل على مولاه — وخاب من اعتمد على سواه
قد نجا والله من سلم اليه — وصار بمنه محفوظا على اعداه
قد بلغني الله كل مأربي — ونلت مرادي من كل ما أهواه
وسرت معتمدا على رب الوري — اله تعالى لا اله سواه
قد طلبوا الاعادي نكبتي — وايدني ربى علي اعداه
وسرت اطلب بلاد الروم حقا — لميخائيل اطلبه لمن يرعاه
فسد على البحر شرقا — وتركني مرهونا على حافتاه
وغدروا الاعادي بعد عهد وموثق — وطلبوا القتال في وسيع الفلاه
وخرجت ليلا على الله معتمد — فجاءني فرج ما رأيت سواه
ودلني على حاجتي فقضيتها — وقابلت اخاه فى القلب ما احلاه

وسرت في خفيا ونلت مآوى　　وأحفيت خصمى عن من يراه
وسرق فى البر سبع مرات　　من اولاد إسماعيل شربلاه
واتينا انطاقيا وانتصرنا　　بعد وقع حروب وخربناه
واتانى حكيم يداوي الامرا　　فعجبت من علاجه ودواه
وابراهم في ساعة من جراح　　كانوا معها في مشقة وبلاه
وأعطاني أمارة وهبة لى　　وأخذ مني علامات وياه
وتركنى وعاد عنى راجعا　　فياليته كان من رفقاه
وأتانى ضايع الاسم حقا　　وبلغنى كل القصد من يمناه
وأنا فى فرماكوس ليلا　　وأمرنى ان اقاتل اعداه
وحزت مالا جسيما وخيلا　　وأسلت الدما يجري على مثواه
واسرت المليك عندي عزه　　وأطلت ذله وزدت بلاه
وهربت الامراء وساروا　　هاربين عنى فى وسيع فلاه
فلا أعتني بمثلهم أبداً　　فيارب تنصرنى على اعداه
وأنت الكريم لمن أطاعك　　وأنت الرحيم بالعبد ان يعصاه
تأخذ بيدي فى كامل اموري　　وتؤيدنى بنصرة ومناه

(قال الراوي) ثم ان الامير جد في المسير ليلا ونهارا وكلما أتى الى مكان سأل عن الامر يقولون له ساروا من أمس طالبين مصر ولم يزل ساير وهو يسأل عليهم فهذا ما كان منه وأما ما كان من ايبك ورفقاه فانهم ساروا حتى أتوا العطليه ونزلوا هناك وقد بلغ الخبر الى امير المؤمنين بمجيء ايبك وجماعتك الخمسة والثلاثين فقال الملك وهل وجدتم بيبرس معهم قالوا له ما وجدناه فقال الملك ارسلوا اليه وقولوا له ان كنت أُتيت بميخائيل ارسل اعلم الملك حتى يبعث لك الموكب الملكى وان لم تكن جيت به فادخل من عسير موكب اوارجع من حيث اتيت اوادخل فلا عبرة بك ولا بمن

معك فلما بلغته ذلك الرساله تعجب منها وقال لرفقاه فماذا يكون الرأى واننا اذا دخلنا البلد يتضاحكوا علينا أولاد البلد ويعملون تقورة ومالنا الا ندخل بيوتنا ليلا فاذا طلع النهار طلعنا الي الديوان وقلنا للملك انت ألزمت بيبرس بالغريم واحنا مالنا دعوه أبداً وما أتينا الا باذنه وهو الذى أرسلنا وأنا أتكلم بذلك وأنتم تشهدوا وتحلفوا فقالوا هذا هو الصواب والامر الذي لايعاب قال وكان مراد أبيك أن يسير بموكب فلما علم السلطان أنه أتي وحده أشار على الوزير فقال له الوزير اعلم لا يستحق الموكب الا الذى يكون معه الغريم فلذلك امتنع الملك من ذلك وأرسل الي ايبك ماقدمنا ذكره من الاقوال (ياساده) ولما أصبح الله بالصباح وظهر الملك وجلس على التخت وتكامل ديوانه قرأ القارى وختم ودعا الداعى وختم ورقا الراقي وختم صاح جاويش الديوان وهو يقول

الملك لله الواحد المنان لا يشاركه فى ملكه انسان
واعلم يا ابن آدم بانك فان محاسب بالفعل وايمان
سلم أمورك للواحد الديان واعمل صالحا تلقي علو الشان
واترك القبيح والنقصان ندخل جنان الخلد مع عدنان

(قال الراوى) قال الملك آمنا سبحان ملك الممالك سبحان المنجي من المهالك ياحاج شاهين جزاهم علي الله الذى يطبخ طيب ياكل منه والذي يطبخ ردى ياكل منه والمثل الساير يقول كل انسان يلبس من صندوقه فقال الوزير يامولانا السلطان مامعني هذا الكلام قال الملك اعلم انى رجل عبيط والطيور هربوا وتركوا الطير وحده والطير قابل الثاني والطير جابه الطير وسلمه للطير بواسطة الطير الكبير والطير طلعوا عليه الطيور السود وكان نقرهم بمنقاره وأخذ كبير الطيور وحط الطير جنب الطير والسبب فى ذلك الطير السمين والطيور الذى معه كلهم طيور أصحاب همة ياحاج شاهين قال فتعجب الوزير من ذلك وقال لا اله الا أنت يامولاى خلقتني

ورزقتني وبعشرة هؤلاء الاسياد أوعدتني الهى لاتحرمني من أسيادى الذى لاأعرف مايقولوه ولايعيدوه قال فبينما الملك يترنم بمثل ذلك الكلام واذا بالامراء طالعين من باب الديوان نعم يا بعض شاه قال الملك أهلا وسهلا بالسلامة ياسيدى ايبك فقبلوا الارض بين يدى السلطان فقال لهم الملك أين بيبرس قالوا له ياملك الاسلام هاهو علي أثرنا لاننا سبقناه قال الملك أتيتم باللعين ميخائيل قال ايبك صلوا على النبي قال الملك صلوات الله عليه قال ايبك احنا رحنا من عندك من هنا الى بيت المقدس اعطينا بيبرس الكتاب سار معنا رحنا الى القسطنطونية اقمنا علي البحر قال بيبرس احنا فلاحين البحر ريحته وحشه كريهه والقمل والصقيع اهلكنا والبحر هاهو مقفول ومن أين نأتى بميخائيل قلنا له احنا نقعد هنا طول عمرنا حتى نأتى به فلم يرض بذلك أبداً سرنا وحدناوتركناه لماخالفنا طلع علينا العرتماكوس وحاربناوهرب مناولولا انه هرب لكنا أتينا به أسير وبعد ذلك سار بيبرس مع الفداوية اصحابه على شأن العزومة ففتناه وأتينا اليك وبما جري أعلمناك فهذه قصتنا والسلام على نبى تظلله الغمام (قال الراوى) فلما سمع الملك ذلك الكلام صار الضيا في وجهه ظلام وغضب الملك غضبا شديد ماعليه من مزيد وقد صعب عليه وكبر لديه واسودت الدنيا في عينيه وصار لايعرف مابين يديه قال الملك وحتى دينى ونعمة الاسلام ان لم يمش كلامى ويأتوا الي عندى أخصامى لاعذبنكم بانواع العذاب وأقتل بيبرس وأرمى رمته طعاما للكلاب ياسلام يبقى كلامى غير نافع وأنتم تخالفون أمرى وتفعلوا مابدالكم وتعملون بعقولكم أيا كرام فلما نظر الوزير الي ذلك الامر الخطير قال ياملك الاسلام اعلم بان الناظم قال :

اذا عطيت ولاية كن عادلا واعلم لانك بعدها معزول
واذا رأيت جنازة فاسي لها واعلم لانك بعدها محمول

ياموﻻنا السلطان العجلة من الشيطان ومن تأنى نال ماتمنى

فاصبر ولا تغضب حتى يأتي الامير بيبرس وتحقق الدعوة وانظر ماذا يكون من الامور ومايتم لهم من الاحوال فقال الملك ياوزير الزمان الم تسمع بهذا الكلام الهذيان الذي لا يتكلم به انسان فقال له الوزير ياأمير المؤمنين أيدالله بك الدين وقواك على الاعداء الكافرين بجاه سيد المرسلين اعلم اني قدسمعت هؤلاء الرجال وهم يتكلمون بماتقدم من الكلام ولكن قدظهرلى برهان وأي برهان فالاول ان هؤلاء أتوا وحدهم وظنوا ان بيبرس أرسلهم وما أتوا الا باذنه الي هاهنا فلوكان هذا صحيح لكان عندهم علم ان كان الامير جاب الغريم ام لا على انني أقول قولا صادقا ان الامير لما اعرف من فطانته وعقله وكثرة محاورته للامور انه لم يأل الا بالمقصود ولوقصد مهما قصد والثاني يعلم انك حلفت يمينا مؤكداً فكيف يفرط فى قولك ويفرط في نفسه والذي اعلمه أن هؤلاء الامراء هم الذين أتوا بغير علمه لانى سمعت قولهم وهم يقولون ان بيبرس زعل من قفل البحر وطول القعاد ونحن أردنا الاقامه فلم يرض بذلك أبداً فمن يسمع ويصدق هذا الكلام يا ملك الاسلام وحق رأسك انهم كاذبين وان لم يكونوا كاذبين فاني أبحت لك دمى قبل دم بيبرس فطمن قلبك وهدي روعك واصبر حتى يأتى الامير فراق الملك ودخل كلام الوزير في أذنيه وقد قال الملك ياايبك أعد على القصة من أولها الى آخرها فأجابه بالسمع والطاعة وجعل ايبك يعيد القصة ويقول له جرا من الامر ماهو كذا وكذا وقلنا له كذا وكذا وقال بيبرس كذا وكذا مثل ماتقدم ثم انه لما امتنع بيبرس يا مولانا من الاقامة فتناه وجينا والحمد لله على السلامة

(قال الراوى) فلما سمع الملك ذلك الكلام قال لهم اقعدوا فى مجالسكم الله تعالى يخزى أهل الباطل فجلسوا على مضض هذا والقاضى قد فرح الفرح الشديد وقام ليسلم على ايبك وحط حنكه على اذنه أشارة انه يبوسه وقال له أتيتم عيخائيل قال لا وحق دين الاسلام فرح فزاد

القاضي بذلك وقال للسلطان يا أمير المؤمنين هـذا أمر ملـكي لم يـكن فيه نقض ولا ابرام وان هـذا الغلام ان لم يأتك بالغرم والا لم يـكن له عندك الاالسيف فقال الملك والاسم الاعظم وأنت يا قاضي عند قولك

(ياساده) فأراد الله أن يبدل فرح القاضي بالحزن في ساعته لاجل انه لم يبلغ منيته (يا كرام) فبينما هم كذلك واذا بجـلة مدفع تضرب في العدليه قال الملك ما الخبر قالوا له قد وصل الامير بيبرس قال الملك وعزة الله الاترسلواله الموكب الملكي و تنزل الوزراء وكامل الامراء يمشون في موكبه و كلهم خدماء له وعتقاء سيفه ثم صاح الملك قم يا ايبك انت وجماعتك فقام ايبك وهو ينفخ وسار بالجماعة وساروا في المحروسة فلما رأوهم أولاد البلد قال أحدهم أنظر ياأخي ايبك وجماعته دول كانوا مسافرين في برمه قال الآخر كانوا في زفته قال واحد والله انهم متعوسين ان كانوا يسافروا والا يقعدوا هـذا وهم سائرين والناس تمشق في ابدانهم ومنهم من يضحك عليهم ومنهم من يضرب لهم تعبير بحنـكه ومنهم من يقول الله لاكان جالي الغلا ولا كياله والله انـكم مثل قلتكم جاتـكم داهيه حره من غير دليل زعره قال الآخر ياأخي اعلم ان بيبرس هو الرجل المسعود من دون جميع القعود قال الثاني وهؤلاء قال هؤلاء عرصات فسارو يسمعون من الناس مايكرهون حتي وصلوا العدليه وأقبلوا على بيبرس وسلموا عليه قال لهم واين كنتم قالوا اننا سبقنا لاجل أن ندخل منازلنا و ننظر أولادنا و نغير ملابسنا فسكت بيبرس ثم انعقد الموكب وركب بيبرس وسارت جاوشية الملك وسعاة الملك ومـلازمين الملك والنوبة التركي والمزمار الملـكي زعقت الملازمين اكثروا من الصلاة على النبي هذا وقدصاح الامير بعثمان فأتاه وقال له ماتريد قال له اجبل الملعونين في القيود والاغلال والباشات الثقال ودعهم قدام الجواد يمشون مكشوفين الرؤس حفاة الاقـدام والرئيس ينادي عليهم هـذا جزاءهم وأقل من جزاءهم ففعل عثمان ماأمر به الامير فلما رأوهم أولاد مصر قال

أحدهم هؤلاء الاثنين بخطفون العمائم فى سكة بولاق قال الثانى هؤلاء قتلوا امرأة في الجيزة قال الثالث انا راحت لى عمه قال الآخر هؤلاء زغليه قال رجل دعوتا من ذلك كله هؤلاء زينة في الموكب قال واحد هؤلاء أسرمن بلاد النصارى (يا كرام) وقد نظرا ابيك الي البب ميخائيل هو ورفقاؤه والفرتماكوس القون معه فتعجبوا من ذلك غاية العجب قال ابيك هذا والله بالله سحر من المغربى بتاع طيلون يبات يكتب لبيبرس على النجمه هو الذى جاب له هؤلاء الاثنين ومازالوا يتكلموا والعالم يدعون للامير بيبرس ويتكلمون فى حق ابيك وجماعته الى أن وصلوا الى الديوان وتحول الامير بيبرس عن ظهر ركوبته وطلع الى الديوان وخدم وترجم وأحسن مابه تكلم دعي بدوام العز والبقاء واذالة البوؤس والشقاء وأنشد يقول صلوا على الرسول

اقبل أقدام ساداتى واخدمهم بقلبى وهماتى
واسعي بروحى فى مصالحهم ففيهم عزى وفرحى وراحتي
واقضى حوائجهم جميعا وكل مايرجوا من الحاجات
عسى أن يكونوا راضيين عنى وابلغ منايا وقصدي ودعواتي
فهم أصحاب الاكرام الينا وأنا لهم من جملة الخادمات

﴿ تم الجزء الحادي عشر ويليه الجزء الثاني عشر ﴾

(وأوله قال الملك أهلا وسهلا بالامير الدولتلي بيبرس)

سيرة الظاهر بيبرس

تاريخ الملك العادل صاحب الفتوحات المشهورة ﴿ السلطان محمود الظاهر بيبرس ﴾ ملك مصر والشام وقواد عساكره ومشاهير أبطاله مثل شيحة جمال الدين واولاده اسماعيل وغيرهم من الفرسان وما جرى لهم من الاهوال والحيل وهو يحتوى على خمسين جزء

الجزء الثانى عشر

﴿ الطبعة الثانية ﴾

سنة ١٣٤١ هـ - ١٩٣ م

﴿ طبعت على نفقة مصطفى افندي السبع ﴾
بشارع الحلوجى بمصر قريباً من الجامع الازهر والمشهد الحسيني

﴿ مطبعة المعاهد بميدان بيت القاضى بجوار قسم الجمالية بمصر ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(قال الراوى) قال الملك أهـلا وسهلا بالامير الدولتلي بيبرس اللهم عمر بك الارض والبلاد اللهم اهلك ضدك اللهم أقم سعدك بنصرك على أعاديك ولكن أين البب ميخائيل قال يا مولاي السلطان خـذ اقرأ هـذا الكتاب ثم أخرج الحجة التى كتبها الامراء الى الامير عندارادتهم المسير فأخذها الملك وقراها على رؤوس الاشهاد ثم قال لايبك وجماعته هذه الحجة بخلاف ماذكرتم به فسكتوا ولا أحد رد جواب قال الملك يا بيبرس انت كنت انجرحت على انطاكيه وأتوك بالمداوى يطيب جراحك وهؤلاء الذين طيبوا الركبة قال بيبرس انا ايابك قال ايبك فى المثل قال الملك خيب الله امثالك ولكن دعونا من هذا كله اين اللعين ميخائيل قال بيبرس يامولانا السلطان البحر كان مقفول قال الملك وعزة الله املص أودانك اذا لم تأت به فى ساعتك هذه فصاح الامير ياعثمان وأذا بعثمان طالع من باب الديوان ومعه ميخائيل والفرتماكوس كانهم القرود وعثمان القراد فلما نظره القاضي والجماعة المبغضين كادوا ان تطق مرارتهم وقالوا لبعضهم ومن الذي اتي بهذا قالوا ان الفداوية كلهم اصحابه واحبابه وأتوا اليه به وانهم كان اكثرهم ما نظره الا فى تلك الساعة لانهم كانوا سائرين في أوائل الموكب واللعين

قـدام الجواد (ياساده) ولمـا وقعت العين على العين قال الملك انت يا لعـين الذي تركب على ركبة فيالـبرور كبة فى البحـر قال اللعين ياسيـدي وحـق المسيح لااعلم والا اكون هبلار مقطوع الزنار والا اكون مسلم مثل المسلمين وأصوم شهر المسلمين والبس العمامه البيضاء واترك لحم الخنزير وآ كل لحم الخاروف الكبير واترك شرب الخمـر العصير وأصلى صـلاة المسلمين قال الملك دعنا من ذلك كله فان هذه الايمان كلها عندي باطـلة انا عندى دليل اقوي من ذلك كله ثم أمر الملك باحضار الاربعة من السجن الذى كانوا توابالكتاب فتجاروا اليهم واذا بهم ميتين من داخل السجن بالسم الخارق (ياساده) وكان السبب في ذلك ان اللعين جوان ارسل لهم السم في المأكل والمشرب خوفا من عاقبة الامر فلما رأي السلطان ذلك غضب غضبا شديداً ماعليه من مزيد ثم أمر بهم الى نطعة الدم فارموهم وقد انتدب السياف على رؤوسهما فراغت اعينهم وحاروا فيامورهم فوقعت اعينهم فى عـين القاضى فلما رأوه وراءهم قالوا له بالاشاره ان لم تتشفع فينا ومن هذه الامور تنجينا والا وحق المسيح نخـبر الملك بخـبرك ونقول له على أمرك ونهيك ونجعـلك ثالثنا ونقول ان القاضي نصراني فأشـار اليهم القاضى ان انـتم فعلتم ذلك كـفرتم في ملة المسيـح ولـكن قولوا نحن فى عرض القاضى بتاع المسلمين فصاحوا بعـلو صـوتهم نحن في عرض قاضيكم يامسلمين فعند ذلك نهض القاضى وقبل الارض بين يدي الملك وقال يا مولانا السلطان يهان علينا ان تصاب جسومنا وتـسلم اعراضنا وعقولنا وما فايدة قتل هؤلاء وما الذي يفيدنا منهم وما فى الامر الا اننا نبيعهم انفسهم بالاموال ونكتبهم فى دفتر الخراج ونتركهم فى البلاد وعمـار الارض خـير من خرابها والمثل الساير يقول شعرة من الخنزير خير منه قال الملك لا بد من قتلهم نخـاف القاضى من الفضيحة على نفسه بسببهم فجعل يلعنهم ويسبهم وهو يقول لعنـكم الله يا كلاب الروم من مثلكم يقول فى امير المؤمنين هذا الكلام

ثم مال اليهم براسه وجعل يبصق عليهم فلما دنا منهم قال لهم قولوا شرعكم يامسلمين ثم رجع الى مكانه فصاحوا الاثنين يا رين المسلمين تريد ان تقتلنا بغير الحق ولكن انتم أهل شرع واحنا طالبين الشرع واذا ثبت علينا شيء بموجب شرعكم يامسلمين افعلوا معنا ماشئتم قال الملك ومن الذى علمكم ودلكم على ذلك فقال القاضي ان عندهم البطاركة والرهبان يعلمونهم الاحكام فقال افصل الدعوة ياقاضي فقال نعم يكون ذلك بعد ان ترفعوهم من نطعة الدم وقدموهم الى واحد بعد واحد فقدموا اليه البب ميخائيل فقال له القاضي قبح الله ذاتك فمن انت وما اسمك قال له انا البب مخائيل ملك القسطنطونيه قال له ولاي شيء ارسلت هذا الكتاب الى الملك فقال له وحق ديني وما اعتقده من ملتي ويقيني ما ارسلت ولا أعلم من ذلك خبر فقال القاضي اخرجوه وقدموا الثاني فقدموه فقال له انت ما اسمك ومن تكون قال له انا الفرتماكوس ملك انطاكيه فقال له ولاي شيء تعرضت الى بيبرس وحاربته وفعلت معه هذه الفعال فقال له ارسل لي وزير البب مخائيل يأمرني بذلك وانا متزوج باخته فما هان علي اخذه ففعلت ذلك ولما انكسر نا دخلت البلد وحاصرته ولم ادري من الذى أتاني وأوقعني في يده حتى افرنني بمائيل ولم ادري ما جرى على أهل بلدي من بعدي فعند ذلك قال القاضي يامولانا السلطان هؤلاء معذورين وربما ان يكون رجل من الاعداء ارمى بينك وبينهم فقال السلطان كل من فعل ذلك لا يميته الله الا نصراني مقطع في الرميلة محروق برجيع الكلاب قال الملك آمين قولوا آمين يامؤمنين فقالوا آمين هذا وقد قال الوزير ياأمير المؤمنين حيث انهم لم يثبت عليهم شيء ولا يفيدنا قتلهم في شيء بالاولى انهم يشتروا أرواحهم بالمال لان المال ينتفع به بيت المال فقالوا نشترى أرواحنا كل واحد بثلاثة خزن من المال قال الملك وانا رضيت ولكن أين المال فقالوا اكتبوه علينا حتى نصل الي بلدنا نرسله فقال الملك لا كان ذلك أبداً ولكن خذهم ياقاضي عندك والمال مطلوب منك وأمرهم ان يرسلوا الي القناصل يطلبوا المال وذلك

لانك قد تشفعت فيهم من القتل فلما تسبب فى ذلك فالمال مطلوب منك فقال القاضى سمعا وطاعة ثم أن القاضى أخذهم ونزل بهم وكاد ان يطير من الفرح بنجاتهم من بعد هلاكهم وقد أكرمهم غاية الاكرام فلما جن الليل أرسل الي الصيارف حضروا فاخذ منهم الاموال لان لهم صيارف معاملين فى سائر البلدان والامصار ثم ان القاضي قال لهم أقرضوني انا الآخر خزنتين مال حتي أستعين بهم على قتل بيبرس قالوا له حبا وكرامة فلا نخالفك فى شيء ابدا ثم أعطوه ما طلب وساروا الصيارف الى حال سبيلهم فلما كان ثاني الايام طلع القاضى الى الديوان وورد المال واستأذن السلطان في عودتهم الى بلادهم فى ذلك ورحلوا الي أماكنهم فهذا ماكان من امر هؤلاء

(قال الراوي) وأما ماكان من الملك فانه بعد ان تكامل الديوان أمر باحضار الاميربيبرس فلما مثل بين يديه قال له انت تعبت ياولدي فى هذه النوبة من وجوه كثيرة الوجه الاول ان هؤلاء اتعبوك وما وافقوك الوجه التاني انهم أساؤوك وتركوك وأيضا انك صرفت أموالا جسيمة وما نالك شيء منا ولكن خذ يا ولدى هذه الستة حزن المال على ماجاءك من سلب انطاكية فهما من عندي اليك هبة كريم لايرد فى عطاه تتساعد بهم على فقرك فقال ايبك الفاتحه احنا نروح ونقعد فى الشمس والحر والبرد في وخذ المال ياببيرس والله كل هذا من مغربى بتاع طيلونيبات يكتب له على النجوم ثم نفض الملك المنديل تحولت الرجال فلما كان اليوم الثاني تكامل الديوان وجلست العساكر والرجال والجنود والابطال ودخلت الاغوات قاعة الملك وأعلموه بأن الديوان تكامل قام الملك وعلى الله الكمال ثم نهض على الاقدام يتوكا على قضيب خيرزان حتى أقبل الى الديوان ابدأهم السلام ردوا عليه بالتحية والاكرام وذلك بعد ان نهضوا له قيام على الاقدام جلس على التخت بعد ان قرأ الفاتحة أم الكتاب أهدى ثوابها الي روح النبي العدنان أولا

ثم الي روح من مضى من الملوك وأموات المسلمين وجلس على تخت قلعة الجبل وهو يوحد القديم الازل راق الديوان قرأ القاري ءوختم ودعى الداعى وختم ورقي الراقى وختم صاح شاويش الديوان وهو يقول

الملك لله الكريم الباقى الواحد المهيمن الخلاق
هو الرؤف بكل العباد هو الذي تكفل بالارزاق
وحد الهك أيها الفانى وسلم أمورك الي الخلاق
ولا تكل نفسك الاعليه فهو حسبنا ونعم الباقى

(قال الراوى) قال الملك آمنا سبحان مالك الممالك سبحان المنجى من الشدائد ياحاج شاهين كل شيء له أسباب سبحان مسبب الاسباب أهل السعادة مكتوبين وأهل الشقاوة مكتوبين ومن يعارض مولانا فى حكمه هذا الذي حكم به الاله القديم قال الوزير آمنت بالله وما معنى هذا الكلام قال له اسكت ياراجل انا عبيط لم تأخذ لي على كلام فبينما الملك يدندن بمثل دلك الكلام واذا بنجاب يقبل الارض وهو يقول نعم يامولانا السلطان قال الملك من اين والي اين قال النجاب سبحان هادى الطير قال الملك سبحان عالم الغيب سبحان راحم الشيب من أى مكان قال من الثغر السكندري ياصاحب القدر العلى صلي على النبي قال الملك هات الكتاب فاخرج الكتاب من مأصورة ذهب من تحت جناح الطير لان كتاب اسكندريه لا يأتى الا تحت جناح الطير ثم قال الملك اقرأ الكتاب ياقاضى الديوان اسمه انا والرجال ففضه القاضى وقرأه واذا فى أوله الصلاة والسلام على كاملي المعجزات وسيد السادات خطاباً اسكندرية الي بين أيادي أمير المؤمنين اعلم اننا مقيمين يوم تاريخ الكتاب واذا بالبحر قد هاج وماج وارغى وأزبد رظهر الحال بعد ذلك عن برشة باربع بطون وممشة فأقمنا عليها مدفع قصاص اردنا ان نقص صواريها قامت لنا بنديرة الامان اخلينا لها النبط دكست ارسلت جاسوس يكشف عنها

الاخبار فأخبر بأن هـذا الوزيد أتى من جنوا وهو وزير الرين حنا ومعه مائة بطريق وهـدية وفرمان وخمسة آلاف دينار خلاف خزنة مال وذكروا انهم طالبين القرب منك فاذا أردت قربهم قربناهم أو بعدهم أبعدناهم أرسل لنا جواب كافي من فضلك نعتمدعليه والسلام على خير الانام قال الملك ياحاج شاهين هؤلاء مالهم ومالنا حتي انهم طالبين القرب الينا فقال له الوزير انت سيدسلاطين اسلام وبنى آدم يكتبوا اسمك على معاملة المسلمين ويخطبوا لك على المنابر ويحتاجون اليك أهـل الدنيا فقال اكتبوا لهم بالمجيء من المالح الى الحلو الى هنا فانكتب الجواب وتسلمه على البراج براج السلطنة وعلقه على جناح وأرسله الى اسكندريه فلما وصل الجواب الى باشة اسكندرية أمر بنقلهم من المالح الى الحلو فساروا طالبـين أرض مصر وما زالوا كذلك حتى أقبلوا الي بولاق ثم طلعوا الى الديوان وقبـلوا الارض بين أيادي السلطان قال الملك مامعكم قالوا كتاب من عند الرين حنا وهدية وفرمان وخزنة مال قال الملك اعطـوا الـكتاب للقاضى يقرأه واذا أوله صليب وآخره صليب ونحن وانتم نصلى على النبي الحبيب خطابا من الرين حنا الى بين أيادي ران المسلمين اعـلم ان عندى بنت ذات حسن وجمال وقدو اعتدال وقد اعتراها مرض فنذرت على نفسي ان ابراها رب المسـيح ازورها الغمامة العتيـقة القدسـية فأخذ بيدي رب المسـيح وشفاها وأريد أن أوفي بندري وأزورها الغمامة وقد سألت عن ذلك فأخـبروني السفار بأنك أمرت بسدها فأرسلت اليـك بان كان لك مرام في ذلك ترسـل من طرفك أحـد يغفر بنـتى من يافة الي الغمامة ومن الغمامـة الى يافه ويأخـذ خمسة آلاف شريفية حق طريقـه واما الخزنه والمال والهدية والفرمان وهبـة منى اليك فان قضيت حاجـتى كتبت نفسي فى دفتر ملـكك وأوردت لك خراج فى كل عام كان وان كان ليس لك مرام فى ذلك خذ الهدية والفرمان والخزانة والمال وانا اكتب

نفسي في دفتر ملكك وأورد خراج فأرسل لي جواب كافي من فضلك اعتمد عليه والسلام شكر يامسبح كتابي بيدك وأي مفوض اليك انا وبنتي تحت أمان رب المسيح وأمانك والسلام (ياساده) فلما سمع الملك الكتاب قال مايكون الرأي ياوزير الزمان قال الوزير الرأي عندي ان ترسل الى البنت من يغفرها ودعه يكتب نفسه في دفتر السلطنة ويورد الخراج ينتفع به بيت المال قال الملك وعلى ذلك نفتح الغمامة قال الوزير لايضر شيئاً أبداً لأنهم عليهم عوايد من السنة الي السنة وهي على حالها من قديم الزمان وانت والامير بيبرس قد مشي كلامكما بسدها وما أحد فتحها الا بامر كما.فعندذلك قال الملك اكتبوا الى علي القسوى بفتح الغمامة فأرسل اليه الوزير الكتاب بذلك ثم ان الملك قال لرجل من الاكراد أولاد عمه وكان اسمه الخطيري قم يا ابن العم خذ النصفين واغفر البنت من يافه الي الغمامه ومن الغمامه الى يافه فقال يا ابن العم اعرف في ذلك شيء فقال له الوزير يامولانا السلطان اعلم ان غفر بنات النصاري ما هو علينا ولم يغفرهم الي سلطان القلاع والحصون واذا كان هو غايب رجاله يغفروها فعند ذلك قال الملك ياولدي بيبرس انا اعلم ان الفداويه اخوانك تخذ هذه الدراهم واعطيها لواحد من اخوانك وخليه يغفر البنت فاني ألزمتك بذلك فقال الامير بيبرس سمعا وطاعة ثم أخذ الدراهم واذا بالقاضي تحرك من مكانه وهز ديدبانه وحنح طيلسانه وقال القاضي ياببيرس اكتب لنا بذلك حجة شرعية انك ملزوم بغفر هذه البنت كما أمرك أمير المؤمنين لاننا لانعرف فداوية ولاغيره فقال الامير اعلم ياقاضي انهم اشراف وضمانهم على انا فقال القاضي وانت الآخر لابد من ضامن يضمنك فقال الحاج شاهين ضمانه على انا فقال القاضي وانت ايضاً يلزم لك ضامناً قال الملك ياقاضي ضمان الفداوية وبيبرس والوزير على انا والا اجيب لك انا الآخر ضامن قال القاضي انت لم يكن لك ضامن أبداً ثم كتب الحجة بذلك واخذها

معه القاضي يقع لهــا كلام (قال الراوى) واما ما كان من الملك فانه قال اكتب لهؤلاء ردالجواب حتى يصيروا الي ملكهم ويعلموه بأننا سامحناله في ذلك ويدعوه فيجهز بنفسه وانتته ثمــا تصــل الي يافة حتى يــكون الغفير عندها فــكتب الجواب بذلك فأخذه الوزير وسار فقائه طالب جنود فهذا ما كان من هؤلوء (ياساده) ثم ان الملك قال للوزير ماسم سلطان الفداوية قال له يقال له معروف بن حجر بن أسد فقال اكتبوله كتاب لاجل الناس تعرف بعضها واكتب فيه بغفر البنت الوصية لولدنا بيبرس فكتب الــكتاب الوزير بذلك واجاد وقرأه على الملك فاستجاده وقد كتب في أوله بسم الله الرحمن الرحيم اما بعــد فهذا كتابي وأنا الفقير الى الله تعالى الصالح أيوب الى ايادي ولدي معروف بن حجر سلطان القلاع والحصون نريد منك غفــير بنت الرين حنا من يافة الى الغمامه ومن الغمامة الى يافة وأجرة الغفير الذى ترسله من طرفك خمسة آلاف دينار صحبة ولدنا حامل الــكتاب وبعــد ذلك لك مني الدعاء ومن الله القبول فاني أطلب من الله وأقول الله تعالى يلطف بك فيما كتب على جبينك وسطر بالقــلم الله تعــالى يجعل عاقبتك الى خير الله تعالى بدركك بخفى لطفه ثم ختم الكتاب وأعطاه للامير بيــبرس وأعطــاه الخمسة آلاف شريفي وأوهبــه باقى المــال وقال له سر الي سيدي معروف بن حجر فنزل بيبرس من الديوان وقد قابله عــثمان فقــال له الى أين قال له يا عــثمان أمرني الملك أن أســير الى معروف قال له ماعنده من المعروف ولاخردلة واحدة فقــال له لاي شيء ياعثمان قال عثمان هــذا ما جرى قال له الامير سربنا ولم يــكن لك دعوة فقال عثمان خــذ لنا شيئاً نأكله قال الامير ولأي شيء ذلك قال عثمان اعــلم أن الطريق بعيد وما فيــه مأكول ولا مشروب فقــال له اخواننا الفداوية في طريقنا وهــذا شيء لم تحمــل همه فسر بنا ياعثمان فقــال ســوف ترى لان ابن الخرا لايصدق حتى يرى ثم سار الامير بيبرس وعثمان معه ومازال سائر حتى وصل

الي قلعة سليمان الجاموس وأراد ان يعبر واذا بالابواب قد غلقت في وجهه فتعجب الامير من ذلك فقال عثمان حرج عليهم الرجل قال له أي رجل فقال عثمان عقيرب فضحك الامير على مضض منه وقال له سر بنا الى دبل البيساني فلما وصلوا القلعة قفلت ولم يزلوا كذلك حتى أتوا حوران وتأمل الامير واذا بالفداوية جميعهم سايرين على الاقدام وكلهم منسكين في القيود ولاغلال والباشاة الثقال فلما رأى ذلك الحال تأخر عنهم وقال لاحول ولاقوة الا بالله ثم التفت الى عثمان وقال له مالي أرى اخواني في الاسر والاغلال فقال له عثمان اعلم ان هذا كله من أحلك وما وقعوا في ذلك الامر الا بسببك فزاد عجباً من ذلك وأيضاً من كلام عثمان ثم قال يا عثمان وأنا مالي بمثل هذا الشان وما هذه الاسور النكرة قال عثمان لتعلم وتحقق ان معرفتك وصحبتك معيرة فقال ياعثمان مالي الا ان أتبع أثرهم وأكشف حالهم واتحقق ذلك الامور ثم ان الامير سار خلفهم وقد زاد عليه الامر من أجلهم فأنشد يقوول

مالى أرى الاخوان في قيد وسلاسل ... وقد نالهم ضيما وسوء فمالى
وقادوهم فى ذل وانكسار ... وهذا شيء ما كان ببالى
من بعد عز كانوا فيه وانطلقوا ... أتاهم من الازمان ويل وزلزالى
أيا ترى ما الذي أوجب لغلهم ... من بعد ماكانوا فى هنا واتصالي
محي الله دهراً ماكان أشأمه ... بعد الاحبة قدساء أحوالى
ليتني لا كنت أعرفهم ... ولا أراهم فى ذل وأنكالى
أو ليتنى لهم كنت فداء ... حتي أفديهم بروحى ومالي
أو كنت معهم في زيد وضامنة ... حى يتم لهم ما كان يجرالى
سألت الله أن يفرج عنا ... ما قد أتانا من ريب واشكالي
وتجمعنا الايام فى دار عز ... وانس وعيش رغيد واقبالي

(قال الراوى) ثم ان الامير صار خلفهم وهو متأسف من ذلك

الاحوال الى ان اتى الى اطرافهم فرآه المقدم حسن الحوراني فلما رآه عرفه فأومى اليه بطرفه وكلمه بالاشارة وقال له فوز بنفسك يادولتلي من قبل ان يحل لك الندم حيث لا ينفع فرجع الامير وقد اصابه لذلك امر خطير ثم سار في الخلوات وزادت عليه الفكر والحسرات وتاه عن الطريق وعدم السعادة والتوفيق وسار لا يعرف الى أين يمضي والى أين يروح هذا وعثمان يقول انا حيمان يا أشقر فيقول له تأني يا عثمان فاني والله سرت حيران ولهافبينما هو مع عثمان في مثل ذلك الشان واذا بالغبار قد ثار وعلا وسد الاقطار وانكشف الغبار عن خيال ضارب لثام مقبل عليهم من ذلك البر والاكام فلما وصل الى عند الامير صاح عليه صيحة مزعجة وقال له هات الغفر فقال الامير وعلى أي شئ اعطيك الغفر قال له على بدلتك وحجرتك وعلى قرعتك فقال الامير والذي لم يكن عنده غفر فقال له يحمى خلاطه مع الفرسان في حومة الميدان فقال له افعل ما بدالك قال جيتك قال الامير وأنا تلقيتك فقال عثمان الديك يبصق في وجه الفرخه فضحك الامير والمقدام من قوله ثم انطبق الامير علي الخيال طبق العدم وتحاربا في وسط ذلك الاكام ولم يزالا كذلك حتي تعب المقدام وتبلبل ثم ان الامير لما رأى منه التقصير مد يده اليه فأخذه أسير فقال الخيال لعلك الدولتلي بيبرس قال نعم ومن تكون انت قال له انا السيل بن ملهب واعلم اني واقف هنا انتظرك خوفا عليك من خوندان معروف لاني من جملة غفار الدروب وقد وصلت الينا الاخبار بانك خرجت من الديار المصرية تزيد الدخول الى القلاع فخشيت ان يتم عليك أمر من الامور فانج بنفسك قبل ان تسكن رمسك فقال له الامير وقد تعجب ولاي شيء يامقدام قال له انزل عن جوادك حتي اخبرك الخبر من أوله الي آخره فتحول الامير من علي جواده وكان قد اطلق المقدام فقال له قبل كل شيء احلفك يمين بالاسم الاعظم انك لم تخبرا احدا من الامم باني قابلتك او

حدثتك او اجتمعت عليك لاني أخاف أن ينادى على الخوندان اذا علم بذلك فأنى مهروق الدماء يصير ذلك الذنب في عنقك فلماسمع الامير منه ذلك اقسم له وشدد الاقسام فقال له روق ذهنك والق سمعك واكثر من الصلاة والسلام على سيد ولد عدنان فقال الامير اللهم صل وسلم وبارك عليه فقال المقدم اعلم اننا كان علينا سلطان يقال له المقدم حجر بن أسد وكان هو الحاكم علينا بعد أبوه أسد فلما تزوج رزقه الله بولدين ذكرين أحدهما يقال له اسماعيل ابو السباع انه كان يألف السباع ويلوف عليهم ويلوفون عليه وقد عرف اشارتهم ولغتهم لكثرة معاشرته بهم وكان أكبر من اخيه الثانى والثاني يقال له معروف بن حجر فلما دنت وفاة المقدم حجر قام في البر يصطاد ويقنص فبالقضاء المحتم انه دخل غابة فرأته لبوة من السباع فظنت انه صياد أتى ليأخذ أولادها ويحرمها منهم فافترست به وقتلته وفي دماه جندلته وكان ولده معروف قد تفرس وتعلم الفروسية والحروب وصار هذا دأبه حتى صار في الحرب لا احد يقف قدامه من الرجال العتاه ثم انه يادولتلى حظر بعض الاتباع بهذه الغابة ودخل اليها يستظل بها وهي فى لحف جبل من جبال اودية القلاع فلما دخل ورأى خوندنا مقتول فتركه وعاد عنه ودخل الى الحصن الكبير واعلمهم بذلك الامر الخطير وكانوا اهل دولته قد استعوقوه فلما اعلمهم ذلك تسارعوا الجميع الى نحو المغار فرأوه قتيل وفي دماء جديل وقد حققوا موته فعرف ولده أن لا أحد يقتله الا لبوة من السباع لانه رأي لذلك علامات كثيرة منها أن أظافر من السباع صغيرة عن أظافر الذكر وان الذكر لا يقتل بنى آدم الا من منحره أو من رقبته أو من رأسه وأما الانثى فانها تقتله من محاشمه أو من بطنه وأيضا انه لم يري فيه جرح خنجر ولا سكين حتى كان يظن انه غدره بعض الاعادى فلما تحقق ذلك الامريكى وأن واشتكي وأنشد يقول هذه الابيات

ان كان قد حق الفراق وراعنا   فلقد شكوت له وانت الجانى

فاكثر من التقبيل عند وداعنا زاد يمدل مسافة الهجران
فجعنا فيك ياسيد الورى وفقدناشخصك ياسيدالاقرانى
خانوك كلاب البر عنوة وأسالوادماك على الثري خلجانى
سآخذ بالثارمن كل سبع ولبوة وأقتل الاشبال بحربتى وسنانى
ولابد أن أعرف من قدحنى وأكافئه بعذلة وهوان
واترك لحمه للطير ملقى واجعل دمه سايل الجريانى
كما قد فجعني فى حبيبي وتركني لاجله حايراً ولهان
واشعل بقلبى حريقا وأوقد في كبدى حرارة النيرانى
وانا اسماعيل المسمي وكنيتى السباع فى الوديان

(قال الراوى) ثم ان اسماعيل بكى بكاء شديد ما عليه من مزيد ثم تقدم بعده ولده الصغير وهو المقدم معروف بن حجر وانكب عليه وجعل يقبله بين عينيه وهو يبكي وينتحب حتى غشى عليه فبعد ساعة فاق من غشوته وقد أبكى سائر اهل دولته ثم انه سار ينعى والده بهذه الابيات وهو يقول

ياتري بعد هذا العبد والبين نلتقي وأشفي فؤادا قدانكوي بتفرق
الي كم اقاسي فرقة بعد فرقة وأري اموراً وعجائباً وغلسق
لقد شاب شعررأسي وساعدى وشاب من عظم التفرق مفرق
وذاب قلبي مذ رأيت فراقكم واحشائي لبعدكم ندوب وتحرق
فيامن حبه في وسط مهجتى مقيماً لم يبرح عليهم تشوقي
ان قلبى وروحى وكل جوارحى عندكم في حبكم لم تطلق
كيف السبيل الى ماقد حل بى وكيف الصبر عن تلك التشوق
زعمتم بان الصبا خان عهدكم فلا كان من خان العهود ولا بقي
فراقكم والله ما كان بالرضى بل القلب من أجلكم متحرق
وسرتم عني وقد تركتمونى ساهر ليلي ثم زيد نقلق

فيامهجتي ذوبي أسا وصبابة ويادمعي شبيه البحار تطفق
فوالله ما كان الفراق بخاطري ولكن هذا تقدير رب خالق
سألت الله يجمع بيننا لأترك الدنيا واكون بكم لاحق

قال الراوي) ولم يزل المقدم معروف بن حجر يبكي على والده حتى غشي عليه ثاني مره وقد بكت عليه سائر الرجال والابطال ورشوا الماء على وجه المقدم معروف حتى أفاق ثم أمروا الرجال فاحتملوه الى داره وغسلوه وكفنوه وواروه التراب سبحان من يدوم له العز والبقاء ثم انهم أقاموا في العزاء تسعين يوما حتى انقضى عزاه وبعد ذلك طلع المقدم اسماعيل ابو السباع الى الخلوات وجمع السباع واللبوات ولم يزل يتجسس ويسأل السباع حتى عرف اللبوة التي قتلت أباه فتحايل عليها حتى قبضها وهي لا تعلم بان الذي قتله هو أبوه ثم انه أوثقها كتاف وأخذها وسار الى القلاع وقد اجتمعت الرجال من سائر الاقطار وأمر بصلب اللبوة على قلعة مهول وأن يحرقوها بالنيران ففعلوا ذلك الامر والشان ثم انهم جلسوا الاثنين مع بعضهم وقد دقت بينهم المشاورة والمشاجرة فامروا باضرام النيران على رؤوس الجبال والوديان فلما اضرموا النيران اقبلت سائر المقادم والفرسان وما زالو حتى تكاملوا سبعة عشر سلطان ولما اختفل المجلس واستقر بهم الجلوس اتفق رأي الجميع على انهم يولوا اسماعيل ابو السباع مكان ابوه لكونه أكبر من أخيه قال المقدم معروف هذا شرط لم يرضني والامر محصور بين شيئين الاول ان أخي ملتحد بالخلوات والجبال والسباع والاشبال وان هو أخذ الحكم على الرجال فما بلغت الينا الاحكام وتذهب السلطنة منا على طول الايام لانه مشتغل بالسباع والهوام والوجه الثاني ان أخي هذا وان كان أكبر فانا افرس منه واقدر والرأي عندي أن يكون أخي كما هو عليه من السباع وانا أكون سلطان القلاع فان رضي بذلك فلا كلام ولا نزاع وان لم يرض بذلك اكون أنا واياه في حومة الميدان وينزلوا الينا

السبعه عشر سلطان فكل من أسرهم عن آخرهم منا صار هو الحاكم على الرجال والشجعان قالوا الرجال هذا هو الرأي الصواب والامر الذى لايعاب فلما تحقق الامر بين الرجال على تلك الاقوال نزل المقدم معروف الي الميدان وكان فارس هذا الزمان وان أخوه لم يكن مثله ولا فى الميدان شكله بل قالوا انه قيراط من ألف قيراط فلا يعد له (ياساده) وقد نزلت السلاطين وطلبوا حرب الاثنين فبرز معروف وأسرهم فى الميدان عن آخرهم هذا ولما رأى اسماعيل ذلك الحرب الشديد والقتال العنيد تأخر عن الميدان وترك السلطنة لاخيه من أجل هذا الشأن فعند ذلك قالوا له الرجال أنت سلطاننا والحاكم علينا ثم أطاعوه أكابر الرجال وقالوا له طاعة الخوند اليك علي مدى الايام والليالى وتركه اسماعيل وسار الي الجبال هذا وقد أخذ سلاح والده المقدم حجر وتقلد به وجلس الى الحكومة وجمع سائر الابطال ونبه عليهم وقال لهم لابد انكم تحضروا ديواني وتسمعوا كلامى وكل من تأخر منكم جازيته علي التأخر عني بغير عذر فاجابوه بالسمع والطاعة وصار يحكم ويأمر وقد عدل فى أحكامه وشاع بين الانام ذكره وسلطانه ولم يزل كذلك حتى تداولت الايام وآن لك الاوان ووقعت لك المعرفة بالرجال والاقران فسار الخوند كلما يسأل عن أحد من رجاله يقولون له هو عند الامير بيبرس فسكت الخوند على مضض منه فلما أعياه الامر من ذلك يادولتلى أراد أن يجمع له جمع فامر باحضار الرجال قالوا له انهم مع بيبرس فى غزوة انطاكية فازداد غضبه وغيظه وأمر باحضارهم في السلاسل والاغلال وما أدرى ماذا يصنع معهم من الاحوال والرأى عندى يا أمير انك لاتروح الي هناك لانى أخاف عليك واخشى من الهلاك قال الامير الآن فهمت القصة والسبب ووقع فى قلبي صحة قولك وذلك الامر العجب ولكن انت تدلني على الطريق وما عليك مني قال له طريقكما من هنا وغطس بعد ذلك فى البر والآكام كأنه ماكان (ياساده) وقد سار الامير طالب حصن

صهيول ولم يزل سائر الى ان وصل اليه فتأمل الامير واذا به يري الدنيا منقلبة واتباع مجتمعة والخيول واقفة تشرب وترعي وعليهم الرجال يخدمونها فسأل بعض الاتباع وقال له هذا حصن صهيول قال نعم قال الامير ياعتمان امسك هذا الجواد حتى ادخل الي هذا الحصن واعود اليك قال عتمان خليك انت عند الجواد وانا ادخل الى خالي معروف قال ياعتمان لا تخالفني قال عتمان وسرها فى مقامها لا بد من دخولى معك وانا اشيل هذه الشكمجيه قال له ومن يمسك الحصان واذا بتابع من الاتباع التفت اليه وقال له ادخل ياسيدى واترك الجواد يأكل ويشرب ويسايس وينام واعلم ان له رجالا معدودة لاجل الخدمة على طرف خوندنا وغب عنه عشر سنين وعد اليه تجده فى غاية الصحة لانه في غفر المقدم معروف بن حجر سلطان القلاع والحصون فلما سمع الامير ذلك الكلام فرح وزاد به الابتسام وتركوا الجواد ودخل الامير وعتمان خلفه بالشكمجيه (ياساده) وقد دخل الامير بيبرس من اول باب الحصن واذا به يرى ديوان محتفل بالرجال والجنود والابطال وهم متقلدين بالشواكر ذات اليمين وذات الشمال فلما دخل صاحوا عليه الرجال من اين والى اين قال لهم قاصد ورسول ومعى كتاب من عند سيد سلاطين بنى آدم من يكتب اسمه على معاملة المسلمين ويخطبوا له على المنابر قال له انت من عند الرجل الكردي الذى حاطط له مقطف على قرعته قال بيبرس نعم قالوا له قف مكانك حتي تأتى أجازة من خوندنا معروف فوقف بيبرس ودخل من الرجال اثنين الى ثانى ديوان اعلموهم بان نجاب طالب الخوند فساروا من أهل الديوان الثاني اثنين واعلموا اهل الديوان الثالث ولم يزل كل ديوان يعطي الخبر الي ديوان حتي وصل الخبر الى المقدم معروف فى سابع ديوان وقالوا ياخوند قد اتى اليك نجاب من عند ملك مصر والشام فأمرهم المقدم معروف بدخوله ومازال الخبر يتواصل من مكان الي آخر حتى اتي

الى عند الامير بيبرس فى آخر ديوان وأمروه بالدخول فدخل وعثمان خلفه حتى قطع الديوان الاول واستقبل الثانى واذا به افوى واعظم من الاول فتصايحوا الرجال عليه من اين والى اين فأخبرهم بانه نجاب فأمروه بالدخول فدخل فوجد الثالث اكثر رجالا من الاثنين ولم يزل الامير يدخل من مكان الى مكان وكل مكان يجده اعظم من الذى قبله وكلما دخل الى مكان تصايحت عليه اهله وسالوه عن حاله حتي انتهى الي الديوان السابع وتأمل فوجد الرجال واقفين صفوف على الاقدام لابسين الظنبوط والشدود مرخين الاسياف واضعين الايادى على الصدور والمقدم معروف جالس وسط الرجال من داخل مقصورة من خشت العاج الهندي وهو كانه القمر اذا تكامل وابتدر ليلة اربعة عشر والرجال عن يمينه ويساره كانهم الكواكب وهم مقلدين بالشواكر والديوان رائق ولا أحد يقدر ان ينطق بحرف واحد فلما وقعت عين المقدم معروف على الامير عند دخوله تصايح عليه بنفسه وصاح بعلو صوته من اين والى اين يابيه فقال له الامير ولم يرتاع من صياحه من عند أمير المؤمنين وخادم سيد المرسلين الملك الصالح فسكت معروف قدر ساعة زمانيه ولم يتكلم بكلمة واحدة والامير واقف على الاقدام منتظر رد الجواب هذا وعثمان التفت الي الرجل وقال عثمان بلغة السياس سلامات يابو جرون الجاموس سلامات يابو دبلتين سلامات يابو عجورتين سلامات يابو هضمه فلا احد يجب عثمان بحرف واحد فقال عثمان مالكم خرسم حنش يكوم الغليظ فيكم ثم تقدم عثمان الى عند المقصورة وتأمل واذا به يري المقدم معروف جالس كانه القمر الزاهر بين الكواكب هو جميل الصورة جميل المنظر والشجاعة لايحة من بين عينيه تشهد له ولا تشهد عليه كما قال فيه بعض واصفيه هذه الابيات

ايا صاحب الجمال الوجيه   قد فتنتنا محاسنك البديعه
وصرنا سكاري من غير راح   لما رأينا من جمالك الخديعة

هيمبني ورد خدك ياحبيبي　　وسرنا نحـط لك الصنيعة
عساك تسمح لنا بالتلاق　　وتنفى عناذا القطيعة
وتجمعنا دار الانس حتى　　نشتفي ياصاح من ذي الوجيعه
وتعود لنا أيام التهاني　　ويا قمر ما لطعته طليعة
ويا كنز قد حوى كل الدراري　　ويا زخر للفقرا المرعيه
انت مقصدي دون كل حبيب　　وأنت مرادي و بغيتي المشيعة
وأنت عمادي وأنت حصن حصين　　وأنت لنا حصنا منيعة

(قال الراوى) فتقدم عثمان اليه وقد وضع الشكمجية بين يديه وقال عثمان سامات ياخان معروف ياللي ماعندك من المعروف ولا خردلة واحدة فى ذلك الوقت ثم تامل اليه عثمان و بكى فنزلت دموعه على خدوده وقد تعجب معروف من فعله هذا وقد قال عثمان ياخال معروف الله يفرح ذاتك ويلطف بك فى القضاء والقدر ويساعدك الله على ما كتبه على جبينك وسطر بالقلم واولداه ياخال معروف والله انت خساره فى ذلك ولكن ما بيدنا حيله ياخال معروف كل هذا يجرى والمقدم يتعجب والامير يشير بعينه اليه يعني تأخر ياعثمان قال عثمان تغمزني لاى شيء خش يكومك فسكت الامير على مضض منه هذا وقد تامل المقدم معروف الي عثمان و بكاه وقد حبه قلبه هذا وعثمان يقول له ياخال معروف انا عثمان ابن الحبلة الذى بيتنا في المراغه والقبر الطويل ولى عبد اسمه فرج في اذنه اليمين حلقة وعلى باب دار نا قنديل انا كنت اخطف عمايم فى مصر ياخال معروف فتبسم من قوله فقال عثمان ماعجبتكش يارجل يامعروف حتى تضحك علينا ولكن مالك ومالى هاهو سيدي بيبرس هو الذي واقف قدامك و بين يديك وهو الذى اخذ رجالك منك وقد لاقوعليه يختنوه وتركوك انت وحياتك كانوا يختنوه وهو بروح لهم فى القلاع واعلم انهم لا بقوا يسألوا عنك ابدا ياخال معروف وان كنت تطاوعنى تقع رؤسهم او تقطع راس بيبرس لانه خاين العهود مثل العقارب فتبسم المقدم معروف من قوله وزاد حبه في قلبه

ثم ان عثمان رجع على ماكان عليه من البكاء وقال له ولداه عليك ياخال معروف الله يلطف بك فى المقدور و بنيلك عليه الثواب الجميل ثم صاح عثمان بعلوصوته هيا يانفيسة العلم تحركى ياخيه وخلي بالك مع خالى معروف اسألى له اللطف الخفي من الله تعالى (ياساده) فلماسمع المقدم معروف من عثمان ذكر بيبرس مع هذا الكلام رفع عينه وتأمله فوجده شجاع وقرم متاع فصاح عليه صيحة منكرة أعظم من الاولى ماأسمك ياهذا وماتريد ومن أين أتيت قال له ولم يرتاع منه أما اسمى فهو بيبرس وأنا نجاب أتيت من مصر من عند ملك الاسلام فقال له المقدم معروف اسمك الاصلى أم لك غيره فذكر له النسب وقال له أنا بيبرس محمود العجمى الخوارزمى الدربندى الدمشقى ابن القان شاه جمك بن لمعة بن طلمة بن حسان ابن ابراهيم بن ادهم ولى الله فسكت معروف قدر ساعة زمانيه وعثمان لم يسكت ثم صاح المقدم معروف صيحه أعظم من الاثنين الاول وقال بعلو صوته روح من قدامي فلم يتأخر بيبرس من صيحته ولم يفزع ولم يرتهق ولم يحصل له أمر يخيل بالمقام فرأى علي رأي من قال

لقد اسمعت اذ ناديت حيا ولكن لاحياة لمن تنادى
ونار ان نفخت بها اضاءت ولكن ضاع نفخك في الرماد

(قال الراوي) ثم قال الامير وهذا كله لاي شيء اروح ما على الرسول الا البلاغ ثم تأخر الامير وقال سر بنا ياعثمان فقال عثمان احنا يطردونا ليش الاكل الذي حطيته يا أخي ولكن أنا جيت حامل هذه الشكمجية وأعود حاملها لاوسرها فى مقامها ثم ضربها عثمان فى الارض فانكسرت فى وسط الديوالا وخرج الذهب ملا الديوان فلا أحد يتقرب اليه من الرجال هذا وقد خرج بيبرس وخلفه عثمان والرجال تصيح عليه روح من قدامي ولم يزل الندا من ديوان الى ديوان حتى وصل الي رؤس الجبال فكل من سمع الندي ينادى به ويقول روح من قدامي حتى ان

جميع الأوديه تقول ذلك القول (يا سادة) ثم أن الامير طلع وركب جواده وقد وجدة في غاية من الامان فسار الامير وعتمان خلفه وقد زاد فكره وتلفه وقال يا عتمان ماذا رأيت في ذلك فقال له سر بنا فسار الامير وعتمان فهذا ما كان من أمر هؤلاء (قال الراوى) وأما ما كان من المقدم معروف فانه بعد خروج الامير من عنده التفت الى رجاله وقال لهم من هـذا فقالوا له لا نعرفه أبدا يا خوند وما رأيناه الا فى هذه الساعة فسكت المقدم معروف ثم انه نهض من مكانه والرجال على حالهم ولا أحـد منهم يتأخر أبدا (يا ساده) وخرج ولم يعلموا الي أين هو قاصد ثم أن الامير سار فى البر فقال له عتمان أنا جيعان قال له الامير يا عتمان صبر نفسك وقوي عزمك واربط بطنك قال عتمان هذا كلام لا أحد يسمعه أبداً أنا جيعان قال له عندك الحجارة والطوب كل ماشئت قال له هو الطوب يتاكل ولكن ذوق أنت طعمه أولا ثم أنه أخذ طوبه من الارض وضرب بهاسيده فجاءت في صدره فاغتاظ منه وطلبه وطلع عتمان يجرى أمامه وهو على أثره فى الخلوات الى مفرق من المفارق واذا بخيال مقبل عليه فقال عتمان انا فى عرضك يا خال معروف الاشقر أتى بي الى هاهنا ومراده يخنتي وانا لم رضيت طلع ورايا يقتلني فاقبل ذلك الخيال الي الامير وقال له عيب عليك تحوش الرجال ولكن جيتك فقال له الامير على مهلك أنا انلقيتك فقال عتمان الديك ينتف فى وجه الفرخه فضحكوا من قوله وانطبقوا على بعضهم كانهم جبلين اصدما أو بحرين التضما (ياساده) ثم أن ذلك الخيال قرع الامـير اللطش الاول والثانى الى أربعة وعشرون لطش كل لطش لو نزل على جبـل اصم لدكدكه والامير يصدها ويردها ولم يبالى بها ثم قال له انت كف بلطى نأخذ ما تعطى فضربه الاول والثاني الي أربعه وعشرون لطش مثـل الذين أخـذهم منـه فعند ذلك قال الخيـال سـلام قال له الامير سلام ثم غطس الخيـال مابان كانه ما كان وكانت هيئه ذلك الخيال انه لابس بدلة سوداء وحصان اسود

وركابه اسود (قال الرواى) فالتفت الامير الي عثمان وقال من هـذا الخيال يا عثمان والله أنه كان مليح وشجاع رجيح قال عثمان هذا عقيرب ثم سار الامير قليل واذا بخيال آخر مقبل عليه ولباسه احمر وفرسه احمر ولثامه احمر فانطبق عليه الاميرسبعة وعشرون لطش كل واحد منهم لصاحبه ثم بعدذلك قال الخيال سلام قال الامير سلام ثم غطس الخيال مابان كانه ما كان قال الامير ياعثمان الحرب بذاته والطوشات بذاتها لـكن الملابس تغيرت قال عثمان يبقى أنت ماتعرفش هذا من ذاك قال لا قال له هذا الولد بياع اللبد قال بيبرس يا عثمان بلا كلام ثم ساروا الي رأس العطف واذا بخيال مقبل وكل ماعليه أبيض وفرسه بيضاء وقد انطبق على الامير انطباق الاسد فتلقاه بقلب اقوى من الجلمود ثم ضربه المقدام أربعين ضربة وهو يصدها ويردها وبعـد ذلك اعطاه مثلها فلما فرغ من ذلك ترجل الخيال من علي جواده فنزل لاميرأيضاًمن على جواده وصاح الخيال تستأهل السلامة يادولتلى على مثلك من ينـاح ويبكى لا على درهم ولا دينار والله يحق للرجال أن يجمعوا بك ويعاشروك ويسيروا الى نصرتك ويهجروني لان فى مثلك يقول الشاعر

من عاشر الاشراف صار مشرفاً ومن عاشر الاجرام ليس بمشرف
الم تنظر الى الجلد الحقير مقبلا بالفم حتى لما كان جلد المصحف

ثم أن المقدم قال لا تؤاخذني بذنبي لان الذي وصفك لى والله ماوصف قيراط من الف قيراط لانه ما انصف فيما وصف وما عرف يوصف ولـكن ضيف يادولتلي

ياضيفنا لو ذرتنا لوجدتنا نحن الضيوف وأنت رب المنزل
الضيف ضيف الله يأتى برزقه يأخذ ثنا أهل المحل ويرحل

قال عثمان ياخال معروف والله انناميتين من الجوع ليس عندك أكل قال الامير استحي ياعثمان قال عثمان ضفناك فقال له معروف دعه يتكلم بما شاء واعلم انه هو

القطب الكبير هذا وقد سار المقدم معروف والامير الي جانبه وعثمان معهما
حتى وصلوا الى الحصن فنهضو لهما الرجال على الاقدام وساروا من ديوان الي ديوان
حتي دخلوا الى المكان الاخير فجلس المقدم والامير الى جانبه وعثمان جلس
قدام الاثنين وقال عثمان سلامات ياخال معروف فقال الله يسلمك ياشيخ عثمان
ثم قال المقدم يادولتلى لاتؤاخذني بما فعلت مع اخوانك فانت أهلا للعفو
والسماح وذلك اني كلما سألت عن رجل من الرجال يقولوا لي هو عند الدولتلى
بيبرس فى حلب أو مصر أو انطاكية فضاق صدرى لاجل ذلك لاني قليل
المعرفة بك ففعلت مافعلت وأمرت باحضارهم من القلاع وخرجت عليهم وقلت
لهم كل من وافا هذا الغلام هرقت دماه وعجلت فناه وهدمت أساسه وطبقت
قلعته علي رأسه ولما آتيت أنت وجري ماجري عرفت انهم يحق لهم ذلك
ومن الآن رجالى كلهم رجالك وهم علي ماهم عليه من الاخوة والايمان وأنا
أريد أن أكون أيضا اخوك فى عهد الله تعالي على مايرضى الله ورسوله قال له
يامقدم شأنك وماتريد فعند ذلك صاح المقدم معروف علي سليمان الجاموس
نقيب الرجال فنهض الى بين أياديه قال له أوثق العهد بيننا فوضع القبضة وقرأ
الفواتح واوثق عهد الله بينهما على انهما اخوان والله شهيد عليهم وبالله المستعان
كل هذا يجري وعثمان يقول أنا جيمانى والامير يسكته فلم يسكت (ياساده)
وقد نزلت المشروبات ونفرقت المحارم ثم قال معروف هات الكتاب يادولتلي
فناوله الكتاب فلما حله وجد الخط الملكي والختم الملكى فنهض على الاقدام
وصاح بعلو صوته سلام الله ورحمته وبركاته فصأحت الرجال سلام ورحمة الله
وبركاته قال ولم يزل السلام خارج من ديوان الى ديوان الى أن وصل الى
رؤوس الجبال فصار السلام في جميع القري والبلدان أكثر من ثلاث ساعات
فتعجب الامير بيبرس من ذلك وقرأ الكتاب واذا فيه الصلاة والسلام على
صاحب المعجزات وسيد السادات وقد قدمنا الذكر في وسط الديوان ثم

انه دعي له فى جوابه باللطف فى المقدور كما شرحنا واعلمه بان الرين حنا استرجاه فى عفير يغفر ابنته بخمسه آلاف دينار ولاجل ذلك فتحنا الغمامة بعد سدها وقال في آخر الجواب كتابى وولدي بين يديك والسلام على نبى تظلله الغمام (قال الراوى) فلما قرأ الكتاب وضعه على رأسه بعد أن قبله وباسه وقال يادولتلى والاسم الاعظم الاكرم الامجد نظرا لاجل خاطرك وخاطر سيدي الملك الصالح لا أحد يغفر البنت الا أنا بنفسى ولا آخذ أجرة غفرها شيء من المال أبداً ولا درهم وهذا المال هبه منى اليك قال الامير وأنا والاسم الاعظم لايتبعنى منه شيء أبداً قال عتمان يعنى انتم أهل كرم وأنا أهل بخل خذوه يا جدعان فلا احد يقدر ياخذ منه شيء بل اتركوه فى وسط الديوان على حاله قال عتمان يا خال معروف العيب كله منك انت لانهم خايفين منك وانت مرادك تصبرحتى نروح وتأخذ انت المال لنفسك قال لا والاسم الاعظم ياشيخ عتمان قال خليهم ياخذوه فأذن لهم المقدم معروف فأخذوه الاتباع ولا احد من المقادم يقدم اليه هذا وقد صاح المقدم معروف على الرجال الاعيان ان صافحوا اخيكم بيبرس فصافحوه قال عتمان يا غارة الله عليك انت ورجالك سوا قل لهم يسلموا على انا الآخر فضحك المقدم معروف وامرهم بذلك فقبلوا يد عتمان قال المقدم سليمان الجاموس ادع لي ياشيخ عتمان قال عتمان جاتك سلمه (يا ساده) وقد أمر المقدم معروف بايقاد النار على الجبال فاجتمعت الابطال وتكاملت السبعة عشر سلطان الشمسية والقمرية والظلية والعلوية والسفلية والهوائية والادرعية والجبالية والخلاوية وقد اجتمعوا عند سلطان الفداوية ثم أمر بالذبائح فنحرت والعزائم لاجل الامير بيبرس فعملت وقال المقدم معروف والرجال مجموعه أشهدكم على يامن حضر هذا اخي من دون البشر فكل من أطاعه فقد أطاعنى ومن خالفه فقد عصانى وأهانى فنادي النقيب بذلك بعد ان سمع من المقدم وعلمت الرجال بكل ما تقدم وساروا فى ذلك الهنا

والسرور مدة عشرة ايام وبعد ذلك استأذن الامير بيبرس المقدم معروف فى المسير فأذن له فى ذلك فركب وركب معه المقدم بنفسه لاجل وداعه ولم يزل سائر معه بطول ذلك النهار ثم أقسم عليه الامير بالرجوع فاعطاه رد جواب السلطان وقال له والله لولا القسم لكنت أوصلك الي مصر وذاك العلم ولكن انا سائر من هنا الى يافه ثم سار الامير وعتمان وراءه طالبين مصر ورجع المقدم معروف الي مكانه وأقام له وكيلا على رجاله واقرانه وجهز نفسه وسار طالب يافه بمفرده ولم يكن معه الا أفراد قليله من رجاله فلما تبطن البر تذكر ما فعل مع الرجال الفداوية قبل ان يعرف الامير بيبرس وتذكر محبته اليه وتذكر قول الشيخ عتمان وماحصل له منه من الدعاء والكرامة وحصول العهد بينه وبين الامير بعد الاحقاد فحمد الله وأثني عليه وجعل يترنم بهذه الابيات

ياطالب حفظ نفسك من غير أهل ... انت والله غادرا ولئيم
لقد طلبت العلا من غير فعل ... وفعلت فعلا قبيحا ذميم
قد حدثتني نفسي بأنى ... سيد الاقران فارسا وكريم
وأطاعوني رجالا وسمعوا مقالى ... وهم عندي كمثل الخديم
ولما عرفوا الامير مضوا اليه ... وتركونى حائراً وغيم
فلما ضاق صدري جمعتهم ... وكان مرادي منهم لذميم
ولم أدر بان الحق معهم ... واني كنت بالامور غشيم
فاراد ربي الخلاق ان يريني ... من الآيات أمر عظيم
حتى أعود عن غى نفسى ... وافعل فعل رجل كريم
ويكون القلب مني سليما ... فلا بأس والله بالقلب السليم
فارسل لى الامير لحيي ... فعلت معه فعل الظلم والتغنيم
فاختبرته فى الحرب حتي ... عاينت منه فارسا ونديم
فصالحته وزاد بقلبي حبه ... واننى من غرامه لسقيم

وامرت الرجال فصالحوه   وسرنا اخونا على التعظيم
وعاهدته عهدا وثيقا مؤكدا   واني والله بالعهود مقيم
لاني وجدت منه فارسا وقرما   ما مثله فى هـذا الزمان عميم
وعثمان حقا قد اتاني   ودعالي باللطف والتكريم
وأمرني بالصبر على جميع البلوى   واني لخالقى في غاية التسليم
واكد القول عندي كتابا   من ولي الله ذا الرجل العظيم
واني سألت الله ان يقبل دعاه   لى ويكون لى ناصرا وتميم
واني مانزلت في الدنيا احامي   عن سيدي واخي وكريم
واخدم نعال الكل حتى   ان يقبلونى خادما أو خديم
فيارب بجاه حبيبك المصطفى   خيرالانام من بالمؤمنين رحيم
تسترعيوبى وذلتي وانكسارى   وتلطف بى عن كل دله عظيم
وتقبل دعاء من قد دعالى   فان قلبى قد حس بالتأليم
ويامن انت حسبى ونعم الوكيل   توسلت اليك بالنبى الكريم
فيارب انت المقدر والمسامح   وانت الخبير وانت العليم
فلا اعتراض عليك فى أمور   قدرتها على عبد فانى ورميم
ولكن نسألك اللطف عند القضا   فانت اللطيف وانت العظيم
ثم الصلاة على خير البرايا   محمد الذى هو للانبياء ختيم
والآل والصحب الكرام جميعهم   ماهب ريح بزع غيب وهشيم

قال الراوي ثم انه سار طالب البرارى وهو ينشد هذه الابيات فهذا ماكان من أمر هؤلاء واما ماكان من أمر الامير بيبرس فانه سار مع عتهان كما ذكرنا فقال لعتهان والله ياعتهان ان هذا الراجل صاحب عز ووقار وديوانة محتبك من أعظم ديوان وتذكار فقال عتهان صدقت لانه مشدود عقيرب فقال له لاتتكلم ياعتهان بمثل ذلك الكلام فوالله لقد ظهر لى منه الكرم والاحتشام والهيبة وعلو المقام ووقع

حبه فى قلبى وتبلبل به خاطرى وابي وزاد به غرامى ووجدى وحمدت ربى على ما أعطاني ووهبني وبمرافقة مثل هذا يكمل سعدى ويذهب عنى غيظي وضدى وانى والله قد زال عني ما كان قد اعتراني من فعاله في الاول لما عاد عن ما هو عليه وتحول فسبحان من لم يتحول ثم أن الامير جعل يشكر لعثمان في معروف ويثنى عليه بما هو اهله وبما من عليه ثم بعـد ذلك أنشد وجعل يقول هذه الابيات

لقـد جـر الزمان بخاطرى — واتاني بما تمنيتـه بسرائري
وزال الحـقد عنى والجفا — وصفي قلـبي للوداد وناظري
واتانى من الرحمن أعظم منـة — قضى حاجتى وازال تسعرى
وصحبت ناساً لايقـال بمثلهم — برؤيتهم تقر عين النواظرى
وبدل الرحمن ذا الهجر باللقا — وصربنا احبا بعدان كناهوأجرى
واختوينا بعهد الله صحبة — من بسدجهدوهجرانوحقدظاهرى
فلا فرق الرحمن بيني وبينه — ولا احر منى شخص هذا المسفري
فبصحبته نلت كل الهنا — وزاد غرامى بحبه وضمائرى
وهذا الذي كنت أرجو من الله — العظيم الـكريم القادرى
لماتقابات مع معروف أول البدا — فظهر لى منـه فعـلا منكري
وخرقت مكسوفاً من عنـده — وظننت أنه لئيم غادري
والتقينا في الحرب مع بعضنا — ثلاث مرار في وسيـع عفايرى
فما أحد فى الحرت قط مثله — وأيضـا هو لى قد كان شا كري
وصرنا أحباء بعد بعد وفرقة — وقد عدنا للحما والحجاير
وأ كلناطعام العزومة بعد جوعنا — وشربنا شراب الحبيب المسكر
وحلفت ايمـان عظـام كريمـة — لاجلى يغفر بنت اللئام الـكافر
فلا احل والله عن عهده — ما دمت فى الدنيا الى يوم الاخر

ولا احرمني الرحمن فى الحي شخصه فانى والله لقد صرت حاير
تمكن حبه بقلبي مع جوارحي واحرقنى بعده وحش ضمائر
فيا نعماه من رجل ما أجله وما ادراه فى حروب الخناشر
فله العز فى الحرب عند اللقا وذكره بلساني لم ازال بذاكر
أهل المجد والجود والثنا شريف الاصل نسل الطواهر
ينسب لطه الحبيب محمد رسول الله الكريم الفاخر
عليه صلى الله ما هب الصبي وارعد برق بغيم ماطر
كذا الآل والاصحاب كامل جمعهم والتابعين اولى العلا والمفاخر
فيارب شفع فينا خير مرسل يوم المعاد بذلك المحشر

(قال الراوى) ثم أن الامير أيضا سار يترنم بهذه الابيات وهو سائر في الطرقات حتى انتهي الي مصر فبينما الملك جالس ذات يوم والرجال حواليه وقد تكامل الديوان قرأ القاريء وختم ودعي الداعي وختم ورقى الراقى وختم صاح جاويش الديوان وهو يقول

ياطالبا للمعالى سلم لمولى الموالى
واترك الدنيا جميعها وباهلها لا تبالى
ودع الامر يجري فكل الدنيا زوال

(قال الراوي) قال الملك آمنا سبحان مالك االمهالك سبحان المنجى من المهالك يا حج شاهين الطير اجتمع بالطير والطيور كلهم كانوا خايفين من الطير فلما حضر الطير تخانق هو والطير وجد الطير اقوي من الطير وصار صاحب الطير وبقوا احبة والرجل قضى الحاجة للرجل هذا والوزير يتعجب من قول الملك ولم يعرف ما معنى قوله واذا بالديوان قد احتجب والامير بيبرس يقبل الارض بين يديه ويقول

يا سيدي انى اليك عبيدا يرجوا الرجاء من سادتي وموالى

ويشي عليكم كل وقت ولمحة   وهو الخديم لكم والموالى
فمنوا عليه بلمحة مع نظرة   فيها يكون من اهل المعالي
انتم أهل العطا والجود حقا   أهل المكارم والايادي الطوال

(قال الراوي) قال الملك أهلا وسهلا ومرحبا بالسعيد اللهم عمر بك الارض والبلاد ماذا فعلت من الامور قال له كل خير ببركة مولانا أمير المؤمنين ثم ناوله رد الكتاب ففرح السلطان وقراه واذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم خطابا من خادمكم ومقبل اياديكم وتابعكم معروف بن حجر قد حضر عندنا عزيز جواب أمير المؤمنين وفعلنا ما فيه من الامور وها نحن خدامكم على طول الامد فلا تنسونا من الدعاء والسلام على نبي تظلله الغمام ففرح الملك وامر الامير بيبرس بالجلوس فجلس في مرتبته (قال الراوي) فهذا ما كان من أمر هؤلاء واما ما كان من معروف فانه سار حتى اتى الي يافة فنزل هناك في بعض رجاله واقام ينتظر البنت مدة خمسة ايام فلما كان في اليوم السادس اقبلت مريم الزنارية بنت الرين حنا فى غليون مستر بستاير بلاد الافرنج وان السبب فى مجيئها عودة الامير وجواب السلطان الذي ارسله معهم وتساروا به ولما أتوا الى ملكهم وأعطوه الجواب اطمأن قلبه وفرح فرحا شديداً وانزل ابنته فى ذلك الغليون وانزل معها شيء كثير من الاموال ومن الجواهر الغوال وذكر لها انها تغمسهم فى جوف ماء العمودية وشخاخ الرهبان وارسل معها مائة بطريق فنزلت بهم فى ذلك الغليون الى أن اتت الى يافة كما ذكرنا ووصل الخبر الى المقدم معروف من الاتباع وقال له سر الى عند ذلك الغليون وقل لمريم الزنارية غفيرك اتى يوصلك من يافة الي الغمامة ويردك الي يافة فاجابه التابع الى ذلك فسار الغليون فلما قرب منه تصايحت عليه النام قال لهم أريد أن آخذ السيده بتاعكم الى الخفير بتاعنا قالوا له سر الى القمرية الكبيره أى من ناحيتها وقل لها ما تريد فسار حتى أقبل على مريم وقال لها قومى كلمى الغفير فها هو قد اتي

يفغرك قال فلما سمعت كلامه و نظرت الي شخصه ضحكت واغلقت باب القمرية وقالت أنت وحش أنا ما أرحل ويا‌ك يا كناس أن كنت أنت الغفير أنا ارجع الى بلادى وان كان الغفير غيرك أرجع أنت وابعث الي غفيري فرجع الرجل وقال لمعروف يا خوند انها ما رضيت تأتى معى وقالت ارسل لى غفيرى يأخذنى بنفسه قال معروف سمعا وطاعة ثم نهض بنفسه على الاقدام وسار الى الغليون ونزل فلما رأوه البطارقة بهتوا نه وتأملوا الى حسنه وجماله وقده واعتداله واذا به على رأي من قال هذه الاعتدال

ايا من حاز كل الحسن طرا ... ويا حلو الشمائل والدلال
ويا من ورد خده قد أصاب ... قلوباً قد رماها بالنبال
جميع الحسن من ترك وعجم ... وما في الكل مثلك يا غزال
ما رأيت مثل حسنك في البرايا ... لقد فقت البدر عند الكمال
ورميتنا بسهام صائبات ... ودلال قد جاءنا بالدلال
يا مليحا حوى الجمال جميعه ... وقده المياس فاق الهلال
فاعطف يا مليحا على محب ... بوصلك ولو بطيف من خيال
حالى فيك زى واقتضاض ... وطاب لمقلتى سهر الليالى
وما أنا فيك أول ستهام ... فكم قتيلا قتلت من الرجال
رضيتك لى من الدنيا نصيباً ... فانت اعز من روحي ومالى

(قال الراوي) ثم ان المقدم معروف سار حتى اقبل الي ذلك القمرية واذابه يرى من داخلها قمرقد تلألأ من داخل تلك القمرية وهي جالسة كانها الشمس المضيئة اذا هي اشرقت على كامل البرية فلما نظرها المقدم معروف كف بصره وأوماً الي الارض وقدأخذه الحياء والانبهات ولم يرفع رأسه اليها ابدا لانه قد رآهاذات حسن وجمال وبهاء وكمال وقد واعتدال كماقال فيها الشاعر هذه الابيات

لقد كستها شمس الضحى بحلمة ... ففاقت بها على كل الخليفة

فلما صبتها همت وجـدا يحبها | وزاد لهيب النار منها بمهجتي
وسالت الاجفان منى عـبرة | وفؤادي غليل بالغرام ومقلتي
حرمت لذيذ النوم جوا وصبابة | وطاب لي سهر الليالى ووحدتى
فـاذا عليها لو أشارت وسلمت | علينا باطراف البنان وأومت
رأيت وجهها فـتهت في | محـاسنها التي عن الحسن جلت
فهى التى قد همت وجداً بحبها | فقالوا انت معزور قلت هى التى
رمتني بسهم اللحظ عمداً وما رثت | لحالى وذلى وانكساري وحسرتى
وكم في الحب مثلي متيما | ولكنني أفوق على العاشقين بلوعة
فانا الذي أصبحت فى يد القضا | وأمسيت مرهونا فى ضرح احتى
ابكى على الف ان لم أرى شخصه | ولم أظهر لـكل الانام بليتي
أضحك والعب بين الانام ولا | يعـلم بحالى غير الغرام ومقلتي
فانا الذى جار الزمان بفعله | علىّ وقد بليت بحسرتى
اصبحت مسلوب الفؤاد متيما | أنوح وابكى طول يومى وليلتي

(قال الراوي) فلما وقعت عـين مريم على المقدم معروف نهضت على الاقـدام وقد أخـذتها منه هيبة عظيمة ووقـع حبه فى قلبها من ساعـة ان نظرته ونظرها فقـالت له انت الغفير بتاعي قال لهـا نعم قالت له مرحبا بك اجلس ياسيدي فجلس معروف وهي شاخصة اليه وهو مومي الى الارض بطرفيه ثم بعد ان تأملت طويلا قامت علي حيلها وأحضرت له الطعام بنفسها وقـد زاد حبه في قلبها وكـواها الهوى والغرام وزاد بها الوجد والهيام نخلعت العذار وقدمت الطعام وقالت له ما اسمك ياغفار قال اسمى معروف قالت له انت معروف ومن اهـل المعروف وأنا أقول ان المعروف منـك وانت المعروف بنفسك فعند ذلك اكل الطعام فقـالت له تشرب بيره قال لهـا أنا لا أحبه من مدة كنت صغير فاسقته الشراب المروق بمـاء الورد

والسكر الابيض فشرب وطاب قلبه وطاب قلب مريم ايضاً ثم امرت وزيرأبيها
بنصب الخيام فنصبت فى وسيع الاكام ونزلت مريم من البحار وقددخلت الخبا
وجلس المقدم معروف على باب المضارب والقبا جلس وسبحته بيده وجلس
يسبح الله الذى خلقه وأنشاه ومن الرزق والموت لاينساه كل هذا يجرى
ومريم شاخصة الي معروف ولم تلتفت الى أحد غيره فلما جن الليل نام
المقدم معروف على باب الخيام والاتباع واقفين بالسلاح عند راسه ولم يزل
المقدم للبم حتى انقضى من الليل نصفه ومريم ساهرة لم يأخذها منام بل انها
خرجت الى عند معروف وأيقظته من منامه بلطافة ورأفة وقالت له من اجلي
تحمل هذه المشقه فلاتنام خارج الخيام بل ادخل الى عندى قال لها ولاي دلك
قالت له اعلم انيماعندي نوم وانت رسمي وغفيري فلاتخالفنى قال لها لاتخافى
فاني قد استيقظت انا ورجالى فادخلي الى مكانك قالت لا وحق المسيح الا
تدخل عندى ثم شددت عليه ومازالت به حتي ادخلته الى عندها فلما جلس
واستقر به الجلوس قالت له ياسيدي معروف اقسمت عليك بحق نبيك ان
تخبرني بأصلك وفصلك وحسبك ومن تكون من المسلمين قال لها ولاى شيء
تسأليي عن ذلك يامريم قالت له اريد ان اعرف من انت قال لها انامعروف
بن حجر بن اسد انا شريف نسبت للامام علي رضي الله عنه اناسلطان الرجال
والله يا مريم لولا ان لك عناية من الله ما اتيت اليك أبدا ولاسبق لمثلك ذلك
من بنات الافرنج يغفرها سلطان الرجال قالت له والله انك سلطان القلاع
قال فلما سمعت ذلك قالت له هل لك بشنينه يعني زوجه قال لها اعلمي
يا بنت ان الكذب عيب ولاسيما مثلنا انا ما تزوجت أبدا قالت له صدقت
ثم انها مازالت معه في كلام وحديث الى ان طلع الفجر فنهض المقدم وصلى
صلاة الصبح وجلس يوحد الكريم الفتاح حتى تضاحا النهار فامر الرجال
بالارتحال فحملوا الاموال والاثقال على ظهور الخيل والجمال والبغال ونزلت

مريم في تختروان ومعروف سائر الى جنبه والحسام فى يده مشتهر ولم يزالوا سائرين الى ان وصلوا الى الغمامة العتيقه القدسية فأمر المقدم بالنزول فنزلوا هناك وضربت الاعلام والسرادق والخيام ونزلت مريم في ذلك الخيام واقامت للراحة ثلاثة أيام ولما كان اليوم الرابع قال لها المقدم هاهي الغمامة ادخلي اليها قال وكانت الغمامة قد فتحت ابوابها وجلسوا فيها الرهبان مثل أصلها غير ان المصالب باقين على ماهم عليه من السدد لم ينفتحوا فنزلت مريم ودخلت الى الغمامة ووقف معروف على بابها فلما دخلت وجدتها مملوءة بالرهبان والاحبار والكهان ثم وجد بعض القسوس معه كتاب وهو جالس في وسط ذلك المكان وحوله البطارقة والرهبان وهو يذكر لهم الكلام الهذيان ويزعم ان هذا علم يعرفه انسان ولا يوجد مثله في ذلك الزمان ولا في سائر الاديان وهو يقول انظروا يا أولادي ما اقل عقل المسلمين الذين يأكلون اللحم الضاني ويتركون لحم الخنزير ويأكلون الجبن الطرية ويشربوا المش الحصير ومن قلة عقولهم يتركون شراب الخمر العصير فلا تفعلوا يا أولادى مثلهم ولا تقولوا بقولهم قالوا له سمعنا كلامك فاقرأ لنا شيئا من علم القربنية او القريضة فقال لهم سمعا وطاعه أعلموا يا أولادي ان القريضة أصلها من الارض لانها من الفول والفول من أين قالوا من الارض كذلك الزيت والحمص والملح والفلفل والوقد وكل شيء دخل فى القريضة فهو من الارض قالوا هذا يا أبي علم القريصه واسع قوى قال لهم والقربنيه أيضا من الارض ولكن اسألكم عن اثنين القريصه من قرصها والقربنيه من قربنها قالوا الله لا نعلم قال لهم القريصه قرصها المقرص والقربنيه قربنها المقربن قالوا صدقت واذا بمريم أقبلت على ذلك الراهب وقبلت يده وجلست فنظر اليها الملعون نظرة أعقبته الفا وخمسمائة حسرة لانه رأى ذلك الحسن والكمال والبهاء والقد والاعتدال فغاب عقله وبلبل خاطره ولبه ومسك جياده بيده

وترك الناس الذي حوله والتفت اليها وقال لها انت ايش يافليونتي المسيح يرضى عنك وعن بطن حملتك فقالت له يا ابي انا مريم الزناريه بنت الرين حنا صاحب جنوى قال لها اهلا وسهلا فما الذي تريدي قالت له يا ابي رأيت حلم قال لها قولي لي عليه وانا افسره لك لان عندي كتاب تفسير الاحلام عن سيدك زراره العريان وكرسوم البردان قالت له انا وجدت نفسي في واد احفر اقفر مافيه من الماء ولا قطرة فعطشت فضاقت نفسي من شدة العطش فسرت فرأيت بحرا أشد بياضا من اللبن واحلى من العسل وانا في شدة الظمأ فأخذت منه بيدى غرفة وشربتها فلما استقرت فى جوفي برد لهيب قلبي وزالت عني حرارة الظمأ وتيقنت ان روحي عادت ثم اني تكرعت بجانب ذلك النهر فخرجت من فمي ذبابة سوداء قدر النحلة وسقطت الى التراب والتهبت بالنار وانا انظرها بعيني ثم اقبلت نحوى ذبابة بيضاء فدخلت في فمي فابتلعتها وقد استقرت في جوفي ولم تفزع نفسي منها وازداد حبي فيها ثم تأملت في ذلك البحر فرأيت مركب فنزلت فيها وتعديت الي البر الثاني وطلعت من المركب فرأيت نفسي في واد وسيع ذات انهار واطيار وانهار كثيرة الماء فاتيت تحت شجرة عالية ورقدت تحتها واذا بالهوي قد هب على فارتفع ذيلي ونزل على طير من اعلا ذلك الشجرة فنقرني بمنقاره في كشتواني فكبرت بطني وخرجت منها طير ابيض صغير ففرحت به واردت أن العب به واذا بطير اسود قد انقض على وأخذه مني وطار به في الهوي حتى غاب عن عيني فجعلت ابكي وانوح عليه حتى اني انتبهت من منامي ولذيذ احلامي فهذا ما رأيت فقال لها انظرى يافليونه إما الواد الاحفر الاقفر الذى مافيه من الماء قطرة هذا واد احفر اقفر مافيه شيء والواد الاخضر هذا دين الكرستيان والبحر الذى شربت منه هذا جرن ماء العموديه وشخاخ

الرهبان والمركب التى تعديت بهافهو الفليون الذي اتيت فيه من بلادك والذبابة التى خرجت من فيك سوداء هذه ذبابة سوداء خرجت من حنكك والذبابه البيضاء تدل على قبول زيارتك والطير الذي نقرك بعنقاره فى كشتوانك فانا اقوم انقرك بالوطى واحب لك البركه فلما تممت ذلك منه علمت ان هذا كله هذيان لكنها سكتت فقال لها اللعين قومى معى الي بيت المذبح والتمسى مني البركه فقالت اصبر على قليل حتى ازور جرن ماء العموديه واطهر ثيابى واتى اليك على غاية من امرى فقال لها اعلمى أني بقالي أربعين سنة لا رفعت الماء علي جبادي وانا لا اغسل وجهي الا بالبصاق ولا اتطيب ابدا فان شممت رايحتى تجدي مايسرك ويشرح خاطرك فلما سمعت ذلك نهضت قائمة على حيلها وناولته كفا علي وجهه بيدها وتركته وطلعت جارية فتبعوها اللئام يريدون القبض عليها وهم يصيحون كيف تضرب الراهب الكبير فلا يجوز لك ذلك ابدا ارجعي اليه وقبلي يده ورجله والا يغضب عليك فلم ترسفريعينك ارجعى حتى تزوري خراء الرهبان وشخاخ القسيس فقالت لهم وهي على حالها فى الذهاب حصل المراد وما زالت تجري وهم على اثرها الى ان جاوزت باب القمامة ودخلت من داخل بيت المقدس فتراجعوا عنها اللئام وهم يلطمون على وجوههم ويقولون الفيلونه دخلت جامع المسلمين فقال لهم البترك اتركوها فانى قد غضبت عليها فهذا ماكان من أمر هؤلاء وأما ما كان من أمر مريم الزناريه فانها صارت تتامل فى الجامع فرأت الاستاذ النووي وصحبته أهل العلوم وهو يقرأ العلم والطلبة حواليه فاقبلت الي جنب واحد منهم وقالت له هذا بترك المسلمين فصاح عليها وقال لها قبحك الله يا ممقوته يا قبيحه تقولى على الشيخ بترك وكان الشيخ سمع كلامها فناداه الشيخ ياشيخ مرفع قال نعم قال له ماالذي يتوجب عليها اذا هى قالت بترك

المسلمين أما تعلم انها جاهلة بأمرنا وأسمائنا ولكن قول لها انت ماتريدى من بترك المسلمين فقال له الآخر وأنا أقول بترك المسلمين فقال له السيخ قل لها عن لساني فانى قد أمرتك بذلك فقال لها ماتريدي من بترك المسلمين فقالت له أنا رأيت منام فاخبر الشيخ بذلك قال له قل لها تلتف بهذا الشال وتأتى خلف ظهري وناوله شاله حتى ينقضي الدرس واسمع منامها واقول لها عليه قال لها ذلك فامتثلت وجلست خلف الشيخ وقد وقع كلام الشيخ بقلبها ولذ بعقلها ولم تزل تسمع حتي قال الاستاذ والله أعلم ثم التفت اليها وقال لها يابنت خير يكون ان شاء الله فاخبرته بالمنام الذى تقدم ذكره قال لها ماشاء الله كان اعلمى أن الوادي الاقفر هو دين الكفر وقد انقذك الله منه وأما الوادى الاخضر فهو دين الاسلام وكذلك الذبابة السوداء وهى دين الكفر وقد خرجت ظلمة الكفر من قلبك والذبابة البيضاء التي راحت في فؤادك هي كلمة الاخلاص ياسعد من عليها توفى لو وضعوا جميع الاكوان فى كفة وهى فى كفة مارجح الا هى وهى قول لااله الا الله محمد رسول الله واما السفينة هى سفينة النجاة وأما الطير الذي هو من أعلا الشجرة هذا رجل كبير على رجال أشراف يتزوج بك في الحال وتأتى منه بذريه صالحة ولكن تربى بعيداً عنك وهذا تأويل منامك والعلم عند الله تعالى فان أردت السلامة فاخلصي النية لله تعالى واسلمي عسى انك من العذاب تسلمى وان لم تطاوعينى فها أنا فسرت لك منامك فامضى الى حال سبيلك قالت له ياسيدي والذى يسلم يقول ايه قال لها يقول كلمة خفيفة على اللسان ثقيلة فى الميزان وهي أن تخليصى نيتك وتقولى قولا حقا مخلصا صدقا اشهد ان لااله الا الله واشهد ان محمدرسول الله لامغيرين ولا مبدلين حتى نلقاك وانت راضيا علينا يا اكرم الاكرمين فأسلمت البنت قلبا ولسانا وجوارح واعضاء وزاد نور وجهها بالاسلام وهدأ روعها وانفتح قفل قلبها وقبلت يد الشيخ وهو قبل راسها ودعا لها ثم قال لها الشيخ

غطى وجهك لان الحياء من الايمان فسترت وجهها هذا وقد نهض رجل من الطلبه يقال له الشيخ ربع جريد وقال له يا مولانا جيتك خاطبا راغبا لا تردني خائبا في هذه البنت المسلمانية وانا أعطيها نصف جرايتي ونصف المقطع القماش وانا آخذ نصفه الآخر من راس السنة الي راس السنه قال لها يا سيدتي هل تريدي ان تتزوجي بهذا الشيخ ربع جريد لان له كل يوم خمسة ارغفه جراية انت اثنين ونصف وهو مثلك وله مقطع قماش في كل عام كل واحد منكما له نصف قالت له انا ما احب هذا وبعده قام الشيخ ركن الدين وخطب أيضا فلم ترض وكذلك دارع الدين وغيره فلم ترضى ثم ان السيده مريم الزنارية قالت للشيخ يا سيدي انا مرادي أتزوج بهذا الرجل الذي جالس بعيد وعلى رأسه هذا البرنس واشارت للشيخ على المقدم معروف بن حجر وكان معروف قد دخل الى الجامع يريد الصلاة فصلى وجلس يسمع الدرس ومريم في الغمامة وقد جلس وكفى برنسه على راسه وجري ما جوي حتي انها نظرته واشارت للشيخ عليه فنظر الشيخ لواحد من الطلبه وقال له يا شيخ قال نعم قال له امضي الى هذا الرجل الجالس وقل له اجب الشيخ قال سمعا وطاعة ثم سار اليه وقال له يا سيدي قال معروف نعم قال له أجب الشيخ النووي قال سمعا وطاعة ثم نهض معروف وأقبل الى عند الشيخ واذا بالاستاذ نهض على الاقدام واخذه ملء احضانه فباس معروف يده وقبل الشيخ رأسه وصدره وقال له لعلك معروف بن حجر سلطان القلاع والحصون قال نعم يا سيدى قال له وعزة الله ما اخبرني بذلك الا جدك المصطفى صلى الله عليه وسلم وما قمت الا اكراماً لك وانما عند أقبالك هب على نور النبي محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم وسار بيني وبينك ففرح معروف بذلك البشري وجلس الشيخ وجلس معروف الي جانبه فلما استقر به

الجلوس قال له اعلم ياسيدي ان هده البنت قد أسلمت وأمرها الى الله سلمت وأقرت لله بالوحدانية ولمحمد بالرسالة وطلبتك الى الزواج فماذا انت قايل (ياساده) فلما سمع معروف ذلك الكلام تغيركيانه وامتزج بالغضب وقد احمرت وجنتاه وتوقد بالاحرار وردتاه فنظرت اليه السيدة مريم وقد زاد حبه فى قلبها وكان هذا اكبر سرها وبلوغ مرادها ثم ان معروف اعلم الشيخ بالقصة من أولها الى آخرها وكشف له عن ظاهرها وباطنها وكيف ان أخوه اتاه لاجل غفر ذلك البنت وكيف ان الملك أرسل له من أجل ذلك قال له الشيخ يا ولدى لاتطيل الكلام فانا الذى اكتب لك كتابها وأعطيك معك فتوة تكون لك سلاحا لكل من عارضك وأنت تعرضها على الملك الصالح أيوب فان ابطلها وعزة الله ابطل رجاءه باذن الله ثم ان الشيخ التفت الي السيدة مريم وقال لها تريدي من وكيل في عقد نكاحك قالت له انت الوكيل في جميع اموري قال الاستاذ وأنا رضيت بذلك ثم قال لمعروف امهرها فأخرج من جيبه عقدين من الجواهر يساوى كل واحد منهم خمسة آلاف دينار وقال له خذ يامولاى هذا مقدم الصداق فقبله الشيخ منه وأعطاه اليها وعقد الاستاذ العقد وصح النكاح (ياساده) وقد قالت السيدة مريم ياسيدي اعلم ان كل ماأتيت به معى من مال ونوال وجواهر غوال وهذين العقدين منى اليك هبة كريم لايرد في عطاه تنفقهم على اهل العلم والطلبة والفقراء والمساكين وتدعوا لنا بالخير فشكرها الشيخ على ذلك وكتب له الفتوة وذكر فيها ماقولكم دام فضلكم في بنت من بنات اللئام هداها رب الانام الى دين الاسلام فآمنت بالله تعالى حق الايمان وتركت عبادة الاصنام والصلبان وتزوجت رجلا من أهل الاسلام فهل يكون ذلك حلال أم حرام افيدوا الجواب ولكم الثواب ثم كتب الشيخ بنفسه جواب الافتا قال الحمد لله وحده حيث ان الله تعالى هداها للاسلام ونجاها بفضله من ظلمة الاوهام فينبغى لها الاعانه والمباعده والاجتهاد فى دين الاسلام والتسهيل في

الاحكام ويجب على كل مؤمن ان يشكر هذه الفعال والاحسان ومن نال عليها في ذلك الاحكام فعليه من الله اللعنة والانتقام ثم اعطاها الاستاذ الي معروف بعد ان كتب اسمه عليها وختمها فأخذها الشيخ وقبل يده وأمر السيدة مريم ان تلتف في شال ولاتخرج مثل مادخلت ففعلت ماأمرها وامتثلت ثم أخذها سار الى باب المسجد وأشار الى الوزير فأحضر التخروان فاتى به اليها فركبت وأرخت الستاير من كل جانب ودار وسار المقدم معروف وقد فرح بذلك أشد الفرح لكنه خائف من التعب ولم يزل سائر الى أن اتي بين ثلاث طرق طريق بيت المقدس وطريق قلعة يافه وطريق حصن صهيول فصاح معروف في رجاله يارجال سيروا بنا الى الحصن قال له الوزير بتاع أبيها ولاي شيء ياسيدي دعنا نأخذ بنت الرين ونمضي من هاهنا قال له المقدم وهذا عيب حتى تأكلوا ضيافتي وتحضروا عزومتي فساروا وهم فرحين مستبشرين فلما وصلوا الي الحصن تعلقت التعاليق وطلعت السيدة مريم الي اعلا اماكن ورارت الافراح والكفار يرقصون ويلعبون ويأكلون وهم في طغيانهم يعمهون ولا يدرون ماالخبر مدة ثلاثين يوما فلما كانت ليلة الزفاف دخل المقدم معروف على مريم فرآها تنجلي كانها غصن بان على كثيف من الزعفران فلما رآها وهي على ذلك الحال كما قال الشاعر في صفتها هذه الابيات

غزال أتى يخجل البدر قده ... ويزهو على الغصن الرطيب تعجبا
فاقت كل الغصون وازهرت ... تلك النواحي والرياح ترحبا
والراح والريحان من قدها ... والغصن الكثيب من شذاها ترطبا
فيالها من لجينة ماوصفها ... في بلاد الشرق حتى المغربا
اصابتنا بسهام لحظها ... حتى كدنا ان نموت ونعطبا
وعيونها ابدت لنا الدعج ... كل الامان الا ان تغضبا
وريحها الفادو الياسمين والندي ... والعنبر الخام منها تصببا

تمـايلت عجبا وتيها وانثنت فزاد بقلبي الحب منها تلهبا
ياحياتي كوني اسمعيني ويا روحي افرحي بالمكسبا
ويا قمري اذا غاب الدجي انت عندي مثل بدر الكوكبا

(قال الراوي) فلما نظر اليها القـدم معروف تمـكن ايضـا حبها منه ومالت اليـه ومال اليهـا وقـد رأته أحسن منها قـدآ واطول منها شعرا واكحل مهنا عينا لانـنا قدمنا ماهو عليه من الحسن والجمال والبهاء فرأته على رأي من قال هذه الابيات

اقول لاهيـف اذا ما مرتيها واعرض تسوة عني ومالا
واعجب بالميل عجبا واثنى وارشقنى من غنجه بالنبالا
تعطف يامليح على محب تحيل مدنف يرجوا وصالا
واحسن له وتحـنن عليه واطفى من قلبه اشتمالا
فانه والله امسي قتيـلا واصبح في ذلة واشتغالا
فانت المراد له دون البرايا وانت المحب وانت الغزالا
فاسمـح بوصلك الآن حقا عليك هذا قال لالا
واقسم لا أذال على التجافى الى ان يعود به خيالا
فواعجبـا أريد وصال ظبى تفوز قد رأى هجرى حلالا
ولـكنني جعلت فداه روحى واهلي والفؤاد والمـالا
فدعه يجرعنى بهجر وتيه فعذابي فى الحب له حلالا
يابديع الجمـال انت حبيبي وانت بغيتى والدلالا
عساك بعد الهجر تسمح لمدنف فيك يريد الوصـالا

(قال الراوى) فلما نظر اليها رآه على ذلك الحال وهي ايضا قد رأها على ما ذكرنا من الـكمال والدلال فضمهاه الى صـدره فقبلت يده ورأسه ثم خلعا

ملابسها فبان ذاك الردف الثقيل والخصر النحيل والقد الاسيل فسال من المقدم معروف مالا يسيل من السلسبيل ثم أنه دني على البرج المشيد بتلك الحسام الشايد فهز ذلك البرج وفتح الشباك ونزل الدما على الافخاذ والاوراك وتمتع بحسنها وجمالها ونالت ما كانت تأملته فى سرها وقرت عينها وتمكن المدفع الغضبان من هدم تلك الجدران وقد تفتحت أعضاءها باذن خالقها ومولاها فحملت من وقتها وساعتها وما زالوا فى بؤس وعناق ولمسة بعد اخراق وحرب شديد وطعن أكيد من العشاء الي الصباح وقد يقال ان المقدم معروف حاسب تلك الليلة على عشرين قشاط ولما أصبح الله بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح نزل المقدم معروف وجلس على تكة وأحدقت بين يديه كواخيه ورجاله وجعلوا يهنوه كامل أحبته بما وصل اليه فبينما هو كذلك واذا بالوزير تقدم اليه وصحبته البطارقة وقال له يا سيدي معروف، كتر رب المسيح خيرك فقد اكرمتنا وحيرتنا فاعطينا بنت الرين ودعنا ننداربالامان قال له معووف يامعلم انت عاقل والا مجنون قال له ياسيدى أنا عاقل قال له سر من هنا الى عند الرين حنا وقل له بنتك اسلمت وأمرها الي الله سلمت وتزوجت بالمقدم معروف سلطان القلاع والحصون وما هى على دينك قال فلما سمع اللعين ذلك من معروف قال له واى قالت كلام المسلمين قال له معروف نعم يامعلم قال له وبعد ذلك تزوجت بها قال له نعم فصرخ اللعين وقال كالمت الا كليل عليها قال ودخلت عليها ليلة أمس فلما سمع اللعين ذلك أرمى القلنسوة من على رأسه ولطم علي وجهه وقال له خرقت التنور قال نعم وهي الآن قد صارت زوجتي وأنا بعلها قال له اللعين اسمع يا سيدى انت تضنع جميل وتسد الكشتوان مثل ما كان وتعطينا بنت الرين قال له هذا شيء لا بقى يصح أبدا لان كل شيء ينسد الا هذا الخرق اذا انفتح لا أحد يقدر يسده أبداً قالوا له اعطينا بنت الرين والخرق لم يضره شيء لان اللؤلؤ لا يغلوا الا من

بعد الثقب ونحن نأخذها و ننداد بالامان وان كنت لم تفعل بذلك فاقتلني لاجل انى استريح لانى لم اقدر أروح لابيها أبداً من غيرها قال معروف أما الشرط الاول فلم أرض به وأما الشرط الثاني فأنا أبلغك مناك وضربه بذات الحياة علي هامته فصار قطعتين فتصايحت اللئام تأخذ بنت الرين وتقتل الوزير فقال لهم وأنتم كذلك اذا لم تسيروا الي حال سبيلكم نخرجوا من عنده وهم يلطمون على وجوههم ولم يزالوا سائرين الى يافة ونزلوا في الغليون وطلبوا جنوه هذا ومعروف مقيم فى أرغد عيش مع مريم ولم يبالي بأبيها ولا بغيره فهذا ما كان منه وأما ما كان من اللعين الرين حنا فانه جالس في بعض الايام واذا باللئام عليه طالعين وهم يدعون بالويل والثبور وعظائم الامور فلما رآهم قال لهم ماالخبر قالوا له بنتك اسلمت وتزوجت معروف سلطان القعور والسخور ودخل عليها وفتح التنور وحط الحياد في الكشتوان وعمل ماتعمل الرجال في النسوان وقتل الوزير ولولا هزبنا من بين يديه لكان الحقنا به فلما سمع اللعين حنا ذلك صاح صيحة عظيمة حتى كادت روحه أن تخرج منها وأرمى الحدية من على رأسه ولطم علي وجهه ومزق ثيابه وصاح واى ياطول معادي من الكرستيان أنا كنت مربيها لبالوصى بعد أن تموت أمها ثم أنه اشتد به الغضب فضرب رقاب البطارقة فى عاجل الحال ثم بعد ذلك جعل يتفكر فى أمره وشأنه فكتب كتاب وأرسلة الى الملك الصالح أيوب مع أربعة من اللئام فأخذوه وساروا طالبين مصر (يا سادة) فبينما الملك جالس فى بعض الايام واذا بالديوان استد بأربعة أنفار وهم يقبلون الارض بين يديه النبي فاز من يصلي ويسلم عليه قال الملك انتم ايه قالوا له من جنوه قال وما معكم من الاخبار فأخرجوا كتاب قال الملك اقرأ الكتاب يا قاضى الديوان فحله وقرأه واذا في أوله صليب وآخره صليب وعنوانه صليب خطابا من الرين حنا الي بين أيادى رين المسلمين يارين المسلمين أرسلت بنتي تحت أمان المسيح وأمانك ياخدها

معروف ويستلمها ويعملهـا خوناقه ويحرمنى منهـا وانا مربيهـا لحيادى
بعد موت أمها فحال حضور كتابى اليك ترسل لي بنتها كما أخذتهـا منى شكرا
يامسيح والســلام فلماقرأ القاضى الـكـتاب نهض على الاقـدام وقال يا مولانا
السلطان هذا الرين حنا قدجمل بنتة تحت أمان الله وأماتك وانت سلمتها الى
بيـبرس أعطيت له الامان بذلك وكلام الامان تمام وانت اعطيت له زمامك
وامانك وانت فاخذها وسار وقد اتفق مع سلطان القلاع فاخذها وتزوج بها
وطرد الشام وقتل الوزير وقد اضاعوا أمانك زومامك وان هذا شيء لا يصح
أبدا وان هذا الغلام اتي من بلاد العجم دسيسة ويريد ان يفسد ملـكك فانت
تكذبنى ولا تصدقني ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فهذا الغلام يقتل قتله
بعدقتلة وان كان يعظم عليك قتـله انا أعطيك من مالى وصلب حالى وزكاة عن
قلبى ومحبة فى دين الاســلام والمسلمين عشرة مماليـك وعشرة خيول وعشرة
أكياس من المال وانت يا أبيك عليك بمثلها امض يا ابا احمد قال الملك يا شاهين
يحل من الله ان بيبرس ومعروف يضيعوا كلامى وزمامي ويفعلوا هذه الفعال
ويتفقوا مع بعضهم ويسلموا البنت ويأخذها معروف ولكن هات يا قاضى المال
انت وأبيك خلينا نلمس آذان الاثنين والسلام فارسل القاضى واتى بهم في الحال
فلما أخذهم الملك قال ياشاهين سبحان الاول والآخر الرجل ما بقى معه شيء ابدا
واما الرجل شوكته قوية وكل من ابطل قوله ابطل الله رجاءه لان المثل السائر
يقول الذي يكون على خير هنوه وبشروه بالسلامه والويل لمن مال عن الحق
عزوه وقولوا له يالله السلامة يا شاهين من الذى يقدر يمانع في أمر الله تعـالي
قال الوزير يا مولانا وما معني ذلك الـكلام قال له انا راجـل عبيط وانت
عاقل لا تأخذ على في كلامي ارسلوا لنا خبر الي بيبرس يحضر لما نحقق هذه
الدعوى فارسل الوزير الي الامير فأتى على عجل وطلع الى الديوان يقبـل
الارض بين يدي الملك قال الملك أهلا وسهلا تعالي يا سيدي بيبرس قال نعم

قال أما تدرى بالذى جرى قال الامير لا وحق راس مولانا السلطان فأعاد عليه القصة من أولها الي آخرها وكشف له عن باطنها وظاهرها قال يا مولانا السلطان والله لا أعلم بشيء من ذلك أبدا قال الملك الامر في ذلك مفوض الى القاضى قال القاضى هذا الغلام يلزمه حضور البنت مثل ما تسلمها وها هوخطه وختمه والحجه التى عليه بانه ضامنا كافلا لكل ما يقع من اخوانه الفداويه قال الملك أنزل يا بيبرس هات لنا البنت أو هات لنا معروف ابن حجر حتى ننظر ما الخبر واذن لم تأتنا بمعروف أو بمريم ملصت آذانك فأجابه بالسمع والطاعة ثم نزل الامير بيبرس وهو مشنير قال له عثمان ما الخبر فأخبره بالقصة من أولها الي آخرها قال عثمان وسرها فى مقامها الحق بيد خال معروف وسوف تسمع بآذانك وتري بعينك قال الامير ياعثمان الملك أمرني باحضار البنت أو معروف قال له لا يضر بشيء سر بنا على بركة الله تعالى قال يا عثمان لابد من هدية يهدى بها الي معروف قال عثمان خذ له ثمنة فسبخ قال الاميرقل لي يا عثمان على الحق قال عثمان اذا قلت لك تطاوعني فى الذي اقول لك عليه قال الامير نعم قال عثمان أحلفك بالمبرقعه فحلف له بذلك قال عثمان خذ له بدلة مولود صغير قوي وخذ فيها مطوة صغيرة وحزام صغير وابرة وشوية مرسين ولفة صغيرة واجعل ذلك كله فى بيت صغير من الجلد واعطيه لمعروف ومعروف يعطيه لزوجته ويأمرها الا تنام ولا تقوم الا به ولا تفارقه ابدا لانه لابد ان يحصل لذلك سبب واي سبب وحق من علي العرش احتجب قال فلما سمع الامير كلام عثمان تعجب منه واهداه الله حتي طاوعه واحضر له ما طلب وفعل تلك البدلة الصغيره وكللها بالدر والياقوت ورصعها بانواع المعادن وجعلها فى بيت من الجلد وعمل له علاقة من الحرير واخذ عثمان وسار طالب الحصون

(قال الراوي) فهذا ما كان من أمر هؤلاء واما ما كان من أمر المقدم معروف بن حجر فأنه فى بعض الايام نزل الى الديوان وهو منزعج الحواس متغير

الخاطر فتقدم اليه المقدم موسي بن حسن القصاص وقال له ياخو ندما الخبر قال له يا موسى زوجة الخوند حصل لها مرض شديد فلاجل هذا اصابني ما تراه من الغم قال يزول الشر يا خوند قال له خذ هذا الكتاب واذهب به الي الشام وائتني بطبيب من ارض الشام يكون ماهرا ويكون يدرى بالحكمة قال له سمعا وطاعه ثم انه سار كما امره فغاب وعاد بطبيب له اربع غلمان فلما دخل عليه أمره بالجلوس فجلس قال له يا حكيم زوجتي مريضة قال له اذن لها ان تأتي خلف الباب وتمد يدها فاجس نبضها فعند ذلك امتزج بالغضب المقدم معروف وقال للحكيم والاسم الاعظم لولا انك مسلم لقطعت رأسك ولكن انظر شيئا غير ذلك فقال له قل لها ان تطلع الي مكان عالى وامرها ان تدلى حبلا الى ونمسكه بيدها اليمنى وتمسك بيدها اليسري عصاه وتضرب بها على شيء من النحاس وأنا بأمر الله تعالى اعرف داءها ودواءها قال له المقدم معروف سمعا وطاعة ثم انه ترك الحكيم وطلع الى السراية وصاح علي جارية من الجوار وقال لها امسكي هذا الحبل وقفي هاهنا وافعلى كذا وكذا كما علمه الحكيم فوقفت علي رأس الحكيم من اعلي ودلت الحبل اليه وضربت بعود علي صحن من النحاس (يا ساده) فلما سمع الحكيم الضرب ونظر الى الحبل شخص الى طرف الحبل ببصره وصغي باذنيه وضحك ضحكا عاليا والمقدم معروف يراقبه واذا بالحكيم صاح وقال يا سلطان القلاع والحصون دع عنك هذا واترك المجادله والمحاولة وذع هذه الجارية تسوي لنا الغذا فى المطبخ فانها لم تكن المقصود قال فلما سمع معروف منه ذلك علم انه ماهر فى الحكمه واتى بزوجته مريم واوقفها مكان الجارية ومسكها الحبل وامرها ان تهزه فهزته فصاح الحكيم يكفي ذلك يامقدام اعلم ان هذه البنت تغيرت عليها الاهويه لان هوى ارضنا ما هو مثل هوى جنوه وان دواها قريب وذلك أنك تنظر اليها مكانا منفردا معتدل الهوي وتجعلها فيه مدة ثلاثة

أشهر وتميدها الى هاهنا ثانيا بالصحة والسلامة فقال له هل يناسبها دير الشقيق قال له نعم يناسبها ذلك لكونه على جانب البحر المالح فأجابه الي ذلك ثم أنعم عليه فانصرف شاكرا له وذهب الى حال سبيله فهذا ما كان منه وأما ما كان من أمر معروف فانه صاح على عماد الدين بن اخته فأجابه بالتلبية فلما حضر أقامه مقامه وقال له هاأنت مقامى هاهنا حتي أعود من أشغالي التي عرضت لى وأوصاه على الرجال فأجابه أيضاً لذلك ونزل المقدم الي مريم وجعلها فى تختروان وأخذ معه ما شاء من الرجال وسار بالجميع طالب دير الشقيق ولم يزل سائر الى أن وصل الي هناك فانزلها في الدير وجلس على بابه والخدام بين يديه وأفرد لها أيضاً من يتكفل بخدمتها فهذا ما كان من أمر هؤلاء وأما ما كان من بيبرس فانه سار طالب حصن صهيون فلما وصل اليه نزل يستريح وسلم على الرجال ولم يجد معروف فسأل عنه الاتباع فذكروا له أنه توجه الي دير الشقيق وذلك لان زوجته أتاها مرض وتغير عليها الهوي قال لهم لا بد أن أسير اليه وانظر ماالخبر ثم ركب ومعه عثمان وهم يجدون المسير الى دير الشقيق فلما وصلوا الى هناك تلقاهم معروف وسلم على الامير بيبرس وأمر الضيافات فذبحت الأغنام وقد عملوا الضيافة هذا وقد أعطاه البقجة وأمره أن يسلمها الى زوجته مريم وأوصاه بما أوصاه به عثمان وحلفه على ذلك وشدد عليه فأطاعه وطلع الي زوجته فلبستها من وقتها وساعتها ولم تدر ما فيها الي أن يأتي ذكرها ونتحدث عليه ان شاء الله تعالي (يا سادة) ولما جن الليل جعل الامير يتحدث مع معروف فقال الامير ياأخي بالله عليك أنت الذى أرغبت مريم فى الاسلام وجذبت قلبها الى طاعة الملك العلام أم هى التى هداها رب الانام ومن أمرك بالزواج وكيف أنك قتلت الوزير بتاع أبيها وكيف كانت هذه القصة فقال له اعلم يا أخي أني لا تقربت اليها أبداً ولا سألتها فى حرف واحد من الكلام وانما هي التى هداها رب الانام الى

دين الاسلام وفعلت بنفسها هذه الفعال بتوفيق الملك المتعال وباقي القصة قد أرخ عندى فى هذه الحجة فخذها بيدك وراجعها حتي تقف على حقيقة الحال ثم أن المقدم معروف أخرج الفتوة التى تقدم ذكرها وعرضها عليه فحلها وقرأها فوجد فيها كلما سأذكره من الكلام فقال الامير وقد تنهد لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم والله يا أخي ان هـذه الحجة علي الحق المستقيم ورضى رب العالمين ولكن اعلمك بأمر آخر وهو ان الرين حنا أرسل الى امير المؤمنين يعرفه بذلك ونسب الامر كله اليك وقد ذكر له جميع ما جرى من القصة وتحرك القاضى وتكلم في حقى وحقك بما لا خير فيه وقد أتيت اليك حتى اكشف الخبر ويظهر الامر على الاثر ويظهر الحق ويبطل الشك يا أخى لا عليك فى هذا الامر ملام ومن الرأى أنى أعود الى أمير المؤمنين وأعرض عليه هـذا الامر بالتمكين ودعه يرسل الي هـذا اللعين الرين حنا ويعرفه قدره ويرغم أنفه ويذله فقال له المقدم معروف ان كان الامر كذلك فأنا لا أحوج أمير المؤمنين الى التعب ولا أكلفك انت لا آخر عما لا تطيق ومن الرأي أن أسير بنفسى الي هذا اللعين وأأتي به الى بين يديك تفعل به كما تريد والسلام فقال له الامير لقد قلت الصواب ونطقت بما لا يعاب ثم أن المقدم معروف قال له يا أخي القي بالك من المكان ومن السكان حتى أصل الى هذا اللعين ابن اللئام ثم ركب حجرته وسار من وقته وساعته وترك بيبرس فى دير الشقيق مع الاتباع والكواخي فى غفر زوجتـه ولم يزال سائر الى يافة ووقف ينظر المراكب فلم يرى مركباً سـائرة الي محل ما يريد فتضايق المقدم معروف وصار ضيق الصدر لانه ترك الامير وترك رجاله ومضى ولم يتيسر له ما يريد

(قال الراوى) ولم يزل علي هذه الحالة الي أن أقبل الليل وظهرت النجوم ونامت العيون وتجلى الحي القيوم والمقـدم تقـدم الى شاطيء النهر وتوضأ

واحسن الوضوء واستقبل القبلة وصلى ما عليه من الفرائض وتنفل ببعض صلوات لله تعالى الملك الباسط القابض ودفع وجهه الي السماء وأنشد يقول

أشكوا أمرى للذي خلق الورى ... وسبب الاسباب بالاقدار
وكون الاكوان تجري فى حكمه ... وزين الاغصان بالازهار
وخلق الخلايق من تراب ... ودبر الاشياء بالمقدار
وعلم ما في الصدور باسرها ... وماأعلنت وأسررت من الاسرار
علم السر والنجوى سواء ... ويعلم ماتحت التخوم من ازار
ويعلم ربى كربتى وبليتى ... وماحل بى من الوجد والاضرار
توسلت بالهادي الحبيب محمد ... والآل والصحب والانصار
والتابعين والمحبين وكل من ... له نسب واصل الى الانحار
تسهل اموري ياقريب بمنة ... وتجبر كسرقلبى على الآثار

(قال الراوى) فاتم المقدم معروف دعواه وتضرعه الى مولاه حتى هاج البحر وازبد وماج وارتعد وظهر من وسطه سلوة من الحرير الاخضر بمقدافين من الجريد الاخضر وداخلها عنبر ملون والذي يعشق النبى يصلى عليه ولم يزل ساير اليه وهو يقول هذه الكلمات

أنا كلى في الشرق ... حالى في الغرب غريب
من نجد يلوح البرق ... نبقى فى حال عجيب

الصلاة والسلام عليك يا هادينا الصلاة والسلام عليك يامهدينا الصلاة والسلام عليك يا شافع فينا يارسول الله السلام عليك ياسيدي معروف بن حجر بن أسد انت اسمك ايش فقال له ياسيدى وعليك السلام من انت الذي من الله علي بك من السادات الكرام فقال له انا الرجل الفقير الى الله تعالى عبد الله المغاورى قم انزل معي الي جنوة فى سلوتى هذه فقال له ياسيدي ان المركب صغيرة وأخاف اذا نزلت فيها اسير الي بطن البحر فقال له تتسع

بقورة الله تعـالى ليس بقدرتى فقام ونزل وتوكل على الله تعالى هذا والاستاذ قال ان لله رجالا اذا شالت حواجبها قضيت حوايجها يقول للسلورة ان ترسى الى جنوة بقدرة الله تعالى فلم يشعر معروف الا وقد أرست على جنوة بقدرة الله تعالى في لمح البصر هذا وقد قال الاستاذ اطلع ياسيدى معروف الى البلد تحت الصور وصيح وقل في صياحك انت فين ياصاحب الوقت فانه يأتيك غلام أسمر حلو المنظر كالقالب السكر فاذا هو أقبل اليك فلاتخف ولا تفزع بل قل له ياولدى قدأرسلني اليك عريفك التي قراك فى الكتاب ويقول لك هات الامانه التي هي عندك ولا تسأله عن حاله ولا من هو ولا عن شيء أبداً لان من استعجل على شيء قبل أوانه عوقب بحرمانه فقال له معروف سمعاً وطاعة ثم انه سار الى المكان الذي عينه له وصاح انت فين ياصاحب الوقت واذا قد أقبل عليه غلام جميل الصورة حلو المنظر لطيف الشمايل حسن اللقا والمقابلة خفيف الروح وهو يغلي على الارض مثل القدر الذي يكون على النار كما قيل فى حقه هذه الابيات

جميـل قد أفتتنا بحسنه ... حتى أقبل الينا يهتز بالعجب

له لحاظ كم افتكت منه رجال ... يضرب مثل السهام والقضب

ياله من جميل ما رأيت مثله ... فى مشارق الارض والغرب

ولا يشابه فى الانام كشكله ... فى رومها والعجم والعرب

له الامان فى كل يوم يأته ... من سلطان المحبه والحب

لو أتى يرفل فى توب عزه ... لاخجل الاغسان والقصب

(قال الراوي) فلما رآه المقدم معروف قال له بعد ان سلم عليه ياسيدي عريفك الذي يقريك فى الكتاب يسلم عليك ويقول لك هـات الامانه التي عندك له فقال له سمعاً وطاعة قف مكانك ثم غاب عنه لحظة صغيرة وعاد اليه بجمدان مظرر وناوله له فتعجب من سرعة ماأتاه به وماهان علـيه ان يتركه من غير سؤال فقال له ياأخى ماسمك قال له ياأخى اعلم انى اخاف ان اخبرك

باسمى يضربنى على ذلك عريفي الذي أرسلك اليَّ لانه هاهنا الآن خلفك فعندها التفت المقدم معروف لينظر ماالخبر فلم يرى أحدا من البشر فعاد الى الغلام فما وقع له علـيه خبر فزاد عجبه من ذلك وأخذ الجمدان وسار به الي عند الاستاذ قال له جبت الذى سلمك اياه قال له نعم ولـكن ياسيدي من هوهذا قال له الاستاذ ولاي شيء تسأل عن ذلك فاخبرني بمافعلت معه فأعاد على الشيخ ماجري فقال له يامعروف اعلم انهذا اخيك ورفيقك ومن احب الناس اليك وهذا هوالذي ينفعك في كل شدة وضيق والنافع هوالله تعالى وهذا هو الذي يصير النصر للاسلام على بديه وأما أنت فلاتعجل لانه لوكان بيدى شيء لفعلته معك ولـكن أنا أسأل الله ان يلطف بك في ماقدر عليك وسطر على جبينك بالقلم فانزل ياسيدى معروف وخذ هذا الجمدان واعلم أن فيه الكافر حنا وهو مطلوبك فسر فقد بلغت مرادك والسلام

(قال الراوي) ثم تقدم الاستاذ الى المقدم معروف وقال له هيا بنا هذا الحصن فيه الكافرين فنزل المقدم وأخذ الجمدان والاستاذ قدف أول قدفة وقال سبحان هاديه وقدف الثانية وقال سبحان مهديه والثالثة وقال سبحان من يعـلم بمـافيه واذا به قـد أقبل الى بلد الشام والي المكان الذي نزل منه فقبل يد الاستاذ فقال له الله يهون عليك العسير ويلطف بك فى المقدور ثم ان الاستاذ غطس من ساعته كان لم يـكن به ماكان فهذا ماكان منه قال واما ماكان من أمر هـذا الغـلام الذي قابله وأتاه بالجمـدان فيقال في بعض الروايات انه كرامة له لانه ملحوظ من الاستاذ القادري ورواية ثانية وهى الاصح ان الاستاذ قبل مجىء معروف الى هذا المكان سار الى هذه العلامه فى المنام وأمره أن يفعل هـذه الاحـكام ويحضر هـذا اللعين فى هذه الايام حتي يأتى من يأخذه منه واصل الامارة بينه وبينه هذا اللفظ الذى ذكرناه

وهو استاذك الذي قراك في الكتاب فلما أن أتى معروف وأعاد هذه العلامة عليه عرف انه هو الذي أوعده به الاستاذ في المنام فسلمه الجمدان وكان من ساعة أن انتبه الاستاذ من نومه وقضى الاشغال ووقف كما علمه الاستاذ خلف الاسوار الى أن صاح عليه المقدم معروف فهذا كان الاصل والسبب وسنرجع الى ماكنا فيه من تمام كلامنا قال الحكيم فهذا ما كان من امر هؤلاء وأما ما كان من المقدم معروف فانه لما تودع من الاستاذ ركب حجرته وأخذ الجمدان وصار يجد السير الى أن أتى الى دير الشقيق وسلم على الامير بيبرس وقال له يا أخي خذ هذا اللعين وسر به الي أمير المؤمنين يفعل به كلما يريد ثم سلمه الجمدان فتعجب الامير غاية العجب وقال له يا أمير وكيف فعلت وما أظنك الا كنت محضره عندك في بعض الاماكن حتى يأتي من يطلبه قال لا يا أخي وعزة الله قال الامير وما الذي صنعت وأنت ماغبت عني الا سواد الليل قال له قد صار من أمري كذا وكذا ثم أعاد عليه القصة من أولها الى آخرها وكشف له عن باطنها وظاهرها وكيف انه قابل ذلك الغلام وكيف اتاه بذلك اللعين قال له اعلم يا أخي اني أنا الآخر قد صار لي ملك في القسطنطينيه في نوبة ميخائيل وهو هذا الغلام ولا بد ان يظهر هذا الغلام ويتضح لنا ولكن الانام على طول الليالي والايام ثم انه بعد ان استراح المقدم معروف أمر الامير بحل أزررة الجمدان فحلوه وأخرجوا اللعين حنا وقد وجدوه مبنجا وأعطوا له ضد البنج عطس فاق وصاح أنا فين قال له الامير انت عندي يالعين أنت الذي كتبت الي ملك الاسلام وتذكر له اني أنا الذي حسرتك على ابنتك وأغويتها والحقيقة انها أسلمت على يد الشيخ النووي شيخ الاسلام بموجب هذه الافتا والاحكام وذلك انك تقول اننا احنا تربصنا لابنتك وأخذناها بلا حديث ولا كلام وهي قد أخذها معروف برأي شيخ الاسلام ولكن يامقدم معروف دعني اسير بهذا اللعين الي ملك المسلمين حتى يقتله وينهب أرضه ودياره ولا يبقى على وجه الارض شيئاً من آثاره قال له المقدم معروف هاهو بين يديك دونك واياه فهم عليه الامير

وارد ان يوثقه كتافا واذا بالعين صاح بملء راسه انا فى عرض سيدى معروف بن حجر قال معرف يأخي يابيبرس اكرمه لاجل خاطري فان المثل الساير يقول

الناس يكرموها للناس والباز يكرم لام فويق
انـا سمعنـا كلام لاجل الورد ينسقى العليق

وأنت اكرمه لاجل خاطرى قال الامير لابد من سيره الي ملك الاسلام قال له المقدم اذا كان الامر كذلك ولابد ممـا ذكرت والحال على ماقد وصفت فانا اسير معكما وذلك لاجل حاجتين الاولى لاجل عرضى والثانية لاجل نسبي وأنا أعرف انك فى ذلك الامر معزوز وان أمر الملك مطاع مافيه غرور قال له الامير هو كما وصفت ياأخي ثم ان المقدم ركب وركب الامير الى جانبه وجعل الاتباع غفرا على مريم وهى في دير الشقيق وساروا يجدون المسير ويقطعون البر الغفير ان اقبلوا الي مصر والزين حنا معهم فى الجمدان فهذا ماكان من أمر هؤلاء وأماما كان من ملك الاسلام فانه فى بعض الايام ظهر وجلس على تخت ملكه وقد احدقت حواليه رجاله وجنده ولما تكامل الديوان قرأ القارى وختم ودعى الداعى وختم ورقي الراقي وختم صاح شاوبش الديوان يقول

لله الامر يدبره فاترك أحزانك وانشرح
ودع التبير لخالقه لاتتعب نفسك واسترح

(قال الراوى) قال الملك آمنا سبحان مالك الممالك سبان المنجي من الشدئد والمهالك ياشاهين لابد ان الحق يظهر ويبان وينصرنا الله على الاعداء والايام ولابد ان الحق يعلى ولا يعلوا عليه ياحاج شاهين الطير قابل الطير ورام الطير وقد قابل الطـائر والطير أرسله الى الطير واعطى له الطير الاسود والطير كان مراده ينقره بمنقاره ولكن الطير مصاحب الطير والطير لم يرض يسيبه أبداً قال الوزير ومامعنى هذا الـكلام قال له اعـلم اني رجل عبيط فلا تلومنى على كلامى قال فبينما الملك يدندن ويتكلم بذلك الـكلام واذا بالمقدم معروف يقبل الارض

بين يدي السلطان وصحبته الاميربيبرس وقد دعواله بدوام العز والبقا واذالة الغم والشقا قال الملك أهلا وسهلا بالمقدم معروف بن حجر بن أسد سلطان القلاعين والحصونين انت اسمك ايش قال له حقا نثبت لاولياء الله الكرام (ياساده) ثم ان الملك نهض وتلقاه وسلم عليه سلام الاحباب ودعى له بالنصر والقبول وأجلسه الي جانبه وجلس بيبرس بعد الاستئذان ولما استقر بهم الجلوس قال الملك ياسيدي معروف وعزة الله مابيدنا حيلة أبدا ولكن انا اسأل الله ان يلطف بك في المقدور لانه جرى القلم من القدم على الامر لما حكم لاراد لقضا الله ولكن ياسيدي معروف انت من الذي أذن لك انك تتزوج بهذه البنت وهي فى غفرى تحت يدي ومستلمي وان هذا الرجل القاضي القى الفتة بيني وبينك وقال هذا ماهو خائف منك ولا محترمك ومافعل ذلك الا وهو عند ابيك ولكن وعزة الله اناما أصدق كلامه أبداً فلما سمع المقدم معروف ذلك الكلام قال له خذ ياأمير المؤمنين هذه الافتا قال الملك سلموها للقاضى لانه يعرف الاحكام الشرعية فاعطوها للقاضى قال له الملك اقراها وافتى لنا بكل ماتقدر عليه من الاحكام فقراها القاضي وقدانكتم لوقته وكاد ان تنفطر مرارته وقال ياأمير المؤمنين من أبطلها أبطل الله رجاه قال الملك والحق لمن قال ياقاضي قال القاصى الحق مع المقدم معروف بن حجرسلطان الاشراف وكذلك الملك بيبرس لم لهما ذنبا فى ذلك الامرأبدا وان الاسلام هدية من الله تعالى على من أراد من عبيده قال الملك ولاى شيء يكتب لى هذا اللعين ماتقدم ذكره قال القاضى هذا رجل قبيح ممقوت مضروب بجلود الادباغ لها وهى جلود القردة والخنازير هذا اللعين يقتل قتلة عظيمة فلما ان سمع الملك من القاضي ذلك الكلام التفت الي بيبرس وقال له لوكان لك سعد كنت أتيت بهذا اللعين حتى كان يسمع كلام القاضى قال المقدم معروف يادولاتلي اعلم انى ماأتيت الى مصر حتى أتيت به معى وهاهو خلف باب الديوان سامع كلام القاضي قال

الملك الله يامعروف والله قد اصبتم فيما فعلتم ارسلوا احضروا اللعين فعند ذلك صاح الامير بيبرس ياعثمان فطلع الي عندهما واللعين معه فى القيود والاغلال فلما اوقفوه قال له الملك من مثلك يكتب لي بمثل ذلك الكلام ويتحكم على بارسال ابنته اليه بعد الاسلام ولكن لابد ان اعاتبك واقتص منك كما فعلت هذه الفعال ثم صاح الملك على غلمان الديوان فلما حضروا قال لهم خذوا هذا الملعون اضربوه بسبع جرائد وخذوا منه سبعة انصاف فضة قال له الوزير هذا لا يصح ياملك الاسلام ان هذا هو الرين حنا صاحب حنوى الصواب قتله وراحه الاسلام من مكره وشرة والا يشترى نفسه بالمال قال القاضي كما امر السلطان قال الوزير اسكت ياقاضي ولا تتكلم فيما لايعنيك قال الملك والله اني لا اخالف الوزير ابداً لافى اقواله ولا فى افعاله ثم صاح الملك ان اضربوا رأسه ففي عاجل الحال رموه فى نطعه الدم فصاح اللعين بملئ رأسه أنا فى عرض سيدي معروف بن حجر سلطان القصور والسحور فقال الملك لاجل خاطر سيدي معروف اكرمتك من الموت ولكن تشتري نفسك مني بالمال قال القاضي حق دمه خيراً من قتله قال اللعين انا اورد ثلاث خزن من المال قال الملك ومن الذي يضمنك قال القاضي انا الضامن والكفيل فى ذلك قال الملك ياقاضى وانت أين تعرفه قال القاضى انا احبسه عندي حتى انى آخذ منه المال هذا وان اللعين لم يعلم بان القاضي جوان فدفع القاضى المال وأخذه وسار الى منزله آخر النهار ولما ان استقر به الجلوس خلع القاضى ماعليه من الملابس فظهر من تحته ملابس الكفار ودخل على الرين حنا فلما رآه تعجب منه وقال له انت مين قال له انا جوان فقام له الرين خنا وسلم عليه وقبل يديه ورجليه وقال له يابونا ولاى شيء أنت عامل قاضي المسلمين وتترك اولادك المساكين قال له لاجل هذا الولد الزنا وتربيه الامه الخنا بيبرس فامضي ياولدى الى مكانك واسرع لى بالمال واقرضني عليه خزنة مال حتى اتعاون بها على قتل

بيبرس فقال له يابونا ارسل معي غلامك وانا ارسل لك المال الذي بمصر فسارا اليه الغلام واتاه بالمال في الحال وبعد ان سلمه المال بالتمام سار البرتقش معهما ولم يزل مسافرا حتى اتى الى يافه وقال له ارجع انت وسلم على مولاك وخليه يدعي لى وسلمه هذا الكتاب فاخذه البرتقش وعاد وتوجه الرين حنا الى بلاده فهذا ماكان من امر هؤلاء وأما ماكان من البرتقش فانه عاد بالرسالة الى استاذه جوان فلما ان وصل اليه ناوله الكتاب ففضه وقراه واذا اوله صليب وآخره صليب والعنوان عليه الصليب ويري خطابا من الرين حنا الى بين ايادي ختم الملك جوان اعلم انى ارسلت بنتى تزور الغمامة وتعود بالسلامة فاخذها معروف وعملها ضيافة وانا كنت مخليها لبالوصي بعد موت امها وبعد ذلك سرقني معروف وارسلنى الى رين المسلمين وحطيت ثلاث خزن مال افديت بهم نفسى ومانابني الا اسلام بنتى وموت وزيرى ورجالي وضياع مالى وبهدلتى مع المسلمين وانت ايضاً اخذت مني مال ولكن وحق دينى وماعبد من ملة يقينى اذ لم تسرق بنتي وترسلها الى عندي والا ارسل الى رن المسلمين واعلمه بحقيقة حالك واخليه ياخذ مالك ويسفك دمك والسلام قال فلما قرأ اللعين المكتوب خاف على نفسه خوفا شديد ماعليه من مزيد وكتب كتابا واعطاه الى سيف الروم وقال له ياولدى لسير بهذا الكتاب الى دير الزيتون وسلمه الى نعنع اميلي يعطيك مائه بغل محملين قماش فخذ القماش وسر به الى دير الشقيق وانزل تحت الدير عند الغروب واوسع العليق للبغال فاذا نظروا اليك الاتباع يقولون لك انت ايش فقل لهم انا تاجر في بلاد الناس وصلت الى هاهنا ابات تحت امان الله وامان سيدى معروف ابن حجر واسترح من الم الاسفار واسير بعد ذلك الي حال سبيلي ثم انك ياولدي تنظر معروف قد حضر فتدخل عليه وتقدم له هدية سنية وقل له ياسيدى اريد ان تعطيني من عندك جرابا اسير الى حصن صهيون

ليلا خوفا من احد يطردني أوأحد يتعرض لى فاذا أعطاك الورقة خذها منه وسر بالبغال حتى تتبطن فى البرارى والقفار وسلم البغال الى القاطرجيه يسيرون بهما الى عميلى نعنع واصبر على قدر مسافة الطريق ومزق ثيابك وعود الى معروف وأنت صارخ فادا رأوك الاتباع يحملوك الى معروف فاذا سألك قول له نزل علي عماد الدين وطلب مني الغفر فسلمت اليه الورقة وقلت له الغفر وصل الى صاحبه سيدي معروف وهـذه رسالته اليك قال لى انا لم اعرف معروف ولا غير معروف ثم انه اخذ متجرى ومتاعى وسرق ثيابي وقال امضى وحكى على ماجرى وتكلم بكل مابدا فهججت على وجهى حتي أتيت اليك فاذا هو يا ولدي سمع ذلك الكلام لايقدر ينظر اليك بعينه من شدة الغيظ ولايتمالك ان يقول شيئاً بل انه يركب وهو فى غيظه ويطلب حصن صهيول فسير معه وانت تقول له ياسيدي من جملة ماقال لى ان الرجل الذي يتزوج ببنات النصارى لم له على الرجال من سبيل ولا على السلطنة دليل وان السلطنة لم تكن الا للاشراف ولنسل الرجال العفاف فاذا رأيته وقد انتهى الى وسط الطريق فاظهر انت السيار والقلب وسير على مهل وان أراد أن يركبك فاظهر له انك لم تقدر على الركوب فيتركك ويمضى هو ويقول لباله يأتي هـذا على مهله فاذا سار وحده وطلب هو حصن صهيول تعود انت الى دير الشقيق واسرق البنت من هناك وأوصلها الي أبوها شكرا يامسيح والسلام فقال له البرتقش لا خاب من سماك جوان هـذا وقد سار البرتقش الى دير الزيتون ودخل على زنعنع وفي بعض الكتب سمع لعلع وأعطاه الكتاب فاحضر كلما أراد وفعل كلما علمه عليه جوان وسار طالب الي دير الشقيق فهذا ماكان من امر هؤلاء قال الحكيم وأما ماكان من المقدم معروف فانه بعد ان اقام يومه عند الملك ونزل مع أخيه الامير بيبرس فأقام عنده مدة ثلاثة أيام وقال له اني أريد ان أتوجه الى دير الشقيق لاني تركته كما تعهد فيه زوجتي

فأذن له في المسيرفسار الي أن وصل الي هناك وكان وصوله قبل مجيء البرتقش بيوم وليلتين قال ولما ان استقر قراره اقبل البرتقش ونزل تحت الدير ومنع كلما قدشاء وكره عمله عليه جوان وقدم الهدية وأخذ التذكرة وساربها ووجه البغال مع القاطرجيه وعاد صارخا الى معروف وهو يدعوا بالويل والثبور وعظائم الامورفلما رأوه الاتباع علي ذلك الايقاع حملوه الي معروف فلما رآه سأله عن حاله ومالذى جرى له وقد أخذه القلق وزاد به الغيظ والعنق فقال له يامولاى قد أهانني ابن أختك عماد الدين وفعل معي ماترى وأخذ كلما كان معى وقال لي ان الرجل الذى يهون بنات الكفار ماله على السلطنة تذكار ولاله عند الرجال مقام ولا تذكار وها أنا مقيم في القلعة عاصي عليه ولابد من ارسال اموري اليه ولابد اني اقتله واملك مكانه وابعده واذله واوهنه وانا سلطان القلاعين والحصنين فلما سمع منه معروف ذلك الكلام غاب صوابه وعظم التهابه واظلمت الدنيا في عينيه ولا بقى يعرف مابين يديه وحمله العنق والغضب والقضا على انه يترك هذا الرجل فى الدير ويمضى هو بنفسه في ذلك الامر فقال له خليك هاهنا لاتبرح حتي أعود اليك واوصي الرجال ان يقوموبخدمته وتركه وسار قاصد حصن صيهول هذا والبرتقش فى الدير فهذا ماكان من أمر هؤلاء واما ماكان من امر اللعين جوان فانه سطر كتابا يقال فيه خطابا من عالم الملة اعلم يارين حنا انني أرسلت اسرق ابنتك واعيدها اليك وسوف ادبر علي بيبرس وآتي به الي عندك وأمشيه قدام جوادك ومالك الا الذى يسر خاطرك ولا بد من حضور بنتك اليك وانا بالي معك ولكن حال حضور جوابي هذا بين يديك ترسل العياق بتوعك الاثنين برجالهم معهم أولاد اختك الى اسكندرية يتنططوا فيها ويسرقوا منها نقود فلا بد ان تشكى الناس الى باشة اسكندرية ولا بد ان يرسل الى السلطان فاذا وصل ذلك الى الملك اشور عليه بانه لم يظهر الفزع الا بيبرس وانزل انا معه

بنفسي واذا وصلت الي اسكندريه قبضت عليه وارسلته اليك شكراً للمسيح ثم ختم
الكتاب وأعطاه الي بطريق من حارة الروم وقال له سر بهذا الى الرين حنا فسار به
اللعين من ساعته ولم يزل ساير الى ان اقبل الى جنوه وسلم وناول الكتاب الى الرين
حنا ففضه وقراه وفهم معناه وفرح فرحا شديدا ماعليه من مزيد وفى عاجل الحال
أنعم على ذلك البطريق ونزل الى حال سبيله ثم أحضر اولاد اخته ماتون وبراميل
واعلمهم بما قال عليه جوان فجهزوا انفسهم وساروا طالبين اسكنـدريه وكان
القاضي الذى فى اسكندريه نصرانى من اتباع حوان فساروا الى هنالك فهذا ماكان
من امر هـؤلاء واما ماكان من امر معروف بن حجـر فانه لعب به القضاء
والقدر ودخلت عليه المكايد والحيل لما سبق فى علم الله القديم الازل وذلك
انه مازال ساير الى ان وصـل الى قلعـة صهيـول وترك الرجال وطلع الي
عند اخته وسلم عليها وقال لها هـذا يصح من عماد اني ارسل اليه تذكـرة
من عنـدى بان النفـر قد وصلنى فيهملها وينهب المتجـر ويبهـدل الرجـل
وينادى على معـزول واعلمى انى اذا فعلت معه امر يخـل بمقامه فـلا يبقي
لك على مـلام قال فلما سمعت منه ذلك قالت له يااخى اعـلم ان ولدي له
مدة شهـر وهو مريض بالحما البارده ولم نزل الي رجال ولا عنـده خبر بهذه
الاحوال وهاهو مشتغل بنفسه وما قد اصابه من العيا الذى كاد ان يسكنه
رمسه ولـكن لابد ان امضى بك اليه وتشاهد ماحل به وما الذى جـري
عليه ليكـون بريئا من هذه الفتنة قال لها معـروف وقـد ضعف فـؤاده
وتوقـدت النـار فى احشائه واكباده لابد من ذلك فنهضت أم عماد الدين
معه وسارت به الي عنـده فرآه كما ذكرنا لا يقـدر على النهوض ولا الحركة
بل انه ملقي يرتعـد فلما رآه على ذلك الحال ضاق صـدره وحار في امره
هـذا وقد انتبه عماد الدين لما سمع صوت خاله قال الحمـد لله بالسـلامة
ياخال قال معـروف سلمك الله ياعماد هل اتي الي هاهنا رجـل تاجر

وأوصل اليك تذكرني وقال لك كذا وكذا وأنت فعلت كذا وكذا قال لا والاسم الاعظم ياخال ولكن الحق حقك والامر امرك وامضي من وقتك فهذه حيلة قد عملت عليك فادرك البنت ياخال فان ليلا يسرقوها منك والي ابوها يوصلوها وتعهد أنت بحضرتها فعند ذلك دبت الحمية في رأسه واتاه عقله وأساسه وقال والله لقد صدقت يا ابن الاخت ثم انه بكى بكاء شديد ماعليه من مزيد وركب هو وقد حس قلبه بالفراق وسار طالب البر وفؤاده يتقلب على الجمر وهو ينعي على نفسه ويرجى حاله ويشكى الم انعابه والفراق بهذه الابيات

اتانى مالم يكن في حسابى ... وضل عقلى وزاد التهابى
وتحكم القضا المقـدر عنى ... واحرمني نظرة الاحباب
واعترانى البلاء عميت عيونى ... وضاع وزرى وزال اكتسابي
وبليت باشرار قوم اعادى ... لعبوا بعقلى بحيلة ونصاب
اطلعت قولهم لاجل قضاء ... قد قضاه على مسبب الاسباب
اتانى تاجر فى يوم نحس ... طلب الامان بالحي والاطناب
فاكرمته وأثقت بقوله ... وتركته من داخل الارحاب
ومكنته مما يريد بنفسى ... وذهب عقلى وونى بكل ذهاب
وشكي لى عماد الدين بغير حق ... وتقول اليه مقالة الكذاب
فسرت اليه فى شر وحنق ... واردت هلاكه بغير ارتياب
فرأيته فى الارض ملقا ... مريضا يشكو بالراس والاجناب
وذكرني بان هذا احتيالا ... فمدت وقلبى زايد الالتهاب
وقد علمت بان هذا صحيحا ... وقد تمكن الاعداء من الاحباب
فيارب دبرنى على مااصابنى ... وصبرنى يارب علي ذا المصاب
وهون على الصبر بفضل منك ... ومنة ورحمة ومتاب
وحقق ظني فيك يارب العلا ... بجاه نبى سيد الاحباب

فانى توسلت اليك بجاه من أجار الغزالة من العذاب
والال الكرام وتابعيهم وأهل بيته مع الاصحاب
تكن لى مغيثا ومنقذ فانت الحليم مسبب الاسباب
انت العليم بشكوتى وماقداهابني من شدة وعذاب

(قال الراوي) ولم يزل معروف ينشد الاشعار وهو يبكي بدموع غزار وينهب البر انتهاب وهو طالب بر الشقيق فهذا ما كان منه وأماما كان من أمر سيف الروم فانه لما ان توجه معروف أقام فى الدير والرجال محدقة به وهو يلاطفهم ويمازجهم ويرق لهم في الكلام حتي احتوي على قلوبهم وسلموا له فى أمورهم لانهم على كل حال لايعرفون الاحتيال ثم انهم التموا جميعاً من حواليه واذا به ارتعش وقد ارتعدت اعضاءه وضربت اسنانه قالوا له ما الخبر قال لهم ياولادي أتوني بالنار لانى قد أخذتنى الحما الباردة وانها تأتي الى عند نزول الغموم وحلول الهموم فأتوا اليه بالنار وجعلوها بين يديه ثم انهم داروا جميعاً من حواليه وادا به القي البنج فى النار فانعقد الدخان وعبق ذلك المكان فشموا جميع الرجال فتقلت رؤوسهم ووقعوا الى الارض من ساعتهم واذا به تركهم على حالهم وصعد الي اعلى المكان وكان قد عرف محل مايدخل ومحل ماينزل ومحل مايأتيه حايط ينفذ منه وقد سار يعطمط حتى انتهى الى المكان الذي فيه مريم فعبر واذا بها نائمة فاخرج منديلا مطبقا بالبنج الطياري فرده على وجهها وهزها القى النوم على النوم وجعلها في جمدان وأقتلع بها الى الاسوار وولاها بالمفرد وقد نزل وتدور اليها وحصلها فأخذ مفرده وسار بها الي البرارى والقفار ولم يزل سائراً حتى اقبل الى يافة وهو يمكن بالنهار فى الجبال ويسير بالليل فلما ان أقبل الى يافة دخل على ملكها فسلم عليه وقال له من اين والى اين قال له امرنى جوان بسرقة مريم بنت الزين حنا فسرقتها وهاهى معي قال له وما الذي تريد ان

تصنع بها قال له اريد ان اسير بها الى عند ابوها قال له خذها وسير وانزل من ساعتك بها الي البحار لانى لم اقدر احميك من سيدي معروف ابن حجر فنزل بها الى البحار وسار طالب جنوي فهذا ماكان من أمر هؤلاء

(قال الراوي) واما ماكان من أمر مريم فانها بعد ثلاثة ايام افاقت من غشوتها وصحت من رقدتها وانتبهت لنفسها واذا بها فى غليون بوسط البحار والبرتقش معها فقالت انت سيف الروم قال نعم قالت له ولاي شيء فعلت ذلك الفعال قال لها انا مرادي ارسلك الى ابوك كما امرنى عالم الملة جوان لان ابوك ارسل اليه يطلبك منه وجئت اليك فأخذتك وسرت الى البطريق زنقيط فطردنى بك فرحت الى يافيل فطردني فنزلت الي البحار فلما افقت من غشيتك سألتنى عن السبب اخبرتك قال وكانت مريم حامل من القدم معروف كما ذكرنا رأت ذلك الحال وما حل عليها من الذل والخبال وما قد أصابها بعد العز والدلال ورأت نفسها فى يد الانذال بكت بكاء شديد ماعليه من مزيد وسلمت أمرها لربها وتوكلت على الله فى كامل امورها وتوسلت اليه بخير البرايا وبرها وجعلت تطلب الفرج من الله وهي تقول هذه الابيات

يالهى وعمدتي ورجائى ومبدئي ومنقدي وعمادى
وخالقى ورازقي ومميتنى ومحيينى ومحيى ورشادي
تقبل دعائي ثم نجنى مما حل بى من عصبة الاوغادي
واغثنى من الكفار واقبل دعوتى ومن علي بمنة ونفادي
وخلص أمة التجأت اليك ياربا دون كل العباد
وحيا لها الاسباب مما نالها والطف بها في ظلمه وسهادي
فانت حسبي ونعم وكيلي وانت كنزي وعمدتى وعمادى
اليك اسلمت امرى كله وماشئت فافعل بى وانت الهادى
توسلت اليك بجاه طه احمد رسول الله سيد الاجناد

تطلق سبيلى من الكفار جميعاً ... تمن علي بلطف وانت رشادي
انت تعلم انى فارقت الاحبا ... وانت الذى قدقدرت بالا بعاد
وانت المقدر على كل الوري ... ومن بالسعدوالرشدوالاسماد
فالطف بلطفك ياربباه لى ... وخلصنى من شدتى وعنادى
ودبرلي الخلاص مماحل بي ... واعف عنى من ذلتى وبعادى
بجاه من ضمن الغزالة ... وجارالوحش والذئب من ابعادي

(قال الراوي) فبينما مريم تطلب الفرج من صاحب الفرج واذا بالبحر قام وقعد وخرجت ارياحه من سائر الجهات وغضب البحر باذن مدبر الامر وعصفت الرياح كما يريد الملك الفتاح وقويت الرياح حتى انكسر الاردمون الاكبر الذى للغليون الذى فيه مريم ولم يزل البحر غضبان والرياح عاصفة ليلا ونهاراً مده ثلاثة ايام والقبطان لم يعرف يسير الغليون فلما ان كان اليوم الرائع راق البحر وظهرت الشمس والقمر قال لهم القبطان اعلموا ن الغليون قد انكسر اردمونه فامضوا بنا الى جزيره العرانين فيها اخشاب كثيرة تمد في الارض وكل من كان يحتاج الى اردمون يأتي اليها وتسمى جزيرة العرانين ومن داخلها دير خراب لايهواه انسان يقال له الدير المعمور ويقال ان هذا الدير خراب من مدة السيد سليمان ابن داوود عليه السلام وكانوا الجن اذا ارادوا ان يهربوا هربوا فيه لانه لم يمر عليه احد من البشر ولايسكنه طير ولا وحش ولايراه قمر ولا شمس هذا وقد ساروا بالغليون الى ان أتوا الي تلك الجزيرة وطلعوا يقطعون لهم اردمون ووقف الغليون على مينة تلك الجزيرة (ياساده) وقد تأوهت مريم وأحست بالطلق كما يريد خالق الخلق وقد زاد بها الوجع ونشأ فيها الوجل والولع فقالت للبرتقش انى اريد ان افضى الحاجة وازيل الضرورة قال لها البرتقش سيرى راقضى ماتريدي من داخل هذا رالد بعيداً عن الرجال فطلعت مريم ولم يتبعها أحد وذلك ان البرتقش يعلم انها لم لها مالى الهروب من سبيل هذا وقد سارت مريم الي ذلك

المكان وهي تذكر اسم الرحمن وتتوسل بسيد ولد عدنان فلم يمنعها من ذلك مانع باسم الملك الحافظ الرافع فلما ان دخلت الدير واذا قد رأت فيه حوض كبير وهو من الحجر الازرق فنزلت من داخله ونزعت سراويلها وقد اشتد عليها حالها ورمقت الى ربها بطرفها وسهل عليها أمرها فلم تلبث الا ساعة ووضعت غلام ذكر كأنه البدر اذا تكامل فى ليلة اربعة عشر له خال اخضر على خديه قرص عنبر يفوح عليه فلما وضعته اخذتها الحيرة ولم تدري كيف تصنع وزادت حيرتها وخافت على ولدها من الكفار فبكت بقلب حزين وفؤاد غبين واذا بها تسمع من يكلمها من داخل ذلك المكان ويقول لها ياخلق الله قد احرقتينا بنارك وافجعتينا ببكائك وماحل بك فاخرجى البقجه التي معك تري فيها بدلة صغيرة فألبسيها الى ذلك المولود وتجدى الابره من داخلها والمطوة والمقص والمرسين والخيط وكلما تحتاجي اليه واقطى نحو اربعة قراريط واربطى السره وافعلى كذا وكذا فسمعت وعلموها كيف تفعل لانها لم تعرف شيئا من ذلك ابداً وما مر عليها ابداً فقطعت سرة الغلام والله هادي للانام ومرسته وكحلت عينيه والبسته تلك البدله وحزمته وفرشت ثوبها له فى ذلك الحوض ووضعت الغلام عليه وقبلته بين عينيه وزادت بها النيران والتهب منها الفؤاد الولهان وتحيرت وتنهدت وقامت على صلبها وقالت اودعتك عند الملك الديان الذي من قصده لايطرد عن بابه عبده ياولدى اللقا بيننا عند الله يوم القيامة لان ياولدى هنا آمن عليك اكثر من اذا اخذتك معي يرموك الكفار الي البحار فالذى اوجدك لاينساك ولايتركك تجوع ولا تعطش فهو أأمن مني عليك وبهذا حكم وقدر ثم انها وضعت راس الغلام وتأوهت وبكت وجعلت تودع الغلام بهذه الابيات صلوا على صاحب المعجزات

ايادموعي اسعفيني بالتجاري فكل محتوم على التعد جارى

وكل مقدور هو من الله　　وكل مافى الـكون بالاقدار
فالله يلطف بالعباد جميعها　　ويغفر الزلات ولاوزار
فهو رب العطا يا كلها　　وهو الحكيم الـكريم البارى
يا رب نجنى انا وولدي　　واحمنـا من عصيان الـكفار
ووفقنى يا رب فاحفظ اليها　　ومن خاب مودوع الى الستار
تعلم يا الهي بكل مصيبتى　　وقـد تضاعفت وحق الباري
وانت القدير على تفريج كربتي　　وانت الذي تعفوعن الاوزار
بليت بالقضا والمقدور حتما　　وزادت بليّتى وشق مرارى
وما للملهوف سواك ملجأ　　وماللمسيء رجاسوى الجبار
يا رب دبرني وهيء نجارتي　　بجاه الحبيب العظيم الجار
توسلت اليك بخير البرا　　طـه الحبيب المسطفى المختار
عليه صلاة مع سلام دائما　　ما طلعت شمس على الاصوار
والال والاصحاب الكرام جميعها　　والتابعين الى آخر الاعمار

(قال الراوي) ثم انها بعد ان ودعته وقبلته وتركته فى ذلك المكان خوفا عليه من الـكفار ومن البرتقش ان يرموه فى البحر وكتمت سرها في قلبها وخرجت الي باب ذلك المكان وقالت اقسمت عليكم ياخدام هذا المـكان وعمار تلك الارض والاوطان بحق من خلقـكم وانشاكم وعلم سركم ونجواكم وبحق السيد سليمان بن داوود عليه السلام وبحق موسى بن عمران والكتب الاربع والقرآن وبحق محمد سيد ولدعدنان وبحق ماتعتقدون من الاديان انكم تحرسوا هذا الصغير وتحفظوه من كل كبير وصغير ولا تسلموه لاحد من الناس الا لمـن يحلف لـكم بالاقسام والاديان انه يأخذه ويوصله الي أمه وأبيه وان خالفتونى استغيث عليكم بالله وشكوتـكم الى رسول الله يوم القيامة والعرض على الله وديعتى عندكـم فاحفظوهـا ووصيتى اليـكم فلا تنسوهـا وان فرطتم فى كلامي واهملتم أمر

غلامی یرسل علیکما شواظ من نار ونحاس فلاتنتصران ثم انصرفت بعد ذلك الى الغليون والكفار كانوا قطعوا الاردمون فلما ان اقبلت مريم الى الغليوق وهي فى أشد الغليون ولكنها قد اظهرت الجلد وأخفت الكمد فلما رآهـا البرتقش وقدزاد عجبا من أمرها انى أراك لماخرجت من الغليون كانت بطنك كبيرة والآن عدتي وبطنك صغيرة فما السبب في ذلك فقالت له اعلم اني كنت مريضة واعترانى أرياح كثيرة فلما ان نزلت فى هـذا الغليون اعتدلت الطبيعه وتصرف الريح الذي كان في حوفي لانى قد تربيت على ارضى وبلادى وزالت عنى أمراضى وقد عدت الى الصلاح قال لها البرتقش اللعين يامريم ان الذى كان فى بطنك فلا يبن وسوف احقق ذلك الخبر باليقين ثم خرج البرتقش من المركب وسار قاصداً الي الدير وأراد ان يعبر عليه واذا بدخان قد خرج من الدير كاد ان يعميه وشرار نار مختلف الاشكال وأوقع الله الرعب فى قلبه على الآثار فعاد وهو يجرى الي البحار وترك ذلك الامر والاثار

﴿ تم الجزء الثانى عشر ويليه الجزء الثالث عشر ﴾
(وأوله ولما نزل الى الغليون قدم الي مريم الطعام فأكلت وشربت)

سيرة الظاهر بيبرس

تاريخ الملك العادل صاحب الفتوحات المشهورة ﴿ السلطان محمود الظاهر بيبرس ﴾ ملك مصر والشام وقواد عساكره ومشاهير أبطاله مثل شيحة جمال الدين واولاده اسماعيل وغيرهم من الفرسان وما جرى لهم من الاهوال والحيل وهو يحتوى على خمسين جزء

الجزء الثالث عشر

﴿ الطبعة الثانية ﴾

سنة ١٣٤١ هـ - ١٩٢٣ م

(طبعت على نفقة مصطفى افندي السبع)
بشارع الحلوجى بمصر قريباً من الجامع الازهر والمشهد الحسيني

(مطبعة المعاهد بميدان بيت القاضى بجوار قسم الجمالية بمصر)

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(قال الراوى) ولما نزلت الى الغليون قدم الى مريم الطعام فأكلت وشربت على قدر ما يمسك معها ولم يزالوا سائرين حتى اقبلوا الى جنوى فأخذها وطلع بها لي الرين حنا وقال له خذ ابنتك فاني قد أتيت بها قال له مرحبا ثم انه اجلسه وفيق البنت وسلم عليها سلام الاحباب وصار يقول لها يابنتي أوحشتيني يابنتي وأمك تبكي عليك آناء الليل وأطراف النهار قالت له وأين البرتقش قال هاهو الي جانبي وهو الذى اتى بك الى عندى فقالت له وحق المسيح الطيب ان لم تضربه علقة كبيرة والا قتلت نفسى بيدى ولابد ان تطرده من عندك ولم يطأ أرضا يكون بها هذا اللعين ابن اللعين فلما ان سمع كلام ابنته وتشديدها بالاقسام أمر بضرب البرتقش فضربوه وهو يصيح تحت الضرب حتي قطع النفس وتركوه حتى افاق على نفسه فطرده الرين حنا فنزل يجر رجله وهو يدعى على جوان يقول الله ينكد عليك ياعالم ما نابني الا المشقة والطرد والعقه ومازال يصيح ويقول هذا نظير تعبي ينكد عليك رب المسيح ياجوان ثم سار طالب مصر ليخبر جوان فهذا ما كان من أمره (قال الراوي) واما ما كان من مريم فانه بعد ذلك أخذها أبوها وهى باكية العين حزينة القلب وطلع بها الي السرايه فسلمت عليها

امهاوهي زائدة الحسرات كثيرة اللهفات ومع ذلك تعايرها امها وابوها ويقولون لها يابنتي تغيري دينك وتقولي كلام المسلمين وأنا يابنتي مربيكي لحبادي وأمها تقول لها ارجعي يابنتي عن كلام المسلمين وعودي الي ملة الصلبان وأكثروا عليها الكلام في مثل ذلك الشان فصاحت فيهم وقالت لهم ياملعونين الآباء والاجداد لا كفر بعد ايمان ولا شك بعد ايقان ثم تركتهما ونزلت الى سجن هناك يقال له سجن الحسرات فسار اليها أبوها وجعل يتلطف بحالها وهو يقول لها يابنتي اطلعي الى سرايتك عند أمك وازيلي همك وغمك قالت وعزة الله لا اطلع الي سرايه ولا ينقادلي سراج ولا قرايه ولا آكل طعاما مطبوخ ولا أجلس على فراش من جوخ حتي يرجع الي ولدي ومهجة كبدي ولا أنام ولا أقوم الا في هذا المكان المشؤوم وآكل البقسماط والبصل دائما المعين ولا أخرج منه حتى أموت أو يحكم الله بما يريد ثم انها اقسمت فتركها ابوها في ذلك السجن كما ذكرنا وسارت تبكي وتنوح من قلب مطلى مجروح وهي تنعي نفسها بهذه الابيات

فوالله ما كان الفراق بخاطري ... ولكن حكم الله ليس مؤخر
تصرفت الايام فينا بحكمها ... ولدهر بعد العز اضحى ساحري
وأرماني الزمان منه بنكبة ... بها حشى باطني مع ظهري
فأطال ليل وأجرى عبرتي ... والدمع مخروج بدم أحجري
والخل مني أصبح شاردا ... ومرارتي على ولدي تتفطر
يا دار ان كان الحبيب اتي ... نحو الرحاب فسلمي ثم فاذكري
وقولي للحبيب لاينسني ... ثم اذكري بطيب المعشرى
يادار كم لنا فيكم صبوة ... وكم ليلة تجلى لنا بالعنبر
وكنا فبكي حقا أسوة ... فنرقنا الزمان الردي الاحمري
أصابتنا عين سوء ففرقت ... جمعنا بعد اجتماعنا ايسرى
يادهر بالله العظيم وحقه ... عليك لا تبغى على ولا تتكدري

واجمع شملي بابني وسيدى ويكفي هذا العذاب الاعسري
وان كانت الاخري تجمع شملنا يوم القيامة في مكان المحشرى

(قال الراوي) ثم ان مريم جعلت الاشعار دابها والنوح والبكى غاية أمرها فهذا ماكان منها ومن أمرها وأماماكان من معروف وماقديقع له من الكلام العجيب والامر المطرب البديع الغريب الذي نريد أن نذكره على الترتيب حتى السامع يلذ ويطيب بعد الصلاة والسلام على الحبيب وذلك انه لما عاد من عند عماد الدين وقصد الي دير الشقيق كما ذكرنا وطلع وهو على هذه الحالة التى وصفنا أقبل الي علي الدين فوجد الاتباع مبنجه وتأمل مكان مريم فلم يجد لها اثر ولايقع لها على جلية خبر فقال كلمة لايخجل قائلا لاحول ولاقوة الابالله العلي العظيم تمت الحيلة عليك يابن حجر والاسم الاعظم ثم انه تأوه وتحسر وقال آه وأنشد يقول

فديتك ربع الصبر بعد ان حلا رمذغبت لم تدر الكرام مدام حلا
وما حال حب غاب عنه حبه وماحال عن حفظ الوداد وماحلا
ولما رأيت القلب مال مع الهوى بعثت له دمعا مع الغير مرسلا
حبيبي لقد أودعت في القلب حسرة وما أودع القلب الوداد وما قلا
وأوحشت طرفا طال مابات ساهراً لوجه كساه الحسن من مر الحلا
تنقلت عن عيني الى وسط مهجتي ومن عادة الغزلان ان تتنقلا
وقالوا متى امسى فؤادى بالهوي مليا من البلوا فقلت لقد حلا
أقول لاجفاني وقد صار منيتى وتتركنى حبيبا ومنزلا
فمن بعده ما ذقت طيب مسرة ولم أنظر اللذات الا تخيلا
ولم أنس اياما نقضت بقربة وكاس الهنا فى مجلس الانس ينجلا
يمر به الساقي فيختال وجهه كما فى فى كفه الشمس أقبلا
ومحبوبنا يجلوا علينا جماله وكل جذا فى القلب لما جلاجلا
يميل دلالاً وهو فى نشأة الصبى ويحق الى المعشوق أن يتذللا

غزال يغار الظبي من لقائه　　وان قلتم بحكيه فلا فلا فلا
عشقت له حلو الشمايل أهيف　　رشيقا رقيق القد والخصر منحلا
عذار له ريحان والثغر جوهر　　وقلبي مسرور اذا جاء مقبلا
قضا الدهر بالتفريق آه لنفذه　　وآه لقلب عنه لن يتبدلا
وان مرت الايام دونى وماله　　فواضيعة الاعمار تمضى سبهللا
تحكمت الاعداء فينا بحيلة　　ومن فراق الاحباب خاب تحيلا
وجار على الدهر الخؤون بغدره　　ففرق احبابي واخلا المنازلا
وقد تركونى وساروا وحدى وحسرة　　ونار فؤادى تزيد تشعلا
ولم ادرى بهم وقد مضوا الى ارضهم　　وكنت اسير خلفهم فى سبع الفلا
وقضى الرحمن ليس برده　　ولا حذر مذ كان حتما ومرسلا

ثم ان معروف سار ينعي مريم وهو يبكى بكاه شديد ماعليه من مزيد وقد علم ايضا انها حاملة منه فزاد لذلك وجده وتلهب فؤاده وكبده وتحسر وقال آه واواه وترنم بهذين البيتين

فراق الحبيب أطرق بقلب لهيب　　ومن أحسن الحيل رضاع الجلد
وحق حرمة خالد بن الوليد　　ماثم أصعب من فراق الولد

(ياساده) ثم انه جمع الرجال وفيقهم مما كانوا فيه وقال لهم يارجال قد جرى من الامر ماهو كذا وكذا ولكن هو قضا من رب السما ولا بد أن أسير الى بلاد الناس وادور على زوجتى مريم وأقتل الذي فعل معى هذا العمل ودخل على بالمكر والحيل وسرق زوجتى وارتحل نخذوا بالكمين المكان حتى ان اعود الى الاوطان فاجابوه الرجال بالسمع والطاعة وركب حجرته من تلك الساعة وسار وهو على هذه الحالة ولم يزل ساير الي البطرق زنقيط ودخل عليه وقال له يا زنقيط هل اتي الي عندك عايق صفته كذا وكذا معه زوجتى مريم الزناريه بنت الزين حنا فقال له نعم ياسيدى جاءنى بها ولكنى طردته بها خوفا منك وقلت له اذهب عنى لا تحرقنى

بنارك فانا لم اقدر علي سيدي معروف فقال له ياملعون كان الصواب انك تبقيه عندك حتي كنت احضر اليك ليكون الامر اقرب ثم ان معروف رفع يده عن ابطه وضربه كف علي وجهه فاهتوس الملعون وسار اذا جلس تذكر معروف واذا نام يحلم بمعروف واذا سار قال معروف وسار هذا داأبه من وقته وساعته فلا بدأن يكون لهذا الملعون حديث عجيب اذا اتصلنا اليه تكلمنا عليه (ياساده) ثم ان معروف سار الى يافه ودخل علي يافيل وسأله عن ذلك فقال له نعم اتانى بها الي هاهنا وسار بها الى عند ابوها الرين حنا فتركه وقصد الي جهة البحر وقد جن الليل بالاعتكار وسكن البحر عن الهيجان وقد توضأ معروف وصلي ركعتين واذا فداقبل اليه سيدى عبد الله المغاوري وقال له ياسيدى انزل انا اوديك الى جنوه كل شيء بارادة الله تعالى وقدرته وانا والله ياسيدى معروف لم يكن بيدي حيلة افعلها ابدا وقد قال الله تعالى منذ االذي يشفع عنده الا باذنه فنزل معروف وهو يبكى والاستاذ يدعو له حتي عداه الي دير جنوا وقال له ياسيدى ان أنت طلبت السفر الى البحر فيلزم انك تحفظ هذه الوصية وتجمع سائر رجالك وتأمرهم اذا ظهر عندهم شخص اسمر اللون قصير القامة وطلب السلطنة يسلطنوه علي انفسهم لو كان فقيرا او عاجزا او حقيرا حتي تعود أنت الى السلطنة فقال له معروف ولاي شيء ياسيدى قال له اعلم ان لله فى عباده ارادة وحكم وبهذا حكم وأمر باريء النسم فقال سمعا وطاعة وتودع من الاستاذ وقبل يده فدعا له باللطف في المقدور وسار الاستاذ الى حال سبيله ومعروف سار الى جنوا وطلع الي الرين حنا وصرخ عليه صرخة الغضب يارين حنا يامعرص فعند ذلك ارتعدت فرائصه ووثب على الاقدام وسلم علي المقدم معروف وقال له مرحبا بك ياسيدى قال له معروف مرحبك البلا اين مريم يالعين قال له هى عندى فاطمأن قلبه لذلك وجلس معروف وجعل الرين حنا يحدثه بما كان من امرها وقصتها

وذكرله انها ملازمة لسجن الحسرات فقام معروف وسار اليها الى ذلك السجن وقال لها يامريم قالت من هذا قال انا معروف بن حجر فقالت مريم الله يا معروف حقيقة على رأى من قال

تقطعت الرسايل أو انتسينا　　وعدنا مثل زوار القبور
فلا خبر يجي من عند ولدي　　ولا أنا طير أطير مع الطيور

انت يامعروف ساير تدور علي وتارك ولدك الذى من صلبك فانا والاسم الاعظم الامجد الاكرم لا ابرح من مكاني حتى يأتى الي ولدى والا يكون هنا مقبرتي ثم بكت بكاء شديد وجعلت تقول هذه الابيات

فراق الاحبا أطلق النار فى الحشا　　وحرمنى لذيذ المنام *
واسهر مقلتى وأجري دموعى　　ومن فارق الاحباب كيف ينام
فرق الدهر حبى وابتلاني بما　　لم أطيق دون الانام
ومن بعدعزى وارتفاع القباب　　سكنت المحابس في دجاء الظلام
فلاتهنى لى عيش ولا أذوق الكري　　ونومى على الفراش حرام
بالله ياريح الصبيا اليهم عرج　　وبلغ اليهم منى حزيل السلام
والى الله أشكوا مصيبتي　　والله يحكم لكل الانام

ثم زادت في بكائها حتى أبكت معروف بن حجر وقد زادت عليه الجفا والقهر وتحسر وتنهد وأنشد يقول هذه الابيات

لله أشكو ما قد أصابني　　ولكن قضا الرحمن ليس يدفع
اذا لم يكن لي عون الله خالقى　　فما الذى أرجوه وماذا أصنع
لقد فرق الدهر مني احبتى　　وأجرى عيوني وتلهب اضلعي
ولما بلغت الامن مماأرومه　　لقيت أشيا قد تزيد تفزع
فأسأل الرحمن ربي وخالقى　　هو الذي يخفض ويقبض ويرفع
ان يكن عوني بجاه المصطفى　　طه رسول الله حبينا المشفع

عليه صلاة الله ثم سلامه　　ما طلعت شمس الوجود ببلقع
كذا الآل والصحب الكرام جميعهم　　والتابعين لهم بوادى اذلع

(قال الراوى) ثم انهما بعد ان تناشدا الاشعار وتراخى الدموع الغزار قال لها وأين وضعتيه يامريم قالت له بجزيرة العرانيس وقد أعادت عليه القصة من اولها الى آخرها وكشفت له عن باطنها وظاهرها وكيف قالت للعمار والامر الذى وقع لها وكيف انها أمرت بضرب البرتقش وطرده وهو يزداد فى همه وغمه قال لها وماذا سميتيه قالت له سمعت قائلا يقول سميه محمداً سيف الدين عرنوس نسبة لهذه الجزيرة ومتى سميته محمدا حفظه الله لاجل صاحب هذا الاسم ففعلت ذلك قال لها معروف وأنا والاسم الاعظم ما بقيت آتى اليك الا وولدك معى بصحبتى يا مريم ثم انه تركها وأخلع من زنده دبلج من الذهب البندقي يقال له بلغت تلك البلاد كشتوان ثم قال لها خذى هذا الكشتوان عندك فان احتجت الى شيء فتصرف فيه كما تريدي فأخذته منه وأرمته بين أيديها وقالت له لم آكل الا الخبز اليابس بالملح واشرب من الماء المالح ولا ينقادلى سراج ولا يهنألي منام الا بولدي ثم بكت مريم فبكا معروف وتركها وقد نزلت دمعته على وجناته أساءت عبراته وترك مريم والورين حنا وسار طالب الجزيرة من ساعته ولم يزل كذلك حتى عبر اليها وعبر الى ذلك الدير وتأمل وهو يبكى بكاء شديد على رأى من قال هذين البيتين

ساروا وسار الربع يندبه الثري　　وان قيل باتوا قيل مثل ما باتوا
وأسأل ديارهم بافتى لقد　　كانوا بها وكأنهم ما كانوا

(قال الراوي) فلما ان علم ذلك زاد بكاه وطال انينه وشكواه وسار الى يافة وأتى الى دير للشقيق وأخذ الرجال وسار بهم الي حصن صيهون وجمع الرجال والابطال وأصحاب القلاع والحصون والجبال والاودية الخوال فاجتمع عنده سبعة عشر سلطان ولما تكاملت الجموع قال لهم معروف يارجال اعلموا اني أريد ادخل الى اللحج أدور على ولدي فاذا غبت عنكم

فدوروا عليّ وكل من دور علي سنة سلطنته على الرجال شهرا ويكون كسب القلاع اليه قالوا السمع والطاعة ثم ان معروف طلع الى اللبوة وأوصاها على السلطنة وقال لها القي بالك من الرجال وعاد الى الرجال وقال لهم اذا ظهر لكم رجل قصير اسمر اللون وطلب السلطنة سلطنوه عليكم حتي ابقى اظهر ولم احد منكم يخالفه فيما يأمر به فعند ذلك بكت الرجال ثم تودع منهم وسار قاصدا بلاد الناس ولم يزل من مكان الي مكان ومن مدينة الي مدينة ومن ضيعة الى أخرى مدة أربعة أشهر حتي رماه القضا الي مدينة يقال لها مدينة التلاطم وكل شيء له اسباب من الملك الديان (قال الراوي) وكان السبب في فقد عرنوس من ذلك الدير تولد فيه سبب عجيب وأمر مطرب غريب وذلك ان أمه لما ولدت وسارت الى ابوها كما ذكرنا فبالامر المقدر والقضاء المحرر كان اللعين كنيار القطلاني صاحب ملك القطلان معرض على البحر فاختلف عليه الرياح التي قدمنا ذكرها فانكسر الاردمون فطلع برجاله الى جزيرة العرانيس يريد ان يقطع اردمون الى غليونه وخرج أيضا اللعين كنيار يريد الزجر على تلك الجزيرة فاقبل الى ذلك الدير واذا به سمع فيه صياح غلام صغير يبكي فقال لابد ان هذا دايره يعني عفريت وان كان صغيرا يكون أبن داية ولكن لابد ان أنظر فى ذلك الامر واحققه ثم انه دخل الى ذلك الدير فخرج عليه دخان وشرار واظلمت الدنيا في وجهه وكادت العمار ان تخنقه فصاح من ليلة عقله وقال يا أهل ذلك المكان اعلموا اني انا أبو هذا الغلام وأريد ان أوصله الى أمه وكان ذلك الهاما من الله تعالى لاجل القدر السابق فى الازل فذهب تلك الدخان ودخل كنيار الى الدير وتأمل الغلام واذا به ذات حسن وجمال وقد واعتدال وبها ودلال والقى الله محبة الغلام فى قلب كنيار فأخذه وخرج وهو فرحان ولم يزل سائر الى ان أتى الى الغليون وكانوا قد ركبوا الاردمون وساروا الى البحار قال وكان مجيء معروف الى

الجزيرة (ياساده) ولما ان اقبل كنيار وأخذه وسار في البحار وقد راق البحر بعد الهيجان وسار يقرض الملعون حتى انه قبض على مركب حجاج قاصدين اهلها الحج الى بيت الله الحرام فجعلوا اهلها يستغاثوا فقال كينار ان كان فيكم امرأة ترضع هذا الغلام اخذتها واكرمتكم من اجل خاطرها قال واعجب ما في هذه السيرة العجيبة ان امرأة كانت فيهم وهي حسنة كبيرة قاطعة الحيض فقامت على حيلها وقالت انا فداكم ولكن ان وصلتم الي زين الاحباب فاقروه مني السلام واقرأوا لي الفاتحة ام الكتاب ثم تقدمت بنفسها الى كنيار وقالت له انا أخذ هذا الغلام وكانت هذه الحرمة من الاشراف يقال لها بنت السيد علوى فناولها الغلام فأخذته وقالت اللهم انك أنت الحنان المنان الذى لا يشغلك شأن عن شأن أن ترزقني بالالبان حتي ارضع هذا الطفل واكسب منك الاحسان وافدى اخوانى في الاسلام ثم انها جعلت الغلام على حجرها وقالت اللهم ان كان هذا الغلام نسل حلال ويكون من أهل الاسلام لا من أهل الضلال لم يمسك ثدي الشمال ثم الهمته ثديها الشمال فلم يقبله ابدا بل انه رفص برجليه ومعك بيديه فى عينيه فحولته الي جهة الشدى اليمين وقالت اللهم انزل له اللبن يا كثير العطايا والمنن ان كان هذا الغلام من نسل الاسلام وأما ان كان من اولاد اللئام فلم يدر له لبن ودعهم يقتلونى فانا اشهد ان لا اله الا الله وأشهد ان محمدا رسول الله (ياساده) ولما مسك الثدى الايمن در له اللبن باذن صاحب المنن فعند ذلك حمدت الله تعالى وأثنت عليه وحبت الغلام وقبلته بين عينيه وقالت اللهم صبر أهلك على فراقك (ياساده) ثم ان كنيار لما رأي الغلام لاف على المرأة وقد ارضعته حبها الاخرى واكرم الركاب من اجلها وتركهم يمضوا حيث شاؤا وسار هو والمرأة والغلام ولم يزل كذلك الى ان اقبل الي ملك القيطلان ثم انه أخلى لذلك الحرمة مكان لنفسها ورتب لها كل ماتحتاج اليه

ووكل بها من يخدمها أيضاً وقد سمى الغلام الدايبر واوكناه بعر نوس كنية الجزيره هـذا وقد كانت الحرمة ترضعه وتربيه عامين كاملين ثم أنها جعلت تطعمه الاكل بعد ذلك فليلة من الليالي فى نصف الليل اعتدلت الى القبله وطوت الاربع وقامت الاصبع وقالت قولا حقا مخلصا صدقا أشهـد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمداً رسول الله أشهد لي بهـا يا عرنوس بين يدى مالك النفوس وفقهت فهقة فارقت الدنيا رحمة الله تعالى عليها هـذا وقد جاء الغـلام الي حضنها ونام بجانبها لانه لم يعرف الموت من الحياة فلمـا كان ثانى الايام مر اللعين كنيار على ذلك المكان الذى فيـه السيـدة عـلويه فرأه مغلوق فطرق الباب فـلم يجاوبه أحد فتحايل على فتحه ودخل الى الحرمة واذا بهـا فارقت الحياة والغلام الى جانبها يلعب ولم يعلم ما الخبر ولما ن رأي ذلك كنيار أمر باحضار عشرة انفـار من المسلمين وقال لهم خـذوا هـذه الميتة وغسلوها وافعلو بهـا كما يفعلوا بموتاكم في بلادكم واقرأوا عليهـا كلامكم وبعد ذلك انطلقوا الي حال سبيلـكم فانى قـد عفوت عنـكم فاجابوا بالسمع والطاعة ثم انهم أخذوها واتوا لهـا بغسلة من نسـاء المسلمـين وغسلتها وكفنتها وعملوا لهـا مشهد عظيم وبنوا لهـا قبـة عظيمة ودفنوها فيها وقروا عليها ما تيسر لهم من كلام الله تعالي فهذا ما كان من أمر هؤلاء

(قال الراوى) وأما ما كان من أمر كنيـار فانه أخـذ الغـلام فى حضنه وجلـس به على تخته وجعـل يلاعبه فتأمـل عرنوس الى كنيار ورأى عينه وهي تزغلل كأنهـا مزدقة السم فـكبب يده وضرب اصبعه الشاهد فيها فأسلها فى عاجـل الحال فصرخ اللعين كنيار بعـلو رأسه واي يا كناس ثم صاح على رجاله منظار منظار فقـال له وزيره تأنى ياربن واعـلم أن هذا لا يدري شيئا وان كنت تريد تعلم صحة قولى فقدم له البلح الاحمر والنار فان هو عرف ايهما أحسن فهو يعرف فان أخـذ

التمر فاقتله وان أخذ النار فلا عليه ملام فقال له لقد قلت الصواب ثم انه قدم له التمر والنار فتقدم الى النار واخذها وذلك توفيقا من الله تعالي فقال كنيار لا يلزمه شيء فهذا صغير ثم وضع الرفادة علي عينيه وارخى عرنوس فأخذه بطريق من جملة البطارقه وذلك خوفا من كنيار لانهم يقولون عليه انه ابن الرين كنيار فقطع عين الآخر ولم يزل كذلك حتى أخرج عيون عشرة من اكابر اللئام فعاقوة اللئام فقال كنيار نادوا في البلد كل من كان سندالا بطال يأتى الى عند الرين كنيار ويأخذ ولده ويداديه وله كلما يحتاج اليه قال فوقعت المناداه وكان بالامر المقدر معروف قد دخل هذا المكان فسمع المنادي وهو ينادى بهذا المرام فتقدم بنفسه الي المنادي وقال له هاأناالسندال البطال فاخذه وسار به الى كنيار وقالى له ها هو السندال فقال له يا هذا تأخذ ولدي هذا تلاعبه وتقيم به عندي فى أعز مكان فقال له معروف سمعا وطاعة فقام كنيار ونزل بمعروف الى القاعة الذى كانت فيه الحرمة ورتب له كلما كان يحتاج اليه وقال له هذا مكانك أنت والغلام ففرح معروف بذلك المرام ثم سار معه الي الغلام وهو كثير العياط والهيام فلما أن رأى معروف الغلام حن قلبه اليه وكاد أن يطير من الفرح الذىاقبل عليه ثم نادى معروف تعالى ياولدي واذا بعرنوس تكبب وانحدف في حضنه وكأنه نائم من جمعه ماضية ولم يتحرك الغلام وذلك أن الدم يحن الي بعضهوكذلك معروف أظهر الجلد واخفي الكمد وسار بالغلام الى ظاهر البلد وهو يلاعبه ويبعده كل يوم حتى صار يخرج به الى المين الخراب لان البلد لها مينتين مينة خراب ومينه عمارالعمار الذي ترسى عليه المراكب ومينه الخرابالتى يعمروا فيها الغلايين الخربه وقد تصور له انه اذا بعد به يغتنم الفرصة من أهل القطلان ويرحل به هربان ويمضى به الى أمهوالسلام وقد انقضب الاحكام هذماتصور فى ذهن معروف من الامر والشأن لانه لا يعلم بمادبره لهمدبرالاكوانثم انهفي

بعض الايام جلس به وقعد ينظر اليه ويتعجب من مكر نسيبه عليه جعل يقول انت وليدي والاسم الاعظم ايش وصل الافرنج انهم يلدون مثلك ياحبيبي أنت شريف من ظهر شريف يانور عيني وكان هذا دأبه كل يوم ثم انه انشد يقول هذه الابيات

اسمع مقالى ياوليدى وافهمه واصغى لقولى وكن له مستفهم
وكن مسلم واعلم بانني أباك معروف وامك مريم
اتت الاقصي وقالت أزوره نذبتها هدا عليكم محرم
اعنى عن المسجد الاقصي وارضه ومالكم في المساجد منعهم
وقد طلبت منه خروجها الي ديريا ومن القدس كان محكم
فهامت الى الاسلام حقا وانها سلمت امرها للكريم المنعم
على يد استاذ عظيم قدره وأفتي لي بالزواج بها والمتموم
وكانني مستغنى عن الزواج بها قد فتنا الاله بامر محكم
وسرت الي قلعتي وزففتها وكان لي السعد المفخم
دخلت عليها بليلة حجة بالسعد قد انتهت لنا المكارم
علقت بذيل طاهر فقلت عسى برؤياك انضم
أخذها مرض لاختلاف هوائنا فجاءت بالحكمة وحملي معظم
وصفوا لها ديرا بعيدا فى الخلا يسمى بدير شقيق هناك معلم
فسرت بها للدير ثم وضعتها وكان القضا على من قديم محكم
أتيت الي الدير الشقيق لشقاوتي ياليتني للدير ماكنت أقدم
أتي لعندي تاجرا وقد اشتكي ظلما وليس بارضنا من يظلم
فأرمى بولد الاخت وقال ظلمنى وكان كذوبا خائنا يامن يفهم
تركته فى الدير حقا وانى طلبت ديار عماد وذلك لمريم
رأيت عمادا مسقما بضعفه ومن ماتأتي له كدت اسقم
حزنت عليه لما ان رأيته بذلك السقم قد كدت اعدم

فسلت ألي الاحتيال قد ايطلا على من الكذوب المقدم
فسرت الى الدير وسرعه بلا بطا فرأيت المكان من المرام محرم
سافرت من أرض الى ارض بحرها وقدسحت فى الدنيا عليك ملازم
دخلت القطلان وكماراً يقل من يخدم هذا ثم يكرم
فانت ولدى يا حبيبي وبغيتي ولست بكذاب وربي عالم

(قال الراوي) فلما أن كان بعض الايام وهو على هذا المرام اذ سمعه رجل من اللئام يقال له سلطان ببليه يعنى زبال فلما أن تحقق من هذا الابرام سار الي كنيار لاجل أمر يريده الله الملك الجبار والمار عليه فاسمعه من معروف وكلامه لوده وانشاده الاشعار فلما ان سمع اللعين كنبار كلامه قال له اعلم ان هذا البطريق الذى خلفك يكذب قولك والتفت اللعين ينظر ما الخبر واذا بكنيار عاجله بالحسام على هامته نزل السيف الى نصف قامته وعجل الله بروحه الي النار وبئس القرار ثم ان اللعين كنيار أمر برمي المقتول فى الخلوات فأرموه ونهض الي ذلك المكان الذي هو برسم المقدم معروف وولده وجعل البنج فى سائر ماكان فيه من مآكل ومشارب وسمن وعسل ودقيق وما أشبه ذلك ورجع الي مكانه ولم يعلم بذلك أحد من البطارقة فلما ان كان آخر النهار أقبل معروف بعرنوس الي محله المعروف وأتا بالمآكل والمشارب وأكل أول لقمة وأراد أن يأخذ الثانية واذا به كرف رائحة البنج في الطعام فنهض معروفا على الاقدام وهو يقول ليتنى أطعمت الغلام قبل أن آكل أنا من الطعام وجعل يده في جوه رانه وأراد ان يخرج ضد البنج ويحترس على نفسه واذا به لاجل القضاء النافذ من رب الارباب غلب عليه البنج فسقط الي الارض من وقته وساعته فهذا ما كان من أمر هؤلاء (قال الراوى) وأما ما كان من أمر اللعين كنيار فانه صبر حتى نامت العيون وفتح القاعة واذا به وجد معروفا مبنج وكذلك الامير ولده عرنوس فاحتمل معروف وترك عرنوس وساربه الى السجن المعروف بارض القطلان وهو سجن من الرصاص

الاسود مصنوع من الاربع جهات ساقط في البحر المالح والبحر محيط به من الجوانب الاربع باحدى وأربعين درجة من الرصاص الاسود من الاعلى الى الادنى وذلك السجن كان احتكمه الحكيم القطلان الكهين الانجبار والحكيم الانجبار قداحتكم الحسر الى الحكيم القيطلاني وكل أحد منهم أقسم لابد أن وقع خصمه به أن يجعله في ذلك المكان فهذا كان أصل ذلك الشان ثم ان ذلك السجن له باباً من الرصاص بكسون من الرخام من داخل سراية كنيار بلولب من النحاس الاصفر ملصوقا بحائط ذلك المكان (ياساده) ثم ان اللعين كنيار لما أخذ معروفا ونزل به الى ذلك المكان ثم أتى بسرج من الرخام الازرق وجعل فوقه سراجا آخر من الخشب وجعل من فوق العده الخشب سبع طبقات من اللباد الاحمر والاصفر والاسود وجعل معروفا فوق اللباد وجعل في رقبته طوقا باربع سلاسل من الحديد وجعل اطرافه في أركان المكان من الاربع جهات والبسه في وسطه باشه باربع جنازير وسلاسل وجعلها كذلك وجعل يده اليمين في سلسلة واليسار أيضاً في سلسلة وجعل فى رجليه سلسلتين وجعلها مشتبكات وقد عراه من ثيابه وجعل ذات الخياة معلقة فوق رأسه وجعل خرقا فى وسط السرج يزيل منه الضرورة قال ولولا أن الله تعالى أدركه بخفي لطفه والا كان اللعين أركبه على السرج الرخام من غير لباد وأخشاب وانظر الي أرادة مولاك كيف ان هذا السجن عمل وقسم للمقدم معروف وانظر الي جسر الانجبار كيف عمل للملك القيطلاني وقسم الى المقدم ابراهيم في جسر الجوارينى (يا ساده) ثم ان اللعين بعد أن أتقن تلك المكيدة أعطاه ضد البنج عطس أشهد لا أجحد بالدين العربي محمد ابن انا قال له كنيار انت عندي أما أنت معروف بن حجر الذي يقولون عليك سلطان القسور والسخور انت يا كنيار انت الذي تريد ان تأخذ فليونى وتهرب به ولكن هذا بقى قبرك حتى تلقي ربك

فقال له معروف وقد رأى نفسه فى أشد ما يكون من الاضرار يا كنيار اعمل معروف واطلق سبيلى وأنا أكون عدوا لمن تعادى صديقا لمن تنادي فقال له اخرس يا كناس انت سمعت ان أحدا نصرانى يعمل معروف في رجل مسلم أو يكون له عليه جميل فقال له معروف يا كنيار عمري ماقلتها لاحد قبلك أنا فى عرضك أنا كان فى وجهك يا كنيار فقال كنيار وحق المسيح لم اطلقك أبدا فقال معروف وأنا الآخر والاسم الاعظم ان أحسن ربي خلاصى ونجانى مما أنا فيه من هذا السجن لا أطلع منه الا وأنا أخوض في الدما من أهلك ودولتك وأهل بلدك فقال له لما تخلص ابقا افعل ما تريد ثم تركه وصعد من الدرج الي باب السجن وأغلقه عليه ووكل به جارية سودا تأتى اليه بالطعام البقصماط ثلاثة أكعاب فى كل يوم وثلاثة شربات من الماء المالح وعرفها كيف تعمل اذا أتت له بالمآكل والمشارب وأغلق باب السجن عليه وتركه وسار الى عرنوس وأخذه وطلع به الى سرايته فهذا ماكان من أمر كنيار والقطلانى وأما ما كان من السعيد معروف الذى ابتلاه الله بذلك الامر من الدنيا لعلوقدره في الآخرة فانه لما أغلق عليه باب السجن وأظلمت عليه الدنيا ودوى عليه البحر من الاربع جهات واشتكى وأنشد يقول

حكم الاله الحكيم العادل ... الكريم العظيم السيد الصمد
على العباد مما شاء من قدر ... وبالقضاء ارمانى فى مدا البعد
خاب الزمان وشوم الدهر وقعني ... ملقي طريح الارض منكمدا
أصبحت فى غل واعلال فيا أسفى ... على زمان مضى عني ولم يعد
في سجن ضيق عتم ... فى قاع بحر محيط ساير البلد
تقطلانى كان سجني ومرتهنى ... لاجل حال ذا نعمة الوقدى
قد ركبونى العدا ماكنت أعهده ... سرج لوخام أشكوا والسكدى

ولا لي معينا في العالمين سوى رب الانام ومحصي الرمل بالعددى
تعالوا انظروا نى الاعمام ماصنعت أهل الضلال وأهل الشرك والجحد
قد أركبونى بكل نائبة وأرمونى بسلاسل ما لها عدد
مغمداً في فيود لو علمت بها هدمت سجنهم الاصوار والبلد
ولكن مع القضاء المكتوب من أزل على لم أعرف حيلا ولا رشدي
وقد ضاعت حيلتي والله معتمد أشكو اليه ما لاقى من الكمد
أتيت من أجل ولدى أريد أخذه عداني كلب جبار ذي عند
لولا القضا مارمت قط ولا كان الكلب يصطاد للاسد
ولكن قطعت اليأس من الخلق أجمعها وأسلمت أمري لعالم العدد
فيافوز من أسلم أمره لخالقه وياسعد من كان فى التسليم منتقد
أرمانى الدهر الخؤون بنائبة وجفانى اخلاي وأهلى مع ولدي
ولكنني أرجوا الخلاص من سند مجيب للدعوى أي رافع صمد
أحسن خلاصى يا رب العباد ومن انت القدير برزق العباد معتمد
بجاه احمد المبعوث من مضر وخيرى يوم القصاص والعدد
تحسن خلاصى يارب النبي العربى أحمد محمد نبينا صاحب الامد
صلى عليه اله العرش ماهطلت سحب بامطار الى البلد
والآل والحب الكرام كذا التابعين من الاخوانى والرشد
صلاة تدوم ولا يحصى له مدد مدي الايام مالاح نجم منتقم
أسألك يا رباه بالنبي العربي تحسن خلاصى وترد لى ولدي
انت القدير على الامور جميعها انت العليم بضدى ومنحسدى

(قال الراوى) ثم ان معروف بعد ما فرغ من أشعاره وما قاله من نظامه وأفكاره قال أين الاصحاب أين الاهل والاحباب اين الذين كانوا يقولون نحن لك ولو جار الزمان ومال ثم قال آه وجعل ينادى ويردد هذه

القصيدة في سجنه ويقول في آخر كلامه اين عويناتك ياعماد الدين ياابن الاخت يارب ادركني بفرجك القريب (قال الراوي) ثم ان معروف اقام في سجنه الى ان يلطف الله به فهذا ماكان من أمره (قال الراوى) ويرجع النص والكلام باذن محي العظام الى الملك الصالح ايوب ولى الله المجذوب فانه بات واصبح مثلك يصلى على في كفه الورد فتح ظهر وجلس على التخت وأحدقت الرجال من حواليه وتكامل الديوان وجلست العساكر والرجال والجنود والابطال قرأ القاريء وختم ودعى وختم ورقى الراقي وختم صاح شاويش الديوان يقول صلوا على الرسول

الله يرضى حين تسأله الرضا ⁂ وبنى آدم حين تسأل يغضب
لاتسألن بنى آدم حاجة ⁂ وسل الذي ابوابه لاتحجب

(قال الراوي) قال الملك آمنا ياحاج شاهين جرى القلم من القدم الي المقسم علي الامم بما حكم لاراد لقضاء الله من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه ياحاج شاهين مابيدى حيلة ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ثم ان الملك الصالح بكى فبكي الوزير لبكاه وقال ماالخبر ياأمير المؤمنين قال له الطير الاسود قبض على الطير الابيض ودخله فى القفص واغلق الباب عليه وتركه فى اسوأ حال ياحاج شاهين تداركه الالطاف الخفية باذن رب البريه وهو الغالب ياحاج شاهين قال فبينما هم علي مثل ذلك واذا بنجاب يقبل الارض بين يديه وهو يقول مقام ياأمير المؤمنين قال الملك من أين والى اين قال من الثغر السكندرى ياصاحب القدر العلى صلي علي النبي أخذ الملك الكتاب ففضه وقراه وفهم رموزه ومعناه ثم قال الملك سبحان مسبب الاسباب انا بالدهر خبير امة بعد امة ماخلا الدهر لصاحب نصف يوم وأئمه ولكن خذ ياقاضي الديوان هذا الكتاب اقراه حتى اسمعه انا ورجالى فاخذه القاضي وفكه وقراه واذا فيه خطابا من باشة الاسكندرية الي بين ايادى أمير المؤمقين اعلم ياأمير المؤمنين انه قد ظهر عندي سارق عملى فى ارض

الاسكندرية وأصحابها التجار ضايقوني وكل يوم يعمل عمله فامهل صاحبها ثلاث أيام فلما ضاق صدري ارسلت اليك ادركني اوارسلي لى من يدركني والسلام علي من تظلله الغمام (قال الراوي) وكان السبب فى ذلك هم ماتون وبراميل الذي ارسلهم الريس حنا الي الاسكندريه بمشورة جوان قال الملك ياقاضي ومن الذي يكشف لنا هذه الغمة ويزيل عنا هذه البليه العظيمه ويظهر لنا العمل ويكشف لنا هذا الامر قال القاضي ولدك المحفوظ المنصور الذي سعادته تضيء على وجهه كالمصباح وأنا أكون معيناله وكاتب يده قال الملك عجبت منك ياقاضي كيف انك قاضي الديوان وتصير نفسك كاتب لبعض الغلمان قال له ياملك الاسلام هذا لكثرة المحبة لبيبرس هذا وقد البسوا بيبرس باشا بالاسكندريه والقاضي كاتب الاشغال له وقضوا اشغالهم وتودعوا من احبابهم وساروا طالبين الاسكندرية وسبقت الاخبار الى باشت الاسكندريه فتهيأ للقاء القادمين ولما أن وصل الى الاسكندريه نهض الامير بيبرس وطلع بعسكره ورجاله الي ديوان الاسكندريه فهذا ماكان منه (قال الراوى) واما القاضي فانه من اول عبورة الاسكندريه ماظهر له خبر ولا أحد عرف له مستقر (ياسادة) والامير بيبرس بعد ان أخذ راحته صبر الى الليل بعد أن نامت العيون ونزل وهو مستنكرا في صفة تاجر من تجار الاسكندريه ولم يزل كذلك الي ان عبر من باب هناك يقال له باب شرقي وتأمل فرأى اثنين عياق الاول حامل شكمجيه على كاهله والثاني خلفه وهو سالل سيفه من غمده فتبع آثارهم الى ان خرجوا من مكان هناك خراب وانتهوا اليه وبيبرس خلفهم غفير ولما انهم انتهوا الى ذلك المكان تأمل بيبرس وحقق النظر فرأى اللعين جوان جالس فى وسط اللئام والبرتقش الى جانبه وحوله اربعين بطريق قاءيق أشد كفرا ونفاق فلما أن رأي ذلك الامير تعجب وقال لاحول ولا قوة الا بالله العلي العظيم هذا هو القاضي لامحالة ياليتني طاوعت عثمان فلا شك ان عثمان من أصحاب الكرامات وأهل

المكاشفات الظاهرات اشهد أن لااله الا الله واشهد أن محمد رسول الله فكم من مرة يخدثنى بأن القاضى جوان وأنا لم أصدقه في ذلك السان وهذا وقد تقدموا الاثنين العياق الى عند رأس الشرك والنفاق فقال لهم جوان مامعكم ياولادى فقالوا له أتينا بعمله سراقة باشت الاسكندريه حسان الكردى ولكن تتبعنا بيبرس الباشا الجديد وانه واقف خلف الباب سامع كلامنا وشاهد مقالنا فقال جوان هذا لايتدارى في البيبان ويتزاوي فى الحيطان الا النسوان فعند ذلك عبر الامير بيبرس بقلب أقوي من الصخر وجنان اجرى من تيار البحر وقد زاد به الغيظ والحصر وجود اللت بيده وهجم وهو يقول حاس يا كلاب الروم الله أكبر فلما ان رد الكفار الي ذلك الانار اراد أن يجرد السيوف ويوقعوا به الخوف فقال لهم جوان اسيطه يعنى لا تعجلوا وتأنوا فان البنج قد تمكن منه (ياساده) وما تم اللعين كلامه حتى سقط الامير الي الارض فحملوه فى صندوق وأغلقوه عليه وقال لهم اللعين جوان اذا جاء الصباح خذوا أنتم العمل فى ذلك الصناديق وخذوا معهم ذلك الصندوق وأقبلوا بهما الي البحر واكون انا متزي بزى القضاة واجلس على هذا الصندوق وانتم فى زى التجار فاذا رأني أمسير البحر لم ينعرض لى بشىء من الاسباب واذا سلكتم الاباحة فامضوا بكل ما كان معكم الى جنوى فقالوا له سمعاً وطاعة (قال الراوى) وكان اللعين لما وصل الى اسكندريه أخذ برتقشه وسار به الي بيت القاضى الذي فى اسكندريه وكان من غلمانه وهو الذى أنزله هناك فقام له وسلم عليه واجلسه الى جانبه ولما استقر به القرار سألوه عن ماتون وبراميل فأعاد عليه القصة فقال واين مكانهم فقال له انهم في مكان جهة باب شرقي فسار اللعين ودخل عليهم ليلا واجتمع بهم وسرح ماتون على حسب عادتهم وأتوا بالعمله من سرايه وقد قابلهم بيبرس كما ذكرنا وتبع أثرهم كما وصفنا وجري من القصه ماقد حررناه فهذاما كان

الاصل والسبب (قال الراوى) وأما ما كان من أمر جوان فانه صبر حتي طلع النهار ولبس ملابسه ووقف على البحر وقد عبرت الصناديق ووضعت على ساحل البحر بالتحقيق قال واعجب مافى هذه السيره العجيبة ان البحر كان عليه رجل كشاف يسمى أمين البحر من الرجال المشهورة بالكرامات يقال له محمد بن جمعه وهو من أولياء الله الخواص معه جريدة خضرا يقال انها من النخلة التي سجدت للنبي صلي الله عليه وسلم وهذه الجريدة اذا أقبل عليه صندوق يطرق بها مرة واحدة من غير ان يفتحه فيعرف مافيه ولما ان تصففت الصناديق اقبل القاضي وجلس على الصندوق الذي فيه الامير هذا وقد أقبل محمد بن جمعه يطرق صندوق بعد صندوق وكلما طرق صندوق أمر بنزوله الى البحار حتى أقبل الى الصندوق الذي فيه الامير والقاضي جالس عليه فقال ابن جمعه قف على حيلك ياقاضى حتي اختبر الصندوق فقال له لا تفعل فهذا مكروم لاجلي فقال له انت لا تتعرض الي هذا فقال لابد من تفتيشه هذا وقد صاروا يتشاجرون مع بعضهما البعض فبيناهم كذلك واذا بعتمان بن الحبله وقد أقبل لما اراد الله شر هذا الفعل قال وكان السبب فى اقباله انه لما أن أصبح الله بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح دخل بيت سيده فما وجد له خبر ولا وقع له علي أثر فسأل عليه من حسان الكردى فاخبره بانه خرج فى الليل وما علم الى هذا لان نخرج عتمان هاجا على وجهه حتى أقبل على مينة البحر فرأى ذلك البحار ينزلون الصناديق الى البحار ورأى ابن جمعه وهو يتشاجر مع القاضي واقبل عتمان الى القاضي وقال له دعه يفتص الصندوق قال القاضى امضى الى حال سبيلك ياممقوت فما استتم كلامه حتى ان عتمان رفع يده الي الهوي ولطمه علي وجهه لطمة كادت أن تحل به النقمه وقد وقع الطيلسان والمقله من علي رأسه وقد ضاعت حواسه وغاب عقله وأراد أن يصيح آخ فغلبت على لسانه اللغوة المقلوبه فصاح بملو رأسه واي فقال له عتمان نصراني

يا ابن القحبه وهو يقول أنا في عرضكم يامسلمين هذا وقد اجتمعت الناس وهم يتكلمون فنهم من يقول ان القاضى نصراني ومنهم من يقول أن عثمان قتل القاضي هذا وقد كثر الزحام والتمت الناس وعثمان لم يزل يضربه حتى كاد أن يعدمه الحياه وهدوا عليه الناس وايقظوا اللعين بشرب الكاس ولما ان هدي روع عثمان وارادوا أن يحققوا الحاضرين ذلك الشان تأملوا على القاضي فلم يروا له خبر ولا وقعوا له على أثر وكذلك الصناديق فقالوا له ياعثمان اعلم ان خصمك هرب قال وكان السبب ان البرتقش لما انهتك ستر جوان واشتغلت الناس بعثمان وقد سقط اللعين الى الارض لايدرى بما حل عليه ولا يعرف الطول والعرض أقبل البرتقش من خلف النلص وجر الصندوق الي البحو وقد أخفاه بين الصناديق وأخذ البرتقش الرجال بالصناديق وطلبوا جنوه من وقتهم وساعتهم فهذا ما كان من أمر الصندوق وأما ما كان من أمر اللعين جوان فانه مازال مرمي حتى أفاق من غشوته مضطرب ذات اليمين وذات الشمال فرأي الناس مشتغلين عنه في ذلك الاحوال فانسل من وقته وساعته ونزل فى مركب خلاف الذى نزل فيها البرتقش فهذا ما كان منه واما ما كان من أمر الاسطى عثمان فانه لما ان رأي الامر كذلك قال لعقله لم يكن غريمي فى سيدي الا أبو قؤطه ثم انه ترك اسكندريه على ماهى عليه وقد زاد على باشت اسكندريه الامر من الناس اصحاب العمل وسار عثمان طالب الملك الصالح ايوب قال فبينما الملك الصالح فى الديوان واذا بعثمان طالع عليه وهو يقول ياليل قال الصالح أهلا وسهلا فقال عثمان لا اهلا ولا سهلا اعلم ياأنيس انك ان طلعت الى السماه تأتي الى بيبرس وان نزلت الى الارض تأتي الي بيبرس قال الملك وأين هو قال له انت قد أرسلته صحبة بتاعك والقاضي ظهر أمره انه نصرانى وربنا كشف ستره على يدى أنا قال الملك ياعثمان اعلم انه كان له عندنا عيش يا كله وعزة الله أنا أعرف حقيقة حاله وقد ساررته في أذنه وقلت له أنا أعلم بانك أنت جوان وأنا عارف

انك ليلا تظن انك كنت عندناس لم يعرفوك ولـكن علمت أنك لك ايام عندنا وعيش تأكله وقدسمينا من الاحرار كتامين الاسرار فعندذلك قال ايبك التركماني لاحول ولاقوة الابالله العلي العظيم القاضي جاور يابعض شاه قال الملك نعم وكل من كان منكم صلى وراه سنة أو أكثر فلابد ان يعيدها لانهاباطله فعندذلك بكى الاغا شاهين الافرم فسأله الملك عن بكاه فقال له أنا بكاي على أبطال صلاتي التى صليتهاخلف هذا الملعون وحيث علمت انه كافر فتلزمني الاعاده فقال الملك الحمد لله رب العالمـين الذي لم أصلي خلفـه ولاركعـة واحدة هـذا وقد قال ايبك هناضاعوا فلوسنا وراحوا عنا بلاش (ياساده) وعثمان قال للملك الصالح هات لي الاشقر فقال له الملك سير ياعثمان الي اسكندرية وهاأنا خلفك علي اثرو آتيك بسيدك فقال عثمان لايمكن ذلك ابدا و ان اردت ذلك واتني بضامن لك فقال الملك انا ضامني على الاغا شاهين فقال الوزير ضمنتك وتطلع تهرب في السراية وانت تعلم انني لم اقدر على عثمان ابن الحبلة فقال له انالم أهرب فقال له ضمانه على ياعثمان من هنا الى اسكندريه (قال الراوى) فبينماهم على مثل ذلك الامر واذا بالاغا نازل من الديوان يقول للملك كلم الست فاطمه شجرة الدر فنهض الملك وصعد الى السرايه فرأي الست تترجم مثل الجمل الهايج وهي تقول وعزة الله ان لم تأت بولدي والا اسلط عليـك الجاريه حرير فقال لها سمعا وطاعة ثم نزل من ساعته الى عثمان وقال له بيني وبينك ديوان اسكندريه وجعل تنظر قدوم الملك الصالح أيوب فهذا ماكان منه وأما الصالح فانه جمع اولاد عمه الاكراد الايوبيه والامراء المصريه وترك الامير خلجان الطور بالنيابة عنـه ونزل فى العمارة حتى اقبلوا الى اسكنوريه وسبق الخبر الي باشة اسكندريه فأمر بالزينة والمهرجان وقد استقبلوا الملك في اعز الاقبـال وطلع الى الديوان فلمـا استقر به الجلوس طلع عثمان عليه وقال له الآن قدمصت ضمانة الوزير فقوم على حيلك هات لي الاشقر فقال الوزير ياشيخ عثمان اناضمانتى خلصت وهذا غريمك بين يديك فقال الملك

ياعثمان تجمل على الي الظهر ولو جاء وقت الظهر امهلني الى العصر ثم الى المغرب ثم الى العشاء فلما أن جاءت العشا نهض اليه الاسطى عثمان وقال له قم هات الاشقر فقال الملك هذا يكون اذا جاء وقت الصباح فقال عثمان لا وعزة الله ان لم تقوم معى الآن والا ضربتك بهذه الرزه لم اخليك تقوم من مقامك فعند ذلك نهض الملك الصالح وأخذ عثمان فى يده وسار به حتى اقبل الى البحر وأشار الي البحر بيده ونزل يخوض وعثمان معه في البحر الي عند خلخال ارجلهم وما زالوا كذلك حتى عبروا من الجانب الآخر واذا بالملك قال له غمض عينك ياأخي ياعثمان فغمض عثمان عيناه وقد عد سبع خطوات واذا به فى أرض لا يعلمها الا الله فقال الملك انقذني ياصاحب الدرك واذا بشخص مقبل على الاثنين فلما قدم سلم وأشار الي عثمان بيده فوقع على الارض مغشيا عليه كأنه قتيل وكان هذا سيدي عبد الله المغاورى وقد لحظ عثمان لحظه عظيمة وقال للملك الصالح سير من هنا الى جزيرة القطب واجبه فيما يأمرك به فقال سمعا وطاعة ثم قال المغاورى سير على بركة الله واشار على عثمان بيده فأفاق من غشوته فقال الصالح هات يدك حتي نعدي الى البر الآخر فقال عثمان أنا بقيت اكثر منك عدي انت وحدك وأنا أعدي وحدي ثم خاضوا الاثنين وساروا حتي أتوا الى الجزيرة المعلومه التى أخبره بها سيدى عبد الله المغاورى واجتمعوا بالقطب فيها فلحظ عثمان اللحظة الكاملة ثم قال للصالح اعلم ان بيبرس فى جنوه وانت لابد لك من النصر ولكن لايكون ذلك الا على يد رجل يقال له أبا بكر البطرتى وأيضا على يد أولاد اسماعيل الاشراف نخذ هذه الجريده وهي من النخلة التي سجدت للنبي صلى الله عليه وسلم واكتب لهم التذاكر واحمل كل تذكرة فى سلخه من هذه الجريدة واحذف واحدة الى البحر والاخري فى الهواء وانظر مايأتى من الالطاف الخفية فقال له سمعا وطاعة واخذ الجريدة من القطب وتودعوا منه وسألوه الدعا فدعا لهم وعادوا

راجعين الى اسكندريه والملك يقول ياعثمان لاتتكلم بشيء من ذلك حتى نسافر الى جنوه فقال عثمان سمعاوطاعة اتاريك راجل واعر قوي قال له اسكت ياعثمان ثم ان الصالح كتب تذكرة الى أولاد اسماعيل الاشراف وجعلها فى سلخة من الجريدة وأرماها افى الهواء وكتب الثانية باسم أبا بكر ورماها الى البحر كما علمه الاستاد وقال لهم انزلوا الى العماره فنزلوا طالبين جنوه وحسان الكردي فى اسكندريه نايباً عن بيبرش وقد أخذوا عليه أولاد اسكندريه ميماد شددين فهذا ماكان من أمر هؤلاء

(قال الراوي) فبينما هم سايرين واذا بالبحر هاج وماج وتلاطم بالامواج واذا بغليون مقبل عليهم فقال الملك للرئيس فرحات اكشف لنا خبر هذا الغليون فارسل يكشف خبره فيراه أعجام سنيه مسلمين يهزون العرش بالتوحيد فلما تقاربوا منه قال لهم الملك من أنتم قالوا من العجم مسلمين والى مصر طالبين لاننا نريد أن نجتمع باخينا الدولتلي الامير بيبرس فقال لهم وما أسماء كم فقال واحد منهم تقتمرسم الموت ونحن اخواته وهذين الاثنين أولاد أخته وهما بدعدي رأي وغميش فقال الملك ما السبب فى مجيئكما فقالوا له نحن أتينا مع هذا الرجل المسمى محمد بن كامل الهجان الذي أرسله ليلة دخوله على زوجته حجيج كما قدمنا فسافر وادي الرساله وأخذ الواجد وطلب المسير ورد الجواب فكتب له القان شاه جمك كتاب وسير معه اخوته الاثنين وأولاد اخته الاثنين على قصد زيارته ويعودوا الى مكانهم بالثاني فطلبوا الوصل ونزلوا الي البحار وما زالوا كذلك حتي انتقلوا من بلد الي بلد ومن أرض الي أرض حتى انهم تقابلوا مع الملك وهو ساير فى البحار طالب جنوه فلما ان وقعت العين على العين وعرف الملك الحقيقة قال لهم الملك خليكوا معى لانني ساير طالب أرض جنوه بسبب اخيكم بيبرس لانه هناك فساروا معه الى أن تقاربوا من ارض جنوه فقالوا نسير الي المينة واذا بالنار خرجت من الاربع

جهات فقال الملك سيروا بنا الي البحار حتى نمتنع عن النار ثم ساروا وقد استقبلوا البحار وساروا والملك يقول اذا كان وقت الظلام نأتي ونملك الميته فبينماهم كذلك واذا بعشرة غلايين قد أقبلوا من وسط البحار واحتاطوا بمركب السلطان من كل جانب ومكان وأرادوا أن يستأسروا بالاسلام وقد تضايق منهم الملك ومن معه من الغلمان قال وكان السبب في ذلك سبب عجيب وهو ان اللعين الرين حنا أرسل يستنجد ملك العجم وملك الفرس فاما ملك العجم فارسل له العشرة غلايين في البار وأما ملك الفرس فانه أرسل اليه العشرة آلاف فارس وكل من الملكين له عندها كلام وتذكار وكان السبب في ذلك ان البرتقش سار بالامير بيبرس وماتون وبراميل والبطارقة حتى عبروا الى جنوه ودخلوا على الرين حنا وقالوا له ها قد جئناك ببيبرس وهذا هو البرتقش قال وأين عالم الملة فبينما هو يقول واذا به قد دخل عليه فقام به وتلقاه وسلم عليه وذبح له خنزير تحت رجليه وكان اللعين من ساعة ان هرب من عثمان طلب جنوه في مركب أخرى وسار فصادف دخوله دخول البرتقش هذا ولما أن استقر بهم الجلوس قال جوان هاتوا بيبرس فأتوا به الى بين يديه وقد أمر أن يرموه الى نطعة الدم فارموه وأعطوه ضد البنج عطس فقال أشهد ولا أجحد بدين الاسلام انا فين قال جوان انت عندي يا كناس يامرفوص سبعه عشر خزائن مال ونصف أخذتهم مني غير الذي اخذته من ابيك وأنا لم ابلغ مرادي منك وقد اقمت لاجلك سبعة سنين وأربعة أشهر وأصوم شهر المسلمين وأصلي صلاة المسلمين وآكل لحم المسلمين كل ذلك لاجلك ولم أبلغ ما أريد والآن قد بلغني المسيح مرادي فقول كلمتك عند المنطار هذا وقد انتدب على رأس السياف واذا بغلام قد أقبل من المدينة الى الديوان والغلمان في خدمته فلما أن رآه الرين حنا هم له على الاقدام وهموا الآخرين لوقوفه فقال له من هؤلاء يا ابونا ومن هذا الذى تريدوا تنظروه قال له هذا بيبرس تابع رين المسلمين عدو عالم الملة

جوان قال ومامرادك فيه قال مرادي امنطره قال له أنت ان طاوعت جوان لم ينفعك بشيء وربما يتحرك عليك رين المسلمين ولم انت قدره أما تنظر كيف أخذك معروف وكان مراده قتلك ولولا وقوعك في عرضه لما كنت تنحوا فلاتطاوع جوان فانه لم ينفعك أبدا (ياساده) عندذلك خرج البرتقش الى ساحل قفا جوان وقرعه هم يدر رأسه له ثم قال له يا ملعون أما تدري من هذا الغلام قال لا ياسيف الروم قال له أما هو جنيد اما هو الذى أدعيت انك قدأحضرته الى ابيه الرين حنا قال جوان ياليتنى كنت قتلته قال له البرتقش تقدر تنظر اليه بعين النقص وهو الآن عند الرين حنا قال جوان هو عارف بيبرس قال البرتقش يعلم رب المسيح هذا وقد قال جنيد ياأبويا اعطينى هذا الغلام حتى اعذبه وأوجعه وأضربه وأجعله يسيرى وخادمى قال له خذه لديك ياولدي قال جوان وايش هذا الكلام قال جنيد انت تراجعني في قولى يا كناس وحق رأس أبى ان لم تضرب علقه والا أغضب قال الرين حنا اضربوا جوان علقة لاجل خاطر ولدي ففى عاجل الحال ضربوه وهو يصيح تحت العقوبة ياأولادى تكفروا قال له الرين حنا احمد رب المسيح الذي نجاك من يده من القتل لانه ولد احمر احمق وانا لم اقدر عليه ابدا هذا وجنيد قد اخذ بيبرس ودخل به الى مخدع كبير وصلبه على العامود وقال له بلسان فصيح اذا انا ضربت هذا العمود بهذا الصوت فصيح انت وقول آه ثم رفع يده وضرب العامود بهذا الصوت فقال له الم اقل لك بأنك تصيح قال له يا اخي ولأي شيء اصيح بلا عقوبة هل سمعت او رأيت ان احدا يصيح من غير ضرب قال له صدقت وها انا اوصيك ان تصيح ثم رفع يده بالصوت وضربه ضربة لطيفة على اقصابه من اسفل فصرخ آه ياجنيد فقال له خليك على هذه الصيحة قال وكان البرتقش تبع آثار جنيد لاجل ان ينظر ماذا يصنع ببيبرس وقال في سره ان هو أكرمه فلاشك ان يكون

عرفه وان لم يكرمه فلاشك ان يكون جاهلا به فلما سمع الصراخ رجع الى جوان وقال له ان جنيد لم عرف بيبرس قال جوان شكر للمسيح الذي لم يعرفه ثم ان اللعين جوان التفت الى الرين حنا وقال له لابد أن يأتي اليك رين المسلمين قال له وما يكون الرأى قال له لاتخف ثم أرسل الكتابين بمعرفته الى الفرس والعجم فهذا ما كان من امرهم وأمر السلطان كما ذكرنا وعدنا الى سياقة الحديث باذن من يحيي ويميت قال فلما نظر السلطان الى ذلك وقد احتاطوا به الكفار فى البحار طلب الفرج من عالم الاسرار فبينما هو يتضرع الي الله تعالى واذا بالبحر هاج وماج وأرعى وأزبد وانكشف الغيم عن غليون كبير طوله تسعين ذراع بالذراع الكامل وعرضه سبعوون ذراع أيضا وهو متحصن بالمدافع وعليه خمسة وسبعون مغربي ولما ان وقعت العين على العين صاح كبير الغليون على رجاله وقال لهم ديروا الغراب ميمنه ياأولاد غيشه فاداروه وقد احتكموه بمعرفته واذا به قد ارتفع بمقدمه الى اعلاه وأرخا مقدمه على أول غليون من غلايين الكفار فسمع الفرار ثم صاح القبطان مسيره يا أولاد عيشه وخرجت الدخنه وأرادوا الغليون ميسره وأرخاه على الثانى فغرقه ولم يزل يغرق واحد بعد واحد حتى غرق ستة غلايين وقد اشتد عزم الاسلام فهلكوا الاربعة الباقين وقد قتلوا كل من فيها من اللئام ومن هرب منهم وقع فى البحار وقد قطروهم الي غليون السلطان وأقبل البطرني الى عند الملك فقبل يده وسلم عليه فقال له لملك الصالح اهلا وسهلا ومرحبا بأبى بكر البطرني الطنجاوي انت اسمك ايش قال له يا سيدي ثبتت لكم الكرامه قال الملك وأنت من أين جيت لنا والي اين سائر وما سبب قدومك علينا فقال له اعلم ان لي حكاية من العجب لو كتبت برؤوس الابر على أماقي البصر لصارت عبرة لمن اعتبر وذلك ياأمير المؤمنين

اني انا من موينة طنجه بمملكة مراكش ويقال لهامراكش الغرب من مينة يقال لهـا الملـكة وابى هو الحاكم على ذلك وكانت عونة اكابر دولته ربعمائة وخمسـة وسبعون مغربى وكل واحد منهم تحت يديه عسكر ورجال وكان ابى قليل الذريه فيوم من الايام طلب ابى من الله تعالى الذرية والخلف وكان ذلك قبلي زواجه فلما ان اواد الزواج اقسم انه لا يتزوج الامع هؤلاء الرجال الذين هم اكابر دولته فخطبوا الاخرين اربعمائه وخمسة وسبعين بنت ودخلوا الجميع في ليلة واحدة بعد ان شرعوا فى الافراح والليالى الملاح فأذن الله تبارك وتعالى القادر على كل شىء ان الجميع يحملن من ازواجهن فى ليلة الدخول بهن فحملوا سوى واوفوا الاشهر ووضعوا باذن الله الجميع في ليلة واحده واتوا جميعا بذكور ولم حولين تامين ووداني الي الكتاب وكذلك كل والد ارسل ولده معي فصرت بين الجميع كأني سلطانهم وهم يسمعون لقولى كما ان كان اباءهم يسمعون قول ابى وصرت حاكم عليهم مثل ابي الي ان ختمنا القرآن وفرينا العلوم وتمهرنا ثم ركبنا الخيل سوى وتعلمنا الحروب وبلغنا رشدنا ثم طلبنا الزواج فسألونى في ذلك قلت لهم حتى اشور على ابى ثم شاورته فى ذلك فقال لي حتي انكم تعرفوا لكم صنعة تأكلون وتشربون منها لان العز والسلطنه لا تدوم لاحد فهداني ربي وخرجت مع رجالى الي جهة البحر وتوضئنا وصلينا ركعتين وطلبت من الله انه يهدينى على ما افعل فبينما انا ورجالى اطلب من الله واذا بغراب قد اقبل وانقض من الجو وصـار بنقش فى الارض بمنقاره ورجليه فلما طار الغراب نهضت انا وتأملت ما الذي فعله الغراب واذا به نقش صفة غليون فجلست فى الارض وجعلت انقل صورته ثم صورت هذه الصورة نقشا بالحرير الاسود حتى أخذت صورته كما هي ثم قلت للرجال الدين هم معى مرادى أعمل غرابا على هيئة هـذا فقالوا لى افعل كلما تريد فها نحن لقولك سامعين ولامرك مطيعين ثم تقسموا اقساما فمنهم من صـار يقطع الاخشاب ومنهم من صار بعمل الحديد ومنهم النجار ومنهم

القلافطين ولم يزالوا كذلك وهم يشتغلون وأنا أرسم وأعلمهم حتى استتم ذلك الغليون وسميناه بالغراب لان الصورة التي رأيناها اولا نقشها الغراب ثم تعاونا عليه باجمعنا اننا ننزله الى البحار فلم نجد الي ذلك من سبيل فصرنا نقعد عند الغراب بالنهار ونتركه بالليل ولم نزل على ذلك الحال سنة كاملة فلما ان اعيانا الامر سرنا الي منازلنا آخر النهار وبعد انصراف الرجال رجعت انا بمفردي واتيت الى الغليون وتأملت ونمت فيه بمفردي فلما كان نصف الليل واذا بطير وقف وأقبل على مقدم الغليون وسمعته يقول بلسان فصيح لا اله الا الله محمد رسول الله يا ابا بكر ونظرت يا سيدى ماذا وهبت من هذا الغليون الى سيدك أحمد البدوى وروح انت الي ديارك فى ليلتك وعود الى الصباح ترى الغليون فوق الماء فكتبت منه أربعة قراريط للحرمين الشريفين واربعة لسيدي أحمد البدوى وتركت الغليون ثم رجعت الى دياري ولما كان عند الصباح أتوني الرجال وسرت بهم الى الغليون واذا هو على ظهر المياه ففرحت انا ورجالى وسألوني عن الخبر فأخبرتهم بالقصة وامر الطائر فتعجبوا من ذلك غاية العجب ثم سار كل منهم الى اهله وودعهم وتوجهت انا الى ابي وتودعت ايضا وقلت له اني اريد ان اسافر فى هذا الغراب المنصور لانه قد صار فيه الثلث موقوف على الحرمين والسيد احمد البدوى فقال لى ابي اعلم ياولدي انى اخاف عليك من رجل جبار يقال له الزير القطلان لانه رجل كافر عنيد وهو ضد لكل مسلم علي وجه الارض وانه دايما ملازم البحار فقلت له ياابى لا تطيل الكلام والحافظ هو الله رب الانام ثم انى اخذت الرجال وسرت بهم في ذلك الغراب وسرنا نتعلم امر السير فى البحار فأتينا الى جزيرة وطلعنا فيها ولم نعلم ماقد قدره الله علينا فمن الامر المقدور كان الزير ساير الى تلك الجزيرة فلما اقبل اليها وجدنا كلنا فيها نيام فهجموا علينا الكفار وقبضوا علينا قبضا باليد وكتفونا بعمايمنا وأرادوا ان يبطشوا بنا ويقتلونا فقال لهم الزين هؤلاء

اطفال صغار لم نخاف منهم ولم نخشى امرهم فدعوهم حتى اننا نسكر ونجعل جثثنا نحن سكاري على دمائهم فتركونا مشدودين وجعلوا يسكرون حتى غلب عليهم السكر بالنوم ومالت رقابهم فقلت لاحد أصحابى هل فيكم من يكون حامى الاسنان حتى يقرض كتافى فتقدم رجل مثل الفحل الجاموس يقال له عبد القدوس وقرض كتافى فى أقل من لمحة فقمت على حيلى وفكيت باقى أصحابى وقبضنا على الزير القطلاني وجماعته وصرنا نذبح فيهم ونرمي في البحر حتى أهلكنا الجميع وعلقنا الزير علي مقدم الصاري وقطرنا الغليون فى الغليون وسرنا طالبين مدينة طنجا وقد سبقتنا المبشرين فلما اقبلنا هرعوا اهالينا وسألونا عن حالنا فأخبرناهم بما كان من امرنا فزينوا البلد لقدومنا ولاجل النصر الذي حصل لنا وصاروا يرمون على القطلان النشاب حتي صار اللعين مثل القنفد وعجل الله بروحه الي النار وبئس القرار فلما جري لنا ذلك قوى عزمنا على المسير فى البحر ولكننى ياأمير المؤمنين لم أعرف الطرقات ولا غيرها فسرنا فى البحار وقد غضب البحر وقوى الرياح فتهنا عشرة ايام فطلبنا الفرج من الله واذا بالبحر هاج وماج واقبل من وسط المياه رجل من اولياء الله تعالي يقال له سيدي عبد الله المغاوري وهو في سلوره من الجريد الاخضر فسلم علي فقبلت يده فقال لى خذ هذه الذخيرة فأعطاني كتابا يقال له دايرة البحر وبشرني بأنى على مدي الايام أكون سلطان البحر ثم دعالي وتودعت منه وأمرني بالسير فسرت من ساعتى الى بلدي طنجا وأخبرت أبى بما جرى ففرح بى وقال لى الله يأخذ بيدك ياولدي ثم انه زوجنى انا ورجالي وبعد ذلك اقمنا الإفراح مدة سبعة ايام ودخلنا علي اهالينا وأقمنا معهم نحو عن سبعة أيام آخرين وتودعنا منهم واتينا اس البحر وقد أمرت أبى ان يحرق الغليون الذى اكتسبناه من الزير القبطلانى وأخذت الرجال ونزلت

ساعتي البحر وسرنا متوكلين على الحكيم الستار فبينما أنا ساير في وسط البحار واذا بالغليون قد وقف يا أمير المؤمنين فقلت للرجال انظروا ما الخبر فقالوا ان في مقدمه جريده خضراء وهي الذى قد منعته عن السير فزاد عجبي لذلك وقت الى تلك الجرقدة وأخذتها واذا فيها تذكرة فقرأتها واذا فيها خطابا من الفقير الى الله الملك الصالح الى بين أيادي أبي بكر البطرني حال قرأتك هذه التذكرة تأتي انت ورجالك الى نصرة الاسلام وها نحن قريبا من جنوه فأجبت بالسمع والطاعة وسرت كما أمرت من ساعتي ولم أزل كذلك حتى أتيت اليكم وقد رأيتكم في حرب الكفار وحصل النصر من الملك الستار فهذه قصتي والسبب وحق من على العرش احتجب ثم ان الملك بعد ان سمع ذلك الكلام قال له والله لقد صدقت وصدق سيدي عبد الله المغاوري ولكن لبسوه سلطان البحرين ملعون ابن ملعون من كان يعزله حتى يموت فألبسوه سلطان البحرين من ساعته هذه وجعل مقامه مع الاسلام وسار الغليون برسم السلطان وقد قرر الملك عادة تخرج من عنده الى السيد البدوي والحرم تقوم بمقام الثلث فهذا ما كان من امر هؤلاء (قال الراوي) ثم ان القبطان امر الاسلام ان ينتقلوا من المركب الذي هو فيهم وينزلوا الى الغراب ولما ان تقرب من جنوه خرجت عليه المدافع فخرجت المدافع ايضا من الغراب المنصور لانه كان كامل العدد والالات من جميع ما كان يحتاج الامر اليه هذا وكبس القبطان تحت الدخنه وملك المينة ففرحت الاسلام وقال الملك اللهم انصرك يا أبوا بكر يابطرلي انت وغرابك في ساير الاماكن هذا وقد نصبت الخيام في المينة وقد جلس السلطان واغلقت ابواب البلدان في وجهه (ياساده) وقد علم الرين حنا بكسرة الاعجام فعند ذلك اشار الى ملك العرسان بالحرب والقتال ولما ان مضى ثلاثة أيام على ذلك الامر بفتح ابواب البلد ونزل ملك الفرس يقال له قارس البطريق فلما ان وصل الى الميدان وطلب البراز

والطان وقد ارادت الرجال ان تقوم الي القتال فقال الملك وعزة ربي لم ينزل له
غيري ثم ان الملك ركب شهبته وأخذ سيفه الخشب وترسه الجميز وصار يقول
وتوبة الله لأحارب حتى انى اكون من المجاهدين المنصورين المقبولين عند الله
ولم يزل سايرحتى أتى عندفارس البطريق ثم قال الملك تعالى يامن هومنا ونحن
منه قرب مني ثم انه أشاراليه فأخذته سنة من النوم فرأى كأن الملك الصالح
وهو يقول له انت من الفرقة الناجية يوم القيامة فما تقول في دين الاسلام
فقال له يا سيدى أنا أسلم على يديك ثم ان الملك الصالح أسار بيده عليه فأفاق
وهو يقول أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمد رسول الله وانك ياسيدي
ولي الله تعالى فقال له الملك الآن فزت بالنجاح فسر من شاعتك الى عرض
الاسلام فقبل يد الملك وسار طالب غرض الاسلام فلما أن رآه الرين حنا
وجوان والبرتقش الخوان تعجبوا من ذلك الشان ثم قال الملك بارجل ياجوان
ارسل رجل غيرهذا لانه أسلم فقال البرتقش نزل غيره يالعين الآباء والاجداد
فنزل بطريق آخر فقتله الملك الصالح وثانى وثالث ولم يزل يقاتل الي العصر
وهو يقاتل بالسيف الخشب والرين حنا يصيح واي أعمل ايش يابطارقه
مع المسلمين أما تنظروا هذا وهو يمنطر بالسيف الخشب فقال جوان لا تخاف
ياراجل هاانا قاعد عندكم فقال له ياجوان وبعد ذلك فقال جوان اغلقوا
الابواب ورجع السلطان وقت العصر الى صيوانه فهذا ماكان من أمر هؤلاء
(قال الراوى) ولما ان استقر به الجلوس اقبلت اليه اولاد اسماعيل وقد
أقبلوا وكان السبب في ذلك انهم كانوا في حصن صهيول والرجال مجتمعة
واذا بالجريدة قد أقبلت وسقطت بين الرجال وفيها التذكرة فأخذها نقيب
الرجال وقرأها عليهم وذا فيها خطابا من الفقير الى الله تعالى الملك الصالح
ايوب الي بين أيادى اولاد اسماعيل الاشراف انكم تدركونا على جنوه لاجل

نصر الاسلام وانبرام الاحكام والحذر من المخالفة والسلام فأجابوا عند ذلك بالسمع والطاعة وساروا الى مادعوا اليه من تلك الساعة فهذا كان السبب ولما أقبلوا سلموا على الملك وجلسوا واخبرهم الملك بما جرى من الحرب والقتال فقالوا له ياأمير المؤمنين انت قد حاربت بالنهار وسوف تري حربنا بالليل فهذا ماكان من هؤلاء واما اللعين جوان فانه لمارأى الرجال قدحضرت وملك العجم قد هلك وملك الفرس قداسلم و بيبرس اخذه جنيد فقال ياسيف الروم اعلم انى اذا وقعت في ايدى المسلمين يطرونى وهذا الملك لايعرف كتاب يونان ولاغير يونان وهؤلاء اللئام ساروا مثل الغنم بلاراعى والرين حنا ماله بطش مع المسلمين واحنا مالنا دعوه ايضا فانسل بنا قبل ان يحل علينا امر آخر فقال البرتقش مايصحش لما تأخذ نصيبك فقال اللعين اخرس شيخ يخرق نظرك ثم انه اخذه في يده وسار من البلد ليلا فهذا ماكان من أمر هؤلاء

(قال الراوي) واما ماكان من اولاد اسماعيل فانهم لما ان جن الليل نهض المقدم سليمان الجاموس على الاقدام وقال انا علي فتح ابواب هذه البلدة وقتل الخفراء وقتل الرين حنا وخلاص بيبرس فقال الملك سير ياسليمان سبحان مسبب الاسباب فصار سليمان واقبل الي السور وأرمى معروف وانزله من داحل الاسوار وأراد ان يسير واذا بجارية سوداء قد اقبلت اليه وهي سايرة في قضاء حاجة الي اسيادها فلما رأته خافت منه وارتعدت فسقط القنديل من يدها الى الارض فانطفأ نخرجت منه دخانة قليلة فلما شمها سليمان وقع الي الارض فأخذته الجارية وأدخلته الى سجن ضيق مظلم وأدارته كتاف وأعطته ضد البنج عطس فاغلقت باب السجن عليه وتركته وسارت الى حال سبيلها فسار يتعجب فى أمره (ياساده) ثم ان الملك الصالح قال ياحاج شاهين الطير دخل القفص ياسيدى حسن يامحوراني قدم اكشف لناخبر المقدم سليمان الجاموس قال سمعاً وطاعة وقام ودخل البلد وسلك بمفرده الى الازقات واذا بغلام صغير قد أقبل اليه وقال له

ياغندار انت غريب قال نعم ياولدي أنا غريب قال له أنت على دين المسيح قال له هو الدين الصحيح قال له الغلام سيرمعى الي مكانى لانه بجوار سراية الرين حنا قال حسن هذا هو المطلوب ثم سار قليلا واذا بالغلام جعل عضغ شيئاً قال له حسن ما الذي تأكله قال له هذا ملبس ياسيدي انت تحبه قال له نعم هات فأخذ ومضغ وسار قليلا ووقع الى الارض فاحتمله وسار به الي ذلك السجن وكتفه وأعطاه ضد البنج عطس وقال أشهد ولا أجحد أين انا قال له سليمان انت عندى من جاء بك الى هنا فأخبره والاخر اخبره ولم يزالوا يصطادوا واحد بعد واحد بهذه الكيفيفة حتى انهم اخذوا الجميع ولم يبقى الا الملك الصالح وعثمان هذا وقد اقبل ذلك اللعين الى ذلك السجن وقال لهم وقعتم يا كناسات اصبروا حتى ارسل لكم البرتقش ثم غاب وعاد واذا هو في صفة البرتقش ثم في صفة الرين حنا ثم فى صفة كبير القسس ثم فى صفة راهب الرهبان اربعة وعشرين ملعوب وقد خافوا خوفا شديد ماعليه من مزيد ثم بعد تمام الملاعيب دخل عليهم وقال السلام عليكم ياحضرات الاسلام قالوا على المؤمنين السلام انت من قال لهم والاسم الاعظم انا الذى اوقعت سليمان الجاموس انا الولد الصغير انا البطريق انا الراهب انا كبير القسس انا الراح انا البلبل الصياح انا مزيل من الكفار الارواح والاشباح قالوا له اجال انت شوح يارجل شهوه بطير يقال له الشوح فقال لهما وهذا اسم آخر وقال أنا الملك الصالح فبينما هو يذكر ذلك واذا بالملك قد اقبل مع عثمان وكان السبب فى ذلك أن عثمان قال للملك قم هات لى بيبرس فقال له قم معى ياعثمان حتى ننظر ماالخبر فبينماهم كذلك واذا بسيدي عبد الله المغاورى قد اقبل وسلم عليهم وقال له اعلم ياصالح انك انت ربيت ملك وانا ربيت ملك وهذا الثالث وقد ظهر من علم الله تعالى فقال له ومن هما ياسيدي قال له انت ربيت بيبرس وانا ربيت أبا بكر البطرنى والثالث سيظهر أمره فى هذة الليلة ثم انهم ساروا الجميع حتى أتوا الي جدار السور

وأشار الملك الصالح على الحائط فانشقت ودخلوا منها الثلاثة فقال عثمان قد قرب اجلك يا تيس لان الولي عند ما بانت كرامته ظهرت وفاته وحان اجله ثم انهم اقبلوا الى السجن الذي فيه الفداويه وأشار له الشيخ عبد الله المغاوري فانشق ودخلوا الى الرجال فلما رأوهم الرجال اطمأنت قلوبهم بالملك وبمن معه وقد نظر الملك الصالح الى هذا القيم وقال له جملتها يا جمال الدين فقال هذا هو الاسم الرابع فقال له الملك ما مرادك يا جمال الدين قال له مرادى ان هؤلاء الرجال يطيعونى ويسمعوا قولى واكون عليهم سلطان فقال له ماعليك منهم الآن ولكن سير انت وأتيني بأخيك الامير بيبرس وأتيني ايضا بالرين حنا وبعد ان تحضرهم الي ها هنا احكي لنا على أصلك وحسبك ونسبك وكيف انت ومن اين اقبلت وماسبب فعلك هذه الامور كلها وان شاء الله تعالي تحصل الهداية من الله تعالي فقال له سمعاً وطاعة ثم انهم جعلوا ينتظرونه وهو ساير من عندهم وأتى الى بيبرس ودخل عليه فوجده يصلى فصبر عليه حتى سلم وقال له السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فقال له السلام على أهل السلام فقال له وها انا من أهل السلام فقم معي يا أخي الي سيدك الملك الصالح ايوب ففرح بيبرس وقد ايقن بالسلامه وكان جمال الدين يكرمه فلما وصلوا الى الصالح ترحب بهم وقال يا جمال الدين أين الرين حنا اللعين فقال هاهو يا أمير المؤمنين وناوله جدان فقال الملك اتركوه الآن واخبرني ماالذى تريد يا جمال الدين فقال له أريد ان هؤلاء الرجال يطيعوني وأكون عليهم سلطان واكتب اسمي على شواكر الجميع فعند ذلك تصايحت عليه الرجال وقالوا لا كان ذلك أبداً ولو سقيتنا كأس الردي فقال لهم يارجال انتم الآن فى حضرة ملك الاسلام وانا اريد منكم شيئاً صغير وجوان معى هو ضامن الجلد أريد ان اضرب كل واحد منكم ثلاثة أسواط فكل من اكل الثلاثة اسواط ولم يتكلم ولم يصيح من تحت العقوبة لم أسأله أبداً فيها اطاعه ولالي عليه من سبيل فقال له

المقدم سليمان الجاموس تعالى الى عندي واضرب ثلاث الاف سوطاً عيب على لحيتي ان قلت آه من رجل مثلك قصير فقال له انت مقدم المقادم ثم ضربه اول سوط فحس ان النار قد اشتملت فى بدنه وجسمه وقلبه فصاح بملء رأسه ارجع عنى الله لا يوريك خير يا قصير الشوم فصاح عليه المقدم حسن الحوارنى وقال الله عيب عليك يا مقدام تصيح من قطعة جلده فقال من وقته يا حاج شوخه فصار كل من يضربه سوطا صاح وقال حد الله بينى و بينك يا رجال قال لهم الملك يا رجال أما امركم معروف بن جمر وقال لكم اذا ظهرت جريدة خضره و تعرضت الى السلطنة طيعوها حتي اظهر انا او يظهر من كان يدور على السلطنة قالوا نعم يا أمير المؤمنين قال الملك يا جمال الدين اعلم ان هؤلاء الرجال لهم عليك شروط ولك انت الاخر عليهم شروط فاما شروطك فابقيها الى وقت آخر واما شروطهم عليك انهم اذا كانوا يطيعوك لا يكتبون اسمك علي شواكرهم فى هذا الوقت انت تترك هذا الشرط الى وقت آخر وانهم يطيعوك مادام معروف عايب فتكون انت نايبا عنه واذا حضر معروف وأخذ مرتبته منك يكون طائعين الى صاحب السلطنة فماذا أنت قائل قال له جمال الدين يا أمير المؤمنين كلما تريد ان تفعله فانا ممتثل فيه قال الملك ولنا عليك شرطا اخر وهو انك تحكى لنا على تاصيلتك واصلك وحسبك ونسبك حتى يظهر الامر ويتضح السر و كيف انك مسلم وكيف انك اكرمت بيبرس بغير معرفة فقال له تريد انك تسمعها نظما او نثرا فقال الملك نظما ونثرا حتى اننا نشهد لك بالفصاحة فقال له جمال والرجال الذين حاضرين يسمعون نريد منك ثلاث روق ذهنك والقى سمعك واكثر من الصلاة والسلام على سيد الانام انت وكل من حضر وسمع الكلام فاجابوه بالصلاة على سيد ولد عدنان قال وكان السبب فى ذلك يا أمير المؤمنين ان الله تبارك وتعالى خلق كهين يونانى من الكهان اليونانيه قبل ظهور النبي صلى الله عليه وسلم

والكهين يقال له يونان وكان ماهرا فى علوم الاقلامو كان يحكم على سائرارهاط الجن وكان ياأمير المؤمنين الجان في تلك الازمان يصعدون الى السماء ويسترقون السمع من الملائكة ويخبرون بهاذلك الكهين ويقولون يظهر فلان بعد فلان الى ان قالوا انه يظهر فى آخر الزمان نبى عربى يقال له محمد الاثربى ويعطل سائر الاديان ويظهر دينه المسمى بدين الاسلام والايمان ويتناسل من دينه رجال اشراف يقال لهم اولاد اسماعيل ويظهر لهم رجل بدوي من عرب غزمو يتسلطن عليهم ويطيعونه ثم انه يتخاوي مع رجل آخر يظهر من بلاد العجم ويكون سعدهم ببعضهم ويطلعون على أثر نبيهم ويهدمون الصوامع ويبنونها جوامع ويجعلون الكنايس مدارس ولكن يظهر لهم رجل عدو وهو من نسل اليونانيين يسمى جرجس ثم يتغير اسمه ويسمي بجوان ويجعل لهم مكايد كثيرة ثم يطيعونه غصبا فى آخر المدة ويقطعوه فلما ان سمع الكهين ذلك من الجان ياأمير المؤمنين قال لابد ان احمى جوان من اعدائه حيث انه من نسلنا واصطنع له مايحميه ويحفظه من اعدائه ثم انه صار يكتب كل ماأتوا اليه به الجان من السماء ويكتبه في صفائح من ذهب ويكتب فى ذلك الصفايح جميع المهالك للاسلام وجميع المسالك الى جوان من مولد جوان الى انتهاء مدته وكل ما كان يحصل له من المهالك في حياته عمل لها مسالك فلما ان انتهى الى آخر عمر جوان ختم الكتاب وجعله تحت يده و كان فيه جميع المهالك للاسلام والمسالك الى جوان ورتب له كل ما كان يلزم له الحال فى سائر البلدان وأخر الكتاب تحت يدة وصار يرسل الجان الى الاماكن التى يقبض فيها جوان ويعلمهم مايفعلون فيها حتى اذا ظهر جوان يعتمد الى فعالنا وينجوا من أعدائه باعمالنا ووكل الجان بتلك الامور وصاروا اخدام وغير ذلك من الطلسمات ولم يزل الكهين الى ان مات وظهر بعده ولده وكان يقال له اينان فلما نشأ وجلس مكان ابيه وحكم على الجان وعلم ما

يكون وما كان فاحضر الجان التاه فقال لهم اخبروني عن فعال ابي فأخبروه بما فعل أبوه فقال لهم وقد هداه الله تعالى الى الاسلام وذلك انه ضرب الرمل مرارا فوجد ان هذا النبي الذى يظهر في آخر الزمان على الحق من نسل ابراهيم الخليل واسماعيل الذبيح عليهما الصلاة والسلام فتبين له ان الاختلاف معهم وفى أديانهم فلما عرف ذلك المرام أهداه رب الانام الى دين الاسلام فاسلم وأمره الى الله سلم وعبد الحنان المنان على ملة خليل الرحمن ثم انه جعل يرسل الجان الى السماء يسترق السمع منها ويأتونه بما يسمعون وهو يكتب المال الى الاسلام ومامن مهلكة عملها أبوه الا وعمل لها مسلك ثم ارسل الجان الى المهالك الذي عملها أبوه وجعل فيها مسالك لنجاة الاسلام وجعل ذلك في صحائف من الفضه وقرنها ببعضها في ذلك الكتاب وما زال يفعل ذلك الاحساق الي ان انتهى زمان ظهور شيحه الذى هو انا يا أمير المؤمنين ولما تهيأ الفراغ من ذلك سمي هذا الكتاب كتاب اليونان ثم احتكمه عنده الي ان مات وخربت تلك الاماكن العامرات هذا والكتاب مكتوب بالقلم اليوناني وقليل من الايام من يفهم ذلك الكتاب ولم يزل كذلك يتوارثوه الكفار حتى اتى الى البطرق كرسميون وكانت تداولت الايام وظهرت دولة الاسلام وكان هذا كرسميون له أخ يقال له أصفوطه وهذا اصفوطه رجل فاسق فاجر واما كرسميون ملازم على الديوره ومتمكن على الاحوال التى يقولون بها ويفعلون وأخيه يشرب الخمر ويفسق بالنساء والذكور ثم ان كرسميون صار يقرأ فى ذلك الكتاب ويصعد على منبر فى هذه الكنيسه ويقول ياأولادي يظهر فى هذا العام كذا وكذا وهم يصدقونه لان كلامه يأتي كما يقول وبهذا يعتقدون هذا وقد ساروا الكفار والرهبان اليه يقصدون ويأتون اليه من سائر النواحي يهرعون وهو يذكرهم كلما يجرى ومايكون فيوم من الايام دخل عليه أخيه أصفوطه وصحبته أربعين بطريق وكلهم أنجاس

فلما دخلوا الى ذلك الدير وجدوا هناك امرأة راهبة فلما أن جن الليل صبر أصفوطه حتى نامت العيون ودخل على تلك المرأة واجتمع بها وخرج أعلم الاربعين رفقته وقال لهم هذه احسن من الحمير الاثاني فدخلوا عليها الاربعين وصاروا يجتمعون بها حتى انهم وطئوها وقد حملت بولد كما ذكرنا بالتأصيلة السابقة قبل هذا الديوان لاننا ذكرنا قتل أبوه وموت أمه وكيف وضع على الكلبه الجربه حتى خرج هذا اللعين افسق اهل زمانه وقص ذلك كله شيحه على الملك الصالح الى ان قال فلما نشأ هذا اللعين اتفق مع أولاد الفسقة الذي مثله واجتمع بغلام يقال له سيف الروم من بحيرة إيفره فصاحبه وجعله من قسمه وترك الجميع وصار لايأكل ولايشرب الامعه ولم تزل الاخبار حتي علم ان عمه أخوا أبوه البطرق كرسميون فذهب اليه وقبل يده وقال له اني اناا خيك اسمي جرجس فأكرمه وقد اجلسه في الدير مدة من الزمان فلما ان كان يوم من الايام رأى من داخل ذلك لدير سجنا فيه رجل يقال له صلاح لدين العراقى وقد تقدمت تأصيلته في غيرهذا فاشتراه واسلم على يده اعلام ابطال كما قدمنا فى الكتاب وبعد ذلك ياأمير المؤمنين قراه القرآن وفهمه سبع مثاني في العلوم حتى تمهر وتفرس وصبر على الشيخ حتى جن الليل في بعض الليالي وذبحه وأخذ ملابسه وقد وجد في محفظته جوابا من الوزير الاغا شاهين وكان الوزير قد اجتمع بالشيخ سنة الحج لما ان حجت السيدة فاطمة شجرة الدر ومضمون ذلك الكتاب انك اذا اتيت الي مصر واتيت الى الديوان البسك قاضي الاسلام وهذا المكتوب سند معك بذلك فاخذ الجواب ولبس ملابس الشيخ وسار طالبا أرض مصر واسبل الله عليه الستر حتى دخل الديوان وجرى من القصة ماجرى وتقدمت تأصيلته فى أول الكتاب في محلها الاصلي ثم انه ان أخذ الكتاب اطلعه على سيف الروم وقال له اخفى أمر هذا الكتاب الي ان يأتي وقتها ثم قال له ياسيف الروم لاي شيء عمي انا يعلم الناس بما يجرى لهم في كل عام من الامور

وأنا قرأت قرآن المسلمين وعرفت انه لا يعلم الغيب الا الله قال له سيف الروم اصبر وانا اكشف لك الخبر ثم صبروا حتى قام كرسميون من مدسته ورقبوه حتى أقبل الليل واذا به نهض الي طاقة من داخل الدير ففتحها ونزل وقرأ من الكتاب كفايته وطبق الكتاب واغلقه وطبقه واغلق الطابقة وسار الى حال سبيله يريد المنام ولما نظره جرجس وسيف الروم صبروا حتى انصرف وفتحوا الطابقة ونزلوا الى ذلك المكان فوجوا الكتاب ففتحه جرجس وصار يقرأ الصفائح الذهب ويترك الصفايح الفضه لان الصفائح الفضه فيها الغالبه له فقرأ الغالبه له وترك المغلوبه وساروا يترددون الي ذلك المكان حتى ان جرجس قرأ جميع مافي ذلك الكتاب فلما ان كان فى بعض الايام نزلوا الي الطابقة واذا بكرسميون مقبل فوجد جرجس في داخل والبرتقش على اول درجة من الطابقة يترقب الواشى والرقيب فلما رآهم قال كرسميون انت تجوونت ياجوان وانت تبرقشت يابرتقش ولكن اخرجوا من عندي فطردهم واغلق الطابقة وأراد ان يطردهم من الدير قال جوان ياعماه انت اغلقت المكان حبذا وانا قرأت مافي الكتاب وما الفائدة فى طردى قال له الآن مضى مامضى ثم ان كرسميون صار يعظ الناس وجوان يخبر سراً بمايقول له عمه حتى اعتقدوا فيه اكثر من عمه ثم ان اللعين جوان التفت الي سيف الروم وقال له يابرتقش اعلم أن لى خصمين واحد يقال له شعبان يظهر من عرب غزه من أولاد العرب وقدبان لى انه يقتلني والثاني يظهر من أولاد العجم ولكن سر بنا ياسيف الروم حتى نقتل هذا الغلام ونظفر به قبل ان يظفر بنا واذا ظهر الثاني تسيبنا في قتله أيضاً بأى حيلة كانت ثم انه استأذن عمه بانه يزور الديوره فأذن له وسار ولما ان ابعد عن الدير لبس بدلة الشيخ صلاح الدين العراقى وسار الي ان اقبل الى غزة والشام وسار الى المكاتب وصار يدور علي ياأمير المؤمنين وكان قد رأى وصفتى فيالكتاب الى ان اتانى وانا فى الكتاب فلما ان رآني

ارتعدت اعضاه مني فتقدم الي وقال لي ياغلام مااسمك قلت اسمي شعبان قال لي من اين قلت له انا من سيف القبائل قال لى الى ماينتهي نسبك قلت له الى نوح نبي الله قال لى ماصورتك قلت له قل يا أيها الكافرون فجعل يقربني ويكرمني فأعلمت والدي بذلك فأرسل اليه وعمل له الضيافة واكرمه وكساه وقال له قري ولدي ولك عندي كلما تريد فجعل يقريني مدة من الايام الي ان لاحت له الفرصة فسرقني وحرق النجم بمافيه وأخذني وسار بي الى الدير ثم انه اراد قتلي قال له عمه هذا صغير وماعليه شطارة وقال هذا الذي يقطعني على عربه وقد ظهر لى ذلك في كتاب اليونان ولابد من قتله على كل حال قال البرتقش له اجعل هذا الغلام يخدم الحماره ويجري خلفك حتى اذا بلغ اشده قتلناه قال كرسميون هذا هو الرأي الصواب فتركني وقد تعجبت ياامير المؤمنين من بغضته الي لاني لاأعلم بشيء مما في قلبه وتعجب ايضا من انه يتكلم بالغيب فاصحبت البرتقش صاحبه وقلت له ياعمي البرتقش جوان هذا يعلم الغيب حتى يعظ الناس ويتكلم بذلك الكلام وكذلك عمه فحنن الله قلب البرتقش علي لاجل الاسباب فقال لى اصبر ياولدي وأنا اعلمك كيف الحال ثم انه اخذني ونزل بي الى الطابقة وأتاني بالكتاب وقال لى اقرأ هذا الكتاب فجعلت اقرا فيه حتى حفظته جيدا وقرأته جميعه وعرفت الغالب والمغلوب وعلمت منافعه وتصاريفه فيوم من الايام اتى اليّ هذه الطابقة وحلف انه يقتلني فوقعت في عرض البرتقش فعارضه ومنعه عني قال اذا كان ولابد فانا أسد عليه الطابق ثم سده علي باأمير المؤمنين فخفت خوفا شديداً ماعليه من مزيد ثم تأملت الطابق واذا فيه عامود مكتوب عليه اسماء وطلاسم فعالجته لكي افهم منه شيئاً فقريت كتاب اليونان اربع مرات واذا بالخادم الذي لهذا الكتاب قد حضر الي بين يدي وقد سمعت كلامه ولم أرى شخصه وقال ياشعبان انظر فوق رأسك تجد جريده خضره مكتوبة قد اصطنعها لك الحكم يونان ففعلت ذلك يا أمير المؤمنين وقد ضربت العامود

واذا قدجاوبى من داخله مجاوب لاشلت يداك ولاشمتت فيك اعداك اذا كنت انت سيف القبائل ثعلبه فاتلى حسبك ونسبك ينفتح لك باب المكان وادخل تري الخادم جالس على سريره فاقرأ الفاتحة واهدي ثوابها الى روح الحكيم يونان فيتحرك الخاتم وتلبسه الاسماء الروحانيه ويعطيك ماأعده لك الحكيم من الهدايا والانعام ففعلت ما امرنى به المتكلم ففتح الباب وتحرك الرصد وناولنى ذلك السوط الذي معي وقال لى خذ هذا ياشعبان اصرب به كل من خالف امرك وعصى عليك واتعب سرك وأطاع غيرك لان هذا السوط احتكمه لك الحكيم من قبل ظهور النبي الكريم واذا اردنا ان نذكر صفته ومعناه وهيئته ومعناه وآلاته وما احتواه لطال علينا الشرح والحال في غنى عن ذلك ثم إنه ياأمير المؤمنين ناولنى جراب الحيل وقال لي خذ ياشعبان هذا الجراب وافعل فيه كلما اردت من الامور الصعاب واعطاني هذه الشاكرية وقال لى خذ الشاكريه واعطانى أيضا بدلة للملاعيب والحيل وقد اخبرنى الخادم بان الحكيم جعل لى فى كل مكان بدله اتمم بها ماأريد من المناصب والاحتيال ثم بعد ذلك قال سر الى آخر الطابقة تجد طابقا آخر صغير افتحه تجد بحرا عجاج متلاطم بالامواج ونجد على حافتة مركب من النحاس والملاحين شخوصا من النحاس الاحمر فاتلى عليهم حسبك ونسبك حتي يتحركوا وتلبسهم الاسماء الروحانيه ويقدموا لك ذلك المركب فانزل وتوكل على الله واطلع الى البر الآخر فانك ترى رجلا هناك من أولياء الله تعالى يقال له عبد الله المغاوري هو يدلك على ماتفعل فقلت سمعاً وطاعة وفعلت ماامرت به يا امير المؤمنين وقد كانوا حذرونى من ذلك البحر وقالوا لى انه من السم الخارق قد اصطنعه لك الكهين يونان لاجل الهلاك واما ولده الحكيم يونان عمل ذلك المركب لاجل النجاة وكان الكهين قد علم ان جوان لا بد له ان يحبسنى في ذلك المكان ففعل المهالك لاجل ذلك الشان فلما ان عديت قابلنى سيدي عبد الله المغاوري وهو هذا الذي

جالس الى جانبك فأخذنى عنده وجعل يعلمنى بما يرشدنى ويأمرنى بكل مافيه الصلاح فهذا ماكان من امري واما ماكان من امرحوان فانه قال لسيف الروم الآن قدمات شعبان وصار قبره فى ذلك المكان ثم اقام يضل الناس بما يقوله من الكلام الهذيان وصارله في ذلك شان واى شان وتركوكرميون هذا اللعين الخوان لانه قداحتوي على قلوب الرجال منهم والنسوان وصار يحرم لهم المحلل ويحلل لهم الحرام فشاع ذكره بين ذلك الانام فيوم من الايام ورد عليه كتاب من عند الرين حنا صاحب هذه المدينه يقال له ياعالم الملة ان لى غلاما كان يقال له جنيد وانه قد مات واورثنى البكا والشتات وقد بلغني الاخبار انك تعلم الغيب وتخبر بما سيأتي وقدذكرلى انك تحيي الموتى لان المسيح يسمع قولك فحال حضور جوابي هذا اليك تأتي عندي وتحيي لى ولدي ولك عندي كلما يحتاج اليه فلما قرأ الكتاب ياأمير المؤمنين ازداد غروره وقال ياسيف الروم انا اعرف احيي الموتى فقال له سيف الروم وترضى ان يقال عنك انك عجزت عن احياء طفل صغير ولكن من الرأى انك تمضي الي عنده وتأخذ منه الاموال وقل له انا اريد ان اعتكف واطلب من السيد المسيح انه يحيى لك ولدك وانه اوعدنى بحياته بعد ثلاث شهور فاذا مضت المده يحلها رب المسيح ثم ان الاثنين ساروا الى جنوه ودخلوا على الرين حنا فاكرمهم وذبح لهم الخنازير ولما استقر بهم الجلوس اعلمهم بامرهم وماكان منهم فقال جوان لابد ان افعل ذلك المرام بعد ان ابخر واعزم واخبر المسيح بالقصة وبعد ثلاثة ايام افتحوا المقبرة فان وجدتم الغلام وقد طاب والافاغلقوها وافتحوها بعد ثلاثة أشهر فانكم تجدوه قدطاب ثم جعل يعزم ويترجم وقد امرهم ان يفتحوا التربه بعد الثلاث ايام ففتحوها فوجدونى من داخلها بالحياة وكنت اشبه الخلق بجنيد وكان السبب فى ذلك ان سيدى عبدالله المغاورى أخذني وساربي الى جهة المقابرالتي هناك وقال لى اجلس هاهنا حتى اذا جاء اليك جوان وأراد ان يفعل بك ماأراد فلا تخالف

أمره ولا تعصى عليه فى ذلك النوبه أبداً لانى اعلم لانك انت الغالب عليه
ثم تركني من داخل ذلك المقابر وتوجه الي حال سبيله وأما جوان فانه لما أن
مضى اليوم الاول عليه تحير وتحسر وقال ياسيف الروم وكيف يكون العمل
قال له لاأعرف شيئاً من ذلك فقال له قم بنا حتي نمضي الى المقبره ونتفرج
ونعرف تربة ابن الرين لعل أن يأتى من الغرضيات مالم يكن فى الحساب ثم انه
اخذ برتقشه وسارحتى اتي الى التربة واذا قد بان لهم شخصي وانا هناك فقال
جوان ياغندار فقلت نعم يابونا جوان فقال من انت قلت له انا غريب من
اقصي البلاد وسحت حتىاتيت الي ذلك المكان ولم يعرفني أبداً انسان قال لي
هل تريد ان اعملك ابن الرين حنا ويبقى لك الجميل والحظ والتفضيل قلت له
افعل ماتريد فأنا لاأخالف لك أمرا من الامور فأخذنى وسار هو الى مكان
هناك وأخفانى فيه وجعل عندي البرتقش وسارهو الي عند الرين حنا وقال له
المسيح امرنى باحياء الغلام ولكن بشرط انك تعقدله موكب يرحل اليه وتجهز
نفسك وتأتى الي التربة تجدني هناك فتحفرها وتأخذ ولدك منها ففرح بذلك
الرين حنا وتركه جوان ونزل من ساعته واتى الى عندي واخرج حبا اسودا
اعرفه انا وامرني ان آكل حبتين واجعل واحدة تحت لساني وكل من فعل
ذلك غابت روحه أربعة وعشرين ساعة ثم تنخل الحبة لتي تحت لسانه فتدب
فيه الروح وفعل ذلك ثم انه البسني الكفن وقد انزلني فيذلك المقبرة وردعلي
التراب واخرج اعضاء الغلام ورماها الى البحار وجلس هو وبرتقشه يبخرون
ويترجون واللعين يسبك الحيل ويزخرف الضلال حتى طلع النهار وأتوا الى
عندي وقد مضت الساعات المعدودة وفتحوا ذلك التربه واخرجوني بكفني
والبسني جوان جبه عظيمة بيده ولكن لما رآنى أولا لم يعرفني وقد عرفني
فى المرة الثانية ولما البسنى ذلك البدلة ارتعدت اعضائي وخفق فؤادي فالتفت
الي سيف الروم بالاشارة وقال له ياسيف الروم اما هو هذا شعبان فقال له

البرتقش ومن اين اتى اليك شعبان أو رمضان فقال له وانا اشاهد ذلك منهم وحق المسيح هذا هو شعبان بعينه فقال له وماالذي تريد أن تفعل وها هو مثل جنيد بن الرين حنا وانت قد ادعيت انك احييته وان تكلمت بشيء آخر يقطعوك وما في الامر الا انك تترك هذا الامر عن نفسك وانت نسبت لهم انك احييته لاجل ان يعتقدوا فيك ويكرموك فأعجبه ذلك الكلام وانطلا عليه هـذا المرام وتركني داخل تلك المقبرة وصعد الى خارجها وامر الرين حنا أن يأتي الي بجواد فأتانى به على باب التربة وصاح علي ياجنيد فأجبته من داخل التربة نعم ياعالم الملة فعند ذلك كاد ابي ان يطير من الفرح الذي هو الرين حنا فلما طلعت من المقبرة ضمني الرين حنا الى صدره وركبني الجواد بيده وسار هو وصبوان واكابر جنوا قـدام جوادي راجلين وقد زينت لي جنوا وعملت لى الافراح والولايم وأخذني الرين حنا الى السرايه وطلع الديوان ولم بقى احد مثلي أبداً واقمت هناك وجوان يظهر الجلد ويخفى الـكمد وجاء الامر على غير خاطر جوان فقال ياسيف الروم انا رحت اتيت بهذا الغلام لاجل ان اقتله واستريح منه أو اتيت به لاجل ان يعلوا قـدره ويكتفى شرى ولم يبقى لى عليـه من سبيل ولـكن ياسيف الروم مادام هذا الامر وقد جاء على غير الخاطر فما بقى يمكننا شيئاً في هذا الغلام فسر بنا الى المحروسة لعلنا نعجل بالغلام الآخر الذي يظهر من العجم ونقتله فاخذه وساروا من جنوا الى ارض الموصل فاجتمع على ابيك وكان مريضا كما قدمنا فى تأصيلته وساروا بعد ذلك الى مصر ودخلوا علي الاغا شاهين واعطه الـكتاب فظن انه الشيخ صلاح الدين العراقى فمضى اليك الاغا شاهين وتمنى عليك ان يكون هذا الشيخ قاضي الاسلام كما وعده هو بارض مكة والبيت الحرام فقلت له مرحبـا به لاجل خاطرك فجلس فى الديوان وتدولت الايام وظهر بيبرس وسار يعمل فيه المـكايد التى قدمنا ذكرهـا لاجل هـلاك بيبرس فلم يمكنه ذلك أبداً الى ان كتب كتاب الزور عن لسان ميخائيل والركبتين

وما أسبه ذلك فامرت بيبرس بالسير الى قسطنطونيه وسـار وكنت انا وأبي معزومين هناك فلما ان اتاني ليلا أعطاني الاماره التي علمه عليها سيدي عبدالله المغاوري فاتيت به اليه وكان الاستاذ علمنى على تلك الامور كلها لما أخذنى من البر الذي قدمنا ذكره ولما انى معروف بطلب الرين حنا اعطيته اياه كل هـذا والقاضي خدام عندك ياأمير المؤمنين وأنا هاهنا وقد قدمنا ذكر تأصيلة ابيك ومجيئه وكيف ان القاضى اجتمع عليه في ارض الموصل وسار هو يوعده بانه يملـكوا ارض مصر والشـام الى ان تداولت الايام وتزوجت مريم الزناريه وسرقها جوان لابوها وسرق جوان بيبرس وانهتك ستره وبعد انكان قاضى سار نصراني واتى بيبرس الي الرين حنا واراد قتله فتشفعت فيه وقلت لأبى انا اعذبه عندى واجمله يسيرى فاعطاني اياه على رغم انف جوان وامرت بضربه علقه واكرمت بيبرس واعلمته بانى مسلم وقد حمانى الله تعالى من اللعين جوان انا واياه من المكايد الكثيرة ولما ان حضرت انت هنا وارسلت الى الفداويه والرجال وحضروا دبرت عليهم الحيل وقبضت عليهم اجمعين ومامنهم الا من عملت عليه منصب من الحيلة وانا تارة اكون مملوكا وتارة جابه وتارة غـلام وتارة عجوز وتارة رجل محنى وتاره بطرق وتارة تيس أو خادم من الخـدام أوعبد اسود أوصبي طباخ اوقهوجي اومتسبب اوجوان اوبرتقش حتى قبضت على الجميع واتيت بهم الى هاهنا واخبرتهم بحالي فقالى فقالوا انت شوح نسبه الي طير يقال له شوح فتتغير ريشه فى اليوم ثلاث مرات فقلت هذا هو الاسم الثالث لان الاول شعبان والثاني جنيد وهذا شيحه ولما ان حضرت انت قلت جملتها ياجمال الدين فهذا هو الاسم الرابع وقد ورد علي في كتاب اليونان وقد جرى من قصـة ابو بكر ماقد سمعتوه من المرام وانكسرت العجم واسلمت فارس البطريق فهذا حكايتي والسبب فقال الملك اني اريد ان اسمع هذا الكلام منك شعراً ونظما لانه والله يلذ السامع وتذكر لى القصة من أولها الي آخرها

وما جرى فقال سمعاً وطاعة ثم انه جعل يترنم ويقول هذه الابيات صلوا على سيد السادات

الا ياأهيل المجد حقنا فاسمعوا   عقائد در فائق بنظام
وصفته من بحر فكر رايق   مذ جن ليلى ازدجى بظلام
من ارض غزة كان اصلى   من سادات اعراب بها وكرام
تربيت بها طفلا صغيراً   بأمر عالم رازق الاعلام
اتاني بها شيخا فقيها   وسار يفقهني بحسن مرام
حتى انه سار نحو ابى   فاكرمه لاجلي غاية الاكرام
لخاف عنى ان يسرقنى ومضى   نحو دير فيه الكفر والاصنام
وأراد ذبحي وقتلى سريعا   لحمانى ربي من عصبة الاقوام
وتركنى اخدم ساعة   واسير خلفها وسيع اكام
حتى اكتشفت على سر مصون   وقرأت كتاب القدما بالاحكام
وميزت بين الامور جميعها   وقرأت جميع الشيء يامقدار
وعرفت اعداى من حبايبي   وبان لى الخفى والاخصام
وعلمني سيدى عبد الله أشياء   لحفظت قولا له وكلام
وسرت نحو جنوا بامر قد   كان سابقا من العلام
وقد اتانى جوانا الى الرين حنا   فسرت ايضا له كغلام
وعلوث على العداة وانى   تمكنت من احكام بحسن مرام
الي جنوا أتانى ابن جمر   فبغته اربا له ومرام
وسار من عندي مخبر   وأتا مصرا ونال مقام
ومخايل حقا اتيت به   لعند مليك حاكم الاسلام
وأتانى بيبرس بجنوى   فكان عندي في اعز مقام
ولما أن اتى المليك الينا   فقلت ما ينبغى له الالزام

ولعبت حيلا على رجال حتى بلغت ومقصدي ومرام
واني اريد الآن حقا ان اكون سلطانا على الاقوام
وهذا هواي وما قد جرى ولم اكن مغيرا لقول ولا انظام
وصلى ياإله على خير البرايا طه رسول الله العربي التهام
كذا الال والصحب الكرام جميعا ماحن مصتاق لنحو مقام

(قال الراوى) ولما فرغ المقدم جمال الدين من هذه الابيات طربت الحاضرين والسادات وقال الملك ياجمال الدين لقد سمعنا كلامك وعرفنا مرامك ولا بد من اطاعة المقادم اليك علي حسب ماذكرنا لك من الكلام قال المغاورى هذا هو الصواب والامر الذي لايعاب فماذا انتم قابلون ياأولاد اسماعيل فقالوا جميعا نحن لم نطيع رجلا قصيرا أبدا فقال لهم المغاوري ما قالْ لكم المقدم معروف اذا غبت عنكم سنة ولم يظهرلي خبر وظهر من يتعرض للسلطنة فاطيعوه ولوكان جريدة خضرة قالوا نعم قال لهم وهذا هو الرجل الذى من عرب غزه وهوموعود بذلك ويلزم انكم تطيعوه فى ذلك الوقت فان ظهر معروف واطاع فانتم علي ماانتم عليه وان ظهر معروف ولم يطيع فانتم مثله وأيضا انه لم يكتب اسمه على شواكركم فى ذلك الوقت واذا كنتم لم تطيعوه فهوقادرعليكم وهاانتم بين يديه يفعل بكم كلما يريد فقالوا الرجال اذا كان الحال على ماذكرت فنحن نطيعه من غير حجج ولا كتابة شواكر وهاهو وكيل عن المقدم حين يظهر ثم تصارخت الرجال وقالوا الله ملا قلبك ايد الله سيادتك الملائكة طاعت الخوندان الى سلطان القلاع والحصون والاسم الاعظم فعندها طامح الرجال وحلهم من الكتاف واتى اليهم في عاجل الحال بالطعام والشراب فأكلوا وشربوا ولذوا وطربوا ومامنهم الا وقبل يد الملك الصالح وسيدي عبد الله المغاورى وعثمان وشهدوا لهما بالكرامة الظاهرة وشهدوا للقدم جمال الدين شيحة

بالفراسة والملاعيب وقالوا مجنون كل من عصا هذا الرجل فقال الصالح تقدم ياجمال الدين وانت يابيبرس وانت ياأبي بكر فتقدموا فوضع القبضه بينهم واوثق عهد انهما اخوة على ما يرضى الله تعالى والله عليهم من الشاهدين ثم دعى لهم بالنصر والتوفيق والاصلاح في الامور ثم قال الملك ياجمال الدين قال نعم قال له احضر لنا الرين حنا وجوان والبرتقش وأما انطون وبراميل قدهربوا لانهم خافوا عاقبة هذا الامر ولو كانوا وقعوا فى يدي كنت اتيت بهم وأما الرين حنا فها هو بين ايديكم ثم قدم اليهم الجمدان فأخرجوا الرين حنا منه واوثقه كتاف واعطاه ضد البنج عطس العطسه المنكرة وقال انا فين قال الملك انت عندى ياالعين واذا به يرى جنيد ولده واقف قال له يالعين لا تنطق انى ولدك انا المقدم جمال الدين شيحة وهـذا ملعوب عمله عليك جوان حتى أخذ منك الدراهم والمـال فقال له أنا فى عرضك ياسيدي قال له اذا كان لك مرام فى الخلاص فاشتري نفسك بالمال قال له نعم الرأى قال شية بخمسين خزنة مال وخزنة أخري كلفة الوكبة وخزنة أخرى لاولاد اسماعيل وخزنة أخرى الي بيت مال المؤمنين وخزنة أخرى للوزير الاغا شاهين وخزنة اخري فداء عنك قال أحط كلماقلت عليه ياجمال الدين قال له وترد جميع ماأتى به اليك مانون وبراميل من العمله الدي أخذوها من الاسكندرية وتقتل الاربعين عايق الذين كانوا مع مانون وبراميل قال سمعاً وطاعة قال جمال الدين ياأمير المؤمنين والصلح خير ودع هـذا يعمر ارضك وأنا الضامن لهذه الاموال ولـكن بعد حاجة صغيرة وهو انكم تبقوه عندكم حتى يأتي الليل وافتح لـكم البلد وندخل اليها قالوا هذا هو الصواب فصـبروا ولم يقتلوه حتي جن الليل وخرج شيحه من عندهم وعبر الى البلد وذبح الخفراء وعطل جل المدافع وفتح الابواب وقال للملك اركب قبل ان تنكب الجند تحت اظلال سيوف المجاهدين فركب الملك في رجال الاسلام والفداويه الاسماعيليه فما افاقت الكفار الاوحيها مكبوس

وشنيارها معكوس والسيف يعمل فيهم والترس والطير والدبوس فلا بقى الخل يدرى عن خليله ولا الصديق يدرى عن صديقه حتى انقسم الليل شطرين وانقسمت الرجال قسمين فمن أسلم سلم ومن جهل ندم ومن أغار اخذوه على السيوف مثل القطن المندوف بنصر الملك العلام وعبر الملك وجلس على تخت جنوى وقال ياجمال الدين اين العياق الاربعين قال له ياملك الاسلام قدصاروا من جملة الهالكين لانى تركتكم في الغزاه ونزلت اليهم وعرفت مكانهم وقد وجدتهم نيام من شدة المدام فذبحتهم عن آخرهم والسلام قال الملك واين الرين حنا فاحضره بين يديه كأنه العصفور فى يد الباشق الجسور قال له الملك ماتقول فى المال قال له أ آتي به في عاجل الحال قال له ان اتيت به اعتقناك وان لم تأتي به اهلكناك وأخذنا مالك وأولادك ونساك وخرجنا من البلد وأخذنا مافيها من الغنايم وأهلكناها بالمدافع قال له احكم يأمير المؤمنين قال الملك ولي عندك حاجة أخرى وهي الثلاثة شبابيك الذين هم من داخل سرايتك هذه قال له سمعاً وطاعة وأتى بهما فى عاجل الحال فأخذهم الملك وسلمهم الى بيبرس وقال له اجعل واحد منهم على مقامي في مصر واجعل الاثنين فى مكان الامتعة حتى يأخذوهم أربابهم فأجاب الملك بالسمع والطاعة ثم ان الملك استلم المال والنوال والغنايم وأطلع اللعين الرين حنا وقد اجتمع الامير بيبرس بأولاد اخته وأقاربه واحبابه وسلم عليهم سلام الاحباب واكرم اخواته غاية الاكرام وأخذوا راحتهم وأمر الملك بالتجهيز فنزلوا فى الغراب المنصور هذا وشيحة تودع منهم وذهب الى حال سبيله لانه لايرافق ولايخالط ويقال ان هؤلاء الشبابيك انهم من الذهب البندقي وقيل من النحاس الاصفر المصفي الاندلسى ولم أحد يعلم الحقيقة التي اقتضاها نظر الملك الصالح فى ذلك ابداً هذا وقبل ان يسير المقدم جمال الدين شيحه سارر الامير بيبرس في اذنه وقال له يأخي انا اعلم انك لابد ان تصير ملكا وسلطانا فاذا آن لك الاوان وقد جاء الامر

والبرهان فلا تتسلطن الا باذني ومشورتي قال له سمعاً وطاعة ثم ساروا في البحار حتى اقبلوا الى الاسكندرية وكان الملك قدطلع على كرسيها وجلس ولما استقر به الجلوس وراق مما كان فيه أمر باحضار فارس البطريق وسماه محمد فارس وقال له تمني علي تعطى وذلك التمنية حال اسلامه قال له ياأمير المؤمنين اي بلد اعجبتني اكون بها نائبا قال الملك ان الله اعطاك فلما ان اتوا الى الاسكندريه واستقر بالملك الجلوس نهض محمد فارس البطريق وقبل الارض بين يدي السلطان قال الملك ماتريد قال تمنيت ان اكون باشا بالاسكندريه واذا بالملك بغير كنهه وقال له ايش ياراجل ارموه الى الأرض واضربوه فرموه وقددارت عليه العده فضربه ماية ثم قال الملك قدموه فقدموه قال له ماتريد قال ياأمير المؤمنين لااريد شيئاً قال له الملك وحق رأسي الاتخبرني بماتريد قال له اريد ان اكون باشا بالاسكندريه قال الملك ودوه السجن فسجنوه فلما ان جاه وقت العصر قال الملك هاتوا محمد فارس من السجن فأتوا به قال له الملك ماتريد قال لااريد شيئا قال له اخبرني بحقي عليك قال اكون باشا بالاسكندريه قال الملك ارموه في نطعة الدم فرموه وكشفوا راسه وعصبوا عينيه وانتدب السياف على راسه قدر ساعة وقال الملك قدموه ففعلوا قال الملك ماتريد قال لااريد شيئا قال الملك بحق نعمة الاسلام ماتريد قال اكون باشا بالاسكندريه قال الملك الله اعطاك ىبسوه باشا بالاسكندرية نيابة عن ولدي الامير بيبرس يامحمد يافارس هاانت ذقت حرارة الضرب والسجن ونطعة الدم ربما يطلع عليك رجل مظلوم تأمر بضربه وتمسك السبحة في يدك وتعد فالذي يأكل ماهومثل الذي يعد اوتأمر برميه الى السجن وتنساه في الظلام فأنت ذقت حرارة السجن وكذلك رمية نطعة الدم والسيف قال ياملك الاسلام لقد عرفت الآن المرام وهكذا والله فعال الاسلام قال الملك اجلس

لاتظلمن فقيراً مادمت مقتدرا ان الظلوم على حد من النقم

تنام عيناك والمظلوم منتبه يدعو عليك وعين الله لم تنم

ثم خلع عليه كرك الرضى واقام الملك بعد ذلك سبعة ايام وأخذ عساكر الكردي صحبته وأمر بالرحيل فرحلوا ولم يزالوا كذلك حتى أتوا الى مكان في البحر يقال له بطن البقرة وقد اختلفت الرياح من الاربع جهات وغرقت المركب من المياه وقد فديت من الشرق فانفج السلطان وخاف على نفسه وعلى رجاله وقد هدأ البحر بعد مده من النهار واعتدلت المركب وسارت في امان غير ان الخضه أي الفجة قد تمكنت من السلطان فسار يرتعد ويشكوا بالآلام ومازال كذلك حتى وصل الى مصر فدخل الملك من غير زينة ولا مهرجان وذلك لاجل ان السلطان عيان فتكلمت اولاد مصر في ذلك الشأن فنهم من حلف وبالغ في الايمان بانه قدمات السلطان واخفوا خبره لئلا يقع في الارض هيجان ومنهم من قال غرق في البحار ومنهم من قال اسره الرين حنا وكثرت الاقاويل هذا والملك قد لازم السرايه عند شجرة الدر وقال لها ها قد اتيت اليك بولدي الامير بيبرس قالت له جزاك الله خيرا (ياساده) وبعد ايام طلع اليه الوزير فسلم فرد عليه السلام فقال له ياعلى دع الديوان على ماهو عليه من الاحكام ودع بيبرس يجلس على الكرسي ويحكم بينكما فأجاب الوزير بالسمع والطاعة ونزل الوزير من تلك الساعة وفعل كلما أمره به السلطان وجلس الامير بيبرس على التخت واجتمعت الرجال ورأوا تلك الاحوال والوزير الي جانبة فكاد ايبك ان تنفطر مرارته فشكى أمره لاصحابه وهم بشتك وسنقر والجوالى والخطيري وقلاوون قالوا له كل هذا من المغربى الذى في طيلون هو الذي يكتب له بالمحبة على النجوم هذا وقد طال الحال على ملك الاسلام سبعة ايام قال له الوزير هل تريد ان نأتيك بالحكيم قال له افعل ماتريد فأرسل الوزير الى حكيم السلطان فحضر في عاجل الحال وجس نبض السلطان قال ياأمير المؤمنين انت بخير من رب العالمين ولكن انت يوافقك مكان يكون معتدل الرياح من الاربع جهات

تقيم فيه سبعة أيام تبرى باذن الملك العلام قال الملك واين يوجد ذلك المكان قال له بارض المنصوره يامالك الاسلام قال الملك نرووح نتوكل على محي العظام ثم ركب الملك والوزير وتجهزوا فى المراكب حتى اتوا الي المنصوره والحكيم معه وقد اصطنع له فيها مصطبه قريبة من البحر وهي موجودة الي الآن فأقام بها سبعة ايام فبرأ باذن الملك العلام قال الملك ابنوا هاهنا مسجدا لله وحمام فشرعو في البنيان فاستتم فى الحال في اقل الايام وركب الملك وصلي فيه ثم قال اسأل الله الكريم رب العرش العظيم ورب موسي وابراهيم كل من كان به الم من الالام ودخل في هذا الحمام ونزل فى مغطسه وغطس يبرأ من جميع الاسقام وكل من كان به خفقان ونام على تلك المصطبة ابراه الملك الحنان المنان وكل من صلى فى هذا المسجد تقضي حاجته ويستجيب الله دعوته قال فتقبل الله دعاء الملك ويقال ان القطب نام عليها ونزل فى مغطس ذلك الحمام ثم ان الملك الصالح امر بالرحيل فنزلوا فى المركب وساروا طالبين مصر وقد نجاه الله مما قد كان اعتراه ولما ان اتي الى مصر دخل بالزلنة والمهرجان وزادوا الناس فى الحديث والكلام وتوجه الى الامام الشافعي وزار القرافة وعاد الى مكانه ومكث قليلا من الايام الى ان اراد الله له بالوفاة أقبل عليه العيا الذي كان اعتراه وزاد به الحال قال آه واواه قالوا له نأتي اليك بالحكم يامك الاسلام قال لا ولكن قد آن لى الاوان ولما ان زاد به الامر طلعوه الى سرايته وارقدوه فقال على بولدى بيبرس فأتى اليه فى عاجل الحال قال له سير من هاهنا الي قصر الشوك تجد هناك سراية الي الست شهوة زوجتي وهى ضرت شجرة الدر فاستأذن عليها فى الدخول وقل لها اعطينا قطعة ارض من ارض هذا القصر حتى اننا نعمل فيها مقام ومسجد الى ملك الاسلام قال سمعا وطاعة ونزل بيبرس وقد قال فى سره والله اني لم أعلم بان الملك الصالح له زوجة أخرى غير الست شجرة الدر وعلى ذلك ان الملك هذا لم هو

عادل بينهما بما يرضي الله تعالى (قال الراوى) فبينما هو يحدث بذلك الشان واذا بالملك الصالح صاح على ولدي بيبرس فتجاروا الغلمان واتوا به في الحال قال الملك ياسيدي بيبرس اعلم ان الملكة شهوة زوجتي ولكن هي التي طردتني وعنها قد بعدتني وذلك انى كنت أبات عند امك ليلة وعندها ليلة فيوم من الايام عزمت امك فسارت اليها وكان عليها قفطان احمر مزوق قالت لها يااختي اعطيني هذا القفطان قالت لها لاجل ان تلبسيه هذه الليلة الى الملك لان هذه الليلة ليلتك قالت لها اعطيني القفطان وانا اعطيك الملك الصالح هذه الليلة فأعطتها أمك القفطان ورجعت أمك الى مكانها ونزلت انا على حسب العادة لي ارجع الى الست فاطمه شجرة الدر قلت لها ان هذه ماهي ليلتها وانا ماصدقت اني جئت الى هذا المكان قالت اني انا بعتك اليها بهذا القفطان قلت لها يحل لكى من الله ان تبيعيني بشيء قليل قالت بعتك والسلام قلت لها انت عاجزة عن عمل قفطان مثل هذا القفطان قالت الوح اليها فاني لم بقيت أريد رجال فرجعت فى الليل حتي اتيت الى عند أمك وحلفت بالله تعالى انى لم بقيت اروح عندها ابداً فانظر ياولدي مع من يكون الحق قال بيبرس انت لك الحق عليها ياأمير المؤمنين فهذا ماكان من أمر هؤلاء

(قال الراوى) ثم نزل الامير بيبرس وسار حتي اقبل اليهما واخبرها بما قال الملك الصالح قالت دعه يدفن فى القرافة انا كنت بعته في الحياة فكيف اشتريه بعد الوفاة فنزل الاغا واعلم الامير بيبرس فراح الامير يقول ماعلى الرسول الا البلاغ فبينما هو سائر واذا بالاغوت يتجارون خلفه ويقول ياسيدي اعلم ان الموت قريب الست توفت الى رحمة الله تعالى بعد ان سرت انت في عاجل الحال قال بيبرس حتى نعلم الملك بالحال ثم سار الى الملك فوجده يقول وعزة الله لايدفن فى القرافة الا هى فقال بيبرس يامولانا السلطان الست توفت قال الملك انزل ادفنها في القرافة وابني لها

منامة قريبة من السمت نفيسه وجميع ماعندها من مال ونوال فهو مني اليك هبة كريم لايرد في عطاه ثم اتصل لها الختم والسبح وتصدق بما كان يحتاج الامر اليه ثم عود بعد ذلك قال له سمعا وطاعة ونزل فتبعه عثمان وقال له نسطها ابو قوطه قال له اسكت ياعثمان مالنا حاجة في مثل ذلك الكلام ثم فعل بيبرس كلما يحتاج اليه الحال وعاد بعد مادفنها الى ملك الاسلام قال له الملك انزل ياولدي وابني لي جامع عظيم ومقام في ذلك القصر واوضع على مقامي شباك من الثلاثة شبابيك الذين اتوا من جنوى قال سمعاً وطاعه ثم نزل بيبرس من تلك الساعه واحضر المعامين والمهندسين وشرعوا في المقام والمسجد وجعلوا يحفرون الاساسات فبينما هم كذلك واذا قد لقوا طابق في الارض فكشفوا عليه واذا فيه سبع زلع من الذهب فارسل الامير اعلم السلطان بعد ان اخرجهم من ذلك المكان فارسل الملك يقول له كلما كان هناك فهو اليك هبة كريم لا يرد في عطاه فلما استتم البناء وضع الشباك ولما تهيأ الفراغ من ذلك الشأن طلع الامير الى السلطان واعلمه باتمام المكان فقال الملك ماشاء الله كان ولازم نصلى الجمعة في سيدنا الحسين وننزل نتفرج عليه فلما كان يوم الجمعة ركب الصالح وهو في اثناء المرض وصلى في الحسين وسار الى المقام فاعجبه وسار الي التخت وأراد الجلوس فلم يمكنه ذلك لشدة المرض ثم انه ثبت نفسه وقد اجتمعت اولاد عمه الاكراد الايوبيه والامازه المصريه فقال الملك ياقاضى الاسلام وكان القاضي العز عبد السلام وكان الملك ارسل اليه واحضره من الجامع الازهر وجعله قاضي الديوان بعد كشف ستر جوان فقال له اكتب حجة شرعيه متممة ويختمون عليها سائر الاكراد بان لايكون ملكا وسلطانا بعد حياتى الا ولدي الامير بيبرس فانكتبت الحجة وقد انختمت من الملك ومن الوزير والاكراد واعطاها الى بيبرس بعد ذلك الشأن فاعطاها بيبرس الى الاغا شاهين الافرم ثم نفض الملك المنديل وسار الي محل مضجعه فهذا ما كان من امر هؤلاء وأما ما كان

من أمر بيبرس فانه في بعض الايام سار وزار الأسياد وكان مروره من على
مقام سيده الملك الصالح فرأى امرأة ومعها طشتا قديما من النحاس وهي جالسة
به في وسط ذلك الطريق فقال لها لأي شيء انت جالسة يا أمي هكذا قالت
ياولدي اعلم اني امرأة فقيرة الحال ولي زوج ضعيف في المكان وأولادي
جياع في ذلك النهار فرأيت عندي هذا الطشت القديم فاتيت به اريد ان ابيعه
وآخذ بثمنه قوتا للعيال فقال لها اريني هذا الطشت وقال لها أماه تريدي ان
تبيعيه الي بخمسة الاف دينار فقالت له لاتهزأ بي فقال لها لا وعزة الله ثم انه
أمر بالدراهم فحضروا فسلم اليها المال وكشف على ذلك الطشت فرآه من الذهب
التبري فقال يا أماه قد اعطيتك المال لوجه الله وهذا الطشت هو اليك هبة كريم
لا يرد في عطاه واعلمي اني كشفت عليه فرأيته من الذهب وانت احق به مني
فدعت له المرأة وانصرفت الى بيتها وقد نزع الله الفقر من جوفها فسألواها
النساء عن حالها فاخبرتهم بما كان من امرها فهرعوا بما عندهم من النحاس
وجلسوا في ذلك السوق وجعلوا يبيعوا ويشتروا في النحاس فسمي بذلك سوق
النحاسين وكان سماه بيبرس الصالحيه فلما مر الامير ثانياً فوجد الازدحام فجعل
لهم كل جمعة يومين الخميس والاثنين هذا ولما كان في بعض الايام والملك في
فراشه فقال الملك انا لله وانا اليه راجعون يا اخواني ديروني على القبلة فاداروه
وجعلوا يتلون القرآن ويبكون عليه بالدموع السجام هذا وقد تقدم اليه
الامير بيبرس وقرأ سوره يس ففتح عيناه وقال له ياولدي لك الملك من
بعدي وانا أسأل الله الكريم رب العرش العظيم كل من تسلطن قبلك لا يموت
الا قتيلا فتقبل الله دعائه لانها قد فتحت تلك الساعة ابواب السموات والملائكة
صاعدين ونازلين وهكذا عند طلوح كل ميت يستجاب الدعاء من الداعين ثم
التفت الملك وقال ابن عثمان ابن الحبلة فقال عثمان ماتريد يابوا جوطه قال له
ياأخي اريد منك الدعا فقال عثمان اسأل الله الكريم رب العرش العظيم ان

روحك تخرج في هـذا الوقت فقال الصالح اللهم آمين ثم قال للسيدة فاطمة،
شجرة الدر بالله عليك اذا اوفيى ايام الميتم ودعيت الي الزواج فلا تمنعى من ذلك
وان امتنعت فانا برىء منـك يوم القيامة ثم ان الصـالح طوى الاربع وفرد
الاصبع وقال قولا حقـا صدقا اشهد ان لا اله الا الله وان محمـدا رسول
الله وفهق فهقة فارقت روحه الدنيـا رحمة الله تعالى عليه وعلى من مضى من
اموات المسلمين فعند ذلك أمر الوزير بدفع التنبيه وحصرت في الحال كافت
ارباب الدول وشاع الامر فى سـائر البـلدان بان الملك الصالح قد توفاه الله هذا
وقد هرعت العـالم ونزلت المنـارات غفر الله لمن سعى وطلب من الله الرضى
والثواب وسار الي مشهد الصالح نجم الدين ايوب ثم جهزوه وقرؤا عليه ماتيسر
من الـكتاب العزيز وحملوه على اعتاق الرجال وهم يزدحمون عليه وهو اخف
من ريش النعـام حتي اتوا به الي مقام الحسين فصلوا عليـه واوروه وقرؤا
نسبه وعملوا على رأسه قصيده ورتموه وساروا به الى منامته فعنـد نزوله
سمعوه وهو يقول بلسـان فصيح بسم الله الرحمـن الرحيم بسم الله توكلت
علي الله هـذا وقد واروه التراب وعمـلوا له الختمات والمولد العظيم
فسبحان من لايموت ولا يذوق الممات واقاموا عنـد المقـبرة أربعين
يوما والتخت خالى من غـير ملك يجلس عليـه (قال الراوي) فجمع
الوزير الرجال والدوله والابطال وقال لهم انظروا لنـا سـلطان ونحن
مثـل الغنم بـلا راعي فقـال الاكـراد لاسـلطان الا الذي أخـذ
الحجه من السلطان فقـال الوزير لبيبرس ياولدى ماتقول فقـال له هـذا
لايـكون ابدا ولم يبلـغ من مقـامه ذلك الشـان وانا اول من اطاع
وآخر من عصي فقـال ايبك انا اشتاه انا اشتـاه بشتـك اشتـاه انا
اشتاه سنقر فقال الوزير لاتسوء الأدب فى ذلك الشـان وان السلطنة
لاتليق بمثلكم أبدا فقالوا له الحاضرين وكيف يـكون الحال قال

لهم اذا كان ولا بد فنحن تنظر لنـا سلطان من اولاد عم الملك الصالح او من اقاربه اومن نسله او من الا كراد الا يوبيـة فقالوا ان من اولاد الملك الصالح غـلام بـبلاد الـكرد وهو ابن الملك الصـالح يقـال له عيسى توران شـاه فقال الوزير نرسـل اليـه مكتوب ثم انه سطرله كتـابا وختمه وارسله مع الاسطى عتمان وقال له عليـك بارض الـكرج الى ابن الصالح فصـار قاصـدا الى عيسى توران شاه وهو ابن بنت ملك الـكرج ولم يزل عتمان حتى اقبل الى هناك فسـأل عن عيسى فقيـل له انه فى البستان فدخل واذا به جالس تحت شجرة وبين يديه الـكأس والخمر الذي قال فيها بعضهم هـذه الابيات

يلذ فى الليل الـكاس جميع الحواس وشرب كأس الخمرة
مع ظبي في وجهه اجناس وكانوا اناس والخـد زاهي بالحمره
قم يانديمي للحضره قوم وابق الهموم وهم ودورلى كاسى
واملي من الدن المختوم لبنت الروم بهـا ازيد ايناسى
كم اشرحت خاطر مغبون وقت الغبون وليلت ساقي فاسي
بنت العنب تنقي التعب من غـير عتب اذا انجلت جنح الاغلاسى
فى كاس وكأس وشاع ضياها فى الحضرة حلفت الحوائج للشماسى
حتى اللبـاس ايالما كانت سكره

(قال الراوى) فلمـا اقبـل عتمان اليه صاح بالليل قال عيسى انت ايش قال له انا عتمان بن الحبله بيتنـا في المراغه والقبر الطويل ولنـا عبد اسمه فرج وعلى باب بيتنا قنديل واناتيت اليك بجواب من الوزير أبوا فرمسه لان ابوك مات قال له كلنا أموات فقال عتمان أبولـك ما كان يأكل الزفر الا يوم العيد وانت تشرب الخمر فقـال له اجلس ياشيخ عتمان اقمـا العصابيب عيد واشرب معى فقال عتمان انا تائب على مقام المبرقعـة عن جميع المحرمات الابيت الدقيق يعنى البوزه التي يصنعوها من معجين فقال له البوزة والمدام

شيء واحد وما بينهما فرق فجلس عثمان وشرب معه المدام ثم ناوله المكتوب واذا فيه خطابا من الوزير الاغا شاهين الافرم الى بين ايادى ابني الملك عيسى توران شاه اعلم ان الدنيا لا تدوم لاحد من الناس وان اباك قد انتقل بالوفاة وقد تقرر الحال على انك تكون ملكا وسلطانا وها نحن ارسلنا اليك عثمان ولا بد لك من الحضور الى عندنا والسلام فلما قرأ الكتاب قال يا انا ابات عندي حتى ترتاح فجلس عثمان فهذا ما كان من أمر هؤلاء وأما ما كان من الوزير فانه امر بالارتحال على أثر عثمان فقالوا له الامراء خذنا معك فقال اني اخاف من الفتن وربما انكم تروموا الفتن فحلفوا له على ذلك فقال لهم الوزير انتم كنتم حاضرين وفاة الملك الصالح قالوا نعم قال لهم من قتله قالوا له هو قد مات موتة ربنا فقال الوزير اكتبوا لي حجة عليكم بذلك وكان الوزير له في ذلك معرفة وكتبوا له ثم سافروا الجميع ولم يزالوا حتى اتوا الى الشام فقالوا له الامراء نريد ان نسبق الى الكرك فاذن لنا فاذن لهم الوزير في ذلك فساروا هذا وقد قال الوزير ياولدي يا بيبرس خليك انت عند امك في الشام لاني اخاف ان الاعداء يرمون فيك وان قلبي يحدثني انهم ما سبقوا الى هنالك الا لاجل الفتن فأقيم انت عند امك وها أنا سائر على اثرهم فقال له سمعا وطاعة ثم اقام بيبرس وسافر الوزير فهذا ما كان من امر هؤلاء واما الامراء ساروا يجدون في السير حتى دخلوا على عيسى توران شاه وسلموا عليه فقال أهلا وسهلا بالمنافقين ما تريدون قالوا ابوك مات فقال كلنا نموت فقالوا له ابوك مات قتيل من يد بيبرس لانه سمه وموته فقال معكم بينة فقالوا كلنا نشهد بذلك فقال اكتبوا عليكم حجه فانكتبت الحجه فقال وانا لا اخرلم بتبيت اعمل سلطان أبداً حتى آخذ بثار أبي من الذي قتله هذا وقد اقبل الوزير الى ذلك المكان وسلم على الاخوان وقبل يد ولد السلطان ولما استقر به الجلوس قال له عيسى يا وزير الزمان كل شيء فهو من الله ولكل شيء سبب من الاسباب ولكن قد بلغني انكم تريدون

أن تجلسوني عليكم سلطانا وأنا لا أتسلطن حتى آخذ بثار ابي من بيبرس لانه قد جاءت بالسم الخارق وان الذي فعل ذلك الغلام الذي هو بيبرس قال ياأمير الزردكاش ومن الذي قال ذلك الكلام قال له هؤلاء الاقوام وقد اخذت عليهم حجة بما قالوا من الكلام قال الوزير احق ما تقولونه يارجال قالوا له ماشين عنا ذلك دون الناس ولم رأينا شيئا باعيننا قال عيسى الله يجازي اهل الباطل قال له الوزير حتى تروح الشام وتحقق هذه الاحكام لان بيبرس هناك قال سمعا وطاعة ولما ان تقرر الحال على هذا المقال نهض الوزير الى خيامه وجلس هناك فما استقر به الجلوس حتى اقبل عثمان لاجل السلام فلما تقرب اليه واذا بالوزير شم رائحة الخمر من فمه قال الوزير في نفسه هذا تعدى على مقام السيادة نفيسه والآن ها هو قد عاد الى السكر والفساد ولكن لابد لي ان اضربه الحد ثم ان الوزير نهض على الاقدام وقبض على اطواق عثمان وقال له انت سكران قال عثمان صدقت ياوزير الزمان قال له لابد ان أضربك الحد كما أمر الله تعالى قال عثمان انا لم اقول شيئا في ذلك الشأن افعل ما تريد ياوزير الزمان فعند ما أمر الوزير الخدام وقد ضربه الوزير الحد وهو ثمانين جلدة وعثمان يقول هذا حقك ياوزير الزمان ولما تهيأ الفراغ من ذلك كتب له كتابا وقال له سر من ساعتك الى سيدك واعطيه الكتاب لان الاعداء رمت الفتن فأخذ المكتوب وسار حتى اقبل الى الشام فلما ان اقبل الي سيده ناوله الكتاب فوجده من عند الوزير الاعظم ففضه وقراه واذا فيه خطابا من المحب الاكبر الى بين ايادي ولدي اعلم انه قد حصل من الامر ما هو كذا وكذا واخبروه في الكتاب بما جرى من الامر في حقه ومن جملة ما في الكتاب اعلم ياولدي اني وجدت عثمان سكران ولم يذكر له اني ضربته الحد فلما ان قرأه نهض على الاقدام وقبض على عثمان فقال له ياعثمان ولاي شيء تفعل ذلك الفعال قال له ابي الوزير ذكرلي انك سكران قال نعم سكرت ولكن الوزير ضربني الحد الشرعي قال له لو كان الوزير

ضربك الحد لما كان ارسل يخبرني فى الكتاب ثم انه ضربه الحد مرة ثانية
قال عثمان ان الحد مرة اواثنين قال مرة واحدة قال عثمان عندى وانا أخلصه
من عميلي وأسر للوزير فى نفسه يقع لذلك كلام فهذا ماكان من امر هؤلاء
(قال الراوي) وأما ماكان من أمر عيسى توران شاه فانه جمع اكابر الكرد
وشرعوا فى مولد سيد العرب والعجم ونيب على الكرد نائب من طرفه وأمر
بالرحيل فارتحلوا الى الشام ونصبوا الخيام والاعلام ونزل الملك عيسى ولم يطلع
بيبرس الى لقائه فسأل عن ذلك قالوا الاماره انه خايف ان يقابلك قال لابد ان
ترسلوا الي بيبرس حتى يأتي الى هنا ونحقق ذلك الامر ويبان الحق من الباطل
فعند ذلك قال الوزير قم انت ياايبك الى بيبرس وقل له اجب الملك قال سمعاً
وطاعه وركب ايبك من تلك الساعة وسار طالب ديار بيبرس فهذا ماكان من
ايبك (قال الراوي) وأماماكان من عثمان فانه وصلت اليه الاخبار بان الوزير
اقبل مع ملك الاسلام علم انه لابد له من الحضور الى بيبرس فصاح عثمان
الى رجاله وقال لهم يارجال قالوا نعم قال عثمان اغلقوا الباب الكبير وافتحو
باب الخوخه وافرشوا البساط من خلف الباب ورشوا الحوش بالماء وعرقوه
وحضروا الفلقة والكرابيج وأنا اجلس فوق ذلك السرير واذا اتى أحد اقول
لكم دقدقوش فدقوا فيه واذا قلت لكم درميش ارموه الى الارض
واذا قلت لكم شفا دوروا عليه العدة واذا قلت لكم عفو الله ارخوا فأجابوا
الرجال فى جميع الاحوال وفعلوا ما امر به من الفعال فجلس عثمان ووقفه
بين يديه السياس والخدام (ياساده) واذا قد اقبل الوزير ايبك وهو راكب
على جواده فرأي الباب مغلوق فترجل عن الجواد وسلمه الى الخادم خارج البابه
وعبر من باب الخوخة فرآه مفروشا فخلع النعال وعبر الى باب الحوش واذا
بعثمان جالس خلف الباب وقال اهلا وسهلا بالوزير ايبك عين القدل القليلة
قال له أنت تعملني مسخره ياكلب ياعثمان يابطحجي قال عثمان دقدقوش

واذا بالرجال قد احتاطو به من جميع الجهات فلما رأي ذلك الحال ذهبت عنه النفخة الذي كان مقبلا بها وقال ياعثمان أنارسول بعض شاه الى سيدك الامير بيبرس قال عثمان دارميش فرموه قال عثمان شفا حتى قطع النفس قال عثمان عفوالله فتركوه وقال له بعد ان افاق اذهب حيث اتيت ومثل مارأيت احكى فنهض ايبك ولبس المزد والشراب وأظهر الجلد وأخفى الكمد وقال فى سره وأنا مالي بذلك ولكن انا أرسل له أحداً غيري لانى اذا قلت للامرا مثل ذلك لايصدقونى ثم عاد الى العرضى وقال له لم يرض يأتى معي ولم يأت الا مع الامبرعلاي الدين قال علاي الدين اناروح وأجيبه الى هاهنا وركب وسار فاستقبله عثمان وفعل معه مثل مافعل بغيره ولم يزالوا واحدا بعد واحد وكل من أخذ نصيبه من عثمان يرجع ويرسل واحدا غيره حتى ان الرؤوس ساوت بعضها البعض هذا وقدقالوا ياوزير الزمان ان الامير بيبرس لم يأت الا معك قال الوزير أي نعم هذا الميثاق الذي بيني وبينه فقد عرفته بذلك فى الكتاب لانى قلت له لاتحضر حتى احضر اليك انا بنفسى هذا وقد ركب الوزير وسار حتى اقبل الى الديار فرأي الباب مغلوقا فتعجب من ذلك الشأن وقال في سره ولاي شيء اغلقوا الباب ولكن ادخل ياشاهين حتى يظهر الامر اليقين فعبر الى الباب واذا به يرى الفراش فخلع النعال وعبر الى وسط المكان واذا بعثمان قد اقبل اليه وهو يقول وقمت يابوا فرمه حد الله حد واحد والا حدين قال حد واحد ياشيخ عثمان قال وأنت ضربتنى والا لا قال نعم قال عثمان ولاي شيء كتبت للاشقر باني سكران ولم تكتب له بانك ضربتنى الحد قال نسيت ياعثمان قال عثمان انت أخذت حقك مني اعطينى حقى انا الآخرثم صاح عثمان دقدقوش فتبادرت اليه الرجال وقبضوا عليه فى الحال فتأمل الوزير فرأى ان ماله خلاص من يد الاوسطى عثمان الا بالحيلة والخداع وكان الوزير صاحب رأى وتدبيرفقال ياعثمان اصبر علي ثلاث كلمات وبعد ذلك افعل ماتختار فقال

عثمان خمسة يا ابو فرمه قال الوزير انا رأيت ليله أمس منام قال عثمان هذه واحدة قل ايا بو فرمه قال الوزير رأيت سبع غضنفر هجم علي وضايقني شدة الضيقة وأراد ان يفترس بي قال عثمان بقوا اثنين ومن شدة ضيقتى منه وكنت اصرخ من مغناطيس عقلي بملء بطني ورأسي الحقني يا بيبرس وخلصني من هذا اللص (ياساده) فلما صرخ الوزير وقعت الصرخه في أذن الامير وكان بأعلى ذلك ولم يعلم بأي شيء مافعله الاسطى عثمان فنهض في عاجل الحال ونزل حافي الاقدام فلم يشعر عثمان الا والامير واقف بين يديه فعندها قال عثمان تمدت الآن من يدي بالاحتيال ولكن لايضر شيئاً الايام بيننا ياوزير الزمان هذا وقد قال الامير ما الخبر فحدث الوزير بما جرى من أول الامر الى آخره فازداد تعجب الامـير من فعل عثمان وقال عثمان لابد من الحد الذى ضربتنى اياه فقال الوزير ياولدي صالحني معاه لربما يعمل فيَّ أمراً غير هذا أو انه يرانى في محل آخر فيضربني الحد قال له الامير العفو ياوزير الزمان هل يقدر عثمان ان يفعل مايخل بالمقام

﴿ تم الجزء الثالث عشر ويليه الجزء الرابع عشر ﴾

﴿ وأوله فقال الوزير والله لولا انى عملت الحيلة وانت اركتنى ﴾

سيرة الظاهر بيبرس

تاريخ الملك العادل صاحب الفتوحات المشهورة (السلطان
محمود الظاهر بيبرس) ملك مصر والشام وقواد عساكره
ومشاهير أبطاله مثل شيحة جمال الدين واولاده
اسماعيل وغيرهم من الفرسان وما جرى
لهم من الاهوال والحيل وهو
يحتوى على خمسين جزء

الجزء الرابع عشر

﴿الطبعة الثانية﴾

سنة ١٣٤١ هـ — ١٩٢٣ م

(طبعت على نفقة مصطفى افندي السبع)
بشارع الحلوجى بمصر قريباً من الجامع الازهر والمشهد الحسيني

(مطبعة المعاهد بميدان بيت القاضى بجوار قسم الجمالية بمصر)

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(قال الراوى) فقال الوزير والله لولا انى عملت الحيلة وأنت أدركتني لا كان ضربنى وعذبني وأنا ارجوك ان تصالحني معاه فقال الامير لاجل خاطري ياعثمان فقال عثمان ان كان ولا بد دعه يفدى نفسه بعشرة خرفان للجدعان قال الوزير وجب وأعطاه كل ماطلب ثم ان الوزير التفت الي بيبرس وقال له اعلم ان الامراء قد أتوا الي هاهنا وطلبوك للملك فوقعت فى عرضهم هل حصل ذلك فقال ياوالدي وحق رأسك مارأيت أحداً منهم لأني كنت عند أمى وهى تشكوا برأسها وأنا مقيم من أجل ذلك عندها ثم سأل عثمان فاعاد عليه كلما جرى من أول الامر الى آخره وكيف انه ضربهم فتعجب له الامير فقال له الوزير الآن كان ما كان فقم معي ثم ركب الوزير وركب معه الامير بيبرس حتي اقبلوا على الملك عيسى فقام الامير وترجم واحسن مابه تكلم هذا وأول ماراه الملك عيسي نهض له على الاقدام وقال بسم الله ماشاء الله اللهم عمر بك الارض والبلاد اللهم اهلك ضدك اللهم أتم سعدك فقال الوزير والحاضرين آمين ثم قال الملك ياسيدي انت قتلت أبي فقال له هل انت رأيت أو سمعت ان أحدا يقتل والده وسيده وتاج نعمته فقال له ذكرلي انك فعلت ذلك لاجل السلطنة فقال ياملك

الاسـلام عرضوها على فأبيتها ومعى حجة بختم ابوك فقال عيسى بلغنى ذلك من الامارة وهـذه الحجة باختامهم تشهد بذلك عليهم فلما قرأ الحجة قال لهم بأمارة مصر انتم ماتقولون قالوا له رأينا الملك لمـا مات ولـكن سمعنا الناس يقولون ذلك الـكلام فقلنا مثل كلام الناس فقال الملك وأين الحجه التى كتبها لك أبي فأخرجها بيبرس فقراها الملك وقال لاحول ولاقوة الا بالله ولـكن أنا سامحتـكم فيما كنتم تقولوه وأنت ياسيدى بيبرس سامحنى فسامحه ثم اقيمت الافراح والعزايم مدة سبعة ايام وبايعوه على تخت الشام وأجلسوه واذا بالامير بيبرس قال ياأمير المـؤمنين ان الله لايستحي من الحق انا سمعت عنك انك تشرب الخمر وهذا شيء حرام ولا سيما امام الاسلام فقال له ياسيدي بيبرس انت وكيلا عني فى ذلك وان رأيتنى شربته عن اذنى انا اضربنى حد الله فقال له اعطيني خطك وختمك يشهد عليك فـكتب له وختم وارتحـلوا الى مصر ودخلوهـا في نهار لايعد من الاعمار ودخلوا للسرايه جلس واجتمعوا الناس وبايعوه وعلى تخت السلطنة أجلسوه فجلس برتب المملـكة وهو فى دست الخلافة ثلاث ايام وقداستلموه الحفاظ وهو في قاعة السلام والعصابة على عينيه فقبض على قبضة من السلام فـكشفوا عليها وجدوها للمعظم فتـكنى بالمعظم وتقلد بالسلاح ونودي فى ارض مصرغداً يكون موكب السلطان فهرعت أولاد البلد والنساء وترتب المـوكب وركب أمير المـؤمنين عيسي المعظم وسار في موكب عظيم حتى اتى الي مقام الحسين فزاره وفرق وأعطى وأوهب وسار راحلا الى مقام والده الملك الصالح نجم الدين ايوب ففتح له قبر ومسك الجناحين وقال يامن ارتحت واتعبتنى يامن رقـدت وأقلقتنى يامن نمـت وأسهرتني ثم بـكى وآن واشتكى وأنشد يقول

الى كم اقاسي لوعتى وغرامي والقلب من بعدكم سار فى انعدام
والعين قدحزنت لاجل فراقكم وحلفت انها لم تذوق منام

والبعد والهجران حل بقلبي فاورثني البكى والحزن والاسقام
ياسادة الدنيا الا تركتم نصيبا وسكنتم اعز مقام
لما رأيتم الدنيا مقتني وملتم وتركتم سائر الاقدام
آه وأواه على جميع احبتي ياليتني أراكم ولو في المنام

(قال الراوي) ولازال على مثل ذلك الحال حتى أخذته سنة من النوم فرأى الملك الصالح نصب عينيه ويقول له تسلطنت ياعيسى قوم قاتل على خبرة الله فقام وهو يبكي وينتحب وسار الى الديوان وجلس يتعاطي الاحكام فقال الوزير مرادنا نزوج السلطان فخطبوا له بنت من الاكراد وامهروها ودخل بها من غير مهرجان وجلس بعد ذلك يتعاطي الاحكام (قال الراوي) فهذا ماكان من أمر هؤلاء وأما ماكان من امر الامير بيبرس فانه بعد مدة من الايام نزل الى الجزيرة يريد الفرجه وينتظر حالها لانها في سكنه فرأى رجلا فلاح يشتكي الي رجل يهودي ويقول له يامعلم ان البهايم نقص لبنها وبعد أن كانت البهيمه تحلب متردين كبار فى أول النهار ومثلهم فى آخره وفى هذا الوقت الاربع بهايم لم يكملوا مترد واحد فقال اليهودى ياأخي الله تعالى يزيل حكم هذاالسلطان لانه مرتكب كبيرة واننا مكتوب عندنا فىالتوراة اذا كان الملك يرتكب كبيرة يقل الخير من الارض ويقل اللبن من البهايم فلما سمع ذلك الامير بيبرس أمر بالقبض على الرجل اليهودى وقال له انت تكلمت فى حق أمير المؤمنين فان كان كلامك صحيح أطلقتك وان كان غيرصحيح قتلتك نظيرا انك تقذف فى حق الملك ثم جعله فى سجن هناك وعاد من ساعته وطلع الىالديوان ووقف الي محل الطاعة والاحكام واذا بالملك قال عطشان ياابوا الخير فناوله القله وأراد ان يشرب واذا بالامير بيبرس قد هجم وامسكها فقال الملك ماذا يابيبرس قال ياأمير المؤمنين الماء لم يفوت على العطشان فقال ماهو ماء وانما هو شراب النعناع لاجل ان قلبي يؤلمني فقال له الامير هذا الذى

كنت ادور عليه فقال له ماهو نعناع هذا ماء ورد فقال له هو المطلوب فقال له ياأخي يابيبرس الآن ظهر الحق واشهر هـذا هو خمر مسكر فقال له الامير والله لقد صدق اليهودي ولـكن ماذا تقول ياأمير المؤمنين في حد الله فقال لاأقول شيئاً أبدا فعند ذلك أخذه من بين الرجال وأدخله الى قاعـة الجلوس وضربه الحـد وأرسل أنعم علي اليهودي وأطلقه فهذا ماكان من أمر هؤلاء

(قال الراوي) وأماما كان من الامر فانهم اتفقوا مع بعضهم البعض على العكوسات ودخلوا على الملك ليـلا فى قاعة الجلوس سلام عليـكم قال الملك وعليـكم السلام مالـكم قالوا احنا صعب علينا ضربك وان بيبرس أخذك من وسط الرجال وما تأتى عليك حتى ينفض الديوان وهذا عيب فى حق السلطان فقال لهم الحق بيده وأنا الذي أمرته بذلك فقالوا ابوك كان اولى وانه كان يعمل مايريد سرا بينك وبينه قال لهم الملك انا استاهل وهذا ماجرى فقالوا حصل خـير ولـكن ابوك كان يحب بيبرس محبة كثيرة وذلك كله من المغربى الذي في طيلون لانه يكتب له علي النجوم وقد اعطاه مناصبا كثيرة اكثر من عشرين رتبه وانت توليت السلطنة وانت فقـير وأبوك لم حاسب بيبرس على مال تلك المناصب فاذا جلست غدا على التخت فقل له يحاسبك على الفايظ فانت احق بذلك منه هذا حقك انت فقال لهم صدقتم فى ذلك وكان مرادهم ان حاسبه يسقم على المال فيموت وان خالفه قتله وهذه مكيدة عظيمة الفاتحة الى روح بيبرس والله كان ابن ناس فقال الملك قومو بقي الي غد يكون مايريده الله فقالوا له بل الشربات فقال لهـم انا ماعندي شيئا قوموا الى حال سبيلـكم وقاموا ولمـا أصبح الله بالصباح وأضاء الـكريم بنوره ولاح تكامل الديوان وحضر بيبرس والجنود والابطال (ياساده) ياكرام ولما ان تـكامل الديوان قال الملك ياعلماء الاسلام ماقولكم دام فضلكم في رجل توفى وخلف ذرية هل يرثوه أم لا فقالوا يرثوه ان كانوا ذكورا أو اناثا فقال الملك ياسيدى بيبرس

أنا فلتس فى الحق شيء قال لا قال الآخر طالب منك ان تحاسبني على المناصب الذي أعطاهم لك أبى وتعطيني وظائفهم فان هذا حقى ومال أبي فقال سمعاً وطاعة وفى عاجل الحال حضرت الكتبة وساروا يحسبون المناصب فرأوها كثيرة أكثر من عشرين منصب فحسبوا المال والنوال فوجدوها اموالا كثيرة شتى فقال الملك هات يابيبرس المال الذى طلع عليك فاراد ان يرسل يحضر له المال فاشار اليه الوزير فامتنع وقال معسر ياأمير المؤمنين فقال الملك خذوه احبسوه فنظر الى الوزير فأشار اليه ان انزل الى الحبس ولا تفزع فنزل واذا بالسجن مفروش من أعز الفروشات وكان ذلك أمر به الوزير فى عاجل الحال فجلس الامير بيبرس الي آخر النهار واذا بالوزير أقبل فسلم على الامير فقال له ياابويا أنا كنت أريد ان احط مالي ونوالى ولم انحبس ولا يشمت بى أحد أبدا قال له لاتخف ياولدي فوعزة الله لابد ان الملك يأتى اليك بنفسه ويسامحك فى المال كله وينعم عليك ويصفح عنك ولكن احترس على نفسك ان يأتى اليك طعام من عند أحد من الامرا أوغيرهم ولا تأكل الا من بيتي والصفره التى تأتى اليك فلا تأكلها الا اذا كان عليها ختمى وكذلك كل شيء ياولدي يكون عليه ختمى فكل واشرب منه ولا تبالى قال عثمان واذا غاب علينا ختمك نموت من الجوع ياابو فرمه قال الوزير ياشيخ عثمان مالكم الا مايرضى خواطركم قال عثمان يرضيك سكر بنها ثم سار الوزير الي مكانه ومضى على ذلك الحال أول يوم والثاني فلما كان اليوم الثالث بينما الملك جالس واذا بنجاب يقبل الارض بين يديه فقال له الملك من اين والي اين قال من ضمياط قال الملك اعطى الكتاب لقاضى الديوان يقراه فأخذه القاضى واذا فيه خطابا من باشة دمياط الى بين ايادى امير المؤمنين اعلم اننا مقيمون يوم تاريخ الكتاب واذا قد أظلم الجو وبان لنا عن عسكر جرار فأرسلنا نكشف الخبر فوجدناهم أربع ملوك قد اتوا الى الارض والبلاد وصحبتهم جوان والبرنقش الخوان ادركنا

بجوادك المفتون وسيفك المسنون الا نحن فى ريب المنـون والسلام قال الملك لاحول ولاقوة الا بالله العلي العظيم ماترى ياوزير الزمان فقال له الوزير ياملك الاسلام ارسل ايبك يرسل الركاب ويأتي بالغنيمة فعند ذلك قال الملك ياايبك قال نعم قال الملك أوليتك ساري عسكر الركبه فلبس ايبك وأخـذ اتبـاعه خمسة وثلاثين أمير والرجال وساروا طالبين دمياط وكل ماأتى الي بلد ظلم أهلها في الاكل والشرب والمال الى ان وصل الي دمياط ونصبت الخيام قال ولما ان سمع جوان بمجىء ايبك قال ياسيف الروم لابد ان ادبر حيلة عليه حتى أقبضه فقال له هـذا صاحبك الذى احرمته من ماله فقال اخرص ياسيف الروم بلا كلام ثم كتب كتاب وأرسله الى ايبك مـع رجل نجاب فلما وصل النجاب الى ايبك قال له مامعك من الاخبار قال كتاب من عالم الملة جوان قال ايبك جاور معرض ثم أخذ الكتاب فضه وقراه واذافيه الصـلاة والسلام على سيد الانام ومصباح الظلام خطابا من شيخ الاسلام الشيخ صلاح الدين العراقي الي بين أيادي الوزير ايبك ياوزير الزمان لاتظن انى كافر خوان بل أنا مؤمن على الاسلام والايمـان وانما جعلت هذه الفعال من اجل الغلب الذى حل بى من ولد الزنا ونسل الحرام ولم ابلغ مرام وقد أفنيت مالي رنوالي وأخذت مالك جنب مالي وهو في ذمتي وسوف يصل اليك ولم يعلم بالحقيقة الا الله واعلم ان لك الجزء فى نظير ماصبرت علي بالمال فانتظرنى الساعة أربعة من الابتكار بين العرضين انت والامرا الذين معك حتى اني أملكك العرضى وتأخذ أموال هؤلاء الكفار وتضرب اعناقهم بالسيف البتار ويكون لك الفخر على كامل الرجال وترجع منصور على أعدائك وتكتم هذا الكلام عن باقى رفقائك والف نهار مبارك الذى جمعنى عليك والسلام فلما قرأ الكتاب وقال انا الآخر متعجب ان رجلا مثل هذا شيخ اسلام يصبر كافرا بالرحمن هذا لا يجوز عقل انسان ثم اعاد الجواب على رفقائه فقال بشتك هذا معذور وقال سنقر من غلبه فعل هـذه الفعال ثم

قال لهم ومايكون الرأيِ قالوا الرأي اتنا نكسي النجاب ويروح الى عند شيخ الاسلام وتمطيه انت ردا الجواب باننا نقابله عند العرضين واذا اتى الينا وملكنا العرضي نأخذ المال و نقتل الكفار ويسير بذلك لنا الافتخار على العلق بيبرس والرجال الاشرار فاذا اعدنا علي الملك بالغنيمة والامل وهو محبوس ورأى ذلك بيبرس لابد ان يسقم فيموت والسلام قال ايبك هذا هو الصواب ثم كسي النجاب ورده الى جوان وكان جوان قد اعلم الملوك الاربعة بما دبر من الامور الخبيثة وقال لهم أخرجوا الكمنا من الاربع جهات فاذا سمعتم صوتى أخرجوا واقبضوا الرجال هذا ولما ان جن الليل قام ايبك والامرا وسادوا الجميع الى بين العرضين واذا بجوان مقبل وعليه ملابس الاسلام والمقلة الكبيرة والسبحة وهو يقول هو الله الذي لااله الاهو الرحمن الملك القدوس السلام عليكم ورحمة الله وبركاته قال ايبك أهلا وسهلا مولانا وأقبل يسلم عليه واذا باللعين أخذ ايبك فى حضنه وصاح صيحة مقلوبه واي نخرجت الكمنا وقبضوا على الجميع فى أقل من لمح البصر وقدنهبوا مامعهم وكان جوان ارسل كميناً آخرالى عرضى الاسلام فنهبوا الجميع واتو بكل ماكان هناك أسير وأقرنوهم بأيبك وأرادوا أن يقتلوهم فقال ايبك انا في عرضك ياجوان فاقالهم من الموت وعروهم من الثياب ورجعوا بالخيبة والحسرة ومارأوا شيئاً من النصرة وذلك كله بارادة صاحب القدرة وهرعوا خلفهم اللئام حتىشتتوهم فىالوديان ولولا ان جوان خرج عليهم لكانوا قتلوهم وأهلكوهم عن آخرهم وما زالوا فى كسرتهم حتى أتوا الى مصر فارسلوا الى منازلهم فأتوهم بالخيول والملابس ومايلزم له الحال ودخلوا مصروالناس تتكلم فيأعراضهم فقال واحد منأولاد البلدياأخي دول كانوا فين قال له كانوا في البرج الزفر قال الآخر لالا ولكن اناسمعت ان الملك أرسلهم الى ركبة فى زفته وعروهم العرب قال الآخر والله ان الملك مجنون الذى يطاوع هؤلاء وهم يفلحوا هياش دولة انجاس هذا وهم يسمعون

الـكلام ولا يقدروا يردون كلام حتى اتوا الى الديوان قال لهم الملك ماالذى جرى قالوا له طلع علينا اناس كثيرون من الكفار ونحن رحنا نهبونا وأخذوا مامعنا واتينا بالسلامه قال الملك اقعدوا يارجال ياوزير وما يكون الرأى قال له يأميرالمؤمنين ان أردت النصر عليك بالامير بيبرس وهو الذي كان ينصر أباك على أعدائه ويبلغه منهم مناه قال له يخرج من يده يكسر الركبه ويأتى بالسلب والنهب ونحن هاهنا فى راحة قال له الوزير ولأى شيء كان أبوك يحبه ويكرمه ويعطيه هؤلاء المناصب وذلك لاجل انه كان يصيد الاعـداء منه فقال الملك قم بنا الساعة اليه فنهضوا الاثنين الى السجن فبينما بيبرس جالس وهو يقول

تقطعت الرسائل وانهيا وصرنا مثل زوار القبور

فـلا خـبر يجي من عند خل ولا أنا طير أطير مـع الطيور

فبينما هو كذلك وهم مقبلين عليه فلما رأى الملك نهض علي الاقدام وسلم سلام الاحباب فقال له الملك الآن عفوت عنك وأردتك أن تكون ساري عسكر الاسلام تكسر الركبه وتعود بالامان فقال له الامير ياسيدي انارجل مديون وها أنا لاابرح من مـكاني حتى اسد ماعلي من الديون فقال الملك اعطوا كل ماكان على الامير بيبرس من الديون واكتبوا له حجة شرعية متممة لايكون ملكا بعد حياتى الا هو والحق لك علي ان طاوعت هؤلاء الرجال الـكذابين ثم انه كتب الحجة وانشطبت الديون وخرج بيبرس من السجن بالصحه والسلامه هـذا وقد قال الملك ياخويا أريد ان اسير معك لاجل ان اكتب من الفايزين المنصورين المقبولين عند الله تعالى فعند ذلك أمر الامير تجهيز الرجال فتجهزوا واخذوا الاهبة ثلاثة ايام وساروا طـالبين دمياط فهذا ماكان من أمر هؤلاء (قال الراوي) وأما ماكان من امر جوان فانه بعد ان فعل ذلك الفعال ونهب تلك الاموال قسمها على الاربع ملوك واغنى منهم كل صعلوك وأوعدهم بـكل جميل ثم قسمهم اربع فرقات وقال لهم فرقه تمضي الى المنصوره والفرقه الثانيه

الى دمياط وفرقة لفارس كور وفرقة فى البركون نجدة لكل من طلبها قال وكانوا هؤلاء من جبارة الكفار والسبب في مجيئهم ان جوان لما هرب من عند الرين حنا قال له سيف الروم وما تريد أن تفعل فقال له أريد أن أركب على بلاد المسلمين لعلي آخذ بالثار واجلى عن نفسى العار ثم سار اللعين الى الخلوات فاجتمع بهؤلاء الاربعة وكان مقامهم في قلعة على سن جبل يقال له جبل المرور يمر عليه المسافرين وكان مقامهم في الجبل لاجل نهب التجار وقتل المسافرين فلما دخل عليهم جوان استقبلوه وحيوا مثواه وذبحوا له خنزيره تحت رجليه ولما ان استقر به الجلوس بكي واشتكي فقالوا له ما يبكيك ياعالم الملة فقال انى ابكى علي ملة زراره فانها لم بقت تساوي زبلة حماره وقد ظهر يا أولادي غلام ابن حرام يقال له بيبرس وهو الذى يهد الصوامع ويبنيها جوامع ويهد الكنايس ويجعلها مدارس ويسد بلاد أهل الطغيان بالزفت والقطران وقد اتاني السيد المسيح فى المنام وقال لى لاتقع لك النصره الا على يد فرعه وأخيه فرعيه والملكين الآخرين بولص وحنين فاتيت اليكم ياولادى واعلمتكم بما قال لى السيد المسيح وقد أوعدكم النصر واوهبكم فى الآخر بسقر ففرحوا فرحا شديدا ما عليه من مزيد ثم جمعوا الرجال وفرقوا عليهم الاموال وسار بهم جوان الى أن أتوا الى ذلك المكان الذي ذكرناه وهو من الامر ما قد وصفنا وانكسر ايبك كما قدمنا وسافر بيبرس كما صورنا ولم يزل بيبرس سائر بالملك حتى اقبل الي دمياط وقد نصب العرضى وأقام الملك تلك الليله ولما جاء الصباح أمر جوان بالخروج الى الميدان فقال الملك ابرزوا ياعصبة الاسلام فأول من فتح باب الحرب الامير بيبرس بنفسه وبرزت اليه اللئام وهو يلتقطهم بحد الحسام ولم يزل على ذلك الحال الى آخر النهار ثم باتوا الفريقين وهم يتحارسون الي ثانى الايام فنزل الامير بعزم واهتمام وصار يقاتل حتى جاء وقت الظهر فقال جوان ما هذا التوانى

والكسل وقد فعل فينا هذا القرنان أو فى عمل فابرزوا اليه باجمعكم فساروا اليه وقد تلقاهم بقلب قوي وجنان جرى وتكبب وارتمي وا كحل المبغضين بمراود العمى وقرأ آيات معظما ولم يزل يقاتل حتي ادركته الرجال وكان الوزير لما ان رأى ذلك الفعال أمر بالهجوم على الكفار فاحتاطوا بهم مثل الاصوار ولم يزل السيف يعمل ونار الحرب تشعل والكفار تتجندل حتى ولى النهار وارتحل واقبل الليل وانسدل هذا وقد أوقع الله الرعب في قلوب الكفار وطلعوا هاربين والى النجاة طالبين وقد مات منهم خلق كثير فقال الامير بيبرس يارجال خليكم على الاثر خلف الكفار لان لهم بقية (ياسادة) وقد ساروا خلفهم ولم يزالوا كذلك حتى اتوا الى المنصورة وفعلوا فى الكفار الفعال المشهورة ووقع القتل والنهب وقد بليت الكفار بالعضب وانهزموا فى البر والشعب فقال الامير كونوا خلفهم على الاثر لان قلبي يحدثني ان لهم بقية فساروا ومازالوا كذلك حتى اقبل الي فارسكور وقد ادركوهم الاسلام واقتتلوا باقى ذلك النهار وقد وقع الانفصال عند الزوال فرجع الامير آخر النهار وأمر بنصب الخيام فنصبوها وقد أقبل الملك بالوزير الاغا شاهين فتلقاهم الامير وسلم عليهم سلام الاحباب فقال الملك انصبوا لى تختبوش من الخشب حتى أشاهد الحرب بين العرضيين فأجابوه بالسمع والطاعة ولما ان فرغ الامير من ذلك التختبوش قال الملك ابنى لى جامع هنا ومدفن ومقام يابيبرس فأجابه لذلك الشان وأرسل الى المهندسين وارباب العمارات وأمرهم بذلك الشان واوقف عليهم الاسطى عثمان وقد أرسل لهم كلما يحتاجون اليه وترك عثمان فى العماره وسار يتولى هو بنفسه أمر الركبه هذا وقد اجتمعت عساكر الكفار الي بعضها ووقع الحرب وركب الملك عيسى المعظم فى ذلك التختبوش وجعل يتفرج على الحرب وقد جرى عليه القضاء والقدر فقال ياابو الخير اسقيني فتقدم اليه يناوله الكاس فسطع الكاس ولمع فى الشمس هذا

والحرب داير والامير باله معه فرأى ذلك الكاس فرجع الى عند التختبوش وسيفه مشهور وهو ينادى يقول حوش يدك ياأمير المؤمنين ولا تشرب المنكر بل اطلب الفرج من الله تعالي والنصر فقال لا بأس عليك لاتخاف يابيبرس فما انا بشارب فأراد أن يرد الكاس الى ابوالخير فسقط من التختبوش لي الارض علي ام رأسه فنطق بالشهادتين فارقت لروح البدن هذا وقد احتملوه الحفظا الى اعلا التختبوش وعاد الامير الى الكفار واوقع البتار فما كانت الاساعة وولوا الادبار وركنوا الى الفرار فلموا الاسلاب وهرب جوان وبرتقشه وهلكوا الاربع ملوك وعادوا الاماره وهم يقولون لايحل من الله يابيبرس تقتل ملك الاسلام فقال لهم الامير قيموا علي البينة قالوا نحن كلنا نشهد بذلك هذا وبيبرس ساكت لا يتكلم بحرف واحد وقد تحير فى امره ورفع شكوته الى من يعلم جهره وسره وصار يتوسل الى مولانا بدعوات لم تحتجب علي عالم الخفيات وهو يقول

يارب العباد قد مسني ضرر   وانت الذي تعلم باضرارى
فاكشف ياخالقي ما حل بى   وانقذني يا اله من الاشرار
انت العليم بسرى مع علانيتي   وانت الكريم الخالق البارى
وانى توسلت اليك بخير البرايا   محمد الحبيب المصطفى المختار
والآل والصحب والتابعين لهم   تنجني ياخالقى من الفجار
وتظهر الحق فينا ياحكيم بنصه   وتبرى الاسقام وتعفوا عن الاوزار
وتنجنى من كل طاغي وباغي   وكل ندل حسود فاسق جبار
واستجب دعايا يالله تكرما   فانت القدير صاحب الاقدار

فما استتم الامير دعاءه وتضرعه الى مولاه حتى ثار الغبار وسد الاقطار وبان للنظار عن رجل طويل القامة متقلد بسيفين ذات اليسار واليمين بمنطقة داير حواليه وقد اقبل من عرض البر وقال سلام يارجال فردوا عليه السلام فقال لهم انتم نظرتم هذا الغلام قتل ملك الاسلام قالوا نعم

رأينا يامقدم فقال المقدم وانت ما تقول ياوزير الزمان فقال وكيف أقول وهاهم شاهدين عليه بأجمعهم ويدعوا انهم رأوه باعينهم واما انا فما رأيت ولا نظرت ولا وعيت فقال المقدم اماهم من الاكراد قال نعم هم من الاكراد فقال تأخروا عنه فتأخروا عنه ثم تقدم اليه المقدم وعدله على القبلة وغطاه وقرأ الفاتحة ام الكتاب واهداها الى روحه وبعد ذلك جرد الحسام وتأخر عنه وقال والاسم الاعظم الامجدان ما كنت تبين كرامه يشهدوا لك بها جميع الرجال والا قطعتك بهذا الحسام الفصال قال فعند ذلك تحرك السلطان باذن رب العباد وقال اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمد رسول الله صلي الله علية وسلم يااخواني المسلمين عليكم بتقوى الله اعلمكم ان هذا الغلام مظلوم ولم له في رقبتي ذنب ابداً واما انا الذى وقعت من تحتي على ام رأسى ودلك كما اراد ربي من غير قاتل قتلني وهذا بيبرس بريء من ذنبي والله على ماأقول وكيل وهو حسبي ثم فهق فارق الدنيا فعند ذلك امر الوزير بدخوله الى الصيوان وأمر أيضاً باحضار السلب الى بين يديه هذا وقد قال المقدم يادولالتلي ما تقول في هده النجدة قال له بكل من بالحما قال له اكتب لي تمنية خمسة آلاف شريفي فكتب له ذلك وقال مااسمك يااخي قال اسمي ضايع الاسم ثم انصرف من ساعته الى حال سبيله هذا ما كان منه وكان الذى ارسله الى تلك المقام شيخه الخضر والياس عليهما السلام واما ماكان من بيبرس فانه رجع واخرج السلطان وكفنه وعمل له مشهد عظيم ودفن بقبره فى فارس كور وقد سمعوه الحاضرون عند نزوله وهو يقول بسم الله الرحمن الرحيم توكلت على الله ثم انهم اقاموا في اتمام الجامع ولما تهيأ الفراغ من ذلك أمر الوزير بالرحيل الى مصر فرحلوا وقد دخلوها بغير زينة ولا مهرجان وقد جلس الاغا شاهين فى الديوان واجتمعت عليه الرجال واحضر السلب واعطي كل انسان حقه (ياساده) وقد علمت اولاد مصر بأن الملك قد مات فكثرت الاقاويل منهم ولم يعلموا الحقيقة ولما تهيأ الفراغ

من ذلك قال الوزير يابيبرس انت معك حجتين ياسلطان فقال انا اكون اول من اطاع وآخر من عصى ولم اتسلطن ابداً فقال ايبك اشتاه انا اشتاه بشتك اشتاه سنقر فقال الوزير اسكت ياايبك بلاقلة حيا ثم قال الوزير ياسادتنا ياكراد هل يوجد للمتوفى ذكور فقالوا نعم له غلام وهو مقيم بمصر عتيقة فى مقام هناك يقال له ابوا الشامات فقال الوزير هذا هواحق بالسلطنه هيابنا يارجال اليه ثم ركبوا فى الحال وساروا حتى وصلوا اليه فتقدم اليه الوزير وقال له بعدان سلم عليه ابوك مات فقال كلنا أموات فقال اننا نريد ان تكون سلطانا علينا فقال لهم حتى أشاروا شيخي ثم دخل الى داخل المقام فاستغيبوه ودخلوا يدورا عليه فلم يجدوا له خبر ولا جلية اثر فقال لهم خادم الاستاذ انه سار الى مقام الاستاذ الشافعي فركب الوزير والدوله وساروا الي الامام وادابه جالس يعبدالله فى المسجد فلما رآهم قال لهم انتم اتيتم خلفى قالوا نعم قال حتى اشاور وتركهم وغطس من بين ايديهم فسألوا خادم الامام فقال انه سار الي مكانه الذى اتى منه فرجعوا وهكذا سبع مرات وبعد ذلك قال لهم يااخوانى رضيت بما قضى الله وقدر ثم ركبوا وساروا وانعقد الموكب وسار بينهم ولم يزل كذلك الى ان اقبل الي مقام الملك الصالح ايوب فنزل ودخل للزيارة فأخذته سنة من النوم فرأي الصالح يقول له انت تسلطنت ياخليل قم فأنت قتيل على بركة الله فأفاق وركب وهو يبكى وقدذبحت تحت رجل جواده الذبايح وركب الى الديوان وقبل ان يجلس عصبوا عينيه بالفصاديه وادخلوه الي قاعة السلام واذا قد دق في قطعه سلاح فكشفوا عليها واذا بها بالاشرف فتكنى بالاشرف وبعد ذلك بايعود واجلسوه ولم يزل كذلك حتي اقروه على السلطنة وجعل يتماطي الاحكام فقال له الاغا شاهين لابد اننا نزوجك ياأمير المؤمنين ثم خطبوا له وزوجوه بنت الامير الجاولى وأقام بيبرس وكيلا عنه فى جميع اموره واقيمت الافراح

وقد دخل على زوجته فحملت منه من ليلتها ثم جلس الملك سيد على التخت الى آخر النهار و نفض الملك المنديل وجلس فى قاعة جلوسه واذا بالامرا داخلين عليه سلام عليكم قال الملك عليكم السلام ان كنتم تفمدوا في الادب اقعدوا والا اخرجوا الى حال سبيلكم وكل من اتي منكم بكلمة واحدة فى حق سيدى بيبرس قتلته فقالوا مالنا بذلك من حاجة غيرانا نريد ان نعلمك بشيء قال وما هو قالوا اعلم انه بنالا بوك مقام وبنا لجدك مقام وانت مابنالك مقام لاى شيء فقال لهم وانتم مستعجلين على موتى لاى شيء ولكن ان شاء الله غدا فأنا اخبره بذلك لان ماكان منه لا بد عنه ثم بعد ذلك انصرفوا الي حال سبيلهم قالوا ولما كان الغدا جلس الملك وتكامل الديوان وحضر بيبرس والاخوان فلما حضروا قال له يا بيبرس ليلة امس جاؤني هؤلاء السادات والاماره وارادوا ان يعملوا معي مثل غيري فخرجت عليهم وقلت كل من تكلم فى حق بيبرس قطعت رأسه فقالوا لى ان بيبرس فعل كذا وكذا واخبره بالامر من اوله الى آخره ثم قال له وانا اربسمنك ان تبنى لي مقام بين السيدتين قريب العهد من السيده نفيسه فقال سمعا وطاعة ثم نزل الامير بيبرس من تلك الساعة ونزل الي مكان خالى فقال له المعلم حسن المهندس ياامير اعلم ان بين السيدتين مكان خالى من وقف سيدي احمد بن باديس السبكى فقال سيروا بنا اليها فعمل فيها المقام وبعد تمام ذلك عاد الى الملك واخبره فشكره وأثني عليه وقال ياأغا شاهين هذا بيبرس مؤيد منصور ولكن اكتبوا له حجة شرعيه لا يكون ملكا من بعدي الا هو فكتب فى الحال واخذها الوزير وتداولت الايام فبينما هو جالس واذا بنجاب اتي فقال الملك من اين قال من اسكندريه قال هات الكتاب فقرأه فاذا فيه من محمد فارس البطريق الي بين أيادى أمير المؤمنين اعلم انا مقيمين يوم تاريخ الكتاب واذا بغليون اقبل فيه اربع ملوك من الكفار ومعهم جوان والبرتقش الخوان وحطوا على الارض والبلاد ادركنا

او ارسل لنا من يدركنا والسلام فقال الملك لابدلى ان اكون في هذه الركبه
حتي اكتب من المجاهدين فنزل الملك والدولة والوزير حتى اقبل الى بولاق
فنصب للملك الصيوان وجلس وقد احضر اولاد الكتاتيب وقال احضروا
لى شيئا من الطين فأحضروه فصار يعمل من الطين كهيئة البندق ويأمر آولاد
الكتاتيب ان يرموه الى البحر وقال لهم قولوا عند رمى البندق اللهم انصر
السلطان واهلك اهل الطغيان ففعلوا ذلك وامر لكل واحد بمحبوب
من الذهب واعطاهم الوزير ذلك وانصرفوا الى حالى سبيلهم وبعد ذلك
بثلاثة ايام ورد كتاب من اسكندريه الى السلطان فقال الملك اعطوه لقاضي
الديوان حتى نعرف مافيه ففضه القاضى وقراه واذا فيه خطابا من محمد
فارس البطريق الى بين ايادى امير المؤمنين صاحب السعادة والتوفيق ان بعد
ارسال الكتاب رأينا قدطلع من البحر ناروشرار ووقعوا فى الاعدا فهلكوا
جميع الكفار وهرب جوان والبرتقش الخوان ولم يصيب الاسلام من ذلك شيء
ابدا قال وكان السبب في ذلك ان جوان لما هرب من الركبه الاولى الذي قدمنا
ذكرها سار هو وبرتقشه فقال ياسيف الروم سير بنا حتى نرى داهية أخري
للاسلام ثم سار الى بعض القلاع ودخل على هؤلاء الرجال وكانوا اربعة وقد استقبلوه
وبالسلامة هنوه وسألوه عن حاله فبكى وقال ياأولادى النصر على يدكم وقد
اخبرني المسيح بذلك ومازال بهم حتي غرهم وركبهم وكانوا من جزاير السواحل
فجهزوا الرجال وساروا الي الاسكندريه وبلغ الخبر الي الملك فظهرت هذه
الكرامة وهلكت الكفار عن آخرهم واحتوت الاسلام على أمتعتهم فهذا كان
الاصل والسبب (قال الراوى) ثم تداولت الايام على ملك الاسلام وفي بعض
الايام أقبل عليه نجاب من أرض حلب الي بين ايادي أمير المؤمنين علم انه قد ركب
على ارضنا وبلادنا ملكين وصحبتهم اللعين جوان وضايقونا أدركنا أو ارسل
الينا من يدركنا والسلام (قال الراوي) وكان السبب ان جوان لما جرى له ماجرى

فى الاسكندريه وهرب من الركبة الثانية فما هان عليه ذلك فاجتمع على هؤلاء الملكين من مكان الجبال واغرهم واوعدهم بالنصر فلموا اللموم وساروا الي حلب وحطوا عليها و بلغت الاخبار الى الملك فهذا كان الاصل والسبب هذا وقد قال الملك لا بد ان اسير واشاهد الغزة وا كتب من اهل الله ثم ركب الملك واخذ بيبرس وسار وقد دعت لهم الرعية بالنصر على الاعداء موار تحلوا ولم نزالوا كذلك حتى حطوا على حلب وفى ثانى الايام دقت الطبول من عند الاسلام فقال جوان لاحد الملكين قوم وانزل الى الميدان فقال له بخرنى وارقينى واعطيني النفس قال البرتفش البخور على قسمين اما انك نسلم وا ما انك تتمنطر وانى بطول عمرى لم رأيت احدا بخره عالم الملة جوان وكسب ابدا فقال جوان احرص ياسيف لروم بلاهزار مشوم ثم ان اللعين اخرج شوية شعر اصلها من القعر ممزوجة بالبعر واتوا اليه بالنار وجعلوها تحته وقال جوان اكتم نفسك فى عبك ينقل هندامك وطهيك واشتك ثم قال اللعين ما وصلت الى هناك ولا رجعت الي هنا بل الي سقر لا سيطه ولا طماطه قل امين ياسيف الروم فأمنت الكفار على دعائه (ياساده) وقد تحضر اللعين وأراد النزول وكان اول من نتح باب الحرب الامير بيبرس فنزل اليه اللعين واراد ان يجول معه فضر به الامير بالبتار واذا برأسه عن بدنه قد طار فقال جوان لا تخافوا يااولادى انا ارسلته سقر ثم نزل الثانى فقتله لامير بلا توانى فقالوا الكفار الملوك راحوا المنطار قال جوان ها انا قاعد عندكم من ركتى ان نفخت فى الكابون يولع وان قلت يابحر ابتى بحرفها هو البحر فقالوا ماهذا الكلام انظر لنا امرا يكون فيه الخلاص قال اللعين هذا اذا كان آخر النهار ادبر لكم تدبير ماسبقنى اليه انسان من الانام (ياساده) ولم يزل ينزل واحد بعد واحد حتى قتل اربعة وعشرين من اللئام وجاء وقت الاصفرار ودقوا طبل الانفصال فرجع الامير بيبرس آخر النهار وهو يقشط دما الكفار من على ملابسه مثل قطع الكبد الكبار فتلقاه السلطان وسلم عليه سلام الاحباب وقام الملك بعد ذلك يريد المنام وقد سار كل انسان الي مكانه فهذا ما كان من امر هؤلاء واما ما كان

من اللعين جوان فانه التفت الي الرجال الكفار فراى عائق طويل الطوال فقال له
ما اسمك يا هذا قال له عبد المسيح العيار قال يا ابني البس ملابس الاسلام وادخل
الى عرضي السلطان واذبحه بهذا الحسام وسير بعد ذلك الي بيبرس واذبحه ايضا
وقول ميمون يا ميمون ارسل لك حوارى طيار يخطفك الي عندى والسلام
ولك في نظير تعبك خمسين فدان في سقر فقال اللعين شكرا يا مسيح ثم لبس
ملابس الاسلام وسار الى العرضين واحتشر مع الخفراء وكان فصيح اللسان فلما
ان هود الليل ونام السلطان دخل عليه اللعين من ظهر الصيوان وضربه بالحسام
فأصاب فخذه جرحا بليغا ثم انسل اللعين ما بان ولم يشعر به انسان (يا ساده) وقد
صاح الملك صيحة مرعبة فهرعت اليه الخدام واتوه من كل جانب ومكان وكان
اللعين سار الى صيوان بيبرس فلم يعرفه بل عبر على صيوان ايبك التركمانى وضربه
على سبيل الاستعجال فجرحه جرحا خفيفا فصاح ايبك والتهت الرجال وتقسموا
اقسام فجماعة ساروا يدورون على الغريم وجماعة ساروا عند الملك وجماعة عند
ايبك التركمانى ووقع الرعب فى قلوب الاسلام فتركوا النوم ولم تغمض اعينهم حتى
جاء النهار هذا وقد تألم السلطان فقال يا وزير الزمان ارسلني الى مصر فى تختروان
فقال ايبك وانا الآخر اسير الى الاوطان فجعلوهم فى تختروانين وارسلوهم مع
الخدام واقام بيبرس على ذلك الركبة وابتدر النهار الي الميدان فلما رآه اللعين جوان
قال ها هو يا سيف الروم بالصحة والسلامه ولكن هات يدك ما لنا بذلك من
حاجة اضربه لا تخلى نصاره ولا اسلام ثم انسل هو ورفيقه ما باتوا كانهم ما كانوا
فلما نظرت الكفار الي جوان وقد هرب والملوك وقد ذاقوا العطب ولوا الادبار
وركنوا الي الفرار وتركوا ما معهم من الامتعة والاشغال فجمعها الامير بيبرس
ودخلوا الي حلب في موكب عظيم واقاموا للراحة ثلاثة ايام وامروا بالرحيل الى
مصر فساروا حتى اتوا الى العادلية فليلة عبورهم اليها دخلت عليهم الاخبار بان
الملك قد انتقل بالوفاة وسار الى رحمة مولاه فتعجبوا من ذلك غاية العجب ولم
يعرفوا من اين ياتى السبب

(قال الراوى) وكان السبب في موت السلطان ان ايبك لما دخل مصر وجرى عليه حكيم السلطنة فقال له ايبك كيف حال بعض شاه فقال له جف جرحه وعن قريب يعافيه الله تعالى من مرضه فقال له خذ هذه الخردقة السم الخارق وضعها له فى المراهم ولك الفين شريفى ذهب فقال له الحكيم معاذ الله ان آخذ ذنب مؤمن فى عنقى واقابل به الله تعالى فقال له ايبك ماشاء الله يا حكيم الزمان حقيقة انك رجل من اهل الايمان والله لو رضيت بذلك الحال لاورثتك النكال وجعلتك شهرة بين الرجال الكبار منهم والاطفال وانما انا كنت اختبرك فى الاحوال لانى اخاف على نفسي من الاعداء اهل الضلال ان يغروا امثالك على فعال لم تخطر على البال فرأيتك ناصحا فى الاقوال ولكن بقيت تستاهل الاموال فخذهم مني هبة اليك هبة كريم لا يرد فى عطاه فاخذهم الحكيم وانصرف من حداه ونهض ايبك وقد أخرج فص الخاتم الذي معاه وجعل ذلك الخردقة مكان الفص وصار يزور الملك ويعوده فلما دخل سلم عليه فرآة قد تقدمت له الشربه فعزم على ايبك فتقدموا كل هو واياه حتى خامره وهوى الخاتم فسقطت الخودقة فى قلب الشربه فعند ذلك قال ايبك الحمد لله فقال الملك وعزة الله انا اعلم بما قد دبرت وما قد قلت ولكن كل انسان جزاءه على الله وقد جرى القلم من القدم على الامم بما حكم لاراد لقضاء الله قم انزل الى حال سبيلك فوعزة ربى ان دورت فى الكون فلم ارى لي موتة غير هذه فنزل من عند الملك وانصرف الى حال سبيله ثم ان الملك شرب من الشربه ونطق بالشهادتين فمات فى ساعته وبلغت الاخبار الى الدولة فحضروا ووقفوا ذلك الى مجىء بيبرس والوزير كما ذكرنا فهذا كان الاصل والسبب والاعتماد على من تكلم فى الاصل بهذا الكلام عند الله

(قال الراى) ثم ان الوزير لما اصبح الله الصباح دخل من غير زينة ولا مهرجان وجلس فى الديوان وسال عن سبب وفاة السلطان فقالوا انه مات بالسم الخارق فقال الوزير ومن فعل ذلك الفعال قالوا الاغوات انا لم نجد عندنا انسان الا ان الوزير ايبك اتاه وسلم عليه فقال هل اعطاه شيئا قالوا لا وانما نزلت اليه الشربه فاستلمها الحكيم

وسرب منها وقدمها للسلطان فاكل منها واكل معه ايبك وانصرف الى حال سبيله فهذا ما كان هذا وقد قام ايبك على الاقدام وقال ياوزير الزمان انا قدا كلت معه ويدي بيده فقال الوزير هذا شيء لا يعلمه الا الله واما بالشرع فلا بد من الاثبات والبينة وحيث اكل فلا يعلم الغيب الا الله تعالى

(قال الراوي) وقد عرف الوزير باطن القصة لكن علم انه ان أظهر الحال يترتب على ذلك اتلاف الحال فترك هذا السؤال وشرع في تجهيز السلطان ونزلت المناداة على الرعية بالسعي الي مشهد الملك خليل لاشرف فبكوا الرجال والنسا والاطفال وصلوا عليه ودفنوه فى المقام المشهور فهذا ما كان منه جل من لا يموت وجلسوا له في العزا أربعين يوما وعملوا له ما يصلح الحال ثم بعد ذلك قال الوزير من يلبس علينا سلطان قال أيبك اشتاه انا اشتاه بشتك قال الوزير يا ايبك لا تطيل الكلام فنحن لا نرضى بذلك الشان وانت يا بيبرس ماتقول فقال انا اكون اول من اطاع وآخر من عصي فقال هل موجود من الاكراد احد فقالوا له موجود ابن المتوفى وهو يقال له الصالح الصغير فقال الوزير واين مكانه فقالوا له هو عند جده ابو امه فى قلعة الكبش فركب الوزير وساروا اليه وسلموا عليه وقالوا له الكرسي طلبك الى السلطنة فقال لهم ما انا سلطان انا أقرأ القرآن فى مقبرة الامام ولكن ان كنتم تسلطنوني لم افوت الجراية ابداً فقالوا له سمعا وطاعة ثم أخذوه والبسوه وانعقد الموكب وساروا الي مقام الصالح فزار وقد اخذته سنة من النوم فرآه وهو يقول له قتيل على بركة الله فأفاق وهو يبكي حتي وصل الى التخت وقد عصبوا عينيه وادخلوه قاعة السلام على نيته فوجدها باسم صغير فتكني بذلك ثم بايعوه وعلى تخت السلطنة اجلسوه ولما استقر به الجلوس قال له الوزير هل بلغت الحلم يا ملك الزمان قال لا ياوزير الزمان فسأل من علماء الاسلام فقالوا له ياوزير الزمان يقيم له وكيل يتولى الاحكام حتي يبلغ الاحتلام فقال وكيلي اخوي الدولاتلي الامير ببيرس فجلس بيبرس بالنيابة وجعل مقامه ونيامه عند زوجة جده السيده فاطمه شجرة الدر

واقام بيبرس على هذا الحال مدة يسيرة من الايام قليلة من الليالي صاح على زوجة جده وقال لها ياستاه هات العصا واضربيني علقة فقالت له ولاي شيء ياولدى فقال لها لانى بلت على روحي فقالت له اريني وتأملت فعرفت انه بلغ مبالغ الرجال قالت له انت يلغت قال بلغت يعني ايش قالت له ادركت قال لا اعلم شيئا من ذلك قالت له بقيت محتاج الى الزواج لاجل ان تخلف الذرية فقال لها مثل الفراخ قالت له نعم قال لها ان الفراخ لهم معمل مثلهم قالت نعم يا ولدي فقال لها هاتى لى معمل فجعلت عليه جارية من عندها بها قدر وقيمة وامرتها بالدخول عليه وملاعبته فلما دخلت عليه الجارية قال لها سلامات يا معمل فقبلت يده وجلست الى جانبه فقال لها تأخرى عني يا معمل وخليني اصلى فلم تفعل الجارية بل تقدمت اليه زياده عن الاول فتاخر عنها فتقدمت اليه وضمته الي صدرها فصاح ادركيني يا زوجة جدى المعمل ضايقنى هذا وقد مدت يدها الي بدنه ودعكته فرأي لذلك لذة عظيمة ثم جردت دكة لباسها ولباسه فأخذته بين ارجلها وكان قد اشتدت اعضاؤه وانتصب قضيبه فحرر المدفع على البرج فلما رأى ذلك سكت ولم يتكلم ثم جعلت تلعب تحته وقد انبسط من ذلك حتى انها مكنته من نفسها وسار معها وقد جامعها فى ليلته اكثر من عشر مرات وكلما دنا منها قال هذا المعمل حلو (يا ساده) وصار كل يوم ينزل الى الديوان ويقيم قدر نصف ساعة وينفض المنديل ويقول انا طالع للمعمل بتاعي فيتعجب الوزير من ذلك ولم يعرف ما معني هذا الكلام فيوم من الايام سألوه الاكراد عن المعمل فأعاد عليهم القصة واعلمهم بان الست فاطمة شجرة الدر زوجته بجارية من عندها فلما سمعوا ذلك الكلام قالوا هذا لا يكون ابدا الان الملك من الاكراد والجارية من الاتراك فربما جاءه منها خلف تنتقل السلطنة من الاكراد الى الاتراك فقال الامير علوي الكردي انا ازوجه بابنتي وانتم ترسلوا الي الست فاطمة تمنع عنه هذه الجارية ثم عقدوا له العقد وزوجوه بنت الامير علوى الكردي وكان يقال لها حسنة فدخل عليها من ليلته واقام عندها وهجر الجارية وقد تعلق قلبها بحبه فجعلت تبكى وتنوح فهذا ما كان واما ابيك فانه اخذ

جماعته ودخل على الملك فى خلوته فقال له ما تريدا نت وهؤلاء ولكن وعزة ربى
ان احدا منكم جاب سيرة اخي بيبرس على لسانه لاخبره به وآمره ان يقطع اذنيه
فقالوا نحن مالنا به من حاجة ولكن انه بني لابوك مقام وجدك وجد جدك ولاي
شيء انت ما تبنيش لك مقام فقال صدقتم وأخليه غداً يفعل ذلك وأمرهم
فانصرفوا من غير فائدة قال ولما جاء النهار وتكامل الديوان وحضر بيبرس قال له
الملك ليلة امس حضر عندي فلان وفلان وقالوا لى كذا من الكلام وانا
احب انك تبني لى انا الاخر مقام ولكن ياقاضى الاسلام اكتب له حجة
شرعية متممة لا يكون ملك وسلطان بعدى الا اخي الامير الدولتلى بيبرس
فانكتبت الحجة في عاجل الحال وقد قال الوزير بقوا اربع حجج ثم نزل الامير
بيبرس واحضر المهندسين وقال هل تعرفوا لنا مكانا يليق بالملك نعدله فيه مقام فقالوا
نعرف مكان فى قصبة رضوان وهو الآن خرب يقال انه وقف احمد بن اباديس
السبكى هذا وقد ساروا اليه وسارت فيه الاشغال ولما تهيأ الفراغ من ذلك المكان
والجامع عاد بيبرس واعلم السلطان فحمد الله الملك الحنان المنان وفى بعض الايام
قيل عليه كتاب من حلب بسبب ركبه من الكفار قال الملك ياوزير الزمان
ماذا نصنع فى ذلك الشان فقال الوزير ارسل ايبك وجماعته فقال الملك يا ايبك قم
انت ورفقاك واكسروا لنا الركبه وهاتوا السلب والاغنام فنزل ايبك وهو ينفخ
وجماعته بين يديه والعالم يتضاحكون عليهم وبرزوا الى الخلوات وقد اتسع البر
عليهم بالكلية فبينما هم سائرين واذا بالغبار قد ثار وبعد ساعة انكشف وبان عن
اثنين فداويه ادرعيه وكانوا هؤلاء الاثنين الكنف واخوه ناهض فهجموا وقالوا
اين بيبرس فقال ايبك مالنا به من علم وانما هو عدو لنا قالوا لهم وها نحن اعاديه وانتم
الى اين سائرين قالوا الى حلب نكسر الركبه قالوا الاثنين وحيث انتم اعداوه فنحن
نروح معكم ونكسر الركبة ويكون النصر لكم ليس لغيركم ففرح وسار برفقته
والاثنين ساروا في الجبال وقالوا لهم الالتقا بيننا وبينكم هناك وبعد ان
فارقوهم قال ايبك ياهل ترى ان هؤلاء اعداء لبيبرس قال وكان

السبب في ذلك انهم لما وصلت اليهم الاخبار ان اولاد اسماعيل تعارفوا مع بيبرس وقد اتى برجل وسلطنه عليهم وصاروا أصحاب بعضهم فقالوا لا بد ان نسير لهذا القرنان ونقتله حتى لا يكون لاولاد اسماعيل فخر عليهم وكانوا اعداء لبعضهم فساروا قاصدين بيبرس حتى التقوا بأيبك وجري من القصة ماجرى وعادوا طالبين حلب وايبك سائر واذا بأولاد اسماعيل مقبلين اليه فسلم ايبك عليهم فسألوه عن بيبرس فأخبرهم بانه في أشغال الملك يشتغل في البنيان فاغتاظت المقادم من قولهم ثم سألوهم عن مسيرهم قالوا نحن سائرين الي حلب ثم اخبروهم بالركبه قالوا نحن اتينا نريد زيارة بيبرس ومارأيناه معكم ولكن امضوا الي حال سبيلكم فتركوهم وارادوا الرجوع واذا بدرويش عجمي مقبل عليهم وجعل يتكلم بالفاظ الدراويش فظنوا انه يريد الاحسان فارادوا ان يعطوه شيئا من الطعام واذا به كشف اللثام فتأملوه واذا به سلطان القلاع فلما عرفوه صاحوا الله ملا قلبك ان سيادتك الملكيه طاعتك الخوندان اليك والاسم الاعظم ثم اعادوا عليه الحديث قال لهم يارجال انا كنت حاضر ذلك وناظر ولكن من الرأى انكم تركبوا وتسيروا الى حلب وتكسروا الركبه بالكبسه وعند الكبسه تقولوا الله اكبر اضرب ياشيخ على ولا بد انى اقابلكم هناك لانى علمت ان الامراقد اتفقوا مع الكنف وناهض بانهم يكسروا الركبه وانا مرادي اقبض علهيم واعمل مثل ما اعرف فيهم فأجابوه بالسمع الطاعة وعادوا حيث امرهم من تلك الساعة وعاد شيحه الى حال سبيله فهذا ما كان من امر هؤلاء واما ايبك فانه سار حتى اقبل الي حلب وقد امر بنصب السرادقات واقام للراحة واشتد ظهره بالكنف وناهض (ياساده) ولما جن الليل لم سمع ايبك الا والكفار قد انكبست والقايل يقول الله اكبر اضرب ياشيخ على فظن ايبك ان الكنف وناهض اقبلوا لنصرته قال لمن معه خلينا نرتاح على قفا هؤلاء واذا طلع النهار نأخذ سلب الكفار وتثبت لنا النصرة قالوا هذا هو الصواب واقاموا على ذلك الرواح حتى اصبح الله الصباح فتأمل ايبك ورفقاه واذا بالكفار مطروحين على الرمال ولم يجدوا احدا من

الرجال ولا وجدوا من السلب ولا عقال قالوا ولا بد ان الكنف وناهض اخذوه وراحوا الي حال سبيلهم فيا ليتنا كنا معهم حتى نحتوي عليه وهذا من الطمع ولكن نحن اذا رجعنا الي مصر نقدم خيامنا وامتعتنا الى السلطان و نقول هذا سلب الكفار فينعم علينا الملك بها والسلام واذا كان ذلك ينكاد بيبرس ثم جهزوا امرهم وساروا ولم يدخلوا حلب وذلك من فرحهم حتى اتوا الي مصر واتوا الي الديوان وسلموا وخدموا واخبروا بكسر الركبه وقالوا هذا متاع الكفار فبينما هم كذلك واذا بجلة مدافع تضرب فى العادليه قال الملك ما الخبر قالوا ان بيبرس كسر الركبة واتى بالسلب والنهب قال الملك اى ركبه كسرها بيبرص قالوا التى كانت على حلب قال الملك ما كسرها ايبك و بيبرس لم احد ارسله اليها ولا ارسل اليه الموكب الملكي حتي نحقق القصة فنزل الموكب وركب بيبرس و رؤوس الكفار على الرماح والاسلاب والامتعة فتعجبت العالم من ذلك ودعوا له ونسار حتي وصل الى الديوان قال الملك يا بيبرص انت كسرت الركبة ام ايبك قال انا يا بعض شاه وهذه حجة باشت حلب والعلماء والامرا ثم اخرج الحجة الي السلطان ففضها وقرأها واذا فيها خطاب من باشت حلب الى بين ايادي امير المؤمنين اعلم ان بيبرص هو الذى كسر الركبه وقتل الكفار واهلك الكبار منهم والصغار واخذ الخيرات والاسلاب واما ايبك فلم احدا رآه ولا رفقيه فتعجب الملك من ذلك غاية العجب وتعجب ايبك ايضا فقال له بيبرس لا تعجب انا اعطيك الاماره اما سمعتنى انا اقول اضرب يا شيخ على فزاد تعجب ايبك وسكت ولم يبدى كلام قال مرادى ان اثبت القصة قال وكان السبب في ذلك ان جمال الدين لما اجتمع بالمقادم وامرهم بالعوده الي حلب فساروا وسار شيحه فلما اتوا قصد شيحة الى الكنف وناهض وكانوا ايضا قاصدين حلب رأوا رجلا فقير الحال فظنوا انه من الناس الذين يريدون الاحسان فقالوا له يا شيخ ادعوا لنا بالنصر على الاعداء واذا حصل لنا النصر نعطيك عشرة دنانير من سلب الكفار قال لهم خذوا هذا الحجاب معكم فاذا رأوكم الكفار ينهزمون من بين ايديكم وسار هو الى حال سبيله فقال له

ناهض اعطيني يا ابويا هذا الحجاب قال نقسمه بيننا ثم فتحوا ذلك الحجاب فخرجت منه روائح زكيه فلما شموها سقطوا سريعا الى الارض فاحتملهم وسار بهم من ساعتهم الى مغار هنالك فى صحن الجبل وشبحهم شبحة منكره واعطاهم ضد البنج عطسهم وصاحوا اواى احنا فين قال لهم انتم عندي يا كلاب فقالوا له من انت قال انا سلطان الرجال المقدم جمال الدين شيحه فقالوا له ماتريد منا قال لهم نريد انكم تسلموا وتخدموا اسم الله الاعظم وتطيعونى فقالوا له نحن فى عرضك اطلقنا فما نحن من اولاد اسماعيل نحن درعيه لم نطيع ولا نسلم ولا نتعرض لك فى شيء ابدا فقال لا بد ان اريكم البرهان ثم انه جرد السوط ومال عليهم حتى كادوا ان يعدموا الحياة ثم بعد ذلك اقسم بالاسم الاعظم ان عادوا الى الركبة لا بد من سلخهم ثم فك نفسك بنفسك وحل ابوك من بعدك وسيروا الى قلعتكم وغطس من عندهم ما بان كانه ما كان هذا وقد فكروا ارواحهم وركبوا خيولهم وساروا الى قلاعهم وهم لا يصدقون بنجاة نفوسهم فهذا ما كان من امرهم واما ما كان من امر جمال الدين فانه عاد الى حلب وانتظر اولاد اسماعيل فلما اقبلوا قال لهم انزلوا الى ها هنا واصبروا حتى ادخل الى العرضى وغاب عنهم ساعة وعاد وقال لهم اركبوا فهذه ساعة النصرة وقد ذبحت الملوك وعطلت المدافع وقتلت الغفرا وكبسوا القوم وقالوا اضرب يا شيخ على فقعلوا ذلك هذا وقد سمع ايبك ذلك فظن هؤلاء الكنف وناهض فصبروا حتى ان الكفار ولوا الادبار وركنوا الى الفرار وطلع النهار ولم يجد احد من الكفار وكانوا الرجال اخذوا السلب والغنيمة وسلموها الى جمال الدين شيحه فحصاها وارسلها الى بيبرص وكتب له كتابا بجميع ماجري من اول الامر الي آخره وارسل الجميع الى بيبرص مع اربعة من اولاد اسماعيل وقال لهم اوصلواه وسلموه ذلك برا العادليه فأجابوه بالسمع والطاعة وساروا الى امر شيحه من تلك الساعة ثم انه سار الى باشت حلب واخذ خطه واختام العلماء بان بيبرص هو الذى كسر الركبه وايبك لم يفعل شيء ابدا وسير به بعض الرجال ونهبوا البر من اماكن يعرفونها وسط الجبال

حتي اتوا الى العادليه ووصلوا بيبرص فلما حضر سلموا عليه واعطوه الكتاب فوجدوه بما تقدم ذكره فعلم المعنى وكان فطنا فصيحا فاخفي امره وارسل جاسوسا يكشف له خبر ايبك ولم يزل حتي اقبل ايبك وجماعته وطلعوا الي وزير الديوان وضرب المدفع وشاع الخبر ان بيبرص هوا الذى كسر الركب وقتل الكفار فتحيروا في ذلك وارسل الملك احضر الركبة وحضر بيبرص الي الديوان برؤوس القتلا واعرض الاموال والاعلام على الملك فظهر ايبك كذاب فى دعواه فسكت ايبك على مضض ثم ان الامير اعطا ايبك الامارة واعرض خطوط العلما على السلطان ثم قال الملك هذه الركبة قد نسبت الى بيبرص لانه اتى بشواهد كثيره فجزاه الله عنا خيرا وانه اتى بسلب الكفار واتى برؤس القتلا ومعه كتاب من نائب الشام والرابع شهادة اهل حلب والعلما والامراء وان ايبك ما اتى بشيء من ذلك ابدا ولم يظهر عليه الفرار ومتى صار ايبك الي ركبه وانتصر حتي تنسب له هذه الركبه ولكن اعطوا بيبرص سلب الركبة ونهبها ولم تعطوا ايبك منها ولا عقال لاهو ولا ممن كان معه من الرجال فاخذ بيبرص الاموال جميعها حتى الخيام التي ادعى ايبك انه اتى بها فقال ايبك الفاتحة وقد كادت مرارته ان تنفطر ونزل من لديون وهو على غاية من الاحزان ثم عبر بيته واتى بمنديل ممزوجا بالسم الخارق واحضر امرأة عجوز كانت تتردد عليه وناولها شريفين ذهب وقال لها سيرى من هاهنا الي السرايه وادخلي على الجارية التى كانت مع الصالح الصغير واسمها قوت القلوب فاعطيها هذا المنديل لانه ممزوج بماء المحبة واذكرى لها ان الملك ياتي اليها هذه الليلة فاذا اتى اليها ونام معها فتنشفه بذلك المنديل فانه لا يفارقها ابدا ولا يريد سواها فقالت العجوزة سمعا وطاعة واخذت المنديل وسارت الى الجارية قوت القلوب ودخلت عليها فوجدتها باكية العين حزينة القلب فقالت لها لا تحملى هم شيء ابدا خذي هذا المنديل وشيليه عندك فان الملك يحضر اليك تلك الليله فاذا اتى اليك فامسحى له به فان محبتك تنزل فى قلبه ولا يفارقك ابدا فاخذت المنديل وفرحت به واعطتها من حطام الدنيا وانصرفت

العجوز الى حال سبيلها وذهبت الي ابيك وقد علمته بذلك ففرح فهذا ما كان من امر هؤلاء (قال الراوى) واما ما كان من الصالح الصغير فانه طلع آخر النهار الى السرايه ودخل على زوجته الكرديه فوجدها قائمة تصلى فصبر حتى سلمت وقال لها تعالي الي عندي فقالت حتى اكمل صلاتى فصبر ساعة وطلبها فقالت له انا اصلى بطول ليلتي فان كان ولا بد فامضي الي قوت القلوب واستوفى ما عليك من المكتوب الذى امر به علام الغيوب قال لها صدقت يا بنت العم ثم نهض على الاقدام وسار الى زوجته المهجورة فلما رأته قامت له على الاقدام وظنت المنديل قدحوى سرا من الاسرار ثم قبلت يده واخذته مسلء الاحضان وفرحت به غاية الفرح ثم اغلقوا عليهم الباب واخذوا مع بعضهما فى الفراش ثم انه قضي وطرا منها فقامت بعد ذلك واتت بالمنديل وارادت ان تمسح له به فحدثتها نفسها بان المنديل يكون فيه ضرر فلا كان ذلك ابدا ثم تركت المنديل واتت بشيء غيره فقال لها سمينا بالاحرار كاتمين الاسرار هاتى المنديل الذي اتت به العجوزه فقالت سمعا وطاعة ثم اقبلت اليه بالمنديل ومسحت له به فسقطت آلة السلطان فى وقتها وساعتها ونطق بالشهادتين وفارق الدنيا فلما رأت ذلك ارتعدت وخافت عاقبة الامر وقالت لا حياة لى بعده ابدا ثم مسحت لروحها فسقطت الاخرى ميتة فى وقتها فلما ان اصبح الله بالصباح اتت الرجال وتكامل الديوان وانتظر واقدوم السلطان فلم حضر مثل عادته ارسلوا جوهر الصنهاجي فسار الى الست فاطمة الكردية وسالها عن الملك فاعادت عليه القصة من اولها الى آخرها واعلمه بانه سار الى قوت القلوب ونهضت الست سائرة اليها فرأت الباب مغلوق ففتحته ودخلت واذا بهار تهما كل شيء خلق يذوق الممات فارسلت اعلمت الامير والوزير بان الملك والجاريه مسمومين بمنديل فقالوا ولمن هذا المنديل قالت لا اعلم فسألوا من الامرا فلم احد اعلم بذلك منهم بل قالوا الا نعلم فقال الوزير حسبنا الله ونعم الوكيل ثم اخذوا فى تجهيزهما ونزلت المناداه فى جميع الاماكن بذلك وتكلمت الناس على قدر عقولهم ثم صلوا عليه ودفنوه فى مقامه المشهور الان

فهذا ما كان من امر هؤلاء ثم اقاموا العزا اربعين يوما في ختمات وقراءات ولما تهيأ الفراغ من ذلك قال الوزير من ذا الذى يكون علينا سلطان قال ايبك انا اوليتك قال الوزير لا كان ذلك ابدا فوقع بينهما مشاجرة ومنازعة فعلمت الست شجرة الدر بذلك فأرسلت اليهم انا اصل السلطنة ومعى خجج السلطنه وانا البس عليكم واتولى امركم واقيم لى وكيل يحكم على التخت فقالوا الاكراد رضينا بذلك ورضوا ايضا الاتراك وشاعت الاخبار بان بيبرس لم رضي يعمل سلطان وتسلطنت الملكة شجرة الدر وضربت السكه باسمها والخطبة كذلك ولم تزل الاخبار تتصل من مكان الي مكان حتى وصلت الى الحجاز وكان الدليل لها الامير بيبرس فلما سمع شريف مكه بذلك ارسل يلوم الرجال وان ذلك الامر بخلاف العاده وان النساء لم سبقت لهم سلطنة ابدا على الرجال فى دولة الاسلام وان هذا تقليد الكفار اللئام فالاولى لكم ان تعولوا عليكم من تريدو من الرجال والا فنحن احق منكم بهذا فلما وصلت الاخبار قال الوزير يا بيبرس انت وكيل والوكيل كالاصيل قال ياوزير الزمان انما انا خادم من الخدام هذا وقد سمعت الست فاطمه بتلك الاخبار فنزلت خلف الستار وقالت ياوزير الزمان انا صاحبة الارض والبلاد وانا الحاكمة عليها دون كل العباد وولدى هو احق بذلك الايراد ولكن منع نفسه فاكتبوا له حجة شرعية متممة لا يكون ملكا وسلطانا على ارضي من بعدى الا ولدى بيبرس فانكتبت الحجة واخذها بيبرس واعطاها للوزير ثم قال لهم الآن ولوا عليكم من تريدوه من الناس فوقعت المشاجره بينهم فقالت العلماء اقترعوا ثم كتبت الاوراق بالمقارعة وكل انسان كتب اسمه فى ورقة واخذ الوزير الاوراق واستلمها وجعلها فى بعضها ومد الوزير يده ليخرج ورقة فأخرجها وتأملها واذا مكتوبة باسم ايبك قبل ايبك ظهر اسمى قال الوزير لا بد من الاعاده فاعاد الامر ثانيا واذا به طلع باسم ايبك وكذلك الثالثة قالوا العلماء الآن صارت السلطنة حقا قال بيبرس حتى انظر انا القرعة ثم اعاد العمل فظهر الاسم اول وثانى قال الامير بيبرس الان كان ما كان اجلسوه علينا ملكا وسلطان غير انك لم تفعل شيئا الا اذا كان بامرنا قال سمعا وطاعة ثم البسوه عليهم

سلطان وبايعوه على السلطنة ولبسوه العصابه وادخلوه الي قاعة السلام فاقبض على قبضة سلاح فكشفوا عليها فرأوها للمعز فكنوه بذلك فنزل فى موكب عظيم فدعت الرعية على سبيل السخريه وصاروا يتكلمون بما يكره من الكلام فمنهم من يقول ان شاء الله ربنا يرضيها على يدك وآخر يقول رخص لنا العيش وهو مع ذلك يظهر الجلد ويخفي الكمد وينثر عليهم الفضة والذهب وسار الي مقام الصالح وزار قبره فبشره بانه قتيل فافاق وهو يضحك ولا يصدق بذلك الكلام بل قال هذا ولايته مخلبطه ولم يزل حتى جلس على التخت والوزير الى جانبه قرأ القارىء وختم ورقى الراقى وختم ودعى الدعى وختم صاح شاويش الديوان يقول

الملك لله الذى انشا الورى * وتكفل بالارزاق جمعا باثرها
فمامن شيء الا ويعطيه سواله * ومامن يد الا ويد الله فوقها

(قال الراوى) قال المعز ايبك آمنا سبحان من له كل ملك كمملوك وكل غنى كصعلوك وآخر النهار نفض المنديل تحولت الرجال نزلت ايبك فى موكب عظيم الى بيته فضرب التركمانى وهو يحسن الي الفقرا والمساكين وكان لهم الجراية عليه وذلك من عدم الهيئه هذا واولاد البلد يتضاحكون عليه ولم يزل ذلك مدة سبعة ايام وقد ضاق صدره من العالم ومن كلام اولاد البلد معه فيوم من الايام جلس فى الديوان الى آخر النهار ونفض المنديل تحولت الرجال والاشراف ولم يبق فى الديوان الا الاربعة اصحابه بشتك وسنقر وقلاوون وعلاى الدين قال لهم يا اخوانى قد ضاق صدرى من بيبرس ومن نزوله كل يوم والعالم يضحكون على وقد نهب مالى فدبروا لى عليه حيله يكون فيها هلاك بيبرس قالوا الله اعلم ان المال معادل للروح فاذا طلع غدا اليك قل له يا ولدي يخلصك من ربنا ان نزل كل ليلة يشوهونى الناس فى الاسواق زى فلاح يقول لك وماذا يكون العمل قل له يا ولدى اعمل معروف وابنى لى سكه الي بيتى توصلني من القلعه الى هناك ومن هناك الي القلعه تحت الارض حتى لا يرانى احد ولم انزل من السكه الفوقانية الا يوم الخميس مع ليلة الجمعه فاذا سمع ذلك الكلام يقول لك سمعا وطاعه ويعمل السكه وينفق فيها ماله واذا طلب منك المال قل له انت ياما

اخذت مني وانت ابني فاذا سمع منك ذلك يصعب عليه المال يطق يموت الفاتحة الى روح بيبرس والله كان ابن ناس قال لهم هذا تدبير جامد مليح بس اذا صح قالوا له يصح بل شربات فشربوا الشربات وانصرفوا فهذا ما كان من هؤلاء واما ما كان من امر ايبك فانه بات واصبح جلس على التخت تكامل الديوان قال ايبك يا بيبرس قال نعم قال انا ملك والا فلا قال له انت ملك وسلطان قال الملك تشوفه الرعيه كل ساعه انا امرتك ان تبني لى سكة من القلعه الى البيت قال له سمعا وطاعة ولكن يا علماء الاسلام انا مطيع امر الملك على شرطين وسوف اذكرهم لكم اما ان الملك مكلف بتلك السكه من جميع لوازمها وانا ابني له جميع ما طلبه والا اذا كنت اعملها له من مالى يكتب لي حجه بالسلطنه مثل الملوك المتقدمه قالت العلما هذا هو الصواب ماذا تقول يا ايبك قال لهم يكتب له حجه متممه لا ملك وسلطان بعد حياة عيني الا بيبرس انكتبت الحجه وختمها واخذها الوزبرمعه ونزل بيبرس وشرع فى بناء هذه السكه التي من تحت الارض الى مكانه فهي موجوده الآن (قال الراوى) فهذا ما كان من امر هؤلاء واما ما كان من ايبك فانه بعد انصراف الديوان اجتمع برفاقه فجعلوا يلوموه ويقولوا له انت عقلك راح فين امرك انك تكتب حجه لبيبرس بالسلطنه قال لهم يعني انا مت انا عمري طويل واولادي موجودين وانا لا بد لى ان اقتل بيبرس قبل موتى وتبطل الحجه وغيرها من الحجج الذي معه قالوا له ولا بد لنا من تدبير يكون فيه هلاك سريع قال لهم دبروا تدبير يكون جامد قالوا له اذا هو خلص البنايه فأتي واعلمك بذلك فقل يا ابني اريد ان اتمنى عليك فيقول لك العفو يا ملك الاسلام قل له لا بد من ذلك فيقول تمنى تعطى فقل له جئتك خاطبا فى امك الست فاطمه شجرة الدر لا تردنى خائبا فيطلع يقول لها ذلك فتتحمق عليه وتشتمه فيتحمق الاخر ويحط يده على السيف و يضربها يقتلها فاذا قتلناه فيها وان هى انحمقت عليه وضربته بسيفها كان هذا هو المقصود فهو على كل حال ميت والسلام وربما ان نقتلها فيه بالشرع وتبقى انت تاخذ مال الاثنين وان ابقيت عليها انت بعد ذلك تكون لم بقى لها ظهر ابدا لان بيبرس ظهرها فتواسيك بالمال وان اطاعت فى امر الزواج وانكتب

كتابها عليك فهى امرأة كبيرة فاذا ماتت تاخذ انت مالها والسلام قال هـذا تدبير جامد بس ان صح قالوا جامد بل الشربات فشربوا الشربات وانصرفوا فلما كان الغد جلس المعز ايبك وطلع بيبرس واعلمه ان السكة قد انتهت قال ايبك جزاك الله خيرا ثم صبر ايبك حتى راق الديوان ثم قال ايبك ابنى يا بيبرس قال نعم قال سر ادى اتمنى عليك تمنه قال له العفو ياملك لاسلام قال له لابد من ذلك قال له تمنى تعطي قال له مافى الحلال من العيب لانى جئتك خاطبا راغبا قابصا ماهرا فى امك الست فاطمة شجرة الدر لاتردنى خائبا وانا سايق عليك العلماء والامراء والوزير الاغاشاهين فلما سمع الامير ذلك الكلام ضاق صدره وامتزج بالغضب فقال له الوزير ياولدى اعلم انك رسول وما على الرسول الا البلاغ اطلع اخبر الست بذلك فان رضيت فلا باس وان لم ترضي فتكون قد اديت الامانه فاجاب بيبرس بالسمع والطاعة وسار الى السرايه ووقف متحير لا يدرى ما يقول فلما راته الست فاطمه قالت له اهلا وسهلا ومرحبا بك ماتريد ياولدى قال لها اريد ان تكونى طيبه (قال الراوى) وكانت وصلت اليها الاخبار بذلك من الاغوات فهذرت وزجرت واخذها الغيظ وقالت كل من ذكر لى هذا الكلام قتلته فى الحال وعزمت على ذلك المقال فبينما هى كذلك واذا قد اخذتها سنة من النوم فرأت الصالح قدامها نصب عينيها وهو يقول لها ياحجه فاطمه ما فى الحلال من عيب انا اخبرتك قبل موتى اذا دعيتى الى الرواج فتزوجى عن اذنى دعوت الله اذا لم تطيعى بيبرس واذنه وخطبته ويكون سياقه مقبول ومتمني والاغضبت عليكى يوم القيامه فافاقت من نومها وصاحت يابيبرس قال نعم قالت له قل اعندك من الكلام ولا تخف فما عليك من باس فقد قبلنا سياقك وان هذه مكيدة ولكن ادركتنا الالطاف فاخبرنى بما جرى فاعاد عليها القصـة فقالت انزل الى الاغاشاهين وانه هو الذى يكون وكيل وتشرط عليه الشروط ان رضى بها فلا مانع وان لم يرضى فلا احد يغضبه على ذلك فنزل بيبرس وقد هدأ سره وارتاحت نفسه واعلم الوزير بذلك فقـال الوزير اطلع قول لامك تقف خلف الستار حتى نسمع كلامها وشروطها والعلما حاضرين فاخبرها بذلك فنزلت خلف الستار فقال الوزير

لايبك ياملك الزمان انا وكيل الست فهل انت رضيت بذلك قال ايبك رضيت قال لها ياستاه وانت ماتريدى قالت اول شرط ولدي بيبرس يطلع عندى فى اى وقت من الاوقات فلم احد يمنعه قال الوزير رضيت يامولانا السلطان قال ايبك رضيت قالت الست فاطمة كل ما كان عندى من مال ونوال وامتعة من كثير وقليل لولدي بيبرس واكتبوا له حجة شرعية بذلك قال الوزير رضيت ياملك الزمان قال ايبك رضيت قالت ثالث شرط انى لم انتقل من سرايتى قال ايبك رضيت قالت رابع شرط المهر يكون ستة خزن مال يقدم منهم اربعة واثنين مؤخر قال ايبك رضيت قالت خامس شرط اذا كان بيبرس يطلع عندى ادخله الحمام واخرج له افخر الملابس قال ايبك رضيت وكلما شرعت فيه لا يكون الا هو ثم قرأت الفواتح على مثل ذلك قال الوزير اين المهر قال ايبك غدا باكر النهار ثم انفك المجلس وانصرف كل انسان الى حال سبيله هذا وقد احضر ايبك الاربعه وقال لهم التدبير بتاعكم عاد وبال عليه انا وعليكم مالها كله لبيبرس حجة سلطانية كل شيء لبيبرس وانا مالي اخذه بيبرس وما معى اربع خزن مال اقبضها لشجرة الدر قالوا له خذ من بيت مال المؤمنين قال لهم كانت العلماء تفتى على حرق الظهر الاحمر فقالوا له وكيف يكون الراى قال لهم واحد منكم يعطيني خزنة مال والا آمر بشنقكم على ابواب بيوتكم قالوا لا تحمل هم ذلك ابدا ثم ارسلوا ليلا واحضروا له المال وقالوا له بعد الدخله تدور على موت الست و بيبرس بل الشربات شربوا وانصرفوا ولما جاء الصباح جلس ايبك على التخت وتكامل الديوان وامر باحضار المال فوزنت الاربع خزن وتسلمهم الوزير وطلعوا الى السرايه فقالت الملكة وهم هديه من عندي الى ولدى بيبرس فلما اخذ بيبرس المال كاد ايبك ان يموت فى الوقت والساعه هذا وقد عقدوا العقد على ايبك وشربوا الشربات واقيمت الافراح سبعة ايام واصلحت الملكة شأنها وشأن السرايه واقامت بين جواريها والمواشط والمماليك بين يديها وقالت لهم لم تدعوا ايبك يدخل السرايه الا بعد تمام اربعة ساعات من الليل فاجابوها بذلك وجلس ايبك فى قاعة الجلوس واقبلوا المماليك بالشموع الموقدة وأخذوه وساروا الى اول باب من ابواب السرايه واذا قد عارضته

الاغوات ووقفوا صفين ووضع له الكرسي فلما راي ذلك الكرسي جلس ووقفوا
قدامه الاغوات واتوا اليه بالشربات فانعم عليهم بالمال ولما اتى الى ثانى الابواب
فعلوا به مثل الاول وكانت الساعه قد بدت الخامسة فراي سبع دواوين من داخل
بعضهم الى بعض كل ديوان يضرب به الامثال ديوان للاغوات والآخر للمماليك
والآخر للجوار الحبشات والآخر للستات المواشط وغير ذلك والاماكن بالخز
والديباج والنجف والآلات ولما عبر على الست وجدها جالسه على سرير خشبه
صاج هندى مرصع بالفصوص والمعادن اشكال مختلفه وعليها بدلة كانها سرقت من
كنز فلما عبر سلم فردت عليه السلام وهي جالسة الى مكانها وكانت تناديه يا ايبك فلما
جلس الى جانبها تقدمت اليه الماكل والمشارب فاكل وشرب وقال لها قومي كلي معي
فذبت فلح عليها فصاحت عليه فاغتاظ منها واندرج فى فراشه ونام بعيدا عنها الى
الصباح فخشى ان ينزل الى الديوان ببدلته فخلع البدله ودخل الي الحمام ولبس بدلة
جديدة ونزل من السراية بالملابس الجديده وجلس على التخت وتكامل الديوان
واذا بالاغا جوهر الصالح يقول يا بيبرس اجب امك فنفخ ايبك وتغامزت الاربعه
فقال علاى الدين نى لك قرنين يا بو احمد انت تنزل بيبرس بطلع فبينماهم كذلك واذ
بيبرس نازل وعليه بدلة ايبك التى قلعها فلما رآى ايبك ذلك ضاق صدره وزادهم
فنفض المنديل تحولت الرجال الاربعه فلما راق الديوان قال لهم ماذا رأيتم قالوا له رأينا
ايش جاتك مصيبة انت خبث انت بقيت سلطان يا بو خربه وكبرت علينا احنا ماكنا
سوي مع بعضنا يا بو احمد بل الشربات فشربوا وقال لهم دبرولى تدبير فقالوا له اذا كان
غدا تقو دا تنا يا علماء ماقولكم فى ابني من صلبي واخرج عليه مايطلعش مكا
فيقولوا الك لم احد يمنعك من ذلك فقول ياوزير امنع بيبرس من الدخول الى امه ينكا
بيبرس يطق يموت والسلام قال لهم تدبير طيب بس اذا اصبح قالوا له جامد وانصرفوا الي
حال سبيلهم فلما جاء الصباح وتكامل الديوان سأل الملك العلما فى ذلك السؤال
قالوا لم أحد يمنعك من ذلك أبدا فقال المعزا يبك يا بيبرس انت ما بقيتش تطلع السراية

فعاد الاغا واعلم الست فقالت لا يضر شيء ابداً ولكن ارفعوا هذه القراشات والتعاليق والمساند وخلوا السراية خالية من الرخام ولم تقيدوا فيها الا قنديلين اثنين على رأس السلالم قنديل ومن داخل السراية قنديل ثم ان الست صاحت على جارية لها يقال لها الجارية غيلانه ام دجنه فلما صاحت عليها الست اتت اليها فقالت لها قفي على رأس السلالم فاذا عبر عليكي ابيك خذيه الى المكان الذي انتي فيه فاني قد اخلعته عليكي الليله وخليه يدخل بكي فقالت سمعا وطاعة ثم انها اخذت الدجنة وهي مسوقة لها رأس مثل رأس الصغير وحضرت نفسها ووقفت كما أمرتها فهذا ما كان منها وأما ما كان من ابيك فانه صبر الى آخر النهار وتحولت العسا كر والرجال وصلى العشاء وأراد الصعود الى السرايه وكانت العادة ان الاغوات تأتي اليه فلم يرى احداً تاه وفات الميعاد فلما ان راي ذلك قال في نفسه قم انت وحدك لعل يكون هناك مانع فقام وحده وعبر الى السرايه واذا بها ظلمة فتعجب وقال في نفسه اين الوقدات واين النجفات والغلمان والفراشات والماليك ولكن يمكن انها كانت مستميراهم من احد ورد تهم الي اصحابهم ثم سار من درجه الى درجه وهو متعجب فبينما هو كذلك واذا بدعامة سوداء انقضت عليه مثل العقاب واحتملته وهو على غفلة من امره فلما ان راي ذلك صاح بملء راسه ادركيني يا حجه فاطمه يا شجرة بتاع الدر خطفني عفريت ولم يزل يصيح حتى ادخلته الى قاعتها ورمته على ظهره واغلقت الباب عليها وعليه وخلعت ملابسها واذا عليها جسم مثل الفحم الاسود اذا نزل عليه الندا لمع وعيناها كانها المشاعل وارمت بنفسها عليه وقالت له دخليها فقال لها اناني عرضك ياعامر هذا المكان وصار يصيح ويستجير ويمتنع من مواقعة الجاريه وقد طلع عليه البلا الازرق هذا ولما ان يئست منه الجاريه جعلت تضربه بالدجنه حتى كان ان يغشى عليه وكانت الست فاطمه اذا غضبت على الملك الصالح تخوفه بها او تسلطها عليه وكل من كان في السرايه يخاف منها (ياساده) وابيك يستغيث فادركته الست فاطمه وهو على هذه الحاله فأخذته منها وشفعت فيه وكانت فعلت معه الجارية افعال منكره والملكه تسمع وترى فلما ان راته على تلك

الحاله اقبلت اليه و تشفعت فيه واخذته الي سرايتها واجلسته وهو لا يصدق بعدما جرى له بالحياة فلما ان هذا ووعه قالت له ما رايت فى تلك الليلة هل هى احسن ام تحريجك على بيبرس من الطلوع احسن فقال لها الحق على انا على الطلاق بالثلاث زى فلاح ما بقيت احرج عليه ولو طلع الغمرة فى النهار ثم انها بعد ذلك قدمت له المأكل والمشرب أكل وشرب ونام مكانه ولم يقع بينهما وصال حتى اصبح الله بالصباح ونزل ايبك الى ديوانه وانت الناس وتكاملت المجالس وحضر ايضا بيبرس قال ايبك يا ابنى يا بيبرس اطلع عند امك فى السرايه قال الامير يا ملك الاسلام انت حرجت على بعدم الطلوع وقد اقتصرنا فقال له ايبك انا حرجت عليك ليلة امس فقط واما بعد ذلك فانى اشهدكم على جميعاً نى لم امنعه من الطلوع عند امه لا ليلا ولا نهاراً فطلع بيبرس الى امه فاعلمته بما جرى فضحك الامير (يا ساده) واما ايبك فانه اقتصر فى قاعة الجلوس وارسل الى بيته احضر له فراش وخدام يخدمونه ولم يعبر الى السرايه من تلك الليلة ابداً ومن كثرة ما افاض عليه من الهموم ترك ام احمد ولم يطلع لها فهذا ما كان من امر هؤلاء واما ما كان من امر الاربعة فانهم اجتمعوا عليه فى قاعة جلوسه فاول ما رآهم صاح يقول بره جلاد بره نبوت بره كرباج قال علاي الدين جلاد يقصف رقبتك انت ظنيت انك ملك كبير يا برمكى احنا اكثر منك فعند ذلك قال لهم انتم هتكتونى وجرستونى قالوا له ندبر لك تدبير زي الرزالى بالبجوه تأكل ماشئت قال قولوا على تدبير جامد قالوا له انت تكتب كتاب وترسله الى الحاج كنف وناهض الذي كان قابلنا واحنا رايحين الغزو قبانه ياتى الى مصر ويعرف بيت بيبرس وينزل اليه ليلا يسرقه ويطلع به الخلوات ويعمل على قتله ولك على عشرة آلاف دينار واعطيك سلطنة القلاع والحصون الخط خطي والختم ختمي يشهد على والسلام ثم ارسل اليه الكتاب من ساعته فسار النجاب حتى وصل الى قلعة ناهض والكنف وكانت فى نابلس ودخل عليهم واعطاهم الكتاب فلما قراوه فرحوا وقال الكنف انا اسير اليه ثم ركب من ساعته وسار على حجرته حتى اقبل الى مصر وعرف بيت الامير ومحل ما يطلع وما ينزل اليه وصبر الى الليل فهذا ما كان منه واما ما كان من الامير فانه بعد ان صلى العشاء

اراد ان ينام واذا بعثمان قد دخل عليه وقال له خلينا الليلة ساهرين قال الامير ولاى شيء ذلك قال له احسن من النوم قال له انا مرادى ان انام قال له تخالفني قال نعم اخالفك قال له عثمان وانت الآخر جاتك داهية من عند الله ولكن تدركك فيها الالطاف ثم صاح عثمان هيه يا نفيسة العلم خلي بالك وتركه عثمان وسار الى مكانه هذا وقد نام الامير واقبل الكنف اليه وقد رآه نام على قفاه مشاهد مولاه فقرد على وجهه منديل مطبق بالبنج وهزه القى النوم على النوم ووضعه في جمدان واحتكمه وسار به الي بركة الحج وشبحه شبحة يقشعر البدن منها واعطاه ضد البنج افاق يقول اشهد ولا اجحد بدين النبي العربى محمدا نافين قال له الكنف انت عندى يا خناس قال له انت ايش قال له انا الكنف فى ناهض سلطني عليك المزايبك واوعدنى سلطنة القلاع والحصون فانه يضحك عليك واما من خصوص العشرة آلاف دينار فانت تعمل معروف وتطلقني وانا اعطيهم لك وتكون لك عندى اليد البيضاء فقال له لا كان ذلك ابداً فقول كلمتك قبل موتك فقال له تاخر عني اطلب الفرج من صاحب الفرج واحسن الشهادتين فتاخر عنه فرفع وجهه الي السماء وقال هذه الابيات

يامن له فى خلقه قدر * امنن على بلطف يا اله من كرم
واغثنى من اخص جمهم * انت المغيث وانت صاحب الحكم
قدجاروا على الاعادي بعظلمة * وانت العليم بكل منظلم
رمونى بعدوان بغير مظلمة * وانت الكريم وصاحب الكرم
ـهى توسلت بالمبعوث من مضر * اليك ياذا العز والجود والكرم
اقيلنى من اعدائي جميعهم * وفرج كروبي بجاه اكرم الشيم

(قال الراوى) فبينما هو يطلب من الله الفرج واذا بالغبار ثار وسد الاقطار وانكشف وبان للنظار عن رجل طويل الطوال عريض العراض كانه من بقايا قوم عاد درا كب على حجرة من ارض الخيول الجياد فلما ان اقبل ذلك الخيال ركب الكنف حجرته وتحضر لمضاربته فصاح عليه ذلك الخيال قيض يا خناس قال جيتك فقال الآخر انا تلقيتك ودنى منه فلم يمهله دون ان ضربه بالشاكريه القاه الى الارض وتحول

عن الحجره وأوثقه كتاف وقوى سواعده والاطراف ودنا من الامير فحل وثاقه وقال له خذ هذا الاكديش فشغله عندك فى الطاحون واكتب لى عليك عشرة آلاف دينار وعشرة اخر الذين كنت عملتهم له ولم رضي بذلك فقال له سمعا وطاعة فما اسمك حتى اكتبهم باسمك قال له انا ضايع الاسم فقال له ماعندي دواية فاعطاه دواية وقرطاس فكتب وختم ورجع الامير بيبرص وهو راكب جواد الكنف وهو معه مقيد حتى اقبل الي منزله واراد ان يعبر به واذا بعتمان قد اقبل فقال سلام عليكم قال الامير عليكم السلام قال عتمان قابلت الرجل قال الامير اى رجل قال عتمان ابو بكر كبير وكتبت له الدراهم الصفر قال له اى نعم ولكن من هذا يا عتمان قال عتمان هذا عقيرب قال له اسكت يا راجل قال عتمان وعزة الله ما ارسله اليك الا الست نفيسة العلم وشيخه الخضر عليه السلام فقال الامير يا عتمان هات لي خازوق من خوازيق بيت المقدس فاتاه به فاجلس الكنف عليه وهو يصيح انا فى عرضك يادولاتلى وكان للخازوق عجل فقال يا عتمان جر هذا الخازوق قدامي فجره عتمان ليلا وركب سار الى ان اقبلوا الى ظهر السراى واوقفه قدام الشباك الذى لقاعة الجلوس وقال له ها هو صاحبك الذى ارسل اليك فكلمه لعله ينجدك مما انت فيه فصاح عليه يا أبيك يامعرص خلص لي قعرى الله لايورَيك ندا فى لحيتك فسمع ايبك ذلك فطل ليكشف الخبر فرأي الكنف وهو على هذه الحاله هذا وقد رآه الكنف فصاح بسب ويشتمه وهو لا يرد عليه فلما ان اصبح الصباح اقبل الامير الكنف وقال له اعلم ان مرادى اطلقك وافعل معك جميل عوض السيئة التي فعلتها معى ولكن والاسم الاعظم ان رجعت الى مثلها لا بد من قتلك ولو كنت فى حجر ايبك ثم اطلقه واعطاه جواده وترك بيبرص وعاد الى مكانه واما الكنف فانه انصرف من عنده وهو لا يصدق بالنجاة وتوجه الى سبيله خايبا وقد آلمه الخازوق فى دبره وما صدق بوصله الي قلعته وجعل يداوى نفسه و يعلل ثقبته فهذا ما كان من امره (ياساده) ولما ان اصبح الله بالصباح واضاء الكريم بنوره ولاح ركب الامير بيبرص وسار الوزير الاغاشهين وسلم عليه وقد صعب عليه ما جرى واخبر الوزير بما كان من ايبك فلما سمع الوزير

كلامه قال له انت الذي منعت نفسك من السلطنة وقربت ايبك ولكن اصبر حتى يأذن الله وما عليك منه في شيء ابدا ثم انهما ركبا وطلعا الديوان وما تكلم احد منهم بكلام ولا افتي ملام حتى انفض الديوان وايبك قد كبرت علته وزادت بليته فصبر الي آخر النهار وانصرف الرجال وقد اجتمع على رفقاه وقال لهم هذا ملموب وما نالنا منه سوي الفضيحة والله اني ضاق صدري من هذا الغلام واريد ان اترك المقام وارحل في وسيع الاكام فقالوا له دع عنك هذا الكلام وخليك رجلا تعد من الرجال الكرام بل الشربات ونحن ندبر لك تدبير يكون له فيه التدمير فشربوا الشربات وقالوا له غدا نكتب كتاب عن لسان باشة حلب وتذكر في الكتاب ركبه كذا به وترسله فيها ثم انك تكتب كتابا الي الكنف وناهض وتخبره يسرق بيبرس من على حلب ويعمل على موته ويأخذ بالتار ويجلي عن نفسه العار ونكون نحن ايضا معه فاذا علما بموته ننهب ماله ونواله ونأتي به الى عندك والسلام قال فلما سمع ايبك ذلك الكلام قال والله تدبير جامد اياك يصح ثم انصرفوا عن عنده على مثل ذلك فهذا ما كان منهم واما ما كان من ايبك فسطر الكتابين وزور له ختم فختم باشت الشام وختم الثاني بخاتمه ثم اعطى كتاب الركبه لرجل من اتباعه وامره ان يطلع عليه به في الديوان ثم ارسل الكتاب الثاني من ساعته الى الكنف وناهض (يا ساده) ولما ان اصبح الله بالصباح جلس ايبك على كرسي قلعة الجبل وقد تكامل الديوان واحتفل وأراد ايبك ان يتكلم واذا بالنجاب يقبل الارض عليه قال ايبك من اين الى اين قال من حلب الشهبا وساير المدن عبيدى وما في تخت غزى بين سعد وسعيد قال ايبك ما معك من الاخبار فاخرج له كتاب قال ايبك اعطوه لقاضي الديوان لا سمعه انا والعسكر فقرأ القاضى ورد خطابا من باشت حلب الي بين ايادى امير المؤمنين اننا مقيمون يوم تاريخ الكتاب واذا بالغبار قد ثار وعلا وسد الاقطار وانكشف الغبار وبان عن اربع ملوك باربع كرات وصحبتهم جوان والبرتقش الخوان ادركنا أو ارسل لنا من يدركنا والسلام على نبي تظلله الغمام

(قال الراوى) فلما سمع ايبك ما فى الكتاب قال يا ولدى يا بيبرس قال نعم قال له خذ الامراء جميعا وسر بهم الى هذه الركبة اكسرها وهات سلب الكفار واتى به الى هاهنا قال بيبرس سمعا وطاعة ثم انه نزل من تلك الساعة وجهز اشغاله الى الرحيل مدة ثلاثة ايام وزار الاسياد وتوجه الى السفر والرعاية يدعون له بكل خير والامرا صحبته وقد نهب البر نهبا ومازال كذلك حتي اقبل الى حلب فلم يجد عليها احدا من الكفار فتعجب من ذلك الانبهار ثم دخل على باشت حلب وساله فقال له والله انا لم اعلم بشيء من ذلك ابدا ولم ارسلت ولا بعثت ولا مى خبر ولا عندى من ذلك علم ابدا فاخذ من ذلك خطه وختمه بذلك واشهد عليه العلماء وقد اغتاظ الامير بيبرس غيظا شديدا وقال لباشت حلب اعطيني كلفت الركبه خزنة مال واكتبها من الخراج لذى عليك لايبك فأخذ منه المال ونزل وهو مغضب الى الامرا وقال لهم هذا يصح من ايبك انه برسلني الي ركبه كذابه ولكن لا يضر شيئا ابدا فقالوا له يا حبيبنا عكن ان الاعداء زوروا هذا الكتاب عليك وعليه (باساده) ثم انه اقام للراحة ثلاثة ايام ولما كانت الليله الثالثة اقبل ناهض الى حلب وقد كان وصل اليه الكتاب الذى ارسله ايبك فلما قرأه قال لا بد عن اخذ الثار وحلي العار ثم ركب ناهض وسار واقبل الى الصيوان وشقه واذا بالامير نائم على قفاه مشاهد مولاه فافرد على وجهه منديل مطبق بالبنج وهزه القا النوم ووصمه فى جمدان واعقله وسار به الى قلعته وأوثقه كتاف وقوي سواعده والاطراف واعطاه ضد البنج فعطس وقال انا فين قال له عندى يا خناس وحق بيت الست صاره وصرصاره والجبل الخربان وكتاب ام عمران والثانى والحكمه وكتاب شعيب وما يتلى به كلمة كلمه لا بد ان احط الخشبايا فى قمرك واخرجها من خشمك مثل ما فعلت بالوليد فلما سمع منه ذلك قال له انا فعلت معكم الحيل وخالفت ايبك بعد ان كنت قادرا عليه وانت فعلت معي ذلك ولكن كل انسان يجازيه بفعله رب الانام فقال له ناهض لا تطيل الكلام فلا بد من موتك وتعذيبك بانواع الآلام فقال له يا كلب انت تقدر على ذلك وانا خلفى رجال وأى رجال وهم الاشراف أولاد اسماعيل وباقي رجال الاسلام وايضا تقدر على

ماتقول وخلفي مثل المقدم جمال الدين شيحه الذي يسكتون به الاطفال (ياساده) فلما سمع ناهض ذلك المقال صاح على رأسه على الرجال خذوه من قدامي فاخذوه والي السجن انزلوه وقسم اللعين بالثاني والحكمة لم بقيت اقتلك حتى اقبض على هؤلاء القرود وأولاد أسماعيل والقصير فركب من ساعتة طالب اولاد اسماعيل وهو ينادي ياخذ الثار و يقول قعير وليدى وطلب الثار فهذا ما كان منه

(قال الراوي) واما ما كان من امرا الامراء فانهم لما ان اصبح الله بالصباح وقداضاء النهار ولم يظهر الامير بيبرس فعلموا ان الاعداء قد تمكنت فاجتمعوا على ان ينهبوا ماله ونواله وايقنوا بموته وهلاكه وو باله

(ياساده) وكان عثمان قد علم بذلك الناس والمماليك والغلمان واعطاهم النبابيت والاسلحة والدبابيس وقال لهم دوروا حول صوان الامير وكل من تقرب اليكم من الامارة اضربوه وان قدرتم على خنائه خنشوه فقالوا سمعا وطاعة وسارت الرجال كما امرهم هذا واقبل الاماره يريدون النهب فرأوا الجدعان وسائر الغلمان وكانهم متحضرون على آلة القتال وا. 'دوا الرجوع فصاحوا عليهم الغلمان ما الذى تريدون من هاهنا قالوا لهم نحن مرادنا نسال على سيدنا لان النهار تضاحا وما بان له خبر ولا جلية اثر فقال لهم عثمان قدمضي الي بعض اشغال يقضيها و يسلم و ياتى بالسلامه فلما سمعوا كلام عثمان قالوا له ربنا يطرح فيك البركه فنح عينك واحفظ المكان حتى يأتى سيدنا الامير بيبرص وانصرفوا الى حال سبيلهم واجتمعوا فى خيامهم وقالوا لبعضهم بعض ما بقى لنا أوفق من الرحيل ونترك عثمان وحده فتنزل عليه العرب و ينهبوه سكان البر والسبب ثم انهم امروا الفراشين بذلك فامتثلوا امرهم وكان لعثمان جاسوس وهو غلام من بعض الغلمان يسمع كلام الامراو يعلمه بكل ماقالوه وما الذى يدبروه فاتى اليه وعلمه بالخبر فقال عثمان الامر قريب ثم انه رفع الرزه على كتفه وسار الي الفراش الكبير وضربه بالرزه على كتفه فقال آخ فقال عثمان الفاتحة قال له الفاتحة من خلف أومن قدام قال عثمان طرق الله كلها سالكه قال ماتريد قال انت مملك اجره قدر ايش من ايبك قال

له قدر كذا او كذا قال له انت عند نا باجرتين فقال له وانا لا اخالفك يا اسطى من هذه الساعة لو كنت اخدم بلاشيء فقال عتمان سيرالي العرضي واجمع غلمانك وانسل الى عرضي الامير في الوقت والساعه وسار عتمان الى سائر فراشين الامارة واحد بعد واحد وفعل مثل ما فعل بالاول فاخذهم جميعا عن آخرهم ثم انتقل الى الطباخين والمماليك والعبيد فاخذهم وكل من كان مع الامارة سار مع عتمان في ساعة الحال ثم ان عتمان قال لهم اذا اتى اليكم احد من الامارة وتكلم معكم كلمه صغيره اضربوه وانا ظهركم فلا تخالفوا ابدا ففرحوا بذلك واقاموا وتركوا الامارة على حالهم فهذا ما كان من امرهم (قال الراوى) واما ما كان من امر الكنف وناهض فان ناهض لما ان سار كان ذكرناه هو وولده طالب اولاد اسماعيل فلما وصل اليهم واذا بهما مجتمعين الجمع فتقدم الكنف وناهض اليهم وسلموا وقد تعجبوا الرجال من مجيئهم ثم سألوهم عن حالهم فقالوا قد علمنا ان الحق معكم وعرفنا انه ما دين الا دين الاسلام ونحن على الضلال سلمنا وأتينا الى عندكم نجدد اسلامنا على يديكم فقالوا مرحبا بكم ثم انهما اسلما على يد الرجال فصافحوهم واكرموهم واقاموا كامل يومهم عندهم وليلتهم ولما كان من الغد قالوا لهم اننا نريد ان تسيروا معنا الي قلعتنا وتاكلوا ضيافتنا وعزومتنا فاجابوهم الى ذلك وركبوا عن بكرة ابيهم وما زالوا سائرين حتى وصلوا الي القلعة فتقدمت العزومات والحلاويات والشربات الى ان جن الليل اتوا اليهم بالمدام فشربوا وما زالوا كذلك الى ان غلب عليهم البنج فسقطوا الي الارض عن اخرهم فقبض على الجميع وجعلهم في القيود والاغلال والباشات الثقال ثم قال الكنف وناهض ودوهم السجن الى عند بيبرص حتى يطلع النهار واقتل الجميع سوى فلما ان اعبروا الى السجن اعطوهم ضد البنج فعطسوا وقاموا على انفسهم وتأملوا واذا هم بالامير بيبرس وهو ينشد الاشعار يقول صلوا على الرسول

تحكمت الاعداء فينا * وما لقينا من الاحبا سعينا
فتركنا امرنا لخالقنا * وطلبنا النجاة من رب العالمين

وتوكلنا على من ليس ينسا * عبد قد انشاه من طينا
* فهو لنا ملجأ وأمينا * وحافظا وحصنا حصينا
الهي توسلت اليك بخير الورى * من جعلنه رحمة للعالمين
نقلني من همومي وعثرتي * وما انا فيه مرمى رهينا
انت القدير على خلاصي * وانت العليم بما بلينا
ففرج بحولك كربي وتولى امري * وخلصني من شدة وضنينا
واكثر بالصلاة على ازكى البرايا * كذا السلام مامن العشق حنينا
كذا الآل والاصحاب كامل جميعهم * والاصهار والانصار والتابعين

(قال الراوى) فلما فرغ لامير من شعره وماقال من نظمه ونثره سلموا عليه الرجال فرد عليهم السلام فسألوه عن حاله فاخبرهم بالقصة واخبروه أيضا بقصتهم ثم جعلوا يتحدثون مع بعضهم البعض الى ان جاء وقت السحر واذا بالسجان عليهم قد عبر وقال لهم الآن قوموا الي حال سبيلكم وامضوا الي اشغالكم ثم هجم عليهم وفكهم من القيود والاغلال والباشات الثقال فزاد منهم العجب واخذهم الاندهال وقالوا له بحق الملك المتعال ماتكون من الرجال قال لهم انا جمال الدين شيحه قال وكان السبب فى ذلك ان الرجال لما ان اقبلوا الى ضيافة الكنف وناهض كان معهم لانه قد كان علم بذلك من كتاب اليونان وكان يومئذ هو السجان الذى على بيبرس وادخله الي السجن بيدة هو فى صفة تبع اولادالادرعى وقد كان لازم القلعه من يوم مجيء الكتاب فلما ان خرجوا الرجال خرج هو معهم وجرى من القصه ماجري وتسلم الرجال وصبر حتى نام الكنف وناهض وبنجهم واخذهم الى الخلوات واعطاهم ضد البنج عطسوا فاعرض عليهم الاسلام فابوا فسلخهم وارمى جسمهم الي بطن الوادى ودبغ الجلود وعلقهم على باب القلعة وعاد الي الرجال واطلقهم مما كانوا فيه وقال لهم سيروا الي حال سبيلكم وها انا سائر الي حال سبيلي وقد حضر لهم الركوبات على القلعه فخرجوا وركبوا وساروا مع بيبرس وهم يتحدثون من فعل الامير

جمال الدين شيحه ومازالوا كذلك حتى وصلوا الى حلب وقد نقدم الامير بيبرس وكشف عن ستاعه فرآه محفوظ ولم يجرى عليه شيء فأمر بالضيافات والعلوفات فأكلت لرجال ولسانها الفراغ من ذلك قالوا له يا أخينا والاسم الاعظم نحن نسلطك على الارض والبلاد واقلي ما فينا يقدر يأخذ رأس ايبك من على تخته الظهر الاحمر فقال لهم اعلموا ان كل من فعل ذلك كان خصمي ثم انه امر بالرحيل فرحلوا ورحلت الامراء لرحيله ولم يزال سائر والفداوية بصحبته حتى عبر مصر في يوم لا يعدمن الاعمار وطلع الديوان ومعه سائر الرجال وكلهم مغتاظين على ايبك وقالوا له بأى شيء تستحق السلطنة وانت رجل كذاب وهذا خطك وختمك وهذا خطاب باشت حلب واختام العلماء ثم اعرضوا الحجج على المعز ابن عبد السلام فلما ان قراهم وعرف ان الركبة كذاب ووجد الكتاب الثاني الذي ارسله للكنف فيه اعلم يا حبيبنا اننا ارسلنا عدونا بيبرس الي حلب بسبب ركبه في يوم كذا وكذا فارصده حتى يأتي واسرقه واعمل على موته وانهب ماله والخط خطنا والختم ختمنا والسلام وكان شيحه اخذ الكتاب منه اعطاه الى الامير بيبرس فلما قرأهم قال اشهد ان لا اله الا الله وان محمداً رسول الله تبقي ملك الاسلام وتكذب على قدر ذلك فنزل على ايبك الخزي ولم يرد جواب على كل من تكلم معاه هذا وقد نزل الاميرايضاً الى بيته والرجال صحبته واقام هناك وقد اقتصر وعن الديوان فهذا ما كان منه اما ايبك فانه بعد ان انفض الديوان اجتمع على اصحابه وسألهم على ما جرى فقالوا له لم نعلم بشيء مما جرى ابدا غير اننا وجدنا بيبرس قد انسرق وتمنينا نهب ماله فراينا عماز والرجال مستيقظين لانفسهم انه اخذ رجالنا وكنا طلبنا نرحل عنه ونتركه فما شعرنا الا وقد عاد الينا في هؤلاء الرجال واخبروه بالقصة من اولها الى آخرها فقال لهم دعونا من ذلك ودبروا لنا تدبير غير هذا قالوا له بل الشربات فانبل وشربوا فقال علاى الدين غدا تجلس في الديوان ويحضر الوزير الاغا شاهين والرجال مجتمعين فنقول لهم انا ما علمتش في ببرس شيء ردى فلاى شيء يقطع ديواني ثم انك ترسل له وتصالحه وتعتذر اليه واحلف له كام يمين واحسبهم علينا لاننا نحن الذين دبرنا ومالك ذنب وقوم أشنق رقبتك في منديل واعتذر وقبل رأس

بيبرص فاذا انت فعلت ذلك يصفي لك قلبه لانه هو والله ابن ناس وقلبه صافي وابن حلال واما انت قلبك نجس وابن حرام دنس وبعد ذلك يجلس مكانه في الديوان فقول انت يا ساداتنا يا علماء مرادي عهد الله بيني وبين ابني بيبرص والخاين يقتله الله فينعقد العهد بينكما وبنفض ذلك الحكم ثم انك تطلب كرك رضا وترميه بيديك على بيبرص وتقول له البس وليتك وزير بدال الحاج شاهين يفرح بيبرص وينفخ الاغا شاهين على منصبه لان المنصب معادل الروح يحط يده على الخنجر ويضرب بيبرص يقتله او بيبرص يقتل الوزير فان قتل هو الوزير قتلناه فيه واخذت مال الاثنين انت وان قتله الوزير قتلناه فيه وناخذ مال الاثنين فعلى كل حال هما مقتولين وما لهم صار بايدينا والسلام فلما سمع ايبك ذلك الكلام قال له الله يعدمك لسانك هذا تدبير جامد بس اذا صح قالوا اجامد ثم انصرفوا الي حال سبيلهم فهذا ما كان منهم (قال الراوي) ولما ان اصبح الله بالصباح جلس ايبك وتكامل الديوان وحضروا العلماء والاشراف والعظماء من اكابر الناس وراق الديوان واذا بايبك قد نهض على الاقدام وتقدم المعز ابن عبد السلام وقبل يده وهو سائر العلماء ولاشراف واعتذر اليهم وقال انا في عرضكم تصالحوني مع بيبرص فقالوا سمعا وطاعة هكذا شيمة الملوك ثم انهم ركبوا من تلك الساعة وساروا الي بيبرس وقد ظنوا ان ايبك قد راق قلبه وصفي للامير هذا ولما ان وصلوا الي بيبرص تلقاهم واكرم مثواهم ثم قالوا له قم معنا الى الديوان لان الملك ساقنا كلنا عليك فقال لهم سمعا وطاعة ثم انه نهض معهم من تلك الساعة فلما اقبل الي الديوان سلم علي السلطان فاعتذر اليه وقبل راسه ويديه وقال له يا ولدي والله ما جعلت ولا امرت ولا كتبت ولا ارسلت والحق عندي اليك فراق بيبرص وجلس في مكانه وجلس الملك وراق الديوان فقال ايبك يا علماء الاسلام قالوا نعم قال لهم اريدان اوثق عهد الله بيني وبين الامير بيبرص فقالوا له افعل كما تريد يا ملك العصر والاوان فانعقد العقد بين الاثنين وشربوا الشربات وراق المكان من هذه الاحوال فقال الملك هاتوا كرك رضا فأتوه بما طلب فقال الملك البس يا بيبرص اوليتك وزير اعظم بدل الحاج شاهين فعند ذلك نهض الوزير على الاقدام وقال قرب يا بيبرص البس واعلم

ياولدى ان مرادي انى كنت اقصدك تجلس بدالى حين اسافر الى بلادى واعود بالثانى والحمد لله رب العالمين لذي جاء الامر الى ذلك البس فلبس وجلس مكان الوزير والوزير قال له اذا انفض الديوان الحقني على البساتين فقال بيبرس سمعاً وطاعة ثم ان الوزير نزل من وقته وساعته فلما رآه العالم سألوا عن الخبر قالوا ان بيبرس لبسه ابيك وزير اعظم وكان مراده ان الوزير يقتل بيبرس او ببرس يقتل الوزير قال الآخر كل هذه ناسة الانجاس يا حج محمد قال الآخر تدبيرهم لم صح ابدا و يد فرغت فى اختها وكثر كلام العالم فى ذلك هذا وقد جلس الامير الى جانب ابيك فكاد ابيك ان يختنق روحه وقال فى سره هذا تعبان ارقط ثم نفض المنديل تحولت الرجال فنزل بيبرس قاصد البساتين وقد اجتمع بالوزير فقال له الوزير لا تحمل هم ابدا لان هذا ملعوب قد عملوه علينا وكان مرادهم بذلك هلاك واحد منا والمؤمن ينظر بنور الله تعالي ولكن خذ ياولدى هذا الكتاب وهو كتاب الوزاره يقال له كتاب الاحكام فى فك المشكلات والاحكام واعلم ياولدى ان الملك قيراط واحد والوزير ثلاثة وعشرون قيراط بهذا الكتاب واذا وردت على الملك دعوه مشكلة لا يفكها الا الوزير من هذا الكتاب فامض ياولدي انت الى حال سبيلك الله تعالي ينصرك و يعينك وارسل لي اخاك تقطمر يكون عندى وكيلا على بيتي الي ان اعود من سفري لانى قاصد برصة فقال له بيبرس سمعا وطاعة ثم نزل الامير وارسل اخاه فهذا ما كان من امر هؤلاء واما ما كان من ابيك فان كل يوم بيبرس يجلس الى جانبه وهو لا يطيق الجلوس كثير معه بل ينفض المنديل و يترك الرجال ينصرفوا لاجل خاطره فهذا كان دابه وما كان من امره واما ما كان من امر الوزير فانه تجهز الي السفر وقال للامير وقد اقبل الى وداعه اعلم ياولدى انك لم يكن لك هاهنا حبيب بعدى الا اخوك البهلوان والست فاطمة شجرة الدر فاحترس لنفسك وتركه وسار وقد طلب البر الاقفر وسار قاصد برصة فهذا ما كان منه قال واما ما كان من ابيك فانه كلما جلس جلس بيبرس الي جانبه فاذا اتت اليه قضية وحكم فيها كما يشاء من حكمه يمانعه الامير و يراجعه و يقول له الموافق كذا وكذا فيمضون العلما حكمه و يتركوا احكم ابيك وقد علموا ان له معرفة

كبيرة وامتحانات غزيرة هذا وقد تدولت الايام على ايبك فيوم من الايام اجتمع
على الاربعة وصاح بعلو صوته بره جلاد بره جلاد بره نبوت بره كرباج قال علاي
الدين جلاد ديرمي رقبه بتاعك جلاد جلاد على شان ايش اقعد احنا وندبير لك على
موت بيبرس قال لهم دبروا لي واعلموا انى لم كنت طايقه وهو بعيدا عني فكيف
اطيقه وهو قاعد الى جانبي قالوا له بل الشربات فانبل وشربوا وبعد ذلك قالوا له
غدا تجلس على تختك وتقول يا وله ى يا بيبرس هو الملك يستغني عن الوزير فى ليل او
نهار يقول لك لا يا ملك فقول له امرتك ان تبني بيتا يكون قريبا من القلعه لاجل انى
اذا كنت احتاج اليك فى اى وقت من الاوقات اصيح عليك تأتى الى عندي من غير
ان ارسل لك رسول لربما كان سرا بيني وبينك فاذا سمع منك بيبرس ذلك الكلام
يجيبك الا ذلك وينزل يبني بيت كبير واسع لانه عامل عمده ويبعد عنك فى مسافة
البنيان وبعد تمام البيت ادبر لك على ما تفعل لانه على كل حال يغرم ماله فيه ويبعد عنك
والسلام قال ايبك هذا تدبير جامد اياك يصح ثم انصرفوا على مثل ذلك فلما كان
من الغد جلس ايبك على التخت وتكامل الديوان قال الملك يا بيبرس قال نعم قال له هو
الملك يستغني عن الوزير فى الليل او فى النهار قال له بيبرس لا يا امير المؤمنين فقال له
امرتك ان تبنى لك بيتا قريب العهد من القلعه اذا طلبتك فى اى وقت كان تأتى الى
عندي قال بيبرص سمعا وطاعة ثم ان الامير نزل من ساعته وامر المهندس ان يدور له
على قطعة ارض قريبة من القلعة فقال له ان القلعة قريبة منها قطعة ارض يقال لها
البطحه وهي من وقف ابن اباديس السبكي فقال له امضي ودور فيها البناء فقال عثمان
وانا اكون المهندس والناظر على هذه الاشغال فقال بيبرص شأنك يا عثمان وما تريد
وها هو مالى بين يديك فافعل كما تريد فقال عثمان سير انت الى بيتك واقيم هناك حتى
يخلص بناء البيت فتوجه الامير الى بيت ابن اباديس واقام فيه وترك الديوان وايبك
وترك عثمان ايضا والمهندسين وقد شرع عثمان فى العمل وقد اصطنع من داخل البيت
ديوان مثل ديوان القلعه ولما تهيأ الفراغ من ذلك قال عثمان اعملوا لنا تخت مثل تخت

ايبك وكرسي مثل الذى فى ديوانه على ديوانه على عدد الامارة وغيرهم فقالوا سمعا وطاعة ثم انهم فعلوا كل ما امر به عثمان فى عاجل الحال وقالوا يا عثمان ما بقى شىء ابدا فقال عثمان ائتونى باربع مدافع كبار فقالوا له ما الذى تريد ان تفعل بهما قال لهما مثل ما افعل فاتوا اليه بما طلب فقال للمهندس حكم مدفع من هؤلاء في بيت الابوة يكون على صدر ايبك وهو قاعد على التخت والثانى حكمه على راس السلالم والثالث على قاعة الجلوس والرابع على بيت الخلا فقال له اعلم اننى لم يمكنني ذلك ابدا خوفا من ايبك ان يقتلنى فقال له عثمان انت تخاف من ايبك اكثر منى ان لم تفعل ذلك والا اقتلك بالرزه فى هذه الساعه وان انت فعلت ما امرتك به لا تخاف من ايبك ولا من غيره ابدا وانا ظهرك فعند ذلك اطمأن قلب المهندسين وفعلوا كلما امر به عثمان ولما تهيا الفراغ من ذلك اتى بعد ذلك الى الكاتب وقال له اكتب حجة شرعية بهذا البيت اكتب ربعه للحرمين الشريفين والربع الثانى للعلماء والاشراف والربع الثالث الي سيدنا الحسن والحسين وسيدى احمد البدوى وربعه للناس الفقراء المحتاجين الى الاحسان وكل من سكن فيه يدفع اجرته لهؤلاء ولو كان صاحبه الذى بناه من الامير بيبرص فكتب ذلك القاضي وختم وقال للحجارين اكتبوا ذلك على باب المكان نقشا بالازميل فكتبوا على وجه البيت ما قدمناذ كره وسماه بيت الوزير وبعد ذلك سار عثمان الى سيده الامير بيبرص فقال له بنينا البيت وقد استتم بناءه ففرح الامير بيبرص بذلك وركب وسار الى الديوان وصبح على الملك فقال له بنيت البيت يا ولدى بيبرص فقال نعم يا امير المؤمنين فقال له فعلت كل خير هذا وقد اقام الامير بيبرص فى مكانه وجلس ايبك على التخت وراى الديوان واعتدل فى الجلوس ورفع عيناه وتامل واذا بالمدفع محرر على صدره وهو على التخت فانزعج ونهض قائما على الاقدام وظن ان الذي فعل ذلك يريد قتله فطلع الى السرايه وهو متحير وسار ينظر يمينا وشمالا واعلى واسفل فراى الثاني على راس السلالم فزاد انزعاجه ولم يعلم ما الخبر ثم هرب الي قاعة الجلوس فراى الثالث محتكم على راسه وهو قائم يده فكر كبت عليه

بطنه فدخل الى بيت الادب وجلس ليقضي حاجته واذا الرابع محرر على وجهه فخرج متحير ونزل يجرى الى التخت فجلس وقد تعجب الناس من فعله ثم انه قال يا ولدي يا بيبرص قال نعم قال له امرتك ان تجلس مكاني فقال لاى شيء يا امير المؤمنين فقال له سوف ترى فجلس الامير فراي ذلك المدفع فقال له هذا يا امير المؤمنين فقال له هذا والله بطال ثم اخذه الى الثاني والثالث والرابع فازداد عجبه وتاسف ثم نزل وقال يا ساداتنا يا علما ماقولكم في رجل بنى له بيت وركب عليه مدافع يريد قتلي فقالوا له اذا ثبت عليه ذلك يجازي بمثله فقال لهم هذا لا يريد بينه ابدا ثم ابيك اعرضهم قراوا باعينهم فقالوا انت فعلت هذا يا بيبرص قال لا ولا اعلم وانما هو من فعال عثمان فقال الملك يا ولدى ولكن الله سلم انزل يا ابني يا بيبرص هذا البيت والسلام فقال له سمعا وطاعة ونزل من ساعته وقد تغير كيانه وصاح على عثمان فاتاه فصار معه ولم يخبره بشيء ولم يزالوا سائرين حتى اقبلوا الى البيت واخذ عثمان من يده وصعد به الي ظاهر الاماكن وقال له ما هذا يا عثمان قال عثمان مدفع قال يا خذا جلك لاى شيء فعلت هذا هاهنا قال عثمان على صدر ابيك وهو جالس على التخت قال وهذا قال له مدفع قال له يطير اسمك ولاى شيء وضعت هذا قال على راس ابيك وهو طالع من السلام وهذا قال له جوفه ووجه بيت الخلا قال وهذا قال ربما يهرب الى قاعة الجلوس تبقى تلحقه قال له الله يجازيك بفعلك يا عثمان هاهو قد امرني ان اهدم البيت قال له عثمان السمع والطاعة روح انت وانا اهدمه واشيل ترابه وآتي اليك فقال له اسرع يا عثمان ثم ان الامير ترك عثمان وسار الى بيته واما عثمان فانه اخذ الرزمو وسار الي بيت نقيب الاشراف البكرية وشيخ السادات وشيخ الاسلام وقال لهم يا ساداتنا يا افاضل بنيت لكم الربع فيه ستة قراريط وابيك يريد هدمه قالوا له كنا نهدم قلعته على ام راسه قال لهم غدا اطلعوا الي الديوان وتركهم وانصرف الى ناظر الحرمين واعلمه بذلك فقال كنت اهدم ركنه فامره بطلوعه الديوان وتركه عثمان وسار الى اولاد الارامل الفقرا والمساكين وسكان القهاوي والمحتاجين وقال لهم بنيت لكم ربع ويريد ابيك هدمه فلما سمعوا من عثمان ذلك قالوا ايش والاسم الاعظم

كنا نهدم القلعة على رأسه ولم يخلصنا قال غدا اطلعوا الديوان فاجابوه بالسمع والطاعة ثم ترك الجميع وسار الي سيده وقال له ها انا هدمت البيت وشلت ترابه قال له جزاك الله خير ولما اصبح الله بالصباح ركب الامير وطلب الديوان فسار به عثمان من طرقات مختلفة ولم يفوته على البيت فتعجب الاميرمن ذلك وقال ياعثمان ولاي شيء اتينا من هاهنا قال له لان الطريق الذي كنا نسيرمنه لم يستقيم من مكان الهدد والغبار والعفار فأتينا من هاهنا احسن لنا فصدقه وطلع الى الديوان وصبح على الملك وجلس مكانه وقد تكامل الديوان واذا بالاشراف بكرة ابيهم طالعين الي الديوان وهم يقولون لا يحل من الله ياايبك احنا نقدر نرفعك من على هذا التخت ونجلس غيرك لانك رجل غير عادل فلما سمع ايبك ذلك احتار فى امره وازداد عجبه وقال ما الخبر فما احد منهم يردعليه جواب لانهم قد اخذتهم الحمية فقام الامير بيبرص وأخذ بخاطرهم وأجلسهم وقال لهم ترفقوا على انفسكم حتى نعلم ما الخبر فجلسوا فما استتم بهم الجلوس حتى جاءت العلماء والمجاورين والطلبه والفقهاء وهم يقولون لا يحل من الله ابدا ذلك الفعل ياايبك فى هذه البلدة فاجلسهم ايضا الامير واذا بناظر الحرمين والشيخ السادات مقبلين الى الديوان وعلى اثره اولاد الرميله وهم يقولون ايش ياابن القحبه من امرك تهد بيتنا والاسم الاعظم كنا نهد قلعتك على راسك قال الآخر بالطوف ياحاج محمد والاخر جمل فى حزامه حافر حمار ومنهم من معه نبوت ومنهم من سحب له خنجر وقد اخذ ايبك من ذلك الضجر وقال يااخوانى ما الخبر الذى منى صدر فقالوا ان لنا بيتا وهو الذى بناه الامير بيبرص لنا ربع ولهؤلاء الربع الثانى والربع الثالث للسادات والرابع للحرمين فكيف تامر انت بهدمه فهذا وقف لم يهدم ابدا فقال لهم ياسيادي والعلم الشريف انالم اعلم انه موقوف ابداوالحق على لكم وقد علم بيبرص ايضا بالقصه لانه لم كان يعلمها فاغتاظ من عثمان غيظا شديدا لكن لما رأى نفسه في الديوان ورأى البيت موقوفا وهؤلاء يدافعون عنه قوي ظهره وقال فى سره ان اخذوا هؤلاء اجرته خيرا من هدمه والله لقد نظر عثمان موقع النظر ثم ان الناس بعد ان تكلموا مع ايبك انصرفوا وقد كاد الغيظ ان

يخنق ايبك فنفض المنديل تحولت الرجال والعساكر ونزل الامير بيبرص وأراد ان يتكلم مع عثمان فقال عثمان وسرها فى مقامها ان لم تسكت اصبح اهد البيت واسلطهم عليك لان هذه حاجة لم تملكها فما يخصك انت بها فسكت الامير وخاف من عثمان ان يفعل ذلك (ياساده) وأما ايبك فانه جلس فى الديوان ومنع الاربعة من النزول لما انفض الديون من الناس قال لهم هتكتونى وجرستونى وقد رأيتم باعينكم الذى جرى وانالا اقدر على علما ولا اشراف ولا على حشاشين بتوع رميله حيات راسى ان لم تدبروا تدبير جامد والا قطعت رؤوسكم قالوا اله بل الشربات فلما شربوا قال علاي الدين لما يتكامل الديوان يطلع بيبرص عليك تقول له يا بيبرص يقول لك نعم تقول له الزم بيتك فاذا هو سمع منك ذلك الكلام يصعب عليه المنصب ينكاد يطق بموت الفاتحه الي روحه قال ايبك تدبير جامد اياك يصح قالوا اجامد (ياساده) ولما اصبح الله بالصباح جلس ايبك على دكته وطلعت سائر دولته وأقبل الامير كعادته فلما تكامل الديوان قال ايبك يا بيبرص قال نعم قال الزم بيتك لم بقيت تطلع الى الديوان فقال سمعا وطاعه ثم نهض من ساعته وقد اخذه الفرح والاستبشار وقال والله لان ارتاح قلبي وهو الذى كنت ارجوه من حربى هذا وقد قابله عثمان فسأله عن الخبر فاخبره بما تقرر فقال له لا تحمل هما ابدا ثم سار معه حتى اوصله الي بيت ابن باديس السبكى فجلس فى مكانه فهذا ما كان منه واما ما كان من عثمان فانه صبح ثانى الايام وقف فى وسط الطريق واذا قد اقبل نقيب الاشراف طالع الديوان فقال له عثمان تعضل اجلس فى بيتك فهاك كرسيك انت وجماعتك فاجابه الى ذلك وأخذ جماعته وسار الى الديوان الحديد ورجع عثمان وقابل شيخ الاسلام العزبن عبد السلام فاخذه هو وسائر العلماء وأجلسهم هم والامرا والبهلوان هذا ولما كان احتفل المكان بالامم قالوا ياعثمان ما فى هذا المكان ناقص الا السلطان قال انا آتيكم به ثم صاح على الشربجيه والطباخين وغيرهم فأتوا اليه فقال لهم هيئوا لهؤلا المآكل والمشارب فى ذلك النهار وكل نهار مثل عادتهم فاجابوا لسمع والطاعة فقال لهم بعد ان اكلوا وشربوا ولذوا وطربوا قد رتبنا لكم ها هنا كل يوم مثل

ذلك ولكم ماهيه على ماهيتكم ولم تطلعوا عند ابيك ابدا فقالوا سمعا وطاعة ثم ان عثمان تراهم على حالهم وسار الي ارباب الطول والموا كب وامرهم ان يتجهزوا ويقفوا فى وسط الطريق فأجابوه الى ذلك فتركهم وسار الى سيده الامير بيبرص فصبح عليه وقال له كلم العلما والاشراف فقال الامير فى اى شيء ياعثمان قال لا اعلم بشيء من ذلك ابدا انا جالس على باب البيت الجديد واذا بهم قد اتوا الى باجمعهم وقالوا لى انده لنا بسيدك فتركتهم هناك فى لحوش واتيت اليك واعلمتك فقال له كنت ياعثمان اجلسهم فى اعلى البيت احسن من الحوش فقال له ولاى شيء هياش الا كله وردغطاها فاجابه الامير الى ذلك ونهض وقد ركب جواده وصار مع عثمان واعتدل فى الطريق وصار حتى قارب المكان واذا قد انعقد الموكب قدامه وكان موكب عظيم فقال ماهذا ياعثمان فقال عثمان لا تتكلم ابدا بل اسكت وانظر بعينك وسوف تعرف فسكت الامير ولم يزل سائر بالموكب حتى عبر الى البيت وعثمان قدامه وهو تابعه حتى عبر الى ذلك المكان ولم يراه قبل الآن ابدا فلما ان رأوه الرجال والامراء والمحبين واذا هم قد نهضوا له على الاقدام وقد استلموه الاغوات وارتفعت الشبكه فبان من تحتها تخت مثل تخت المملكه بل اعظم ومازالوا به حتى اجلسوه على ذلك التخت فلما جلس قرا المقرى وختم دعى الداعي وختم رقى الراقى وختم صاح شاويش الديوان وهو يقول

لا تحسبن الله يغفل ساعة * الا ينفذ حكمه فاذا نفذ
يعطى الذين تجبروا فى ملكه * حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذ

قال الامير بيبرص آمنا ثم ان السادات والاشراف هتوه بما وصل اليه وقالوا له انت من الآن حاكمنا وان اردت عزل ابيك عزلناه وأمرت بطرده طردناه فقال لهم لا يلزم من ذلك شيء ابدا على كل حال والدي وانا ولده وحكمه ماشي على فقالوا له لابد من حضورنا كل يوم الي عندك فلا نتأخر عنا ابدا بحق العلم على الله لا تخالفنا فاجابهم لما ان اقسموا عليه وصارت هذه العادة عادة الدوله والاشراف واهل مملكته وهو يحكم ويأمر وهاظهره فهذا ما كان منه (قال الراوى) واما ما كان

من ايبك فانه جلس فى الديوان وحضرت الار بعـه رفقاه وتضاحى النهار وما طلع احـد من العلما ولا الاشراف الي الديوان فقال ايبك ياعلاى الدين علمافين قال له خاصطه قال مارهفين قال له خاصطه فجلسوا الار بعـه الى آخر النهار وثانى يوم كذاك وقد شاع الخبر بحكم الامير بيبرص فى الديوان الجديد وان الحـكومه فى بيت الوزير فلما سمع ايبك بذلك ضاق صدره واحتار فى امره وقال لرفقاه هيا بنا نشق ارض مصر ونسير الى الديوان وننظر الاحكام ثم انهم غيروا ملابسهم وقبل ان ينزلوا من الديوان اتاهم رجـل وهو يقول مظلوم ياملك الاسـلام قال له ايبك ما ظلومتك قال له زوجتى ظلمتنى فخذ بيدى لانها قد اخذها منى رجـل يقال له على البشونى وطلبتها منه فابت وقالت على انى مجنون والشرع جوز له ذلك وطردتنى من بيتى فاتيت الى جنابك السعيد فلما سمع ايبك ذلك الـكلام قال برا جلاد قال علاي الدين برا نبوت قال بشتك برا كرباج قال قلاوون لمـا شيخ بتاع اسلام ثبت جنا نك احنا نعمل لك ايش احنا اكثر من شيخ الاسلام فلما صاحوا فيه نزل يبكى و ينوح وهو يقول حسبنا الله ونعم الوكيل فبينما هو كذلك واذا برجل من الناس قـد قابله وقال له سـير الى الديوان الجديد لان لا حكم عظيم الا فى بيت الوزير فسار الرجل الى بيت بيبرص هذا وايبك وجماعته خلفه وقد قالوا لبعضهم سيروا بنا حتي نبصر الاحكام وننظر ما يفعل مع هذا الرجل فساروا حتى وقفوا بباب الديوان ينظرون الاحكام فهذا ما كان من امر هؤلاء قال واما ما كان من الخواجه فانه قبل الارض وختم وترجم وقال خذ بيدي الله ياخذ بيدك يوم القيامه فقال له الامير ما الخبر فقال له يامولاى انا لى حكاية من العبر لو كتبت رؤوس الابر على اماق البصر لصارت عبرة لمن اعتبر فانك الملك بيبرص اريد ان اسمع حكايتك واميز قصتك فقال له روق ذهنك والق سمعك واكثر من الصلاه على حبيب القلوب فقال الامير اللهم صـلى وسـلم و بارك عليه فقال الرجل اعلم انني خواجه فى الاسـكندريه واسـمى حسن الاسـكندرانى متزوج فى الاسـكندريه ولى كلمه تسمع وحرمه ترفع ولـكن يامولاى انا قليل الذريه فخرجت الى جهة البحر فى بعض الايام فرايت غلام عليـه

ببشت مقطع وهو عريان وجيعان ومن شدة جوعه يأكل قشر البطيخ فأخذتني الشفقة عليه فاقبلت اليه وقلت له ياولدى قال لى نعم يا أبويا ففرحت به وقلت له ما اسمك قال يا مولاي اسمى على فقلت له وانا الآخر اسمي حسن ثم انى اخذته الي مكاني واخرجت له بدله من ملابسي وندهت لزوجتي فلما حضرت قلت لها هذا الغلام فقير ونحن مالنا ذرية وقد استخرت الله العظيم وجعلته ولدى فاجعليه انت ولدك ففرحت بذلك وانزلته من طوقها ونادته بولدها فصار في ارقى رتبة من العز عندي وفي مكانى ودكانى فاقمنا على ذلك مدة من الزمان حتى ان الغلام تنصح ووعى وباع واشترى ولم بقيت اخاف عليه وهو عندي في بيتي فاذا اصبح الله بالصباح أرى زوجتي عنده فأصبح عليها يا فلانة تقول حتى اصحى على شلبي وانا كل ما كسبته جعلته في بيتي ولم أرى شيء منه ابدا وقد لبست على هذه الملعونة ملاعيب ماسبقها اليها احد وذلك أن الغلام على قال لي في بعض الايام يا أبى مرادى آخذ متجرة من هنا واسير بها الي مصر لاجل ان ازور الامام واتفرج على مصر فخرجت له متجرة وارستله الي مصر فباعها واشترى له بيتاً وصار له عبيد وغلمان وتزوج وصاروا ينادوه الناس ياسيدى على يا شلبي وصارت الملعونة ترسل اليه من امتعتي ولم اعلم بذلك بل اقمت على ذلك سنة فرأيت نفسي والسماء والطارق ومافى بيتي شيء يساوي عشر عشرة دراهم فقلت لها ياحجه ما الذي نفعل قالت لو نبيع ما فى الدكان و نشتري بهم هدية ونسير الي مصر الي مصر المحروسة الي ولدنا يفتح لك دكان وينصبك فيها الان جميلنا سابق عليه فطاوعتها وبعت جميع مالى ونوالي وجميع ما تملك يدى واخذتها وسرت انا وهي الى مصر وسألنا على البيت حتى عرفناه ودخلنا اليه فلما قابلناه ترحب بنا وأخذ امه طلعها الى الحريم وتركني انا على الدكه مع البواب حتى امسي المساء واخذنى الجوع فأكلت تلك الليلة مع البواب من عشاه وقلت فى نفسى يكون نسى فلما نزل فى الصباح قمت له على الاقدام فقال يا ابى لا تؤاخذنى انا نسيتك البارحة ولكن خذ هذا النصف الفضة احلق منه رأسك واتفرج على ارباب الفنون في الرميلة حتى يمسى الوقت فأتى الى هاهنا فأخذت النصف منه وسرت كما أمرني ورجعت آخر النهار فدخلت المنزل فطردنى البواب وقال لى ياعم صاحب البيت حرج على انى لم ادع احدا يدخل بيته

فنمت على الباب خارج العتبة حتى جاء الصباح فنزل على فصحت عليه وقلت له كثر الله خيرك وصل ياولدى جميلك اعطيني زوجتي ودعني اذهب الى حال سبيلى فقال لى ياراجل مالك عندى زوجه ابدا قلت له عندك فصاح بالناس فأتوا ومامنهم الا من ضربني ونصرة على ووقع على الضرب من الناس فخرجت اجري ولم أزل اجرى وهم يسبونى ويلعنونى حتى اتيت الشرع فسألني عن حالى فأخبرته بقصتى فقال لى الشرع هل عندك من بينة تشهد عليه بذلك فقلت له يامولانا بقيت اجيب بينه اقول لهم اشهدوا على انى اريد اسلم هذه زوجتي فقال القاضي شرع ربنا هكذا فنزلت من عنده باكى وذهبت الى ابيك فأخبرته فصاح على هو ورفقاه وقالوا بري جلاد برى نبوت برى كرباج نزلت الي عندك اخبرك والسلام (قال الراوى) فلما سمع الامير بيبرس ذلك الكلام قال ياعثمان سر من هنا الى الخواجه على البشوتى وأتيني به فقال سمعا وطاعة ثم ان عثمان نزل من تلك الساعة وسار الى دكان على البشوتى وتامل واذا بعلى جالس جلسة المتكبرين واضعا رجله على الاخرى ومتكى على مخدات والكبر ظاهر عليه فتقدم اليه عثمان وقال له انت على البشوتى قال نعم انت عايز ايش قال له عليك سمعا وطاعة كلم الوزير بيبرس فلما سمع ذلك الكلام من عثمان قال له يبقى الوزير مارآش احد غيرك يرسله الى حتى يرسلك انت وانا مقامى رجل مثلك ياراجل ولكن هاتوا البغله واراد ان يركب ويمشي عثمان خلفه فلما علم عثمان منه ذلك تقدم الى الركوبة ودفع عنها على وقال له زالت عنك النعمة ياتيس هوانا لم اعجبك ثم جذبه الى الارض رماه ومال عليه بالرزه وما زال معه حتي كاد ان يهلكه وقال له وسرها فى مقامها لا يركب البغله احد غيرى وانت تمشي خلفى ويدك على كفلها وان تأخرت عن كفل البغلة همسة طيرت رأسك هذا ولم احدا يعارض عثمان ابدا حتى ركب وسار على البشوتي ويده على كفل البغلة حتى اقبل الى الديوان فدخل على وسلم فترحب به الامير واجلسه فلما استقر به الجلوس قال الامير ياسيدي انت تعرف هذا الرجل قال له يامولاى هذا رجل مجنون وانا لا اعرفه ابدا ولم رأيته الا أمس وقد طلبني فى بيت القاضي وادعى ان زوجته عندى وأنا وحيات رأسك لم رايتها

ابدا فقال له بيبرص يا راجل ولما أنت مجنون لاى شيء جئت الي عندي امشي وامضي الى حال سبيلك وصاح في الرجل فطلع من عنده وقد نظر الاميرالى عثمان بعينه فعرف المعنى وفهم الكلام فلحق الرجل وقال له اجلس انت ها هنا سوف ترى مايحل بهذا وتبصر كيف تكون الاحكام فجلس الرجل عند عثمان وقدا كرمه غاية الاكرام (ياساده) وأما الامير بيبرص فانه أمر بالشراب فشرب هو وعلى وقال له ياسيدي على انا مرادى العب معك الشطرنج فقال له شأنك وماتريد فوضع الشطرنج والديوان متكامل وأبيك ورفقاه فى باب الديوان ينظرون مايكون هذا وقد جعل الامير يلاعبه ويخامره ويمازحه ويسامره الى ان سقطت السبحة من يده واشتغل بالشطرنج فأخذها الامير من بين يديه وقال مرادى اريل ضرورة وسار الى بيت الخلا وصاح ياعثمان ان يأتي اليه بالابريق فعلاه عثمان وأتى به اليه فسارره الامير فى اذنه وقال له خذ عشرة من العسكر وانزل الى بيت على البشوتى وخبط على الحريم فاذا قالوا من قل لهم سيدى على يقول لكم خذوا هذه السبحة امارة ونزلوا الضيفه التى عندكم فسار عثمان كما أمره سيده ورجع بيبرص يلاعب على هذا ولم يزل عثمان سائرحتي اقبل الي البيت فقال لهم خذوا هذه السبحة ونزلوا الضيفة التى عندكم (ياساده) فلما سمعت المرأة زوجة على ذلك الكلام نهضت وقالت لها قومى ياملعونه اقلقتيني طول الليل وانت مع هذا اللئيم نضاحكيه ويضاحكك ثم انزلتها ونزلت معها فأخذها عثمان وسار حتي عبر بهما الديوان فلما رآها الامير بيبرص قال انت ايش ياحرمه قالت له انا زوجة هذا الرجل الخواجة على البشوتي وهذه المرأة زوجة الرجل الاسكندرانى وحق رأسك جميع مانحن فيه من الخير كله متاع هذا الرجل الاسكندرانى وهذا على لايحكم على شيء ابدا وقد خامرت هذه الخاطبة على زوجها وصارت تراسله ويراسلها وتبعث اليه متاع هذا الرجل حتي افقرته وهو لايعلم شيء من ذلك ابدا الا انه عامله ابنه وابن الملعونة ايضاً ولما اتى الى مصر اخذ منه زوجته وتركها عندى ولما جن الليل دخل فقامت له وسلمت عليه وقبلت يده فقبلها في خدودها وهى مكشوفة الوجه فقلت فى نفسي امه ثم اكل معها قلت امه ثم لاعبته قلت امه ثم لاعبها وقد جذبها من الثياب قلت امه ثم لاعبته

قلت امه ثم اخذها فى حضنه وناموا سوي قلت امه ولم ازل اقول امه حتى انا الخشب ركب الخشب وسمعت منها مالم اسمعه من نساء فقلت ماهياش امــه ابدا ثم انه نزل وطرد الرجل واقام مع هذه الملعونه على الفساد والمنكر والعشق وهذا الرجل مظلوم فمن اجل ذلك سار الي القاضي قال هات بينه قال له ماعنـدى بينه اثبت القاضي جنانه وتصبوا عليه الخواجات ولم يزل من مكان الى مكان حتى اتى الى رأيك السديد وارسلت خدامك الينا فاتيت وقد اخبرتك والســلام قال فلما سمع الامــير ذلك قال ياعتمان هات الرجل فاتى بالاسكندرانى فقال له ياشيخ اعرف زوجتك من هؤلاء الاثنين فقال له هاهى هذه فقال له ياشيخ ربنا ذكر التوبة فى القرآن وقال الامن تاب فقال الرجل معاذالله انى برىء عنها دنيا واخري فقال وعزة الله اذا رأيتك قلت وجب ورضيت لطيرت رأسك ثم امر بالاثنين ان ياخذوهما ويدورو وهما على جملين شاميين والمشاعلى ينادى عليهما وذلك بعدان اخذ عليهما اذنا من العلما فافتواله بقتلهما فسارا بالاثنين فى مصر وقد اقبلوا الى الرميله فصلبوا المرأة على السبيل وضربوا اعنق على البشوتى فهذا ما كان من امر هؤلاء واما ما كان من امر الامــير فانه التفت الى حسن الاسكندرانى وقال له ياخواجه جميع ما فى بيت هذا الرجل هولك و بين يديك فخذ هذه المرأة واصبر عليها حتى تخرج من العدة اربعة اشهر وعشرة ايام وتزوج بها واقعد فى الدكان فــكل ما فى البيت والدكان لك هبة كريم لا يرد فى عطاه فعند ذلك دعى له الرجل ونزل وهو حامد شاكر واخذ البيت والدكان ودعواله العلماء وجميع ما كان حاضر فى مجلسه ثم انه بعد ذلك نفض المنديل ونزل كل انسان الي حال ســبيله فهذا ما كان منه واما ماكان من ايبك فانه رجع هو ورفقاه الى الديوان وقال ايبــك والله العظيم هذه احكام مالها نظير ابدا واما احنا ناس بطالين من ما نقول برى كرباج من غير اصل فقالوا له رفقاه هذا كله شغل علماء اما بيبرص ما يعرف قدر هذا كله ولكن دعنا وانصرفوا بعد ذلك الى حال سبيلهم قال ولما ان كان من الغد طلع ايبك الى ديوانه ولم يطلع عليه غير الاربعة رفقاه فبينماهم جالسين واذا هو برجل مغربى يقبل الارض عليه وهو يقول مقام قال ايبك مالك انت الآخر قال له انا رجل ووضعت عند القاضي

اما نه وهو جراب ملآن ذهب حتى ارجع من الحجاز فلما اتيت طلبته منه اعطانى اباه وكان اخذ مني بالميزان واخذته بالميزان فلما فتحته وجدته رصاص فقلت له ماهو لى قال يبقى انمسخ قلت له المسخ موجود قال نعم ان الله على كل شيء قدير تركته وجيت اليك اخبرتك وأريد منك انك تخلص لى مالى من عند قاضي الاسلام قال فلما سمع ايبك ذلك الكلام قال له يارجل ولما القاضي حكم بالشريعة انا اعمل ايش وصاح ايبك يرى جلاد قال سنقر برى نبوت قال علاى الدين برى كرباج فنزل الرجل يجري ويدعوا ايبك ويقول الله يقلب تختك ياايبك ولم يزل ساير الى ديوان بيبرص وكان ايبك على الاثر وهو ورفقاه لانهما قالوا لبعضهما امضوا بنا حتى نرى ماذا يفعل بيبرص فى هذه الحكومه هذا وقد قال الرجل نعم مظلوم يادولتلي خذ بيدى الله ياخذ بيدك يوم العرض على الله قال ماظلومتك قال له انا رجل حاجي وأعاد عليه القصه واخبره بان الذهب طلع رصاص وسألته في ذلك قال انمسخ والله على كل شيء قدير تركته وتوجهت الي ايبك طردني اتيت الي عندك سألتني اخبرتك قال الامير ياسادا تنايا علما ارسلوا لنا رجلا من طرفكم يحضر لنا القاضي فأجابوه الي ذلك وارسلوا الي القاضي فلما حضر قام له الامير وترحب به وسلم عليه وأجلسه وسأله فى امر الجراب فقال له انمسخ فهل هو موجود المسخ من مدة النبي صلى الله عليه وسلم قال له ان الله على كل شيء قدير فقال له الامير صدقت يامولانا القاضى ولكن اعطيتي خطك وختمك يشهد عليك بذلك فكتب لهم بذلك وختم فاخذها منه وقال له سير انت الى حال سبيلك وانت يامغربي بعد ثلاث ايام تعالي الي عندي وخذ حقك مني فقال له جزاك الله خير وادام الله بقاك فانصرفت الاماره وسار كل انسان الى مكانه وصبر وا تلك المده (قال الراوى) واثناء تلك المدة تخفى الامير بيبرص ونزل مع عثمان وكان في زى عالم وسار فى الطرقات ومعه بعض الخدام والمماليك والجميع على هيئة الطالبه فبينما هو سائر واذا به وجد البغلة وعليها ابن القاضى وعليه بدلة كانها سرقت من كنز وحوله الغلمان والخدام فسال عنه فقالوا له هو ابن مولانا القاضي فتبعه الامير ولم يزل تابعه الى المكتب وكان المكتب فى سيدى ابو النور فاستلموه العرفان وأجلسوه ورجعت

الخدام بالبغله وتركوا الغلمان عند الفقيه فاقبل الامير بيبرس الي المكتب وسلم على الفقيه فترحب به وظن انه عالم من علماء الاسلام وأمر له بالفطور فقال الامير وحق العلم على الله لا يأتي الفطور الا من عندي ثم اخرج خمسة ذهب فاعطا الفقيه اثنين وأرسل بعض الغلمان بثلاثة ذهب الى الفطاطري فأتى اليه بثلاثة قصعات من الفطير كل قصعة بدينار فوضع لاولاد الكتاب واحده والثانية وضعها للعرفان وهو والفقيه والغلام واحدة وجعلوا يأكلون هذا وقد تقدم الامير الي الطعام ووضع فيه البنج الطيار ونظر الي عثمان فعلم الاشاره وفهم المعني وذلك ان الامير ناوله محبوب ذهب وقال له خذ هذا وسير الى القرداني وتى منه بقرد صغير فقال سمعا وطاعة ثم سار عثمان الي القرداتي وأعطاه المحبوب وأخذ منه القرد وعاد عثمان في اسرع وقت وكان البنج قد تمكن من الاولاد والعرفان فرقدوا جميعا هذا وقد أقبل عثمان بذلك القرد فاخذه الامير وسار به الى الديوان وأخفاه عن اعين كل انسان والبسه بدله من عنده فهذا ما كان من امر هؤلاء واما ما كان من القرد فانه لما تأمل لنفسه ورأى ذلك البدله المرصعة بالجواهر ففرح وصار يلعب في القصب والفصوص وسكن في محله ولم يرفع راسه بل جلس مكان الغلام وهو فرحان بما عليه من الملابس فهذا ما كان من امر هؤلاء واما ما كان من امر الامير فانه جعل ضد البنج في آذانهم وتركهم وانصرف هو الى حال سبيله هذا وقد انتبه الفقيه بعد مدة فلم يجد العالم الذى كان عنده فقال في نفسه لعله تركني لما رآني قد غلب على النوم ثم جعل يفيق الاولاد العرفان وسالهم فقالوا ما رايناه قال فبينماهم كذلك واذا بالخدام اقبلوا من بيت القاضي ومعهم البغله يريدون ان يأخذوا الغلام فعبروا الي المكتب وسلموا على الشيخ وتقدم اليه كبيرهم وتامل الي الغلام واذا به قرد فهذا ما كان من امرهم

(قال الراوي) فلما رأى ذلك صاح بملىء رأسه على الفقيه اين ابن القاضي فقال له الشيخ هاهو جالس عندك قال له يامولانا هذا قرد قال له هاهو الذى اتيتم به يعني نحن الذى عملناه قردا فعند ذلك تجاوروا الخدام واعلموا القاضي بذلك الشان فامتزج بالغضب وامر باحضار الشيخ فلما حضر قال له اين ولدي فقال هذا هو ابنك

الذى اتانى فقال لا كان ذلك ابدا ولم يعمل هذه المساله الا حكومة ملك الاسلام المعز ايبك فقال الفقيه لا وعزة الله لم يعمل هذه الحكومة الا الوزير بيبرص وان كان لك عندى طلب فها انا وانت اليه فلما سمع منه القاضى ذلك اخذه وسار معه الى الديوان فقال لهم ما الخبر فقال القاضي انا اعطيت ابني لهذا الرجل يقريه فلما كان ذلك اليوم رأيته قردا فقال له الامير بيبرص يا مولانا لا تعجب فلعله امسخ وهذا الفقيه لم له ذنب ابدا فقال له المسخ ممنوع قال لو كان المسخ ممنوع ما كنت كتبت لي خطك وختمك واشهدت به على نفسك ثم انه بعد ذلك انعم على الفقيه وطرد القاضي وصاح فيه وقال للفقيه سر انت الي حال سبيلك وكل من تعرض لك فى سؤال ها نوالى وانا امنعه عنك فدعى له وانصرف الى حال سبيله فهذا ما كان منه قال واما ما كان من الامير فانه لما طرد القاضي ولم ينصره فى شيء فنزل وهو زعلان وصار الى البيت فسالته زوجته عن حاله وقصته فاعاد عليها الخبر فلما سمعت بذلك نزلت وهى مثل المجنونه لا تعقل على شيء حتى اتت الي ديوان بيبرص وقالت له ولدى يا ملك الاسلام فقال لها امسخ وهذا خط زوجك وختمه على ذلك فقالت له ان المسخ لم هو موجود فقال لها ولاى شيء امسخ مال المغربى فقالت له يا سيدي مال المغربى عندى بتمامه اخده زوجى وزن ثقله رصاص و وضعه مكانه وختم عليه كما كان فقال لها امضى واحضرى المال الي ها هنا وخذى ولدك من عندى ففرحت بذلك ونزلت واحضرت المال فاخذه ثم ارسل الى المغربى واحضره وقال له انظر هذا مالك قال نعم فقال له خذ مالك وسير الي حالك فانا والله كنت ناوي احط لك هذا المال من مالى ولم اكسر بخاطرك ولكن خشيت ان يقال فى حقى انني عجزت عن حل مسأله صغيرة فدفعت غرامتها لاجل عجزى وأخذ الغلام وناوله الي امه ثم انه التفت الى القاضي وقال له الآن قد حل عندى قطع يدك كما امر الله تعالى ولكن عفوت عنك لاجل القرآن العظيم والعلم الشريف وايضا لاجل ستر هذه الحرمة فسير الى حال سبيلك والزم بيتك ولا تقرب القضاء لانك لا تصلح له ابدا ثم ان الامير ولي من طرفه قاضى آخر بعد عزله هذا وقد قالت العلما والسادات والله ان هذه الاحكام ترضي الله و رسوله

ثم انه بعد ذلك نفض المنديل تحولت الرجال ونزل ايضا ايبك و رفقاه وقد شاهد الدعوه فسار من ساعته الى الديوان وهو مهموم القلب و رفقاه من خلفه فقال لهم بعد الجلوس والله ان احكام بيبرص طيبه وأما احنا بطالين ولكن اناقد زادهمي منه فقال علاي الدين انا ادبرك على موته فقال دبر قال نجيب كرك رضي وتمزج الياقه بالسم الخارق و نرسله مع على ابن المرضعه اليه يقول له ياسيدي ان ابوك ايبك كان متخفي وحاضر الدعاوى الذى عملتها وقد انبسط وهاهو ارسل اليك كرك رضي فانك تعود الى مكانك فعنه ذلك يفرح بيبرص بالكرك والخادم يوضعه على ظهره ينزل السم على عنقه فيسرى فى صدره يموت لوقته وساعته رحمة الله عليك يا بيبرص والله كان ابن ناس فقال ايبك هذا منصب مناسب اياك يصبح ثم اتى بالسم وسم الياقه وناوله لابن المرضعة وقال له سر الي بيبرص وقل له كذا وكذا فسار على ولم يعلم بشيء من ذلك ودخل على الامير بيبرص فتقدم له وسلم واحسن ما به تكلم واخبر بيبرص بما قال له ايبك فقال الامير بارك الله فى ابى وانى ما علمت هذه الاحكام الا بنفسه هو ودعاه لى ولكن اطرح الكرك يا على فقال له ياسيدى اعطيني الامان فقال له لك مني لامان ولو كان الكرك مسموم قال له نعم هو مسموم يادولتلي ولكن وعزة الله انا لم اعلم بشيء من ذلك الا هاهنا لاني حال ما اردت ان القى الكرك عليك اخذتني سنة من النوم فرأيت الست كريمة الدارين وهى تقول ياعلى انت خادم الملك العادل الذى انت وانف بين يديه فاعلمه بان الكرك مسموم ثم افقت وانت منتظر القا الكرك فاخذت منك الامان واعلمتك بالحال والسلام قال فلما سمع الامير منه ذلك الكلام قال له تعني على تعطى فقال تمنيت على الله ثم على جنابك انا اكون خادمك حتى توار يني التراب قال الامير ان الله اعطاك فقال عثمان هذا ابن المرضعه وعندك ابن الحبله وان شاء الله يأتيك ابن الدايه فهذا ما كان من امر هؤلاء واما ما كان من الامير بيبرص فانه التفت الى العلماء وقال لهم ما قولكم دام فضلكم فيمن يريد قتلى بغير حق ومن غير جناية قالوا له حل قتله فقال لهم اعطوني حجة على ذلك فاعطوه بذلك افتاً فأخذها وسار الى ايبك والماليك معه فلما ان وقعت العين على العين قال له باي

شيء استوجبت قتلي وأرسلت لى هذا الكرك المسموم مع انى والله قادر على موتك وقد افتوا لى العلماء بذلك ولكن عفا الله عنك ثم امر باحراق الكرك قدام ايبك في وسط الديوان ولم يبالي بشيء ثم اشعل النار وحرق الكرك فيها وايبك ينظر ويرى ولم يبدي كلام ابدا فهذا ما كان من امر الامير بيبرص واما ما كان من ايبك فانه التفت الى رفقاه وقال لهم كيف رأيتم فى ذلك وما معكم من الرأى قالوا له ترسل الف مملوك بالسلاح يقفوا له على باب الديوان فاذا نزل ينزل على غفلة ولم يكن مستيقظ لنفسه فاذا رأوه يقطعوه بالسلاح ويطلعوا على حمايتك وأمرك ولم احد يقدر يمانع أمير المؤمنين فى كل ما يفعله فقال ايبك هذا تدبر جامد اياك يصح قالوا جامد ثم ان ايبك دعا بالمماليك ان ارفعوا السلاح والبط واذا عبر عليك بيبرص قطعوه فاجابوه بالطاعة ونزلوا من عنده فلما ان توسطوا الطريق قالوا لبعضهم اننا لم يكن لنا طاقة على بيبرص ولو كنا عشرة آلاف ما يبالي بنا ابدا فانه مستيقظ لنفسه دائما الا سيما فى هذه الايام ولكن من الراى اننا نمضي اليه ونفعل كما فعل على بن المرضعة ونخبره بالحقيقة ونخدم عنده ونرتح من ايبك وذله فقالوا هذا هو الرأى الصواب ثم انهم ساروا عند بيبرص وتقدم كبيرهم وقبل الارض بين يديه وخدم وترجم واحسن ما به تكلم واخبر الامير بالقصة من اولها الى آخرها وكشف له عن ظاهرها وباطنها فقال له الامير وما الذى تريد قال اريد ان اكون انا وهؤلاء المماليك خدامك حتي توارينا التراب فانعم عليهم الامير واكرمهم غاية الاكرام وقال ياعلماء الاسلام هذا يحل لايبك من الله قالوا هذا لا يحل من الله لمسلم ابدا ونحن على ذلك ابحنا اليك دمه والسلام فلما سمع الامير منهم ذلك ركب وسار الى ايبك وقال له قد اباحت لى العلماء دمك واننى اقدر اخلى مماليكك الذى ارسلتهم لقتلي يقطعوك لكن لا بد لى ان ارحل عن بلدك التى انت حاكم عليها ولم اقيم بها ساعة واحدة ثم انه تركه ونزل وصاح ياعثمان فاجابه بالتلبية فقال له جهز مالى ونوالى وغلمانى ورجالى وحين تدق الساعة خمسة من الليل لم ابقى فى المحروسة ابدا فانى مهاجر من مصر قال عثمان سمعا وطاعة هذا وقد جعل يجهز نفسه الى الرجيل وعثمان يجهز الاشغال فهذا ما كان من امر هؤلاء

(قال الراوي) واما ما كان من ايبك فانه التفت الى رفقاه وقال لهم دبروا لي على تدبير اهلك به بيبرص قالوا له تقفل البوابات وترسل تنبيه الى البوابين انهم لم يفتحوا البوابات الا اذا كانت الشمس تطلع وذلك لاجل انك تعوقه عن المسير وترسل من ساعتك هذه الى نياب الارض والبلاد بان كل من يعرف بيبرص ويفعل فيه مكيدة فبلده تكون له اقطاع بلا مال ومن اكرمه او فتح اليه بلده او تلقاه كان جزاءه عندي قتله ونهب ماله وهتك نسائه وتيتيم عياله فقال ايبك تدبير جامد اياك يصح ثم انه امر بالمكاتبات فكتبت وارسلوها في عاجل الحال ثم امر البوابين بما ذكرنا فأجابوه الى ذلك فهذا ما كان من امر هؤلاء هذا والامير بيبرص قد جهز نفسه واقبل الى القلعة وصاح بملء رأسه يا ايبك اني راحل مخاطري ما هو خوفا منك ولا من رفقاك وها انا منتظر في الرميلة من الآن الى بعد العشا بساعتين ان كنت تزعم انك شجاع او عندك من ياتي الى ارسل او احضر انت بنفسك وها انا بمفردي وانت برجالك كلهم ثم تركهم وسار الى الرميله وجعل ينتظر ايبك او احد ياتي اليه من طرفه فما جاءه احد فعند ذلك توجه الامير بيبرص وقصد الخلوات واذا بالبوابات مغلقة فصاح بالبوابين فامتنعوا من الفتح وقالوا له ايبك حرج علينا فقصد الاخرى كذلك والثانية والثالثة فاقبل الي بوابتين من وراء بعضهم وأمر باحراقهم فاشعلوا فيهم النار وخرج هو ورجاله الى الخلوات وامر باحضار أصحاب الاماكن الذين احترقوا مع البوابتين ودفع لهم ثمن اماكنهم ولم يظلم منهم احدا ابدا فدعوا له وعادوا الى حال سبيلهم وسار هو الى العادلية واقام هناك فلما ان اصبح الله بالصباح وردت الاخبار على العلماء والاشراف فلم يرضوا بذلك وقد طلعوا الي ايبك ولاموه وتكلموا معه فقال لهم توجهوا اليه وارجعوه ودعوه يجلس مكاني ملكا وسلطان وانا اكون له خادما من الخدام فسارت اليه العلماء فلما وصلوا اليه تلقاهم واكرمهم غاية الاكرام واخلع عليهم وقد اعرضوا عليه كلام ايبك فقال لهم قد حلفت اني اهاجر من هذة البلدة واسير الى بلاد اخري ولا يدلى من الرحيل فقالوا له الله مجازي كل من كان سببا فى ذلك ثم دعوا له ورجعوا وأعلموا ايبك بانه قد ابى عن

الرجوع هذا وقد ارتحل الاثيم ودق طبل الرحيل ولم يزل سائرا الى ان رحل الي غزة فلما اتى اليها نزل اليه حسان الكردي وتلقاه ولم يقفل فى وجهه ابواب وامر له بالعلوفات وعزمه وقد تقدمت الاطعمة وامتدت الاسمطة وجلس بيبرس ير يد الطعام وقد جلس على راسه وتامل واذا به وجد غلاما من المماليك اشار له بيدة واخرج من قاووقه قطعة من القطن الابيض واخرج الخنجر ووضع القطنة على ذباباته واومى به الى الامير بيبرس فلما راي الامير ذلك علم ان هذا كلام فقال لمن حوله من رجاله وغلمانه اعلموا انى ار يد ان از يل ضرورة فلم احدمنكم يدنو الى الطعام حتي اعود انا اليكم ثم ان الامير نهض على الاقدام وترك الطعام واشار الى ذلك الغلام وقال له ياولدنا ولني الابريق فتبعه الغلام الى بيت الخلا فقال له ياغلام ما معنا هذه الاشاره فقال له اريد منك الامان قال له لك ذلك ثم قال الغلام وانك لاتتركني عند هذا الرجل وترحل من عزه بل تاخذني معك قال له لك على ذلك فقال له قد اشرت اليك انك اذا اكلت من هذا الطعام صار لحمك مثل هذه القطنة لان الطعام مسموم وبالله عليك انك لاتتركني ههنا لئلا يقتلني هذا الظالم ثم الامير بيبرس رجع بعد ذلك وجلس على الطعام وصاح يا حسان قال نعم قال له تفضل هنا لاكل الطعام قال ياسيدى انا صايم ذلك النهار فقال له الامير لقاء الحبايب عيد وانه لايحيي الطعام الا صاحبه فلا بد ان تاكل معنا الطعام وان لم تاكل معنا الطعام فما احد يتقرب اليه ابدا فعند ذلك اصفر وجهه وتغير لونه وامتنع من الطعام فقال له الامير لا بد لذلك من سبب عجيب ثم دعي بقط ورمى له شيئا من الطعام الخنجر فما استقر فى جوفه حتى وقع الى الارض قتيل فقال الامير هذا يحل لك من الله وانت من بيت الاكراد وتفعل تلك الفعال معي باى سبب استحق منك ذلك واذا كنت انا استحق ذلك فكل هؤلاء لايستحقون القتل فكيف تاخذ ذنوب هؤلاء في عنقك ولكن انا اكرمتك لاجل ان عمك الملك الصالح واما انت فرجل خائن ثم نهض الامير واراد الرحيل واذا برجل يقال له الخواجه حسن بن عنكر وهو شيخ شبندر تجار غزه فقام الي الامير وقبل يده وعزمه وقال له ضيف يادولتلي

فقال الامير جزاك الله خيرا يا اخي فقال له لا بد من الضيافة فقال له وصل الجميل فشدد عليه بالضيافة فقال له يا والدى اعلم ان معى رجال كثير عددهم ستين الف خدم ومماليك ومعهم مثلهم من الاتباع وايضا معي مواشي وجنايب وخيول وركايب فقال له والاسم الاعظم الضيافة ثلاثة ايام وفي كل يوم يطلع اليك ثلاثة اسمطه وكلهم من الصيني العال والصيني الذى يتقدم اليك فى الغدا لم يتقدم اليك فى العشا الا يكون صيني غيره ولون غير الآخر وسائر ما معك من الخيول لا يكون علفهم الا من اللوز الاخضر واعلم ان الله تعالى اعطاني وقدرني على ما ذكرت لك يا دولتي قال فلما سمع الامير بيبرس ذلك الكلام تعجب غاية العجب واجابه من ما طلب هذا وقد انزله الخواجه فى دار بها السعد دار عالية البنيان مشيدة الاركان وتقدمت له ولمن معه الاطعمة من سائر الالوان وقد اكرمه غاية الاكرام مدة ثلاثة ايام وذلك رغما عن انف باشت غزه ولما ان كان اليوم الرابع تودع منه وامر بالرحيل فرحل فيمن كان معه من الرجال والابطال وطلب الاودية الجوال فهذا ما كان من حسان الكردى فانه صبر حتى رحل الامير وارسل كتابا الي ايبك يعلمه بكل ما كان منه فى حق بيبرس وبما فعل الخواجه حسن بن عنكر وكيف حلف عليه وكيف اضافه في بساتينه واما كنه فى كامل رجاله فارسل اليه ايبك رد الجواب يقول فيه اقتله واذا منعتك العلما عن قتله انهب ماله ونواله واحرق بساتينه واطلاله ولا تترك له شيئا الا وتاخذه منه فانه يموت بالحيا فلما وصلت الرسالة الى حسان فعل به ما امره السلطان فاصبح بعد الغنا فقير وبعد العز حقير وهو مع ذلك يحمد الله و يشكره و يثني عليه و يصلي على الحبيب محمد يقول هذه الابيات

لك الحمد والشكر حقا والثنا * انت القدير على تفريج كربتي
اوهبتنى فضلا كثيرا ونعمة * افاض عطاى على اهل بلدتى
وما منعت الخلق يوما من العطا * من بحر جودك يا كريم اعطيني
قد حزت مالا كثيرا وعزة * وانت الكريم الحكيم لعزتى

(تم الجزء الرابع عشر ويليه الجزء الخامس عشر واوله وقد شاع الخ)

سيرة الظاهر بيبرس

تاريخ الملك العادل صاحب الفتوحات المشهورة (السلطان
محمود الظاهر بيبرس) ملك مصر والشام وقواد عساكره
ومشاهير أبطاله مثل شيحة جمال الدين وأولاده
اسماعيل وغيرهم من الفرسان وما جرى
لهم من الاهوال والحيل وهو
يحتوى على خمسين جزء

الخامس عشر

«الطبعة الثانية»

١٣٤٤ هـ — ١٩٢٦ م

التزام

عَبْدُ الرَّحْمنْ مُحَمَّدْ
مُلتزم طبع المصحف الشريف بمصر

بميدان الازهر

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

وقد شاع ذكرى بين الوري * وتحدثت باخبارى ا كابر بغيتي
اوقفت بستانا بكل ثماره * على الفقرا حقا بخالص نيتى
وأوهبت ثلث المال حقا على * ايتام ارضى وكل رميلتى
والثلث الثانى لسادتي العلما * من قارىء القرآن حرفا وآية
والثلث الآخر قد صار لي * انا و بيتى وولدى وابنتى
وأنت العليم بقولي مع فعايلى * وأنت الكريم ولك الجلالة
واكرمت الامرا حقا وهيبة * ايام ثلاث ويوم وليلتى
وقد تشمتت بى الاعداء * ففعلوا بى شدايد ذلتى
وهذا من قضائك كان محتم * وكل الامور اليك يارب البرية

فهذا ما كان من امر هؤلاء واما ما كان من بيبرس فانه لما ارتحل من غزه فما صار غير قليل حتى ثار الغبار وعلا وسد الاقطار وانكشف الغبار وبان بعد ساعة لاعين النظار واذا بالفداويه مقبلين عن بكرة ابيهم وكانوا بعض الاتباع اخبروهم بعزل الوزير وترقية الامير فتعجبوا من ذلك واجتمعوا عن آخرهم وأرادوا ان يسيروا الي مصر ليعرفوا ما الخبر فساروا كما ذكر ليعرفوا فوجدوا الامير فى الطريق فسلموا عليه وسألوه عن حاله واخبرهم بالقصة وقال اعلموا انى اريد الرجوع الي بلادي فقالوا والله يادولتلى عدمعنا الي مصر واحنا والاسم الاعظم اقل مافينا يأخذ راس ابيك من على تخته الظهر الاحمر فقال لهم يا اخوانى لو كان مرادى ذلك ما كنت احتجت الى احد ولا أبقيت له ولا اهل بلده اثر ولكننى لم

اريد ذلك ابدا فقالوا والله ونحن لم نفعل شيء الا بمشورتك وارادتك وها نحن بين يديك ومطيعين امرك ولكن ضيف يادولتلى فاضافهم هو ورجاله وصاروا الجميع فى قلعة صهيول وقد تلقاهم عماد الدين واكرمهم غايه الاكرام ولم يزل فى ضيافة الاشراف اربعين يوما وقد آن اوان الربيع قال الامير يامقدم سليمان قال نعم قال له هل تعرف لي وادى يكون كبير متسع لاربع فيه خيولى و بهايمي قال له يااخينا لا تحمل هم ذلك ابدا فانا افرق الخيول والمواشي على القلاع يربعوا و يعودوا بالصحة بعد تمام الربيع قال له ولاي شيء اما تعرف لى محل مخصوص قال يااخى انا لم اعرف محل مخصوص يليق لذلك ولو عرفت كنت اخبرتك الا مثل ما قلت لك فعند ذلك سكت الامير وقد طاب قلبه على كلام المقدم سليمان الجاموس (ياساده) ولما ان جن الليل خرج الامير الى ظاهر قلعة صهيول الى الخلوات وصار يدور حول الخيام فبينما هو دائر واذا برجلين من الاتباع جالسين على اطراف الخيام وهم يتحدثون مع بعضهم فدنى الامير منهم بحيث يسمع كلامهم وهم لم يروه وقال احدهما للآخر يااخى قال نعم قال له هذا اليوم الماضى طلب الامير بيبرص من خوندنا وادي يربع فيه الخيل فانكر منه ولم ضي يخبره قال له ولاى شيء ذلك قال له لا ادرى يااخى بما اسره فى قلبه قد يمكن انه يكون زعل منه ومراده يرتحل عنه مع انى اعرف وادى متسع كثير النبات والكلا والمرعى وفيه البرسيم طول الفارس بفرسه والخوند يعرفه جيد قال له يااخى وما هو ذلك الوادى قال له وادى يقال له فرسيس وما بينه وبيننا الا ساعتين اثنين قال فلما سمع بيبرس كلامهم اسره فى نفسه هذا وقد قال له الآخر دعنا من ذلك لئلا يكون هنا وشي او رقيب يخبر الخوند بكلامنا فيقتلنا فسكتوا عن الكلام وانصرف الامير بيبرس

(قال الراوى) وكانوا هؤلاء الاثنين جوان والبرتقش الخوان وكانوا جايزين طريق فتنكروا فى صفة اتباع ودخلوا يكشفوا خبر القلاع فوجدوا الامير بيبرص هناك برجاله فسالوا من الرجال فاخبروهم بما كان من ايبك والفقيه التى تقدمت حكايته فقال جوان للبرتقش ياسيف الروم نقيم ها هنا عسي ان يظهر لنا فى

بيبرص مكيده او تدبير فاقاموا بين الاتباع حتى سمموا الامير يسأل المقدم سلمان فصبروا حتى جن الليل وارتصدوا الامير ان يخرج فلما خرج تكلموا فى شان ذلك الامور ولما علموا ان المكيدة تمكنت ارتحلوا من ساعتهم وساروا الي حال سبيلهم هذا ولما ان اصبح الله بالصباح واضاء الكريم بنور ومولاح ودخل الامير على سليمان وسلموا على بعضهم البعض فقال الامير بيبرص يا اخى انا اسألتك عن مكان تربع فيه خيلى فما افدتني بشىء وانا قد عرفت وادى يليق بالمواشى فقال له ماهو يا اخى قال وادى فرسيس فلما ان سمع المقدم سلمان ذلك الكلام قال له يا دولتلى من الذي اخبرك بذلك الوادى والاسم الاعظم ان الذى ذكر اليك ذلك ماهو حبيب بل من اكابر الاعداء فقال له ولاى شىء ذلك قال له اعلم ان ذلك الوادى بين اربع جبال وعلى كل جبل منها قلعة كبيرة تحتو يه على جملة من الكفار الساكنين فى الخلوات الخائنين الرفيق القاطعين الطريق يقتلون وينهبون ويتحصنون فى قلاعهم شاهقة على رؤس الجبال ولم احد يقدر عليهم وقد ماتت الرجال المعدوده بحسرة ذلك القلاع فلما ان سمع الامير ذلك قال والاسم الاعظم لم يربعوا خيلى الا هناك فقال له المقدم سليمان الجاموش واكابر الرجال يا دولتلى طاوعنا وكفر عن اليمين وارجع عن ذلك الوادى فقال لهم لا كان ذلك ابدا فقالوا له ونحن والاسم الاعظم الاكرم الامجد انك اذا حصل لك امر يخل بالمقام لم ننجدك ولا نسأل عنك لانك الجانى على نفسك فقال لهم لا عانه من اكدوالنجده بالله ثم ان الامير امر بالتجهيز والتحميل ولم يعلم ماقدر عليه اللطيف الخبير وسار برجاله وابطاله وخيوله وجماله وماله ونواله وسار ولم يزل سائر الي ان وصل الي ذلك الوادى وعثمان يبكى وينوح فيقول له الامير ما يبكيك ياعثمان قال عثمان انا ابكى على خلق الله لانك انت مخالف وخلفك يجيء على رأسك وعلى راس اولاد الناس فعند ذلك صاح الامير فيه ولما ان نزل فى ذلك الوادى رآه بين اربع جبال متسع الجهات كثير الكلا والاعشاب والنباتات فنزل الامير للراحة ومكث اول يوم والثانى ثم امر بقسم الرجال قسمين وكان عددهم اربع وستون الف فارس فاخذ ثلاث وثلاثين وترك الباقين وقال لهم قيموا انتم ها هنا عند المال والنوال وانا اسير

بهؤلاء حتى اري آخر ذلك الوادى ثم صار يصف العسكر اول يوم والثانى والثالث وهو لم يرى لذلك الوادى آخرا ابدا فعند ذلك ضجرت نفسه من السير وطلب العودة والرجوع وشكت اليه العساكر من كثرة التعب فنزل فى وسط الوادي باقى يومه وليلته (ياساده) وقد نامت العيون ونام تلك الليلة الامير فبينما هو نائم فى منامه اذ رأي كأن نارا انزلت من السماء وحطت فى عساكره احرقتهم عن آخرهم فاستيقظ مرعوبا وامر بالرحيل وركب طالب اثر العسكر وصار يقص منامه على عثمان لانه كان لم يرضي يقيم عند العسكر فلما سمع عثمان من الامير ذلك الكلام صاح بملء راسه وقال آخ ياصندوقى وحمارة عقيرب ياعثمان قال له الامير اعزمن مالي يعني ايش يكون صندوقك وحمارة عقيرب قال عثمان مالك لم يجى قيراط من الف قيراط يادولتلى هذا وهما سائرين مجدين الى ان اقبلوا الى القلعه الذى كانوا نزلوا فيها ونظر الامير واذا القتلا كيمان والدما كالخلجان والحصا كالمرجان فلما عاين الامير ذلك صاح واعباد الله لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وكاد ان ينفطر من ساعته فلما رآه عثمان على ذلك الحالة صرخ عثمان وحط التراب على رأسه آه يا صندوقى وحمارة عقيرب ياريت كل المال راح والصندوق فضل يادولتلى وما فعل عثمان ذلك الفعال الا حتى رأى الامير وماقد رآه من تلك الاهوال وصار عثمان يصيح والامير يقول والاسم الاعظم ان رد الله على مالى لادور على حمارة عقيرب وصندوقك قبل ان ادور على مالى وما تملك يدى اسكت ياعثمان هذا وعثمان يزيد والامير يحايله ويطيب خاطره وقد نسي ما نوصل به من البلا

(قال الراوي) وكان السبب فى ذلك ان هؤلاء الاربع ملوك الذين ساكنين في ذلك الجبال لما نظروا الى الامير بيبرص وقد نزل فى مكانهم اجتمعوا على بعضهم البعض وقد اتفقوا على كبستهم فصبروا الى ثالث الايام ينتظرون غفلة منهم وقد ارسلوا الى مؤنس فعاد اليهم واخبرهم برحيل الدولتلى الامير بيبرص عنهم فاغتنموا الفرصة ونزلوا اليهم وهجموا عليهم وبادروهم وهم نيام عن آخرهم لانهم قد انطبقوا عليهم من الاربع جهات وهم غافلين غير متأهبين فما لحقوا ان يستعدوا

حتى فرغوا منهم فما قولكم (ياساده) في اربع كرات نزلت بعدها على طائفة يسيره راقدة في نومها وقد اعياها من السفر ما احل بها ثم ان الملوك اخدوا المال والنوال وتركوا القتلاء ملقين وعلى وجه الارض مجندلين قد رأي بيبرص المنام الذى قدمنا ذكره وعاد على اثره فرأى تفسير منامه كما قد منا فتعجب من ذلك وتأسف وقال ليتني طاوعت الاشراف ولكن قد كان الذى كان ثم نزل على جواده وتقدم الى الاموات وصار يتأملهم واذا به رأى رجلا منهم يتردد فى نزع الروح فأمر باحضار شيء من الماء وجعله على وجهه فانفتح عيناه وانطلق لسانه فقال اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمد رسول الله من هذ الذى فعل بى هذه الفعال وقد كنت اشاهد ذو الجلال ومرادى خروج روحى فردها على فقال له الامير ماذا جرى عليكم فى غيبتى فاخبره بالقصة ثم فهق فارق الدنيا فلما ان سمع منه ذلك الكلام قال له وكيف يكون الرأى ياعثمان قال عثمان لو كنت وجدت صندوق وحمارة عقيرب كانوا ينفعونى فى ذلك الوقت فقال له الامير ياعثمان صندوقك فيه جواهر قال عثمان اعظم قال له حمارة عقيرب بنت حمارة العزيز قال عثمان احسن فقال الامير لله على نذران د الله على مالى ونوالى فقبل ان ادور على ماذهب منى فلا بد أن ادور على صندوقك وحمارة عقيرب قالوا ولولا ان عثمان فعل معه ذلك الفعال لكان ادركه الوبل فى ساعة غارت ذلك الاهوال ثم قال عثمان انت لم رضيت بكلام المقدام ولم وعيت دلك ثم قال ياعثمان هذا المال اعطانيه ربى وانا والاسم الاعظم الا كرم الاجد لم اروح من هذا الوادي الا اذا كان يأتى الي مالى اومال اكثر من مالى قال عثمان واولداه عليك يا أشقر ياغارة صندوقى وحمارة عقيرب قال وصار عثمان يذكر لسيده ذلك الكلام لاجل ان ينسيه ماله وماجرى على رجاله وكل ذلك مكاشفة من عثمان (ياساده) ولما كان وقت الزوال من ذلك النهار اقبلت المماليك والغلمان الي الامير وقالوا له جعنا يادولتلى قال لهم الامير وقد تاسف وضرب يد على يد والله لم بيدي حيلة ولكن سيروا الى عثمان فساروا اليه فاخبروه فنهض عثمان فقال مرحبا ياجدعان هاتوا القزان الكبير فاتوا كبير فملاه ماء وكان عثمان من مكاشفته قد أخذه معه قبل رحيله ولولا ذلك لما ابقوه

الـكفار ثم اوقدوا عليه النار حتى غلا المـاء وأخرج قرقوشة حرمدانه من الثلاثة قراقيش الذي كان سرقهم من الملك الصالح ليلة المعـاهدة معه هو و بيبرص كما قـدمنا كتابنا وقد مسكها بيده وقد قرأ عليها الفاتحة أم الـكتاب واسقطها فى ذلك القزان وقال تحرك يا بواجوطه يا تيس آدى وقتك يا اخي ثم قال للمماليك مانا كلون قالوا له نريد ان نا كل مسمونية بالسمن البقرى والعسل النحل الا بيض فقال لهم مرحبا وغرف من ذلك الماعون فطلعت ميمونه عظيمه وكفت الرجال ذلك اليوم واكل هو وسيده آخرهم وحمدوا الله تعالى وثانى يوم كذلك وقد نفذوا الثلاث قرايش الذين كانوا عنده فلما ان كان رابع الايام اتوا اليه المماليك فقال لهم عليكم بعثمان فاتوا اليه فقال لم بقى عندى شىء ابدا ارجعوا الي سيدكم بيبرص فرجعوا اليه ثانيا فقال له يا عثمان قال عثمان لم عندى شيء ابدا قال له يا عثما خذ هذا الـكتاب وسير به الى حلب اعطيه الي نايبها يعطيك اياه وتعالي فقال عثمان سمعا وطاعة ثم اخذ الـكتاب وسار ولما ان كان فى وصل الطريق قال فى نفسه يا خبرشوم يدق المراغة والقبر الطويل اروح اشحت من نايب حلب لا وسرها فى مقامها ثم ان عثمان حل المنطقة من على حزامه وهي التى كان عملها من مال بيبرص الذى قدمنا ذكرها فى ديوان بيت ابن ابادبس السبكى ونزل بها الى سوق حلب وناولها الى الدلال واخفى الـكاب فى جيبه فلما اخـذها الدلال صار يقلبها يمينا وشمالا ثم التفت الى عثمان وقال له هذه كلها فصوص قزاز قال له نعم قال له اذا جابت كام نصف فضه ابيعها فقال عثمان انا كل حاجة كانت عندى ابيعها بقرش ولـكن شق بها واذا برجل خواجه اقبل الى ذلك الدلال وأخذ منه المنطقة وقال له اتينى بصاحبها فقال له الدلال والله ان الرجل يظهر عليه انه حرامى ثم سار الى عثمان وصاح فيه وقال قم كلم الخواجه فسار عثمان معه وهو غايب عن الدنيا لاجل خاطر سيدة والدلال براجعه بالـكلام حتى اقبل الي الخواجه فنهض له وقبل يده وسلم عليه سلام الاحباب وقال لعلك سيدي عثمان بن الحبلة قال عثمان كفى الله خبرها الذى قالت لك واجب عليها قال وكان السبب في ذلك ان رجلا يقال له فخر الدين السحرتى من ارض سحرت العجم وكان ذلك الرجل قليل الذريه

فطلب من الله ان يرزقه بغلام يعلمه التجار قو يصير مثله شبندر تجار فتقبل الله منه دعائه وحملت زوجته واتت بغلام فسماه شمس الدين السحرتي فلما ان اشتد حزم متاجره واخذ الغلام معه وسافر من بلد الى بلد حتى اتى الى حلب و نزل في خان من جملة الخانات وشمس الدين معه وقد بلغ مبالغ الرجال فلما ان كان تلك الليلة راى فخر الدين منام وهي ان السيده نفيسه رضي الله عنها تقول له يافخر الدين غدا يأتيك تابعي عتمان بمنطقه يطلب بيعا فاعطيه الف جمل ورد اليه المنطقه فان اتاك بها ثانيا فاعطيه مثلهم ولا تأخذها منه ثم انك لا بدلك من المسير الي ارض الحجاز فاوصي ولدك شمس الدين انه اذا جاءه بها ثالث مره انه يأخذها منه و يعطيه الزخره ويجعل المنطقه عنده في صندوق الي ان يأون الاوان واني ابشرك بان ولدك يصير شريك السلطان بيبرس سيدى عتمان واخيه قال فلما انتبه من منامه عبر الى السوق وصبر حتي اقبل عتمان وسلم عليه واعطي له لزخرى والمنطقه واعطى الدلال خمسة دراهم هذا وقد فرح عتمان بذلك وعاد الي سيده وهو فرحان وقال لسيده انا اتيت بهذا من عند باشت حلب ففرح الامير بذلك وحمد الله تعالى وقد كفي العسا كر ايام قلائل ثم ارسله بكتاب ثاني الى باشت حلب فأخذه وسار الى فخر الدين بالمنطقه فاعطاهم زخرة ثانية ورد عليه المنطقة فعاد عتمان وكان ذلك أوان الحج لان رجب كان قد استهل فتوجه الخواجه فخر الدين الى الحجاز وأوصي ولده شمس الدين السحرتى على عتمان وقال له اذا اتاك خذ منه المنطقه واجعلها عندك في صندوق وادفع لعتمان مايريد فلما توجه الى الاقطار الحجازيه وقد فرغ الزاد من عند رجال الامير بيبرس ارسل الى نايب حلب كتاب ثالث فسار عتمان الى شمس الدين فرأى والده سافر الي الحجاز فاعطاه المنطقه فاخذها منه واعطاه زخرة كبيره فاخذها عتمان واراد ان يسير فقال له الخواجه شمس الدين ادع لنا ياشيخ عتمان فقال عتمان اسأل الله العظيم ان يرزقك بتهمة باطله و يأمر الملك بقطع رأسك وآجي انا واخلصك لاجل ان تكون جميله فقال شمس الدين لاحول ولاقوة الا بالله العلي العظيم ليتني ماقلت ادع لي ثم ان عتمان سار الى سيده واقاموا الرجال يأكلون في ذلك مدة ايام حتى نفذ

فاراد ان يكتب جواب رابع فقال عتمان لا نكتب واعلم باني ماسرت الى باشت حلب ابدا وها هو أول مكتوب وهذا الثانى والثالث ثم رماهم له وقال له اعلم انى بعت المنطقه ومابقي فى الامر الا انك تسير الي الفداويه وتكفر عن يمينك بالصوم ثلاثة ايام فقال له الاميرانا لم افعل ذلك ابدا فقال له عتمان جاتك داهيه من دون الناس كرهث الناس فيك ياعفش وقتلت الرجال بشورتك النجسة فاغتاظ الامير من كلامه وحط يده على السيف فطلع عتمان يجرى والامير خلفه وهو طالبه ومازال طالبه حتى تعلق برأس جبل هناك فتركه الامير ورجع عنه وهو باكي العين حزين الطرف وهو يتأسف على ماجرى له فهذا ماكان منه واما ما كان من امر عتمان فانه سارحتى توسط الجبل الذي كان صعد عليه فتامل واذا به يرى خياما منضوبة وقباب مضروبه وهناك رجال وأى رجال وتامل في الصيوان فرأى رجلا ذوهيبة وجلال فتقدم اليه عتمان فلما راه قام وتلقاه وقال له ياسلطان من أي البلاد انت فقال له انا اسمى عتمان بن الحبله بيتنا في المراغه والقبر الطويل ولنا عبد اسمه فرج وفي اذنه حلقة فضه وعلى باب بيتنا قنديل قال له وانت شبعان ام جيعان قال له جيعان قال له جيعان فاشار الى الرجال فاحضروا الطعام بين يديه فلما نظر الاكل بكى فقال له لاي شيء تبكي فقال ابكى على اخي فان له ثلاث ايام بالجوع هو ورجاله فقال له ما اسمه قال اسمه بيبرص قال له من أى البلاد قال له اصله من العجم وتربى بالشام ولبس وزير بمصر وعاد من هناك وقد نهب ماله قال فلما سمع ذلك ايقن بذكر الامير بيبرص حمد الله تعالى وقال ان الله قد قرب لي البعيد وعزة الله انا ما اتيت من بلادي الا لاجله وبسببه انزل واتيني به فنزل عتمان وسار الى سيده وقال له قم جاك الفرج القريب فنهض الامير على الاقدام وسار مع عتمان الى عند القان فسلم عليه فقام له وقبله بين عينيه وقال له ياسلطان ربنا قرب البعيد اعلم اني ما اتيت من بلادى الا لاجلك فقال له وما السبب فى ذلك ياسيدي وانت من تكون وما يكون اسمك قال اسمى القان بركاخان ولي حكاية من العبر اعلم اني انا من مدينة يقال لها اصبهان العجم وبمملكة تبريز العجم رجل رفضي يعبد النار دون الملك الجبار فيوم من ذات الايام مسك المقشط

و برى القلم وقطعه لاجل الكتابة فانجرح اصبعه فنزل الدم على الورق الابيض فالتفت الى وزيره وقال له هل يوجد بنت تكون بيضاء مثل الورق الابيض هذا ولها خدود مثل الدم الاحمر هذا قال له الوزير اعلم انه لم يكن موجود بهذه الكيفية فى ارضنا هذه كلها الا بنت يقال لها تاج بخت وهى بنت القان بركا خان فلما سمع ذلك كتب كتاب وارسله الى يقول فيه خطابا من القان هلاوون الى بين ايادى القان بركا خان ساعة قراءة تلك الكتاب ارسل بنتك الى عندى اعملها مرزبان فاذا لاقت بعقلى ارسلت لك عشر خزنات مال وان لم تعجبني ارسلها اليك ومعها خمس خزن من المال نظير خرق التنور شكرا للنار والسلام فلما قرأت الكتاب يا سلطان اخذتني الحمية لدين الاسلام وقلت الثلاثة النجابة وارسلت اليه الرابع بردا الجواب وقلت فيه ان الاسلام لا يحل لهم ان يتزوجوا بالكفار فاذا اردت ذلك فاسلم واعبد الله تعالى وانا اعطيك اياها بغير مهر ويكون مهرها عندي اسلامك فلما سمع ذلك اغتاظ وامر العسكر بالتجهيز للحروب وقد بلغني من بعض الجواسيس انه راكب على ركبتين فى مايه وستون الف من الروافض فلما بلغ ذلك اجنادى وكان عددهم اثنين وستين الف فقالو لا طاقة لنا بهلاوون غير اننا نقاتل طوعا لدين الاسلام حتى اننا نقتل عن اخرنا وتهتك نساؤنا وتيتم اولادنا و ياخذوهم اسارى من بعدنا فلما سمعت منهم ذلك قلت لنفسي لا يحل من الله انى اهلك هؤلاء بسبب ابنتى ثم ركبت من ساعتي ومررت فى بلاد العجم وجعلت اقع في عرض الملوك ان يحموني من القان هلاوون فيقولون لى نحن لم لنا طاقة به ابدا فسرت حتى دخلت الى خوارزم ووقعت في عرض الملك شاه جمك فقال لي لم يحميك من هلاوون و بذله الا ولدي الامير محمود بيبرص وهو الان فى مصر له كلمة تسمع وحرمة ترفع وان هلاوون تحت ذله هو وغيره باذن الله تعالي فلما سمعت ذلك جمعت مالى ونوالى وما تملك يدى وسرت الى مصر فلما ان تقربت من الشام دخل على رجل درويش من السواحين وقال لى ان كنت تطلب بيبرص فهو فى وادى فرسيس وقد نهب ماله ونواله وحلف ان لا يبرح الا اذا عوض الله عليه بمال غير ماله واكثر فانيت الى هاهنا وقابلني عثمان واعاد على القصة وكان من الامر

ما كان وقد اجتمعت بك وسالتني اخبرتك و بعد ذلك فمالي ونوالي و نوق و جمالى واولادى ورجالى وغلماني وسائر ما تملكه يدى هو من عندى اليك هبة كريم لا يرد فى عطاه وابنتي ايضا خادمة من غير مهر ولا صداق فقال له الامير جزاك الله كل خير ولكن اذا كان ولا بد من زواجي ابنتك فلي عليها شروط ان رضيت بشروطى تزوجت بها وان لم ترضى بشروطي فلا حاجة لي بها فقال ها هى خلف الستار فحدثها بما تريد من الشروط واسألها عن ما شئت ثم صاح عليها يا تاج بخت قالت لبيك يا ابتي قال لها كلمى سيدك الامير بيبرص قالت نعم يا دولتلى قال لها الامير هل تحفظين القرآن قالت نعم قال لها هل تدري شيئا من العلوم قالت نعم قال اذا سألتك عن شيء تجاوبينى قالت اسال عما تريد قال اسألك عن واحد ليس له ثانى قالت له قل هو الله احد قال لها اسالك عن اثنين ليس لهما ثالث قالت له قال الله تعالى يولج الليل فى النهار و يولج منها ر فى الليل وقال تعالى وسخر الشمس والقمر وقال تعالى محمد رسول الله فقال لها صدقت كل اثنين من هؤلاء مالهما ثالث قال لها اسألك عن ثلاثة ليس لهن رابعة قالت له قال الله تعالى الطلاق مرتان فاذا وقعت الثالثة لا تحل له حتى ينكحها غيره وقولا آخر قال الله تعالى فكفارة ايمانكم ثلاثة ايام فقال لها صدقت اسالك عن اربعة ليس خامس قالت له المذاهب اربعة والكتب اربعة والملائكه المقربون اربعة والاقطاب اربعة و لاشهر الحرم اربعه فقال لها صدقت اسالك عن خمسة ليس لهن سادس قالت له الصلوات خمس والاوقات خمس قواعد الاسلام خمس قال لها صدقت وستة ليس لهن سابع قالت له الجهات ستة وهم الشرق والغرب والقبلي والبحرى وفوق وتحت أو تقول اعلى اسفل او تقول الشمال والجنوب قال صدقت ما تقولي فى سبعة ليس لهن ثامن قالت له هذا شيء كثير الاقاليم سبعه والاقطار سبعة والكواكب السياره سبعه وابواب النار سبعة والليالى سبعة والايام سبعة والعقبات واعضاء السجود سبعه والبحار سبعه ومثل ذلك فكثير قال صدقت اسالك عن ثمانية ليس لهن تاسع قالت له حملة العرش يوم القيامه ثمانية وابواب الجنة ثمانيه قالت صدقت اسالك عن تسعة مالها عاشر قالت له مدة الحمل

وعدة الارهاط قال صدقت وعشرة مالهن احدي عشر قالت له العشرة الكرام قال صدقت واحد عشر ما لهن اثني عشر قالت له هؤلاء الاسباط اولاد سيدنا يعقوب على نبينا وعليهم افضل الصلاة والسلام قال صدقت لو اثنى عشر مالهن ثلاثة عشر قالت له ساعات الليل اثناعشر وساعات النهار اثناعشر والجلالة مع محمد رسول الله اثنا عشر كل لفظ منها اثناعشر ثم انه سألها أربعة وعشرون مسألة وهي تجيبه فانشرح باله وخاطره من ذلك ثم قال لها لي عليك شروط قالت له قل شروطك حتى اسمعها ولي انا الاخري عليك شروط سوف اذكرها اليك قال لها اذا اعطاني ربي وبقيت ملكا وسلطانا ابات عندك كل شهر ليلة واحدة عند استهلال الشهر قالت رضيت بذلك ثم قال لها الشرط الثاني ليلة مبيتي عندك اسمع القرآن من أربعين بنت في السرايه بدلا عن الاآلات والملاهي وغيرها قالت نعم قال لها اذا انا تكوني ملازمة على الصلوات والزكاة والصوم قال لها واذا اطلت السراية وعرضت لي حاجة انزل اليها قالت واجب ولو كان نصف الليل ثم انه اشترط عليها اربعة وعشرون شرطا وهي ترضى بها ومامن شرط الاوله ذكر يذكر في امكانه بعون الله واحسانه ثم قال لها وماشروطك انتي على في ديوانك كون انا الاخرى لي ديوان فى سرايتي مثل ديوانك بالرجال يكون ديواني نسا لهم قال وجب ثم قالت له اذا كنت جالس واحتجت انا الى طلوعك الي السرايه ونزل اليك الى الاغا بالمزد والبابوج فهذا اشارة اطلع كلم فى السراية تترك الكرك على الكرسي وتطلع في ساعة الحال قال لها وجب قالت له اذا عرضت عليك دعوة وتعسرت عليك ولم قدرت على فكها ارسلها الي وأنا افكها قال لها وجب قالت له لي عليك شفاعة لا ترد فى كل يوم قال لها وجب ثم انها اشترطت عليه اربعة وعشرون شرطا ووجب لها فيهما ثم بعد ذلك قرئت الفواتح وطلب الكلام ثم انه ارسل الى حلب واتى منها باربعة من العلماء وعقد العقد عليها بعد ان امهرها واعطا العلماء شيأ كثيرا فدعوا لهم وانصرفوا الى حال سبيلهم فهذا ما كان من امرهم (قال الراوي) وأما ما كان من امر الامير بيبرس فانه ارسل الى باشت حلب كتابا يقول له اخلي لي مكان اعمل فيه الفرح وادخل فيه على زوجتي و بعد

ذلك ارحل عن بلدك وأرسل اليه ذلك الرسالة فلما وصلت اليه اجابه الي ذلك
ورد له الجواب بالمجيء والحضور ففرح الامير بذلك وامر بالتحميل فحمل
وسار فلما وصل حلب امر بالتعاليق والمهرجانات ففعلوا ذلك ولما ان
استراح الامير كتب كتابا الى اخواته الفداوية وأرسله اليهم مع عثمان وقد
قال فيه خطابا من اخيكم بيبرس الى بين ايادي الاشراف نعرفكم اننا نزلنا
بوادي فرسيس انتهب مالنا ونوال الناومات منا اثنين وثلاثين الف مملوك وحلفت بالله
العظيم لم انتقل من هناك الا اذا كان ربنا يعوض علينا باكثر من مالى وقد استجاب
ربي سؤالى واعطاني مالا اكثر من مالي وعسكر اكثر من عساكري وتزوجت
ببنت القان بركاخان وذكر لهم في الكتاب ماقد جرى والآن فاني ادعيكم الى الافراح
والليالي الملاح والسلام على نبي تظلله الغمام فلما ناوله الكتاب الى عثمان قال له لا تخبر
الرجال بما جري علينا فقال عثمان سمعا وطاعة ثم سار من تلك الساعة الي ان وصل اليهم
فقابله سليمان الجاموس فقال اهلا بالشيخ عثمان ما حال سيدك قال بيشحت ولا بقا
عندنا مال ولا نوال ولا شيء ينقره الطير فلما سمع سليمان ذلك قال لا حول ولا قوة
الا بالله العلي العظيم ماذا جرى لكما يا شيخ عثمان قال عثمان ما جري من اوله الى آخره
فتأسفوا على ذلك وقالوا هل اتيت بكتاب يا عثمان قال نعم وناوله الكتاب فقرأ
الكتاب وجده بخلاف ما قال فشخص له بعينه فقال عثمان اقرأ هنش يكومك الجدع
الشاطر يذكر المغلوب قبل الغالب به هذا وقد جمعوا الرجال وقرأوا عليهم الكتاب
ففرحوا بذلك وأخذوا في تجهيز الهدايا اليه فهذا ما كان من امر هؤلاء يا سادة ولم
تكن الايام قلائل وتجهزوا عن آخرهم وطلبوا السير حتى وصلوا الى حلب
وتلقاهم الامير وسلموا عليه واكرمهم وسألوه في حاله فاخبرهم بالامر الذي قدمنا
ذكره ثم اقيمت الافراح ثلاثين يوما ودخل الامير على زوجته في ليلة قبة الزفاف
فوجدها تنجلى كانها غصن بان على كثيب من الزعفران كما قال فيها الشاعر هذه
الابيات

مفتاح كنز صحيح الشفا فيه * ايضا وجسمه حاز الشفا فيه

هـداية الشمس مصباح بغرته * توردهمن ضياء الاقمار ترضيه
جمـاله اجمـل الدنيا بزينتها * وهو المنزه عن وصف مفتيه
وفوقه جامع محراب حاجته * ونحو قبلته ذلك الوجه توجيه
حارقلبي بمن قـد رمت مأربه * برد اللما بفتور الجفن تحميه
شفة مبسمه الضحاك انشدني * عن المبرد قولا يأتي يرويه
قل للذى ضل عن شرع الهوى * لا تأخذ المـاء الامن مجاريه
ايا جميلا حوي كل المعانى * ولطيفا حرنا كلنـا فيـه
اصلح لنـا بوصلك يوما * لعل الداء يبرى من مداويه

ثم انه دخل عليها فوجدها درة ماثقبت ومطية لغيره ماركبت وقد علقت منه من ليلتها صارت على دماء الافلاح ثم بعد ذلك جلس الامير بيبرس مع الرجال بعد الدخول سبعة ايام فقال له نائب حلب ياسيدي بيبرس اذا علم ابيك بمـا فعلت معك من الاكرام كان يقتلني اشرها قتـله وما فعلت ذلك الا لاجل خاطرك انت وهؤلاء الاشراف (قال الراوى) وانه لم فعل ذلك الا من خوفه من المقادم والا ما كان اكرم بيبرس ابدا فقال الامير له جزاك الله خير ولا بد من رحيلى بعد ثلاثة ايام ثم انهما ياتوا على ذلك الى ثاني لايام واذا بالغبار ثار وعلا وشـد الاقطار وانـكشف الغبار عن رجال واى رجال وهما اربع كرات وقـد حطوا على ارض حلب ار بع ملوك وصحبتهم جوان والبرتقش فعند ذلك غلقت الابواب وقد ارسلوا الجواسيس الى ذلك الرجال فعادوا واخبروا بان هؤلاء الاربع ملوك الذى فى فلا فرسيس وكان السبب فى مجيئهم الى ذلك المكان اللعين جوان وانه لمـا كان هو وغلامه فى صفة تبع من الاتباع وتـكلموا عـما كان منهم فى سابق الديوان وصار بيبرس الى ذلك الوادى صاروا الاثنين الي الملوك وأغروهم على نهب مال بيبرس وقتـلوا رجاله ففعلوا ما قدمناذكره وأحضروا المـال والنوال وارادا القسمه فقال جوان هذا لايحل لـكم من المسيح تأخذوا المال وصاحبه موجود اعلموا ان المال معادل رأس بيبرس والرأى عندى ان تجمعوا رجالـكم وتسيروا الى ارض حلب وتغزوا

لكم غزوه فى سبيل المسيح وهاهو هناك والمسيح اخبرني انكم منصورين عليه وبعد موته تقسموا ماله ونواله وانتم عليكم الجهاد وانا على الدعا شكر يا مسيح فلما نسمعوا كلامه اجابوه بالسمع والطاعة وأخذوا المال والنوال وجعلوه فى اماكنه وصاروا طالبين ارض حلب وحصروا عليها فهذا كان الاصل والسبب هذا وقد قال له البرتقش ولاى شيء فعلت ذلك قال له ياسيف الروم استادك لم له خير فى الكفار ولا له خير فى الاسلام واني قد عرفت ان هؤلاء قتلوا من المسلمين شيئا كثير وما مات منهم الا واحد وأخذوا المال وأخرج من عندهم وهم بخير لا وحق المسيح لا بد ان اهلك الجميع (ياساده) ولما ان دخلت الاخبار على الامير بيبرس بان الملوك الذى بفرسيس ركبوا على حلب فرح فرحا كثيرا واقسم ان لا ينزل الي الميدان احدا غيره ثم انه فى ثاني الايام ركب جواده وامر بضرب الطبول فدقت وابتدر الامير الي الامير الى الميدان فابتدرت اليه اللثام وكان اول ما ابتدا اليه ملك من الاربعة فما تركه ان يحول معه فى الميدان حتى قابله بحد الحسام اطاح راسه عن الهيام عند ذلك تصايحت الكفار وابتدروا الى الجال وتصارخت الملوك واحتاط بالامير كل غني وصعلوك والامير تكبب وارتمى وقرأ آية معظما واكحل للبغضين بالعمى وعضت الخيول على الالجمي وتصايح الاميرعليهم الله اكبر وقد ادركته اولاد اسماعيل على الخيول السوابق واحتاطوا بالكفار مثل الاسوار ومازال الحرب يعمل والنار تشعل والكفار تتحندل حتي ولى النهار وارتحل واقبل الليل وانسدل وارادوا الكفار الانفصال فما رضوا الرجال بذلك الحال بل زادوا في القتال لان فى قلوبهم منهم النار التي لا تطفى واللهب الذى لا يخفي لانهم على كل حال كانوا محصنين فى اماكنهم واليوم اتوا الى هلاكهم بانفسهم ولما ان رأى جوان الى ذلك قال ياسيف الروم قال له نعم قال له هات الحارة الزيتونية قال البرتقش لاي شيء قال له دعنا نسير من ها هنا لاني اذا وقعت فى يد بيبرس يقطعني فى ساعة الحال لانه لا يدرى كتاب يونان ولا غيره قال البرتقش خليك لتاخذ جبر الخاطر قال له اخرص يا كناس ثم اخذ برتقش وانسل من المعركه الى حال سبيله (ياساده)

هذا والرجال تقاتل حتى طلع النهار وقد بقت مقتله عظيمه ثم ان الكفار تقسمت على اقسام من اسلم سلم ومن جهل ندم ومن ابى اخذوه على حدود السيوف ولموا الاسلاب والغنايم وكان شيء كثير ثم ان الامير اخذ الرجال وسار الى ذلك القلاع فاخذ مافيهما من الاموال والغنايم واسر مافيها من الولدان والنسوان وامر بهدم القلاع يهدموهما فى عاجل الحال وقد احتوت يده على جميع ماذهب منه وماجمعوه هؤلاء الملوك فى مدة اعمارهم وسار طالب حلب فلما وصل فرق واعطى واوهب وقد زال عنه العنا وادركه المنا وحل اليه الهنا وجلس الامير مع الرجال فهنوه بالسلامه والغنيمه وقال له يادولتلى قد رد الله ليك مالك ونوالك وزاد الله عزك واقبالك قال يا اخواتى مابقى الامر الا شيء واحد وهو ان عثمان لم صعب عليه الا صندوقه وحمارة عقيرب وانا حالف يمين انى اذا رد الله على مالى ونوالى لم ادور على شيء قبل هذا الصندوق والحمارة ففتشوا يا اخوانى عليهما فعند ذلك دار التفتيش حتى اتوا الامير بهما فتامل الى الحماره فرآها عوره ومن غير ذنب وفتح الصندوق فراي فيه شيئا من الدباره والابر وآلات السياسة قال ياعثمان هذا صندوقك وهذه حمارة عقيرب قال عثمان نعم حمارة اصيله قوي واما الصندوق فان فيه الشيء الذى ياكل العيش عليه يادولتلي وسرها فى مقامها انى لولا بقيت اسالك بمثل ذلك الكلام لكان عدوك مات فى ساعته فضحك الامير على كلامه ثم انه اعطى الرجال وأوصاهم فهذا ما كان من امر هؤلاء وأما ما كان من القان بركاخان فانه التفت الى الامير وقال له اعلم انني مرادى ان احج ذلك العام وكان فى اوان الحج قال له الامير انا لم امنعك من ذلك ابدا فان اردت ذلك فالامر اليك وان لم تفعل فما احد يغصبك على هذا فقال لا بدلي من ذلك فعند ذلك جهزه الامير واوصاه بان يكاتبه بكل ما يحصل له فى الطريق فاجابه الي ذلك بالسمع الطاعة ثم ان الآخر اوصاه على ابنته وارتحل مع الحج وسار وقد مضى بعد ذلك مدة قليلة من الايام فبينما الامير جالس فى بعض الايام واذا باربعة من العرب مقبلين اليه ومعهم كتاب من امير حج فاخذه الامير وقراه وفهم معناه ورموزه وبكى وقال لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم قال وكان ذلك الكتاب فيه خطاب

من امير الحج الى بين ايادى الدولتلى بيبرس نعلمك اننا بعد مسيرنا من عندك عرض للقان نزكاخن مرضا شديدا فاقمنا فى مكاننا يومين وفى اليوم الثالث توفى الي رحمة الله فدفناه وختمت على ماله وها نحن مقيمين فى مكاننا منتظرين رد الجواب اوتاتى انت بنفسك تاخذ متاع القان ومعك الاربعه النجاب يسلوك على الطريق والسلام فلما ان قرى الكتاب صاح على عثمان فلما حضر قال له انا مرادى اسافر اجيب متاع القان بركه خان وارى قبره واقرى له الختمات واعود بعد ذلك ان شاء الله فقال عثمان لا يضر شيء فقال له الامير ياعثمان اعلم ان الملكة حاملة فلا تدفع احد يخبرها بشيء من ذلك ابدا لانى اخاف عليها فقال سمعا وطاعة فسير انت فى رعاية الله تعالى فعند ذلك توجه الامير ومعه بعض الرجال وطلب البر الاقفر فهذا ما كان من امر هؤلاء واما ما كان من امر عثمان فانه بعد ان سافر الامير صاح على اتباعه ومشاديده وقال ياجدعان القان بركه خان مات ولم احد يعمل له عرس وهذا لم يصح منا ابدا لانه له الفضل علينا ثم ان عثمان امرهما بنقل الاحجار وعمل هو بنا وصار يبني حتى بنا مقبرة وعمل عليها شواهد واركان وكان ذلك تحت القصر ثم انه اتي بالخوص والريحان ووضعه حول المقبرة وعلق القناديل وفرش الحصر ودور القهوة واحضر اربعين فقيه وامرهم ان يدوروا حول التربه ثم انه جمع الجدعان بعيد عن التربه وقال لهم ياجدعان انا انشدلكم وانتم تردوا على فقال سمعا وطاعة ثم صاح عثمان وولداه يالجان مرخجان فردوا عليه الرجال وقالوا مثل ماقال واولده يالجان مرجاخان فعند ذلك سمعت الملكه تاج بخت الضجه فطلعت وسمعت كلامهم فارسلت الى عثمان وسالته عن ذلك الامر والشان فقال لها ابوكى مات وراح شخه فى حمام وانا اعمل له العزا جاتك داهيه انتى وابوكى سوى فلما سمعت ذلك الكلام من عثمان حزنت على ابوها ولبست ملابس السواد وارسلت الماكل ومايلزم له الحال الى الرجال والفقها وقد ارسل عثمان رجلا من رجاله وجعله جاسوس برصد الامير خوف ان يعود على غفلة ولم يزل عثمان على ذلك الحال الى ان رجع الجاسوس اليه وقال له الامير قد اقبل على

حلب وما بقى بينه و بينها الاسواد الليل فعند ذلك صاح عثمان عزل يا عقيرب فعند ذلك شالوا الاحجار والحوص وصرف الفقها الى حال سبيلهم وفك التعاليق وراح الاصطبل واستقام فيه ولما كان من الغدا قبل الامير وصاح بعثمان فاتاه فقال له ما الذى جرى في غيبتي فقال عثمان جرى كل خير فقال له هل علم احد بذلك الخبر او الملكة بلغها خبر فقال له عثمان لا وحيات دقنك فاطمأن الامير وقال الله لا يحرمني منك يا عثمان ثم انه صبر حتي اقبل الليل وطلع الى السرايه فقبلت الملكه يده ورآها لابسة ملابس السواد فقال لها ما الخبر فقالت له ياسيدى كلنا اموات اولاد اموات والبركه فيك انت ياسيدي ور بنا يجازي عثمان عني كل الخير فقال لها وكيف ذلك فقالت له لولا هو الذى عمل لابو يامنامه واحضر له ار بعين فقيه يقرؤون عليه وعمل له العزاء هو والجدعان واعادت عليه كلما جرى من أول الامر الي آخره فقال لنا لا تاخذى على خاطرك الا كل طيب ثم طيب خاطرها ونزل الى عثمان وقال له لا يحل لك من الله ذلك الفعال فقال عثمان هذا رجل خيره سابق عليك وعلى انا من قبلك ولولا هو لكنت هذا الوقت تشحت فكيف انى اسمع بموته ولم اعمل له عزا انا خاين مثلك فقال له الامير وكيف انك تحلف بدقني باطل قال عثمان السواد فقال يعني شيخ كبير قوى ولا ني مرسل فيش الاشوية شعر فعند ذلك تركه الامير بيبرص وسار الي ديوان البلد وجلس مع الفداوية وهم ينقشون الواح الحظ على صدورهم فيوم من الايام بينما هو جالس واذا بالاغا يقول ان الملكه آن اوان الرضاع لها فقال الامير ان على نذر لله تعالى وذلك انى اذا تزوجت وحملت زوجتى فلم يولدها الا الست حسنه الدمشقيه ثم انه كتب كتاب واعطاه الي عثمان وقال سير من هاهنا الى الشام واعطى الجواب لعيسي وهات منه الجواب فاخذه عثمان فقال له يا عثمان لا تخلى احدا من الرجال يطلع عليه لانهم جبا ليه شرهم على مقدمهم مثل المراكب فقال عثمان صدقت يادولتلى ثم سار عثمان الى ان توارى عن سيده وارسل الي سليمان الجاموس فاتاه فقال تكتم السر قال له نعم قال خذ اقرا الجواب فاخذ الجواب وقراه واذا فيه الصلاة والسلام على صاحب المعجزات وسيد السادات خطابا من الامير بيبرس

الى بين ايادي والدي عيسى الناصر شرف الدين نعلمك انا تزوجنا ومرادنا ناتى الي الشام لان على نذر وهوان التي تولد زوجتي الست حسنه الدمشقيه و بعد السبوع ارحل عن الارض والبلاد وتبقى لك علينا اليد البيضاء فان سمحت نفسك فلا بأس وان لم تسمح نفسك ارسل اعلمني والامر فى ذلك اليك والسلام قال فلما سمع المقدم سليمان مافى الكتاب قال له خذ الكتاب ياعثمان وسيرالى عيسي واعطيه الكتاب واذا اعطاك رد الجواب تحضر به الى عندى فقال سمعا وطاعة ثم ان عثمان اخذ الكتاب وسار الى عيسي فلما قرا الكتاب كتب له رد يقول فيه اعلم ان ملك الاسلام امرنا بعدم استقبالك ولكن اذا اردت ذلك فاوضع نفسك فى الحديد والاغلال وتاتى الى عندي وارسل زوجتك الى البست حسنه الدمشقية تولدها واما انت فانى اوضعك في السجن حتى اذا جاء السبوع اطلعك تأخذ زوجتك وتمضي بها الى حال سبيلك فان اردت ذلك كان وان لم ترضي فانت مكانك لا تاتى والسلام فعاد عثمان برد الجواب واعطاه الي سليمان فلما قرأه قال له ياعثمان سير به الي سيدك وها نحن سابقينه الي ارض الشام و بيبرس ملك الشام وابيك سوى قال عثمان سمعا وطاعة ثم سار بالكتاب الي سيده فلما اعطاه اياه قال له هل نظرك احد قال لا وحيات دقنك ثم قرأه والتفت الى عثمان وقال له الحق بيده وانت تصير من هنا بالملكة مع المماليك ليلا وانا أسير خلفك على الاثر حتى اذا اقبلنا ارض الشام اوضع نفسي فى الحديد وتاخذني انت بيدك وتسلمني الي عيسى الناصر فقال عثمان سمعا وطاعة ثم انه سار حتى قارب الشام ووضع نفسه فى الاغلال وسلم نفسه الى عثمان فسار به حتي ادخله الى عيسى الناصر فلما رآه قال له انت وقعت ياخردن يادنجر يامقصوف العمر انت غريم السلطان ثم صاح فيمن حوله من الرجال وقال لهم ارموه نطعة الدم فرموه وانتدب السياف على راسه فجعل الامير يستغيث و يطلب الفرج من الله ويقول فى سره ليتنى اعلمت احدا من الرجال الفداوية كان ينقذني من يد هذا الظالم الغاشم فبينما هو يتاسف بمثل ذلك الكلام واذا باثنين من المقادم وقد اقبلوا وعبروا الي الديوان وهجمو على الامير وفكوا وثاقه وقبضوا على

عيسي النصر وجذبوه من على الكرسي وارموه الي الارض وضربوه بالشواكر سطلح وقالوا لا بد من قتل هذا الخناس وهم لا يبالون بسائر عساكره هذا والامير بيبرس يقول لهم ارجعوا عنه لاجل خاطري يا اخواني وهم يقولون له لا بد من قتله فقال لهم كيف يحل لكم ان تقتلوا من يقول لا اله الا الله محمد رسول الله من غير وجه الحق فقالوا واله وانت تسمى عبد الصليب فكيف يحل له ان يقتلك بغير الحق فهذا رجل جاني دعنا نقتله ولا نبالي بابيك ولا دولته كلها ابدا فبينماهم كذلك واذا بباقي المقادم وقد اقبلت ودخلوا من باب الديوان وتصافحوا سلام فتلقاهم الامير بيبرس فقالوا له يادولتلي ولاي شيء تفعل هذه الفعال مع هذا اللئم ولكن دعنا نقتله فقال لهم دعوه لاجل خاطري هذا ومامنهم الا لطمه على وجهه بهذه الايادي حتى انه اشرف على التلاف والامير يترضاهم ويتعطف بخواطرهم قالوا له لاجل خاطرك تركناه من القتل ولكن والاسم الاعظم الا تجلس على تخت الشام ملكا وسلطانا وهذا الكلب يوضع في الاغلال ويرمى في سجن صيق ظلام وها قد حلفنا وان خالفتنا وقعتنا في الايمان لا بد من تقطيعه ولوكان دون ذلك هلاك انفسنا والسلام فقال بيبرس لا حول ولا قوه الا بالله واجابهم الى الجلوس وقال في نفسه اجلس لاجل اليمين هذا وقد جلس الملك العادل بالشام وكان عثمان قد ارسل الملكة الي السرايه واحتاطت الفداويه حوله ووضعوا عيسى في السجن يبكي وينوح من كبد طنين مجروح ثم ان الرجال ماداموا صحبة الامير وهم لا يفارقوه ليلا ولا نهار حتى وضعت الملكة غلام ذكر كانه القمر فاتته البشارات فقالوا المقادم هذا نهار سعيد ثم قالوا سميناه محمد وكنيناه بالسعيد (ياساده) وقد اقبل عثمان الى الديوان وقال له يابو محمد هات البشاره قال له ما الخبر قال له الفرسه الخطافه جاءت بمهرادهم قال الملك العادل سموه المجل الادهم فسموه بذلك وشرعوا في الافراح مدة ثلاثين يوم وبعد ذلك اقبل عثمان على المقدم سليمان الجاموس وقال له يامقدم اعلم انه اذا كان ملك من غير سكه وخطبة لم يكون له تذكار قال سليمان صدقت ياشيخ عثمان ثم انه جمع الرجال والعلماء بالديوان وجلس وارسل المقدم احضر الشيخ الجزايري بالشام وصحبته

الاعلام وقال لهم لا تكون الخطبة الا باسم الملك العادل وان لم يرضى هو بذلك والاسم الاعظم نقطعه فى وقتنا هذا ثم انه قال له ياملك الاسلام آتينى بشكمجيه من المال قال له الملك وما الذى تريد ان تصنع بها يا اخى قال له ان الذى اريده سوف تراه فعند ذلك احضر له ما طلب فاخذ الشكمجية واحضر الضرابين وقال لهم اضربوها باسم الملك العادل واكتبوا اسمه على معاملة المسلمين وقال لهم هذا يسمى الذهب العادلى واجعلوه ان يكون زائدا عن الذهب الايبكى قيراطين فاجابوا بالسمع والطاعة وضرب الذهب العادلى وصار في ارض الشام فقالوا له نريد ان هذة المعاملة تسير فى مصر وسائر القرى فاعطينا ختمك حتى نصنع كما تريد فاخذوا عنه الختم وكتبوا الكتب الى عمال الارض والبلاد كل من خالف الطاعه ولم يمشى هذا الذهب العادلي كظما وكرما لا بد من هلاكه وسوء ارتبابه هذا وقد تعاملت الناس بالذهب العادلي وتقوا الايبكى ثم ان عثمان اقبل الى سليمان الجاموس فى وسط الديوان وقال له لابد من المعامله ان نسير الي المحروسه ونمشي هناك فقال المقدم والاسم الاعظم لابد من ذلك قال لهم الملك العادل انا لم اقدر على ذلك فقالوا نحن قدر نسيرها كظما لا كرما ونقطع راس ايبك ونستريح منه والسلام قال فلما سمع الامير منهم ذلك الكلام وعرف انهم مشددين عليه قال لهم انا اوسل الذهب الى مصر بمعرفتى ولم احد منكم يسير هناك ثم انه ارسل كتاب الى الاغا شاهين الافرم وكان علم انه عاد من السفر بعد المهاجرة فقال لهم انا ارسل اليه واعلمه بذلك وهو يدبر الامور بمعرفته والسلام قالوا له احلف لنا يمين بالاسم الاعظم فحلف لهم على ذلك ثم ارسل لهم شكمجيه وكبيرة الي الضرابين فضربوها باسمه وكتب كتابا الى الوزير وارسل اليه الشكمجيه الكتاب صحبة الاسطى عثمان وبعضا من الرجال (قال الراوي) وكان السبب فى رجوع الوزير الي مصر بعد المهاجرة سبب عجيب وامر مطرب غريب وذلك انه لما لبس بيبرس وزير ونزل هو وقد اوصاه بما قدمناه فى سابق كتابنا وطلب ارض برصه فسار مع بعض الخدام حتى توسط الطريق وقد نزل فى بعض الايام يريد الراحة فلما كان وقت الظهر قال لهم يارجال مرادى ان اسير الى الصيد والقنص

فى هذا الوادى فقالوا له شانك وماتريد فعند ذلك نصب حلقة صيد وقد دارت فى جال حول ذلك الحلقه فوقفت فيها غزاله فقال الوزير ضيقوا الحلقة على الغزاله فكل من نفذت منه الغزاله يكون هو خيالها فاطاعوا امره وضيقوا عليها الحلقة فلما ان رآت الغزاله الى ذلك الضيقه التى حلت بها اقبلت الى الوزير الاغا شاهين ونهضت من على رأس الفرس التى هو راكبها فترك هو سرع الفرس واراد ان يقتنصها بيديه فصعدت من على راسه الى الخلوات فقالوا له الرجال يامولانا الوزير لم احد يقدر يقول للغوله عينك حمره فقال لهما يارجال انالها كفيه وحق رب البريه ثم تركهم وسار خلف الغزاله بجوادهم فلم يزل تابعها الى ان اتت وسط اربع مفارق وقد غطست منه وما بانت كانها ما كانت فتحير الوزير وتامل فى ذلك البر فوجد دير على راس الجبل ووجد بابه مفتوح فظن انه خراب فقصد اليه يريد ان يستظل به حتى تنكسر القيلوله فلما ان اقبل نحوه واذا ببنت تناديه من اعلا الدير وهى كانها القمر اذا هو ابتدر ليلة اربعة عشر كما قال فى وصفها الشاعر المفتخر حيث يقول هذه الابيات

نادت باعلى الدير فوق قبوة * ياحسنها عند النداء المعرب
قد فاح ريح المسك من اعطافها * وعيونها مثل الغزال الانشب
والشهد ينقط من لفظها * مثل السكاكر حين قد تتذوب
ورأيت البدر لاح لي بجبينها * ورأيت الحسن فيه غير مغضب
والورد حقا على وجناتها * والخال يعلوه البياض المذهب
اما رأيت في العالمين كمثلها * فى ارض عدن ولا في ارض المغرب

(قال الراوى) ثم انها لما اقبل الوزير اليها نادته وقالت له اهلا وسهلا ومرحبا بالاغا شاهين الافرم فلما صاحت اليه بذلك تعجب منها وقال لها ما اسمك وما انت وما تكونى قالت له انا اسمى سكندرونه بنت مشمشينه الساحرة وعندنا عبد يقال له عبد النار وز فقلت لابى انى اريد ان ازور فى عشرة من الانفار التى بر هذه المدينة واشم الزهور واقيم فيه هناك ثلاث ايام واعود اليك ثم خرجت من عنده على مثل ذلك ومدينتنا مدينة الرخام وسرت الى هاهنا فلما جن الليل وادركني النوم فنمت وقد اتيت

الي حمرة سمرة عليها حلة خضراء وقالت لي غدا يأتي اليكم رجل يقال له الكلب شاهين فاعلمي انه هو الوزير الكلب فاسلمي على يديه ودعيه يتزوج بك فانه من الفرقة الناجية يوم القيامة وانك موعودة منه بالذرية الصالحة ثم انى امرت الغلمان انتبهت من منامي وانا اهز العرش بكلمة التوحيد ثم انى امرت الغلمان ان يفتحوا باب الدير لك ففتحوه وجعلت انا انتظرك حتى اقبلت الي بسبب الغزالة وسألتني عن حالي اخبرتك والسلام (قال الراوي) فلما سمع الوزير منها ذلك طلب منها الاسلام فاسلمت على يديه ثم انه احضر اليها بعضا من الرجال الذي كانوا بصحبته وامهرها بعقد من الجواهر وصالحها على النكاح فاوهبت نفسها اليه واوصت الرجال بكتمان ذلك الامر عن امها وعن غير امها ثم ان الوزير دخل بها فوجدها درة ماثقبت ومطية لغيره ماركبت فازال بكارتها وواقعها فعلقت منه من وقتها وساعتها واقام عندها الى الغروب وتودع منها وقال لها ان خلفي رجال يخافون علي و ينظرون عودتي وها انا سائر اليهم وانت سيرى الي امك وا كتمي هذا الامر عن سائر اهلك وخدمك حتي انى أعود من هذا الامر السفر و يفعل الله ما يريد ويختار هذا وقد ركب وسار الي الرجال فقالوا له بعد ان هنوه بالسلامة كانك لم تدرك الغزالة قال لهم شردت مني في الجبال ولم يخبرهم بشيء مما جرى له فهذا ما كان منه (قال الراوى) واما ما كان من أمر سكندرونه بنت مشمشينة الساحرة فانها عادت الي امها فتلقتها و بالسلامة هنتها وقالت لها يابنتي حدش قابلك من الرجال قالت ياماء لا قالت لا والاغا شاهين ماعملكيش مزنقة بعدان اسلمني على يده ورفضتي الصليب ولكن انت حملتي منه فان اتيتي بغلام قولي له هاهي امك هذه وان اتيت بانثى كذلك بطول ما انا طيبه لم احد يقدر ياخذك من عندى لولا خاطرك انت لكنت قتلته ولكن ارهاط الجن اعلموني انك انتي الذي دعيتيه الى نفسك وما عنده ذنب ابد فهذا ما كان منها هي وامها واما ما كان من الوزير فانه سار برجاله الى برصة المزينة لكل كربة وغصه وشاعت الاخبار الى اهلها بحضور الوزير فخرجوا أهلها وسلموا عليه واجلسوه على تختها وقد ارتاح قلب ابيك ومازال جالس حتي

هاجر بيبرس من هناك وخرج الي الشام وجرا من القصة ماجرى وقد انقطعت العلماء والاشراف عن الديوان بعد المهاجرة ولم بقا احد فى الديوان خلاف المنافقين (ياساده) فلما ارضاق صدر ايبك من ذلك الاحوال قال لهما يارجال دبرونى على هلاك بيبرس فقال له علاى الدين بل الشرابات فشربوا ثم قال علاى الدين له انت ترسل الى العلماء وتعتذر لهم وتعطيهم معاطى كثيره وقل لهم سافروا الى برصه هاتو لنا الوزير الاعاشاهين الافرم لان الملك لم يعمر الا به فاذا هو حضر مع العلما ندبرك بعد ذلك على موت بيبرس فاعجبه ذلك ثم انه ارسل الى العلماء فلما حضروا اعاد عليهم ما بروه واعطاهم خزنة من المال ووقع فى عرضهم واعتذر غاية الاعتذار وأمرهم ان يسيروا الى برصه فقال لهم سمعا وطاعة ثم انهم تجهزوا وسافروا حتى اقبلوا الى برصة وتقابلوا مع الوزير وسلموا عليه فهناهم بالسلامه وسألهم عن سبب مجيئهم قالوا له نحن ماجئنا الا بسببك انت فكيف هان عليك ان تترك بلد الامامين والاحسنين والسيدتين والفقرا فقال لهم الامر لله تعالى فقالوا له نحن اتينا اليك لاحل ان تعود معنا فقال لهم الاجل خاطر كما انا اعود على رأسي لا على اقدامى ثم انه تجهز وامر بالرحيل فرحل طالب ارض مصر والعلماء بصحبته حتى انه اقبل الى مصر وطلع الى الديوان وقد اصطلحوا العلما مع ايبك وجلسوا الى جانبه (ياسادة) وقد تكلمت العالم فى ايبك فقال واحد من الناس ياأخى قال الوزير رجع تانى الى مصر فقال آخر ايبك من غيره يعمل ايش والاسم الاعظم ما ملك الا بالوزير يا اخى فقال الآخر زالت النعمة عن ايبك قال آخر بكره الوزير يموله ويسلطن بيبرس لان الوزير هو وبيبرس اصحاب من مدة الملك الصالح لانهما الاثنين كانوا يختنوه فقال الآخر اخرس جاك قطع لسانك لا تتكلم فى حق الوزير ان كان ولا بد يكون الملك الصالح لان ولايته كانت محليطه وكثرت أقاويل الناس فى ذلك هذا ولما ان جلس الوزير ترتبت البلد وطلعت العلماء الاشراف وأرباب المناصب وغيرهم وقد عمر الديوان ثم ان الوزير استخبر عن بيبرس فاخبروه انه بارض الشام فارسل اليه اعلمه بكل ما كان من امره وسفرته وكيف اتت اليه العلما وامتثل لامرهم ففرح الامير بيبرس

بعودة الوزير ولما ان جري من الامور ماقدمناذكره كتب الملك العادل ثلاث
مكاتيب ارسل واحد الى الاغاشاهين يقول فيه اعلم يا ابونا ان المقادم حكموا على
واجلسوني قهرا عني بالشام وكتبوا اسمى على المعاملة وانا ارىد منك ان تمشيها يوم
واثنين حتى يرتحلوا عنى المقادم الى قلاعهم و بعد ذلك ارتحل الي بلادي والسلام
وكتب الثانى الى امه الست فاطمة شجرة الدر يخبرها بذلك وكتب الثالث الى
ابيك يقول فيه الصلاة والسلام على كامل الانوار خطابا من الوزير بيبرس الى بين
ايادي ملك الاسلام نعلمك ان المقادم سلطنوني رغما عني وأريد من سعادة الملك
انى مادمت جالسا على الشام ادفع اليك خراج الارض واجعلني نائب عنها ومشي
هذا الذهب يوما او يومين حتى يرتحلوا المقادم عني و بعد ذلك اكبر الي بلدي والسلام
على نبي تظلله الغمام ثم ارسل الجوابات مع عثمان وسلمه ثلاثين الف دينار في الشكمجيه
وقال له أول سيرك الى الوزير الاغاشاهين فسار عثمان حتى اقبل الي البساتين وسلم
على الوزير واعطاه الكتاب بما قدورد وتقدم فلما سمع الوزير ذلك قال له يا عثمان
الف نهار مبارك والله انى دخل على السرور والافراح وزالت عنى الشرور والاتراح
فقال عثمان كنا شحتنا وانتهب مالنا ونوالنا واعاد عليه جميع ما حصل لهم في مدة
الغيبة كلها هذا وقد أخذ الكتابين الآخرين وقرأهم وقال له هات الدراهم فاخذهم
منه الوزير وقال له يا عثمان خذ الكتاب الذي لابيك معك وتقيم عندي مدة ثلاثة
ايام وتنظر كيف اصنع فقال عثمان سمعا وطاعة ياوزير الزمان ثم ان الوزير
ارسل من وقته وساعته واحضر الصرافين عنده وسلم اليهم العشرة آلاف دينار وقال
لم تمشوا هذا الذهب العادلى ولا تقبضوا ذهب ايبكي الا بالنقص واذا سألكم
احد اتقولوا هو سائر بقي له اكثر من سنه وكل من حالف امرى صلبته على دكانه
فأجابوا بالسمع والطاعة واخذوا الدراهم وانصرفوا الى حال سبيلهم هذا ولما
ان اصبحوا اجعلوا يتعاملون بالذهب العادلى و يقبضوه و يتركوا الايبكي ولا يأخذوه
(ياساده) فهذا ما كان من امر هؤلاء ثم ان الوزير احضر امرأة عجوز من عنده وقال
لها سيرى من هاهنا الى الست فاطمة شجرة الدر وقولى لها ان الوزير يدعيكي اليه

فسارت العجوز واعلمتها بذلك فركبت على انها تريد زيارة الامام الشافعى ثم طلبت بيت الوزير فلما رآها سلم عليها وناولها الكتاب فلما قرأته فرحت بذلك وقالت له اين الذهب فاعطاها العشرة آلاف دينار فرجعت بهم ثم جعلت تفرقهم على نساء الامارة حتى اعطت الجميع من ذلك الذهب فهذا ما كان منها (ياساده) ثم ان الوزير قال لعثمان اعلم ان الاسواق امتلات من ذلك الذهب وسارت المعامله به وكذلك نساء الدوله والسرايات كذلك وانا الآخر اخذت منه ما تيسر واذا كان غدا تمضى انت الي الديوان بالكتاب وهذه الشكمجيه واعطى الكتاب لايبك فاذا قبله فلا بأس بذلك وان لم يقبله فتكسر انت الشكمجية فى وسط الديوان وتمضي انت الى سيدك وتعطيه كتابى هذا وهذا لاتخاف من شيء ابدا فاجابه عثمان الي ذلك

(قال الراوى) ولما ان اصبح الله بالصباح واضاء الكريم بنوره ولاح ظهر ايبك وجلس على التخت وطلع الوزير وتكامل الديوان فبينما ايبك كذلك واذا بعثمان يقبل الارض امام ملك الاسلام قال ايبك سلامات ياعثمان ما معك من الاخبار فناوله الكتاب فلما قرأه تغير لونه وقال لعثمان روح يارحل قول له يرحل من ارضى و بلادى فانى لم امشى معاملته ولم اريده نائب ابدا ولا اقبله فلما سمع عثمان ذلك قال له بخاطرك ولكن انا اتيت سائل وارجع سائل خذ الشكمجيه هاهي وطرقها فى الارض تفصصت الواحلو الذهب ملا الديوان فالقطوه الامارة والعلما وغيرهم فقال ايبك ياناس هذا لم هو ماشى ابدا فقالوا له الحاضرين يامولانا السلطان وحيات رأسك ما بقى ماشي غيره فقال الوزير انا اعلم ببلدنا هذه ما بقى سائر الا العادلى من مدة وانا ما رضيت احدثك بذلك خوفا ان تغتم فعند ذلك زاد غيظه فقال ياوزيرى قم بنا حتي نشق مصر فاجابه لذلك ولبسوا كالدراويش نزلوا الى ارض مصر واقبلوا الرميله فرأوا أرباب الفنون يطلبون القوت من الحي الذى لا يموت فاخرج ايبك دينار وناوله لرجل منهم فأخذه منه وتامله وأرماه اليه على طول ذراعه وقال له خذ هذا لا يمشي ابدا فتركه وصار الى غيره كذلك هذا ولم احد رضى يأخذه منه ولا بنصف فضة واحد بل كل ما يعطيه لانسان يسبه و يشتمه فقال له الوزير

انظر ياملك الاسلام الذهب العادلي ثم انه اخرج دينارا وأتى به الى رجل وقال له خذ ياشيخ هذا الدينار اصرفه فأخذه وقبله وصرفه اليه بالكامل وكان الوزير أراد بذلك زيادة غيظ ايبك ولما ان عاين ذلك كاد ان تنفطر مرارته و يموت من وقته وساعته وقد كبرت علته وزادت بليته فلما رجع ايبك سأل سائر الاماره عن ذلك فقالوا له ان الذهب العادلي هو الذي سائر فزاد غيظه وقد طفح الدم على قلبه فطلع الى السراية فرأى الملكة شجرة الدر في يدها ميزان صغير وهي توزن الذهب العادلى قبال الايبكى فيرجع فتقول هذا كامل وصاحبه كامل والايبكى ناقص وذهبه ناقص وكان وجهها الى داخل السرايه وظهرها الى خارجها ولم تعلم بايبك حتي قام على رأسها وسمع كلامها فقال لها انا ناقص ياحجه فاطمه قالت له نعم انت ناقص وذهبك ناقص فقال لها لا بد ان اركب على ابنك بيبرس واحاربه واجيب رأسه واركب بها فى مصر نظير كلامك هذا فقالت له وعزة الله وتربة الملك الصالح ايوب ان ركبت عليه واتيت برأسه كما تقول لابد ازفك بالمغنيين واخليهم يقولوا ايبك يامنصور بيبرص يامكسور وافرش لك الديوان بالجوخ والقصب من أول الرميله تدوس عليه انت وخيلك ومن معك وان رجعت من قدامه مهزوم اخليهم يغنوا و يقولوا ايبك يامكسور بيبرس يامنصور فقال لها سمعا وطاعة ثم نزل الي الديوان وهو غضبان واعاد ماجري على الوزير الاغا شاهين واعلمه بان مراده الركوب فلما سمع الوزير ذلك قرأه على ذلك فامر بالتنبيه على العساكر بأخذ الاهبه وتسامعت أولاد البلد بذلك وسألوا عن الخبر فقالوا ان الملك ايبك حلف يمين بانه يركب و يأتى برأس بيبرس فتضاحكوا الناس على ذلك وقالوا والله ماهو راجع من قدامه الا على رجل واحده وكثر كلام الناس فى حق ايبك وقد برز ايبك بالرجال والامارة والابطال والاغا شاهين الافرم حتى بقى بينه و بين الشام مسافة قريبة ثم نزلوا لاجل الراحة (ياساده) وكان عثمان قد نزل الى الملك العادل بجواب الوزير فاعطاه اياه ففضه وقرأه واذا فيه خطابا من الوزير الافرم المحب الاعظم الى بين آيادى ملك الاسلام وصل الينا عثمان وسار الذهب كلها وحمدنا الله على ذلك ولا تخشي ولا تخاف من شيء ابدا ففرح فهذا ما كان من عثمان وبعد مدة ايام اقبل

جواب آخر من الوزير الى بيبرس يعلمه بركوب ايبك عليه وان ياخذ الاهبة لنفسه قال وكان الكتاب الذى ارسله اليه الوزير قبل وصول ايبك بخمسة ايام فاستعد الملك العادل الى لقاه هذا وقد رحل ايبك ونزل الى الشام فغلقت فى وجهه الابواب وكان الذي اغلق الابواب فى وجهه المقادم هذا والملك العادل كل ذلك غير مراده ولكنه لم يقدر يخالف الاشراف واولاد اسماعيل ثم انه صبر الى الليل وكتب كتابا يقول فيه الى بين ايادي ملك الاسلام المعز ايبك اعلم انك انت الملك والسلطان والحاكم على سائر الاخوان ولم احد يقدر يعلوا على كلامك وانا من بعض خدام خدامك فاجعلنى نائبا على الشام وانا اورد لك الخراج كل عام كان واحاسبك على كلفة الركبة ولا ينبغي لمسلم ان يلقي سلاح فى وجه مسلم وانت والذى فى مقام عهد الله واجعلنى من معاتيق السلطنة ثم ختم الكتاب واعطاه لعثمان وقال له سير بهذا الكتاب الى ابو يا المعز ايبك واعطيه له ولا تدع احدا يراك فقال عثمان سمعا وطاعة وسار حتى تواري عنه وسار الى المقدم سليمان الجاموس والمقادم واطلعهم على الكتاب فلما قرؤه قطعوه وكتبوا كتابا آخر عن لسان الملك العادل يقول فيه خطابا من ملك القبلة وخادم الحرم الملك العادل الى ايبك التركماني راعي غنم الموصل من مثلك يركب على وانا ملك الارض ذات الطول والعرض فان اردت السلامة من الندم والوجود من العدم تسمع كلامى وتعمل بسائر احكامى وانا اجعلك نائب على ارض مصر تورد لي خراجها كل عام وساعة وصول الكتاب اليك توضع نفسك فى الحديد والاغلال وتسلم نفسك الى حامل الكتاب بحضورك الي عندى ارميك فى قطعة الدم فتشفع فيك اقل الرجال ان فعلت ذلك كان لك الحظ الاوفر وان لم تفعل ذلك فما بيني و بينك الا حرب يقد وطعن يصد وحامل الجواب كفاية قادر يجيبك قتيل او اسيرا وذليل على اى حال كان والسلام ثم طوا الكتاب بعد ان قرؤ على سائر المقادم وعثمان قد سمعه ايضا ثم ناولوه الى عثمان قال عثمان ومن يسير به قالوا له انت قال عثمان لا وسرها فى مقامها لم اسير به ابدا الى ايبك قال سليمان الجاموس خليك ها هنا حتى اسير به انا اليه واعود اليك ثم قام سليمان الجاموس وركب حجرته وسار حتى اقبل الي عرض ايبك

وصاح بملء رأسه قاصد ورسول ولا على الرسول الا البلاغ قوم على حيلك بأدب خذ
الكتاب بأدب اقرأه بأدب اعطيني رده بأدب حق الطريق بأدب ان عملت أهلا
ان درت انا الآخر من قدامك ادورت بأدب وان فعلت شيأ آخر بعقلك أخذت
قرعتك وانت على تختك بين رجالك وعساكرك وسائر ما كان معك قليلات على
شاكريتي فقال له الوزير قوم خذ الكتاب فنهض ايبك على الاقدام ومد يده ليأخذ
الكتاب فقصر المقدم سليمان وقال له اعلم ان ملك الاسلام كاتب هذا الكتاب في
ساعة الحلال يكون كاتب لك شتمة او سبه او لعنة او كلمة لم تجي على مزاجك تقطع
الكتاب اعلم قبل ان ينزل منه قطعة قصيرة تكون قرعتك قبلها خذا خذك البلا ورمي
اليه الكتاب فاخذه وفضه وقرأه وفهم معناه وقال خذ يا وزير الزمان شوف بيبرس
وكتابه الذي ارسله الي انا راعي غنم الموصل انا الذي احط روحي في الحديد ولكن
ما علينا الميدان يبين الجيد من الجبان ثم كتب رد الجواب بالحرب والقتال واعطا المقدم
الكتاب ورد الجواب فصاح عليه المقدم وقال هات حق الطريق فقال ايبك وما
يكون حق الطريق قال له خمسة آلاف دينار منقودين والذي لم يعجبني آخذ غيره قال
ايبك اعطوه خمسة الف دينار فاخذهما وسار الي المقادم واعطى عثمان الكتاب ورد
الجواب فسار عثمان الى سيده فلما رآه قال له حدش قابلك قال عثمان لا وحياتك انت
فاخذ منه الكتاب وفضه وقراه فوجد فيه خطابا من راعي غنم الموصل الي بين ايادي
بيبرس انا الذي اوضع روحي في الاغلال وترميني نطعة الدم ولكن ما بيني و بينك
الا حرب يقد والسلام فلما اقرا رد الجواب التفت الى عثمان قال عثمان حنش يكومك
انا اخذت الكتاب وسرت به الي ابواقرون الجاموس فأخذه وقراه فلم اعجبه كتب
غيره واخذه وسار به اليه واتاك برد الجواب والسلام قال الامير انا يا رجل قلت لك على
ذلك قال عثمان اي نعم ومن قال لي افعل كذا غيرك انت فاغتاظ منه وتركه وقد اقبلت
الفداوية وجعلت تلوم بيبرس على فعاله وتقلله لا يبك في كتابه وهو يقول لهم
انا اراعي خاطره لانه ملك الاسلام ومن خالف ولى امره اباح الشرع
كفره فقالوا له يا دولتلي اعلم انه معتدي عليك الامرار المعده ولولا ذلك

ما كنا تعرضنا له فى امر من الامور (ياساده) ثم انهم باتوا على مثل ذلك حتى اصبح الله بالصباح واضاء الكريم بنوره ولاح فبينما الامير جالس والرجال حواليه واذا بطبل الحرب يدق من عرض ايبك وقد تسلح وتزل واقسم على من كان عنده انه لم احد ينزل الميدان غيره ثم انه نزل الى حومة الميدان وصاح انا وقال لا يأتنى الا الولد بيبرس فعند ذلك قالوا له الرجال من دعى فليجب يادولتلى ها هو دعاك الى القتال والاسم الاعظم الا تنزل اليه وتحاربه وان لم تفعل ذلك والا قتلناك وحاربناه فلما سمع ذلك نزل الي الميدان وهو خجلان حتى وقف قباله ايبك وقال له يا ابى ارجع وانا احاسبك على كلفة الركبة واعلم انى ما نزلت اليك الا لاجل القسم الذى افسموه على الرجال فقال له ايبك تقدم وحاربني حتى انى اريك مقامك ولا اعود الا برأسك لانى حالف يمين فقال له الامير يا ابى ارجع ولا تطاوع الشيطان فقال له انا لا ارجع الا براسك وجمدا نفاسك فعند ذلك اغتاظ الامير بيبرس من ايبك وقال له قد نهيتك فلم تقبل مني ولكن احرس لنفسك ثم ان الامير جرد اللت وقد اغتاظ الامير من الكلام وقال له جئتك يا ايبك فقال له وانا تلقيتك ثم هجم ايبك عليه بالحسام وصاح في الجواد وضرب بيبرس بالحسام من غير ممرفة فتلقى ضربته على اللت فانكسر الحسام ثم ضربه بيبرس لطش خفيف على فخذه وكان قصير فوقعت الضربه على راس الجواد فهم بايبك حتي وقف على رجليه الاخرى ونفضة ارماه فوقع الارض فانخلع زوره فلما رأوه الامارة وقد وقع الي الارض وقد غشي عليه ادركوه سريعا واخذوه من يد بيبرس وعادوا به الى السرادق ووضعوه في فراشه هذا وقد رجع بيبرص وكل ما كان من ذلك الامور فهى على غير مراده هذا وقد انفصل القتال ودقوا طبل الانفصال وقد امسي المساء وعاد الامير بيبرص وهو يتأسف على ماقد حل بالمزا ايبك فبينماهو يتفكر فى ذلك واذاهو بنجاب قد اقبل عليه من عند الاغا شاهين الافرم ومعه كتاب فاخذه الامير وفضه وقرأه واذا فيه خطاب من الاغا شاهين الافرم الوزير الاعظم الى بين ايادى ولدي المحب الافخم اعلم ان مرادى ارحل ايبك من الشام ونرجع مكسورين فاذا تمت الساعة ستة من الليل تخرج انت والمقادم ولكم عيطات وزعقات عاليات وصراخ وتأخذوا جميع ماعندنا

من المال والنوال فهما اليك هبة كريم لا يرد فى عطاه والحذر ثم الحذر من المخالفة والسلام فلما قرأ الاميرذلك قال لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ثم انه اجاب بالسمع والطاعة وكتب رد الجواب الي الوزير بذلك واعاد القول على الامارة فأجابوا بالطاعة عن آخرهم وجعلوا يتجهزون من وقتهم وساعتهم فهذا ما كان منهم (قال الراوي) واما ما كان من الوزير الاغا شاهين فانه قال لايبك يا ملك الاسلام اعلم انني بلغنى خبر من بعض الجواسيس ان بيبرص مراده يكبسنا تلك الليلة و يقتلنا عن اخرنا هو والمقادم يأخذ مالنا واسلابنا فقال له وكيف يكون الراى فقال له الرأى عندي اننا نوضعك فى تخت و نسير من تلك الساعة نحن ومن معنا من الرجال و تقيم فى جوف الجبال فاذا طلع النهار ووجدنا انفسنا آمنين عدنا الى مكاننا بالسلامة واذا وجدناهم قد خرجوا نكون قد حصنا انفسنا معهم وفزنا بحياتنا وخلاص انفسنا ونسير الي مصر والسلام والقايل يقول

اذ سلمت رؤوس الرجال من الردى * فما المال الا مثل قص الاظافر

فقال ايبك هذا هو الرأي الصواب افعل ما بدا لك ياوزير الزمان فقال الوزير احضروا التخت الى ملك الاسلام وكل انسان منكم يركب على ظهر جواده و يتبعني ففعلوا ما امر به الوزير وتركوا ما كان معهم من المال والنوال وكان مسيرهم فى الوقت الذي امر الوزير فيه بالركوب (ياساده) فما ابعدوا عن المكان نحو خمسة فراسخ حتي سمعوا التهليل والتكبير والرجال قد خرجت من الشام ولهم ضجة عظيمة ونادت الرجال الفداوية الله اكبر فقال الوزير يا ملك الاسلام هذا الامر الذى كنت اخاف منه وقد وقع لقولي حجة فقال ايبك سيروا بنا على طويل لئلا يذكرونا فارتحل ايبك من ساعته ولم يأخذه هدو ولا قرار وكلما طلب الوزير الراحة يقول له سيربنا ياوزير لئلا يدركونا حتي اقبلوا الى العادلية فقال ايبك ياوزير الزمان دعنا ندخل مصر بالليل لا يضحكوا علينا العالم وتدرى الست فاطمة باننا جئنا خائبين ترسل الناس تضحك علينا والنوازى فقال له الوزير ياملك الاسلام انت سلطان سلاطين بنى آدم

لم احد يقدر يضحك عليك احد من الناس واذا رأيت احد يفعل معك شيء فامر برميه الي البحر والسلام فقال له هذا هو الصواب ثم انه بات تلك الليلة فى العادلية وقد ارسل الوزير من ساعته الى الست فاطمه يعاملها بذلك ويقول لها ايبك رجع مكسور اوفى بالنذر وارسلي الى الغوازي واولاد الرميله يفعلوا ما ارادوا والضمان على الله وعلى انا ثم انه ارسل المكاتيب ليلا الى الولايه المصريه بان كل من تعرض لاحد من اولاد الرميله لا يكون احد خصمه غيرى هذا وقد طلع النهار وانعقد الموكب وسار ايبك فى تختروانه واذا بعشرة ن الغوازي وامرأة رئيسة قدامهم وهى تنشد لهم وهم يردون عليها وتقول ايبك يامكسور بيبرس يامنصور فلما سمع ايبك ذلك الكلام صاح بملء رأسه اين الوالى فأجابه فى عاجل الحال قال له خذ هؤلاء الكلاب ارميهم الي البحر فقال له سمعا وطاعة ثم ان الوالى قبض عليهم وسار بهم قليل واطلقهم فاجتمعوا على الطايفة الثانية بقوا عشرين وايبك يأمر بهم الى البحر والناس تضحك وتتكلم وهو فى التختر و ن الى ان قبلوا الى الرميله واذا برجلين احدهما الاسكافي والآخر عنق والاثنين فى صفة واحدة قدام بعضهم البعض ولكنهم الاثنين اهل مكر وخداع امكر ماخلق الله على وجه الارض فقال احدهم للآخر يا اخي دعنا نضحك على ايبك ونأخذ العطا من الوزير فقال له اخاف ان يقتلنا فقال له لا تخاف لان ظهرنا الوزير الاعاشاهين ثم انهم صبروا حتى اقبل الموكب ونهض العنق على الاقدام وصاح على رفيقه وقال له اعطيني فتله دباره قال له لاي شيء فقال له اربط بها رجلي لان زرى انكسر وبقيت يااخي عواجه وطبل فقال له الآخر من مكره ودهاه تعالي الي عندى وخذ الفتله فسار اليه وهو على رجل واحده ويعرج بالآخر ويشق العالم هذا وقد كان ايبك قريبا منه فلما رآه كذلك صاح من قلب الغيظ وقال حشاش معرص انت تضحك على يا كلب اين الوالى قال نعم قال له خذ هؤلاء اقطع رؤوسهم قال سمعا وطاعة ثم اخذهم وسار الي ظهر التختروان واطلق سبيلهم الوزير واعطاهم العطايات ولم يزل الموكب سائر والناس يضحكون والغوازى يغنون الى ان اقبل الى قلبة الجبل وقد زاد مرضه وزاد همه وقد فى قاعة جلوسه

والحكما يتجارون عليه حتي انه اشتد حيله ولتم جرحه وطابت رجله الا انها تمن عليه اذا مشي كل هذا والست فاطمة شجرة الدر فى سرايتها لم تنزل اليه وهو لم يطلع اليها فلما ان طاب ما به اجتمع برفقائه فسلموا عليه وسلم عليهم وقال لهم كل هذا منكم ومن مشورتكم فقالوا له الحمد لله على السلامه ورفع المضره والندامة وسوف تري ماتصنع من الامور وناخذ لك بالثار من اهل الفسق والفجور فقم بنا الى الخلوات حتى انك تشم النسمات وتعود اليك العافية وترجع اليك الايام الصافية فنهض على الاقدام وركب معهم الاكام فساروا الي جهة بولاق ومنها الى الجزيره بالاتفاق فبينما ايبك سائر فى الطريق اذ نظر بنت سائرة من غير تعويق الي البحر تملأ منه جره من الماء وهي من بنات العرب اصحاب الحسب والنسب لكنها ذات حسن وجمال وبهاء وكمال وقد واعتدال كما قال فى حقها الشاعر المفضال هذه الاقوال

بديعة الحسن قد اقبلت * تفوق الغصن حين تميل

سلبت عقل المحب بحسنها * حتى انت الطرف بذى الكحيل

ما رأيت في العالمين كمثلها * ودلالها اورثني النحيل

ليتها تسمح بالوصل يوما * لان وصلها يشفى العليل

(قال الراوى) قال لها ايبك ياذى الحسن والاحسان انت بنت من العربان فقالت له انا بنت شيخ العرب حسان ثم مضت بعد ذلك الى نجعها تطلب اهلها وديارها وايبك ومن معه قد زاد حبه بها وتعلق قلبه بحسنها وجمالها فسار خلفها حتى عرف نجعها فسال عن ابيها حسان فقالوا له ها هو جالس مع العربان فسار اليه وسلم عليه فتلقاه حسان بالاكرام والضيافه والانعام واضافه تلك الليلة فكانت عنده اعظم ليله ولما ان طاب الكلام نهض المعز ايبك على الاقدام وقال يا مقدم حسان انا جئت اليك الى هذا المكان اريد من فضلك والاحسان ان تزوجنى ابنتك وانا سايق عليك اهل نجعك وعشيرتك فقال له انا لا ازوجك ابنتى حتى اعرف من انت ومن تكون بين عشيرتك قال له بنتك هذا ملك الاسلام وسلطان الانام فلما سمع ذلك

الكلام اجابه الى ماطلب وقال له قد بلغت الارب فكتب له فى نظير مهرها اقطاع
خراجه وكتب له بذلك حجة وكانت البنت اسمها سالمه ففرح ايبك بتلك النعمه ثم
اقام عندهم الي الصباح وسار وامعه فى البطاح حتى اقبل الى البحر فعدوا الى ثانى بر
فسار الى كرسى مملكته وقد اجتمعت عليه اهل مشورته فلما تكامل الديوان
وحضروا سائر الاخوان قال ايبك اين المعمار فاقبل اليه فى ساعة الحال فقال آه ابنى
قصر في جهة الفوطية وسميه بقصر البدويه فاجاب بالسمع والطاعة ونزل من عنده
فى تلك الساعة وبنى ذلك القصر المشهور فى ذلك المكان وقد عاينه كل انسان ثم ان
المعمار بعد تمام القصر اقبل الى السلطان اعلمه بتمام المكان فانعم عليه واعطاه
ونزل من عنده الى حال سبيله وامر ايبك بنقل البنت الي قصرها فاقبلت بها امها
واختها حتي اتوا بها الي مكانها واقيمت الافراح مدة سبعه ايام والناس فى حظ ولعب
وكلام فلما ان كانت ليلة الجمعه دخل عليها ايبك فوجدها درة ماثقبت ومطية لغيره
ماركبت فتملى بحسنها وجمالها وفتح تنورها واقام ليلته ونهاره عندها ياساده ياكرام
وقد اقام ايبك على ذلك المرام وهو لا يسير الي ديوان ولا يجتمع عليه انسان ولا يطلع
السرايه الا الست فاطمة ولا يروح بيته عند زوجته ام احمد ابدا مدة ثلاثة شهور
وهو لا يبرح ن عند البدويه وكانت عنده اعظم من المملكه والرعية قال ثم ان البدويه
جارت عليها المقادير فاصيبها مرض شديد كبير حتى قل نومها واكلها وصارت لم
تعرف مرضها ولزمت فراشها فلما رأي ايبك حالها وما قد اعتراها وناولها باحضار
الحكيم فحضر فاخبره بالخبر وقال له ان زوجتى مريضة مرضا شديدا ماعليه من مزيد
وانا ريد دوائها وازالة ما بها قال له الحكيم يا ملك الرقاب اؤمرها ان تقف من
خلف الباب وتمد الي يدها حتى انى اجس نبطها فقال له سمعا وطاعه وامرها بذلك
من تلك الساعه ففعلت ما امرها به زوجها وتقدم الحكيم فجس نبطها وقال يا ملك
الاسلام اعلم انها سليمه باذن الملك العلام وانما هي تغير عليها الهوى والمرعى فرضت
لشدة تلك المسعى ولكن اجعلها فى مكان خالى عن العمران تقيم فيه بعض ايام تشم
النسيم يزول عنها الالم والتصميم فعند ذلك نقلها الى البساتين وجعل عليها عشرة

خادمين فاقامت فيه شهرين فازداد عليها المرض واشتد عليها الالم وتزايد عليها السقم وحارت فيها الاطباء والحكماء ولم يعرفوا لها في ذلك دواء فلما ان اراد الله بها بالعافية وازال ما بها من الامور القاسيه نظرت يوما من الشباك وتاملت الى البر والاملاك اذ نظرت الي جماعة من الفلاحين وهم تحت القصر جالسين وقد وضعوا الخبز الذره والبصل والمش القديم والجبنه وجعلوا ياكلون وما منهم الا مثل المجنون فلما نظرت الى ذلك اشتاقت نفسها الى الطعام فامرت الاغوات ان ياتوها بذلك الطعام من عند هؤلاء الفلاحين واعطائهم هذه السفره بما فيها من الدجاج السمين ففعلوا اما امرتهم به من ذلك الفعال واتوها بما طلبت في عاجل الحال فلما حضرت السفره بين يديها اكلت منه كفايتها فعند ذلك اخذها النوم فنامت فاخذها العرق وقد هامت فما استيقظت من نومها الا وقد عفاها الله من مرضها وبرأت من سقمها وبرأت من العيوب باذن علام الغيوب هذا وقد تسابقت الاخبار الي ملك الاقطار ففرح بذلك الاثار ونقلها الى قصرها وقد زاد بقلبه حبها وهجر نسوانه لاجلها وصار لم يسال على مملكه ولا رعيه وسار الوزير مع العلما في الديوان يعملون احكام الرعية والقضية قال ولما تداولت الايام على ذلك الحال شكت العلما والدولة الى الاغا شاهين ما فعل ابيك وقالوا له انت الوزير وابن الملك الحاكم الكبير فقال لهم كما تعهدوا هو مقيم عند البدويه وقد ترك من اجلها سائر النساء والرعية فقالوا له هذا لا يحل من الله ان يترك الاحكام ويفعل على هواه وايضا انه يترك بعض نساه فهذا والله حرام ولا يرضى بذلك احد من الانام فقال لهم الاغا شاهين ومايكون الراي والتدبير في ذلك الامر الخطير فقالوا له تمضي انت اليه وتعرض قولنا عليه فان كان يريد ان يكون حاكما علينا يجلس بيننا وينصف المظلوم من الظالم ويراعي ذلك العالم ويرضى مولاه ويعدل بين نساه وان لم يرضى بذلك عزلناه وولينا بمعرفتنا سلطان سواه قال فعند ذلك اجابهم الوزير بالطاعة وركب من تلك الساعة وسار اليه واعرض كلام العلما والدولة عليه فلما بان سمع بذلك من الوزير قال له يا وزير الزمان انت والعلما تكونوا سياقا على شجرة الدر انها تصطلح معي وتطيعني في الامر والنهي لاني تزوجت بها وضيعت

مالى بسببها ولم اعلم هل هى على اى شىء ويقال ان ايبك لم اجتمع بها الى الان والعلم عند الله الملك الديان فقال له الوزير سمعا وطاعة وبعد ذلك تعود الي الديوان ومحل الاحكام فقال له نعم ياوزير الزمان هذا وقد ركب الوزير وسار الى العلماء واعاد عليهم ماقاله ايبك فارسلوا الى الست فاطمه بذلك وقالوا لها لاجل خاطرنا تعودي الي ايبك وتتركى الغضب وماجرى من ذلك السبب فقبلت الست قولهم واطاعتهم فى امرهم ثم ارسلوا الى ايبك اعلموه بانها رضيت واجابت وماخالفت وماابت ففرح بذلك وسار الي الديوان وعبر على الاخوان وسلم فردوا عليه الكلام وجلس يتعاطى الاحكام الي ان كان آخر النهار نفض الملك المنديل تحولت الصغار والكبار ولما جن الليل طلع ايبك بنفسه الى السرايه فتلقته الست فاطمة باعظم بشاشة واجلسته الى جانبها وحصل بينهما العتاب ثم وقع الصفا واستطاب ونالوا الحظ من بعضهما وزال الغيظ الذى كان بينهما ومازالوا فى هراش ونفاش وحظ وانبساط ولعب واستنباط حتى اتى الصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح وكان تجهز الحمام الذى فى السراية وعبروا الاثنين الى الحمام وخلعوا الملابس بالتمام وجلسوا الاثنين مع بعضهما وقد جرى القضا عليهما وكانت ساعة بدريه كما اراد رب البريه فبينماهم جالسين فى الحمام اذدار بينما الكلام فقالت الست فاطمة ياملك الاسلام هل رأيت البدويه احسن مني شعرا أوابيض مني جسما أواحسن منى وجها فقال لها لا والله ياستي فاطمة انت احسن منها ومن غيرها وكل ما كان فيكى فهو اطيب وما فيكى عيب يتعيب ولكن ياخسارة فيكى شيء واحد نجس وذلك انه يلعب معك الولد بيبرس فعند سماع ذلك الكلام تغير لونها وقد فار دمها وهدرت من ساعتها ووقتها وصارت تهدر مثل الجمل وكل اعضائها تزيد فى العمل فخاف ايبك منها وتأخر بعيدا عنها وقال فى نفسه دعها حتى تروق من سكرتها فلما تأخر عنها اخذتها سنة من النوم فرأت الصالح فى نومها وقد زاد عليها فى اللوم وهو يقول لها يافاطمه نظفى عرضك بهذا الحسام الذى تريه داخل الماء فى المغطس فكل شىء له سبب من الاسباب فأفاقت من نومها ومدت الى الماء يدها فوجدت حسام فى قرارها

فاخذت الحسام وهجمت على ايبك التركماني وضربته بيدها وماعنده شيء يلتقى عليه ضربتها بل انه اراد ان يحوش عن نفسه بيده اليمين فجاء الحسام فيها فسقطت الى الارض فصاح بملء رأسه ارجعي عنى يا فاجرة يامن على تلك الفعال قادرة فضربته الثانية فوقعت الضربه على هامته فوقعت رأسه قدامه فصاح صيحة مزعجة أدركني يا احمد ياولدى فقد عملت هذه المرأة على فقدي قال وكان احمد ولده بايت عنده تلك الليلة فى قاعة الجلوس والسبب فى ذلك ان امه ارسلته اليه لينظر كيف يكون حاله وماهو عليه وكان ذلك سببا لما يريده الله تعالى فلما ان سمع احمد تلك الصيحه اخذه الفزع وقد عرف صوت ابيه فجرد حسامه بيده وطلع يجري الي السرايه وعبر الى الحمام من غير استئذان فلما ان احست به الملكة صرخت عليه ارجع يا احمد ا ناعر يا نه ارجع يا احمد ا ناعر يانه لا تأتى الي الحمام فلم يسمع ذلك الكلام بل هجم الى الحمام وتامل فرأي ابوه قتيل وعلى وجه الارض جديل فعند ذلك طلبها بالحسام وقد خافت على نفسها فصعدت الي ظاهر الحمام وهي من غير استتار وهو طالبها على الآثار حتى سارت الى اعلا السرايه وقد حس قلبها بالبلايه وكان لظاهر السرايه داير من الخشب فارتكنت عليه لاجل ما هو مكتوب عليها من السبب وكان ذلك الخشب قليل التمكين ذائب غير مكين فاخذها وسقط الى الارض فوقعت على أم رأسها وقد شهدت بالوحدانية لربها وما وصلت الارض حتى فارقت الدنيا رحمة الله عليها وعلى من مضي من اموات المسلمين فهذا ما كان منها (قال الراوى) واما ما كان من احمد ابن ايبك فانه رآها حتى سقطت فرجع وتدور وجد فى طلبها وهو يقول لا بد لى من قتلها كما قتلت بعلها بيدها وكان عند وقوعها سمعها رجل من تلك البقعة مقيما فى ظاهر السرايه لاجل الاحسان فلما وقعت الست الى الارض ظن انها حاجه سقطت من السرايه فقام لياخذها فلما اقبل عليها ووجدها عارية خلع الدلق الذى عليه وسترها فمدت اليه يدها وفيهم اساور من الذهب وفصوص معادن فاخذهم منها وترك الدلق عليها وسار الى حال سبيله هذا واقبل احمد بن ايبك والحسام مشهور بيده وما زال كذلك حتى وقف على رأسها وجعل يعاتبها ويقول لها ما بقي عليك شطاره وانت التي كنت اصل هذه

العباره فبينما هو كذلك واذا بالوزير الاغا شاهين قد اقبل فى دولته فرأى احمد واقف على رأس الست بنصلته وهذه الكيفية فلما ان رآه الوزير صاح فيمن معه اقبضوه وفى الحدد أوثقوه فقبضوا عليه وغلوا عنقه ويديه وامر به الى السجن ففيه وضعوه قال وكان السبب فى مجيء الوزير الي هاهنا تلك الساعة الملك الصالح ايوب فانه تلك الليله اتاه فى المنام وقال له قم اوزير الزمان ابيك مات في الحمام ورمتنا فى قرميدان قم على حيلك تاوى الرمه فنهض الوزير فى عاجل الحال واحضر هؤلاء الرجال وسار بهم الى ذلك المكان فوجد الذى رآه فى المنام عيان فامر بسجن احمد بن ايبك خوفا على مال الست فاطمه لئلا يطمع فيه اوانه يتشاجر لاجل قبل ابيه فما وجد له اوفق من ذلك الامور وانه يلتهى بها عما يريد من الامور (ياساده) ثم ان الوزير امر باخراج ايبك من الحمام فاخرجوه وعلى الفراش طرحوه وامر ايضا بنقل الست فنقلوها والى داخل السرايه ادخلوها وشاع الامر بموت الاثنين فهرعوا الناس الى المشهدين وعمل لهما الوزير ما يلزم اليه الحال ودفنهما فى القرافه ومقاماتهما امام بعضها فهذا ما كان من امرهما واما ما كان من الوزير فانه عاد وشرع فى الغزا والختم والسبح ودلائل الخيرات اربعين يوم وختم على مالهما خوفا من اللوم ثم انه لما انها الفراغ من ذلك سطر كتاب الى بيبرس يعلمه فيه بما جرى من الامور بالامس وقد قال فيه خطاب من المحب الاكبر الى بين ايادي ولدى الاجل فخر نعملك ان امك توفت فى رحمة الله تعالى وكذلك ابوك ايبك وقد جري من امرهما كذا وكذا وانت معك ستة حجج بالسلطنة واننا قد دفناهما وختمنا على مالهما فعند وصول الكتاب تاتى سريا الى عندنا لاجل ان نبايعك على السلطنة وتكون انت الحاكم علينا والسلام على نبي تظلله الغمام فسار النجاب بالكتاب ومازال به حتى أوصله الى الامير بيبرس فلما قراه كتب اليه رد الجواب يقول فيه هاانا حاكما على الشام ومطيع لامر كل من تولى من الايام والسلام على نبي تظلله الغمام ثم ارسل رد الجواب الى الوزير فلما قرأه وعرف معناه قال للاكراد ياساداتنا ياكراد هل فيكم من يليق للسلطنه أو احدا من نسل ملكنا قالوا له فى غيرواحد يقال له الملك المظفر وذلك انه له شعر طويل فى اربعة وعشرين ظفيرة

فلذلك سمي بالمظفر فقال واين مكانه فقالوا هو فى حوش يصطنع فيه الغزل وهى الزويه الموجودة الآن التى امام مقامه فركب الوزير والدولة اليه وعبروا عليه فلما رآهم استقبلهم وقال اهلا وسهلا بالاغاشاهين الافرم الوزير الاعظم ما اسمك قال والله انك ولى الله مثل ابوك وجدك قال علاي الدين ولايه بجليطه فقال له الوزير يا مولانا مرادنا انك تلبس علينا سلطان لان هذا المكان حقك وحق ابيك من قبلك فلما سمع منه ذلك الكلام قال له وانا ما انا سلطان واعظم من السلطان وايش يزيد عنى السلطان قال له لا بد لك من ذلك فقال لهم اذا كان الامر كما ذكرتم والحال كما اشرتم فانا لا بد لى من المشاورة الى بنت عمى وهي من دمي ولحمى فقالوا لا باس بذلك ثم انه صعد الي ايكه سمحه وشاورها فى تلك المسالك فقالت له اذا كان عندهم ذخيرة مثل التى عندنا فسير اليهم وتوكل على ربنا وان لم يكن عندهم مثل هذه الذخيرة فدعهم يعود بالخيبه والحيرة فقال لها واين الذخيرة فاخرجت له علبه كبيرة وفتحت غطاها واخرجت صرة حمرة مثل الاكره وفكتها واخرجت صرة اخرى ومازالت تفعل كذلك حتى اخرجت سبع صرر ومن داخل هؤلاء الجميع دينار من الذهب الاحمر وقد ناولته اليه وقالت له ها هى ذخيرتنا وما امتلكناه فى ايام دولتنا فان كانوا هؤلاء عندهم مثله فلا تخالفهم وان كانوا ما عندهم شيء لا نطاوعهم فلما رأى ذلك الدينار قال لها يا ست يا بنت العم ها انت غنيه من الاكابر الكبار ولكن من اين لك هذا الغنا وما يعرف احد من الناس ان مثل هذا عندنا فقالت له اعلم انني ادخرته عن امي وامي عن جدي وما هان على ان اضيعه ابدا فنزل عند ذلك واخبر الوزير وقال له ان كان عندكم مثل هذا فانا اكون عليكم سلطان وان لم يكن عندكم فلا تقربوا ذلك المكان بل سلطنوا غيري اي احد من الانام ثم ناول الدينار الى الوزير فلما عاينه ضحك ضحكا كثيرا ومد يده الي جيبه واخرج له كبشه وقال له خذ يا مولانا السلطان فاخذها وعاد الى بنت عمه بها فلما رأتها فرحت وقالت له توكل على الله فنزل ورضى وسلم لله فى القضا وقرأوا الفواتح وانعقد الموكب وركب من مكانه وسار من ساعته بالدوسه وسار بالرجال قاصد الامام الشافعى فزار والدولة والموكب معه وأتى الي

الرميله وقد سار يذكر اسم الله تعالى فوقعت الطليحيه من على رأسه فارادوا الحفاظ ان ينالوها اياها فقال لهم دعوها فصارت تجري وهو سائر خلفها الى محل القسمه فوقفت فقال لهم ها هنا محل القسمه سالتك ياوزوير بالله الذي خلق الخلق وبسط الرزق اذامت في اي مكان تاتي بي الى ها هنا وتدفنوني في هذا المكان بعد البنا فهذا وصيتي اليك والسلام فقال له الوزير سمعا وطاعة ولكن ارسل احضر لنا الوزير بيبرس حتى يأتي ويعمر هذا المكان ويعمل لك مقام وتبايعه على السلطنة لانه معه ستة حجج بها فقال سمعا وطاعه ثم امر ان يكتب له كتاب فكتبوه وارسلوه اليه من ساعته وهو في موكبه وسار به النجاب وسار هو أيضا الى قلعة الجبل ثم بايعوه وشاروه وعلى السلطنة اجلسوه ثم جعلوا الفصاديه على عينيه وادخلوه قاعة السلام فديده قبض على قطعه سلام فرآها باسم افند فسمي بذلك وتكني بالمظفر ثم انه جلس بين الرجال وتكامل الديوان بسائر الابطال والشجعان فبينما هو جالس واذا بالاخبار قد دخلت عليه بأن الامير بيبرس أقبل بالشام فقال لهم ادعوه الي ها هنا فدعوه فلما اقبل نهض له الملك وسلم عليه وقال له اعلم ان هذا التخت اليك وأنت الحاكم عليه ولكن كل شيء وله اوان ثم ان الملك قال له انزل ياسيدي بيبرس وابني لي مقام في المكان الفلاني قبال القاعة واعمل القاعة زاوية ولك في نظير ذلك مايطيب خطرك فاجابه الامير بالسمع والطاعة ثم انه نزل من الديوان من تلك الساعة ودار البنا في المقام وفي قليل من الايام استتم المكان وطلع الامير واعلم السلطان فقال الملك اللهم عمر بك الاوطان والبلدان ولكن ياغا شاهين اكتبوا لاخي الامير بيبرس حجة شرعية لا يكون ملكا وسلطانا بعدي الاهو ان شاء الله تعالى فكتبت الحجة وقد تسلمها الوزير وجعلها مع الآخر بقوا سبعة ثم ان الملك قال له يا بيبرس اوهبتك مال ايبك ومال ملك وانا على رضي احمد ابن ايبك ثم انه ارسل احضره الى عنده وانعم عليه باكثر من مال ابيه ورضى خاطره واجلسه في الديوان ثم ان الملك جعل يحكم بالعدل والانصاف وقد رضيت باحكامه سائر الناس وايضا صار

يكرم الامير بيبرس غاية الاكرام ولم يسمع فيه من احد كلام فيوم من بعض الايام هو جالس واذا بنجاب قد أقبل عليه وهو يقول نعام قال الملك سبحان مسبب الاسباب من اين والي اين قال له من الشام فاخذ الكتاب وفهم رموزه ومعناه واذا فيه خطابا من باشة الشام اعلم يا ملك الاسلام اننا مقيمون يوم تاريخه واذا باربع ملوك حطوا على الارض والبلاد وصحبتهم اللعين جوان والبرتقش الجوان فلما اقبلوا الينا ارمينا عليهم بالنار فنزلوا على حدرمى الشرار فارسلنا اليك ادركنا أو ارسل لنا من يدركنا والسلام فلما قرأ الملك الكتاب قال لا بد لنا من الركوب صحبه هؤلاء الاحباب لاجل ان نكتتب من المجاهدين الذين هم عند الله مقبولين فعند ذلك قال له الامير بيبرس يا مولانا خليك مقيم عندنا وانا اكفيك مؤنة أعداءنا فقال لا بد من رحيلي معكم ثم امر بالتنبيه فاخذ العساكر فى أسباب التجهيز والاهبة للرحيل وقد عزموا على الجد والتشمير ثم نزل الملك فى نهار يمد من الاعمار وقد أخذه الدعا من الكبار والصغار وارتحل الملك بعد ان اقام له وكيل من الاكراد على تخته وسار حتى حط على الشام وفي بعض النسخ ان الركبة كانت على حلب قال فنصبت الاعلام والسرادقات والخيام واقام الملك على ذلك ثلاثة ايام وفى اليوم الرابع امر الملك بدق طبل الحرب فدقوا الطبول وتحضرت الفحول ثم نهض الملك على الاقدام فقالوا له يا مولانا السلطان ارح نفسك من الطعان فنحن لهؤلاء الكفار نقطع منهم الآثار فقال الملك لا وعزة الله ما منكم من ينزل ويقول عني حاس الا اذا انجلت الوقعة وصارت سائر الكفار نحوى شنعة هذا وقد نزل الملك بالسيف الخشب والترس الجنزى وتوسط الميدان ونادى وقال ميدان يا لئام ما فى الميدان الا الفقير الى الله تعالي الملك الديان فامر جوان بالبطارقه فنزل اليه اول واحد فضربه بالحسام اهواه والثانى فما ابقاه فقال جوان يا كناس يا مرفوص يا سيف الروم هذا يسطر بالسيف الخشب هذا وقد صار يقاتل الي آخر النهار ودقوا طبول الانفصال فعاد وهو يقشط الدما كقطع الاكباد ثم نزل ثانية الايام فاهلك جميع اللئام وفى اليوم الثالث فعل فعال وأي فعال فقال جوان

وحق المسيح لا بد ان اعمل على قتل هذا الرجل زين المسلمين

(قال الراوي) وكان السبب في ذلك الركبه ان جوان لما هرب من وقعة فرسيس قال البرنقيشه ياسيف الروم سيرنا حتى ننصر لهؤلاء المسلمين داهية فسار معه حتى عبروا الى هؤلاء الملاعين وكانوا من قطاعين الطريق فى قلاع شاهقات فى وسط الجبال يقال لهم جبال الصخر فقال جوان بعد ان دخل عليهم وتلقوه يا اولادي اعلموا ان مرادي منكم الغزاة في سبيل المسيح ولكم الاجر والثواب منه والدعا مني فقالوا له نركب على اى البلاد فقال نركب على الشام لانه بلغني ان باشت الشام محبوس وخصمناهو الذى حبسه وقد اخبرني المسيح بان النصرة لا تكون الا على بدكم اتم فاذا وصلنا هناك نقتل بيبرس ونطلق الملك من السجن ونقيم عنده ونحاصر المسلمين حتى نفنيهم عن آخرهم فقالوا له شانك وما تريد ثم انهم تجهزوا وركبوا الى الشام حتى وصلوا واراد جوان ان يعمل على خلاص عيسى فما قدر من الرجال الفداوية والبلد قد تحصنت بالرجال وارسل الجواسيس يسأل عن بيبرس فاخبروه بانه صار الى مصر فنزل فيمن معه وحاصر البلد حتى اقبل الملك كما ذكرنا وحارب الكفار كما شرحنا وجرى من الامر ما قدمنا (ياساده) ولما ان رأى جوان الي ذلك الشان التفت الي البطارقة فرأي فيهم بطريق كانه العتيق فقال له ما اسمك قال اسمي عبد الصليب فقال له ما تقول في خمسين ستة زيادة فى عمرك وخمسين فدانا فى سقر والوادي الاحمر فقال له شكر يامسيح قال له تنزل الليلة ليلا وتشق جوف الملك من ظهره وتدخل عليه تقطع رأسه وترمى عنده هذه التذكرة وتقوم الى عندي اسالك سقر لا سيبطه ولا تماطه فقال له سمعا وطاعة فهذا ما كان من امر هؤلاء

(قال الراوى) واما ما كان من امر بيبرس فانه اجتمع بالرجال اولاد اساعيل فسلم عليهم وسلموا عليه وسألوه عن السلطنة فاخبرهم بالملك المظفر وجعل يشكر لهم في افعاله واحكامه ويثني عليه الثناء الجميل فعند ذلك تغيرت وجوه الرجال وجعلوا يلوموه على التأخير ثم ان المقدم سليمان قال له الي كم تؤخر نفسك عن السلطنة يا اخينا فقال

لهم يارجال والاسم الاعظم انى انا انسلطن بعد موت هذا الملك ان شاء الله تعالي وما سفه قولكم ابدا فلما اقسم عليهم قالوا له يكون خيرا ان شاء الله تعالى ثم ان المقدم سليمان الجاموس صبر الى الليل وصاح بولده الفهد فاقبل اليه فساره فى اذنه وقال له يافهد سير من هاهنا لى هذا الرجل الكردى اقتله وارحنا منه والسلام وبل لي هذه القطنة من دمه وهاتها الى عندى فقال سمعا وطاعة ثم ان الفهد سار وهو يتأسف على تلك الفعال وعلم ان الذى حمله على ذلك حبه فى الامير بيبرس فسار يفتكر فى نفسه ويقول كيف اقتل نفسا حرم الله قتلها الا بالحق فاذا رجعت من غير قتله فاكون عصيت والدي وان قتلته فقد عصيت خالقي ولكن يارب بحق حبيبك محمد صلى الله عليه وسلم ان تنجيني بهذا الامر الذي لا اريده انك على كل شيء قدير وقد توسلت اليك بالرسول العظيم سيد الاولين والآخرين ان تنجينى من هذا الكرب المهين يارب العالمين ثم ان الفهد سلم امره لله وعبر الى العرضى وصار قاصد صيوان الملك فلما اقبل اليه واذا به وجده مشقوق من ظهره فعبر وتامل واذا بالملك قد فارق الدنيا وهو غارق فى دمه فلما راه كذلك خر لله ساجدا وحمد الله الذى بلغه مناه وجعل موت هذا على يد غيره وكان اضمر فى نفسه ان لا يقتله ابدا بل انه اذا عبر عليه ورآه نائم او يقظان يدور من حوله ويصير من داخل الصيوان حتى انهم يحسوا به ويقبضوه وفى الاغلال يوضعوه ويفعلوا به ما يريدون ويكون غدره عند ابيه مستقيم (يا ساده) فلما ان رآه قد قتل وعلى وجه الارض جندل اخرج القطنة ولوثها بدمه وعاد من وقته وساعته الى عند اباه فقال له لما رآه قتلته يا ولدى قال له والاسم الاعظم قتل فقال له ياولدى لا تبدى هذا الخبر لاحد من البشر فاجابه الي ذلك فهذا ما كان من امر هؤلاء

(قال الراوي) واما ما كان من امر الدولة والوزير فانهما لما اصبح الله بالصباح واضاء الكريم بنوره ولاح دخلوا على الملك فوجدوه بالصفة التي ذكرناها فتأملوا الامارة الى جانبه فرأوا تذكرة ففضها الوزير وقرأها واذا فيها مكتوب ماعمل هذا العمل وبلغ هذا المنا والامل الا الامير بيبرس والخط والختم حجة فيه فلما

رأى الوزير ذلك قال لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم (يا ساده يا كرام) فعند ذلك اجتمعوا ارباب الدولة من كل جانب ومكان وقرأوا هذه التذكرة ومافيها من الاحكام فقالوا لا بد لنا قتله فقال له الوزير يا بيبرس لاى شيء قتلت الملك ونحن عزمنا عليك بالسلطنة من قبله فما رضيت بذلك فقال له يا وزير الزمان وحق مكون الاكوان وخالق الانسان وعلمه البيان ماعندي لذلك من علم ولا خبر لذلك من الاثر فقالوا له الاماره هاهو خطك وختمك يشهد عليك فقال الوزير والله انا تحيرت فى هذه الامور وما ادري كيف يكون ذلك ابدا هذا وقد حضرت الفداويه وهم شاكين فى السلاح ومنتظرين ان احد يقرب الي بيبرس بيد ويجردوا شواكرهم ويأخذوه على حمية وأى حميه فبينما الجميع متحيرين وهما الي بعضهما البعض شاخصين واذا بالمقدم قد اقبل من كيد البر الاقفر فلما دنى منهم صاح على الجميع بالسلام فردوا عليه السلام فقال لهم ماذا تقرلون فى ملككم ومن تزعمون انه قتله فقالوا له يامقدام خذ اقرأ هذه التذكرة فقرأها ومزقها ورماها الى الارض وقال لهم يارجال والاسم الاعظم كذب كل من قال هذا المقال وان كان هذا الكلام له يقين لادعكم تضربوني بشواكركم اجمعين ولكن خذوا رأس ملككم ها هى معى ورأس اللعين الذى قتله ها هى الاخرى واخرج الرأسين من كلاليب جدانه فلما عاينوا ذلك شخصوا اليه وقالوا له حدثنا يامقدم عن هذا الابرام قال وكان السبب ان البطريق الذى ارسله جوان اقبل الى الصيوان وشقه وعبر على السلطان فرآه نايم غير يقظان فزاح رأسه عن بدنه والاستاذ يقول الله الله واللعين يتعجب من ذلك ويقول كيف انه يتكلم بعد المنطار ولكن لا بد لي من اخذ هذه الرأس الي عالم الملة لاجل ان يصدقني ويتفرج على كلامها ويدعى لى ثم مد يده واخذ الرأس وسار بها والرأس تقول لله الله واللعين يقول له اخرس يا كناس حتى خرج عن عرضى الاسلام فبينما هو كذلك واذا قد اقبل عليه ذلك الخيال وكان السبب فى مجىء الاستاذ افظ المظفر وهو انه أتى الى ذلك المقدم ضايع الاسم وحط يده على صدره فى المنام وقال له يامقدم قم على حيلك خذ لى بالثار واجلى عن نفسي العار ويرى الامير بيبرس الله تعالى يأخذ

بيدك يوم القيامة فنهض ضايع الاسم من وقته وساعته وركب حجرته وسار طالب عرضي الاسلام كما قال له الاستاذ فصبر بالبطريق فى اثناء الطريق وسمع رأس الاستاذ وهى تذكر فصاح عليه بملء رأسه ايش يكون الزول في ظلام الليل فصاح اللمين عليه وقال له كناس قيقان هبلار ففند ذلك ترجل ضايع الاسم وجردشا كريه زهير واقبل عليه وضربه على عاتقه اطلعه يلمع من علايقه واخذ رأسه ورأس الاستاذ وجعلهما فى كلاليب النطعه وتدارى فى الجبال حتى طلع النهار واجتمع الناس وجري ماقد ذكرنا واقبل المقدم واخبرهم بما قد جرى وقال لهم اعلموا ان هذه من بعض مكايد جوان ولما ان سمعوا الامارة ذلك ما أحد منهم قدر يتكلم بكلام (ياساده) ثم ان الامير بيبرس التفت الى المقدم وقال له يا أخي جزاك الله خيرا فمن انت قال له انا ضايع الاسم اكتب له تمنيه وعشرة آلاف دينار فكتب له ماطلب منه على الاثار فاخذ التذكره وسار فهذا ما كان من هؤلاء

واما ما كان من المقدم سليمان الجاموس فانه نهض على الاقدام وهجم على ولده ولكمه بيده كتم الارض بخده وقد اراد كتافه وجود حسامه وطلب قتله فقالوا له المقادم لاى شيء تفعل ذلك فما انت الا ظالم له فقال لهم انه قد حلف بالاسم الاعظم باطل ومن اجل ذلك اردت ان اكون له قاتل فقالوا له وكيف ذلك قال لهم انى لما سألته عن هذا الملك حلف انه قتله واعطانى هذه القطنه التى فيها دمه فقالوا له انك لما سألته قال لك والاسم الاعظم قتل ولم يحلف انه هو الذى قتله وانه ماحنث فى يمينه فقال الفهد يا مقادم اعلموا انه لما أرسلني ابى اليه شكيت دعوتى الى ربي واستغثت بالله وتوسلت برسول الله وقلت فى نفسي الى بلاد الناس ولا تظهر وجهك لا بيك ابدا ولا تقتل هذا المؤمن بيدك وتكون من اجله فى النار مخلد فلما عزمت على ذلك الهمنى ربى فدخلت العرضى فوجدت صيوانه مشقوق وهو في دمه مغروق فغطست القطنه فى دمه واتيت بها الى ابى فسألنى فقلت له والاسم الاعظم قتل فقالوا له المقادم الحق مع الغلام فدعه فانه صادق وما هو فى يمينه حانث ولا منافق ثم خلصوه من يده وفكوا وثاقه وشدوه ثم ان الوزير امر ان يصبروا ذلك الملك فصبروه وفي التختر وان ونعوه

وامرهم ان يسير وا به الي مصر ويدفنوه في ذلك القبر وسار الوزير ومعه نصف العسكر فهذا ما كان من امر هؤلاء وأما كان مر الرجال المقادم فانهم صبر وا حتي جن الليل وتنكر وا جميعا بملابس الافرنج وعبر وا الى عرضى اللثام وبعلكوا امنه من سائر الاماكن وصبر وا حتى اخذهم المنام وهجموا على الملوك فدبحوهم عن آخرهم وصاحوا الله اكبر فتح ونصر واخذل بالثام من كفر بدين محمد للقمر فما فاقت الافرنج على نفسها وصحت من نومها وذهب عنها سكرها حتى محق السيف آثارها وقطع اخبارها ولا بقي منهم من وصل الى دياره وكان اللعين جوان هرب هو وبرتقشه وذلك انه لما ارسل اللعين الى قتل امير المؤمنين التفت الى برتقشه وقال له ياسيف الروم انا اعلم من كتاب اليونان ان هذا الملك يموت فى هذه النوبه واذا اقتله هذا اللعين فلا بد ان اولاد اسماعيل يهجموا على الكفار ويدوروا فيهم المنطار فسير بنا قبل خراب الديار فقال له دعنا نقيم حتى ننظر ما يكون فقال له سير بنا قبل ان يقبضوا علينا ثم انسلوا من العرضى الي حال سبيلهم فهذا ما كان من امرهم وما اصبح الله بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح حتي فضى المكان وما بقى فيه الا اشباح من غير ارواح هذا وقد لموا الاسلاب واحضروها الي بين ايادى الوزير وبين الامير واعطوا كل ذى حق حقه ولما ان تهيأ الفراغ من ذلك قالوا الرجال لبيبرس لا يلبس ملكا وسلطان الا انت لا لك حلفت بالاسم الاعظم انك تلبس بعد موت هذا الرجل ثم قال له الوزير كذلك وسائر الدوله فقال الامير اذا كان غدا البس ثم صبر الى ان جن الليل وأدعى بعثمان وقال له خذ بالك فانى سائر الى حلب فقال له سمعا وطاعة ثم ركب جواده وسار حتى طلع النهار طلبوه فما وجدوه فسألوا عثمان فقال سار الى حلب وتركم وهرب فركبوا وساروا خلفه فى الطلب فلما اجتمعوا عليه قالوا له ما حملك على الهرب فقال لا ولكن انا لي حاجة اتيت اليها فقال لا بد لك من السلطنة قال اذا كان ذلك فى غد ثم صبر الى الليل وسار طالب الشام فلقيه الوزير وغضبه على السلطنة فقال غدا ثم ركب الى حلب فقالوا له المقاديم لا بد لك من السلطنة وما زالوا متحيرين المقاديم والوزير سبع مرات وكل ذلك لاجل الميعاد الذى بينه وبين المقدم جمال الدين شيحه

لانه قال له لا تلبس سلطان حتى اقابلك و بذلك آمرك فامثل امره فلما كان فى المرة
السابعه بينما هو سائر فى الطريق اذ لقيه درويش عجمى سائر فى الخلا فدنى منه وسلم
عليه ومدح الرسول بين يديه فظن الامير انه يريد الاحسان فاخرج له شيئا من
الحطام فقال له يا اخى ها انا اخوك المقدم جمال الدين شيحه وهذا الميعاد بيني و بينك
فاذا كان غدا فاشرط شروطك والبس سلطان فقد آن لك الاوان وخذ هذه الطابة
الباغه احفظها عندك فهى امارة بيني و بينك واعلم ان فيها حسبي ونسبي واعطني
انت الآخر شيئا من عندك يكون فيه حسبك ونسبك فناوله الآخر منديل
مزركش بالذهب مكتوب عليه با بره القصب الحسب والنسب ثم انه بعد ذلك سار
و تودع منه واقبل الى الشام وقد اجتمعت سائر الرجال والفداويه والاشراف
والعلماء والاغاغاهين وسائر الابطال وقالوا له لا بد لك من السلطنة فى ذلك النهار فقال
لهم اذا كان مرادكم انى اكون سلطان فلى عليكم شروط وأوزان ولا اشترطها عليكم
حتى يحضر مجلسي المقدم جمال الدين شيحه اخى فان رضيتم بها لبست عليكم سلطان
والا فلبسوا من شئتم من الناس فقالوا له لك علينا ذلك ولكن هذا الذى ذكرته هو
رجل ولي ومن كرماته موضع مايذكر يحضر فان كان حقا عنده ولايه فليأت تلك
القضيه بالعنايه فما استتموا قولهم حتى حضر المقدم جمال الدين شيحه بين ايديهم
فقام له الملك وتلقاه وراق الديوان وتكاملت الاخوان فقال جمال الدين شيحه
اشترط شروطك يا ظاهر فها انا الان بين يديك حاضر فقال اول شرط منهم انى اجعل
لاخى جمال الدين كرسى الى جانبي برسمه وهو على اسمه ان غاب او حضر فاذا حضر
توضع له الشقه وا تلقاه وامشي له سبع خطاوى باربعة عشر نقل قدم وكذلك انتم
تقوموا اجلالا لنا ولم تجلسوا حتى نجلس فماذا انتم قائلون فقالوا سمعا وطاعة
فقال لهم الشرط الثانى ان يكون المقادم كلهم فى ديوان بجوابات وعلوفات وجوامك
فقالوا له وجب الشرط الثالث انى اجعلكم صفين ذات اليمين وذات الشمال واجلس
بين كل اثنين فداويه اميرذات اليمين واجلس ذات اليسار بين كل اثنين اماره فداويه
فاجابوه الى ذلك قال لهم الشرط الرابع ان تكون زوجتى فى سرايتى لها ديوان مثل

ديوانى بالرجال وديوانها بالنساماذاتقولوا قالوارضينا بذلك الشرط الخامس
اذا طلعت على دعوي وتعسرت على ارسلها الى زوجتى تحلها فاذا رأيت احدامنكم
مال الى اخيه وتكلم معه كلمه واحده قتلت الاثنين قالوارضينا بذلك قال لهم اذا
جلست على التخت وتركت الكرك عليه وانزل اشق مصرفما احديتحول من
الديوان حتي اعود ولو كان آخر النهاروتاتى عين الاخبار فلماذا اتم قائلون قالوا
سمعا وطاعة قال واذافعلت امراو رأيت احدامنكم يتشاورمع اخيه اقتل الاثنين
قالوارضينا قال لهم الاجتماع فى الديوان فقط وكل من اجتمع برفيقه بعيدا عن
الديوان من غيرعذرشرعى قتلته قالوا رضينا قال لهم اذارأى منكم الاميرمشهد وهو
سائر بموكبه يرتكن حتى يفوت المشهد وكذلك اذارأى جمال مقطوره أوزحام أو
حميرفلايتعرض لاحد من الناس الفقرا ابدا قالوا سمعا وطاعة قال لهم لم احد يمانعنى
فى احكامى التى ارسمها خلاف للعلما قالوارضينا قال لهم اذا كنت فى غزوة وخلصت
منها وجاءنى خبرغزوة ثانية أوثالثة اورابعة اواكثر فلااعود الى مصرحتى افتح
البلاد قالوا رضيا قال لهم اذا احدمنكم عمل ذنب فلا بدان اقتص منه بالوجه
الشرعى ولوكان الايوب الوزير الاغاشاهين قالوارضينا قال لهم اذاوضعت زوجة
الاميرمنكم غلام أواثنين فلا بدان يعلمنى بها ويكون فى دفترملكي اسم المولود
أواسمها حتى اذامات احدمنكم وله غلام يلبس مكان ابوه وان كانت انثى
اخرج لها ما يخلص ابوها حتى اذا بلغت زوجتها وجعلت زوجها مكان ابوها لاجل
ان يكون الديوان دايما قالورضينا ومازال يشترط عليهم شروط ويأخذ عليهم
مكاتبات حتى شرط عليهم اربعين شرط ومامن شرط الاويأتى له ذكر ومحل شاهد
يأتى في مكانه بعون الله وسلطانه فلمارضوا له فى ذلك كله قال لهم وانا الآخر رضيت
ان اكون سلطان فاول من بايعه من الدولة الوزير الاغاشاهين ثم بعده الدوله ثم
بعده الدوله ثم المقدم جمال الدين شيحه ومن بعده نقيب الرجال سليمان الجاموس
كبير الابطال ثم من بعده المقادم وقد اجلسوه على تخت الشام ثم تقدم اليه المقدم جمال
الدين شيحه وخلع عليه الكرك الذي كان لابسه وقال له عليك بالعدل والانصاف

فاني أوليتك على مصر والشام وسائر بلاد المسلمين مادمت على طاعة الله تعالى فان تغيرت عن الحق فانت معزول وما لك علينا امان ولا فضول فقال رضيت بذلك ثم نهض الملك الظاهر بيبرس وخلع الكرك لذي البنسه له جمال الدين وطرحوه عليه وقالوا البس الينالك سلطان على اولاد اسماعيل حتى يظهر المقدم معروف اوتأتينا عنه الاخبار فقال له وانت رضيت ثم جلس في مكانه هذا وقد نهض الامير ايدمر وقبل الارض بين يدي السلطان قال له اريد منك تمنية قال له تمني يا اخو يا قال له تمنيت على الله ثم على جناب السلطان ان يجعلني بهلوان السلطنه واكون مفتاح حرب الاسلام قال الملك ان الله اعطاك وانا اوليتك بهلوان تختي ومفتاح حربي قال له قبلت ثم لما استقر الملك ذلك اليوم الى آخر النهار نفض الملك المنديل تحولت الرجال فهذا ما كان من امر هؤلاء واما ما كان من الرجال الذين اتوا بالملك المظفر فانهم ساروا به حتى اقبلوا الي مصر وعملوا له مشهد عظيم ودفنوه في مقامه ومن كراماته رضي الله عنه انه اذا كان انسان له حاجة وفات على مقامه وقرأ الفاتحة وتوجه الى قضاء حاجته بعد ان يتصدق عند المقام بشيء من الحطام فانه لا يعود الا بقضائها ثم ان الرجال عملوا له الختم ومايلزم اليه الحال وبعد ذلك توجهوا الى الملك وقد بلغتهم الاخبار بتولية الملك العادل بالشام فهذا ما كان من امر هؤلاء (قال الراوى) وبعد قليل من الايام جلس الملك العادل على تخت الشام وتكامل بين يديه الديوان فقال الملك يا أمير قال نعم قال له خذ الملكه ام السعيد فى تختروان وسير بها الى مصر وخذ معك عثمان بن الحبلة والف مملوك ولا تبرحوا حتى تطلعوها الى السرايه فقال له سمعا وطاعة ثم ان ايدمر جهز اشغاله وامر بالرحيل فرحل فى عيلته ومماليكه ورجاله وخدامه وتجهزت الملكه فى تختروانها وسار عثمان وايدمر معها وما اتا على بلد الا وأخرجنا اليه التحف والهدايا ولم يزل سائر حتى اقبل على العريش فلما ان اقبل على العريش واذا بالكفار قد خرجت عليهم مثل الجراد المنتشر والليل المنحدر وهم ينادون الاخذ بالثار وجلى العار ثم انهم هزوا الشنيار وجردوا السيف البتار وطلبوا عصبة الابرار (قال

الراوى) وكان السبب في ذلك اللعين جوان وذلك انه لما هرب من الركبه التي مات فيها الملك قال له برتقشه الى اين تسير قال تقيم باقي ليلنا في وسط الجبال فاذا طلع النهار ورأينا الكفار في امان من المسيح عدنا اليهم وان رأيناهم نزلوا الي سقر دبرنا لنا امرا آخر فلما ان اصبح الله بالصباح وقد رأوا الكفار كلهم اشباح من غير ارواح تنكروا الاثنين فى صفة خدام وساروا الى عرضي الاسلام وقام جوان يدبر المكايد والخدايع وما يجري شيء مما ذكرنا الا وهو ناظره ومشاهد حتى امره الملك ايدمر بالرحيل الي مصر صحبة زوجته فبان له مضرب في نوبته فقال ياسيف الروم سيري معي حتى ندبر لهؤلاء امر مذموم ثم سار اللعين الى العريش فدخل على فرنجيل فنهض له وتلقاه واكرمه وحيا مثواه وذبح له خنزيره تحت رجليه وقال له مرحبا بعالم الملة فقال له يافرنجيل اعلم ان المسيح نصرك على المسلمين فقم الآن واركب في رجالك وعساكرك وابطالك فقد اقبلت عليه زوجة رين المسلمين وصحبتها الف مملوك من غير زيادة فانزل انهب ماله ونواله واسبي حريمه وعياله وخذ فليونته واعملها جناقه فعند ذلك امر اللعين باخذ الاهبة وعند قدوم الملكة نزلوا الكفار كما ذكرنا وطلبوا القتال كما وصفنا فهذا كان الاصل والسبب (قال الراوى) ولما رأى الامير ايدمر البهلوان الي ذلك الهوان جرد حسامه وصاح الله اكبر فتح الله ونصر وأخذل يالئام من كفر وقد تجردت السيوف وعثمان يقاتل بالرزه ويقول يا نفيسة العلم ومازال السيف يعمل والحرب يشعل والكفار تتجندل حتى قتلت الالف مملوك والرجال الذين مع الامير ايدمر وما بقي الا عثمان وايدمر البهلوان والملكة تستغيث وتطلب الفرج القريب من الرب المجيب والامير ايدمر يقاتل حتى كل ومل واشرف على الهلاك وسوء الارتباك وعثمان ترك الملكيه وهرب الى الخلوات وهو ينادى يا نفيسة العلم وقد اشرفت اللئام على اخذ الملكة وسلبها وقد احتاطت بالهودج من سائر الجهات وهى تطلب النجاة من عالم السر والخفيات فبينما هم في اضيق مكان واذا بالغبار ثار وعلا وسد الاقطار وانكشف الغبار وبان بعد ساعة الى النظار عن خيال سريع الاقبال راكب على جواد من ارقى الخيل الجياد

وهو ينادى جلس الله اكبر فتح ونصر واخذل بالشام من كفر ثم اقبل نحو المعركه فرأى ليدمر وقد اشرف على المهلكه فناداه شد حيلك يابيه جاك الفرج من الملك الوهاب ثم انه اقلب الميامن على المياسر والمياسر على الميامن وحمى ذلك التخترون بمفرده وتأخرت الكفار عن حربه ومضاربه وقد ارمى الرؤس كالاكر والكفوف كاوراق الشجر وكلما اقبلت نحوه الرجال زاد نشاطاً فى القتال وتبسم عند ازدحام المجال وهو مع ذلك ينشد ويقول هذه الابيات

انظر لفارس نهار الحرب قد حضرا صلى وصام وآيات الكتاب قرا
شريف الاصل حاز كل طيبة من المكارم والانساب والفخرا
ينسب لاحمد المختار سيدنا هو الشفيع غدا للناس من سقرا
يارب شفع فينا خير مرشدنا وتب علينا من الاوزار والضررا
وبعد فاصغ لقول كله عجب لفارس عند الذكر قد حضرا
وصار ينشد عن ملبوس قامته ابيات شعر صفة الاداب والشعرا
له خودة على الرأس لابسها ونور وجهها فاق الشمس والقمرا
وتحتها طاسة من البولاد راسخة تقيه من كل سيف اسمر ذكرا
وتحميه حر الشمس ثم شعاعها وتحميه ايضا من الكهان والسحرا
وبرقع حبشى من البولاد لابسه ومن رآه يقول الكنز قد ظهرا
وبرقع آخر من الهند طارحه احداهما لامامه والثانى ملتوى سورا
ايالهادرة من البولاد حاملها ومايقاومها مائة مثلها دررا
ودرعه من البولاد صنعته تراه وسط المسامع يعلو وينتظرا
واما الحسام الهندى اذكره شاكرية لزهير الذى نجمها ظهرا
والرمح الردينى معتدل قصبا يبلغ به من العدا القصد والوطرا
كذا الترس والدبوس كاملة حتى الخناجر والسرياق والبكرا
وفي نداه ترى الاهوال نازلة من الصراخ الذي كالرعد والمطرا
فكم له من وقائع ظهرت وسوف ياتى فخر على فخرا على فخرا

لقد اتى يوم العريش منفردا وفرق جيش الخصم والكفرا
وهو ينادى فى كامل عساكرهم والسيف يعمل فى العدا هبرا
الله اكبر على الاعداء قاطبة الله ينصرنا حقا على الكفرا
اين الرجال الذى ياتوا محاربتى افنيهم بالصرام الوفى الذكرا
لما اتى فرنجيل للست يأسرها جمع الالوف وكانوا كلهم خسرا
فاستغاثت بضيقتها لمن معها مالوا الي الاعدا قدعاينوا الضجرا
وقاد السهم قدا شرف على تلف مما لقى من الكفار والكفرا
هى تستغيث فلا احد ينجدها فاسلمت امرها لمن للخلق قد نظرا
فتقبل البارى منها مقالتها وكل شيء له أصل ومختبر
ثم ارسلني من سوف اذ كره ان انجد الست واوصلها الى مصرا
اعني عن الخضر شيخي ومعتمدى وقد وجدت نفسى قريبا من السحرا
صحت صياحا ما صاحه بطل ترج القلوب له و يفلق الحجرا
وقد نزلت على الكفار ميمنة فاقلبتها حالا على اليسرا
وفرقت جميع الكفار اجمعها واخذت السلب منهم مع البدرا
فقالت ما يكون الاسم يابطل فقلت لها اسمى ضاع وانتكرا
انا الذى وحش البر يشهد لي شهرين اطعمهم لحم العدى صبرا
ابات فى الغابات ما احد يونسنى سوى الوحوش والغيلان والنمرا
اين الحياة الذى كانت تسامرنى وقال لي انت راعى الابل والبقرا
حقيق كنت ارعي الابل في صغري وانا صغير السن مفتقرا
رعيت إثنى عشر الف ماشية حرستهم فى شدة العكرا
فلاج انا مشقوق الكعاب انا مشدود موسي وعهد الله لانكرا
فان الذى عايرنى و ينظرنى يوم القتال اذا ما ثارت الغبرا
و ينظرنى والليل معتكر وانا احارب الاعداء لازم السهرا
اتانى ابوا العباس ارسلنى وقال قاتل ولا تخشى لهم حذرا

ولا تخاف من القتال قط ولا ... من الحرب اذا وقعت الكفرا
لا تمت الا على الفرش مضطجعا ... لا بحرب ولا طعن ولا سفرا
واحذر ان لا تصدق فى جهادهم ... او ترجع عن حربهم وأخذ الحذرا
وعاهدني وكحلني وقبلني ... واوصاني وقراني وختم بالصدرا
ومسني بعد العجز اوقفني ... صحيحا بعد ان كنت منكسرا
الي نجدة الاسلام سار يرسلني ... وانا اجاهد ولا اتبع القصرا
وبعد هذا اصلي على من ... جاءنا بالهدى المبعوث من مضرا
عليه الصلاة مني دائما ابدا ... ما نارت الافلاك يوما على بشرا
كذا الآل والاصحاب اجمعهم ... ومن لا ذبهم يوما ومن ذكرا
يارب فاغفر وسامح لقايلها ... وسامعها وقابلها ومن نظرا

(قال الراوي) ثم ان المقدم جعل يصيح على اللئام حتى ادهشهم ومازال يضرب فيهم بالبتار حتى جاء وقت الاصفرار فولت الافرنج الادبار وركنوا الى الفرار وطلعوا الى العريش واغلقوا الابواب وتركوا الاسلاب وعادوا بالخيبه والندامة ورجعوا على جوان بالملامه فقال لهم لا تخافوا يا اولادى ها انا قاعد عندكم وأنا ادعوا لكم وسوف ينصركم المسيح وترون كلامى صحيح فهذا ما كان من هؤلاء

واما ما كان من المقدم فانه لم الاسلاب وجمعها وعلى ظهر الخيل وضعها وسار بالتختروان وصحبته ايدمر البهلوان واتاهم عثمان وهو يثني على المقدم ضايع الاسم ويقول له كثر الله خيرك انت اعز اولاد الشيخ فقالت الملكه ما اسمك يا مقدم قال لها اسمي ضايع الاسم قالت له اريد انك تعاهدني وتكون اخوي على ما يرضي الله فقال لها الكي على ذلك بعد ان تستأذني زوجك واما انا فلي عليك تمنية قالت له تمني قال تبني لي قاعة فى مصر وتسميها قاعة الحوارنه وتفرشها لي واذا اتيت مصر وبلغك الخبر بمجيء تخزنيها الى انا ورجالي كل عام قالت له لك على ذلك يا مقدم ثم ان الملكة لما امنت على نفسها كتبت كتابا وارسلته مع عثمان الي بعلها فسار عثمان

بالكتاب وايدمر والمقدم ضايع الاسم وساروا بالتختر وان الى ناحية مصر فهذا ما كان من امر هؤلاء

(قال الراوي) واما عثمان فانه عاد الى الشام وتقدم الي السلطان واعطاه الكتاب ففضه وتأمله واذا فيه خطابا الى الملك العادل الذى نعلمك به انناسر نامع ايدمر الى ان اقبلنا الى العريش فخرج علينا اللعين فرنجيل بالكفار وقتل المماليك على الاثار وما بقى منهسم ديار ولا من ينفخ النار واما ايدمر فجزاه الله كل الخير لانه صار يقاتل حتى قل جهده وعجزت سواعده وتعطب سائر جهده وعثمان تركنا وهرب واشرفنا على السبي والعطب وقد اغاثنا الله تعالى برجل يقال له ضايع الاسم قتل الكفار فأخذ اسلابهم وما تملك يدهم وفرنجيل هرب فى قلمته هو وجوان والبرتقش ولو وقعوا في يد ذلك المقدم ما بقاهم ثم انه سار معنا حتى اوصلنا الى مصر وقد تمنى على عنيتين وهما انى ابنى له قاعة في ارض مصر والثانية عشرة آلاف دينار واردت انى اعاهده فقال قبل العهد يكون الاذن من زوجك فارسلت اليك بكل ما كان والسلام فلما قرأ الكتاب قال يا عثمان انت هربت قال عثمان اى نعم الهروب نصف الشطاره ثم انه كتب لها رد الجواب بالاذن انما تعاهد المقدام ضائع الاسم واعطاه الى عثمان وقال له اقصد المحروسه فصار عثمان على عجل من امره وكان سيره اكثر من سير الملكه لانه على كل حال سيره اكثر والملكة سايره على مهل فادركها فى العادلية فاعطاها الكتاب فلما ان قرأت فرحت بالاذن واوثقت العهد بينها وبين ضائع الاسم واعطته الدراهم وصار بها حتى انه ادخلها فى سرايتها وانصرف الي حال سبيله هذا وقد امرت الملكة بالبنا في ذلك القاعة فهذا ما كان منها

(قال الراوى) واما ما كان من امر الملك فانه حلف انه لا يبرح من على العريش حتى يحضر به ويأخذ فرنجيل في القيود والاغلال والباشات الثقال ثم ان الملك بعد ذلك امر باحضار عيسى الناصر من السجن فاتوا به اليه وقد وقف خاضعا ذليلا بين يديه فقال له ياعيسي اعلم انى اكرمتك لاجل ابن عمك الملك الصالح ايوب وجعلتك من معاتيق سبقى هذا فاجلس على تخت الشام على ما انت عليه وقد سامحك الله فيما فعلته معى وعزمت

عليه فقبل الارض بين يديه وكان لا يظن انه يتركه بل ايقن انه يهلكه فجلس عيسي الناصر وامر الملك بالرحيل فدقت النوبه التركي والمزمار الملكي وارتحل الملك وهو ينهب الارض والبلاد حتى انه حط على العريش واحتاط بالقلعة كما يحتاط النيل بالبلاد والبياض بالسواد فلما نظر اللعين فرنجيل ورأى الملك وقد اتى بالرجال اخذه الاندهال ولطم على وجهه وقال كل هذا من رأيك يا جوان وسبه وشتمه وقال له يا لعين انت الذى اغريتني على ذلك الفعال وانا ما كنت اقدر عليه وهو رين كبير فقال جوان لا تخف فها انا قاعد حداك وسوف انظر كيف ادبر وتدبيري تعم عليك بركاته ثم ان اللعين امر بقفل البحر فقفلوه ودخلوا الى داخل القلعة واقاموا الحصارات وتحصنوا في اماكنهم فهذا اما كان منهم قال واما ما كان من امر الملك فانه اقام على ذلك الحال مدة من الايام وقد اخذته الحيرة من ذلك الحصار وحار واخذه الانبهار فقال في نفسه ما احد يدبر هذا الامر غيري ثم انه صبر الى الليل واخذ ما يحتاج اليه مما دبره في عقله وسنذكره واقبل الي جهة البحر فخلع ثيابه وجعلها داخل جراب ونفخه حتى امتلا من الريح وربطه ربطا جيداً وجعله في ظهره ثم نزل به الي البحار وصار قاصد قبطون القطعة الذى على جهة البحر فهذا ما كان منه واما ما كان من امر جوان فانه التفت الى فرنجيل وقال له اني اريد ان اسير من عندك واستكف بنصرك على هؤلاء المسلمين فقال له افعل ما بدالك فصار اللعين قاصد عايق من الكفار يقال له كفران فهذا ما كان منه هذا وقد صار الملك العادل في البحر كما ذكرنا حتي اقبل الى ذلك القبطون وطرق الباب بعد ان لبث الثياب التى من داخل الجراب فقال اللعين فرنجيل من بالباب قال حوارى طيار ارسلنى السيد المسيح الى نصرتك وامرني ان انصرك على المسلمين الابرار فلما سمع فرنجيل الى ذلك الكلام قال لبطارقته انزلوا اليه وافتحوا الباب ودوروا من حواليه فان رأيتموه ناشف الثياب فانه يكون حواري من عند المسيح مهاب فأتوا به الى عند الرحاب وان رأيتم ثيابه مبلولين فاضربوا رقبته بالسيف القرضاب فقالوا له سمعا وطاعة ونزلوا اليه وفتحوا له واذا به ناشف الثياب ففرحوا به واخذوه والى ملكهم اوصلوه فقال له فرنجيل ما اسمك قال له سيف المسيح القاطع فأكرمه اللعين

اللعين واخلاله محلا في سرايته ورتب له التعايين هـذا ولمـا ان جاء الصباح واضاه الـكريم بنوره ولاح امره الملك ان يفتح ابواب القلعه ففتح الابواب ونزل الملك الى حومة الميدان يريد الضراب وصال وجال ولعب انداب ونادى وقال ميدان يا مسلمين مافي الميدان الا سيف المسيح القاطع فعند ذلك امر الوزير بالبرازو كان قد طلب الملك في مكانه فما وجده فاغلق الصيوان وجلس على بابه وقال للرجال ان الملك من داخل القباب لاجل انه حصل له بعض عيا فلا يقدر على الخروج منه ذلك النهار ثم انه لمـا رأى ذلك الخيال الذى نزل الي الميدان أمر الرجال بالنزول فنزلوا اليه فأسر منهم عشرة ابطال واتى بهم الى فرنجيل فاراد قتلهم فقالوا له اعلم ان المسيـح يامرك بسجنهم حتى تدور يدك على الجميع وتقتلهم عن آخرهم فاطاعه وادخلهم الى المطامير ووكل عليهم الرجال الخفراء وثاني يوم نزل ذلك البطريق الى الميدان فاسر عشرة تمـام وثالث يوم كذلك ومازال ياسر حتى اسر ثلاثين امير وعشرين من اولاد اسماعيل هـذا وفرنجيل قد فرح به الفرح الشديد الذى ماعليه من مزيد فبينماهم جالسين واذا بهيصة وقعت وضجة فدار تفصت واعين الـكفار قد تقلعت وزاغت وتطلعت قال ماالخبر اقالوا اعالم الملة المسيحية هاهو قد حضر فنهض فرنجيل وتلقاه وحياه واكرم مثواه فقال له جوان اعلم يافرنجيل انى قد اتيت اليك عن ينصرك على هؤلاء المسـلمين وهو عايق بون اللبون زر يون الرازون بطل لعين يقال له كفرنى فقال له انا ما بقيت احتاج اليه ولاله لزوم عندى لانى قد ارسل الي المسيح حواري مليح يقال له سيف المسيح فلما ان سمع جوان ذلك الـكلام ارتعش وارتعدت فرائصه وقال له سيف المسيح يعني ايش قال له القاطع قال له جوان يقطع اجلك قاطع يعني ايش يا كناس قال له هذا نزل الى الميدان واسر جماعة الاسلام فلما ان سمع اللعين جوان ذلك الهذيان قال له اعلم ان هذا ا رين المسلمين وماانى اليك بهذه الحيلة واسر هؤلاء المسلمين الا وهو يريد أن يمكنهم من القلعة و ياخذ كل ماكان فيها أسير و ياخذ مالك و نوالك و يسبي حريمك وعيالك وان كان غـير ذلك الحساب فـا اكون عالم الملة فلما سمع اللعين فرنجيل ذلك الـكلام قال له وما

يكون الرأي ياجوان قال بنج الطعام فاذا كان رين المسلمين يأ كل الطعام فتملكه وان كان في عاجل الحال نهلكه وان كان حوارى طيار يظهر ويبان فاجابه اللمين و بنج الطعام وارسله اليه في العشا وكان الملك في مكان برسمه ومابا كل شيئا حتى يغلق الباب عليه و يكونوا غير مستيقظين لاجل انه اذا أكل قام يصلي فرضه فلما احضر واليه الطعام جعله بين يديه واراد ان يتقدم اليه واذا به يسمع القائل ولا يرى المتكلم حوش يدك ياظاهر الطعام مبنج فامتنع الملك من الطعام وتأمل الي من يكلمه واذا بالمقدم جمال الدين شيحه معه من داخل ذلك المكان فلما رآه ترحب به وقال له يااخي ومن اين انت اقبلت والى نحو هذه الديار كيف عبرت فقال له اعلم يااخي اني ماعرفت ذلك الامن كتاب اليونان وحكمة أهل زمان وأنت يااخي من اذنك انك تعمل هذه المناصب والحيل فما انت الامعدود للقتال وأما انا فلهذا العمل من دون كل بطل وانني لما ان عبرت الى العرضي فما وجدت لك اثرولا كيفية خبر واماادرى الي اين انت ذهبت فقريت كتاب اليونان فاخبرني الخدام بذلك السان فاتيت الى باب القلعة وجدته وثيق فصرت حتى جن الليل وهجعت العيون وخرج البواب ابريق الماء خارج القلعة وترك الباب مغلوق من غير ن يوثقه وكان مراده اذاعاد اليه دخل واوثقه كما كان فلما ان سار الى الخلا اخذت انا المفاتيح وجعلتها معي وسرت الي ذلك البواب وجعلت اسبه واشتمه واقول له كيف انك تخرج من القلعة وتدع الباب من غير اغلاق وقد امرني الملك ان أتي بك اليه وهاهو عندباب القلعه فلما ان سمع كلامي ظن انني من بعض خواص الملك فاحتار في امره وغاب في فكره فقلت له سير معي لاتخاف فها انا اتشفع لك عند الملك فسار الى جانبي فسمعني وانا آكل في بعض المأكل فسالني عن الذي آكله فقلت له هذه حلاوة فقال اعطيني شيئا منها فأعطيته فاكل حتى سار اعلاه في اسفله فاخذت ملابسه ولبستها وذبحته والى البحر ارميته وجئت بعد ذلك الى القلعة فعبرت اليها واوثقتها كما كانت واخذت مفاتيحها ومفتاح السجن هاهما معي واقمت حتى انك اسرت الرجال واتى بجوان باللمين كفرين واعاد عليه فرنجيل ذكره

فعرف من ساعته انك الظاهر فامر بتبنج الطعام اليك فسرت الي ها هنا وتزاويت
حتى اني امنعك من الطعام فهذا كان الاصل والسبب ولكن يا ملك الاسلام اطلع
الي المكان ودعني انا مكانك فاذا رأيت احدا تى الى عندى اهجم انت عليه واقبضه
واجعل يدك على فمه خوفا ان يصيح والاخرى على قفاه والا كرة في فمه وخذه
الى عندك فقال سمعا وطاعة ثم ان الملك دخل الي مكان الى جانب هذا المكان
واستعد الى ذلك الشان فهذا ما كان من امر هؤلاء

(قال الراوى) وأما ما كان من اللعين جوان فانه قال لغلامه ياسيف الروم
زمان البنج تمكن من رين المسلمين فامضى باولدي واكشف لي الخبر وحقق هذا
الامر فاجابه الى ذلك وسار من ساعته الي هناك وعبر فرأى شخصا نائما فاقبل اليه
وتامله بعينيه واراد ان ينصرف واذا به قبض عليه بيديه وقال له من أنا قال سيدى
شيحه جمال الدين فقال له والاسم الاعظم الاجل الاكرم اذ لم تذهب الي جوان
وتاتى به الي هذا المكان والا عرفت خلاصي معك ياسيف الروم وفعلت معك فعلا
مذموما فقال له سيف الروم خليك ها هنا على ما انت عليه ثم انه تركه وسار الي جوان
وناوله بلكمة على قفاه وقال له يا امين الاباء والاجداد الي كم تحلف بالمسيح وانت
كذاب فقال له جوان ماهو رين المسلمين فقال لا وحق المسيح ماهو رين
المسلمين وانما هو حوارى طيارى ارسله السيد المسيح بخصوص الكفار وان
اردت انك تحقق كلامي فقم اليه انظر صحة اقوالي وما تحدثت عليه فعند ذلك نهض
جوان على الاقدام وسار مع البرتقش حتى عبر الى ذلك المكان فراى شخصا راقدا
مضطجع على الفراش فقال لسيف الروم حقا ماهو رين المسلمين ولكن لو كان حوارى
طيار ما كان اثر فيه البنج ولا البخار فقال له ادخل اليه حتى انك تعرف من هو من
الانام لاجل ان تكون على يقظة من امرنا لاني لما دخلت عليه تاملته فما عرفته فعبر
جوان ودنى منه برأسه واذا بلكمة على عقصته ويد مسكت ناصيته ثم ان الذى
لكمه جعل الاكره في فمه واوثقه كتاف وقد انزله الي الطابقة التي في اسفل ذلك
المكان ثم ان البرتقش عاد الى عند الملك فرنجيل وقال له اجب عالم الملة انت وحدك

فنهض معه فقبضه المقدم وجعله مع جوان وخرج شيحه بعد ذلك واطلق الماسورين وفتح البلد ليلا وسار الى الاسلام فامرهما بالركوب فركبوا وقال له انت سير من هاهنا الى القتال ودعني انا مع جوان وفرنجيل حتى اني اذيقهم العذاب الوبيل واذا انت كسرت الكفار فعود الى فى ذلك الطابقة قال وكان شيحة لم يعلم بالعايق الذى اتى به جوان لاجل القضاء النافذ فى علم الملك الديان لانه لو كان يعلمه كان قبض عليه وقد رآه بعينه مع جوان لكنه ظن انه من بعض الفرسان وانساه القضا انه عايق محتال كثير الاحتيال هذا وقد خرج الملك وصاح الله اكبر فتح ونصر واخذلكم يالئام من كفر وصار ينشد ويقول

انا ملك القبلة انا خادم الحرم	انا الملك المنصور بيبرس ذو الهمم
قنطارية ابن ابادیس ملكتها	ولى عشرة ارطال دمشق قداحتكم
وتحتى جواد ادهم شاع ذكره	صبور على الهيجاء قط ماانهزم
حولي اجاويد الحصون كلنهم	سباع والاعادى كانهم الغنم
سلطانهم شيحة انا شاكر له	به نلت املى وبلغت به الحكم
ومثل جمال الدين ماعاد ينشي	من الآن حتى تقوم من العدم
وصل ياالله على المصطفى	نبي عربى عم نوره الامم

ولم يزل السيف يعمل والدم ينزل ونار الحرب تشعل والكفار تتجندل حتى صاحت الكفار لور يك الوريك يعني الامان الامان من سيوفكم يامسلمين والسنان قال الملك لا امان الا لمن يوحد الله الملك الديان فانقسمت الافرنج على الاقسام من اسلم سلم ومن جهل ندم ومن اراد الهروب قسموه بالسهام والحروب وايد الله الاسلام الابرار بتوحيد الملك الغفار ثم ان الملك بعد ذلك جلس على تخت العريش وامر بجمع السلب والنهب والعدد والزرد فجمعوها والى ايدي الملك اوضعوها ثم ان الملك امر لا يقتسمها حتى يأتى اخى جمال الدين شيحه لانه هنا فى القلعة وانا عارف مكانه ثم انه نهض على الاقدام وسار الى عند الطابقة ونزل اليها فما وجد جوان ولا برنقشه ولا لاجد فرنجيل ولا احدا فيها غير المقدم جمال الدين فانه رآه وهو

مصلوب على العمود وسوطه تحت رجليه والدم نازل من جسدة مثل التقاطير فلما رآه على ذلك الحالة خفق فؤاده وصعب ذلك عليه وكبر لديه وقال له ما الذى جرا يا اخى فقال له حلني ياظاهر عمري ما اكلت علقة مثل هذه ابدا فقال له ومن الذى فعل بك هذه الفعال فقال له عايق يقال له كفرنى وهو الذي اتى به جوان نجدة لفرنجيل قال وكان السبب ان اللعين كفرنى لما ان راى جوان غاب عنه وكذلك البرتقش وملك البلد فقال فى نفسه لولا انهما اصابهما امر من الامور والا ما كانوا غابوا عني ابدا ثم انه طلع الي أعلا الاماكن ودار يعطعط فيها فرأى ذلك الطائفة ففتحها ونزل اليها فرأى شيحة وهو يعذب جوان وملك البلد والبرتقش ايضا فلما راى ذلك الحال اخرج شيأ من البنج وطرحه عليهم فشموا فانقلبت رؤوسهم فخلهم من وثاقهم وشبح شيحة ونزل عليه بالسوط بعد ان اعطاه ضد البنج ومازال يضربه حتى كاد ان يعدمه الحياة ومن الضرب اعياه وارما بسوطه تحت رجليه واخذ جوان وبرتقشه وفرنجيل وصعد بهم واغلقوا باب الطابقة عليه وهم يظنون ان ما احدا يعرف مكانه ولا يسال عليه وقالوا حتي ننظر كيف تكون هـذه النوبة وتعود اليه وتخرج روحه من بين جنبيه فهـذا كان الاصل والسبب ثم ان الملك اطلق شيحه من ذلك الذل الذي هو فيه وطلع به من ذلك الطابق وقد حصل له بسبب ذلك هم عظيم وخطب جسيم ثم انه قال له يا أخي الحمد لله على سلامتك قال له جمال الدين سلمك الله يا ملك الاسـلام ولكن وحق راسك لم يا خذ من اجل ذلك غم ولا هم لانى اعرف انك قد اخذك الغم من اجل ذلك فقال يا اخى اعلم انني كان مرادى لم ادخـل مصر الا ومعى الملك الافرنجيل فقال له والاسم الاعظم لا تبرح من هنا الى مصر الا به ان شاء الله تعالى وانا جمال الدين شيحه ولـكن انظرنى حتى اعود اليك وتاتيك عين الاخبار فقال له الملك سمعا وطاعة ثم انه تودع منه وطلب البر الاقفر فهذا ما كان من امره واما ما كان من الملك فانه اقام بالرجال ينتظر ما يكون من امر جمال الدين فهـذا ما كان منـه (قال الراوى) واما ما كان من اللعين جوان فانه اخـذ فرنجيـل وكفرنى العايق والبرتقش وخرجوا من يافه وا كمنوا فى البر الاقفر لينظروا ما يكون وا من الخـبر فرأوا

الملك قد احتوي على البلد واحتاطت الرجال بها من سائر الاماكن فقال جوان ما بقي يمكننا ان نعود الى قتل شيحه الآن ولكن سيروا بنا حتى اننا ندخل على عسقلان عند عبد الصليب ونحط يدنا على يده ونقطع الطرقات عن المسافرين فاذا علم رين المسلمين بذلك ويا تى الينا بعسا كره فنقدر على هلاكه هو ومن معه وغاية الامر ناخذ ماله ونواله ونعود بعد ذلك الى يافه شكر يا مسيح والسلام ثم انه اخذهم وصار بهم الى عسقلان ودخل على عبد الصليب فتلقاه رحبا مثواه وسلم على الافرنجيل والعايق كفران فقال له جوان اعلم ان هذا الملك فرنجيل تحارب مع رين المسلمين وقد جرى من الامر ما هو كذا وكذا واعاد عليه القصة من اولها الى آخرها وكشف له عن باطنها وظاهرها وفى آخر كلامه قال له اعلم ان المسيح اخبرنى بان النصرة لا تكون الا على يدك انت فاغلق ابواب عسقلان وحصنها بالمدافع والحصارات واقطع الطرقات فعند ذلك اغراه اللعين جوان فجمع القوم واغلق الابواب وحاصر فى قلعته واقام بنديرة العصيان فهذا ما كان من امر هؤلاء (قال الراوي) واما ما كان من امر جمال الدين شيحه فانه سار من عند السلطان كما ذكرنا وطلب عرض البر الاقفر ومازال يجد السير من مكان الى مكان حتى اقبل الي مدينة عسقلان فرأى الابواب مغلقة والحصارات منقامة والرجال بها محدقة فصبر الى الليل وعبر الى البلد وقد تنكر فى زي حكيم ودخل الى البلد واقام فى مكان من الخانات التى فيها وصار يداوي الناس ويعالجهم بكل ما يقدر عليه وقد اسبل الله عليه خيمة الستر حتى ان جوان فات عليه اربع مرات فما عرفه لانه اقام فى هذا المكان وكان مشهور بالحكما وقد جعل له لحية بيضاء كبيرة ودهن وجهه بما يعرفه من العقاقير فصار كل من رآه يقول انه بالجدرى واقام فى ذلك الخان حتي يدبر امر من الامور قال فبينما هو كذلك واذا ابنة الملك عبد الصليب ارسلت اليه اربعة بطارقة فاتوا الى ذلك الخان وقالوا له باجيب تحفة المسيح بنت الملك عبد الصليب فنهض معهم على الاقدام وصار اليها قال وكان بها مرض يقال له مرض السرطان قد تغلبت فيه الحكما الذى بعسقلان والذى من اقصى البلدان فبينما هى نائمة ذات ليلة من الليالى اذ رأت فى نومها قائلا

يقول لها ارسلي الى الحكيم الذى اتى الى عسقلان واعلمي ان دواك لا يكون الا على يده فاذا اتى اليك فاطيعيه واسلمي و به تزوجي فانت موعودة منه بذرية صالحة وانت من الفرقة الناجية يوم القيامة قالت سمعا وطاعة وما افاقت من نومها حتي اقرت بالشهادة لربها ثم امرت باحضار الحكيم فاحضروه اليها فلما نظرت اليه قالت له من انت وما اسمك ومن اي البلاد اقبلت قال لها اما اسمي فعبد الأحد واما بلدي فغزة وانا هنا حكيم فقالت له اعلم انني جائتني عنك الاخبار بانك تسمي جمال الدين شيحه سلطان اولاد اسماعيل وانا لك من النساء وانت لي من الرجال وانا اقول بين يديك قولا صدقا عدلا اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم (قال الراوى) فقال لها ومن اعلمك بذلك قالت له اعلمني انسانا له اتصال بمن يعلم السر والنجوي يقال له سيدي عبد الله المغاورى فعند ذلك امهرها على يد اربعة من الاساري وعقد عقده عليها ودخل بها من ليلته فرآها درة ماثقبت ومطية لغيره ماركبت فازال بكارتها وقال لها اذا كان غدا نرسلي الى ثلاثة من الاسارى واجعلي هذا الرابع خادما لك فاذا تجدد أمر من الامور أتى الى واعلمني به وأعاده على فقالت سمعا وطاعة ثم انه لما ان اصبح الله بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح وطلعت الشمس من الروابى والبطاح وصلى المقدم جمال الدين صلاة الافتتاح احضر البنت بين يديه وقال لها اشربى من هذه القزازه فشربت منها فوقعت الى الارض كانها ميتة ثم انه شق رأسها وكشف نافوخها وقد رأي السرطان فى رأسها فحرقه بالنار فكبش برجليه فجعل تحتهما قطنه ولذغه بالنار عند رجله الثانية فرفعها عن رأسها وهو على صورة بني آدم ومازال به حتي اخرجه من رأسها ورد بعد ذلك طاستها وجلدها وخيط رأسها ودهنها بدهن الاستقطاب واعطاها ضد البنج عطست وهي تقول اشهد ولا اجحد بدين محمد اين انا قال لها انت عندي يا تحفة المسيح ثم انه وري لها السرطان الذى اخرجه منها فحمدت ربها واثنت عليه وقد امرها بكتمان امرها ونزل من عندها بعد ان زايا بالزى الذى كان به وسار الى مكانه فهذا ما كان منه

(قال الراوي) واما ما كان من الاسارى فانها ارسلت اليه العادل ثلاثة منهم فساروا اليه فقال لهم سيروا بهذا الكتاب الى الملك اوصلوه اليه وسيروا من هناك الي حال سبيلكم او تقيموا مع عسكر السلطان فذلك يراعيكم فاجابوا الى ذلك بالسمع والطاعة وساروا بالكتاب من تلك الساعة هذا والملك قد ضاق صدره لغياب المقدم جمال الدين شيحه وغيبته فبينما هو كذلك واذا به قد أقبل اليه هؤلاء الرجال بالكتاب فسلموا اعلى الملك فاخذ الكتاب وفضه وقراه وفهم رموزه ومعناه واذا به يجد الصلاة والسلام على سيد الانام خطابا من المقدم جمال الدين شيحه الى بين ايادى ملك الاسلام الذى نعلمك به اننا سرنا من عندك وقصدنا الى عسقلان فرأينا جوان والبرنقش وكفرني والافرنجيل اتوا الى عند عبد الصليب واغراه جوان على الحصار والعصيان فقطع الطرقات على المسافرين واقاموا الي هناك محاصرين فحال وصول الكتاب الي يديك تأتي برجالك وابطالك وتحط على عسقلان بعد ان تهدم قلعه العريش بالمدافع وها انا من داخل البلد وتكون انت من خارجها ثم انك تنعم على النجابين وتصرفهم الى حال سبيلهم واعلم اني تزوجت بالملكة تحفة المسيح بنت عبد الصليب وانها اسلمت وأمرها الى الله سلمت فهذا ما كان من امر هؤلاء والسلام

(قال الراوي) فلما قرا الملك الكتاب انعم على النجابه وخيرهم بين الرحيل والاقامه فطلبوا ان يكونوا من دولة السلطان فجعلهم صحبة رجاله وابطاله وامر بالتجهيز وسار بعد ان امر بهدم مدينة العريش وسار الى عسقلان واحاط بها من كل جانب ومكان وقد ارموا عليه النار فنزل على حد الشرار وحاصر البلد واحتاط بها كما يحتاط النيل بالبلاد والبياض بالسواد وبعد ثلاثة ايام دقوا طبول الحرب من عند اللئام ونزل منهم بطريق كانه العتيق وطلب البراز وسأل الانجاز فبرز اليه فارس من فرسان المسلمين وانطبق عليه وضربه بالحسام اطاح رأسه عن الهام ونزل الثاني فما ابقاه والثالث اهواه والرابع والخامس وما انتصف النهار حتى قتل اربعين من الكفار ودقوا طبل الانفصال ففرحوا المسلمين بذلك النصر المبين واما

الكفار فانهم باتوا تلك الليله فى غاية من الاضرار وجوان يصبرهم ويوعدهم بالنصر وانه يدعوا لهم ويطلب من المسيح نصرهم فلما كان ثانى الايام خرجت الاسلام فقال جوان ياعبد الصليب دق الشنيار ودع الرجال يخرجوا الي القتال جملة واحدة فعند ذلك خرجت اللئام عن بكرة ابيها وخرج الافرنجيل والعايق كفرنى وعبد الصليب ولما ان خرجوا هؤلاء ركبت الرجال الاسلاميه ودار السيف فى الطابقتين بالكليه ودارت المنيه وكثرة الرزيه هذا وقد قل الكلام واشتغل الحسام وبان الهمام وفر الجبان بالانهزام وصبرت الرجال على تجريع الموت الزؤام وطارت الرؤوس وتلفت النفوس وحى الكفار صار مكبوس ومامن الاسلام الا وهو مأنوس ومارال السيف يعمل والحرب يشعل حتى ولي النهار وارتحل واقبل الليل وانسدل وقد بان فى الكفار الفشل وظهر عليهم التعب والملل وعملت فيهم سيوف الاسلام اوفاعمل وهرب عبد الصليب الى داخل البلد وتبعه الافرنجيل بعدان اشرف على العطب ولا بقى فيهم من له جلد ولما ان دخل الملك الى داخل البلد غلقت الابواب وازدحمت عليها الناس تريد العبور الي البلد والاسلام قد كبستهم فمات منهم اكثر من الثلثين والذى يبقى ماصدق ان ينجوا بروحه مما ناله من الشقا وغلقت الابواب بعد ذلك الحال المرتاب وعادت الاسلام وهم يوحدون الملك الوهاب فهذا ما كان من امر هؤلاء (قال الراوى) واما ما كان من أمرجوان فانه لما ان نزل عليه الخذلان قال له بزتقشه كل هذا بسببك ومن تحت رأسك فقال له اسكت ياسيف الروم قريضه لاتخلى كفار ولا اسلام اناما لى سيبته لما تخرب البلد وتمضى الى غيرها والسلام ثم انه التفت الى عبد الصليب وقال له الرأى عندى انك ترسل الى الملك يافيل صاحب مدينة يافه تستنجد به لعله ان يدركك بالعساكر او يأتى هو الي هاهنا فقال له هذا رأى سديد ثم انه سطر له كتابا وارسله الي يافه فلما وصل اليه فضه وقرأه واذا فى اوله صليب وآخره صليب ونحن وانتم نوحد الملك القريب المجيب

(تم الجزء الخامس عشر ويليه الجزء السادس عشر واوله خطابا الخ)

سيرة الظاهر بيبرس

تاريخ الملك العادل صاحب الفتوحات المشهورة (السلطان
محمود الظاهر بيبرس) ملك مصر والشام وقواد عساكره
ومشاهير أبطاله مثل شيحة جمال الدين وأولاده
اسماعيل وغيرهم من الفرسان وما جرى
لهم من الاهوال والحيل وهو
يحتوى على خمسين جزء

الجزء السادس عشر

﴿الطبعة الثانية﴾

١٣٤٤ هـ — ١٩٢٦ م

التزام

عَبْدُ الرَّحمٰن محمّد
مُلتزم طبع المصحف الشريف بمصر

ميدان الازهر

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

(قال الراوي) خطابا من عبد الصليب الى بين ايادي يافيل الذى نعلمك ان رين المسلمين غريب الريش واتى الى عندي واتى الى جوان وأمرني بالغزاه فاغلقت ابواب عسقلان وقطعت الطرقات على المسافرين فلما وصل الخبر الى الملك حط على الارض والبلاد وتحاربت انا واياه فقتل مني اكثر الرجال ثم حاصرني وارسلت اليك تنجدني فاعلم ان هذا رين المسلمين بعد ان ياخذ بلدى ياتي الى عندك وياخذ بلادك من يدك شكر يامسيح والسلام فلما قرا الكتاب بكى فتأمل اليه بطريق من بطارقته وقال له ما الذي ابكاك وانا موجود فى ديوانك وكان هذا البطريق يقال له كفر ياط ابن اخت يافيل فاعطاه الكتاب فلما قراه قال له لا تحمل هم ذلك ابدا اذا انا اكون لك الفدا ثم انه جمله كبير الرجال وجهز معه عشرون الف من ارباب القتال وقال له سير بهؤلاء الى عسقلان وانصر الملك عبد الصليب على الاسلام فاجابوه بالطاعة وطلب عرض البر من تلك الساعة ومازال يجد السير حتى بقي بين عسقلان يومان فبينما هم سائرين واذا بغبار قد ثار وعلا وسد الاقطار وانكشف الغبار وبان بعد ساعة للناظرين عن رجال واي رجال وهم ينادون الى اين تطلبون يا كلاب الروم ثم انهم اوقعوا فيهم الحسام والضراب وطلبوهم الى القتال والذهاب فكانت وقعة يالها من وقعة ومات كفرشاط ومن معه عن آخرهم (ياساده) وهؤلاء الذين حاربوهم بعد ان قتلوهم اخذوا ملابسهم فلبسوها وخيولهم فركبوها وساروا يجدون السير من حيث اتوا وقد تركوا هؤلاء ملقحين فى البرارى والقفار ومازالوا هؤلاء سائرين حتى شرفوا على عسقلان فلما رأوهم اصحاب عسقلان فتحوا لهم الابواب فعبروا من باب البلد حتى توسطوها وقد لمكت بعض الرجال ابوابها وساحوا عند وصولهم الي داخلها الله اكبر الله كبر فتح ونصر واخذل يالئام من كفر

هذا وصاح كبيرهم وهو ينادى و يقول انا ملك الاسلام انا مبيد اللئام انا مذل الكفار انا الضارب فيهم بالبتار قال والسبب فى ذلك سبب عجيب وامر مطرب غريب وذلك ان جوان لما دبر هذا التدبير الذى ذكرناه قال لعبد الصليب استنجد بالملك بافيل فارسل اليه ثم ان الملك عبد الصليب فى بعض الايام طلع الي ابنته فسألته ما الذى مع المسلمين فعلته فاعاد عليها القصة واعلمها بانه أراد يستنجد نيا فيل فلما نزل من عندها ارسلت احضرت خادمتها وقالت لها خذى هذا الكتاب وسيرى به الي سيدى جمال الدين فسارت به اليه فلما قرأه وجد فيه خطابا من تحفة المسيح الى بين ايادى سيدي جمال الدين اعلم ان جوان طلب نجدة من يافه يستنجد بها على الاسلام فدبر انت هذه الاحكام فاخذ الكتاب وأمر النجاب بالعودة اليها وصبر هو الى الليل وصار هو طالب عرضي الاسلام فلما رأوه الحراس تصايحوا عليه فقال لهم لا بأس عليكم فانى محب لكم فدنوا منه وتأملوا واذا بهم عرفوه فقبلوا يده وساروا به الى عند الملك فسلم عليه وتلقاه وسلم عليه وبالسلامة هناه فقال له المقدم جمال الدين اعلم يا اخى ان اللعين عبد الصليب اغراه جوان فارسل يستنجد بافيل والرأى عندى انك تصير الي الليل وتركب فى نصف عسكرك ليلة غدا وتترك الوزير بالنصف الآخر على عسقلان واذا رحلت انت ونصف العسكر لا يكون لكما جلسة ولا صحة حتى اذا سرتم بعيداً عن هذه البلد تطلبوا يافة وتكمنوا فى وسط طريقها فاذا أقبلت النجدة عليكم فأخرجوا عليهم واقتلوهم عن آخرهم فاذا فعلت ذلك انت ورجالك وفرغت من قتل هؤلاء وأمر رجالك ان تلبس ملابسهم وتحمل صلبانهم و يأتوا من ناحية يافة قاصدين عسقلان فاذا رأوكم أهل البلد ورأوا بأيديكم الصلبان يفتحوا لكم فتدخلوا وتصيحوا الله اكبر و يكون الوزير مستنظر الصباح فيركب من وقته وساعته و يدركم فتملكوا البلد وتهلكوا اهلها وتقبضوا الملوك وتسيروا الى مصر والسلام (قال الراوى) فلما سمع الملك العادل ذلك الكلام رآه صواب فقال له سمعا وطاعة ثم فعل ما امر به اخاه ومازال حتى دخل البلد كما ذكرنا وقاتلوا اهلها ووقع بهم الحيرة ومازال الملك برجاله حتى اهلك الكفار وملك الاضوار

وطلب الملك العايق والملكين فما وجدهم خبر ولا جلية اثر وكان السبب فى ذلك ان جوان لما رأى ذلك الحال ورأي الكفار اخذهم الانذهال وقال جوان رحلوا بنا قبل ان يملكونا و يهلكونا فأخذ جوان الملكين والعايق بصحبته وبرتقشة والسل من المعركه الي حال سبيله فهذا اما كان منه ولما ان فرغ الملك من القتال وطلبهما فما وجد لهما خبر ولا وقع لهما على جلية اثر فسأل المقدم جمال الدين عن ذلك الحال فقال سوف نظهر اخبارهم ونقتفي اثارهم ولا بد لك من اخذهم ولكن انتظرنى حتى اعود اليك او يأتيك عنى الخبر ثم ان المقدم جمال الدين انزل زوجته في تختروان وارسلها مع عشرة من الاتباع وقال لهم سيروا بها الى غزة وانزلوها فى مكان كذا المعدله هناك فساروا بها وكانت حاملة منه فلما ان توسطوا الطريق باتوا في الطريق ولما اصبحوا اطلبوا زوجة المقدم جمال الدين فما وجدوها وكان السبب فى ذلك رجل فداوى نصرانى يقال له يعقوب العلايشي صاحب قلعة الملايات ظن ان هذه بنت اللثام فسرقها والي قلعته اوصلها وسألها عن حالها قالت له انا مؤمنه وانا زوجة جمال لدين شيحه فلما ان سمع ذلك الكلام لطم وجهه وعاد بالملامه على نفسه وخاف من جمال الدين فقالت له زوجته ارجع بى اليه ولا تخاف وانا اتشفع لك عنده قال لها انا لم اقدر احط وجهى فى وجهه ابدا لئلا ينظرنى ولكن ها انت عندي فى قلعة العلايشة حتى انه يدور عليك ويأتى الى عندك وعليك الامان واذا هو اتي الى عندك حدثيه بقصتى واخبريه باكرامي لك فقالت له سمعا وطاعة واذا انامت بقلعة العلايشة فهذا ما كان من امر البنت واما ما كان من امر الاتباع العشرة فانهم لما اصبحوا وطلبوها فما وجدوها هجوا على وجوههم فى البلاد وخافوا على انفسهم من شرب كاس الوبال اذا بلغ شيحه ذلك الحال فهذا ما كان من امر هؤلاء الرجال ومابقى يذكر كلام الا عند ظهور على الطويرد ابن المقدم جمال الدين شيحه اذا اتصلنا اليه نتكلم عليه العاشق فى جمال النبي يكثر من الصلاة والسلام عليه (قال الراوى) واما ما كان من اللعين جوان فانه اخذ الملوك وكفرني وسار الي يافه ودخل بهم على يافيل وقالوا له ما الذى اوجبك

لعدم نجدتنا قال لهم وحق المسيح اني ارسلت اليكم ابن اخي في عشرين الف فارس ولا ادري ماذا كان من امرهم قال جوان اعلم اننا قد جري لنا ما هو كذا وكذا وقد راينا ابن اختك وعسا كره ملقحين في المكان الفلاني فلما ان سمع اللعين يا فيل بذلك الخبر لطم على وجهه ورمى قلنسوته وحرق ثيابه وعظم مصابه فقال له جوان لا تخاف فانا عندك واذا اتى اليك رين المسلمين فانا ادبر لك ما يكون فيه الصلاح وهذا العايق كفرني كفاية كل خبر ثم انه امر باغلاق الابواب فاغلقها وقطع الطرقات واقام على راي جوان في الفساد والعكوسات فهذا ما كان من امر هؤلاء (قال الراوي) واما ما كان من امر جمال الدين شيحه فانه لما تودع من السلطان قاصدا يافه فلما وصل اليها وجدها محصورة فصبر الى الليل وغير زيه ودخل الى البلد فرأي فيها رجل خانتجي جالس في مكانه فتأمله وحققه وسأل عن اسمه قالوا له هذا يقال له عبد الصليب وكان هذا اللعين يحب الذكور لوطي ملعون فلما علم منه شيحه ذلك دهن وجهه بشيء يعرفه من جراب حيلته فاحمرت وجناته وذهب شعر لحيته فصار جميل الوجه احمر الخد لا نبات بعارضيه ثم انه اتي الى ذلك المكان وصار يبكي وينوح فلما رآه عبد الصليب على هذه الكيفية حن له واقبل اليه وقال له يا فليوني لاى شيء يكون بكاك قال له ان ابي راح المنطار وانه ركب علينا رين المسلمين في عسقلان وقتل كل من فيها من الكفار وابويا كان يقول ان عمك في يافه اسمه عبد الصليب الخانتجي ولما ان مات ابي هربت من هناك وسرت الي هنا وما رأيت عمي ولا خالي وانا غريب ثم ان شيحه زاد في بكاه قال له عبد الصليب لا تبكي ها انا عمك اخو ابوك ثم اخذه وسار به الى الخان واجلسه واكرمه غاية الاكرام وقال في نفسه اذا جن الليل اعمل جناقة لانه جميل الصورة ثم انه صبر الي الليل واغلق الخان على الغلام واتي بالكاس والطاس وقال له يا ابن اخي املا الكاس واسقيني وبعد ذلك نعمل جناقة قال له عيب يا عمي لا تقول ذلك الكلام قال له عيب اذا كان احد غريب واما انا عمك اخو ابوك وانت فليوني فسكت الغلام واسقاه من ذلك المدام لما علم منه السكر ادخل له البنج في

الكاس واسقاه فلما استقر في جوفه حتى رماه الى الارض وسار اعلاما فيه رجلاه فذبحه جمال الدين شيحه ولبس ثيابه واقام مكانه ونكر نفسه فى صفاته واقام بالخان وكل من رآه يظن انه عبد الصليب الخا تنجى فبينما هو جالس واذا بالخادم وقد اقبل من بيت عبد الصليب من عند ابنته الى ذلك الخان وقال يا عبد الصليب اجيب ابنتك فانها تدعوك اليها فنهض جمال الدين واغلق الخان وسار وهو فى نفسه حيران والخادم يسير به حتى اقبل الى المكان فطلع جمال الدين شيحه وهو متاخر حتى صار عند البنت وقد رآها ذات حسن وجمال وقد واعتدال كما قال فيها بعض واصفيها هذه الابيات

مليحة القد لما اقبلت * احيت مني ما كان عدمانا
يا لها من درة قد ازهرت * ونورها عم علينا وحيانا
بوجه كانه بدر تم * وخد قد حوي روضة وجنانا
لما تبسمت ظننت انى * نظرت البدر حينا قد اتانا
ثم انست فيها واعجبت * واعرضت عنا كغصن البانا
ما رأيت فى العالمين صفاتها * بأرض عجم لا ولا عربانا

فلما رآها المقدم جمال الدين شيحه بذلك الحسن افتتن بها و تعلق قلبه بحبها لكنه لم يمكنه ان يسالها فى شيء ابدا لانه في صفة ابوها بل انه مال اليها وقال لها ما تريدي يا بنتي فقالت له من انت بحق دينك و بحق نبيك اما انت المقدم جمال الدين شيحه سلطان اولاد اسماعيل واتيت الى هذه البلده بعلا عيك وحيلك وقتلت ابى فى الخان ولبست ثيابه ولما دعيتك اتيت الى بالاسم الاعظم هذا الكلام ماهو صحيح قال لها والاسم الاعظم هو كما ذكرني ولكن من اعلمكي بذلك الحال ومن اين عرفتي هذا السؤال فقالت له اعلم انى مؤمنه اقر لله بالوحدانيه ولمحمد بالرساله واقول على يدك قولا عدلا صدقا اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فقال لها ياست وما سبب اسلامك قالت له اتاني فى مناحي انسان له اتصال بمن يعلم السر والحال يقال له الملك الصالح ايوب وقد قال لى فى المنام انت من الفرقه الناجيه يوم القيامة واعلمي ان

ابوكى مات وقتله جمال الدين شيحه ولبس زيه وأقام مكانه فارسلي له واعلميه باسلامك
فانت له من النساء وهو لكي من الرجال تأتى منه بذرية صالحة فافقت من منامى الا
اهز العرش بالتوحيد ثم ارسلت اليك فلما حضرت جددت اسلامى بين يديك وهذه
حكايتي والسبب فقال لها الحمد لله رب العالمين ولكن علامة اسلامك عندي ان
تقتلي امك بهذه الشاكرية فقالت له سمعا وطاعة ثم انها نهضت الي امها فقتلتها
وعادت اليه فقال لها خذي هذا العقد يساوي عشرة آلاف دينار فهو فى مقدم
صداقك ثم سافحها على الزواج واوهبته نفسها وقال لها غدا اكتب كتابك لان
ماهنا اسارى من المسلمين فاجابته الى ذلك ونزل من عندها وسار طالب سجن السرايه
وهجم على السجان قتله وكان اسمه ملدعون وجلس على باب السجن حتى نامت العيون
وعبر الي الاساري فأخذ منهم اربعة وسار بهم الي بيته واشهدهم على الزواج ثم
انه جمال الدين شيحه واعتقهم بعد ذلك الي حال سبيلهم وجلس هو على تختها وذلك بعد
ان دخل عليها وازال بكارتها وتركها فى مكان ابوها وسار هو يدبر الحيل والملاعيب
ثم انه تامن فى المسجونين فرأي رجلا يقال له على الانكاوى وهو جالس يبكى
وينوح من كبد مجروح فتقدم اليه وساله عن حاله فقال دعني يامعلم بحالى فقال له
اعلم انى مسلم موحد بالله تعالى مثلك فقال له ما اسمك قال له جمال الدين شيحه قال له
اعلم ان لى حكايه من العجب لو كتبت برؤوس الابر على اماقي البصر لكانت عبرة
لمن اعتبر وذلك ان ابى خواجه تاجر بارض البصرة يقال له الخواجه حسن الانكاوي
وله اخ وهو عمي يقال له ابراهيم الانكاوى فيوم من الايام تحدث ابى مع عمي وقال له
يااخى دعنا نزوج على ولدي لابنتك ونفرح بهما فى حال حياتنا ويعمر امكاننا قبل
موتنا فقال له يااخى افعل ماتريد فانا لا اخالفك ابدا فعند ذلك عقد عقدى على البنت
وقبض المهر وأراد أبى ان يشرع فى الافراح والليالي الملاح فبالامر المقدر حصل له
عيافتركنا هذا الامر واشتغلنا بمرضه الذي هو فيه مدة عشرين يوما فتوفاه الله تعالي
فاشتغلنا بالعزا والختم والليالى واقمت بعد ذلك مدة من الزمان وانا مقيم فى بيت ابى
وعمي لم يأذن لي بشيء من ذلك ثم انى قلت له ياعماه دعنا نشرع فى الافراح فقال لى

ياولدى انقــل متاع ابوك عندى لاجل انه يبقى مكانا واحدا ففعلت ذلك ثم قال لى
خذ هذه التجاره بالف دينار وسير بهــا الى بلاد الناس و بيعها فان رأيتك عملت عمل
الرجال زوجتك ابنتي وشاركتك في معيشتي وان رأيتك خائب فها انا فى حالتي وانت
فى حالتك فقلت له افعل ما بدا لك ثم انه حزم التجاره وسرت بهــا حتى اتيت الى
اسكندريه فبعتها وكسبت فيها وعدت اليه وانا فرحان وسلمت له المــال فقال اما هذا
الالف فهو راس مالي واما هؤلاء الثمانماية دينار فهم مكسب يدك بعد التكاليف الذى
ضاعت مني فى البحار والمـآكل والمشارب ولــكن ياولدي هؤلاء لم يكفوا الفرح
ولا الولائم لان كل الناس ياتون الينا وينظرون فعالنا فقلت له ياعماه واين مال ابى فقال
لى ياولدى اعلم ان بوك كان عليه ديون كثيرة وهذه الدفاتر موجوده فقلت له افعل
كلمــا اردت نخرج متجر آخر بالفــين دينار وسرت به فى البحار فخرجت علينا
غلايين الــكفار اخذوا ما كان عندنا وأخــذونا اسارى فلما اقبلوا الى وادى
عسقلان اقسمونا فوقعت انا فى قسم يافيل فاخذنى واتى بى الى هذا المــكان وسجنني
فيه فاذا كان بالنهار ارسلونا الي شيل الاحطاب وقطع الاخشاب و بالليل سجنونا
هنا وقد طال على المطال فانا ابكى على نفسي وعلى ما حل بى حتى اتيت انت وسالتنى
فهذه حكايتي والسبب (قال الراوى) قال فلما سمع منــه شيحه ذلك الــكلام
وسـير به الى السلطان ها هو على قلعة عسقلان وخذ منه الذى يعطيه اليك
وسـير الى حال سبيلك فعند ذلك فرح على بذلك واخــذ الــكتاب وسار من ساعته
ولم يزل سائر حتى اقبل الى عرض السلطان ثم انه قــدم وترجم واحســن ما به تــكلم
فقــال الملك من اين والى اين قال له من يافه يا أمير المؤمنين من عنــد اخيك المقــدم
جمــال الدين فقال له ما معك من الاخبــار قال له كتاب ثم ناوله اياه ففضــه
وقرأه واذا فيــه الصلاة والسلام على صاحب المــعجزات خطابا من المقــدم
جمــال الدين شيحه الي بين ايادى ملك الاســلام ساعة وصول كتابى اليك تامر
بهــدم عسقلان وتاتى الي يافه بالرجال لان هناك البرتقش وجوان والافرنجيــل
وعبــد الصليب ويافيل ومعهم العايق كفرنى وقــد اتاهم بعايق آخر يقال له كفير

وهواخ هذا اللعين واناتز وجت ببنت الخاتنجى بعدان اسلمت وامرها الى الله سلمت وقتلت ابوها وهي قدقتلت امها ثم توطنت فى الخان حتى دارت يدى على السجان قتلته وبقيت انا مكانه وسميت نفسي ملدعون على اسمه وحامل جوابى هذا على الاتكاوي تعطيه خمسة آلاف دينار وامره ان يسير الى حال سبيله فاخذهم على واشترى متجرآخر غير الذى نهبوه الكفار وسار به فى البحر فأوقعه الله ثانى مره فى اليسر يكون له حديث عجيب فى ظهور سعد بن دبل فى كلام مقدونية ان شاء الله فهذ ماكان منه واماما كان من امر الملك فانه امر بهدم البلد فهدموها بالدافع وجعلوا اعلامن فيها خاضع وامر الملك بالرحيل فرحل بالرجال حتي انه حط على يافه واحتاط بها كما يحتاط النيل بالبلاد اوالبياض بالسواد اوالخاتم بالاصبع خرجت عليه الانهار حط له الملك على حدرمي التار واقام ذلك النها ولما كان فى ثانى الايام امرجوان بدق طبول الحرب فدقوها وفتحت البلد ونزل منها بطر بق كانه العتيق يمزق الحديد باياديه تمزيق وكان هذا كفير فابتدرت اليه الاسلام فقاتل معهما الى آخر النهار وقداسر خمسة عشر اميرمن امارة السلطان ودقوا طبل الانفصال وعادوا وهم فرحانين بذلك الاتصال واماالملك فانه حزن على الامارة حزناشديداوقال غدالايخرج منهم احد ومانيزل للميدان الاانا فقال له الفداوية هانحن حاضرين بين يديك ولا نبخل بارواحنا عليك فكيف انك تنزل ونحن موجودين وماهؤلاء الملاعين سوى اولاد اسماعيل ثم انهما باتوا على تلك الحالة فهذاما كان من امر هؤلاء واماما كان من امرجوان فانه لما جاء آخر النهار وساروا هؤلاء الرجال الاخيار رآهم االعين بالابصار صاح الملك وقال منطار منطار فقال له الافرنجيل اصبر ياعالم الملة هانحن ملوك وكنا اعظم من يافيل وماقدرنا على اميرالمؤمنين ونحن لا نعلم عاقبة امرنا فان كان مرادك فى المنطار فاصبر حتي ندور يدنا على سائر الرجال ونمنطر الجميع ونشكر المسيح وان كان الامر بخلاف ذلك فنحن نشتري ارواحنا من رين المسلمين بهؤلاء الماسورين فقالوا باقى الملوك هذاهوالصراب

والامر الذى لا يعاب فلما ان سمع جوان هذا الكلام سكت على مضض ثم التفت الي العايق الاخر وقال له يا كفرني قال له ما تريد قال ان اخوك اسر خمسة عشر من السراقين وانت مالك شيء تفعله حتى اننا ننجز امرهما فقال له سوف تري مايسر خاطرك ثم ان اللعين تجهز ونزل ليلا ومعه اربعين من الكفار وقد البسهم زى الاسلام ونزل بهما من القلعة وسار طالب العرضي الذى للاسلام فبينما هو سائر فى الطريق واذا به يرى رجلا مغربى جالس فى وسط الخلا وهو عاطي وجهه الى ناحية الجبل وظهره الى ناحية الطريق فلما رآه تعجب منه وكيف انه مقيم فى هذا المكان وحده فاقبل اليه وقال له يا هذا ما الذى تفعله هاهنا فقال له ومن انت الذى تسالني عن ذلك فقال له انا وهؤلاء الاربعين غفر المسلمين فقال لهما ذلك المغربى اتم منا وعلينا ولكن ارجو منكم ان لا تعلموا بى احدا من المسلمين وانا اعطيكم مما اعطانى رب العالمين لانهم اذا علموا بانى هاهنا ادركونى وربما أخذوا منى ما تعبت عليه اونهبونى لانى اتيت من بلدى بسبب كنز فى هذا المكان واريد ان آخذه واعود به الي الاوطان فقال له ها نحن شركاك فيه وكل ماخرج نقتسمه ونستوفيه فقال لهما اذا كان الامر كذلك فاعبروا من داخل هذا المغار وانتم سكوتا من غير كلام ولا اجهار لان الكلام يرحل السمار فلا ينفتح لنا الكنز ولا تنكشف الاحجار فاجابوه الى ذلك ودخلوا الي الغار واصطفوا حوله الاربعين وجلس فى وسط الجميع وجعل يدمدم ويعزم ويقسم ويبرطم ويقول اين الاخضر ابن الاحمر اين الاصفر بن الابلق احضر يا سلان وانت ياعلان ثم انه اطلق البخور والكل حضور وقد امرهم بسد باب الغار بالاحجار فسدوه على الاثار فلما ان عبق الدخان فى ذلك المكان فوقعوا الجميع الرفيع منهم والوضيع قال وكان هذا المقدم جمال الدين شيحه لانه لما ان اقبل الليل واتوا بالاسارى طلع سرا ينظر ما يتكلم به جوان فسمع مادار بينهم وما نزل هذا العايق الا وهو حاضر فلما نظره شيحه وقد نزل بالاربعين اصطنع له ذلك التفنين حتي قبض عليهم اجمعين ثم انه جعل يذبح الجميع حتى جعل الاربعين ثمانين وقتل

أيضا اللعين في آخر الجميع وسد عليهم ذلك الغار وسار طالب مكانه الاول وكان هذا سبب لحفظ الاسلام (ياساده) واما جوان فانه التفت الي يافيل وقال له اسجن لنا هؤلاء المسلمين الى غد فعند ذلك قال لخدامه اندهوا على ملدعون السجان فاتوا به لي عنده فلما رآه جوان ارتعشت اعضاءه وارتعب قلبه ودمعت عيناه وقال ياسيف الروم هذا السجان قد اخذني منه الرعب والهوان واني اقول انه شيحة الخوان فقال له البرتقش انت لم تحل في مكان و يعمرا بدا إيش هذا الكلام الهذيان فقال له يافيل ما الخبر ياجوان فقال البرتقش انه يتكلم بالنقصان ويخوض في حق السجان بالشقق و يقول هذا شيحه السراق فقال له يافيل اعلم ان هذا السجان له عندي اكثر من عشرين عام وهو حافظ مدينتي من كل انسان فلا تتكلم في حقه بما لا يليق من الكلام ثم ان السجان ملدعون لما سمع من جوان ذلك الكلام بكى واشتكي فطيب خاطره يافيل وقال له هذا عالم الملة فلا يصعب عليك منه ابدا فخذ هذه الاساري وسير بهم الى السجن في هذه الساعة فاخذهما وسار وجعلهما في الاغلال واقام ينظر ما يكون من الاعمال فهذا ما كان من امر هؤلاء

(قال الراوى) ثم ان جوان عاد ينتظر الاربعين والعايق كفرنى فما عاد منهم احد لا ابيض ولا اسود ثم انه اخذه لاجلهم القلق ومازال في انتظارهم الي ان طلع الفجر وظهر الفسق وامر جوان بطبل الحرب فقرع ونزل كفير الي الميدان وانقشع وقال الملك ابرزواله يااولاد اسماعيل واذا بالغبار ثار وعلا وسد الاقطار وانكشف الغبار و بان بعد ساعة الى الناظرين عن خيال أقبل من بين الروابى والتلال قال وكان هذا الخيال يقال له المقدم فخر الدين حسن هو من اولاد اسماعيل وهو انه لما ان غاب معروف طلع الى الحج يدور عليه فما رأى معروف ولا من يحفظ المعروف وقد اكتسب المال في بلاد الغربة واوشكت نفسه اليه فعاد الي قلعة الجسر فلما دخل قلعته اجتمعت عليه كواخيه ورجاله اتوه بالحلاق حلق له قرعته وطل في المرايه اعجبته وقد استقر في الجلوس على دكته ودارت من حواليه

كواخيه ورجاله ثم انه سأل عن القلاع ومن هو عليهم سلطان وهل معروف ظهر أم لا فقالوا له امامعروف فانه لم يظهر ولا اتى عنه خبر واما القلاع فقد تسلطن عليها رجل بدوى من عرب غزة يقال له شيحة ابن سيف القبائل ثعلبة فلما ان سمع ذلك الكلام قال لهم يا رجال هذا ومن عمله عليهم سلطان قالوا له ملك مصر والشام بيبرص الذى اتى من بلاد العجم فقال لهم يارجال هذا الرجل انا اعرفه من مدة معروف وقبل معروف وانه يستاهل السلطنة و يستاهل عليها الف سلطنة لكن عاب بعجيبته ارنبه مادري ثعلبه وقد سلطنه على اولاد اسماعيل ثم صاح بملء رأسه وقال معروف فأجابوه بالسلامة ثم ان الملك سلم عليه وتلقاه وا كرمه وحيا مثواه وسأله عن حاله فأخبره عن قصتة ونسبه وحليته فترحب به الملك وقال له تمنى على يامقدم فقال تمنيت سلطنة القلاع والحصون فقال الملك تمني غير هذا فان هذه لا املكها فقال ياملك الاسلام وانا لا اتمنى عليك غيرها فقال الملك فى نفسه اضحك على هذا الرجل ثم قال له ان كنت تريد سلطنة القلاع تمكنني من يافه واضرب فيها بجواد وحسامى وتقبض لي الملوك وجوان والبرتقش الخوان وانا ابقى اسلطنك على القلاع والحصون فقال له هذا يادولتلي اقرب مايكون ثم انه تركه وسار طالب يافه وقد صبر الى الليل وعبر من اعلا الاسوار ونزل واندك على سراية جوان وهو لابس ملابس الكفار ووقع بين هؤلاء الرجال هذا وجوان جالس هو وبرتقشه والملوك الثلاثة وبين يديهم الكاس وقد عيبوا البر فتأمل جوان فى الرجال واذا به يرى هذا المقدم فلما رآه انكر عليه وقام على الاقدام وحضنه وصاح بملء راسه اناجوان اناجوان ثم قبض على المقدم ومسكه من اطواقه بيده وقال له من انت بالاسم الاعظم ماانت من اولاد اسماعيل وانت الذى قتلت العايق فى الميدان ورحت الى السلطان وتمنيت عليه السلطنه قال لك ادخل البلد واقبض جوان والبرتقش والملوك وانا اسلطنك قال له اى نعم والاسم الاعظم فعند ذلك امر له بالسجن فتسلمه العايق ملدعون واخذه وسار به وادخله الي السجن وثقل حديده

وصاح فيه وضربه بين اكتافه بصوت كان في يده فلما نظر المقدم الى ذلك وكيف ان السجان تفكر فيه عزت عليه نفسه وان واشتكى وانشد يقول

يانفس اصبري ولا تجزعي * فان الله اعد للصابرين جنانا
و ياعين جودي بالمدامع عبرة * واسقني فقد رأيت هوانا
اصبحت مأسوراً بيد العدا * وقد كنت في عزي بأعلى مكانا
انا اذا احسن العارف خلاصي * اكون لشيحة من جملة الاخوانا

(قال الراوي) ثم انه جعل يتأوه و ينوح وقد قال في نفسه انا ما نالني هذا الا بشدتي على هذا الرجل وان احسن المولى خلاصي اكون له خادما ولا أعصي له امراً ولا نهيا وما انا باكثر ممن اطاعوه وعلى انفسهم خيروه فبينما هو يتكلم بمثل ذلك الكلام واذا بالسجان وقد أقبل اليه و بيده ذلك السوط وقال له يارجل انت تتكلم بكلام كثير اقلقت منامي فقال له يامعلم ابعد عني لئلا اصيح على من يخلصني من عندك و يتعس آمالك فقال له يا كناس ومن الذي يقدر يأتي الي عندي و يخلصك من قبضتي و يدخل الى بين يدي فقال له اصبروا انا اريك اياه ثم صاح على رأسه الله ملا قلب سلطان القلاع والحصون وطاعة الخوندان اليه ان هو اتى الى عندي وخلصني مما انا فيه والاسم الاعظم قال فلما سمع ملدعون منه ذلك القسم قال له يامقدم ها أنا الذي ذكرته فقم الآن وادخل على السلطان واقل له اني قبضت جوان والملوك والبرتقش الخوان وسلمهم اليه فهاهما في ذلك الجمدان وأمره ان يركب فاني اعطيت له المدافع وذبحت الفرجيه وفتحت ابواب المدينة بالكلية وايد قولك عند السلطان واعلمه انك انت الذي فعلت هذا الفعال لاجل ان يكون لك برهان بين الرجال ولا يسموك كذاب و بعد تمام الركبة اذا انا حضرت عند السلطان فاطمأن بين الرجال والاخوان والسلام فقال له جزاك الله خير ثم ان جمال الدين ناوله الملوك الثلاثة وجوان والبرتقش واطلق الامراء وامرهم بما ذكرنا فبينما الملك جالس واذا بالمقدم فخر الدين حسن يقول يا ملك الاسلام اركب قبل ان تنكب الجنة تحت سيوف المجاهدين فقال الملك لا حول ولا قوة الا بالله العلي

العظيم هذا الرجل فعل ما امرته وكيف اقول له بعد ذلك في سلطنة القلاع هذا وقد
ركب الدولة وصاحوا في وسط البلد بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير
فما افاقت الافرنج الا وجيهم مكبوس وشنيارهم معكوس والسيف يلعب في اعناقهم
والطبر والدبوس يعمل في اجسامهم والخل لا يدرى عن خليله ولا الصديق يدري
عن صديقه جرى الدما وساح كالبحر الطفاح بقت الدما سايحه والارواح على فراق
الابدان نايحه ولم تكن الا ساعتين حتى افنوا من الكفار الالف والالفين وزعق
عليهم غراب البين وقد لاح الفجر وجاء الصباح والكفار اشباح من غير ارواح هذا
وقد اخذ شيحه زوجته وأخذوا ما كان في البلد من الاموال واخرجوا النسا
والاطفال واسرهم الملك عنده في الاغلال وهدمت المدينة من سائر الجوانب
وصارت مسكنا للحيات والعقارب ثم إن الملك جلس على تخته في صيوانه وتقدم
اليه المقدم فخر الدين حسن وسلمه جوان والبرتقش والملوك الثلاثة ثم ان شيحه
حضر في ذلك الوقت والساعة فلما رآه المقدم فخر الدين صاح الله اكبر ملا قلبك ابد
الله سيادتك الملكية اي طاعة الخوند اليك والاسم الاعظم فتعجب الملك من ذلك
وقال له ما الخبر فاعاد عليه ما جرى من الاول الى الآخر ثم ان الملك امر ان يفيقوا
جوان وبرتقش ففيقوهم فامر الملك بقتل الاثنين فمنعه شيحه من ذلك وقال له
اعلم ان كل شيء له اوان ثم امر بعد جوان وضربوه علقة وقال هات البرتقش فقال
البرتقش قوم اضرب الاستاذ الذى لم يشيل الحمله عن تلميذه يا ملك الاسلام خل
الضرب داير لئلا تبرد الرجل فضربوه علقة برتقش وطردهم الملك فخرج جوان
وبرتقش مثل الكلاب النابحه ثم ان جوان التفت الى برتقش وقال له يا سيف
الروم مرادي انك تسرق لي زوجة شيحه من الغار الفلاني وكان قد استدل عليها
من كتاب اليونان وأجابه الى ذلك وسرقها من مكانها واراد جوان ان يردها الى
دينها فامتنعت من ذلك فاراد قتلها فوقعت في عرض البرتقش فحماها من جوان
واقسم انه لم يقربها وسار بها الي بلاد الكفار وسيأتي ظهورها في كلام عماد الدين
علقم وظهور معروف بن حجر وخلاصه وتظهر هذه ومعها نوادر اذا نحن اتصلنا

بها نتكلم عليها العاشق فى جمال النبي يكثر من الصلاة والسلام عليه هذا ما كان من امر هؤلاء واما ما كان من امر الملك العادل فانه امر بالرحيل الي مملكة مصر ومعه الثلاث ملوك والمقدم فخر الدين حسن واولاد اسماعيل والرجال والاماره وأهل الدولة ولم يزل سائر حتى اقبل الى غزه وامر بالنزول هناك لاجل الراحة فنزلوا هناك واقاموا ذلك النهار واذا بالغبار ثار وعلا وسد الاقطار وبان بعد ساعة عن عشرة آلاف من العربان ومقدمهم رجل يقال له المقدم ابراهيم ابن شيحة شيخ العرب شراره وكانوا هؤلاء العربان اهل ذلك الروايات فلما ان علموا باقبال السلطان اتوا اليه وقبلوا الارض بين يديه وسالوه الضيافه فاجابهم الى ذلك ونزلت الضيافات مدة ثلاثة ايام ولما كان اليوم الرابع امر الملك بخلعة سنية فخلعها على شيخ العرب وقال له انت ورجالك جميعهم تكونوا غفرا على سائر الاماكن والكبير عليهم المقدم موسى بن حسن القصاص ياخذ منى كل ما يحتاجون اليه وهو يعطيكم الجوامك ففرحوا بذلك وتودعوا الى حال سبيلهم فهذا ما كان من امر هؤلاء واما ما كان من امر الملك فانه امر بالرحيل فارتحل حتى اقبل الى العادليه وقد سبقت البشائر الى سائر الرعيه وسمع نائب الملك بقدومه فاحضر الموكب ونبه بالزينة والمهرجان ونادوا بالامان والمناداة فى سائر الاماكن بان غدا موكب السلطان العادل ثم ان الملك لما ان الصبح الله بخير الصباح واضاء الكريم بنوره ولاح ركب وانعقد له الموكب وغلت الثلاث ملوك فى الاغلال والباشات الثقال وساروا بهم قدام جواد السلطان هذا وقد عبر الملك من باب النصر واذا بالدنيا قد انقلبت باهلها حتي ما بقى الاخ يدرى عن اخاه من ازدحام الخلائق ولم يزل سائر حتى قبل الي مكان سيده الملك الصالح ايوب فتحول عن جواده وتقدم ابوا الخير ليفتح له الباب فقال له دعني من ذلك فان كان هو يقبلني يفتح لي الباب من غير مفتاح وان لم يفعل ذلك رجعت من حيث اتيت والسلام ثم ان الملك تقدم الى الباب ومسك الضبه وقال بسم الله الرحمن الرحيم وجذبها اليه فخرجت الضبه من غير علاج فعبر وقرأ الفاتحة وتوسل وقال يا من نمت

واسهرتني وارتحت واتعبتني فاخذته عند ذلك سنة من النوم فرأى الملك الصالح قدامه نصب عينه وهو يقول له توكل على الله واذا وقعت فى امر فانده لي فانا معك فلا تخف ولا تفزع من احد ثم دعا له فافاق من نومه وهو فرحان ضاحك غير غضبان ثم خرج من المقام بعد الاستئذان وفرق واعطى واوهب وصار بالموكب حتى اقبل الى الرميله وبحر العالم فتامل الملك فوجد امراة واقفة بين الناس وقد زاغت عيناها فعند ذلك وقف الملك بالجواد واشار الى دولته فاتوا بالحرمه اليه واوقفوها بين يديه فقال الملك من انت وما تكوني قالت له انا من العرب اتيت لاجل اتفرج على هذا الموكب فقال الملك والاسم الاعظم الامجد ما انت احمد ابن ابيك قال نعم يا مولانا السلطان فقال له ولاى شيء فعلت هذه الفعال فقال له حملني على ذلك الخوف والفزع لان ابي من مدة ما مات وانا عند امي لم اقدر اباني ولا يراني انسان وقد اتتني الاخبار بانك صرت ملك وسلطان وانت بينك وبين ابي عداوة من زمان فخفت انك تفعل معي مايوجب لي الهوان فلما ان كان ذلك النهار وسمعت بالزينة والازدهار حملتني نفسي على ذلك الآثار فما اخفي عليك حالي وما انا فيه من اعمالي فلما عرفتني وعن حالتي سالتني اخبرتك بقصتي وها انا بين يديك فافعل ما بدالك والسلام فقال الملك ياولدي وعزة الله اني سامحت والدك بكل مافعله معي من الاذية واما انت فلا ذنب عليك ولا انا ممن ياسى عليك ثم انه امر له بكرك رضي وقال له تكون انت حاكم على الامارة الشركسيه ثم امر له الملك بجواد فركب عليه وسار في ذلك الموكب وقد اذهب الله عنه الخوف والفزع وقد اخذ الملك الدعا من كل جانب ومكان والناس يتاملون في ذلك الملوك الذين بين يدى السلطان ويتكلمون فيهم بكل لسان فنهم من يقول هؤلاء يجعلوهم زينة في الموكب وقال الآخر انا اعرف منهم كان خطف عمتي مرة في سكة بولاق وقال الآخر هذا الوسطاني حرامي ثم كثرت الاقاويل من العالم حتى سار الملك على كرسي قلعة الجبل وهو يوحد القديم الازل جلس الملك على الكرسي ضربت المدافع وخضع له كل خاضع ثم انهم بايعوه وعلى السلطنة اقروه وذلك بعد ان جعلوا على عينيه

الفصاديه واد خلوه الى قاعة السلام فدق فى قطعة سلاح فوجدوها عشه لمحمد بن الحاكم وهو الحاكم بامر الله ثم نزلت السكة باسمه والخطبة باسمه ثم خلع على الوزير خلعة سنيه والبس تقطمر وزير ميسره وايدغدى صاحب حجابه وايدغمش قائم مقامه وايدمر امير الترك والحلبي باش الاكراد وقلاوون باش الشرا كسه وحسن ودبل سعاة ركاب واحمد ايبك باش التركمان وسليمان الجاموس مقدام السلطنه ثم ان الملك رتب التراتيب كما يريد وقد جعل يولى على كل جماعة كبير منهم حتي رتب الرجال من غير تولية فبينما هو يقول ذلك واذا بغلام طالع من باب الديوان ومعه اباه ثم ان الرجل جعل يمدح السلطان وهو يقول

لقد ضحك الزمان بالابتسام * وأوفا بالمنا من غير عام
وجاد بالعطف حقا علينا * اتانا النصر من رب الانام
وسعدت ارضنا بمن تولى * وزال الظلم عنا والظلام
اتتنا الاواقيت مبشرات * بسعد من حكم الانام
اشرقت شمس عزك علينا * وجودك عمنا نلت المرام
فاوفى بموعدك الآن حتى * تكون مؤيدا اوفى الكلام
الله ينصرك على كل الاعادى * وكل خصم وجميع اللئام

ثم ان الرجل تأخر وتقدم الغلام وجعل يمدح السلطان بهذه الابيات يقول

لك الجود والمنا والعز والكرم * يامن علا بعلاء البند والعلم
عطيت ياسيدى عزا ومكرمة * من الاله عطاك مافضله همم
ونلت ما كنت ترجوه من امل * على رغم الاعادى بالعز والنعم
اوفى بوعدك الآن يابطل * عسى انى بجودك ابلغ النعم
انا عبدالكريم اسمي وهذا * ابى يحيى شايع حدي الامم

فلما ان سمع الملك بذكر الشيخ يحيي وعبدالكريم الاسماعيلى ترحل بهما وليس الشيخ عبدالكريم كاتم السر وقال انت لازم ديوانى حتى اذا اتانى كتاب

وامرتك بقراءته سرا تقراه على وان امرتك بقراءته جهرا فاقرأه وأبوك يكون من قضاة الديوان فلبسوا كما امرهما ثم طلع الشيخ المعز بن عبدالسلام فالبسه قاضي قضاة الديوان وكذلك الشيخ ابن دقيق العيد وابن غريق الزيت البسهما ثياب القضاة والعلما كذلك والاشراف والساداث البكريه وغيرهم ورتب ديوانهم كما يريد ثم ان الملك اراد ان يتعاطي الاحكام واذا بعثمان ابن الحبله يقبل الارض بين يديه وهو يقول ياليل

جيتكم كلما نهق حمار فى الدار   وكلما هبهبت الكلاب على الاصوار
يامن على خده مسرجة زنجار   قتلتني غدر يابو مخطمه فول حا

قال الملك اهلا وسهلا ياشيخ عثمان قال عثمان انت لبست كل الناس ولا تسألش عن عثمان بن الحبلة قال له أوليتك أمير مخور السلطنة قال عثمان ارحب عداك العيب يابو محمد ثم ان الملك العادل بعد ان تهيأ الفراغ من ذلك كله نفض المنديل تحولت العساكر والرجال والعلما وار باب الاحوال ثم ان الملك طلع السرايه فتلقته الملكه تامبخت وسلمت عليه سلام الاحباب وهنته بالسلامة ومانا له من العز والكرامة ففرح بذلك وسألها عن حالها فاعادت عليه قصتها ومافعل ضائع الاسم معها وكيف ان الامير ايدمر قاتل جانب هودجها حتي ما بقى يقدر يأخذ له نفس وقد أشرف على الهلاك واعادت عليه القصة من اولها الي آخرها فحمد الله تعالى واثنى عليه ثم انه لما جاء الصباح صلى صلاة الافتتاح ونزل قاعة الجلوس وجلس يسبح الله تعالى الملك القدوس حتى اتوا اليه الاغوات الكتابية وقبلوا الارض بين يديه بالكلية واعلموه بان الديوان تكامل قال الملك وعلى الله الكمال ثم نهض الملك الى الديوان وعبر على سائر الاخوان فنهضوا عليه اجلالا وابدى عليهم السلام ردوا عليه بالفريضة والامتنان اقبل الملك الى التخت وبسط اياديه قرأ الفاتحة ام الكتاب اهدى ثوابها الى ضامن جملة العاجزين والعاوزين ثم الى روح سيده الملك الصالح ايوب سبب غرس نعمته ثم جلس على كرسي قلعة الجبل مثلك يوحد القديم الازل تكامل الديوان وقد اجتمعت فيه سبعة عشر فرقة سناجق وديلموا كراد

ايو بية فداوية اسماعيليه ترك ايبكيه مماليك كتابية علما وافاضل مصريه سادات بكريه ثم ان الملك لما جلس على التخت وراق الديوان قرأ القاري، وختم رقى الراقى وختم دعى الداعى وختم صاح شاويش الديوان وهو يقول

لاتحسبن الله يغفل ساعة الا ينفذ حكمه فاذا نفذ
يعطي الذين تجبروا فى ملكه حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذ

قال الملك آمنا من اين كنا حتي اتصلنا سبحان من عنده كل مليك كمملوك وكل غنى كصعلوك سبحان ملك الممالك سبحان المنجى من المهالك ثم ان الملك امر باحضار النقاشين وكان بعصر رجل يقال له باي غازي النقاش فلما حضر بين يديه امره ان ينقش له قاعة الجلوس بسائر الالوان المختلفة فلما ان نقشها ورآها عجيبه حسنها وتصاويرها فاخرج اليه كلما كان يحتاج اليه وحرج عليه ان لا ينقش لاحد مثلها ابدا فامتثل امره ونزل الى حال سبيله فهذا ما كان منه (قال الراوى) واما ما كان من الملك العادل فانه امر بسجن الثلاث ملوك فى العرقانه وجعل عليهم الخفراء خوفا عليهم من جوان ان ياتى ويخلصهم فهذا ما كان من امر السلطان واول احكامه وما يجري له من الكلام العجيب وذلك ان الملك اراد ان يتعاطى القصص ويزيل الغصص واذا بالوالى يقبل الارض بين يديه وهو يقول نعم قال الملك ما الخبر قالوا له يامولانا السلطان اعلم ان هذا الرجل الذى انا اتيت به قتل اخت هؤلاء الاثنين التجار ونهب مالها ها هى فى التابوت مع اخوتها والقاتل ما هو بين يديك قال الملك ياتجار ما السبب ان هذا الرجل قتل اختكم قالوا له ياامير المؤمنين اعلم اننا زوجناه بها واقام معها مدة من الزمان وهو يأكل من مالها فلما كانت ليلة امس دخل عليها وفعل بها هذه الفعال فقبضنا عليه وصحنا على الوالى وعدنا عليه ماجري فاوثقناه كتاف ولما طلع النهار اتينا الى حضرة مولانا السلطان وسألتنا عن حالنا اخبرناك بما جرى علينا من قتل اختنا قال الملك للرجل وهو مكتوف اليدين وملابسه غرقانة بالدما ياشيخ انت قتلت قال نعم قتلت وحسبي الله ونعم الوكيل قال الملك قتلت قال قتلت ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم قال له الملك قتلت قال نعم قتلت يامولانا السلطان

والرب يحكم بين العباد قال الملك ياسادا تنا ياعلماء الاسلام ما تقولوا فى هذه الاحكام قالوا له هو الآن قد اقر واعترف ولا عذر لمن اقر وقد قال الله تعالى النفس بالنفس وهذا جزاؤه القتل فعند ذلك صاح الملك بالوالى وقال له خذ هذا الرجل واقطع راسه فى وسط الرميله يعتبر به غيره فاخذه الوالى ونزل من الديوان والمنادي ينادى عليه اعاذنا الله والمسلمين من ذلك حتى اقبلوا الي وسط الرميلة واقعدوه وداروا من حوله وهو يبكى على وينوح والناس يقولوا عليه بستاهل واذا بعثمان قد اقبل قاصد القلعة فرأى الناس مزدحمة ففرقهم ذات اليمين وذات الشمال وتأمل فرأى هذا الرجل فتقدم اليه وطل في وجهه وقال له اهلا ابو سحرت دعوتي استجابت وهذه جميلة مثل الذى فعلتها معنا فى واه ى فرسيس ثم انه حله من وثاقه وصاح في الوالى فابتعد عنه ولم قدوان يتكلم مع عثمان واخذه وسار به الي الديوان وقد تغير لون عثمان وطلع على السلطان وهو كاظم لا يقول دستور ولا يستأن حتى سار بين يديه وهو يقول سبوح قدوس الخدمة ماهياش دبوس وسايس بلا جامكية فاتحته مسه قال الملك ما الخبر يا اسطى عثمان قال عثمان جاتك داهيه ما انت الا خاين العهود مثل العقارب اول حكومة تعملها مع الرجل الذى رد جوعتك انت ورجالك وانت دايرضايع جيعان واول مرة وثاني مره وثالث مرة تأمر بموته لاي سبب يامفتش قال الملك ياعثمان قتل قال عثمان تكذب وسرها فى مقامها ماحمر دذبح فرخه قال له الملك انا سألته ثلاث مرات وأقر على نفسه بالقتل وحكمت العلما بذلك قال عثمان اذا كنت انت محتسب وقابلت رجل بتاع عيش ورآك لابد انه ينوهر منك فما ادراك بالذى سألته وهو غارق فى الدما والنجار شاهدين عليه وكل الناس يقولوا يستاهل ولكن هذه الحكومة اظهرت لي انك ظالم ومايعملها غيري انا فى وسط ديوانك لتنظر الاحكام الذى اعملها احسن والا احكامك احسن ثم ان عثمان صاح على الوالي فاجابه فى عاجل الحال فقال له عثمان اين الاثنين الخواجات قال هاهم عندى قال له عثمان احفظهم حتى يظهر الحق ويبان فاجابه بالسمع والطاعة ثم ان عثمان قال للملك أمر لهذا الخواجه ببدله غير الذى عليه فامر الملك بذلك فلما لبس البدله البسه عثمان الى جانب السلطان وقال للملك أمر بكاس

شر بات واصبرعليه حتى انه يروق واسأله عن الاصـل والسبب وهو يحدثك بما جرى ففعل الملك كما قال عليه عثمان ثم ان الملك باسط الخواجه ومازحه وقال له عثمان احكى له ولا تخف وانا ظاهرك وسرها فى مقامها لا يجرى عليك الا كل خير فقال له الملك مثل ذلك فقال يا اميرالمؤمنين اعلم ان لي حكاية من العجب لو كتبت برؤوس الابر على اماقي البصر لكانت عبرة لمن اعتبر وذلك انني لـما كان عثمان اتانى بحلب وجرى من الامر ماجرى والمنطقة هاهي عندي ياامير المؤمنين توجه ابويا الي الحجاز وانا حزمت متجر واتيت به الى ارض ملك مملكة مصر ونزلت فى خان السبيـل واقمت ابيع واشـترى فبينما انا جالس فى بعض الايام واذا بالاثنين الخواجات اتو الى عندي وجلسوا على الدكان فسلمت عليهم واكرمتهم غاية الاكرام فاخذوا منى اقمشة بالفين دينار واعطونى اياهم وقاموا من عنـدى فقالوا لى الخواجات احرس لنفسك من هذين الرجلين لانهم اهل باطل ومامنا الامن اخذوا منه بضائع وتركوه والثمن لم يوفوه فقلت لهم يارجال ان الذى اخذوه منى اعطونى ثمنه على الـكامل فقالوا لي قد اخبرناك وحدثناك والسـلام ثم انهما بعـد برهة من الايام اقبلوا الي عندى واخذوا منى بضائع بستة ودفعوا لى منها اربعة وبقى عندهم الفين ذهب وساروا من عندى وبعد قليل اتونى بالفين واخذوا بضائع بستة آلاف دينار فقلت لهم واين الدراهم قالوا حتى نبيع ثم ساروا من عنـدى فلم اجدهم بعد ذلك ابدا فليوم من الايام اشتاقت نفسي الى زيارة الامام فسرت الى الزيارة فرايت الاثنين داخل المقام فسلمت عليهم باشتياق وسألتهم في الدراهم فقالوا لى انت الليلة عندنا مضاف فاجبتهم الى ذلك وسرت الي منزلهم فلما ان كان وقت العشا واذا ببنت هناك ذات حسن وجمال وقدواعتـدال يحير فى وصفها أهل الاقوال فقلت لهما ماتكون هذه البنت فقالوا لى هى اختنا فقلت لهما جئتكما خاطبا راغبا لا تردونى خائبا فقالوا لي اجبناك الي ذلك فقلت لهما لي عندكما ستة آلاف دينا وهذه اربعة لاجل الافراح وبرا الله الذمة فاتوا بالقاضي وعقد العقد لي عليها واقمنا الافراح ودخلت على البنت فرأيتها تنجلى كانها غصن بان على كثيب من الزعفران فازلت بكارتها

و نمت معها واقمت بها فى بيتها فقالت لي البنت ارجع عن اخواتى واحفظ مالك ونوالك لانهما خائنين وماعندهما اكرام لاحد من العالمين فصحت عليها وقلت لها اذا لم يكن لك خيرا فيهما فمالك خيرا فى انا ثم اجتمعت عليهما في بعض الايام فقالوا لى يا خواجه شمس الدين انقل متاعك من خان السبيل وخليه عندنا لاجل ان نكون كلنا فى مكان واحد لان الناس يحسدوك على ذلك ففعلت لهما ذلك على رأيهما واقمت عندهما فلما كانت امس دعانى بعض الخواجات الى عنده فتوجهت الى منزله واجبت دعوته وكانت عنده ختمة قرآن فاقمت هناك الى آخر الساعه السابعة واتيت الى منزلي فرأيت الباب مفتوح فعبرت على زوجتى و صحت عليها فلم احد جاوبني بجواب فقلت لنفسي غلب عليها النوم ثم انى تخففت من ملابسي واندرجت في الفراش واذا بالدما غرق ثيابى فمديت يدي على زوجتى فوجدت الخنجر فى عنقها وهى غارقة في الدما فاخذنى الخوف والفزع فصحت بملء رأسي ادركنى يا خواجه حسن فأقبلوا على وقالوا ماهذا الخبر المشؤم وقد رأونى غارق فى الدما والخنجر فى يدى وقبضوا على وسلمونى للوالى فاتوا بى الى عندك سالتني فقلت لك قتلت سألتني الثانية. والثالثة فما انكرت امرت بموتى فاتى عثمان وخلصنى وانى بى الي عندك سالتنى اخبرتك والسلام (قال الراوى) فلما ان سمع الملك ذلك الكلام قال لاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ثم ان الملك امر الوالى بأن يفتش بيت الخواجات لعله ان يري ما يستدل به على تلك الحاجات ففعل الوالي ذلك وهجم على البيت فرأى زوجة الخواجه شمس الدين وهى فى بعض الاماكن مصلوبه من شعور راسها والاكرة ازالوها فلما ان علقت على نفسها قالت للوالي خذ ني الي عند الملك وانا احكى له على القصة وسببها وما كان من اصلها وفصلها فاخذها الوالي وسار بها الى عند الملك فقال لها الملك ما الخبر قالت له يا امير المؤمنين اعلم ان هؤلاء اخواتى وقد قالوا الي ان مرادنا نقتل زوجك وننهب ماله فما طاوعتهم على ذلك وقلت له احذر على نفسك من اخواتى وانعزل عنهم فـارضى عشورتى فلما كانت ليـلة امس وسار زوجى الى ضيافه بعض اصحابه هجموا على وضربونى ضربا وجيع حتى غشيت وغبت من الوجود ثم جعلوا

الا كرة فى فمي وصلبوني من شعري واتوا بهـذه الولية و فعلوا فيها ذلك الفعال وتركوها على هذا الحال فلما اقبل زوجي ظن انها زوجته فخلع ثيابه واندرج الي جانبها فرأي الخنجر في نحرها فظن ان احدا قتلها فصاح على اخواتي وانا سامعه لكنني لم اقدر اردعليه من الاكره التي فى فمي فلما اقبلوا عليه قبضوه والى الوالي سلموه ولا ادرى ماذا جرى بعد ذلك حتى اتى الوالى الى عنـدي وخلصني مما انا فيه واتي بي الى عندك سألتني اخبرتك والسلام

(قال الراوى) فلما سمع الملك ذلك الـكلام تحير وازداد فـكره وقد ثبت عنده براءة الخواجه شمس الدين فعند ذلك امر الملك بالتابوت ان يطلع الى السراية فطلعوا به الي السراية فـكشفت عليـه الملكة ثم قالت احضروا لي صنية من الذهب فاتوها فملاتها حنه واتت بعود مرسـين وجعلت في جانبه الايمن ستة ورقات والآخر خمسة ورقات وجعلت العود في وسط الصنيه وكتبت كتابا وجعلته الى داخل ذلك الصنية وغطت عليها بغطا من الجلد الاسود وامرت الاغا ان ينزلها الى الملك فلما رآها الملك تعجب من ذلك والتفت الي الاغا شاهين وقال له ماهـذا قال له يا امير المؤمنين هذا كلام عجيب راشارات واني اقول ان الملكة تقول لك ان هـذه القتيلة هي جارية رقيقة حمرة اللون مثل هذه الحنة وهي من بلاد بربره وان لها فى اليد اليمنى اصبع زائد وان لباسها جلد حـكم هذا الغطا فلما ان سمع الملك من الوزير ذلك قرأ الـكتاب فرآه بما قاله الوزير فقال له لله درك من وزير بكل الامور خبير ولـكن ما يكون الرأى فى باقى هذه القضية فقال له ترسل الي الياسرجية وتسألهم عن ذلك فارسل الملك واحضر الياسرجية الي عنده وقال من الذى يبيع الجوارى الحبشيات فقالوا له هذا الياسرجي يقال له ابو الشمات فقالوا له ياشيخ اخبرني هل اشترى منك احد من التـجار جارية قال نعم يا امير المؤمنـين وهما اثنين احدهما يقال له حسن والآخر يقال له امـين وقد اشتروا مني جارية لهـا اصبع زايد فى اليـد اليمنى وهى تقرأ القرآن فقال له انظر الى هـذا التابوت فتامل اليه واذا به صاح وقال الله تعـالى يقتـل من قتلك والله ياامـير المؤمنـين انـ لي

نصف حقها عند الاثنين الخواجات فقال له تعرفهم قال نعم فارسل الملك واحضرهم اليه فقال له هاهؤلاء يامولانا السلطان فقال لهما الملك هذا لا يحل لكما من الله ان تقتلوا اليسير وتتهموا الغريب وتأكلوا أموال الناس بالباطل فما احد منهم رد عليه جواب فصاح الملك اين الباشا الوالى فقال لبيك قال خذ هؤلاء الاثنين ودورهم بجملين شاميات واقطع رؤوسهما فى الرميله ليروهم المخلوقات فنزل بهم الوالى وفعل ما أمر ان نفعل بهما وقتل الاثنين وراحوا الى رحمة الله تعالى فهذا ما كان من أمر هؤلاء واما ما كان من الملك فانه التفت الى الخواجه شمس الدين وقال له خذ زوجتك لكن فى بيتهما ومال الاثنين ونوالهما والبيت ومافيه هما اليك هبة كريمة لا يرد فى عطاه ثم ان الملك صرف الياسرجيه الى حال سبيلهم وأمر بدفن الميتة وقال لشمس الدين انت لك علينا الجميل وانت الذى كنت رايح تضيعه لولا عثمان فجزاه الله عنى كل الخير والاحسان ولكن تمنى على تعطى قال له يامولانا السلطان إنا الذى لم آخذ على فعل الجميل مكافآت فقال له انت خواجة السلطان فى البر والبحر وانت شريكى فى التجارة ولكن عندى مايسر خاطرك وهذا مرسومى بيدك فلا احد يعارضك ففرح بذلك ونزل الى مكانه وعثمان بصحبته حتى انه أخذ منطقته منه فهذا ما كان من أمر هؤلاء واما ما كان من امر الخواجه شمس الدين فانه جدد البيت الذى هو فيه وأقام بزوجته وكان البيت قريبا من السيده زينب يعرف هناك ويقال له ضرب الشمس وصار شريك السلطان فهذا ما كان من امر هؤلاء واما ما كان من امر الملك العادل فانه اقام ذلك النهار حتى جاء وقت الزوال ونفض الملك المنديل تحولت الرجال الى اماكنهم ودخل هو الى قاعة جلوسه وجلس يعبد الله تعالى الى ان كان ثانى الايام تكامل الديوان وجلس الملك مثل عادته وقد قرأ القارى وختم ودعا الداعى وختم ورقى الرائى وختم وصاح جاويش وهو يقول

الله يرضى حين تسأله الرضى ... وبني آدم حين تسأل يغضب
لا تسألن بني آدم حاجة ... واسأل الذى ابوابه لا تحجب

قال الملك آمنا اراد الملك ان يتعاطى القصص ويزيل الغصص حكم ما امر مولانا

جد الاشراف واذا بنجاب يقبل الارض بين يديه وهو يقول نعم يا امير المؤمنين ايدك الله بالنصر والتمكين قال الملك ما معك من الاخبار قال كتاب فاخذه السلطان وفضه وقراه وعلم ما فيه وفهم معناه وقال هذا البيت المفرط

انا بالدهر خبير امة من بعد امة ما صفي الدهر لخل نصب يوم واتمه

خذيا قاضي الديوان هذا الكتاب واقراه على مسامع آذان الرجال قراه القاضي بحد الصلاة والسلام على من تظلله الغمام خطاب من باشت بيت المقدس الى بين ايادي ملك الاسلام نعلمك اننا بتنا واصبحنا وجدنا جميع السهاريج الذي في بيت المقدس ممزوج ماءهم بالسم الخارق وكثير من الناس شربوا منه فماتوا لوقتهم وساعتهم فلما رايناذلك نبهنا على العساكر والرعية بعدم الشرب من ذلك السهاريج وقد عدمت اكثر الناس من العطش ثم اننا بتنا واصبحنا وجدنا الخواجات تشكوا الينا من عدم العمل وصبرنا اصحاب العمل ومنعنا الناس عن الشرب من ذلك الماء وارسلنا اليك هذا الكتاب ادركنا بجوادك المفتون وسيفك المسنون والا نحن في ريب المنون والسلام على نبي تظلله الغمام (قال الراوي) فلما سمع الملك ذلك الكلام قال للوزير لا بد من مرواحي انا بنفسي الى ذلك المكان حتى اني اكشف الغمه عن الاسلام ثم اراد الملك ان يتكلم واذا بالنجاب يقبل الارض قال الملك ما معك من الاخبار قال له كتاب اخذه الملك فضه وقراه وفهم معناه واذا فيه خطاب من باشة الشام الى بين ايادي ملك الاسلام تعلم اننا مقيمين يوم تاريخ الكتاب واذا بركبة قد حطت على الشام واحاطت بها كما يحتاط النيل بالبلاد فارسلنا جاسوس يكشف عنها الاخبار فعاد الينا واخبرنا بان ملك الركبة يقال له دام ابو سليم فارسلنا اعلمناك ادركنا وارسل من يدركنا والسلام على نبي تظلله الغمام (قال الراي) فعند ذلك قال الملك ياوزيري خذ العساكر وسير بهم الى الشام والله المستعان وانا اسير الى بيت المقدس واتوكل على الله في سائر الاحوال ثم ان الملك البس الامير حجان الثور الكردي وقال له اوليتك قائم مقام الملك

لا تظلمن فقيرا اذا ما كنت مقتدرا ان الظلوم على حد من النقم

تنام عيناك والمظلوم منتبه يدعوا عليك وعين الله لم تنم

ثم نزل الملك من الديوان بمفرده وسار قاصد بيت المقدس فهذا ما كان منه واما الوزير فانه نبه بالرميله واخذ الرجال وسار حتى اقبل الى ارض الشام فهذا ما كان من امر هؤلاء واما ما كان من امر الملك فانه مازال سائر حتى اقبل الى بيت المقدس فدخل على باشتها فتلقاه واكرمه وحيا مثواه واجلس على تخت بيت المقدس واقام فى خدمته وقد رأي اهل بيت المقدس فى هم عظيم وخطب جسيم مما حل بهم من الكرب العظيم فصبر الملك الى الليل وتنكر وسار يشق بمفرده فى بيت المقدس وازقته فبينما هو سائر واذا باثنين عياق اقبلوا من وسط المدينة فتاملهم الملك واذا واحد منهم حامل شكجيه والاخر ساحب سلاح وماشى خلفه فتبعهم الملك حتى عبروا الي مكان معبر الملك خلفهم فتامل الملك وجد اربعين بطريق مقيمين من داخل ذلك المكان وبينهم جوان والبرنقش الخوان وسليم ابو دام قال وكان السبب فى ذلك ان جوان لما ضاقت عليه الحيل ولم بقى يسعه سهل ولا جبل وسار كما ذكرنا بزوجة شيحه وغربها في بلاد الناس وسنذكر تاصيلنها فى مكانها ان شاء الله تعالى ثم ان جوان التفت الى سيف الروم وقال له سر بنا الي سليم ابو دام ودام ابو سليم حتى اننا ندخل عليهم ونغريهم ونركبهم على بلاد الاسلام ثم عبروا على هذين الملكين وكانوا فى مدائن السلميه فلما عبر عليهم جوان تلقوه واكرموه وذبحوا اله خنزيره تحت رجليه وتمموا به واجلسوه وهو يبكى فقال له سليم ابو دام ما الذى ابكاك قال له انا ابكي على ملة زراره فانها لم بقت تسوى زبلة حماره ودين النصاره عادت بعد الربح الى الخساره فقال له دام ابو اسليم لا تبكى ونحن نريحك من المسلمين ونجعل الارض كلها مسيحيه عن يقين فقال لهم اعلموا يا اولادي اني اخبرني المسيح ان النصر لا يقع الا على ايديكم وهذا يدل على رضاء المسيح عنكم ولكم مني الدعاء ثم ان جوان مازال بهما حتى احتوى على عقولهما فاما سليم بن دام فانه اخذ الرجال والعساكر والابطال وسار بالركبة طالب ارض الشام واما دام ابو سليم فانه اخذ جوان وبرتقش واربعين عايق وسار يعطمط فى بيت المقدس وقدسم الصهاريج حتى ان باشت المقدس تضايق من

ذلك العمل الذى قد حل ثم حضر السلطان الى ذلك المكان وسار خلف العياق وعرف المكان والمحل ووجد اللعين جوان وصحبته عصبة اللئام كما ذكرنا فهذا ما كان الاصل والسبب (قال الراوى) فلما ان اقبلوا العياق قال لهم جوان ما عندكم الليلة قالواله ياأبونا الليلة سرقنا شكمجيه من السرايا وسرنا بها فتبعنا ر ين المسلمين قدم بقدم وها هو خلف ذلك الباب سامع ما قلناه من الكلام والجواب فعند ذلك قال جوان هذا لا يتدارى فى البيبان والحيطان الا النسوان فلما سمع الملك من جوان ذلك الخبر دعس فيهم وعليهم عبر وصاح بملء رأسه الله اكبر فعند ذلك ارادوا اللئام ان يجردوا السيوف و يسقوا الملك كاس الحتوف واذا بجوان قال لهم يااولادى اسبيته فان البنج زمانه تمكن منه فرجعوا عما كانوا عازمين عليه والسلطان وقع الى الارض مغشى عليه فقال جوان خذوه وسيروا به اتم الاربعين وابن الملك معكم وامضوا الى عقبة العيوانه وفم الرمانه واقطعوا الطاسة وهاتوها واتبعوا اثرى فانى سابقكم الى ارض الشام تجدوني فى الركبه واذا انتم اتيتم برأسه ارميناها الي المسلمين فتنكسر شوكتهم ويعودوا خائبين فقال له البرتقش اصبر حتي يقتلوه ونمضى سوى قال له جوان اخرص ياسيف الروم فانى ان اقمت هنا اخاف من وجهين الوجه الاول اخاف ان يكون ر ين المسلمين خلفه بعض الاتباع وعرفوا هذا المكان فر عا يقبضونى واقع فى ايديهم فيعذبونى والوجه الآخر اخاف من شيحه ان يتبع اثري و يعاقبنى ومالي انا بهذه الامور المشكلات فسر بنا وخلينا فى الفلوات فوحق المسيح ما عاد راجع من هؤلاء احد لا ابيض ولا اسود ثم انه سار قاصد الشام فهذا ما كان من هؤلاء (قال الراوي) واما ما كان من امر البطارقة فانهم ساروا بالملك حتي اتوا الى ذلك المكان ونزلوا هناك عن خيولهم واوثقوه كتاف وقورا سواعده والاطراف واعطوه ضد البنج عطس فقال اشهد ولا اجحد بدين النبي العربى محمد اين انا قالوا له انت عند نايا كناس قول كلمتك عند المنطار قال لهم الملك تاخروا عنى حتى اطلب الفرج والخلاص من الله تعالي فضحكوا من قوله وتاخروا عنه وقد ظنوا انه لم يبق له خلاص من ايديهم هذا وقد رفع وجهه الي السماء قبلة الدعاء وقال

لك الحمد يامحمود فى المقدم   على نعمة اوليتها بالعز والكرم
فامنن بفضلك لى ونجني   من ماحل بى من عصبة اللؤم
واحسن خلاصى من كل نائبة   فانت الكريم وصاحب الكرم
توسلت اليك بخير الخلق احمد من   ظللته الغمام فى حضر وفى نسم
تجد لي بالخلاص منك مكرمة   يا الهى ارجوك من شدة العدم

(قال الراوى) فلما استتم من كلامه وما قاله من شعره ونظامه حتى طلع الغبار وملا وسد الاقطار الى العنان وتكدر وبان للاعيان وظهر من ذلك الغبار خيال مقبل من كبد البر الاقفر وهو ينادي ويقول حاس ياقرنان فلما سمعوا منه ذلك ركبوا ركو بهم وجردوا سيوفهم وطلبوا شد الطلب وظنوا انهم يسقوه شراب العطب لانهم اربعين وهو بمفرده مامعه معين هذا وقد صاح فى اوائلهم وضرب فيهم وصار يقتلهم ويضربهم في اعناقهم وخراصرهم وكل من طلب الهرب ادركه واسقاه العطب ولم تكن الا ساعة واحده حتي قتل الاربعين وقتل ابن الملك وجعله مع الملقحين ثم دنى من الامير بيبرس وحله من وثاقه فقال له الامير انت ضايع الاسم قال له انا كنت ضايع الاسم وان اسمى كان ضاع مني وقد لقيته هنا الان هذا من تمام النجدة السابقة ولكن هذا ماهو وقت سؤال ولا جواب بل اكتب لي التمنية والعشره آلاف دينار فقال له حدثني عن اصلك واسمك وحسبك ونسبك فقال له اما انا فاسمى ابراهيم الحوراني بن حسن الحوراني ولكن انالى حكايه عجيب ولم اذكرها اليك الا فى حضور الرجال واجتماعهم فسير انت الآن الى مكانك الذى اتيت منه واما اسير الي حال سبيلي فاجابه الى ذلك وسار السلطان الى سرايته بيت المقدس وهو بمفرده وقد عاين المكان الذى كانوا فيه الكفار فبينماهو سائر فى الطريق واذا بسيدى عبدالله المغاورى قد اقبل اليه وسلم عليه وقال له سيرمعى حتى ناخذ الحملة عن الناس فسار معه الى ان اتوا الي الصهريج الاول وعبر الاستاذ وقال بسم الله الرحمن الرحيم لله رجالا يقولون لهذا السم انتزع من هذا الماء بقدرة الله تعالى ليس بقوتى وادلى المزود وطلع به واذا هو يغلى كانه على نار فالقاه فى الارض وادلاه ثانيا ونزعه ثم ثالثا فطلع ماء صافيا فشرب منه الاستاذ وامر الملك ان يشرب فشرب الملك بعد ان

شرب الاستاذ و بعد ذلك انتقل الى باقى الصهاريج ونزع منها السم الذى القوه فيه الكفار وهو كلما اخرج مزدردا يجده يتغالي مثل الرجل الذي على النار ثم قال للملك اذا كان غدا تركبك في موكبك الخاص والنوبه قدامك وتاتى الى كل صهريج وتطلب منه الماء فاذا شربت منه ورأوك الناس يطمئنون ويشربون بعدك فهذا السم قد زال باذن الملك المتعال ثم تودع الاستاذ منه وسار الى حال سبيله ثم ان الملك عاد الي سرايته وقد فرح بالظفر على الاعداء وفرح ايضا بكشف الغمه عن هذه الامه (ياساده) ولم يزل يعبد الله الملك الفتاح الي ان اصبح الله بالصباح واضاء الكريم بنوره ولاح وظهر الملك وجلس على تخت بيت المقدس وتكامل ذلك الديوان ثم ان الملك امر ذلك الرجال ان يذهبوا الى المكان الذى كان فيه الكفار ويا تون بالعمل من هناك فاتوا بهما في عاجل الحال واحضر الخواجات وكل من راح له شيء امر له به ولم يعدم حاجة لاحد من الناس ولما ان تهيا الفراغ من ذلك امر الملك بالموكب فترتب وركب السلطانه بالنوبه التركى والمزمار الملكى وجاديشيد الملك والمناداه قدامه بالامان على سائر الرعيه ولم يزل سائر حتي اقبل الى اول صهريج ووقف وطلب الماء فاتوا اليه به فى طاسة من الفضه فشرب الملك وشربت الدوله بعده ولما ان رات الناس ذلك شربوا ودعوا له وقد اطمانت قلوبهم لاجل ذلك وقد ازيلت ذلك المكايد وهدى سر السلطان فهذا ما كان من امر هؤلاء

(قال الراوى) واما ما كان من امر الوزير الاغا شاهين فانه سار بالرجال حتى حط على الشام وقد ارسل الى الفداويه كتابا يدعوهم به الى الغزاة ويامرهم بالحضور الى الشام فلما وصلت اليهم الاخبار والكتاب اجابوا بالطاعه وساروا طالبين الشام فلما ان اقبلوا الي هناك تلقاهم الوزير وسلم عليهم سلام الاحباب واجلسهم فى مراتبهم ولما ان استقر بهم الجلوس سالوا الوزير عن الملك فاعاد عليهم الامر من اوله الى آخره ثم اقاموا بعد ذلك ايا ما قليله واذا بالملك قد اقبل عليهم بالشام فتلقوه وسلموا عليه وفرحوا به وعن حاله سالوه فاخبرهم بالذى جرى وتم وكيف انه رد العمل فى اصحابه وكيف زالت الغمه عن اهل بيت المقدس

واعاد عليهم هروب جوان وقتل الار بعين وكبيرهم اللعين ثم ان الملك سالهم بعد ذلك هل وقع حرب بينكما قالوا لا يا مولانا السلطان فقال لهم يامقادم هل تعرفون رجلا يقال له ابراهيم الحوراني بن حسن الحوراني قالوا له يامولانا السلطان لا تسألنا عن شيء مثل ذلك فما لنا بذلك من علم ولا نقدر نذكره على السنتنا فقال الملك لا بد له من الظهور ثم ان الملك امر بدق طبل الحرب فدقت والى الرجال فركبت وتحضرت الى القتال وقد سمع جوان بدق الطبل من عرضي الاسلام فخفق فؤاده وقال ياسيف الروم وحق المسيح لا بد أن رين المسلمين اتى الى الشام وما دقوا طبل الحرب الا بعد حضوره واني اقول ان العياق هلكوا وهلك سليم بن دام فقال البرتقش والرأي يا ملعون فقال له الرأي عندي اننا لا نبرح من ها هنا حتى يموت دام بن سليم ومن بصحبته اجمعين و بعد ذلك نطلب النجاة لا نفسنا ونسير الى بعض الملوك ونغويه ان يركب على المسلمين لاني ياسيف الروم لا انبسط الا من المنطار ان كان في المسلمين ان الكفار لان النصارى قتلوا ابوه والمسلمين مسيرهم يقطموه واستاذك ماله خير في الطائفتين ثم ان جوان التفت الى سليم بن دام وقال له انزل انت بنفسك لان النصر على يديك من دون الانام فعندها ركب الملعون و نزل الى الميدان وقال ميدان يامسلمين فما في الميدان الا سليم بن دام فقال الملك ابرزوا له ياعصبة الاسلام فاراد ان يركب ايدمر البهلوان واذا بخيال قد اقبل من كبد البر الاقفر وانطبق على هذا اللعين وقال له جيتك قال وانا تلقيتك ثم انه جال معه في الميدان قدر ساعة من الزمان وجرد الخيال الحسام الرنان وضرب به على عاتقه نزل السيف الى علايقه فوقع قتيل وفي دماه جديل وعجل الله بروحه الى النار و بئس الوحل الاسود فقال جوان ابرزوا ياعصبة الكفار لاني ارسلته الى سقر ذلك النهار فنزل الثاني ما ابقاه والثالث جعل جهنم مأواه ولم يزل يقاتل و يطاعن حتى قتل عشرين بطريق ثم ان جوان لما ان راى ذلك الحال امر بدق طبل الانفصال فرجع المقدام وترجل عن الجواد واقبل الى عرضي السلطان وقال سلام يادولتلي قال الملك سلام من تكون انت ايها المقدام قال له اعلم انني انا ابراهيم الحوراني بن حسن الحوراني فعند ذلك نهض له الملك على الاقدام وقد اخذه ملء

احصانه ولما ان رات اولاد اسماعيل الملك وقد فعل ذلك الفعال نهضوا الاخوين اجلالا
للملك فسلم عليهم وسلموا عليه وجلس جانب الملك فقال الملك يامقدام ابراهيم حدثنا
على حسبك ونسبك فقال له دعنا الساعة يامولانا من ذلك الشان حتى تنكسر ركبة اهل
الطغيان ثم اقام مع الملك الي آخر النهار وطلب البر والقفار ثم انه طلب عرضية اللئام بعد
ان اخذهم المنام ووضع فيهم الحسام وهو ينادي الله اكبر فتح من الله ونصر واخذل
باللئام من كفر ولا يأخذه من ذلك فزع ولا ضجر فلما انتبهت اللئام وعقلت على نفسها
من غفلة السكر والمنام حتى كان اكثرهم شرب الحمام ومنهم من يقوم من نومه ويضرب
رفيقه بالحسام هذا واما جوان لما ان راى ذلك الفعال انسل هو ورفيقه من معركة القتال
وقد سمع السلطان الضجة والتكبير فامر بالركوب والجد والتشمير فركبت الرجال
ووضعوا الفصال واشتد القتال وقوي النزال والجبان طلب الانهزام والشجاع
ثبت للقتال لكن الكفار انكسرت شوكتهم لفقد ملوكهم وما معهم من يثبتهم
وترددت همتهم وطلبوا الهرب فما امكنهم لان الاسلام حولهم من سائر اماكنهم وما
اصبح الله بالصباح الا والجميع اشباح من غير ارواح فعند ذلك التفت الملك للمقدم
ابراهيم وقال له لله درك من فارس شجاع وقرم مناع فوالله لقد عملت مايجب عليك
يامقدام ثم ان الملك ترحب به وامر بلم الاسلاب والغنايم فجمعوها والى بين يدي الملك
وضعوها فاخرج الملك منها الخمس الي بيت وال المسلمين واراد الملك ان يقسم الاموال
على الرجال ويعطى للمقدم ابراهيم قسم مثلهم فقالوا له يا ملك الاسلام لا تفعل ولا
تعطي لمن لا يستحق شيء لان هذا الرجل لا هو منا ولا لنا به معرفة ابدا وان اردت
ان تعطيه شيئا فدعه يحدثنا بحديثه حتى نعلم ما كان منه وتسمع انت الاخر فامره الملك
بذلك فقال له المقدم ابراهيم يا ملك الاسلام روق ذهنك والتي سمعك واكثر بالصلاة
والسلام على نبي تظلله الغمام اعلم ان الله تعالى خلق رجلا من ارض الشام يقال له الشيخ
حسن المفتى وفى القلاع رجل آخر يقال له الشيخ حسن مفتي القلاع وكانوا الاثنين
فى مدة القدم جمرا بو المقدم معروف وقد اجتمعوا ببعضهما وتعارفوا وصاروا احباء
واخوانا وكانوا يكاتبون بعضهما البعض فلما ان كان فى بعض الايام ارسل الشيخ

حسن مفتي الشام الى الشيخ حسن مفتي القلاع فعزمه عنده فاجابه الى ذلك وتوجه اليه فاكرمه وزوجه بابنته واقام معه مدة وعاد بزوجته واقام في القلاع فخلف منها سبع لبوات فلما ان بلغوا الحلم تزوجوا اللبوات باكابر الرجال فابى حسن الحوراني تزوج بواحدة وكذلك دبل البيساني والمقدم عجبور وموسى القصاص وسليمان الجاموس فلما ان تزوجوا الرجال بتلك اللبوات واقاموا معهم فى القلاع بلغ الشيخ حسن مفتي القلاع ان الشيخ حسن مفتي الشام مريض فسافر اليه وقد تبعوه اولادا سماعيل والمقدم جمر مهم لانه تزوج لبوة ايضا فبينما هو سائر فى الطريق واذا بتبع من اتباع بني الادرع اتى اليه بفتوة وهي ماقولكم فى رجل عنده عين ماء وقد عميت تلك العين وخلفت عين اخرى فهل نستقى منها ام لا فافاده الشيخ حسن مفتي القلاع يجوز له ان يستقي منها وعلم عليها المقدم جمر فاخذها وسار بها فقرأها معه بعض اهل الشام فعرضوها على الشيخ حسن فلما قرأها تغير كنهه وقال له اما الذى افادك بهذا فهو لا يدري عاقبة الامر ابدا وهذه الفتوة باطلة قال له انها من عند مفتي القلاع فبينما هم كذلك واذا بالرجال والمفتي والمقدم جمر اقبلوا الى الشيخ حسن لاجل الزيارة فسلم عليهم وسأل نسيبه فى ذلك الافتى فقال له نعم انا ختمت على ذلك فقال له انت رجل مبارك لاندرى عاقبة الامور وانت قد ظننت ان هذه عين ماء اوحفرة قال نعم قال له اعلم ان هذا الرجل الذى استفتاك رجل فاسق كثير الفساد وقد تزوج بامرأة واتى منها ببنت وعميت المرأة فشبهها بالعين واستفتاك على نكاح ابنته وانت لا تعلم بشيء من ذلك قال فلما سمع المقدم جمر ذلك الحديث امر باحضار التبع فاحضروه وبين يديه اوقفوه فسأله عن ذلك فقال نعم انى استفتيته عن نكاح ابنتى فعند ذلك ضربه المقدم جمر بالشاكرية ارماه قتيل وفى دماه جديل ثم اقاموا عنده مدة من الايام وكانت مدة قصيرة فتوفاه الله بعد ذلك فحضروا العزاء وعملوا له ما يجب عليهم من اللوازم ثم عادوا بعد ذلك الى القلاع هذا ياملك الاسلام وقد حملت اللبوات من ازواجهم واوفوا اشهورهم ووضعوا حمولهم فاتوا كلهم بذكور وهم معتدلين الا انا وسعد بن خالتى فانها وضعتني عاجر بشقتى

اليمين وهو الآخر مثل الفتلة فعجبوا منا المقادم وصاروا يهزؤا بنا هذا وقد
رضعنا حولين كاملين ثم تولفنا نحن الاثنين مع بعضنا دون غيرنا فلما عرفنا الحديث
ودونا الكتاب فصار سعد يحملني على كتفه الى الكتاب وانا عاجز بشقق
يادولي فكنت اقعد الى جانب العيش وآكله عن اخره وانا جالس عن جانبه والفقي
لم يشك فى بشيء من ذلك لانه راني عاجز فلما ان طال عليه الامر وشكوا اليه
الاطفال من الجوع قال اذا كنتم اولاد مثل الناس كنت ضربتكم وعلمتكم الادب
ولكن انتم عيانين فارحلوا عني ولا تأتون الى مكتبي هذا فلما طردنا قلت لابن خالق
والى اين نذهب قال تعالى على اكتافى وحملني وسار بي الى الجبل وكان يا ملك الاسلام
قد اشتد عزمه وقوى عصبه فوضعني فى مغار وصار يجرى فى الجبال ويأتى بالغزلان
ويوقد لي النار واما اشوي وآكل وتركنا القلاع وأقمنا فى ذلك المكان فليوم من
الايام بينما انا فى ذلك المغار واذا بسبع غضنفر قدر ثور واكبر هجم على فى ذلك المغاره
وأراد ان يفترس بي فلما عاينته صحت بملء رأسي يا سكان الجبال ادركوني من هذا
الوبال فما تم دعائي حتى اقبل الى رجل له اتصال بمن يعلم السر والحال يقال له الخضر
والياس فاشار على السبع فتأخر عني وتقدم الاستاذ وسلم على فرديت عليه السلام ثم
قلت له ياسيدى انى اتخذتك شيخي من دون الانام فقال لى وانا رضيت بذلك ثم
ضمني الى صدره فاعطانى ربى ما انا فيه من القوة ثم كحلني بشيء من عنده وقال لى انظر
ماشئت فنظرك صحيح ثم مس بيده على فخذى فوثبت قائما من ساعتى كان لم يكن
بي مرض انى قبلت يده فعاهدلى ودعالي وبشرنى لا اموت الا على فراشي وقال لى
قاتل ماشئت فانك لا تموت الا على فراشك فلهذا كان ابراهيم لا يخاف من كثرة الجوع
ثم بعد ذلك انصرف عنى فلم اراه فبينما انا كذلك واذا بسعد قد أقبل الي ومعه للغزال
فلما رأيته وثبت عليه كالاسد وقبضت على اطواقه وقلت له من امرك انك تغيب
عني فلما رآنى على مثل ذلك تعجب مني وقال حدثني بحديثك يا ولد الخالة فحدثته بحديثي
ففرح بذلك وقال لى ما الذى تفعله قلت له ما النا صنعه خلاف السرقه فتعالى معي حتى

نسرق فصار معى وسرنا الى القلاع فسرقت حجرة الخوند وهو خالنا وسرنا بها الى القلاع و بعنا ها بالنهار الى بعض الناس وصبرنا الى الليل وسرقنا ها من الذى قد اشتراها منا و بعنا ها فى مكان آخر و بقينا نضيع ثمنها بالنهار و نرجع نسرقها بالليل ولم نزل كذلك حتى بعناها سبع مرات ونحن نسرقها ثم عدنا بها الى خالنا بعد ذلك وقلنا له انا عدنا حجرتك اليك لانها لا تصلح الا لك فاخذها منا وقال هذه حجرتى فقلنا له نحن قد شرينا ها بخمسة آلاف دينار فبعناه اياها وعدنا ثانيا فسرقناها ثم اتينا بها اليه ثانى مرة فقال الخوند هذا الغلام تبت أخذ الحجره بتاعتى و يبيعني اياها و ياخذ ثمنها و يرجع يسرقها ثانى مرة فقالوا له المقاد، اعلم انه قد باع هذه الحجرة اكثر من مائتين مره فلما سمع بذلك قال لهم اطردوا الاثنين من القلاع فطردونا نحن الاثنين فخرجنا من القلاع الى البر فلقينا موسى ابن حسن القصار فاخذنا عنده وصار يعلمنى الحرب والقتال ولم يظهر خبرنا لاحد من الرجال وكان ذلك يوصيه اليه من اهالينا فلما ان تفرست وعرفت ابواب الحرب والقتال والطعن والجدال فخرج المقدم وسى فى بعض الايام و معه اربعين من الرجال فاغرانى الشيطان على الخروج فخرجت معهم وكسبنا غنيمة عظيمة فلما رجعنا امر لى بسهم من الغنيمة قلت له لا آخذ الا سهمين وابن خالتى سهمين فاعطانى مثل ما امرته فلما ان كانت المرة الثانية قلت لا آخذ الا الربع فى الغنيمه فاعطانى ثم لما كانت المرة الثالثة قلت لهما انا آخذ النصف واحدى وانتم كلكم النصف وكل من ابى لا بينى ولا بينه الا الميدان فضحك المقدم من قولى واعطانى النصف فى الغنيمة من كيد الغضب وقال لي بعد ذلك سير الي حال سبيلك انت وابن خالتك فلا طاقة لنا بكما فخرجنا من عنده وسرنا الي اهالينا فطردونا خوفا من الخوند فقال لى سعد يا ابن خالتى انت كنت السبب فى ذلك كله ولكن سير انت وحدك وانا وحدى فمن تلك الساعة ما رأته عينى واما انا فاقمت فى بعض القلاع قوة واقتداراً وقلت الذي يطردنى فى الميدان يلاقيني فبلغ المقدم جمر عني ذلك فبرز الي وأراد اسري فى الميدان فحميت نفسي منه وضربته على ام رأسه ارميت شقه وطعنته فى رقبته فزاد حنقه على وكان فى ذلك الساعة حاضر فيها ولده المقدم معروف

فلمــا رآ ني فعلت ذلك يادولتلي اغتاظ مني و هجم على فاخذني اسير وقدمني الى ابيه
فامر بقتلي فشفعوا في الحاضرين فقال المقدم جر شفعتــكم فيه من الموت لــكنه لا
يقيم في القلاع ولا غمضة عين وان سمعت باسمه في القلاع قلعته فخرجت من ساعتي
وسميت نفسي ضائع الاسم وسرت مقيم في الخلوات الي ان آن لك الاوان وحصل لك ما
حصل ونجدتك اول مرة وكان ارسلني شيحه اليك فسألتني عن اسمي فقلت لك
ضائع الاسم وهكذا الى تمام السبع نجدات وكل مرة اكتب عليك التمنية والعطية
حتى اتيت انت الآن وسألت المقادم على فما احد اخبرك عني وسألتني اخبرتك
وهــذه حكايتي والســلام (قال الراوي) فلما سمع الملك ذلك قال للمقادم الآن
عرفتوه قالوا نعم يادولتلي ان الخوندكان نادى عليه مهروق الدم وكذلك ما كنا
نعترف لك بذلك ثم انه قال له الآن كان ما كان ولكن انت من اهل المراتب عنــدنا
ولك علينا الجميل فلا تخف من شيء ابدا ثم انه امر المقادم ان يصافحوه ففــعلوا
ذلك واخرج له قسم من القسمة فاخذه ابراهيم وقال له اعطيني الان مالي عليك من
الاموال وخلي التماني لوقت آخر حتى اسير الى مصر فقال له الملك وحيات رأسي
لا تأخذ مالك مني وتتمني على كلما تريد ثم امر الصيارف باحضار الاموال واعطاء
مايستحقه ثم قال له تمنى على تعطي قال تمنيت عليك ان اكون ساعي ركاب ميمنتك
قال الملك ان الله اعطاك تمني قال له ششنجي طعامك قال الملك ان الله اعطاك تمنى قال
له اكون غفير بيت مملــكتك قال الملك ان الله اعطاك تمنى قال له اكون سيف حربك
اذا اشتد كربك قال الملك ان الله اعطاك تمني قال له اكون رسول غضبك قال
له ان الله اعطاك تمني قال له اكون قطاش رؤوس الملوك من على كراسيها قال الملك
ان الله اعطاك تمنى قال له سياح عــداره قال له ان الله اعطاك تمنى قال له كل حاجة
من هؤلاء لها جرايات وعلوفات وماهيات قال له ان الله اعطاك تمني الي تمام سبع
تمنيات فكتبهم له الملك واعطاه المــال والنوال واصلح بينه وبين الرجال فقال
ابراهيم مرادي ان اسير الى قلعة حواري واوطن فيها الاموال وبعد ذلك اعود الي
خــدمتي وتــكون انت بارض مصر وآتي برجالي وكامل ابطالي فقال الملك افعل

مابذالك فاستأذن الملك وانصرف الي حال سبيله فهذا ما كان منه وأما ما كان من الملك فانه لما ان تهيأ الفراغ من ذلك فاراد الرحيل الى ارض مصر واذا بنجاب يقبل الارض عليه وهو يقول نعم فقال الملك ما معك فاعطاه كتاب ففضه وقرأه واذا فيه خطاب من المقدم جمال الدين شيحه الى بين ايادى ملك الاسلام اعلم ان اللعين جوان هرب من الشام وسار الى المدينة مدينة طبرية ودخل على الملك طبرى واغراه بالركوب على بلاد الاسلام فلما ان بلغنى ذلك ارسلت اليك على الشام وانت قريبا الى المكان قبل ان تسير الى الاوطان فاذا قرأت الكتاب فسير حتى تنزل على طبرية وانا معك من داخلها والله معنا والسلام على نبي تظلله الغمام فلما قرأ الملك الكتاب امر بالرحيل الى طبرية فرحل بالرجال ولم يزل سائر حتى اقبل عليها واحتاط بها كما يحتاط النيل بالبلاد أو البياض بالسواد فلما نظر الملك طبرنى الى ذلك التفت الي جوان وقال له هاهو زين المسلمين وقد اقبل وانا أروح فين انا قال له لا تخاف هاانا عندك وبركاتى حاصله معك واعلم ان بلد طبرية محصنة وماهى مثل غيرها من البلدان وانا اطلب لك النصر من المسيح في جنح الظلام فعند ذلك اشتد ظهر طبرنى الملعون وقوى عزمه واخرج الاسلحة والات القتال واظهار الحصار وحصن الاصوار فهذا ما كان من أمر هؤلاء واما ما كان من المقدم ابراهيم بن حسن فانه بعد ان اجتمع بالرجال واعاد عليهم قصته وماجري له من الاحوال ووقوع الصلح بين الجميع بحضره السلطان واخذ المال والنوال وسار طالب قلعة حوران لا يخشى ولا يخاف من ابطال ولا شجعان ولم يزل سائر حتي اقبل الى حوران وقد امر الرجال ان يبنوها له فى عاجل الحال فبنا فيها سبع صهاريج كبار واجتمعت عليه من الحوارنية رجال وأى رجال وخزن فى الصهاريج ما اتى به من الاموال وقال ان انا عشت مدة من الزمان لا بد ان املاها هؤلاء من مال الغزاة والسلطان ثم اقام بعد ذلك ايام وقد اجتمعت عليه سائر الاخوان وحضر اليه المقدم دبل البيسانى وابوه المقدم حسن الحورانى فسلموا عليه وهنوه بالسلامة وما ناله من العناية والصحة وذهاب الندامة وفرح له ابوه لما رآه بذلك الحال الذى هو فيه وايضا لما معه من

الاموال فقال له ابوه ياولدى حدثني بقصتك وما جرى اليك نو بتك واين ذهب ابن خالتك فاعاد عليهم قصته وما ناله في عربته وكيف انه نجد السلطان سبع مرات وكيف أخذ التمنيات وكيف انه صار خادما الي ملك الاسلام ففرح بذلك حسن الحوراني وقال له يا ولدى اهنيك بالسلامه فقال له اعلم يا ابي انى تمنيت على السلطان سبع تمنيات وغابت عنى تمنية واسده فقال له ابوه وماهي ياولدى قال له سلطنة القلاع والحصون التي بها تقر العيون فلما ان سمع ابوه منه ذلك الكلام قال له لا تبدى ذلك الكلام قال له لا تبدى ذلك لانسان ولا تتكلم بمثل ذلك الهذيان واعلم ياولدى ان سلطان القلاع المقدم جمال الدين شيحه القدام وهو اخو السلطان واعلم انه قطب من الاقطاب وحبيب من الاحباب خاب ياولدى من عاداه وسعد من اطاعه ووافاه وانا ياولدى ودبل والرجال الاول كلنا اطعناه وعلينا حكمناه فلا ترجع بعد الصلاح الى الفساد وطاوع المقدم جمال الدين وتبقي عنده من الرجال المكرمين فقال له ياابي وايش يكون هذا بين الرجال وايش يكون هذا بين الرجال و باى شيء نال ذلك المراتب العليا فقال له ياولدي اعلم انه رجل له اتصال بصاحب السر والحال وهو من الرجال المشهورة والابطال المذكورة (قال الراوى) فلما سمع ابراهيم ذلك الكلام من ابوه صاح بملء رأسه فزاغت عيناه وقال له هل بقدر ان يلاقيني فى الميدان اوياسرني فى الجولان فقال له ابوه والله ياولدى عمره ماركب على ظهر حصان ولا يقدر ان يقاتل انسان فى ميدان واذا مشيت الى جانبه تجد رأسه عند صدرك لانه قصير ولا هو بركوب الخيل خبير فقال له ياابتاه اذا كان كما ذكرت وحالته بما وصفت بأى شيء اخذ السلطنة وعادى الرجال المكنه فقال له ياولدي اخذها بالحيل لانك اذا ذكرته فى أى الاماكن يحضر ولو كان بينك وبينه سفر وتارة تراه في بيتك مثل أمك او اختك اوولدك او ابنتك فقال له ابراهيم بطل يا ابى هذا الكلام واعلم ان الحيل لا تكون الا للرجال الكرام وان الحيل من بيننا ونحن اهلا لها من غيرنا وسوف أسيرانا الى السلطان واخذ منه السلطنه بامكان ولا اعود الا وانا سلطان على القلاع والحصون وسائر الاخوان ولابد من رواحي الى مصر للملك العادل واكون لهذه

الامور فاصل فاقول له ابوه ياولدى اذا كان الحال كما ذكرت والامر كما عولت فقد بلغني بالقضية ان الملك العادل محاصر مدينة طبرية فان اردت ان تسير اليه فافصل ما تقدر عليه فعند ذلك نهض المقدم ابراهيم على الاقدام وطلب حجرته وركب البر من وقته وساعته ولم يزل يجد المسير بالجد والتشمير حتي أقبل الي طبرية فرأى الملك محاصرها بالرجال الحربية والدولة الظاهرية فاقبل الى الصيوان وترجل عن ظهر الحصان وتقدم الى السلطان وخدم وترجم واحسن ما به تكلم ودعى بدوام العز والبقا وازالة البؤس والشقا فترحب به الملك العادل واجلسه بين الرجال الافاضل ولما ان استقر به الجلوس وزال عنه العبوس قال له يا ملك الاسلام يدك الله بالنصر على الاخصام من هو الذي حاكم على الرجال اولاد اسماعيل الابطال فقال له يامقدم ابراهيم اعلم ان الذي ذكرته فهو أخي المقدم جمال الدين شيحه الذى نلت به كل منية وفرحه فقال له يا ملك الاسلام هل يقدر ذلك الرجل ان يقاومني فى حومة الميدان او يصد الفرسان فى الجولان فقال الملك لا يامقدم لكنه صاحب احتيال ومناصب وأمور وأحوال ومصايب على الاعادى لا على الاحباب فقال له المقدم ابراهيم معزول من هذه الساعة ومايكون سلطان القلاع والحصون احد غيري من دون الجماعة فقال له الملك الزم ادبك ولا تتحدث بحديث اهل النقاق وانا اعمل بينك وبينه اتفاق قال له وانا رضيت بذلك فقال الملك اعلم ان اخى جمال الدين هاهو من داخل طبريه وقد اوعدني ان يملك البلد و يقبض جوان والبرتقش وطبرنى ويهلك الكفار اجمعين فان كنت انت تفعل ذلك الفعال وتملكني البلد وما فيها من المال والرجال والنسوان والاطفال فانا اكون اول شاهد لك بانك تستحق سلطنة القلاع والحصون ولم احلى لك من الرجال متاع قال فلما ان سمع المقدم ابراهيم بذلك المقال من الملك العادل فرح واتسع صدره وانشرح وغني وقال الله يعطف قلبك على الرعيه الله يعطيك النصر والتاييد ثم انه نهض بعد ذلك على الاقدام وقال للملك انتظرني ياملك الاسلام فهاهذه الاحاجه يسيره على شنبات وليد حسن ثم ترك السلطان وسار الى الخلوات واقام حتى جن الليل بالاعتكار ورحل النهار وقد اقبل الى البلد

وارمى مفرده وصعد الي داخل البلاد وسار فيها وكان قد تزيا بزي بطريق وصار يشق فى ارض طبريه لعله يجد له ملعوب يلعب به على اهل طبريه فرأى البلد مفتحة الاسواق وفيها البيع والشرا والاخذ والعطا بالاتفاق فاقبل ابراهيم الى دكان رجل فطاطرى وقد وجد عليه ازدحام وهو يبيع الفطير بالحطام وكان ابراهيم جيعان فاقبل الى عند ذلك الدكان وتامل يرى ذلك المعلم كانه النسر الحردان وعيناه تتامل فى كل انسان فقال ابراهيم والله ان هذا البطريق على مكسب عظيم ثم دنى منه وقال بناسيره يامعلم قال له مرحبا ياغندار قال له اعمل لى فطيرة كبيرة بدينار فقال له على الطاشطة هات الدينار فمد يده المقدم ابراهيم واخرج له دينار فمسكه المعلم ووضعه فى فمه واخرجه اليه وقال له انت بطال فشار حذ يامعلم تعطينى دينار نحاس ثم ارمى له الدينار فوجده نحاس فقال المقدم ابراهيم لاحول ولاقوة الابالله العلى العظيم وكيف يطلع هذا الدينار نحاس دون المعاملة التى معاك ومع كل الناس ثم اخرج له دينار اخر وناوله اياه وارمى الدينار الاول في الفلاة فاخذه واليه ارماه وقال له وهذا رصاص فاعطاه الثالث فقال له والاخر قزدير فقال ابراهيم يامعرص هو حنكك بيدق خذ آدي دينار ولكن ان وضعته فى فمك طيرت قرعتك بهذا الحسام فاخذ منه الدينار الرابع ونقده وقال له هذا بون البون رزون الرزون وما احد يقول على الطيب شيء ابدا اطلع ياسيدى الى داخل الدكان حتى اني اعمل لك غداك وتاكل في خفيه ولا انسان يراك فقال ابراهيم والله انه قال الصواب ونطق بما لا يعاب ثم انه طلع الى الدكان وتامل واذا به يرى من داخل الدكان صندوق كبير فجسه بيده رآه ثقيل فحركه بيمينه فشخشخ المال من داخله فقال ابراهيم الان طاب الموت وفات عمر هذا الفطاطرى كل الفوت ولابدلى من قتله واخذ الصندوق ولو كان معه اهل البلد واهل السوق ثم انه جلس على ذلك الصندوق قدر ساعة واذا بالفطاطري عبر اليه بالفطير ووضعه بين يديه وجعل عليه من العسل الابيض شيء كثير وقال له كل ياغندار وسير الى حال سبيلك في امان فاكل ابراهيم اول لقمه والثانيه والثالثه ثقلت رأسه وانقلب فتركه الفطاطري الى آخر الليل حتى عزلت الاسواق واغلق الدكان وشيعه من داخل الدكان شيحة

تقشعر منها الابدان وتقدم الى ذلك المقدام واعطاه ضد البنج عطس وقال اشهد ولا
اجحد بدين النبي العربي محمد اين انا فلما سمع منه الفطاطري بذكر محمد قال له وقعت
يا كناس يا مرفرص انت من بتوع محمد فما بقي لك خلاص من بد القناص فقال له
وانا ما الذي فعلت معك من الفعال حتى انك تقبضني وتريد ان تعذبني فقال له انا
عرفت ضميرك من ساعة ما نظرتك وهو انك اضمرت على قتلي واخذ هذا
الصندوق من بعدي فقال له ومن الذي اعلمك بذلك فقال له ظهر لي من عينك انك
خائن حرامي فقال له ابعد عني لئلا اصيح بمن ياتي ويخلصني ويقبضك
ويسلمك الى فقال له الذي تغلب به العب به فعند ذلك تفكر ابراهيم في نفسه وقال ان ابي
يقول ان شيخه ولي من أولياء الله ومن كراماته اذا ذكر في موضع حضر فيه يا هل ترى
اذا انا استنجدت به يأتي الي وينجدني ومما انا فيه يخلصني ولكن اجرب به ثم صاح
ابراهيم بملء رأسه انت فين يا قصير فما احد رد عليه فقال انت فين يا معتبر فما احد جاوبه
فقال في نفسه صيح عليه بالاسم الكبير ثم صاح انت فين يا مقدم جمال الدين شيخه
يا سلطان القلاعين والحصونين عز نصرك فما تم كلامه حتى ان الفطاطري ضرب وجهه
فأخرج من عليه جلده كان لا بسها قال والاسم الاعظم انا فلما ان سمع المقدم ابراهيم ذلك
منه قال له انت قال شيخه قال له نعم قال له وقعت يا قصير الشوم فقال له من هو الذي منا
وقع انا أم انت ثم انه جرد السوط على حزامه فقال له ابراهيم ماهذا يا قصير الشوم قال له
هذا مؤدب الفجر قال ما الذي تريد تفعل معي به قال له اضربك به علقة وعلقني به
ثمانين سوط والاسم الاعظم اقيم الرهان بيني وبينك علاش اذا انا اضربتك الثلاثة
ولم تقول لا آه ولا أواه اول من يطيعك انا وآخر من يعصي عليك انا فلما سمع ابراهيم
ذلك قال له يا رجل تضرب وليد حسن بقطعة جلده اياك تتكلم بمثل هذا الكلام
ولكن ما هنا احد يشهد علي وعليك بما تكلمت به يا رجل فقال انا تكلمت بذلك
والله تبارك وتعالى على ما اقول وكيل وهو علينا من الشاهدين فقال ابراهيم رضيت
بذلك فقال له اين اضربك قال له ابراهيم على بزابزاني فتقدم اليه جمال الدين وفك
زراره وكشف عن صدره فرآه صدر متسع مثل صدر البكر المنهده فرفع يده بالسوط

وضربه اللطش الاول فلا نزلت الا كرتين والسفوديين والزردتين واللبانين الاوقد اخرجت الحلمتين ومعهم من الدما منشابين فأراد المقدم ابراهيم ان يسكن و يشجع نفسه فما امكنه ذلك ابدا بل انه صاح بملء رأسه قيق قيق ضربت وليد حسن كام يارجل قال له لطش واحد قال المقدم ابراهيم عشر آلاف مرة والاسم الاعظم اذا سألونى وقالوا لى دخلت جهنم بايش اقول لهم بصدرى فقال له ماتقول فى الاطاعة قال له اذا شويت جلدى على صينية كفتجى وسليت من لحمى واطعمتنى اياه ما اطيع رجلا مثلك ابدا قال له المقدم جمال الدين شيحه وانا مالى بذلك من حاجة ثم مال اليه بذلك السوط وصار يضرب به حتى تم الثمانين فعند ذلك تدلدلت جلدة صدره وغشى عليه ثم تقدم المقدم جمال الدين شيحه وقشط تلك الجلدة من اولها الى آخرها واخرج حقا ودهنه منه فبرأ من وقته وساعته كأن لم يكن به ألم فلما ان عقل على نفسه بذلك الصحة زاد عجبه وقال يا مقدم جمال الدين من الذى داوانى قال انا قال له تبالك بطل من الابطال وفيل من الافيال تجرح وتداوي فى ساعة واحدة قال له ابو خليل هذا شرط الناس فقال له خاب من عاداك وسعد من وافاك الله ملا قلبك ايدا الله سيادتك الملكية لكن على شرط يا حاج شيحه تعطينى ذلك الصندوق بما فيه قال له هولك والاسم الاعظم ولك على ماهيات ومثل ذلك على اخي الملك العادل والف مرحبا بك يا ابو خليل قال ابراهيم واشاركك فى الدكان انت تبيع وانا اقبض ولا يلزمني لا دقيق ولا سمن ولا عسل ولا أجرة دكان ولا غير ذلك قال له اعلم يا ابو خليل ان هذا الصندوق من سراية الملك طبرنى وكل ما احتاج اليه اسرته من هذه الدكاكين وابيع رخيص ولذلك تجار واعلى الاكالين قال ابراهيم خليك ما انت عليه واطاعة الخوند اليك والاسم الاعظم فقدم اليه المقدم جمال الدين وحله من وثاقه وصافحه وشكره على اطاعته وعدم مخالفته واقاموا يتحدثون مع بعضهم البعض حتى اصبح الله بالصباح واضاء الكريم بنوره ولاح وظهر جمال الدين ونزل الى عمل الفطير وابراهيم جالس يقبض الدراهم من الكبير والصغير فهذا ما كان من امر هؤلاء

(قال الراوي) واما ما كان من اللعين جوان فانه اتا بالكاس والطاس وجلس

هو و برتقش واللعين لبرني فبينما هو يشرب واذا بالكاس سقط من يد جوان
فانكب منه المدام وانكسر الكاس بين اجلاس فعند ذلك صاح جوان وقال واي
يا سيف الروم لا بد انه جرى في البلد حاجة لان كسر الكاس قال ولكن يا فليون
انزل وشوف البادر الذي ترانا في الى سريعا وتخبرني بالصدق ولا تخفي علي منه شيء
ابدا فقال له سمعا وطاعة فقال له اللعين قبل ان تنزل من عندي احلف لي يمين بالاسم
الاعظم انك اذا رأيت شيء تخبرني به فحلف له بالاسم الاعظم وكان البرتقش لم يكذب
اذا حلف به ابدا ولو كان على اتلاف مهجته ثم انه نزل بعد ذلك وشق في السوق وعبر
الي ذلك الفطاطري فعرفه وعرف ابراهيم بن حسن فهاد ويتأسف على ذلك ويقول
ليتني لم احلف بهذا اليمين ولكن لم يكن بالا يتخلى عنهما ثم سار قاصد الديوان فهذا ما
كان منه واما ما كان من المقدم جمال الدين شيحه فانه التفت الي ابراهيم وقال له
ادخل الي داخل الدكان واحفر في الارض وادفن الصندوق فيها وخذه منه المعاملة
منك لاني اريد أن أبيع الدكان في هذه الساعة فقال له ابراهيم ولاي شيء تفعل ذلك
فقال له سوف اعلمك بالذي جرا بتمام وطرا فاجابه الى ذلك ودفن الصندوق فيها
وغطا عليه بالتراب ونزل شيحه من الدكان ولطم على رأسه وصاح واي فاجتمعوا عليه
البطارقة وسالوه عن حاله فقال لهم اعلموا يا غنادرة ان اخي في بيت المقدس جاءني
خبره انه راح ومرادي ابيع الدكان بما فيها واسير الى اخي آخذ متاعه وميراثه فقال له
واحد من اللئام هاهي بالف دينار قال الآخر الف وخمسمائه فقال لهما المسيح بكسبكم
فيها فأخذوها هؤلاء الاثنين واخذ ابراهيم الدراهم وانصرفوا عن ذلك السوق الى
مكان آخر وقد غيروا ملابسهم وقال جمال الدين سير بنا الى السوق لتنظر بعينك ما
يقول اللعين جوان فسار و الاثنين وهما مختفيين فهذا ما كان منهما واما ما كان من
البرتقش فانه سار الى الديوان وقال يا جوان اني سرت من مكان الى مكان فرأيت المقدم
جمال الدين ومعه الفداوي ابراهيم وهما في سوق الزياتين عاملين فطاطريه فلما سمع
جوان ذلك الكلام فرح واتسع صدره وانشرح وقال الآن خرم كتاب اليونان
ثم ان الملعون صاح على الافروري فاجابه بالطاعة فقال خذ البرتقش وانزل من ساعتك

هذه الي سوق الزياتين الى دكان الرجل القطاطرى والرجل الذى معاه تقبض على الاثنين وتنادي عليهما وتضرب تحت الدكان رؤوسهما وتأتيني بالرأسين فقال له الملك طبرنى ولاي شيء تفعل ذلك الفعل المهين فقال له اعلم ان هؤلاء الاثنين شيحه وابراهيم فاذاهم هلكوا كنا نحن آمنين ولا نبالى بر بن المسلمين ولا بمن معه اجمعين ففرح بذلك ايضا طبرنى ونزل الافروزي ومعه من البطارقة عشرين ولم يزل سائر حتى اقبل الى ذلك المكان فرأى هؤلاء الاثنين واخرجهما من الدكان وضرب عنقهما ورجع بهما الي جوان والملك طبرنى وارما بين يدى جوان الدماغين فتأملهما جوان فرآهما من بطارقة البلد فقال ياسيف الروم ماها الذى رأيتهما فى الدكان أول مرة قال لا وحق المسيح ›تظن ياملعون ان شيحه يصبر لك حتى ترسل له الافروزى يقطع رأسه أو تظن انك تظفر به وبحرمة كتاب اليونان لا وحق المسيح بل هو الذى يظفر بك ولا بد انه يقطعك اذا آن الاوان فعند ذلك امر برمى الرأسين فى الخلوات وترك أمر ذلك الحادثات واعتكف على ماهو فيه من السكرات فهذا ما كان من امر هؤلاء واما ما كان من أمر المقدم جمال الدين شيحه فانه التفت الي المقدم ابراهيم وقال له ياابوخليل اعلم ان الملك لنا فى الاستنظار ومرادنا أن ننجز تلك الاحوال وقد نجانا الله تعالي الملك الديان من مكيدة الكلب القرنان لانى نظرت البرتقش وانا واقف فى الدكان فعلمت ان الذي أرسله الينا جوان فلاجل ذلك بعت انا الدكان وكان ما كان والآن فانك تسير الى السلطان وتخليه يركب بسائر الاقران اذا كان نصف الليل يجد الابواب مغلقة والملك مقبوض كذلك جوان والبرتقش الخوان ويضرب فى أهل البلد بالسيف الرنان وها أنا سائر الى ذلك الاحوال من ساعتى هذه وسيرانت الى السلطان فقال سمعا وطاعة وصار ابراهيم مختفى فى البلد حتى جن الظلام واستغرقت الناس بالمنام ثم انه ارمى مفرده ونزل الى خارج البلد وسار طالب عرضي السلطان (قال الراوى) فبينما الملك جالس وهو يقول

كيف القعاد على نيران ولم خمدت ✱ ان القعاد على خسران

ياوزير ما جاءنى خبر عن اخويا ولا عن المقدم ابراهيم وقد طال الامر علينا

يكون السبب فى ذلك فقال له الوزير لا بد عن ظهور الاخبار فبينما الملك يتحدث
مع الوزير واذا بالمقدم ابراهيم دخل على الجميع فلما رآه الملك ترحب به
واجلسه الى جانبه وقال له كيف كانت الاحوال فاعاد عليه كلما جرى
له مع المقدم جمال الدين شيحه وكيف انه اطاعه وكيف شاركه فى
الدكان والقصة التي جرت من اولها الي آخرها فتعجب الملك من ذلك غاية العجب
ثمّ ان المقدم قال للملك وانه يقول لك انه سائر الى جوان يقبضه فاذا جاءت الساعة
الخامسة تكون انت قد احضرت الرجال وسرت بهما الى البلد تجد الابواب مفتحة
والفرجية مذبحة تضرب فيهما بسائر الاسلحة فقال له الملك الله ينصره ويعينه
و يعافيه فانا والله على فعاله لم اقدر اكافئه ثم ان الملك امر الرجال باخذ الاهبة فجعلوا
يأخذون الاهبة الى القتال و يحضرون الاسلحة والرماح العوال فهذا ما كان من
امر هؤلاء واما ما كان من امر المقدم جمال الدين شيحه فانه صبر الى الليل وغير
ملابسه وعبر الى سراية الملك وكان عنده جارية بيضاء رقيقة يقال لها زعفران
وكان قد لبس ملابس الخدام وتمكن الى ذلك الجارية وجعل يخدمها وكل ما تطلبه
يأتيها به حتى انها طلبت الماء فاقبل اليها به فشربت الماء فوقعت الى الارض
وهي لا تعرف الطول من العرض فنهض فى عاجل الحال واخلعها ملابسها ولبسهما
وجعل نفسه مثلها وتنكر فى صفاتها وقد اخرج من حرمه انه حبا يدري ممناه
فاكل منه حبتان فظهر فى صدره نهدان ونزل له شعر طويل كانه الليل الاسود
الكحيل واقام فى هذا المكان فهذا ما كان منه واما ما كان من اللعين جوان
فانه لما جن الليل بالاعكار التفت الي ظبرني وقال له هيا بنا نطلع السراية ونقيم
فيها تلك الليلة ونترك هذا المكان وما نقعد فى الديوان فاجابه الي ذلك وطلع معه
الى السراية وامر بالخمر العقار فقال جوان ياطبرني اما عندك احد يضرب على
العود حتى اننا نسكر على حسن السماع فقال عندي جارية يابونا جوان لكن مالها
مثيل في سائر النسوان واسمها زعفران فقال البرتقش هذا هو المقصود ياطبرني
فعند ذلك صاح طبرنى وقال يا زعفران واذا قد اقبلت تلك الجارية كانها الشمس

الصاحية فلما راها البرتقش نهض على الاقدام وقبل اياديها واخذها با لا كرام هذا وجوان قدارتعدت اعضاءه وقال ياسيف الروم انا قلبي طب وفؤادى ارتعد فقال له ياملعون مالك في الطيب نصيب ابدا ماذا تقول فى هذه الجارية تقول انها شويحات قال له نعم ياسيف الروم انا اقول ذلك الكلام فقال له يا كناس انت تقول ذلك الكلام وماهو الاهزيان هو شيحة له نهود مثل هذه النهود اوله شعر مثل هذه الشعور هذا وقد سمع الملك طبرنى ذلك الكلام قال له ماهذا يابونا جوان فقال البرتقش مراده ينكت علينا ويقول ان هذه الجارية شويحات فقال لا يابونا جوان هذه جاريتى من زمان وانا مربيها فى هذا المكان ثم صاح البرتقش على الجارية وقال لها اجلسي يانور عيني ومن يدك اسقيني فشرب المدام من يدك يحييني فعند ذلك جلست البنت وأخرجت العود فى حجرها وركبته بمعرفتها وشدت اوطاره بيدها وضربت عليه ابيات حتى طربت القاوات وغاب عقل الملك طبرنى والبرتقش وجوان اللعين ثم انها ملات الكاسات فقال البرتقش وحق المسيح لا شرب الاسواء فملت الكاسات وناولتهما فشربوا فانقلبوا فعند ذلك نهضت الجارية واخذ الثلاثه وجعلتهما فى جمدان وقدادخلتهما الى مكان من داخل ذلك المكان وكانت الجارية ملح طعام الاسلام ثم انه دخل على الجارية زعفران وجعل ضد البنج فى انفها وتركها راقدة على حالها وذلك بعد ان اخذ ملابسه البسها ملابسها وتركها وهى لا تدرى بالذى جري بل تظن انها استغرقت فى منامها فهذا ماكان من امر هؤلاء (قال الراوى) واما ما كان من امر جمال الدين شيحه فانه نزل من السراية الي الغفرجية فرآهم نيام خلف الابواب فصار يرقد الى جانب الرجل منهم ويذبحه والثانى كذلك ثم صعد الي الاضوار وعطل كل المدافع بالماء والاحجار وفتح الابواب وكان الميعاد قد اقبل فركب السلطان بالعسا كروسار طالب البلد مرا ها مفتحة الابواب فدخل الى البلد ومعه الرجال والابطال ولم يزل سائر حتى انه توسط المدينة وصاح الملك الله اكبر فتح الله ونصر واخذل يالئام من كفر فعند ذلك هاجت الكفار وضربوا بعضهم البعض بالسيوف والاحجار وما افاقت

الكفار على نفسها ووردت لما عقولها من نومها وسكرها حتى رأوا حيهم مكبوس وشنيارهم معكوس والسيف يلعب في اعناقهم والبر والترس والدبوس لا بقي الخل يدري عن خليله ولا الصديق يدري عن صديقه وقد جرى الدم ساح كالبحر الطفاح فلا بقيت تسمع السلاح الا الرنين ولا المجاريح الا الانين وقد صارت القتلا كيمان والدما خلجان والحصا في الارض كانه مرجان والملك يقاتل والرجال ترد عليه ولا تسأل عما فعل المقدم ابراهيم فانه عمل او في عمل ولم يزل السيف دقائق والحرب قائم على قدم وساق حتى طلع النهار بالانوار وذهب الليل بالاعتكار وطلعت الشمس على الاصوار وماجاء وقت العصر على ذلك العيار وبقي من الكفار لاديار ولا من ينفخ النار وأيد الله الاسلام الابرار بتوحيد الملك الغفار فعند ذلك امر الملك بالاسلاب فلموها والغنائم فجمعوها وجلس الملك على تخت طبريه وامر بجمع الاساري من الاطفال والنسوان بالكلية ولما ان استتمت هذه القضية امر الملك باحضار اللعين طبرني من داخل سرايته فاتوا به وكانوا قد عثروا فيه وهم يجمعون في الاسلاب فاتوا به وصحبته جوان والبرتقش الخوان ثم ان الملك قال لابراهيم صبح لنا الآن على اخينا جمال الدين فزعق ابراهيم انت فين ياسلطان القلاعين والحصونين واذا بالمقدم جمال الدين شيحه قد اقبل اليهم فقام له السلطان فتلقاه واجلسه وحياه فقال جمال الدين شيحه اشبح لنا هؤلاء يابن حسن فشبحهم شيحة تقشعر منها الابدان واعطاهم ضد البنج عطسوا فقال جوان اين انا قال له شيحة انت عندي يالعين الاباء والاجداد قال الله معنا ولا مهل ثم عطس اللعين طبرني فقال شكر يامسيح اين انا فرأى نفسه في يد الاسلام فزاغت عيناه وقال يرميك رب المسيح ياجوان فقال الملك من امرك ياملعون بالعصيان قال له جوان يارين المسلمين منطره يعني اناعقله هو الذي فعل بنفسه هذه الفعال ولولم يكن له في ذلك مرام كان حالفني من زمان وما كان قبل مني كلام هذا وقد امر شيحه بضرب جوان فضربه المقدم ابراهيم العلقه واراد ان يضرب البرتقش قال له لا تفعل بل اضرب علقتي لجوان قال شيحه هذا هو الصواب والامر الذي لا يعاب فلما ضربوا جوان العلقتين امر

باطلاقه المقدم جمال الدين شيحه فاطلقوه فخرج هو و ابن نقش وهو يصيح يا ويلاه ويا بوه
من ذلك من كثرة ما عذبوه فلما ان رأى نفسه خارج الخلوات دعى وجليه بدهن
الاستقطاب فطلب بعد ذلك البر والهضاب فهذا ما كان من امر هؤلاء اما ما كان
من امر الملك العادل وشيحه والرجال وما جرا لهما من الاحوال فان جمال الدين
قال للملك العادل يا ملك الاسلام اعلم ان بهذه المدينة عشرة آلاف يسير من الاسلام
فسير معي انت والرجال حتى تخلصهم من الضيق والاعتقال فاجابه الى ذلك وسار
معه حتى انتهى به سجن ضيق مظلم فاخرج منه هؤلاء الرجال الكرام وامر الملك
لهما بالاحسان وقد اعطاها لي بعد من الغنيمة وأخرج الخمس من الباقي الى بيت مال
الاسلام وقسم المال على سائر الرجال وابراهيم اخذ قسمه وقسم المقدم جمال الدين
شيحه فقال له الملك لاي شيء تأخذ القسمين فقال يا ملك الاسلام ها نحن متشاركين
والحساب يجمع بيني وبينه فضحك الملك من قوله ثم ان ابراهيم قال للمقدم جمال
الدين شيحه اين الصندوق الذي وعدتني اياه فقال له هولك يا ابو خليل ولابد ان
تاخذ غيره على مدة الزمن الطويل ولكن بشرط انك تطاوعني على كل ما اريد فقال
أبراهيم لك على ذلك مادمت تعطيني المال لو امرتني ان اقتل نفسي بيدي لفعلت مادمت
انت الامر الناهي فلا اخالفك في سائر الاحوال فعند ذلك فرح المقدم جمال الدين
شيحه بما قاله من المقال وأرسل الرجال الى الدكان فاخرجوا منها ذلك الصندوق في
عاجل الحال فاخذه ابراهيم وقبل رأس المقدم جمال الدين هذا وقد قال المقدم جمال الدين
للملك يا اخي خذ انت الرجال والابطال وسير بهم الي مصر وخذ هذا الملك طبرني
اجعله عندك في البرج مثل رفقاه حتى انهم يتسلوا معاه وهؤلاء صاروا اربعة فقال
الملك وانت ما الذي عولت عليه فقال له اعلم انى عولت ان ادخل الي القلاع وابيضها
وا كتب اسمي عليها وانقشها واجعل لي في كل قلعة من القلاع كرسي وسلاح وشقه
وبعد ذلك اعود اليك ان شاء الله تعالى (قال الروى) فلما ان سمع المقدم ابراهيم
ذلك الكلام من جمال الدين قال له يا سلطان القلاع والحصون كل هذا اسلم لك فيه
الا حصن واحد وهو حصن صهيول اخاف عليك من اللبوة اخت سروف لانها

جبارة وهى الحاكمة على سائر القلاع من المسلمين والنصارى وان لها اربع اشناب كبار تربط منهما اثنان خلف قفاها واثنان تربطهما مثل عصيب النقاقير وان لها كل يوم حروفين واحد فى غداها والآخر في عشاها ومع ذلك فانها جبارة مكابرة لا تطاق ابدا ولا يقدر ان يقف بين يديها من الرجال احد فى حومة الميدان كيف وقد الملك عاصي سلطان بنو الادرع وغيرة من الرجال الرتع واخاف عليك ايضا من سلطان الادرعيه وهو المقدم عاصي فلما سمع المقدم جمال الدين شيحه منه ذلك قال له يا ابو خليل انا ظننت انك تقويني على ما اريد وتساعدنى على كل امر صعب شديد وما انت الا تخوفني بالتهديد فاين عزمك واين شجاعتك وقد تغيرت عندى حالتك فعند ذلك صاح ابراهيم بملء رأسه وقال له شد حيلك والاسم الاعظم لا يكون الجمع الا على حوران واول من تبيض قلعتي دون كل انسان وتجمع هناك الاقران ونسير الى كل مكان ونتوكل على الملك الديان فلا تخف يا حاج شيحه مادمت انا معك ولو كان اهل الارض كلهم اعداك فعند ذلك قال له جزاك الله كل الخير وكفيت كل هم وضير ثم ان المقدم جمال الدين شيحه تودع من الملك وكذلك ابراهيم وحملوا الاموال وساروا الاثنين طالبين قلعة حوران فهذا ما كان من امر هؤلاء

(قال الراوى) واما ما كان من امر الملك فانه امر بهدم طبريه فهدموها فى عاجل الحال وبرز السلطان واقام ثلاث ايام وارتحل بالرجال ولم يزل سائر في الاوديه والحوال حتي اقبل الى مصر وهذه الديار هذا وقد سبقت الاخبار الى قائمقام السلطان فامر بالزينه والمهرجان وانعقد الموكب الى ملك الاسلام وقد سار له نهار لا يعد من الاعمار واللعين طبرني قدم جواده فى الاغلال والباشات الثقال ورأسه مكشوفة وهو حافى الاقدام والمنادى ينادى عليه هذا جزاء من يطاوع الشيطان ويعصي الرحمن ويطيع جوانب ويخالف امر السلطان والرعية تتفرج وقد كثرت منهم الاقوال التى تشبه الجبال فمنهم من يقول هذا حرامى والاخر يقول خرق بنت (قال الراوى) والاخر يقول هذا يعملوه زينة فى المواكب ولم يزل الملك سائر حتى جلس على كرسي قلعة الجبل مثلك يوحد القديم الاثر وعند ذلك صرخت المدامع امر

الملك باطلاق من كان فى الحبوس وقد ابطل الظلم والمكوس كتب على بيارقه لا ظلم
اليوم لا افلح من ظلم وقد هنوه الرجال بالسلامة والنصر على الاعداء واقام يحكم بينهما
فى امان واطمئنان فهذا ما كان من السلطان واما ما كان من امر جمال الدين شيحه فانه
سار مع ابراهيم الى الخلوات وقال له سير انت يا ابو خليل الي جوان وابالا اسير البر
الاوحدي ما معي انسان فقال له شأنك وما تريد يا سلطان القلاع والحصون ثم سار
ابراهيم بما معه من المال ولم يزل سائر حتى انه اقبل الي حوران فعند ذلك تلقاه ابوه
وسلم عليه سلام الاحباب وسأله عن احواله فاعاد عليه الامر من اوله الى آخره
وكشف له عن باطنه وظاهره واعاد عليه كيف انه اطاع المقدم جمال الدين شيحه ففرح
ابوه بذلك واستراح قلبه وقال يا ولدى هذا هو الصواب والامر الذى لا يعاب ثم
انه بعد ان استقر به الجلوس اقبل المقدم جمال الدين شيحه الي قلعة حوران فلما ان
رأوه الرجال صاحوا كلهم الله ملا قليك ايد لله سادتك الملكيه طاعة الخوند اليك
والاسم الاعظم ثم ان ابراهيم قام له وتلقاه وقبل رأسه ويداه واطاعه واجلسه الى
جانبه وحياه واكرم مثواه وقد أمر له بالعز ومات فذبحت الذبائح وخرجت الضيافات
ثم انه ارسل الي سائر الرجال المكاتيب يحضروا الي قلعه حوران سائر الرجال
الطائعين وقبلوا الارض بين يدى المقدم جمال الدين وقد ادوا من الطاعة ما يجب
وأقاموا فى الضيافات والعلوفات مدة سبعة ايام ولما ان كان اليوم الثامن نهض المقدم
على الاقدام والرجال كلهم حاضرين على التمام فقام وحمد الله واثني عليه وذكر محمدا
صلى الله عليه وسلم فصلوا عليه ثم قال يا رجال من كان منكم طيعا الي سلطنة القلاع
والحصون فليستعد لما هو طالبه من الامور ومن كان مخالفا غير طائع فليكن من
ها هنا راجع فان سلطان القلاع يريد بيضها ويكتب اسمه عليها ويروقها ويشق
فيها ويكتب اسمه عليها ويمشي احكامه على كل من اطاعه ومن خالف كان خصما
وكنت انا له غريما فماذا انتم قائلون (قال الراوي) فلما سمعت الرجال من المقدم
ابراهيم ذلك الكلام قالوا والليل امسى ها نحن بين يديكم ولا نبخل بارواحنا عليكم

فافعلوا معنا ما بدا لكم فقال ابراهيم اول ما يفعل فى القلاع بقلعة حوران وما أري فى
القلاع ما يكون اعظم منى ولا اقوى عزما منى وما اتم باشرف منى ثم انه فى عاجل
الحال امر المبيضين ان يبيضوا قلعة حوران فبيضوها وامر النقاشين فنقشوها ثم ان
جمال الدين امر ان يكتبوا اسمه عليها فكتبوه ذات اليمين ثم انهم طووا شطفة
معروف وفردوا شطفة المقدم جمال الدين شيحه واصطنعوا له كرسي فى قلعة
حوران من خشب الصاج الهندى مرصع بالفصوص والدر والجوهر ثم جعل
عليه شاكريه وارخا عليه الشبكه البولاد وكتب اسمه على الكرسي وقال له
ابراهيم خذ يا سلطان القلاع اكتب اسمك على شواكرى قبل الرجال فاخرج
الليقة الذهب واسالها على النار وكتب على الشاكريه بالقلم البولادى ما عمل هذا
السلاح المبارك للغزا والجهاد فى طاعة رب العباد الى المقدم ابراهيم الحوراني
تابع المقدم جمال الدين شيحة عز نصره ثم اعطاه اياه وطلب ان يكتب اسمه على
باقي شواكر لرجاله فقالوا له دعنا الساعة من ذلك حتى اذا فرغت من حصن
صهيول كتبنا على شواكرنا واطعناك فى كل ما يكون فاجابهم الى ذلك وسار من
وقته وساعته وقال لهم الحقوا بي الى قلعة بيسان نفعل بها كما فعل بحوران وكذلك
باقي القلاع المشهوره والرجال المذكوره حتى ما بقى فى سائر القلاع الا حصن
صهيول فسار شيحه قاصده وقال للرجال وابراهيم سيروا اتم حتي اذا بقي بينكم
وبين الحصن نصف يوم انزلوا هناك حتى آتى الى عندكم ويفعل الله ما يريد
فاجابوه الى ذلك وسار هو طالب البر الاقفر ولم يزل سائر حتى وصل الى الحصن
واليه قد عبر وقد صبر الى الليل ودخل الى الحصن وجعل يدبر الحيل والمكائد
فهذا ما كان منه (قال الراو) واما ما كان من اللبوه الشنيمة فانها اتت اليها الاخبار
بانه قد لبس على القلاع رجل بدوى قرقيطى من عرب غزه يقال له جمال الدين شيحه
وقد بيض القلاع وكتب على سائر الاماكن والبقاع وها هو يريد حصن صهيول
ويطلب ان يبيضه مثل الحصون ويكتب اسمه عليه فلما ان سمعت اللبوه ذلك
الكلام صار الضياء فى وجهها ظلام وقالت هذة الابيات

تعس الزمان وقد عطاك بفضله * غلطا ولكن البهائم ترزق
وكذلك الاصنام وهي حجارة * عبدت وليس لها لسان ينطق

ثم قالت للذي اخبرها والخناسات اولاد اسماعيل اطاعوه على ذلك قالوا لها نعم ياستاه فقالت له اذا اسعده زمانه واقبل الى ذلك الحصن و يريد ان يفعل به كما فعل بغيره انزل انا اليه واخرج روحه من بين جنبيه ولا ابقي احدا من اولاد اسماعيل الخناسات ولا اجعل احدا يتكلم غيري على السادات و بعد ان افرغ من هؤلاء الخناسات اركب على الظاهر واوريه مقامه واعزله عن مكانه وانا اخت المقدم معروف بن حجر سلطان اولاد اسماعيل غائب حاضر عز نصره (قال الراوي) وكانت اللبوه لها خادمه يقال لها ام نصار وهي التي تعمل لها العشا والافطار وكان عشاها خروف ابن عامين ومن اثر يد الفارق في السمن منسفين وقد أقبل المقدم جمال الدين شيحه ودخل الي ذلك الحصن وأطلق دخان البنج على ام نصار فبنجها ولبس ملابسها وأقام مكانها وجعل يجهز في عشائها وكانت لا تأكل عشائها الا نصف الليل فلما ان جاء وقت الاكل صاحت ام نصار انا جاعانه هاتي العشا وكتري سمنه لاني في غداة غدا اريد ان اركب على اولاد اسماعيل واذل منهم الصغير والكبير وأقتل منهم جمال الدين شيحه فقالت لها ياسناه انا لمغنى عن هذا الرجل انه من الاقطاب الكبار اذا ذكر في مكان اسرع اليه بالاحضار فقالت لها اخنسي خنسك البلا فان كان فيه سر من الاسرار يظهر لي كرامه في ذلك الاعتكار ثم انها قدمت اليها الطعام فاكلت منه حتى اكتفت وشربت جرعة من المدام وكان شيحه قد ادخل لها حبا في الطعام يعرف معناه فلما اكلت تورم قلبها وقد ازداد عليها ألمها ومابقت تقدر ان تاخذ نفسها مما قد حل بها فتاوهت وقالت آه ياأم نصار قد نزل على الحدار واعتراني سائر الاضرار فقالت لها ياستاه هذا من اعتراضك على هذا الرجل وماهو الامن الابطال الكبار فاصفي نيتك له واطيعه ولا تحملي نفسك مالا تطيقه فقالت لها ياام نصار ان عفاني ربي مما انا فيه فلا بد ان انزل اليه وأصافيه وأطيعه ولا اجعل احد يتكلم معه بما يغم خاطره ابدا فلما ان

سمعت ام نصار ذلك الكلام قالت لها خذي اشربي من هذا الماء فانه من نناع
وانه يشفي منك القلب والاضلاع فاخذت منها الماء وشربته فتكرعت مرتين
وقد زال مامن الالم والشين فقالت انا طبت ياام نصار وعداة غدا اقطع من شيحه
الا ثار واجعله عبرة للكبار والصغار فقالت لها اني اخاف عليك من تغيير نيتك
عليه لئلا يتصرف فيكي وبداهية من دواهيه يرميكي فلا ينفعك بعد ذلك حكيم
ولا دوى ولا نحكيم فقالت لها ياام نصار ماهذا الا كان حدار وقد اعتراني وزال
فقالت لها قد نصحتك والسلام فافعلي ما تريدى من المرام ثم انها بعد ذلك الكلام
صبرت برهة من الزمان وصاحت على ام نصار انا عطشانه ياام نصار فاتتها بالماء
الزلال فاشربت منه حتى زاد عليها الحال وتورمت منها الاعضاء والاوصال
فصاحت على ام نصار قد زادني الآضرار فقالت لها ياستاه انا ما حذرتك من هذا
الرجل ومن اذاه واعلمتك انه من اولياء الله فلا تتعرضي له بسوء واكتفى شر بلاه
فقالت لها ياام نصار ان هذا الامر منه وما قد حل بي من أجله وبسببه فهاان
برأت مما حل بي نزلت اليه واكرمته غاية الاكرام واثنيت عليه فقالت لها ياستاه
خذى اشربي من هذا الماء فانه من ماء الخلاف يبرىء منك الاعصاب والاطراف
فشربت منه فاخرجت الارياح ثم تكرعت مرتين وزال ما حل بها من الالم والبين
فصاحت ياام نصار انا طبت وغداة الغد انزل الى هذا القرنان وافعل به كل ذل
وهوان واقطعه بشا كريتي ولا ادعه يبيض قلعتى قالت لها الان مالي بذلك من
سؤال فافعلي ما تريدى من الاعمال وما اظنه فى النوبة الثالثة الا يقتلك ويبقى
الوبال فاريحي نفسك من هذا المنا ولا تتعرضى لهذا الرجل بشيء من الاذى
قالت لها ياام نصار سوف ترى مايحل به من الاضرار ثم انها بعد ذلك الاثار
نهضت تريق الماء وقد صاحت على ام نصار ان تاتيها بالمياه لاجل ان تطهر نفسها
من الاذى ففعلت ذلك ام نصار فلما خرجت من المرحاض الا وقد أخذها سائر
الامراض وتبوقت ومرضت حتى لا بقي لها صحة ان تقوم من الارض وسارت
لا تعرف الطول من العرض فصاحت ياام نصار قد زاد على البلا والاضرار فقالت
لها قستاهلي كلما اتاك فانيتك الاخبيثة من دون الناس قالت لها ياام نصار والاسم

الاعظم الامجد اذا عافانى ربى ممـا انا فيه فلابد ان انزل اقابله وا كرمه واوافيه هو وكل من كان معه من الرجال ولا أعود اضمر له مكر ولا ضـلال وتنصلح بيننا ذلك الاحوال (قال الراوي) فلما ان حلفت عرف جمال الدين انها قد اعترفت ولم بقت تعدى الايمان ولا الاقسام قال لها حذي يا ستاه واشربى من هذا الشراب فهو يغني عنك جميع البلا والمصاب فشربت من ذلك الشراب فابراها فى عاجل الحال وب الاد باب فلما ان علقت على نفسها قالت باام نصار والاسم الاعظم ماهو الابطل عظيم وقـد خاب من عاداه وسعد من وافاه ولابد ان انزل اليـه وادعه يكتب اسمه على اماق معانى فقالت لها يا ستاه هـذا هو الرأى الصواب والامر الذي لا يعاب ثم ان جمال الدين بعد دلك الحال ترك ضد البنج فى اذن ام نصار وترك ذلك الديار ونزل طالب البراري والقفار واللبوه بعـد ذلك اخذها المنام فنامت فهذا ما كان من امر هؤلاء (قال الراوى) واما ما كان من امر شـيحه فانه التي ضد البنج فى اذن ام نصار وتركها فى مكانها ونزل كما ذكرنا واستقبل البر كما وصفنا واذا به وجد الرجال وقد اقبلوا وعن الحصن قد تباعدوا بقدر نصف يوم فاقبل اليهم وسلم عليهم فهنوه بالسلامه وتلقاه المقدم ابراهيم الحورانى واجلسـه الى داخل الصيوان ووقف فى خدمته بنفسه والرجال امتثلوا امره ومع ذلك كله ان الرجال حاسبين حساب اللبوه ونزولها وقد أخذها من ذلك القلق والفزع وخافوا على نفوسهم من شراب كاس الوجع ويخوفون شيحه ايضا من ذلك ويقولون له اذا علمت اللبوة بنزولنا قريبا من حصنها تنزل الينا وربمـا تعاقبنا او تقتلنا وما تفتلنا وما خوفنا الا عليك انت يا سلطان القلاع فلمـا سمع ابراهيم ذلك من المقادم قال لهـم لا تتـكلموا يا رجال بمثل هذه الاحوال فان اقبلت اللبوه فدعونى انا واياها فان هي ظفرت بى فانظروا لا نفسكم النجاة واذا انا سلمت منها فاعلموا انني مادمت فى قيد الحياة فلا تخافوا من شيء ابدا فعند ذلك تبسم المقدم جمال الدين شـيحه من قوله وقال له والله يا ابو خليل تسنا اهل الـكرامة والعـكرامه ولـكن ريحوا انفسكم انتم الجميع فاذا هي اقبلت وسألت على فدلوها واوصلوها الى فانا لها الفدا ولولا انى اقار على امثالها ما كنت اتيت اليها ولا اقبلت بكم عليها ومن تكون

عنده حتى انكم خفتم منها والاسم الاعظم اذا لم تاتى الي وهى خاضعه ذليلة والي
مقبلة مطيعة فلا بد لى ان اسلخها واريح الناس من شرها فلا تفزعوا من ذلك ابدا
فلما ان تكلم المقدم جمال الدين شيحه بمثل ذلك الكلام كبر فى اعين الرجال
وتعجبوا من ذلك لا قول ثم اقاموا الي ان تضاحى النهار وكتب المقدم جمال الدين
كتابا وقال لابراهيم خذ هذا الكتاب وسير به الى عند اللبوه واعطيها اياها
وانظر ماذا يجرى قال له يا حج شوحه اروح اليها ولو كان فى ذلك اتلاف
مهجتى قال له سير اليها على بركة الله تعالي فلا تفزع فانى اعرف ان الديار سليمة
وهى مطيعة وغير ذميمة ولولا انى اعرف ذلك ما ارسلتك اليها قال له سمعا
وطاعة ثم ركب حجرته وصار الي ان وصل الى حصن صهيول وترجل ونزل
ودخل الي داخل الحصن وسلم على الرجال وسألهم عن اللبوة قالوا له ها هى من
داخل هذا المكان ما الذى تريد منها قال لهم استأذنوها فانى اريد العبور اليها
فدخلوا وقالوا لها ياستاه ان ابراهيم بن حسن الحورانى قد اقبل يريد الوصول
اليك ومعه كتاب فهل تأذنى له فى ذلك قالت لهم دعوه يدخل فعبر ابراهيم
ولما ان وقعت العين على العين صاح ابراهيم قاصد ورسول وما على الرسول الا
البلاغ بدين النبي العربى ياخلتى انا اتيت اليك بكتاب من عند سلطان القلاع
والحصون المقدم جمال الدين شيحه عز نصره قالت له هات الكتاب فناولها
الكتاب ففضته وقرأته واذا فيه الصلاة والسلام على المظلل بالغمام خطاب
الى اللبوة اخت سلطان القلاع المقدم معروف عز نصره غايب حاضر الذي
علمنى به انا صرت وكيلا على القلاع والحصون وامينا عليها الي حين يحضر
اخى وسيدى وسلطانى المقدم معروف بن جمر وانا اكون أول خادما له وقد
اطلبت انى ابيض القلاع والحصون لاجل طاعة اصحابها الى وانى اتيت الي
هذا الحصن واريد ان ابيضه واكتب اسمي عليه فما يكون الحال والجواب
ارسلى اعلميني بجواب كافى من فضلك والسلام فلما ان قرأت ذلك الكلام التفتت
الى ابراهيم وقالت له دعه يكتب اسمه على قبة عيني فان هذا رجل من الاقطاب

والرجال الاحباب وقد ظهر لي منه في ليلتي الماضية كرامات لم اقدر أوصفها بلساني وايضا انه ارسل لي ذلك الكتاب الذي كلامه مثل الجلاب ووالله انه في حقنا ماعاب بل نطق بالصواب ثم انها كتبت رد الجواب تقول فيه خطابا من اللبوة الي بين ايادي المقدم جمال الدين شيحة سلطان القلاع الله ملا قلبك ايد الله سيادتك الملكية طاعة لله واليك والاسم الاعظم واعلم انى امرتك ان تفعل فى القلاع كلما خطر ببالك وانا محبة بكل من أوفاك وعدوة لكل من عاداك ولو كان اخى المقدم معروف بن جمر بنفسه ثم قفلت الكتاب واعطته الى ابراهيم وامرت له بالعطا فاخذه وسار الى عند المقدم جمال الدين شيحه فلما أقبل اليه قال له بعد ان سلم عليه ماذا فعلت ياسلطان القلاع مع هذه اللبوه ووالله انها مطيعة مختارة وماأظن انك عبرت اليها ونزلت عليها وسلبت عقلها بحيلك واحتويت عليها بمكرك حتى انها فعلت ذلك واطاعت قال له يابو خليل من اطاع الله اطاعه كل شيء قال له وانا مالي فى ذلك من نصيب عنده ياحج شوحه حلاوة الصلح والا اقول لها كل ماجرى لك فى ليلتك الماضيه فهو من افعاله ومكره ودهائه واعماله قال له لا تأخذ على خاطرك الا الخير ثم انه ناوله عقد من الجوهر يساوى الف دينار قال ابراهيم الله يعطيك ويزيدك قبول ويرفعك على سائر اللئام والدهور ثم اقام بعد ذلك ابراهيم قدر ساعة من الزمان واذا باللبوة قد نزلت من حصنها وبين يديها أكابر قومها وهم بين يديها ومن خلفها وهي فى اوساط الجميع كانها برج رفيع متقلدة بالشوا كرميمنة ومياسرو لابسة برقع من الزرد على رأسها ومن وراءه مظهرة اشنابها والرجال من حولها يسمعون رأيها ويطيعوا كلامها ولم تزل سائرة الي ان اقبلت الي الصيوان هذا ولما ان رأت اولاد اسماعيل الي ذلك خافوا من شرها وظنوا انها اتت اليه بغدرها فارتعدت منهم الابدان وزاغت منهم الاعيان ولم يكن فيهم من هو ثابت الا ابراهيم الحوراني لانه عنده طرف من ذلك المعاني (ياساده) والرجال نهضت عند اقبال اللبوة على الاقدام وتلقوها بالسلامه والتحية والاكرام هذا وقد وقف المقدم ابراهيم فى مقدم الصيوان وصاح على

اللبوة على رأسه وقال الادب ياأخت معروف انت قدام خوندنا المقدم جمال الدين شيحه سلطان القلاع والحصون عزنصره الادب فعندذلك تبسمت اللبوة فى وجه ابراهيم وترجلت على الارض وكبست ظنتها على ام رأسها وهو فى صدر الديوان جالس ضاحك ليس عابس فتقدمت اللبوة اليه وقبلت الارض بين يديه واذعنت له بالطاعة وقالت له انت من اولياء الله خاب من عاداك ولا كان من يشناك فاكتب اسمك على عيني وعلى شوا كري وحصني ولا تبالى لا بابيض ولا باسود فعند ذلك احلسها المقدم واكرمها وصافحها وقال لها انا خادمك وخادم اخوك وانت السيدة المالكة ففرحت بذلك الكلام وصفيت القلوب وزالت الاوهام وامرت له بالضيافات والعلوفات وذلك بعد ان أطاعوها باقى الرجال وكتب اسمه على شوا كرهم وعلى شوا كراللبوة يضا أولهم ثم عبروا الى الحصن فبيضوه وكتب اسم المقدم جمال الدين شيحه على أبوابه وانطوت شقة معروف وانفردت شقه المقدم جمال الدين في سائر الصفوف وكتب شيحه اسمه ايضا على باقى شوا كر الرجال ومامنهم الامن خضع له فى سائر الاقوال والافعال ثم أقاموا فى الضيافات والعلوفات مدة عشرة ايام ثم ان قالت له اولاد الادرع وسلطانهم المقدم عاصى سلطان اولاد بنوا الادرع وايضا الاخصب والاشنب لكن المقدم عاصى مؤمن يعبد لله الملك المنان وهؤلاء الاثنين يعبدون الاصنام والاوثان ولكن ان اردت انت ذلك فانا اسير معك الى اى مكان اردته واحارب اهله انا عوضا عن الرجال حتى انهم يطيعوك ويسيروا تحت امرك ونهيك قال له جزاك الله عنى خير وكفاك كل شر وضير وماهذا الامر غيرى وانا الذي ادبره بنفسي فحذى اختمى لنا على هذا الكتاب حتى اسير به الى عاصي سلطان اولاد الادرع بنفسي فعند ذلك قالت له اخاف عليك من عاصي سلطان اولاد الادرع لانه جبار لا يصطلى له نار فقال لها الاعتماد على الله القهار فعند ذلك ختمت له الكتاب على بياض وكتبه هو وطبقه واخذه وترك الرجال فى الحصن وسار طالب قلعة بني الادرع ولم يزل سائر حتى عبر اليها وكان فى صفة تبع فقبل الارض بين ايادى عاصي وخدم وترجم واحسن ما به تكلم فلما رآه المقدم عاصي قال له من اين والى اين ياهذا

التبع قال له من حصن صهيول من عند اللبوة اخت سلطان الحصون فلما ان سمع ذكر اللبوة صاح بمل ء راسه سلام و رحمة الله و بركاته تصافحت الرجال سلام ورحمة الله و بركاته ولم يزل الصياح بالسلام من الرجال حتى وصل الي رؤوس الجبال ثم انه اخذ الكتاب وفضه وقراه وفهم رموزه ومعناه واذا فيه خطاب من اللبوة اخت معروف الى بين ايادى المقدم عاصي الذى نعلمك به اننا بلغنا خبر انه قد تجاري على القلاع رجل بدوى من عرب عزه وقد اطاعته الرجال وانه بعد قليل من الايام يأتى الى عندى يريد ان يبيض حصني فاذا انت قرأت كتابى هذا تأتى الى عندي بمفردك صحبة حامل الكتاب حتى اذا اقبل هذا الرجل انزل انا اليه واخرج روحه من بين جنبيه واجعلك وكيلا على سائر الحصون والقلاع والاودية والبقاع الي ان يظهر اخى معروف او تأتى عنه الاخبار ولا تظهر ذلك لاحد من الرجال حتى اننا نتم تلك الاشغال والسلام على نبي تظلله الغمام (قال الراي) فلما ان سمع المقدم عاصي ذلك فرح واتسع صدره وانشرح وقال للنجاب لك البشارة ثم انه ناوله دينار قال له اذا تمت هذه الاشغال اعطيك اكديش ومميتريه وشر بنى ذهب ثم صاح المقدم عاصي على الرجال هاتوا الحجرة فاتوا بها اليه فركب وقال لرجاله ما يتبعني منكم احد لانى اريد ان اسير بمفردي مع هذا التبع اقضي بعض حوايج لزمت لى فأجابوه الى ذلك ثم التفت الي التبع وقال له ما اسمك قال و مالك باسمى قال له حتى اذا ناديت عليك اصيح باسمك قال له اسمي داهية الوقت فلما ان سمع المقدم عاصي ذلك قال له الله لا يوريك ندا يامعروف وما اسم ابوك قال لدشر الزمان قال له خيب الله اسمك واسم ابوك فما اسم امك قال له داهية الغفلة قال له مالى انا بهذه الاسما من شيء انا اقول لك تعالى يا تبع روح يا تبع وانت مالك من ركوبه تركبها قال له انا لا اركب الا رجلى قال له انك لم تقدر تقاطرنى فى سيري فقال له سير انت كاتر يدو اذا اتيت الى رأس الوادى فتصيح على تجدنى قدامك فهذا اما كان منهم (قال الراوى) فلما سمع منه المقدم عاصي ذلك الكلام تعجب وسار ولم نزل سائر حتي اقبل الى رأس الوادي وصاح يا تبع واذا بالتبع قدامه يقول له تعالى ها انا قدامك فتعجب من ذلك وقال له انت عفريت يامعرص ولم يزل

سائر حتى امسى المساء فنزل فى مغار لاجل ان يقيم فيه الى الصباح فدخل من داخل المغار وترك الحجره مع التبع على باب ذلك المغار (قال الراوى) فما استقر بهم الجلوس حتى طلع عليهم النهار وعلا وسد الاقطار وانكشف الغبار عن الاخصب والاشنب ومعهما عشرين الف فارس وما منهم الا كل مدرع ولابس وقد اتوا الى ذلك المكان ونزلوا قبا ليه فلما رآهم المقدم عاصى سلطان اولاد الادرع قال لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم والله ما كانت الاسفرة غبره فى هذه المرة فقال التبع ما الخبر قال له اعلم ان هؤلاء الذين نزلوا قدامنا من اكابر اعدائى وهما من اولاد الادرع ولكنى ما اطعتهم ولا قدرت عليهم وقد وقعت بيننا و بينهم الفتن والاقاويل وما اتوا هنا الا بسببى ومن اجلى واكبر رايهم بريدون قتلى دون غيرى فقال له يفعل الله ما يشاء ويحكم بما يريد ولكن حدثنى عن السبب الموجب لذلك قال له اعلم ايها التبع ان هؤلاء يعبدون المثانى والحكمة والقصيعة والتجيمه والجمل الجربان وكتاب شعيب وما يتلى به كلمة كلمة ولما ان اولانى المقدم معروف سلطان على اولاد الادرع رتبت عليهم الخراج والجزا فى كل عام كان فجميع البلاد انقادوا واطاعوا الا هؤلاء الملعونين فانهم تحصنوا فى قلاعهم وقالوا لا نطيع من يغير علينا ديننا ابدا فركبت عليهم مرتين وانا لم اقدر آخذ منهم لا حق ولا باطل واذا ظفروا باحد من رجالى يقتلوه ولا يبقوه وها هم نزلوا قدامى ولا ادرى ما الذى اعلمهم بحالى وما بقوا يبرحوا من هنا الا بعد قتلى ووبالى (قال الراوى) وكان السبب فى مجىء الاخصب والاشنب سبب عجيب وذلك ان هؤلاء الاثنين مع بعضهما فى قلعة الخصب والعلوه كل واحد منهم فى قلعة وكل عام يرسلوا جواسيس الى حصن صهيول يأتيهم بخبر معروف بن جمران كان ظهر أو اتى عنه خبر لانه لا يخافون الا منه ولا يخشون الا بأسه فلما كانت هذه النوبة اقبلت اليهم الجواسيس واعلموهم بما كان من امر المقدم جمال الدين شيحه وكيف انه يبيض القلاع والحصون وانه فعل ذلك بحصن صهيول وقد سار الى المقدم عاصى سلطان اولاد الادرع فلما ان سمعوا ذلك من الجواسيس قالوا لبعضهم ما فى الامر الا اننا نسير برجالنا ونقيم فى وسط الطريق بين قلعة عاصى وحصن صهيول

ولم نبرح من هناك حتى يأتي عاصي ونقتله هو وشيحة معه و بعد ذلك نسير الي حصن صهيول ونحط يدنا على يد للبوة ونحارب باقي الرجال الاسماعيلية ولا نترك منهم احدا بالكلية فلما ان تقرر الكلام بينهما على ذلك اخذوا معهم عشرون الف فارس وساروا حتى جاء الليل وذهب النهار فنزلوا هناك يريدون الراحة والاقامة الي الصباح وكان نزولهم قدام ذلك المغار فهذا ما كان لهؤلاء من الاخبار (قال الراوى) واما ما كان من التبع فانه قال لسلطان اولاد لادرع أمامعك شيئا من الطعام حتى نأكله ونستتر نحن والحجرة من داخل المغار لعلهم ان لا يرونا ولا يعرفونا وربما اذا هجم علينا الظلام نسد باب المغار علينا بالاحجار فقال له المقدم عاصي خذ هذا الطعام ثم اخرج من حرمدانه اقراص وشيئا من جبن الاغماس بينه و بين التبع فاكل التبع وعاصي ينظر اليه ولم يقدر ان يكسر القرص ولا يعض عليه من الغم الذي اعتراه ونزل عليه وقد تعجب ايضا من التبع وهو يقطع و يدلع ولم ياخذه هلع ولا جزع ولا خوف ولا فزع فقال له التبع لاى شيء لا تأكل معي ولا تسال عن غيرك فقال له لا بد وحق دينك ان تاكل هذه القرصة لاجل ان تمسك بها رمقك والله تعالي يزيل عنا هذه الغصة فاكل المقدم عاصي لما ان اقسم عليه فما استقر الطعام في جوفه حتي رقد الى الارض كانه قتيل وقد درج وانقلب فتركه المقدم جمال الدين شيحه في المغارة وادخل معه الحجرة وسد عليهم بالاحجار ثم بعد ذلك انفرد في البراري والقفار وقد اظلم الليل بالاعتكار ونام ايضا الاشنب والاخضب واقبل المقدم جمال الدين شيحة الي عرضي العسكر وسار حتى وصل الى خيام الاثنين فشق ظهر الصيوان ودخل على الاخضب فرآه منكب على وجهه نومة أهل النار في النار فهجم عليه بمنديل مطبع بالبنج الطيار وهزه القى النوم على النوم وجعله في جمدان وسار به الي الخلوات وقد اقبل الي مغار في وسيع الوديان وشبحه شبحة تقشعر منها لابدان وجعل رأسه الى اسفل ورجليه الي اعلى واعطاه ضد البنج عطس فلما افاق صاح بالمثاني والحكمة والقصيعة والنجمه والست صاره صرصاره والجمل الجربان وكتاب شعيب ومايتلى كلمه كلمه انا فين قال له انت عندي قال ومن انت قال المقدم

جمال الدين شيحة سلطان القلاع والحصون قال له وما الذي تريده مني قال اريد انك تسلم وامرك الي الله تسلم وتخدم والاسم الاعظم تطيعني وتتبرأ من دينك وما تعبده من يقينك وان لم تفعل جعلت هلاكك وسوء ارتباكك وسلختك بشا كريتي قال فلما سمع بذلك منه قال له اسلخ سيف عيني فانى لا اطيعك ولا اسلم ابدا فعند ذلك تقدم اليه شيحه وسلخه وكبب جلده على سرته وقال له شرط كلامي شرط حديثي ان انت اسلمت وطعتني فانا اداويك وارجعك أحسن ما كنت فابى اللعين عن ذلك فقشط السره خرجت الروح الخبيثة من الجثة الخبيثة فدبغ الجلد وحشاه ساس من حرمدانه وركب له العيون القزاز وارمى الجثه فى الخلوات واخذ الجلد وسار به وعبر في عاجل الحال الى العرضي وادخله الى مكانه وفعل بالثانى مثله وذبح الغفرجية وكتب كتاب وختمه بختم عاصي سلطان اولاد الادرع وتركه عند رؤوس الاثنين وسار بعد ذلك الي المغار ودخل الي جانب المقدم عاصى ونام الى جانبه وقد جعل البنج فى اذنه ورقد الى ان اصبح الله بالصباح واضاء الكريم بنوره ولاح استيقظ المقدم عاصي من المنام فرأى التبع الى جانبه فايقظه من منامه فقام يفرك عيناه فقال له امضي بنا يا تبع قبل ان تستيقظ الرجال وفينا تطمع قال له لا تخف منهما ولا عليك منهم شيء ابدا بل اركب جوادك وتقلد بحسامك واذاهم اتوا اليك فخار بهم وارفع عن نفسك الاذى وان رأيت الرجال تكاثرت عليك فانجوا بنفسك واتركني وقد اذنت لك بذلك قال له لقد قلت الصواب والامر الذي لا يعاب ثم انه فعل ما امر به وما لحق ان يوصل الي باب المغار حتى اقبلت عليه سائر الرجال وهم ينادون الامان الامان يامقدم عاصي نحن ما لنا دعوة ولا ذنب بل الذنب من هؤلاء الكلاب الذي حل بهم منك المصاب وقد اتينا اليك وبقينا بين يديك فافعل فينا ما بدا لك فلما ان سمع المقدم ذلك الكلام زاد عجبه وقال واحد منهم يا رجال قولوا له نحن فى عرضك تعف عنا وتسامحنا ويكفي ما حل بالاخصب والاشنب فقال إذا اردتم ذلك تدفعوا الي الخراج فى كل عام كان واولى عليكم ما اريده من الناس قالوا له افعل ما ترى يدفعها نحن لك من جملة العبيد ثم انه اعرض عليهم الاسلام فاسلموا

وامرهم بالمسير الى قلاعهم وولي عليهم حاكما منهم كل هذا وهو لا يدرى ما السبب لذلك قال وكان السبب لما افاقوا من نومهما ر وا الاحصب والاشنب وهذه الحالة حالتهما ورأوا التذكرة واذا فيها خطاب من المقدم عاصى سلطان بني الادرع الي بين ايادي الرجال اصحاب الاشنب والاخصب اعلموا انى نزلت عليكم وفعلت مارايتموه بساداتكم وقتل الغفرجيه و كتبت هذا الكتاب والاسم الاعظم اذا لم تأتوا الى عندى وها انا في الغار الذى قبالكم وتخضعوا الى و تسمعوا قولى والا أركب عليكم وافنى جميعكم بمفردي وانتم بلا رؤساء وقد ذهب الذى كنت أخشاه واذقته الم بلاه الخط خطي والختم ختمى ولا بد انكم تعلقوا الجلود على أبواب القلاع والسلام على نبي تظلله الغمام فلما ان قرأوا ذلك الكتاب نزل عليهم المصاب واتوا الى عاصى وفعلوا ماذكرنا وتكلم معهم كما وصفنا وهو لا يعلم بما كان من امرهما ثم بعد ذلك ساروا الى قلاعهم بعد اطاعتهم وامتثالهم فهذا ما كان من امر هؤلاء واما ما كان من امر المقدم عاصى فانه التفت الى ذلك التبع و قال له حصلت لي بركاتك وشملتنى دعواتك وسوف تري ما يحل لك منى من الاحسان وما يشملك من الخير والامتنان فشكره التبع على ذلك وسار معه وهما طالبين حصن صهيول الى ان سار بين الوقتين وحمى البر على الاثنين واقبلوا الى مغاره يكسر وا فيها القيالة فلما عبروا اليها ودخلوا من داخلها نام المقدم عاصى ولتبع صبر عليه حتى علا خطيطه و بنجه وشبحه شبحة تقشعر منها الابدان واعطاه ضد البنج عطس وقال اشهد ولا اجحد بالدين العربى محمدا نافين قال له ما انت التبع قال له فتح عينيك انا سلطان القلاع والحصون المقدم جمال الدين شيحه وقد فعلت من الامر ماهو كذا وكذا وفعلت بأخاك ماقد رأيته بأعيانك واعاد عليه القصة من اولها الى آخرها و كشف له عن ظاهرها و باطنها وقال له فى آخر كلامه ما تقول فى الاطاعة قال المقدم عاصى انا خادمك و بين يديك وما انا باحسن من هؤلاء الرجال ولا من اللبوة ولا من يقدر ان يخالفك بعد هذه الاعمال ثم قال له الله ملا قلبك ايد الله سيادتك الملكية طاعة الخوند اليك والاسم الاعظم ولو تقوم الجبال فى البحار فعند

ذلك اطلقه من وثاقه وسلم عليه سلام الاحباب وعاهده وصاروا اخوة واصحاب وبعد ذلك ساروا ستى دخلوا الي حصن صهيول فتلقتهم الرجال واللبوة وقد سألت عاصى عن حاله فاخبرها بما جرا له وكيف انه سلمه من بين رجاله واعمل في اعدائه وكيف سلخ الاخصب والاشذب وكيف اطاع شيحه وكتب على شوا كره اسمه ففرحت بذلك واقاموا فى اكل الضيافة ثلاث ايام وقد عزموا على الارتحال فسار المقدم عاصي والمقدم جمال الدين معه الى قلعة الادرعيه فبيضوها وكتب اسمه عليها وكذلك باقي القلاع والحصون ولم يترك قلعة الا ورحل اليها وفعل بها مثل ما فعل بغيرها وقد مشي احكامه وعمل شروطه انه اذا قبض انسان وراه بعض الرجال معه فلا يتقرب اليه ولا يخلصه واذا كان انسان منهم يظهر من اللجج فلا يجتمعوا عليه الا بعد لاطلاع واذا انضايق منهم اى انسان يناديه فينجده مما هو فيه وقد شرط عليهم اربعين شرط كاملين وما منهم الا وله كلام يذكر فى موضعه وسلطانه ولما تهيأ الفراغ من ذلك امر المقدم جمال الدين شيحه ان يسير الى قلعته و ياخذ رجاله وعشيرته و يأتى الى عند الملك العادل يقيم فى خدمته وكذلك امر رفيقه فامتثلوا وساروا فهذا ما كان من امر هؤلاء وشيحه يودع من اللبوه ومن المقادم وطلب لبرفهذا ما كان منه وكذلك المقادم كل من كان سار الى اشغاله فهذا ما كان من امر هؤلاء

(قال الراوى) واما ما كان من ملك الاسلام فانه كان مقيم فى الديوان يتعاطى الاحكام فبينما هو جالس فى بعض الايام واذا بنجاب يقبل الارض بين يديه وهو يقول نعم يا ملك الاسلام قال الملك من اين والى اين قال له من حلب يا ملك الاسلام قال الملك وما معك من الاخبار قال له كتاب قال له هات الكتاب فناوله اياه ففضه وقراه وفهم رموزه ومعناه واذا فيه خطابا من عماد الدين النجيبي ولد اقطا النجيبي الذى لعلمك به يا امير المؤمنين اننا مقيمين يوم تاريخ الكتاب واذا بالغبار ثار وعلا وسد الاقطار وانكشف الغبار وبان بمد ساعة للنظار واذا بابن الملك الفرتماكوس وبصحبته اربع كرات كل كرة اثنين وثمانين الف حطوا على الارض والبلاد فنزل ابى اليهم برجالهم وتقاتلوا قتالا شديدا ما عليه من مزيد وقد ارمى نفسه فى وسط الميمنة

ولم يزل كذلك حتى انهم قضوا نحبه ولحق بر به شهيد الى رحمة الله تعالى فاقمت انا يا امير المؤمنين واغلقت الابواب واقمت الحصارات وحاصرت الكفار وارسلت اليك هذا الكتاب ادركنا بسيفك المسنون وجوادك المفتون الانحن فى ريب من المنون والسلام على نبي تظلله الغمام فلما قرأ الملك الكتاب قال باوز برو لله ما لهذا الامر الا انا ثم انه فى عاجل الحال امر بالتنبيه واخذ الاهبة الى الرحيل وقد جمع رجال وأي رجال واجلس السعيد ولده على تخت مصر وقال له ياولدى عليك بالانصاف كما امر مولانا جد الاشراف وبرز الملك الى العادليه وأقام بها يوما وليلة ولما ان كان اليوم الثانى ارتحل الملك وطلب ارض حلب ولم يزل سائر حتى اقبل اليها فحط بالعرضي فى الجانب الآخر وأقام للراحة يومين ولما ان كان اليوم الثالث امر الملك بدق طبل الحرب فدقت الكاسات وزعقت البوقات ونقرت النقارات وتسلح الملك ايدمر البهلوان مفتاح حرب الاسلام فنزل الى حومة الميدان وصال وجال ولعب بالرمح العسال وصاح ميدان ياجوان ما فى الميدان الا الامير ايدمر البهلوان (قال الراوي) ثم ان جوان صاح ابرزوا اليه يا كرستيان فنزل اليه بطريق كانه العتيق فما جمه الامير من غير تعويق وضربه بالحسام الرقيق على هامته طلع الحسام يلمع من مفرقه فوقع الي الارض قتيل وفى دماه جديل وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار فعند ذلك نزل له بطريق آخر والثالث لحقه باخاه ولم يزل كل من نزل اليه عجل فناه حتى قتل خمسه وعشرين بطريق وطلب البراز بعد ذلك فقال جوان استحى على عرضك وروح ما بقاش الليلة حد يتمنطر فعاد الامير وهو يقشط الدما مثل الكبد الكبير فلما وصل الى السلطان تلقاه واكرم مثواه

(قال الراوي) وكان السبب فى مجيء هذه الركبه اللعين جوان وذلك انه لما هرب من طبرني وحل به ما حل من العذاب الاليم اخذ برتقشه ولم يزل سائر حتى انه عبر الى انطاكيه وقد حلت به كل نكبه ودخل على اللعين الفرتماكوس فنهض اليه وتلقاه وسلم عليه واكرمه وقد هرعت الكفار الي تقبيل يداه ورجلاه وهو يقرأ فى قداس من المزامير وقد ادخل فيه التبديل والتغيير ثم ان اللعين اجلسه فلما ان استقر

به الجلوس صار جوان يبكي و ينوح من كبد مجروح فقال له الفرتما كوس ولاي شي تبكي يا ابو نا قال ابكي على ملة ز رارة التي بقت لم تساوى ز بلة حماره ومن كثرة مااعترا ني من القهر رأيت السيد المسيح ليلة البارحه وهو يقول لي سير ياعالم المله الى الملك الفرتما كوس وامرمان يركب ركة في سبيلي وانا اجازيه بالاجر والثواب وها انا قد اتيت اليك واعلمتك بالحال فما الذي تقول (قال الراوى) فلما سمع اللعين الفرتما كوس ذلك الكلام قال له اعلم ياجوان انى لا اركب على بلاد المسلمين ولا لى بدين المسلمين دعوة ابدا اما تنظر الي الملوك الذي اخذهم اساري وأخرب مدتهم بعد العماره فان كنت تقعد عندى في الادب الف اهلا ومرحبا وان اردت ان ترسل فبين يديك السهل والجبل فانا لا اطاوعك ابدا في ذلك فسكت جوان على مضض واقام الى جانبه وتامل في رجاله فرأى بطريق واقف بين يديه قال لهم هذا البطريق الذى يشابه الملك قال له هذا ولدى وفليو ني قال له المسيح ينصرك و يخليه لك و يبقيه عليك فما اسمه قال له اسمه كرفوس قال له كرفوس محروس فما الذى اوهبت منه للسيد المسيح قال له اوهبته نصفه قال الآن هات الحسام حتي اقطعه قسمين آخذ قسم السيد المسيح واترك النصف الآخر قال له لا تفعل ياعالم الملة فانى ارهبته كله للمسيح جوان الآن ما بقى لك شيء ثم انه صاح على الغلام فاتى اليه وقال له ياولدي خذ معك من رجال ابوك اربع كرات وسيرهم الي حلب واغزي لك غزوة في سبيل المسيح فانك الآن انت عبده فعند ذلك اجابه الي ذلك الحال وجمع الرجال وسار بهم الى حلب وحط عليها بالرجال وحارب باشت حلب كما ذكرنا واستشهد كما وصفنا فهذا كان الاصل والسبب (ياساده) ثم ان الملك بات تلك الليلة وهو في غاية من الغيظ الى ان اصبح الله بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح فامر الملك بدق طبل الحرب فدقت الكاسات وزمرت البوقات ونقرت النقارات ونزل الاميرقلاوون وفعل في الرجال فعل المجنون وقد قتل سبعة وثلاثون وعاد آخر النهار فتلقاه السلطان بغاية الاكرم ومازالوا على ذلك العيار عشرة ايام تمام

(تم الجزء السادس عشر ويليه الجزء السابع عشر واوله فالتفت الخ)

سيرة الظاهر بيبرس

تاريخ الملك العادل صاحب الفتوحات المشهورة (السلطان
محمود الظاهر بيبرس) ملك مصر والشام وقواد عساكره
ومشاهير أبطاله مثل شيحة جمال الدين وأولاده
اسماعيل وغيرهم من الفرسان وما جرى
لهم من الاهوال والحيل وهو
يحتوى على خمسين جزء

الجزء السابع عشر

(الطبعة الثانية)

١٣٤٤ هـ — ١٩٢٦ م

التزام
عبد الرحمن محمد
ملتزم طبع المصحف الشريف بمصر
بميدان الازهر

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

قال الراوى) فالتفت اللعين كرفوس الى جوان المنجوس وقال له طال الحال على الرجال وهلكت الافيال ومايكون الحال فقال له انت تسمع كلامي واعلم يافليونى ان هذا الامر مايكون له الا انت فأذا كان غدا ابرز لهم انت بنفسك ولاتخشى منهم عسى انك تبلغ المرام قال له اذا كان الامر كما ذكرت والحال كما وصفت فبخرنى قبل ان انزل الى الميدان قال البرتقش خليك من غير بخور لان هذا البخور مشؤم قال جوان اسكت ياسيف الروم قال ان انت بخرته ببخورك المعلوم فلابد له من قطع لحلقوم هذا وقد اتاه بالمبخرة بها وغني له وقرأ اشياء من الكلام الذى ماله موقع ولا مرام ثم انه تحضر الي الميدان ولما ان جاء الصباح نزل بنفسه يريد الكفاح وكان الدور على الامير الجاولى فابتدر اليه وتقدم بالهجمة عليه ومازال يحاربه حتى خرجت روحه من بين جنبيه وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار (ياساده) فلما ان راي جوان الى ذلك الحال ورأى ابن الفرتما كوس حل به ذلك الوبال امر سائر البطارقة بالحمله فحملوا عن آخرهم فالتفت جوان الى البرتقش وقال له ياسيف الروم هاهو ابن الملك ينتظر الكفار وقد نزلت الى حومة الميدان وأوقعته مع المسلمين فى أشد الطعان وانا اعرف ان المسلمين هم الغالبين فدعنا نشمع سفتله ونذهب الى حال سبيلنا قال له البرتقش حتى تنظر وتشوف ماذا يجري قال له سير بنا الى الفرتما كوس حتى اننا نجمله هو الآخر فى اشد النحوس ثم انسل من المركة وركب حمارته وأخذ برتقشه بشقته فهذا ما كان منه واما ما كان من امر ذلك الوقعه فان الكفار لما ان امرها جوان بالبراز وبرزت على الامير الجاولي فتلقاها وقد أدركته ايضا الامراء

من آخرهما وكذلك الرجال وما منهما الا من صاح بالتهليل لذي الجلال وصاحوا الله اكبر واحتاطوا بالرجال من سائر الجهات وقد ضربوا فيهم بالمشرقيات ولم تكن الا ساعة حتى حمي الهجير واشتد الزفير وتضايق الكبير والصغير وتقطعت الرؤس وتلفت النفوس وصاح الشجاع وكثر النزاع وذابت القلوب وشربت كأس العطوب وقام الحرب على قدم وساق وضاق لخناق وكثر الزعاق وتقابضوا باللحا والطراق وتهاجموا بالسيوف الرقاق والرماح الدقاق وقد أوقدت الحرب نيرانها واشتد لهيبها وذل جبانها وصبر شجاعها ولله در الملك العادل فانه عمل في الحرب عما يلي وكذلك رجاله ومامعه من ابطاله ومازال الحرب قائم والصبر عادم حتى لبست الشمس حلة الاسفرار وارتحل النهار بالانوار واقبل الليل بالاعكار وقد تضايقت الكفار من شدة تلك النار فصاحت الامان الامان من السيوف والسنان فقال الملك العادل لا لكم عندي امان حتى توحدون الله الملك الديان فعند ذلك انقسمت اللئام اقسام فمن اسلم منهم سلم ومن ابى عن الاسلام ندم ومن طلب الحرب استفزه كاس العطب وقد اخذوهم على حدود السيوف كانهم القطن المندوف وايد الله الاسلام الابرار بتوحيد الملك الجبار فعند ذلك قال الملك اجمعوا الغنيمة فجمعوها والي بين يديه قدموها فاخرج السلطان الخمس منها الى بيت مال المسلمين وقسم الباقي على الباقين وقال السلطان اين جوان والبرتقش الخوان فدوروا عليهما فما وجدوا لهما خبر ولا وقفوا لهم على جلية اثر فاقام السلطان ثلاثة ايام لاجل الراحة ثم اراد الرحيل الي ارض مصر بعد تمام هذه الركبة فامر باحضار عماد الدين المنجبي والبسه عرض ابيه وقدا وصاه بالعدل وقال له عليك بتقوى الله تعالى فاني في غداة غدا أسير الى ارض مصر فقبل يد السلطان ودعا له بالبقا وازالة لبؤس والشقا فبينما السلطان على مثل ذلك معول واذا بنجاب قدا قبل عليه وقبل الارض بين يديه قال له الملك من ابن والى اين قال له من انطاكية يا امير المؤمنين قال الملك ومامعك من الاخبار قال له كتاب فاخذه منه وفضه وقرأه وفهم رموزه ومعناه واذا فيه الصلاة والسلام على سيد الانام خطاب من المقدم جمال الدين شيحه الى بين أيادى أخي السلطان العادل الذى نعلمك به ان اللعين

جوان لما هرب من حلب سار هو و برتقشه الى اللعين الفرتما كوس واعلمه ان ابنه قدمات في حلب واغراه على العصيان لاجل ان يأخذ ثار ولده فاطاعه اللعين الي ذلك واغلق الابواب واقام الحصارات وقطع الطرقات كل ذلك ياملك الاسلام وانا حاضر من داخل البلد ومشاهد هذه القصة فحال وصول جوابى هذا اليك تاتى الى انطاكية بالرجال وترسل من طرفك الي اولاد اسماعيل يحضروا هذه الغزوة و بالله تعالى الاعانة والتوفيق والسلام على نبي تظلله الغمام (قال الراوى) فلما ان قرأ الكتاب تعجب من ذلك غاية الاعجاب وقال كيف تفعل لهذا اللعين من الفعال قال وكان السبب فى ذلك ان جوان لما هرب اقبل الى انطاكيه ودخل على اللعين الفرتما كوس فاستقبله والى جانبه اجلسه فسأله عن حاله وولده وماجري له قال له اعلم ان ولدك راح المنطار وذهبت روحه الي النار و بئس القرار ولا بد من مجيء المسلمين الى عندك لانى سمعت ملك الاسلام قد بالغ فى الايمان و قال لا بد من قتل الفرتما كوس وخراب انطاكيه وقتل الرهبان والقسوس فان اردت الغزاة في سبيل المسيح واخذ ثار ولدك المليح فافعل وان تركت عن بالك ولم تعتني بما جرالك فخليك قاعد حتى ياتوا اليك بانفسهم و يطلبوا ذلك ن الاذى بغيتهم وانا مالي ذنب فى ذلك ابدا (قال الراوى) فلما سمع الفرتما كوس بهذه الاخبار وان ولده راح المنطار لطم وجهه ونتف شعر ذقنه ورمى قاووقه من فوق رأسه وضرب وجهه بمداسه وقال كل هذا منك اغريت ولدى على ذلك الشان قال له جوان لا تخاف فها انا قاعد عندك من غير خلاف ثم ان اللعين التفت الى اكابر دولته وسالهم وفى ذلك الامر جعل يستشيرهم فقالوا له رؤوس الدولة اما اذا كان ولا بد للملك من القدوم الينا والهجوم علينا فينبغي ان نحترس لانفسنا ونحصن بلدنا فان هو اتى الينا ضربناه وان لم يأتى نكون على حذر من امره والسلام فعند ذلك اطاعهم وغلق ابواب انطاكية واقام الحصار من سائر الجهات وجعل جوان يرسل من البطارقة من يجلب الشر و يقطع على المسافرين البر وكان شيحه آقبل بالقدر الي ذلك البلد عند قدوم جوان قال فى نفسه لابد لهذا الكلب من خبر ثم انه عبر حتى علم الخبر وكتب للملك بجلية الاثر

فهذا كان الاصل والسبب

(قال الراوى) فعند ذلك امر الملك العادل بالرحيل الى انطاكيه فركبت الرجال وقد اخذت الاهبه للسفر والقتال ولم يزل يجد المسير حتى اقبل الى انطاكية فخرجت عليه المدافع من الاربع جهات فنزل الملك على حد الاثر واحتاط بالبلد من كل جانب ومكان ثم اقام الملك بعد ذلك ثلاثة ايام وامر بدق طبل الحرب لاجل الطعان فعند ذلك فتحت ابواب البلد ونزل عنها بطريق يمزق الحديد باياديه تمزيق ولعب فى الميدان اربعة مجالات وطلب البراز وسال الانجاز فابتدر اليه الامير ايدمر البهلوان وتقاتل معه الى نصف النها وقد كان اللعين ذا تشدة واصطبار وخاف منه الامير ايدمر البهلوان ان يبطش به فى حومة الميدان فرفع وجهه الي عالم السر والاعلان وطلب النجاة من الملك الديان وقال يابركة اسم الله الاعظم الذي به يتكون كل شيء ولايسام ان تنصرنى على هذا الفارس الغشمشم ثم هجم عليه هجمة الضيغم ووثب عليه وثبة القشعم ومد يده الى جلباب درعه فاقتلعه من سرجه ورفعه على يده حتى بان سواد ابطه وجلد به الارض فرض عظامه رض واى رص ومالحق ان يتحرك حتى ضرب به بالحسام على عاتقه اطلمه يلمع من علايقه وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار فنزل اليه خ المقتول وهو لاجل اخيه كانه المهبول فما لحق ان يجول حتى ان ايدمر تركه مثل خيه مقتول وقد نزل اليه الثالث فاهراه والرابع والخامس عجل لهم الفناء ودق طبل الانفصال فعاد ايدمر البهلوان وهو مسرور فرحان فتلقاه السلطان وسلمت عليه الاقران وكذلك اجتمع الفرتما كوس على جوان وقال له ما تقول ياعالم الملة في مثل هذا الشان قال له اصبر وانا ادبر لك الحيله والمكيدة ثم تامل فى الفرسان الذى بين يديه فرأى بطريق كانه العتيق وقال له ياغندار مااسمك قال له اسمي العايق الذى اعيق كل بطريق فعند ذلك خرج جوان لماراه وقال له لابد انك تطاوعنى على كل ماهوا ملانك تشابه رجلا من اولاد اسماعيل يقال له جميل وانا قتلته بيدي واخذت سلاحه وملابسه وادخرتهما عندى لاجل ان ادبر بهم مصالحى وقد

دعت الحاجة الى ذلك (قال الراوى) وكان هذا جميل من أولاد اسماعيل وكان
لما غاب معروف خرج لاجل ان يدور عليه فلما سار الى وادى الزهور ومنبع النهور
فبالقضا دخل الى مغار لاجل ان ينام فلما اخذه المنام حل بذلك الوادى اللعين جوان
فرأي ذلك المقدم فذبحه واخذ سلاحه وملابسه وتركه ملقى فى ذلك المكان وسار
فبعد مسيره اقبل المقدم ابراهيم والمقدم حسن القصاص وكانوا هؤلاء الاثنين
طلبوا الخلوات لاجل شن الغارات والمكسب فساروا فى ذلك البرارى والسبب
فمن لطف الله تعالى الملك المنان عبروا الى ذلك المكان فوجدوا المقدم جميل مرمى
على وجه الارض جديل فبكوا عليه وقد اخرجوا له شيء من الملابس الذى عليهم
ادرجوه فيه ودفنوه فى ذلك المغار بايديهم وقال المقدم موسى والمقدم ابراهيم ياولدى
لاتخبر احدا من الرجال بمثل هذا الحال ودعنا لانقول ولا نعيد حتى يحكم الله بما يريد
وتظهر اخباره من غيرنا لاننا ان تكلمنا بذلك حل باهله المهالك فسكتوا الاثنين
فعادوا ولم احد يعلم بشيء من ذلك الى ان اقبل جوان الي هذا المكان ووجد هذا
البطريق القرنان وكان يشبه جميل فى الطول والقد والهندام فقال له جوان اترك
هذه البلدة وسير على هذا الجواد واقعد فى البرقدر ثلاثة ايام واعبر الى عرضي السلطان
وابرز بين يديه الى الميدان واقتل واحد او اثنين من الكرستيان فاذا رآك الملك
على مثل هذا الشان يسألك من انت ومن تكون من الاخوان فقل له انا المقدم جميل
ابن عبد الرحمن صاحب قلعة راس الوديان فاذا سمع الكلام منك فرح وقال لك تمنى
فلا تتمنى الامناصب الفداوى ابراهيم بن حسن الحورانى فاذا هو اعطاك واقبل
ابراهيم وعرفك انك من اهل الشرك واعاد على الملك ذكرك فلا تصدقه ثم بعد ذلك
تنتظر الفرصة وتسرق الملك وتاتى به الى عندى وبعد ذلك جالك عشرين سنة زيادة
فى عمرك وخمسين فدان فى سقر والوادي الاحمر شكر يامسيح والسلام (قال الراوى)
فلما سمع اللعين الفرتماكوس ذلك الكلام فرح بما نطق به جوان من المرام وانتدب
العايق الى مثل ذلك المجال وطلب من ساعته الاودية الخوال فهذا ما كان من امر
هؤلاء (قال الراوى) وأما ما كان من امر الملك العادل الظاهر بيبرس ابو الفتوحات

فانه لما اصبح الله بالصباح ارسل الى الفداوية كتاب يدعوهم فيه للغزاة واعلمهم انه على انطاكية فلما ان وصل اليهم الكتاب وقرأه عليهم نقيب الرجال اجابوه الى الغزاة فى عاجل الحال وساروا الي ما ندبهم اليه سائر الرجال فهذا اما كان من امر هؤلاء (ياساده) ولما ان كان اليوم الرابع من ذلك الوقعة وقد دقت الكاسات من عرضي اللئام بامر اللعين جوان فبينما قد نزل الي الميدان بطريق يريد القتال من غير تعويق واراد الملك ان يقول ابرزوا له ياعصبة الاسلام واذا بالغبار ثار-وعلا وسد الاقطار وانكشف الغبار وبان بعد ساعة الى النظار عن خيال مقبل من الاوديه الخوال وهو يقول حاس يااهل الكفر والضلال وانتدب فى عاجل الحال الى حومة الميدان والمجال وقد انطبق على ذلك البطريق وضربه على رأسه نزل الحسام يهوى الى عند اعجازه وكذلك الثانى قتله بلا توانى والثالث تركه ناكس والرابع جعله خاشع والخامس والسادس والسابع والثامن والتاسع والعاشر ولم يزل يقتل كل من برز اليه ويخرج روحه من بين جنبيه حتى قتل عشرين بطريق وعاد الى عرضي الملك وصاح بعلىء رأسه سلام يا ملك الدولة الله ملا قلبك ايد الله لك السيادة الملكية طاعة الخوند الى سلطان القلاع والحصون عز نصره فعند ذلك قال له الملك مرحبا بك ما أنت ايها المقدام قال له نا من السادة الاشراف أولاد اسماعيل أهل الادب والتدابير اسمي المقدم جميل بن المقدم عبد الرحمن صاحب قلعة رأس الوديان وقد خرجت ياملك الاسلام أدور على المقدم معروف مدة طويلة من الزمان فما رأيت معروف ولا من يحفظ المعروف ثقل ظهري بالمال عدت الي بلادى وكان طريقى من هذا المكان فوجدت القتال واقع بين الاسلام فقلت لعقلي اكتسب الغزاة والجهاد فى طاعة رب العباد فنزلت الى الميدان وفعلت ما فعلت بأهل الطغيان وأتيت اليك سالتنى اخبرتك فهذه حكايتي والسبب فقال له الملك اهلا وسهلا والف مرحبا والله انك لرجل شجاع وقرم مناع ولكن تمنى على تعطي فقال له ياملك الاسلام تمنيت على الله ثم على جناب ملك الاسلام ان اكون راحة الحرب اذا اشتد الكرب قال الملك ان الله اعطاك تمنى فتمنى عليه السبع تمنيات الذى للمقدم ابراهيم بن حسن فاعطاه اياها وهي

سياح عداوة فرضي ذلك المقدم بذلك المرام وقال على غفر رأس السلطنة واقف بالحسام أغفره اذاهو نام واحارب بالنهار فى اللثام وقدو ظب على مثل ذلك الحال مدة عشرة ايام وهو يحارب فى النهار ويغفر السلطان فى الليل والاعتكار فقال له الملك يامقدم جميل لا تفعل بناهذه الفعال فانت عندنا مهاب واهل دلال وكمال فاعلم ان هذا الامر الذي انت مقيم عليه عجزت عنه كثيرمن الرجال فاختار لنفسك واحدة من الاثنين اذا كنت انت تحارب بالنهار فلا تغفرنى بالليل والاعتكار واذا كنت تغفرنى بالليل فلا تحارب بالنهار قال له امير المؤمنين انى أريد اخدمك حتى تتلف مهجتى فما هو كثير فى حب امير المؤمنين قال له لا بد من ذلك والسلام قال له ياملك الاسلام انا اغفرك بالليل فى الظلام وما بقيت انزل الى الميدان الا اذا اشتد الحرب على الاسلام قال الملك شانك وماتريد فاقام الملك بالليل واذا كان فى النهار اخذ نفسه وسار الى الخلوات و يظهر للملك انه لا ينام فى مكان السلطان ولا ينام الا فى المغارات لان هذه عادته من قديم الزمان (ياساده) ثم انه ترك العرضي وسار الى الخلوات وقد دخل عرضي الكفار وقابل جوان قال له بعد ان سلم عليه ماهذه الفعال والتمويق ايها الفارس البطريق قال له قد فعلت من الامر كذا وكذا واعاد عليه القصة التى تدبرت ففرح جوان وقال سير الى حال سبيلك حتى تتم ما انت مصر عليه من ضميرك فانا ياولدى داعى لك فقبل يده وعاد الى الخلوات ذلك النهار ولما ان جاء الليل اتى الى عند السلطان وجعل يغفره حتى طلع النهار واستاذن وسار الى جوان وقال له يا ابونا انك تزعم انى انا الذى كنت اقتل الرجال وقد تركت الحرب والمجال فما رايت احدا منكم نزل الميدان وعاد الى الاوطان قال له ياولدي لقد قلت الصواب وكل من نزل الميدان هلك ومارجع قط الي الاوطان قال له اذا كان الامر على هذا الحال فالمسلمين يسقوهم كأس الوبال والرأى عندي انى انزل انا هذا النهار الي المسلمين وأسروهم اجمعين واذا جاء الظلام عدت الي العرضي ودبرت نفسي فى سرقة ملك الاسلام قال له جزاك المسيح خير ثم ان الملعون العايق تزيا بزى البطارقه وضرب اللثام ونزل الى حومة الميدان وصاح ميدان يامسلمين فما فى الميدان الا صنديد فابتدر اليه الاسلام فأسر الاول والثانى والثالث ولم

يزل حتى اسر كثير من الاسلام وكل من اسره اخذوه اللئام وقد اوصلوا الجميع الي بين ايادي جوان قال جوان انا لا اعرف الاستنظار وما عندي الا المنطار قال له الفرتماكوس لا تفعل يا عالم الملة فاني اريد ان اجعلهم رهينة عندي فان دارت يدنا على رين المسلمين قتلناهم اجمعين وان نحن وقعنا عنده في الاعتقال اشترينا نفوسنا منه بذلك الرجال فقال البرتقش هذا هو الرأى المليح وحق السيد المسيح ثم امر بسجنهم فسجنوهم في المطامير فهذا ما كان من امر هؤلاء (قال الراوي) واما ما كان من امر اللعين العايق فانه لبس بدلة جميل وسار آخر النهار عند قدوم الليل الي عرضي السلطان فتلقاه وسلم عليه سلام الاحباب وقال له يا مقدم ما عندك علم بما جرى في ذلك النهار لقد اخذني الانبهار وقد نزل الينا رجل من الكفار فأسرمنا خمسة من الاماره الكبار قال يا ملك الاسلام اعلم ان الحرب سجال يوم لك ويوم عليك ولكن انت المؤيد المنصور فلا تهولنك ذلك الامور وقد هدأ روع السلطان بكلام ذلك المقدم ومازال على راسه حتى طلع النهار واشرقت الشمس على اعلا الاصوار قال فبينما الملك كذلك واذا بالغبار ثار وعلا وسد الاقطار وانكشف الغبار وبان للنظار عن اولاد اسماعيل الاشراف وهم مقبلين في البراري والقفار الذين قال في حقهم الشاعر هذه الابيات

قوم اذا دعيوا ليوم كريهة والخيل ما بين مدكسرة مدعس

لبسوا الحديد على الحرير تشرفا يتراحمون الى ذهاب الانفس

كلما ان اقبلوا الرجال ونظرا براهيم بن حسن الى ذلك الزوال الذي واقف على عين السلطان فعرفه وصاح عليه من قبل ان ينزل من على ظهر الجواد زول بالعين الاباء والاجداد عن ميمنة الملك ابو الاسياد فقالوا له الرجال من هذا الذى تعني عليه ذلك الاقوال هذا الذي على عين السلطان قالوا هذا وليد عمنا يا ابو خليل وكلنا نعرفه وهو المقدم جميل فلما سمع ابراهيم ذلك تبسم كذلك موسى تبسم ولم احد منهم تكلم فقال ابراهيم هذا ابن عمكم يا رجال قالوا اما فيه كلام ثم تحولوا الركايب واقبل جميل وسلم عليهم سلام الحبايب وما منهم الاوصار يقول له بالسلامة مقدم وهو يسلم عليهم وقد جلس ابراهيم وهو لم يبدي سلام ولا كلام فقال له

الملك العادل يا ابراهيم اعلم ان هذا المقدام تمنى على مناصبك وقد اعطيته اياهم وصار هو غفير مبيتي وششنجي طعامي وراحة حربي اذا اشتد كربي واعاد عليه القصه فقال المقدم ابراهيم يا ملك الاسلام والاسم الاعظم هذا كافر وما هو جميل ومافي بدنه شعره تهز العرش بالتوحيد وان كان هذا جميل اخلي هؤلاء المقادم يضربوني بعامهم من الصوارم فقال الملك هذا أقر لله بالوحدانية ولمحمد بالرسالة وكل هؤلاء الرجال يعرفون مكانه ولا ينكرونه فقال له ابراهيم يا ملك الاسلام والاسم الاعظم ان المقدم جميل مات بوادي كذا وكذا وانا قد دفنته بيدي انا وكبيري المقدم موسى ولكن انت لك الظاهر واما الباطن فهو للملك العادل قالوا له المقادم ماسمعنا بذلك الكلام ولا شاعت بذلك اخبار في الآكام والقلاع قال ابراهيم يا ملك الاسلام اعطيني خطك وختمك يشهد عليك باني نصحتك وبحقيقة الحال اخبرتك فابيت وما رضيت فكتب له السلطان تذكرة بذلك فاخذها ابراهيم وقال يا ملك الاسلام اذا كان حصانين لم يرضوا ان يشربوا من مكان واحد ابدا وها انا مرادي ان اسير الى قلعة حوران فان طلبتني فعلى الرأس والاعيان وان لم تطلبني فها انا مقيم في ذلك المكان ويكفيك انت المقدم جميل قال له السلطان الرأي في ذلك اليك فافعل كلما خطر ببالك والسلام فعند ذلك اراد ابراهيم الرحيل فادركه الاغا شاهين وقال له ادخل يا ابو خليل الى خيمتي وتقيم هناك حتى تنقضي هذه النوبه فلا ترحل وتتركنا وما عليك من كلام الملك العادل من شيء فقال له يا وزير الزمان لاجل خاطرك اقيم ولكن لم تعلم الملك باني ها هنا ابدا قال له سمعا وطاعة (ياساده) ثم ان اللعين العايق سار الى الخلوات وقد ورد الي عرضي اللئام ونزل الى الميدان واسر عشرة من الابطال وعاد آخر النهار حسب عادته بنفر السلطان وقد صبر حتى نام السلطان وغرق في المنام واخرج منديلا بالبنج الطيار والقاه على وجه السلطان وهزه التي النوم على النوم وجعله في جمدان وزرر عليه بالزرار واحتمله وترك الصيوان وسار طالب جوان (قال الراوى) فبينما هو سائر في الوديان واذا قد لاح له زوال من ذلك المكان وصاح عليه بملء رأسه وقال ايش يكون الزول في ظلام الليل فلم يرد عليه فضربه بالقصاديه فحكمت في ذراعه

الا يعن ففضته مثل ماتنفض الكية القسب بالسلاح الماضي فصاح بملء رأسه واى
ورمى الجدان الذى هو حامله وسار طالب عرضي الكفار وهو يصيح بذراعه و يقول
واى واى الى ان اقبل الي عندجوان فقال و يلك ما الخبر فقال ادركني ياعالم الملة فقال
له جوان لاتخف ابدا ثم انه احضر الزيت والنار فى عاجل الحال و وضع الزيت على
النار حتى تغالى وجعل باقى الزند في ذلك الزيت الحار فأفق للعين على نفسه وماناله من
ذلك الا سواد وجهه وقطع زنده وعدم يده ثم سأله جوان عن حاله فاعاد عليه كلما
جرى له وكيف انه سرق السلطان وكيف جرى له ذلك فى الطريق وكيف انه عدم
السعادة والتوفيق فقال له جوان لاتحزن فما فعلت ذلك الا فى حب المسيح وسوف
ادعوه لك فيعيدك صحيح فجلس اللعين مع جوان فهذا ماكان من امر الخيال الذى
ضرب به بذلك القصادية فانه كان المقدم موسى بن حسن القصاص والسبب فى ذلك انه
ركب جواده وصار يدور حول العرضي خوفا على الرجال فلاح له ذلك الزوال فلما
دنى منه وصاح عليه فلم يرد عليه فعلم ان هذه علامة الخيانة فضربه رمى زنده وتقدم
بعد ذلك الى الذى وقع منه فوجده جمدان فظن انه مال سرقه من عند الرجال ففرح
بذلك الحال ففك الزرار وضرب يده فوجد السلطان وهو مبنج من داخل ذلك
الجدان ففرح المقدم بذلك الشان واعطا للملك ضد البنج عطس فقال اشهد ولا اجحد
بالدين العربى محمد اين انا فقال له المقدم موسى انت عندي ياملك الاسلام فقال له موسى
قال نعم قال له الملك عليك تفعل مثل ذلك الفعال وتعمل معى مثل هذه الاعمال فلاي
شيء تسرقنى من وسط الرجال فقال له يا ملك الاسلام انا ماسرقتك وانما انا وجدتك
مع زوال سائر بك في هذه الاودية الخوال وقد جرا من الامر ماهو كذا وكذا واعاد
عليه القصة من اولها الى آخرها وكشف له عن باطنها وظاهرها وقال له ياملك الاسلام
خذ هذا ذراع الغريم فقال له الملك هذا كله عندى محال والذى اقوله انك انت الذى
فعلت ذلك الفعال ودبرت هذه الاعمال لاجل مشدودك ابراهيم الحورانى لانك
نظرت اني قد استغنيت عنه بهذا المقدام الذي قد اتانى فقال ياملك الاسلام مابقى
فى الامر الا شيء واحد وهو اننا نسير مع بعضنا الى عرضى السلطان ان وجدنا جيل

هناك فا كون انا الذى سرقتك من دون رفقائك وان كان ماوجدناه فيكون هو الذي انا رميت يداه فقال الملك هـذا شرط ارضاه (ياساده) ثم ان الملك سار مع موسى بن حسـن القصاص الي الصيوان فما وجد جميل ولا ثقيل فى ذلك المـكان فقال الملك لا بد ان يظهر و يبان (قال الراوى) فبينما هم فى الـكلام واذا قد عبر عليهم المقدم جمال الدين شيحه فنهض له السلطان وسلم عليه سلام الاحباب واخـذه من تحت ابطيه واجلسه بجانبه فهناه بالسلامة والآخر حياه بالـكرامة ثم ان الملك شكى اليه بما جرى من المقدم موسى فقال له ياظاهر اعلم ان المقدم جميل قدمات وانقضت ايامه وفات وله مدة من السنوات وانا اعلم بذلك الحالات وماهذا الغدار الا بطريق قد ارسله اليك جوان والبرتقش الخوان واعاد عليه ماقد سناذكره من الـكلام وقال له كل هذا مادبروه الا وانا حاضر وناظر والان اريد منك عشرين من الرجال حتي اتمم بهما ما مضي واسير بهما من وقتى وساعتى وأما انت اذا طلع عليك النهار فاركب برجالك فانى قد فتحت الابواب وعطلت المدافع وذبحت الغفرجيه ولا احـد يعلم بتلك القضية لان الـكفار فى غاية من السكر والخمر المقار فقال الملك عند سماع ذلك الـكلام خاب والله من عادى نظر ابراهيم فوالله ما نظره الا صادق سليم فانى اجده الان يا اخى فقال له هاهو عند الاغا شاهين فامر الملك باحضاره فاحضروه فى عاجل الحال وشـكره الملك على ما فعل من الفعال وقال له خاب من عادى نظرك يا بوخليل من دون الرجال فقـال له ابراهيم وما الذي اعمل بهذه الـكلمة قال له لك على عشرة آلاف دينار غير الذى يخصك من الغنا ثم الـكبار فقال ابراهيم ماعلينا ياملك الاسلام وقد أخذ منه الاموال وبعد ذلك قبل يد المقدم جمال الدين شيحه قال له خذ فلان وفلان وعدله عشرين من اعيان الرجال ثم اخـذهما وسار من وقته وساعته فهذا ما كان من الملك فانه امر جميع الرجال باخـذ الاهبة للقتال وماطلع الفجر حتى كانت الرجال على غاية من الاهبة وقضا الاشغال وركب الملك العادل وسار طالبا ابواب البلد فوجدها مفتحة الابواب فعبرت الرجال وصاحوا الله اكبر فتح ونصر واخذل يا لثام من كفر فـما استيقظت الـكفار الاوحيها معكوس وشنيارها مكبوس

والسيف يلعب فى اعناقهم والطبر والدبوس لا بقى الخل يدري عن خليله ولا الصديق يدرى عن صديقه وقد جرى الدما وساح كالبحر الطفاح فلا بقيت تسمع للسيوف الا الرنين ولا للمجاريح الا الانين ولم يزل الملك والرجال يضربون فى الكفار بالسلاح مدة ثلاثة ايام بلياليها وقد فرغوا من البلد واهاليها وامر الملك بالاسلاب فلموها والى بين يديه قدموها ونهض الملك وجلس على كرسي انطاكيه وقد اخذت الرجال الراحة التامة لانفسهم واقاموا حول الملك لاجل الغنيمة فقال الملك العادل انزلوا الى دير البلد واتوا الى بالمقدم جمال الدين شيحة فانه هناك وقد قبض جوان والعايق وملك البلد والبرتقش الخوان فطلبوا ذلك الدير فوجدوا المقدم جمال الدين شيحه مشبوح وقد سال الدم منه وهو مضروب علقة كبيرة فلما رأوه على مثل ذلك الحال اطلقوه ومما هو فيه انقذوه واقبلوا به الى الملك العادل فلما رآه على ذلك الحال صعب عليه وكبر لديه وتغير حاله وقال له ما الخبر وما الذى اصابك ونالك فقال له يا اخي اعلم ان لي حكاية من العجب وذلك انى لما تركتك واخذت الرجال وسرت بهم الى ذلك الدير فاوقفتهم من داخل الجهات الاربع الذين في ذلك الدير فاوقفتهم من داخل الجهات الاربع الذين فى ذلك الدير وقد ارخيت عليهم الستاير ودبرت الحيلة التي انا طالبها وجعلت لي قليطة كبيرة بين رجلاى وقتب بين اكتافى ولبست لحية بيضاء وانحنيت وكانت هذه الليلة لهم عادة انهم يزورون ذلك البطريق الذى انا على صفته فى ذلك الدير وان الملك يعتقد فيه هو وسائر حواشيه وكان ذلك البطريق اسمه الفلس فقتلته وجعلت نفسى على هيئته فلما ان كانت الساعة الثالثة من الليل وقد دار الكلام بين الملك وجوان فقال الملك يا جوان لا بد لنا الليلة من زيارة الرهبان ونزول الدير ونتخلى بالشماس والمطران والبرق الكبير الذي ماله فى هذا الوقت من نظير قال جوان بطريق ايش قال له البطرق الفلس بن الوحش بن الطحش بن بلقيس بن ابليس قال جوان والله انى اظن ان هذا جمال الدين شيحة الذى هو عامل بطريق عندنا فى هذا الدير فقال له الملك يا جوان لا تسب البطرق ابدا فانه قد ربانى وربى ابى من قبلى وجدى من قبل

ابى فقال جوان انزل ياسيف الروم وانظر الي ذلك البطرق وعدالي واخبرني بالحاله واسأله عن النسبه فان كان هو زرناه وان لم يكن هو قبضنا عليه وقتلناه فقال البرتقش سمعا وطاعه ثم انه ياملك الاسلام اقبل الي وقدرآني فعرفني وقبل يدى وقال لى انت حافظ النسبة والا اقول لك عليها فقلت له سير وهات جوان والملك والعايق فانا حافظ النسبة فتركني وسار الى واعاد عليه ذلك الامر والشان فلما ان سمع جوان ذلك نهض على الاقدام واخذ العايق معه واخذ اكابر الدولة وكانوا عشرة وأخذ ملك البلد وساروا الي عندى فاول من قبل يدي ملك البلد وجوان من بعده لانه لم يمكنه ان يتأخر ابدا ثم قبلوا يدى وجلسوا عندي فجعلت اسألهم عن حالهم وما جرى لهم ثم قلت من هذا الذى معكم فقال لى الفرتما كوس هذا عالم الملة فقلت له ياعالم الملة انت تعرف فى العلوم المسيحية فقال لى نعم فقلت له ومن جعلك عالم الملة فقال لى اكابر النصرانية فانى احفظ الانجيل وادرى مافيه من التحريم والتحليل فقلت له الذى اعرفه انا ان الحوار يون الطيارون اذا صاح عليهم عالم من علماء الملة المسيحية اجابوه و فى عاجل الحال اتوه فان صحت عليهم انت واجابوك فانت عالم لملة لامحاله وان صحت عليهم ولم يجيبوك فتكون كذاب وانا ايضا اصيح عليهم فان اجابونى فاكون صادق فى الرهبانية وان لم يجيبونى فاكون كذاب بالكلية قال البرنقش هذا هو الكلام المليح والقول الرجيح وحق السيد المسيح فعند ذلك اشار جوان بطرفه الي برتقشه وهو ايضا اشار اليه وفهمت الاشارة منهما قال جوان بالاشارة ياسيف الروم انا بطول عمرى اقول يا حواريون ياطيارون فلم احد يرد على ابدا قال له البرنمش سوف ترى حزين من لا خدم زهرات ونظم هذا وقد قلت له صيح انت اولا يا جوان فصاح جوان بملء رأسه وقال ياحوار يون ياطيارون فما احد برد عليه قال الملك فرتما كوس صحا انت عليهم يابونا البطرق فرفعت صوتى يااخى وصحت ياحوار يون ياطيارون واذا بالرجال الذي من داخل الستاير وقد خرجوا الى وهم يقولون لى نعم ياراهب الزمان وقد هجموا على الجميع وحملونى على اكتافهما فى الحال فقلت لهم سيروا من ساعاتكم الى السلطان وامروه بالركوب على تلك الاوطان

ودعونى انا فى هذا المكان مع هؤلاء الاقران حتى اشتفى منهم بهذا السوط العظيم الشان ثم انى نهضت فى عاجل الحال وشبحت الجميع وجعلت اضرب فيهم واعذبهم العذاب الوجيع والبرتقش ليتناصدقنا عالم الله جوان هذا الذى كانوا نا ارجو الفرج من المسيح فى هذا الوقت والساعة فبينماهم كذلك واذا بدخنة من البنج ورمى الدخنة اللعين ساحر الارمنى اخو اللعين العايق ثم انه خلصهما وعاقنى وفيقنى وضربني ضربا وجيعا حتى اشرفت على الهلاك وسوء الارتباك ولم اظن بعيشتى ابدا ثم انه تركني وخاف من عاقبة هذا الامر فهرب عنى وتركني وقد اخربت انت البلد وانا مشبوح حتى سألت عنى انت وارسلت احضرتنى اليك وسالتنى عن حالتى اخبرتك بقصتى والسلام (قال الراوى) فلما سمع الملك ذلك الكلام تعجب منه غاية العجب وقال والله يا أخى لقد شق على ما جرى لك من هذا الملعون فى هذه النوبة قال له يا اخى لا بد لكل انسان من خصم وعدو لكن الان اعلم انى سائر ادور على جوان والملك الفرنتما كوس والعايق بن مجرب فلا تبرح من مكانك هذا حتى انى آتى اليك او تأتيك عنى الاخبار واعلم يا اخى ان هذا اللعين عنده فى ذلك البلد خمسة آلاف يسيروها فى طابقة فى اسفل الدير فارسل اليهم وخلصهم مما حل بهم وانتم عليهم وانتظر نى فانى سائر الى هذه الحاجات والسلام ثم انه تودع من السلطان وسار طالب البر الاقفر فهذا ما كان منه (قال الراوي) واما ما كان من الملك فانه أمر بان يهدموا انطاكية وذلك بعد ان خرج منها واخرج كل ما كان ماسور فى المطامير وقد انعم عليهم وأمرهم بالمسير الى اهاليهم فمنهم من سار طالب الديار ومنهم من خدم عند الملك العادل ثم اقام الملك واذا بنبع يقبل الارض فقال الملك من اين والى اين قال يا ملك الاسلام من مدينة سيس قال الملك مامعك من الاخبار فاعطاه كتاب ففضه وقرأه وفهم رموزه وفهم معناه واذا فيه الصلاة والسلام على صاحب المعجزات خطاب عن المقدم جمال الدين شيحة سلطان القلاع والحصون الذى نعلمك به انا سرنا الى البر فسبرنا الى مدينة سيس فرأينا اللعين الفرنسيس قد اتى اليه جوان والفرنتما كوس والعايق وقد اغراه جوان على العصيان فعصى واغلق المدينة

وايام الحصارات وركب المدافع وقطع الطرقات عن المسافرين فدخلت الي خان
واقمت فيه وقدوجدت فى طريقى هذا الوادى وهو يقال له العصب بن العرفيل
يبقى ابن اخت حسن النسر بن عجبور وجري لي معه احوال كثيره واطاعني
على شروط عملتها بيني و بينه وسوف احكى لك عليه ان شاء الله واعرفك ان حال
وصول جوابى هذا اليك تأتى بالرجال والابطال الى سيس ويفعل الله ما يريد
والسلام (قال الراوى) فلما ان قرأ الملك الكتاب التفت الي العصب وقال له يا فتى
ما الذى حصل لك مع المقدم جمال الدين شيحه وكيف كان السبب فى ظهورك
ومقابلتك معه قال له يا ملك الاسلام ان هذا رجل سعيد ومن عاداه لم يكن رشيد وقد
جرالى امور وشدائد واحوال ومقاصد وذلك انى خرجت الى اللجج مع ابن اختى
المقدم حسن النسر ابن عجبور فجعلنا ندور على معروف فما وجدنا له خبر ولا كيفية
اثر نعد نا الى اللجج وقد ثقلت ظهورنا بالاموال وقال لى سيرانت قدامي الي القلاع
واكشف لى خبرها حتى اذا اقبلت انا الى هناك اكون على بصيره من امرى فسرت
انا قدامه حتى دخلت الارض والبلاد وسألت عن الخبر فاخبرونى بان المقدم جمال
الدين صار ملكا وسلطان على سائر الاخوان والاقران وقد اطاعوه الرجال فقلت
لبالى سير الى خالك اعلمه بان الارض ركبتها رجال غيراهلها فلم ازل سائر حتى اقبلت
الى وسط الطريق ما بين انطاكية وسيس فمررت الى مغار لاجل ان اكسر القيالة
فيه فوجدت رجلا مغربى جالس من داخل المغار وهو يعزم و يهمهم و يترجم
ومعه مجمرة وفيها اشياء من البخور فقلت له السلام عليك يا هذا قال لي
عليك السلام الله ينجى رأسك غلطتني فى العزيمة يا ولد الطحان قلت له ما الذي تريده
من هذا المكان قال لى هنا كنز من المال وانى اريد انا اخرجه وأعود به الى بلادى
فقلت له هل تريد الشريك والمساعد قال نعم اقعد معى وامسك البخور فانت تبخر
وانا اعزم واذا طلع المال لك فيه الثلث فقلت فى نفسى طاوعه حتى اذا خرج المال
آخذه انا ولا اعطيه منه الا القليل ثم انى تقدمت يا ملك الاسلام الى ذلك الجمره
وطرحت فيها البخور وصعدت الدخنه فاترميت انا ووقعت فى الارض من ساعتي

فهم على رشجني وقلت له لاي شيء فعلت معي هذه الفعال قال لي انت كنت تريد ان تأخذ المال كله لنفسك وتتركني بلاشيء وقد ظهر لي منك ذلك فقلت له اطلقني وانا احلف لك يمين معظم باني لا اخونك في درهم قال لي فتح عينك واعلم اني انا سلطان القلاع والحصون الذي قال فيه الشاعر المصون هذه الابيات

شيحه جمال الدين يعني الظاهر * سلطان من شد الشوا كر في اللقا
يوم الصدام وعزم سيفي قاهر

فقلت له ما الذي تريده مني قال لي اريد منك الاطاعه مثل ما اطاعوني باقي الجماعة فقلت له اعلم ان خالي غائب وللان لم يظهر وان انت قدرت على فلم تقدر عليه قال لي دعنا الآن من خالك وعليك بنفسك فقلت له انا لا اطيعك الا بعد ان العب معك ملاعيب فان غلبتني اطيعك وان لم تغلبني فلا أطيعك ابدا فقال لي وانا رضيت فلما ان تقرر الامر بيننا على ذلك اطلقني من وثاقي وقال بذلك لي والاسم الاعظم اذلم اغيظك في ذلك اليوم والليلة سبع مرات لم يكن لي استحقاق ثم تركني فضيت الى حال سبيلي وتركته هو يمضي الي حال سبيله ثم قلت لنفسي اسير من ها هنا ولكن خليني حتى يمضي ذلك اليوم والليلة فاذا انت فعلت ذلك قد فز بالملاعيب وغلبته فدخلت الى خماره في انطاكيه فرحب بي الرجل الخامرجي وأجلسني وانا في بالخمر السقار فشربت فثقلت رأسي وادخلني الى داخل الخمارة وشبحني وفيقني فقلت له من انت قال جمال الدين فقلت له انا تركتك وانت مغربي وأتيت الى هنا فكيف فعلت فقال لي اني عرفت ضميرك فاقبلت الى ذلك الرجل وقتلته و قمت مكانه حتى اتيت انت فقبضتك والسلام فقلت له هذه الثانية ثم اطلقني فخرجت من الخمارة وانا خاسر وقد ظننت ان الدنيا كلها شيحه فسرت الى الخلوات واتيت الي بستان فدخلت فيه فرأيت رجلا سواق على السواقي فاقبلت اليه وسلمت عليه فرحب بي وقال لي مرحبا بك انت غريب فرأيته ياكل وكنت جائعا فقلت له ما هذا الذي تأكله فقال لي خبز قد اتيت به من داري فقلت له اعطيني شيئا منه قال سمعا وطاعه

وناولني فاكلت فثقلت رأسي وفي عاجل الحال وقعت فشبحني وفيقني وقال هـذه الثالثه فتعجبت من ذلك وخرجت هاجا على وجهي فرأيت في طريقي رجل درويش ومعه ابريق وطبله صغيرة فقلت لابد ان هذا شيحه فتقدمت اليه وقلت بالاسم الاعظم الاكرم ما انت الاجمال الدين شيحه فقال لي والاسم الاعظم انا فقلت له مرقت منك السلطنه ثم قبضت عليه وقد ضربته بكليه يدي على جانبه الايمن فخرج منه ريح فثقلت . أسي ووقعت الى الارض من وقتي فقبضني وفيقني فقلت له انت ساحر ياشيحه فقال لي لا والاسم الاعظم فقلت له انت جعلت البنج في بطنك فقال لا وانما حكمت يدك على جراب الحيله فخرجت منه تلك الروايح الجميلة فقلت له وهذه الرابعه ثم تركني وفـكني فسرت وقد جاء وقت العصر فرأيت رجلا سماك ومعه سمك وهو يبيعه فقلت لنفسي خذ شيئا من هذا السماك لاجل عشاك فاخذت منه شيئا وصعدت به الي الجبل واتيت بالحطب وأوقدت النار وشويت السمك واكلت فثقلت راسي فقبضني وفيقني فزاد عجبي منه فقلت هذه الخامسة ثم انه في سادس مرة قبضني من دير خراب دخلت ابات فيه فما رأيت احدا من الناس فقلت في نفسي قد استرحت منه فبينما انا في ذلك الدير واذا برخامه سقطت من تحت رجلاي فنزلت اهوى على راسي وقد اغلقت البلاطة كما كانت فصحت انقذني ياسلطان القلاع والحصون عز نصرك فادركني وقال لي هذه السادسة وخلصني من ذلك فخرجت من الدير هاجا على وجهي فلقيني غلام صغير في طريقي وهو يبكي فقلت له ولاي شيء يكون هـذا البكاء فقال لي ياعم اعلم انا بويا اعطاني شريني ذهب اقضي له به حاجه فوقع مني فقلت له لاتخف فانا اعطيك غيره ثم اني ياملك الاسلام ناولته شريني ذهب فمسكه ومعكه بيده وقال لي خذ ياسيدي انت تريد ان تضحك علي وتعطيني معاملة نحاس فاخذته منه وتأملت فيه وطرقته على حجر فرايته نحاس كما قال فتعجبت من ذلك غاية العجب وقلت اعطيه غيره ولم اشعر حتى خرجت منه روايح زكيه فرمتني الي الارض في عاجل الحال فشبحني ثم فيقني وقال لي هذه تمام السبعه فما تقول في الاطاعة فقلت له انا اطيعك الان مادام خالي غايب واما اذا حضر خالي اكون مثله فان هو اطاعك

اكون انا طائع وان لم يطيعك فاكون انا مثله فقال لى هذا الذى انا طالبه منك ولم اكتب اسمى على شواكرك حتى انى اطيع حسن النسر بن عجبور والاسم الاعظم فقلت له انا اطيعك على ذلك واطعته وحلفت له بالاسم الاعظم فاعطانى هذا الكتاب وسيرنى به اليك فأتيتك به وسألتنى عن حالى اخبرتك بقصتى والسلام على نبى تظلله الغمام (قال الراوى) فلما سمع الملك العادل ذلك الكلام تعجب وقال والله اذا ولدت الولاده كل يوم الف ما يأتى رجل مثل هذا الرجل ابدا ثم ان الملك انعم على المقدم العصب وقال له سير الى حال سبيلك فانا فاعل الذى امرنى به اخى فسار من وقته وساعته والسلطان امر بالرحيل فاخذوا الاهبة ورحلوا ولم يزالوا كذلك حتى انهم اقبلوا الي مدينة سيس فحط الملك عليها وقد احتاط بها من جانب البر وخرجت عليه النار من الجهات مثل الجمر اذا ابتدر فحط الملك على حد النار واقام بالرجال ثلاثة ايام لاجل الراحة ثم ان الملك كتب كتابا الى اللعين فرنسيس وختمه وقال يا ابن حسن قال له نعم قال له خذ هذا الكتاب وسير به الى ملك هذه البلده وهات لي منه رد الجواب ولك عندى خمسة آلاف بشرط ان كتابى يكون محفوظا وتعود به الى عندى ولم ينقص منه شىء ابدا واذا شرط منك الكتاب ماذا افعل معك قال له اذا شرط منى الكتاب والاسم الاعظم اسلم لك فى نفسى حتى تقتلنى ثم اخذ الكتاب وكان هذا اول المكاتيب الذى اخذهم ابراهيم فجعله على راسه بين شده وخنطه ثم انه افتقد سلاحه وعدته وركب حجرته وسار طالب البلد حتى وصل الى بابها فطرق الباب فتصايحوا عليه الفرجيه وقالوا من بالباب قال لهم نجاب فاستاذنوا عليه من الملك ومن جوان فقالوا لهم افتحوا الباب له حتى نرى ما فى ذلك الكتاب ففتحوا له فعبر بقلب اقوى من الحجر حتى دخل الى الديوان ووقف امام جوان وصاح بملء راسه قاصدا ورسول وما على الرسول الا البلاغ بالدين العربى قوم يا فرنسيس على حيلك بادب خذ مني كتاب ملك الاسلام بادب قرأه بادب واعطيني اياه وكذلك رد الجواب بادب وحق الطريق بادب ان عملت أهلا للادب سرت من قدامك بأدب وان لم تكون اهلا للادب فلله عندي

جا نب لا أضيمه وللحظ عندي والخلاعات جا نب قال جوان قوم على حيلك وخذ
الكتاب واعلم ان الشطاره ماهي على الكتاب ولا على النجاب بل الشطاره على حومة
الميدان فعند ذلك نهض فرنسيس على الاقدام ومد يده يأخذ الكتاب واذا بابراهيم
قصر بيده قال له لاي شيء ياسيدي قال له اسمع مني واعلم ان الملك كتب هذا الكتاب
اليك في ساعة جلال يكون كاتب لك لعنة أو سبه او شتمه أو كلمه لم تكون على مزاجك
تقول لك نفسك تقطع الكتاب والاسم الاعظم قبل ان تنزل منه قطعة الى الارض
تكون قرعتك انت وجوان سابقة وأما كل اهل بلدك هؤلاء ناس قليلات على
شا كريتي وانا البطل الاروع فعند ذلك تعجب اللعين فرنسيس من قوة كلامه وشدة
عزمه واهتمامه قال له ياسيدي لا تخاف ثم أخذ الكتاب وفضه وقراه وعرف مافيه
ومعناه واذا فيه خطابا من ملك القبلة وخادم الحرم الى بين ايادي الكلب الا كلب
والذئب الاجرب اللعين الفرنسيس ان أردت السلامة من النقم والوجود من العدم
تقبض على جوان والبرتقش الخوان وتاتى الي عندي وانت مكشوف الرأس حافي
الاقدام ارميك في نطعة الدم مايشفع فيك احد ماعندي من الرجال وارتب عليك
الخراج في كل عام كان ان فعلت ذلك كان لك الحظ الاوفر وان لم تفعل ذلك الميدان
يبين الشجاع من الجبان وحامل الاحرف كفاية عن كل خبر قادر ياتى بك الى عندى
اسيرا او ذليل او قتيل او طائع او مختار على كل حال كان والسلام قال فلما قرأ اللعين
الكتاب التفت اليه جوان وكان قرأ الكتاب من ظاهر الورق فقال له تقبض جوان
ان فعلت ذلك وطاوعت رين المسلمين تكفر اوعى لنفسك ان تقبض عالم الملة ولكن
اكتب ردا الجواب بالحرب والقتال فعند ذلك ناول ابراهيم الكتاب بادب كما امره
فاخذه منه ورده في خنطسكه ووضعه في عمامته وكتب له ردا الجواب بالحرب واعطاه اياه
اخذه منه ووضعه تحت كعبه من داخل جزمته فتعجب اللئام من ذلك كل العجب
ثم صاح اللعين الفرنسيس وقال له روح لحالك قال ابراهيم انا لم انتقل من هاهنا الا ان
اخذت حق الطريق قال جوان وما يكون حق الطريق قال ابراهيم بن حسن خمسة
آلاف شريفي حق الطريق منقودين معدودين مسرودين والذي لم يعجبني أرده

وآخذ غيره قال جوان برب المسيح روح يارجل لحالك فنحن لا ندفع لك شيء قال له اعلم ياجوان انى لم انقل الا بحق طريقي او برأسك و برأس كل ماكان معك قال جوان يارجل امضي لئلا يحل بك مني التعب وأخلي البطارقة يسقوك كاس العطب قال له ياملعون والاسم الاعظم لا بد من حق الطريق والا اعدمتك انت ومن معك ويكون لي السعادة والتوفيق فانحمق اللعين من قوله وصاح في ابطاله و رجاله وقال لهم واي عليه يا بطارقة

(قال الراوى) فما استتم اللعين جوان كلامه حتى جردت الكفار سيوفها وتقدمت الي البطل الاروع بحروبها وسنانها فتبسم المقدم ابراهيم من ذلك وتاخر الي خلفه وجرد شاكريته وتلقى هذه الامم بمفرده وقد صاح حاس يا كلاب الروم الله اكبر وصاح ينشد هذه الابيات وهو يقول

الله اكبر كم قد قتلنا مفترى ... وكم دحينا في العجاج غضنفرى
وكم لي من وقائع شاع ذكرها ... عند الفوارس فى نهار اغبر
اما تشهدولى يارجال لانني ... ابديت كل مهلل ومكبرى
ابدت للدين الحنيف فوارسا ... وخليته من كل طاغ مفترى
اما تشهدولى ياالقوم فانني ... قدشاع ذكرى فى الوري والمعشر
اماتشهدولى يوم سيس وحربها ... مع قومها تحت العجاج الاغبر
انا الذي للكفر اهدم صورها ... واهدم ركن الكافرين بابتر
اهجم على الغابات اقتنص اسدها ... والهيش اوقد كل ذاك العنبر
انا ابراهيم فارس قومه ... يوم الهيجاء بشدتي وتبصرى
فبصارمى ارمى الرؤوس جميعهم ... و بهمتى اخلى البقاع الدوسرى
و بحربتى ابيد كل حياتكم ... و بطعنتى أفنى القلوب الجبري
و بصحتى اذهل عقولا للعدا ... وبهجمتى اردى النجوم الزهرى
انى انا ابراهيم لى فخرازائدا ... لى مطعن يعلق بتبع مع حميرى
وصلى يا الهى على المصطفى ... للعالمين يشفع فى نهار المحشر

ثم ان المقدم ابراهيم بعد ان انشد ذلك الشعر والنظام حمل حملة الاسد الضرغام وصار يقاتل فى وسط اللئام فلم يزل يقاتل و يصيح و ينشد الاشعار و يضرب فى رقاب الكفار حتى سمع الملك صياحه من داخل سيس وسمعت الرجال مقاله وما نطق به من اقواله ففرح الملك بذلك وقال لاهل العرضى يا رجال ابراهيم ها هو يقاتل الكفار من داخل البلد بمفرده فدقوا له الطبول من عندنا حتى انه يشتد قلبه و يقوى ظهره ولا تبرد عزيمته فعند ذلك ضربت الكاسات ونقرت البوقات من سائر الجهات قال ولما ان سمع المقدم ابراهيم هذه الحالات اشتد وزاد عن الحد وابذل الجهد وصار يرمى الرؤوس كالاكر والكفوف كاوراق الشجر وكل ما اتى الي مكان ناخرت عنه الكفار وهابوه الكبار والصغار وقد تركه جوان مع اهل الطغيان ودخل الى ثاني مكان هذا وقد زاد صياح ابراهيم على الطبول والكاسات ولم يزل على مثل ذلك الحال وهو يقتل والرجال من عرضى السلطان تضرب له الطبول حتى جن الظلام وهو ثابت الاقدام وكلما صاح الله اكبر ترتعد ابدان الكفار ولو كانت ابواب البلد مفتحة لكانوا اولوا الادبار وقد تندم جوان على ما اهلكه ابراهيم من الاقران لانه قتل فى ذلك النهار اوفى من سبعة آلاف و بيده اسقاهم كاس التلاف (ياساده) ولما ان جن الظلام بالاعتكار تأخر ابراهيم عن القتال وترك الكفار يضربون فى بعضهم البعض بالبتار وقال لنفسه دعهم يقتتلون مع بعضهم الى ان يطلع النهار ولم يزل كذلك الي ان اقبل الى آخر المعركه و باب الديوان واذا بشيء قد جذبه الي خارج ذلك المكان فابعده عن الاوطال فتامل ابراهيم لينظر ما الخبر واذا به المقدم جمال الدين شيحه صاحب الحيل قال له ولاى شيء فعلت ذلك يا جمال الدين قال له يا ابوخليل وعلى قدر ايش تفتري بنفسك لاجل حق الطريق فدعهم الآن وخذ هذا العقد فهو بخمسة آلاف شريفى وارح نفسك من هذا النسف قال ابراهيم هات ياحج شوحه من يعلم اعدمها ثم انه اخذه وادخله الى خانه الذى فيه وداوى له الجراحات الذى قد اصابته فى ذلك اليوم وقدم له الطعام فاكل هو وشرب وحمد الله وقال له يا ابوخليل اعلم ان لبدنك عليك حق وهو النوم

فارح نفسك من هذا التعب ونام الى الصباح وسير من هذا المكان فانك تخرج منه الى عرضى السلطان ولا تعبر من باب ولا من مكان قال له هذا هو الصواب والامر الذى لا يعاب ثم ان المقدم ابراهيم نام وتوكل على الملك العلام حتى جاء الصباح واضاء الكريم بنوره ولاح وتودع من المقدم جمال الدين شيحة وقال له ها انا سائر الى عرضى السلطان فاذن له فى ذلك فتركه ابراهيم وسار حتي خفى عن المقدم جمال الدين شيحه وعاد قاصد الديوان فهذا ما كان من امر هؤلاء

(قال الراوي) واما ما كان من امر اللعين جوان فانه لما ان طلع النهار وبان كل شيء للنظار فلم يسمع لابراهيم صوتا ولا ندي فظن لعما قلبه انه قدمات فقال للبطارقة الله يقل اعدادكم يا كلاب هذا واحد يقتل منكم هذه القتلة كلها ولكن راح المنطار فدوروا على رأسه فى اشباح القتلا فبينما هو يتكلم بمثل ذلك الكلام واذا بابراهيم طلع عليه وهو يقول حق الطريق يا جوان قال جوان يا رب المسيح احفظني من هذا الوجه القبيح ماذا تريد يا راجل قال له اريد حق الطريق قال جوان كم شر يفى قال ابراهيم عشرة آلاف دينار خمسة حق طريقى وخمسة اجرتى فى اليوم الماضي قال جوان يا كناس تمنطر الكرستيان وتاخذ على ذلك اجره ولكن عليه يا بطارقة فتهاجمت عليه الكفار فجرد حسامه البتار وصاح بملء رأسه وقال حاس الله اكبر ثم انه جعل ينشد هذه الابيات يقول

انا البطل المقدام يوم الحروب ... اذل الكفرة بالسيف الصقيل
اجم الرؤوس كالحصد ضما ... واهدر الدم يجرى يسيل
اصبح بملء رأسي على الاعادى ... وابرى بسيفى كل رمح طويل
اذا اشتد الغبار يوم التداني ... تركت عداى فى الويل الوبيل
اضرم النار بحد سيفي ... واشعل نارها كل الشميل
تري العداة مني رماة ... هذا قتيل وهذا جديل

وهذا قطيع الزند مع الايادي وهـذا يعج على الرميـل
وهـذا قد سافر بغـير زاد وهـذا عازم على الرحيـــل
بيـدى حسام ابتر قد كل منـه كل حسام متـــين صقيـل
ورمحي العسال مارأيت كمثـله وما له مثـل ولا مثيـل
حرب سيس كان قصدى وبغيتى ودم الفرسان يجرى كـثيـل
انا الذى شـهدت لى الاعادى اولاد عمى بنـوا اسماعيـل
بانى لاأبالي بالحرب يوما ولا أمل من حرب طويل
شيخى بشرنى بانى احارب ماشئت منهم ولا اموت قتيل
كلام استاذى عندي صحيح فدونكم يالئام وشرب الو بيـل

(قال الراوى) فعنـد ذلك سمع السلطان ندائه وصياحه على اعدائه قام الملك بدق النو بة التركى والمزمار الملـكى فاشتد بذلك ظهر المقدم ابراهيم على الاعادى وقاتل كل آت وغادي ولم يزل يقاتل ويجاهد و ينشد الاشعار ومضي النهار وتاخر كعادته بالامس واذا بالمقدم جمال الدين شيحة جذبه اليه وجعـل يعاتبه و يلوم عليه وقد قال له لاي شيء يكون هـذا الطمع وماهذا التلقى الي الهلاك والجزع وانا قد اعطيك حق الطر يق و امرتك ان لا تعود الى قتـال وملك و بطر يق فقال له يامقدم اعلم اني اطعنك فى امرك وسمعت قولك ولكن انا تهت وسرت قولك ولكن انا تهت وسرت من عندك قاصدا الي الملك فما وجدت نفسي الا قدام جوان فقال له خذ هذا العقد فهو يساوى عشرة آلاف دينار واذا كان من الغد تسير الى الملك ولا تعود الي تلك الديار فقال ابراهيم لك على ذلك كفاك الله شر المهالك ثم انه ناوله الطعام فاكل وشرب وداوى له جراحاته ونام الى الصباح وقال له ها هو طريقك من ها هنا فقال سمعا وطاعة ثم تركه وسار فهذا ما كان منه (قال الراوى) وأما ما كان من امر اللعين جوان فانه التفت الى الملوك والبطارقة وقال لهم انا ما رأيت احدا مثل ابراهيم الحورانى قالوا له الملوك اذا كان الملك عنـده عشرة رجال مثله فانه لا يحتاج الى كثرة العسا كر فقال جوان ياأولادي قد كان الذى كان وماهو الا شرب كاس

الموان فدوروا لنا على رأسه حتى نكون فى اطمئنان فبينماهم كذلك واذا بالمقدم ابراهيم طالع الديوان وهو يقول حق طريقى ياجوان فقال جوان احفظنى يامسيح فما تريد ياهذا قال له اريد خمسة عشر الف شريفى لانى قاتلت يومين بعشرة آلاف وحق طريقى خمسة آلاف فقال جوان ياراجل استحي على عرضك فانك قد اهلكت الاقران وافنيت اهل الصلبان وتاخذ على ذلك دراهم واحسان فقال له لابد من ذلك فقال حوان عليه يابطارقة فتلقاهم ابراهيم وصاح بمل رأسه الله اكبر فتح الله ونصر واخذل بالرجال من كفر وجعل ينشد هذه الابيات

الله اكبرانى جيت انني ... احرمكم ركوب الصنامات
انى اخلى منكم الاوطان حتما ... لوتكونوا عددا لحصا والنباتات
انالو حصلت اشجع فارسا ... ولقيته سائما قبل الوفاة
لحاربته لوكان الف عنتر ... واسقيته بيدي كاس الممات
سلوا عني الحصون وساكنها ... فرسان اللقا والطيبات
فهم عن فعالى يخبر وكم ... بهمتي وشجاعتي والمكرمات
انالى الذكر فى اولاد عمى ... انا لهم مثل الحصون العاليات
قران جمعا سلوا عني الا ... حتى الصغار مع البنات
هم يخبروك الآن عنى ... شديدا وم في ضرب المرهفات
كذاوحوش البرلذكر اسمى ... تهرول جيشها جمع الكمات
ان لم تعطونى المال حقا ... افنيتكم جميعا بالشتات
ولا روع منكم رفيقا ... ولا رضيعا ومرضمات
صلى الهى على الحبيب ... المجبي نسل الطاهرات
من جاءنا بالهدي ومن ... اتاه الله المعجزات
صلاة مع سلام دائما ... ماطلعت شمس على الكائنات

فعند ذلك ضربت الطبول والانقره والزمور ولم يزل ابراهيم يقاتل حتى

ذهب النهار وجاء الليل بالاعتكار فجذبه المقدم جمال الدين اليه وصار يلومه ويعتب عليه وقد اعطاه ثلاثة عقود بثلاثين الف دينار وحلف بالاسم الاعظم انه لم بقه يحارب الكفار ثم انه اجابه الى ذلك فقطب جراحاته واطعمه الطعام وامره بالمنم فهذا ما كان من امر هؤلاء واما ما كان من اللعين جوان فانه مازال صابر حتى طلع النهار هذا والكفار قد فتكت بعضها البعض وقد شربوا كؤوس الردى طولا وعرض فقال جوان وبعد ذلك اما رأيت رجلا مثل هذا ابدا ولكن لا بد انه قد مات فقال له الفرسيس ياعالم الملة واذا لم يكون مات فما لذى تصنع وهذا بمفرده قد اهلك الافيال وافني نصف الرجال وهو لا يبالي بشرب كاس الوبال فبينماهم كذلك واذا بالمقدم ابراهيم طالع من باب الديوان وهو يقول حق الطريق ياجوان يامعرص والاسم لاعظم اذا قمدت احاربكم سنة من الحول الي الحول فلابد أن آخذ حق طريقي منكم والا فقولوا لي عليه يابطارقه فقال جوان مابقاش احد منهم روح المنطار وقد كانت الكفار هابته وخافت منه اذا نظرت طلعته فلو قال جوان عليه يا بطارقه ما كان احد منهم يطيعه ابدا لما رأوا من فعال ابراهيم وقد علم منهم جوان ذلك والفرنسيس (ياساده) فقال له جوان فما يكون حق طريقك فقال له عشرين الف دينار الثلاثة ايام بخمسة عشر الف دينار والكتاب ويجيئي به بخمسة آلاف دينار قال له جوان اعطوه عشرين الف دينار فعند ذلك أعطوه ذلك المقدار ونزل ابراهيم من الديوان وأخذه الفرح بما فعله من ذلك الشان وقد فتحوا له البطارقة الباب وماصدقوا له بالذهاب فسار الى عرضي السلطان فلما رآه الملك نهض اليه وسلم في عاجل الحال عليه وقد قبله بين عينيه ودقت له الطبول والانقره والزمور وتزين له العرضي ثم ان الملك امره بالجلوس فجلس وقال له اين الكتاب فناوله الكتاب الاول بالصحة والسلامه ورد عليه رد الجواب فرآه الملك بالحرب والقتال فعطعه وسأله الملك عن حاله وماجرى له فاعاد عليه القصة من اولها الى آخرها وكشف له عن ظاهرها وباطنها وكيف أخذه شيحه وداواه وبذل له من المال وأعطاه فلما سمع الملك ذلك تعجب غاية العجب من فعال شيحه وجسارة قلب ابراهيم فامر له الملك بعشرة آلاف شريفي واقام

الملك ذلك النهار فلمـا ان كان اليوم الثانى فتحت ابواب البلد وضربت الكاسات
وأمر جوان الكفار بالحرب والقتال وتزل لى الميدان بطريق بمزق الحديد باياديه
عزيق فصال وجال وطلب الحرب والقتال فقال الملك ابرزواله ياعصبة الاسلام
فابتدر اليه الامير أيدمر البهلوان فقتله وبرز الثانى جندله ولم يزل ايدمر يقاتل
ويجاهد الي وقت الاصفرار وقد اهلك جماعة من الكفار ورجع آخر النهار وهو
يقشط الدما من على ملابسه مثل قطع الكبد الكبار فصاح الملك بذلك الآثار
وتلقى ايدمر البهلوان واما اللعين جوان فانه قد ازداد هما واحزانا وكذلك كامل اهل
ملة الصلبان ولم يزالوا على مثل ذلك الشان مدة عشرة ايام فبينما الملك جالس في بعض
الليالي واذا بالمقدم جمال الدين قد عبر اليه فنهض له على الاقدام قال له يا ملك الاسلام
اعلم ان الابواب مفتحة والغفرجيه مذبحة وهؤلاء الملوك الاثنين والعايق المعيق
وجوان والبرتقش الخوان فاركب الآن واكسر ملة الصلبان فقال له الملك يااخى اعلمنى
كيف فعلت وما الذى قد صنعت فقال له اعلم ياملك الاسلام انى عبرت الي البلد
وقعت ذلك الخان حتى ار بينكما الحرب والطعان وقد نزلت على جوان الاحزان
فعبرت الى داخل المدينة ودخلت على شرافة دار الملك وكان اسمه كوكار فذبحته
وأخذت ملابسه وأقمت مكانه ورميت جثته فى سجن هناك وجعلت البنج فى الخمور
وأسقيته لاهل الكفر والفجور وجعلتهما واحدا بعد واحد الي ذلك الخان
وتركتهما هناك ونزلت على الغفرجيه فذبحتهما واخذت المفاتيح من تحت
رؤسهما وفتحت الابواب وعطلت المدافع بالماء واتيت اليك فاركب الآن قبل انتباه
اهل الطغيان فعند ذلك ركب فى عساكره ودساكره وعبر الي البلد فوجدها مفتحة
الابواب فتوسط البلد هو ورجاله وساح الله اكبر وجعل ينشد الاشعار ويقول

انا ملك القبلة انا خادم الحرم * انا الملك المنصور بيبرس ذو الهمم
وقنطارية بن ابادبس ملكتها * ولتى عشرة ارطال بيدى قد احتكم
تحتى جواد ادهم قد شاع ذكره * صبور على الهيجاء لاقط ينحكم
حولى اجارية الحصون كانهم * سباع واعدايا كانهم الغنم

سلطانهم شيحه انا شاكر له * به نلت املي وبلغت به الحكم
ومثل جمال الدين ماعاد ينتسي * من الآن حتى ان تقوم من العدم
فيارب صلى على محمد وآله * واصحابه اهل الوفاء مع الكرم

ثم ان الملك جعل يقاتل ويشادد ويجاهد وتقدم الامير ايدمر البهلوان وجعل ينشد و يقول

انا مفتاح حرب المؤمنين * بسيفي اعلوا رؤوس الكافرين
و بهمتي اصول على الاعادي * و بنيتي اتوسل بالمرسلين
قد شاع ذكرى باني شجاع * ولى الامان من رب العالمين
فابرزوا الي يالئام والتقوني * سأدعكم على الارض مجندلين
فاني عليكم اليوم اعلوا * وذا كله بعزم امير المؤمنين
سأملا الارض منكم دما * واشبع الوحوش السائرين
واقطع الهامات حقا بسيفي * حتي اكون من الفائزين
وانا ايدمر البهلوان اسمى * فارس الميدان بطول السنين

(قال الراوى) ثم ان الامير ايدمر البهلوان جرد الحسام وجعل يضرب فى اللئام ومعه جماعته وسائر دولته واذا بقائل يقول الله اكبر

انا البطل المهاب * يوم الحروب ووقع الضراب
ابراهيم اسمى وانى * على الاعدا مثل الالتهاب
هم الاغنام بين يدى * وانا الذئب كبير الذئاب
بيدي اطحن القوم طحنا * واسقيهم شراب العذاب
واقطع الرؤس مع الايادي * واخرج الارواح بالقرضاب
واقطع الحلاقم بحد سيفى * وكذا الخصرات وكذا الضراب
وانا الذى قدشاع ذكري * وهمتي قدعلت على الاصحاب
انا الذى تعرفوني ولا * تنكرونى يوم المصاب
انامفني الكفار بحدسيفي * وسن رمحى مع الاعصاب

شريف انا انسب لطه * رسول الله نبينا المهاب
عليه صلاة الله ثم سلامه * ماسلمت احبابنا على احباب

ثم ان ابراهيم جمل يقاتل ويصيح ومامن المسلمين الا وانشد الاشعار وضرب بالسيف البتار واوقد النار وكان صابرا كل الاصطبار هذا وقد وقع في الكفار الفنا ونزل عليهم الهم والعنا ولم يقدروا ان يستعدوا في اللقا حتى ادركهم الشقا ومحقوهم الاسلام محقا وشربوا كئوس الموت دهقا ولا بقا الخل يدرى عن خليله ولا الصديق يدرى عن صديقه وقد جرى الدما وساح مثل البحر الطفاح ولم يزل السيف يعمل والدم ينزل والكفار تتجدل والاسلام فيهم تقتل حتى ذهب الليل والنهار اقبل والملك يصيح الله اكبر فتح الله ونصر واخذل يالئام من كفر والاسلام تقافل وتصطبر حتى فات ذلك النهار واقبل الليل بالاعتكار واقاموا الليلة الثانية على مثل ذلك العيار واليوم الثانى لوقت لز وال ولم يبق الكفار ابار بل ان الجميع شربوا شراب الوبال وايد الله الاسلام بتوحيد الملك للعلام وجلس الملك على تخت سيس واعر الرجال بجمع الاسلاب والمال فجمعوها في عاجل الحال ووضعوها بين يدى الملك بالكمال فعند ذلك امر الملك باحضار الملوك فاتوا بهما اليه فشبحهما ابراهيم وفيق الجميع الرفيع منهم والوضيع فلما راى الملك جوان قال له ياجوان قال له مال جوان ها انتم تنتفعوا من جوان احسن من بطالتكم وماتشكروا جوان فى ذلك الفعل فقال الملك ياملعون يافرنسيس من الذي اغراك على العصيان قال له ياامير المؤمنين اغرانى جوان فقال جوان اخرس فانا اعمى عينيك هو انا عقلك يا كناس وحق المسيح اذا كنت بطريق عند امير المؤمنين لا خليه ينطرك فتبسم الملك من ذلك الكلام فبينماهم كذلك واذا بالمقدم جمال الدين شيحه وقد اقبل فسلم عليه الملك وتلقاه واخذه الى جانبه فرح بملتقاه فقال المقدم جمال الدين شيحه ياخويا اضرب هذا اللعين العلقتين واتركه يمضى الي حال سبيله وخذ هذين الملكين واجعلهما عندك فى القيود والاغلال حتى اذا عبرت الى المحروسة تركب بهما ثم انك ياملك الاسلام تقسم هذه الغنيمة على من يستحقونها وتخرج قسمى منها وتكلف لى

به سماط حتى انى اعمل العزومة للاشراف ولى في ذلك ماَرب سوف تراها واذا انت
فعلت ذلك دع ابراهيم بصيح على وانا آ تى اليك تلك الساعة وانت يا ابراهيم خذ
هذا اللعين العايق بن بجرب فهو فى تسليمك واذا اهرب منك والاسم الاعظم تكون
أنت بداله قال الملك والملكين ايضا يكونوا عنـده فتسلمهما ابراهيم وحرس
عليهما فهـذا ما كان من امر هؤلاء (قال الراوى) واما ما كان من امر الملك فانه قسم
المتاع واخرج لكل ذى حق حقه واعطى لكل انسان مايستحقه وعمل السماط
والمأ كل الى جمال الدين شيحه وامر ابراهيم ان يصيح عليه فصاح ابراهيم وقال انت
فين ياسلطان الفلاعين والحصونين واذا به قد اقبل عليهما تلك الساعه فوجد
السماط قد امتد وقد ملى بالاوانى فعند ذلك امر المقدم جمال الدين المقادم ان يصطفوا
حول ذلك السماط ففعلوا ما امرهم به ثم قال لبعض الرجال انصب لى هاهنـا ثلاثة
أخشاب مثل الحمارة ففعلوا ذلك ثم انه غير الى خيمة صغيرة واغلقها عليه وغـير
وبدل وفتح الخيمة وخرج منها واذا به مثل الجنى الذي يفزع منه كل من رآه فلما
ان رآه المقدم ابراهيم بن حسن صاح بملء رأسه ياسيدى غوث ياساكن حلب
ادركنى ياشيخ رسلان ياساكن الشام ادركنى اعوذ بالله من هذه الصفة قال وكان
المقدم جمال الدين شيحه لبس اللباس الجديد والصديري الجلد وتحزم وتشمر ومعه
شاكرية تلقط النصف من على رائق الرخام واذا جرها وعلى مستحدها تتساقط
منها شرار وكانت هذه البدله من صنع الحكيم اينان ثم امر بشبح العايق بن بجرب
فشبحوه وقال لابراهيم نادى على رؤوس الرجال كل من اطاع المقـدم جمال الدين
فاز من الوبال ومن عصاه يفعل به مثل الذى ترونه من الفعال فنادى ابراهيم بذلك
الاقوال هذا وقد تقدم المقدم جمال الدين شيحه الى العايق وقال له ماتقول فى دين
الاسلام قال له لا اسلم ابدا ولو اذقتنى شراب الردي فعند ذلك جرد الشاكرية وجرها
على رأسه وصدره وسلخ جلده من بدنه وجمع الجلد فوق السرة وقال له ياعايق والاسم
الاعظم ان انت اسـلمت وطعتنى انا ارجعك احسن ما كنت وان ابيت ندمت قال
له افعل ماتريد فلا اسلم ابدا فعند ذلك قشط سرته فخرجت روحه من جثته وعجل

الله بر وحه الى النار و بئس القرار فكمل باقى سلخه فبينما هو كذلك واذا وقفوا
من و ط القاديم وكانوا هؤلاء داود وشاهين المسايطة اصحاب قلعة مسياط
وجردوا اشوا كرهم وصاحوا الله اقوى قلب منك واشد حيل ياخناس تخرج الرجل
من طيز رجل نحن ما نطيعك ابدا ثم انهم ضربوا الاثنين بالشواكر فعطس تحت
السيبية فوقع اللطش فى العايق وداسوا من وسط ذلك الطعام وطلبوا البرارى
والاكام فهذا ما كان من أمر هؤلاء واما ما كان من المقدم جمال الدين شيحة فانه
ظهر بعد ذلك واخذ الجلد فدبغه وحشاه وركب العيون القزاز وقد رجفت من
فعاله ساير الناس وارسل بعض الاتباع وامران يعلقه على القلعة الذي له فصار
وعلقه فهذا ما كان منه (ياساده) ثم ان المقدم جمال الدين شيحه شرو سروطه
على المقاديم وكتب اسمه على شواكر الجميع الرفع منهم والوضيع وقال للملك
الآن قد اخذت ثارى من هذا اللعين وان وقع فى يدي اخاه فعلت به مثله واذقته
الموت واشكاله والآن فاني اريد ان اسير خلف هؤلاء الاثنين وافعل بهما كل
فعل شين واما انت فسير برجالك الى مصر والحق هؤلاء الملكين مع الثلاثه الذى
هناك فهم يبقون خمسة واقيم هناك حتى تاتيك عني الاخبار ثم تودع منه وسار
الي حال سبيله فهذا ما كان منه واما ما كان من الملك فانه ضم العسكر والرجال واخذ
الملكين وكان قد ضرب جوان الملقتين وطرده وهدم قلعة سيس وارتحل بالمقدم
ولم يزل ساير الي ان اقبل الى العادلية فوصلت الاخبار الى السعيد بن السلطان
فامر بالزينة والمهرجان وركب الملك بالملوك وقد كثرت بين الناس الاقاويل فى
ذلك وهم يدعون له ويثنون عليه حتى انه جلس على تخته وتوطن كل انسان
فى محله وامر الملك بسجن الملكين وسجنوهما والى الملوك اوصاوهما فهذا ما كان
من امر هؤلاء (قال الراوى) واما ما كان من الصعب بن الغرقيل فانه عاد كما ذكرنا
الى الخلوات وقصد السفر حتى انه اجتمع بالمقدم حسن النسر بن عجبور فلما ان
رآه هناه بالسلامة قال له دخلت القلاع قال نعم فقال له هل ظهر المقدم معروف
قال لا ياخوند ولكن بان الارض ركبت عليها ناس خلاف اهلها وتسلطن على

الرجال رجل قصير بدوى من عرب غزه فقال له ارنيه مايعرف نقلية مايدري هذه الاسماء المخبطة فلما ان سمع منه حسن النسر ذلك الكلام قال له لا بدا نه شجاع وقرم مناع ولولا ذلك ماحصل المطال قال ياخالاه قدسألت عن ذلك فاخبروني بانه لم يقدر ان يركب حمار ولا يطفيء فتيلة النار قال له وبأى شيء اخذ السلطنة قال اخذها بالاحتيال فعند ذلك ازداد غضب حسن النسر بن عجبور وصار مع الغضب حتى دخل قلعته وقدسلمت عليه سائر كواخيه ورجالته ثم اتاه الحلاق حلق له قرعته واعطاه المراية اعجبته ا نسته فنظر الى باب القلعة واذا به يرى راية معروف قدا نطوت ذات اليسار وراية شيحة مفرودة ذات اليمين ووجد فيها الكرسي الملكي والشاكرية وان ذاك القلعة من جملة القلاع التي بيضها شيحة وكتب اسمه عليها وقال يارجال ماهذا الحال فانني ارى القلاع مزرقة قالوا له هذا اسم سلطان القلاع والحصون الحج شيحه عز نصره فلما سمع بذلك صاح على الرجال وقال يارجال ومن اتى به وجعله سلطان على الرجال قالوا له الملك الظاهر قال انا ما نسرفه ولكن هذا معزول يارجال قالوا له افصل مابدالك وها نحن مقيمين في القلعة حتي انك تقابله فان طيبت القلاع منه اطمناك وان هو غلبك فنحن على ما نحن عليه من اطاعة الرجل قال لهم المقدم حسن ماقلتوه فهو الصواب وانا ان وقع في يدى هذا الخناس ترون ماافصل به (قال الراوى) فبينما هو يتحدث مع الرجال كما ذكرنا واذا بالاثنين المشايطة وهما داود وشاهين داخلين عليه فسلموا عليه فسلم عليهم وامرهم بالجلوس وقالوا له نحن فى عرضك ياوليد عجبور قال لهم فما الخبر وممن تستغيثون بى منه وقال له من سلطان القلاع والحصون المقدم جمال الدين شيحه وقال لهم وكيف ذلك فاعادوا عليه ماقدجرى لهم وماالذى فعلوه من امورهم وكيف انهم ضربوه بالشواكر وكيف انهم لخبطوا السماط قال لهم الآن انتم عاصين عليه قالوا نعم قال لهم وانا الآخر عاصي فاقيموا عندى حتي انى انظر حالى معه ولا تبرحوا امامه ففرحوا بذلك واقاموا الا انهم لم قدروا يعبروا قلعتهم خوفا من شيحه فاقاموا على مثل ذلك فهذا ما كان من امر هؤلاء واما ما كان من

المقدم حسن النسر بن عجبور وماقد يقع له من الكلام العجيب فانه التفت الى العصب وقال له يا عصب قال نعام ياخلا قال له هل رأيت شيحه بالنظر أم لا قال له نعم ياخال رأيته ولكن ما اخذت منه ولا اعطيت وقلت لنفسي حتى يحضر المقدم و يفعل مثل ما يعرف قال له امرتك ان تأتي به الى عندى فى قلعتي وانا بين اهلى ورفقتي قال له سمعا وطاعة ونهض من تلك الساعة وهو يتأسف على مثل ذلك اللفظ الذى قاله لخاله و يقول ليتنى لم اقول له انى رأيته ابدا ولكن لم بقى ينفع من ذلك شيء ثم انه سار من وقته وساعته وطلب البرالاقفر فبينما هو سائر واذا به يري رجل فقير على رأسه عمامة من الليف وتحت ابطه ابريق وطبلة و بازوهو يقول كلام الفقرا و يذكر الله تعالى قال له تعالى يا فقير فأقبل اليه قال له ما اسمك قال له الشيخ عدس فقال له عدسك البلا بالاسم الاعظم ما انت القصير فقال له انا القصير ما اعرفه انا القصير لم رأيته فعند ذلك احتمله على كامله وسار به حتى عبر الى المقدم حسن النسري ابن عجبور وقال له ياخال هذا القصير ها هو اتيت لك به فعند ذلك التفت الي المقدم جمال الدين وقال له من انت قال له رجل فقير على باب الله قال له اسمك قال له اسمي الشيخ عدس فضحك المقدم حسن النسرى من كلامه ونهض فى عاجل الحال على اقدامه وخلع اقدامه وخلع عمامته من على رأسه وقلعه الدلق فبان له عن ملابس العياق وقال له بالاسم الاعظم ما انت شيحه الذي يقولون عليك قال نعم انا شيحه يامقدم حسن قال له قف على حيلك فوقف وقال له اقعد فقعد قال له هل لك طول غير هذا الطول قال له لا ياخوند قال له انا مرادي انصحك لله تعالى قبل ان اصطنع لك العذاب كما يصطنع الاديب الاداب قال له قل ما تريد قال له انت ما تريد قال له انت ما تقول فى انك تفوت السلطنة وتمضى الى حال سبيلك قال له ياخوند السلطنة روح انت من طريق وانا أروح من طريق قال له الآن أمنت مني على نفسك وما كان مرادى الا اني اسكنك رمسك ولاى شيء ما تركتها قبل الآن قال له يا مقدم ما رأيت من يصلح للسلطنة من الرجال ولما ظهرت انت وسألتنى على ذلك فعرفت انك اهلا للسلطنة وهي اهلا لك وانت احق

بهامني ومن غيرى قال صدقت امضي الي حال سبيلك فنزل شيحـه وهو لا يصـدق بالنجاه ولم يزل ساير حتى اقبل الى قلعة عجبور فقبض عليه البواب وكان من اولاد الادرع وقال له بالسلامه يا حج شيحه احمد الله الذى نجاك من يد الخوند قال الحمـد لله رب العالمين قال له البواب هات حلاوة السلامة فلاجل القضا وضع يده فى جيبه فلم ير فيـه شيء من الحطام فاعطاه الخنجر وقال هذا يساوى الف دينار حتى آتيك بالدراهم وآخـذه منك قال له البواب وما الذى اصنع به انا ما آخذ الا دينار ذهب فبينما هو مع البواب واذا بالاتباع نزلت تجرى من القلعة يطلبون المقدم جمال الدين شيحه قبل ان يسير فى البر فادركوه عند البواب وهو قابض عليه فاخذه اخذة العدم فالتفت الى البواب وقال له انت كنت السبب فى وقوعي وانا احسن ربى خلاصي فلابد ان اجازيك قال له البواب لما تبقى تخلص من يد المقدم ابقى علقني من بيضاني على باب القلعـة قال له المقدم جمال الدين شيحه وانت عند قولك والاسم الاعظم هذا وقد وساروا به الرجال طالبين المقدم وكان السبب فى ذلك باش كواخيـه انه قال له ما فعلت مع المقدم جمال الدين شيحه قال له ترك السلطنة ومرق الى حال سبيله قال له حلف لك بالاسم الاعظم قال لا قال له غـدا يضحك عليك ولو كان صـادقا لحلف لك بالاسم الاعظم فلما ان سمع المقدم حسن ذلك الكلام منهم صاح فى الاتباع وقال لهم على بالمقـدم جمال الدين قبل ان يسير فتجارت الاتباع فرأوه عند الرجل البواب كما ذكرنا فقبضوا عليه كما وصفنا فهـذا كان السبب فى ذلك (ياساده) ولمـا ان احضروه بين يديه قال له المقدم حسن يا شيخ انت تركت السلطنة قال نعم قال احلف لى يمين بالاسم الاعظم انى بطول ما انا طيب لم تتعرض للسلطنة قال فلما سمع المقدم جمال الدين ذلك تبسم وقال له يا مقدم فتح عينك واستيقظ لنفسـك فو الاسم الاعظم بينك وبين السلطنـة كما بين السماء والارض فعند ذلك تغير كيانه وقال لرجاله اقبضوا عليه يا رجال فقبضوا عليه وامر بمده فمدوه بعد ان كتفوه والى الارض طرحوه فنهض المقدم حسن وجردشا كريته وضربه بها صفحا ثمانين وقال لهم قـدوه والى السـجن ادخلوه يفعل به ما أمر المقدم حسن هذا وقد اقبل المقـدم عجبور وعلم بتلك الامور فجعل

ينهى ولده عن هذه الفعال وهو لا يقبل منه قال هذا ولما ان كان وقت العصر صاح المقدم حسن النسري على اتباعه وقال هاتوا القصير فأتوا به قال له تحلف يمين بالاسم الاعظم ام لا قال له افعل ما بدا لك فضرب به العلقة الثانية وامر بسجنه والعذاب في المغرب والعشا كذلك وبعد العشا وعند النوم كذلك وقد ضرب به سبع علقات كاملات وهو لا يصيح ولا يقول له ولا أواه ابدا فلما ان جن الليل ونامت العيون قال المقدم جمال الدين و بعد ذلك وانت صابر يا جمال الدين ثم انه اخرج من جراب حيلته حبا يعرف معنا اذا بلعه الانسان تغيب روحه اربعة وعشرين ساعة واخذ منه ثلاث حبات بلعها وجعل ثلاث حبات آخر تحت لسانه يتحلل منهما روايح اذا استقرت الرائحة فى جوف الانسان ردت روحه اليه فلما ان ابتلع ذلك الحب انطرح على الارض وسار لا يعرف الطول من العرض (يا ساده) فلما ان اصبح الله بالصباح واضاء بنوره ولاح نزل المقدم حسن الي دكته وصاح على الرجال هاتوا القصير فذهبوا اليه ليأتوا به فرأوه قد مات قالوا اله يا خوند القصير مات قال هاتوه هذه حيلة انا اعرفها فأتوا به اليه وهو على تلك الحاله فضرب به علقة اخرى فما وجد فيه شيأ يتحرك ابدا فامر بسجنه واظهر لرجاله ان هذا من بعض حيله ثم انه طلع الى القلعة واجتمع با بيه وقال له ان القصير مات قال له يا ولدي اذا علم الملك بذلك يهدم قلعتنا على رؤوسنا ولا يبالي بنا ولا بغيرنا والرأي عندي اننا نصبر حتى يمضي ذلك النهار وناخذه انا وانت سرا وندخل به الى البستان ونحفر له وندفنه فيه بعد ان نكفنه ونصلي عليه وندفن سلاحه و بدلته معه والارض تكتم الاسرار ولا يعلم بحالنا احد دلك وقالى قل لهم انه هرب من السجن ولا نعلم له وطن ابدا قال له ولده يا ابي هذا هو الصواب والامر الذى لا يعاب ثم انهما ضربوا اسكتة حتي فرغ النهار واقبل الليل واتوا الاثنين الى السجن واخذوه من بين ايديهم حملوه وساروا به الى البستان واتوا بشيء من الاكفان وغسلوه وكفنوه وعلى الاخشاب وضعوه وصلوا عليه وربطوا بدلته وعدته وجعلوها فى مخدته واتوا بالغلق والفاس وجعلوا يحفرون له قبرا على قدره بالقياس وجعل عجبور يحفر وحسن يشيل التراب حتى تهيأ الفراغ من تلك الاشغال وقال

المقدم عجبور سير يا حسن وحات القصير قال وكانت المدة قدمضت وتنبه المقدم جمال الدين وافاق على نفسه فوجد القطن والكفن فخرج من الكفن فوجد بدلته تحت رأسه فاخذها واخذ الكفن فالتفت يمينا ويسارا فما وجدا حدا من الناس فهرب من بين الاشجار وخرج من وقته الى البرارى والقفار هذا وقد اقبل حسن التابوت فوجده خالى ومافيه شيء فصاح على ابيه وقال يا عجبور القصير اتى الي عندك قال له لا ياولدى وكيف ياتى الى عندى وجده قال يا ابى ماهو هنا ابدا قال ابوه ياولدى اعلم انه رجل مظلوم وربما اراد أن يدفن فى البقيع أو فى مكان احسن من هذا المكان فامضي بنا الى حال سبيلنا ولا نذكر هذا الكلام لاحد من الانام فمضوا الاثنين وهما حايرين ودخلوا الى قلعتهما واقاموا وهما متعجبين مما شاهدوه ولم يزالوا كذلك حتي جن الليل بالاعتكار وطلبت العين حظها من المنام فقام المقدم حسن من داخل قلعته وكذلك أبوه نام عند زوجته فهذا ماكان من أمر هؤلاء (قال الراوى) واما ما كان من امر المقدم جمال الدين شيحه فانه لبس مثل رجل من الاتباع وعبر الى القلعة وتمكن منها وصبر حتى رقد البواب فبنجه وتركه مرمى خلف الباب ثم صعد الى اعلا القلعة وعبر على المكان الذى فيه حسن فرآه نايم فبنجه وجعله فى جمدان وكتب كتابا وتركه مكانه ونزل به من باب القلعة ففتح الباب واخذ البواب وشيحه على باب القلعة من بيضانه واعطاه ضد البنج عطس فرأى نفسه بهذه الحالة الشنيعه فتأسف على مافعله من الامور وصاح يستغيث فلا يغاث ولم يزل مشبوحا حتى مات وتركه شيحة واخذ حسن وسار بمالى الفلوات فهذا ما كان من امر شيحة واما ماكان من امر المقدم عجبور فانه نزل عند الصباح يصحى ولده فرأى الدار قفره والمزار بعيد ووجد الكتاب فقرأه واذا فيه يارايح قول للجاي مافكره فى هذا الرأى ماعمل هذا العمل وبلغ هذا المنى والامل الا المقدم جمال الدين شيحه ياعجبور اعلم ان ابنك قليل الحيا وأخذته اربيه ولا اتركه الا للاطاعة او الي مدفنه واذيقه العذاب كما فعل بى

أضعاف واسقيه كاس التلاف واما البواب فانه شرب من الموت اوفى شراب والسلام فعند ذلك لطم المقدم عجبور وضرب يد على يد وطلع عند زوجته واعلمها بالقصة فبكت وتبدل السرور بالاحزان وانقلب ذلك المكان بالعويل والهوان فهذ ما كان من امر هؤلاء (قال الراوى) وأما ما كان من امر المقدم جمال الدين شيحه فانه اخذ المقدم حسن النسر كماذكرنا وسار به الى الخلوات كما وصفنا ولم يزل سائر به حتى اقبل به الي غابة من الغابات واعطاه ضد البنج عطس اوقال اشهد ولا اجحد بالدين العربى اين انا قال له نت عندي ياقليل الادب قال له انا الميت الذي كنت تريد تدفنى فى بستانك ولكن ماتقول في الاطاعة وانا اسامحك في جميع مافعلته معي قال له اعلم انك اذا قطعت من لحمى واطعمتنى فلا اطيع رجل قصير مثلك ابدا قال له وانا اغني عن ذلك ثم انه اخرج السوط وضربه ول علقه وقد تدلت جلدة صدره فقطعها ودهنها وأخذه وسار به الى ثانى غابة وفعل به مثل ذلك ولم يزل يضربه فى كل غابة حتى انه ضربه اربعة وعشرين علقه وهو لا يزداد الا قسوة وعنادا (ياساده) ثم انه تركه مشبوع وسد عليه الغابه وسار الى الخلوات فبينما هو سائر واذا به يجد بطرق كبير ومعه جماعة قاطرجيه معهم بغال وحمير عليهم رخام فلما رآهم شيحه سار تابع اثرهم حتى انهم نزلوا فى مرج من المروج لاجل الراحة فصبر شيحة حتى انهم استقر بهم الجلوس وتزيا بزى بطريق ودخل وسطهم وجعل يكلمهم بكلامهم ويستخبر عن احوالهم وقد اخذهم السكر والمنام فلما ان ناموا الجميع نهض المقدم جمال الدين شيحه وبنج هذا البطريق الكبير وأخذه وسار به الى الخلوت وقد اقبل به الي غابة وشيحه واعطاه ضد البنج عطس وقال شكر يامسيح انا فين قال له انت عندى قال له ومن تكون انت قال له انا عيسى البر يحيى راهب مدينة القيقول ومهندسها وكل مافيها اولادى قال له ومن اين انت مقبل بهذه الاحجار وما الذى تريد ان تفعل بها قال له اتينا بها من جبل الرخام ونريد ان نبني بها دير وكنيسه فى مدينة القيقول قال له وانا مين قال له لا ادرى قال له انا جمال الدين شيحه ماتقول فى دين الاسلام قال له

اخرس يا كناس ياهبلار يا مقطوع النخاع والزنار ايش هذا الكلام الفشار ان كان مرادك تقتلني فافعل فاني لا اغير دين الاجداد الذين هم عليه من قديم الازل فعند ذلك قال له والاسلام غني عنك ثم انه ذبحه من الوريد الي الوريد واخذ ملابسه وسار وقد زيا نفسه بزى عيسى البرجى وسار الي الكفار فلما رآوه نهضوا له على الاقدام واجلسوه ووقفوا فى خدمته وسألوه عن غيبته قال لهم اعلموا انى اتاني السيد المسيح واخبرنى عن دير فى هذا المكان وامرني ان آخذ الذي فيه وابنى الدير على اكتافه والكنيس لان المسيح غضبان عليه ومن جنانه يقول على شيحه ويسبنى ويملني مسلم فاذا قال لكم ذلك فلا تصدقوه بل اضربوه باياديكم على راسه قالوا له يا ابونا تخرق عينه قال لهم اصبروا حتى اني امضي اليه وانظره وآتى اليكم بخبره لاني اخاف ان يراكم احد من الحواريين الطيارين قالوا له افعل مابدا لك فنهض وسار الى ان اقبل الي ذلك الغاز وعبر على حسن بذلك الزى والصفة فما عرفه بذلك بل قال له يا معلم تعالي اطلقني من وثاقى فقال له يا حسن اعلم انى جمال الدين شيحه فارح نفسك من الشقا من قبل ان ابنى عليك ذلك البنا واجعل الكفار يضربوك و يعذبوك ولا يطعموك ولا يسقوك فقال له يا خناس هل خلق الله خلقا من غير عقول لا يدرون ما اقول فاذا انت فعلت ذلك ما اقول لهم هذا شيحه فيطلقوني و يقبضوك و يحل بك البلاد واكون انا خالص وانت مشبوك قال له سوف ترى ثم تركه وسار الى عند هؤلاء الكفار وقد عرفهم باسمائهم ثم اخذهم وسار بهم الي ذلك المغار فلما نظروه تصايحوا عليه قال لهم يا رجال انتم من غير عقول تعالوا الى عندي واسمعوا ما اقول قالوا له ما الخبر قال لهم اعلموا ان هذا الرجل هو شيحه القصير وانا فداوى عاصى عليه اسمي حسن النسر بن عجبور قال واحد منهم للآخر اسمع كلام ابن عجبور ثم انهم قالوا له انت تسب ابونا الكبير وتقول عليه هو مسلم يا كناس فما يكفر ذنبه يا بونا فقال لهم كل واحد منكم يضر به بيده على رأسه فجعلوا يهرعون اليه و يضربوه وهو يصيح و يقول هو عيسى البرجى بذاته يا ملاعين ثم انهم اداروه كتاف وساروا

له الى مكانهم و وضعوا فيه السلاسل والاغلال وتوكلوا به ولم يزالوا سائرين الي
ان اقبلوا الي مدينة القيقيول و بقي بينها و بينهم يوما واحدا فامرهم الراهب
بالنزول وقال لهم لا تدخلوا البلد الا في غد فاطاعوه في ذلك و نزلوا ولما ان جن
الليل نهض المقدم جمال الدين شيحه وقد اخرج البدله التي عملها له الحكيم يونان
في كل مكان لاجل اتمام مناصفه فلبسها و زررها فكل ما شك الزرار في العروه
يعلوا عن الارض قامه واذا اخرج الزرار من العروة ينزل الي الارض قامه فلما
ان ارتفع ذلك العلو دخل الى البلد مثل الطاير وعبر الي سراية الملك القيقيول فرآه
نايم مكب على وجهه نومة اهل النار في النار فحكم البوق النحاس على قفاه و نفخ
فيه فخرج من ذلك البوق شرار و نار فنزل على الملعون القيقيول فافاق من نومه
مرعوب وهو يستغيث بالمسيح و يقول من انت يا هذا اتريد ان تحرقني وتحرق
بلدي بنارك فقال له اعلم اني حواري طيار على دين المسيح اسمي الحواري
محرقون امرني المسيح بالنزول عليك وعلى البطرق عيسى لان معه يسير غضبان عليه
المسيح وهو ما به عقل ومن جنونه يقول على عيسى البريجي هذا شيحه فاذا قال
لكم ذلك فلا تصدقوه وكل من صدقه كفر بالمسيح وان انت صدقته نزلت انا
اليك وحرقت بلدك وقصمت ظهرك فقال وحق المسيح لا اصدقه ابدا ثم ان
لشيحه نفخ فصاح اللعين لا تفعل بحق المسيح فتركه ومضى من حيث اتي وسار الى
الخلوات وخلع البدله وقد جعلها في موضعها وسار الى الخلوات وخلع البدله وقد
جعلها في موضعها وسار الى عند اللئام الذي اتى معهم ونام في وسطهم الى ان طلع
النهار وقد سبقت الاخبار بقدوم عيسى البريجي فامر له بالموكب و نزل في خواصه
و تلقاه فسلم عليه شيحه وقال له يا ولدى اعلم انه في ليلة امس اتاني حواري اسمه
محرقون وقد خوفني خوفا شديد وفعل معي فعلا غير حميد وامرني بعذاب اليسير
الذي ارسله المسيح معك قال له يا ابني شفته وعرفته قال اين هو حتي الى انظره
واعذبه عذاب شديد ماعليه من مزيد ثم انه قدم اليه حسن النسر فلما ان رآه قال
له انت الذي غضب عليك المسيح قال له اسمع يا معلم انت عاقل والا مجنون فقال له

انا عاقل قال له هذا شيحه الذى يقتل اولادكم و يسبي نساءكم و يذبحكم وانا رجل فداوى من اولاد اسماعيل عليه فاطلقني واقبضه فقال له يا كناس تسب الراهب الكبير وتقول عليه انه مسلم ولكن ماالذى يكفر ذنبه يابونا فقال اضربوه كل واحد منكم لطشه بيده على رأسه فهرعت اللئام وجعلوا يضربونه وهو يقول لهم عيسى البرجي ماهو شيحه والله لا يوريكم ندا ياقرون ثم انهم جروه الى داخل البلد واقام المقدم جمال الدين شيحة ثلاثة ايام لاجل الراحة ولما ان كان اليوم الرابع امر المقدم جمال الدين شيحه باحضار شيخ الحدادين فلما حضر قال له اريد منك ان تصنع لى بدلة من الحديد المصفي يكون وزنها عشر قناطير بالف رطل وتصفيه فيخرج سبعمائة رطل وتعمل لي منطقة بسلسلتين ذات اليمين وذات اليسار قنطارين وتعمل لى طوق بسلسلتين قنطار و خلخالين واسورتين قنطار ثم تعمل لى قارب ثلاث قناطير ويكون يؤخذ فى قلبه قنطار طوب وقنطارطين فقال له سمعا وطاعة ثم نهض وفعل ما امره به من تلك الساعة فلما اتاه به نهض المقدم جمال الدين شيحة ودخل على حسن فرآه يبكي و ينوح من كبد مجروح وهو يقول هذه الابيات

ايادهر ارحمني ورق لحالتى　　فقد اجريت دمعي وعبرتى
واوليتنى امرا لم اكون بليته　　وابعتنى اهلي وزوجى وخالتى
واذقتنى طعم المرار بكاسه　　وان الليالي العزعنى تولت
فرق يادهر لحالي منك تكرما　　الى ولا تمتني بحسرتى
حكمت فى الاعادي بشومها　　وأوليت العدو اغالى رتبة
فياأسفى على الزمان وأهله　　وياحسرة اهل العز والولاية

فبينما هو كذلك واذا بشيحة داخل عليه سلام فقال له سلام ماتريد ياقصير قال له ياحسن امتثل قبل ان تنظر بعينك العذاب الاليم والشقاء العميم قال له افعل مابدالك فما انا ممن يطاوع مقالك فعند ذلك امر البطارقة فأخرجوه واتاه بتلك البدله فالبسوه ووكل به عشرة من البطارقة يضربوه وقال له شيل من هذا

الطوب والطين حتى علاهذا القارب وتسير به الى البنايين فأجاب الى ذلك وسار اذا ملا القارب وحمله اتبعوه خمسة انفار بايديهم الاسواط واذا اعاد تبعوه الخمسة الاخرهذا وقد وقف يهندس لهم المقدم جمال الدين شيحه جدار الكنيسة والدير وامر ان يأتوه بالطفل الاصفر والابيض فاتوا به فجعل الجدار ادناه كله من ذلك الطفل الاصفر واصطنع له المجارى النافذات على الانهار والآبار وسد عليه من جهة ذلك البنيان وما فعل ذلك الا لاجل شيء يعرف معناه هذا وقد اشتغل حسن النسر فى ذلك المكان ووكل به جماعة آخر النهار يسجنوه فى سجن ضيق ظلام وله فى كل يوم ثلاثة اكماب بقسماط وفجل وبصل ولم يزل كذلك مدة يبني حتى انه انتهى وعدم القوى ولم بقي يقدر على النهوض قال فليوم من بعض الايام دخل عليه المقدم جمال الدين شيحه فرآه يبكي و ينوح من كبد مجروح قال له ياحسن طاوعني وارحم نفسك قال له آه ياخناس على من يؤدى خبرى لابى ولو نظرنى ابى المقدم عجبور قال فلما ان سمع المقدم جمال الدين شيحه ذلك منه قال له ياحسن اكتب كتاب الى ابيك وانا والاسم الاعظم اسافر اليه واعطيه الي ابيك فى يده واقول له انا شيحه سبع مرات وان لم افعل ذلك ليس يكون لى استحقاق واذا انا سافرت لابد ان ارحك حتى اعود اليك ثانى مرة فعند ذلك اتاه بالدواة والقرطاس فكتب الكتاب وختمه وبرشمه وطواه وناوله الى المقدم جمال الدين شيحه فعند ذلك اخذه وسار الى عند الملك القيقبول وقال له ياولدي اعلم انى اتانى ليلة امس الحوارى محرقون وقال لى ان المسيح يأمرك بزيارة الغمامة القدسية المتيقة فأجبته الي ذلك ومرادى ان اسافر وانت تبطل الاشغال حتى اعود اليك وترتب لهذ البسيرماً كول طيب ومشروب طيب لاجل ان يا خذ لنفسه الراحه فاذا انا رجعت تكون اخذته العافية وتنقله من السجن ياولدى الى بعض المخادع و يكون عليه الغفر ليلا ونهارا ولا تغمض عنه طرفة عين فعند ذلك اجابه بالطاعة وتودع منه وسار ولم يزل سائر الي ان اقبل قريبا الى قلمة عجبور بلع حبا يعرف معناه فنزلت عليه

شعور هائلة ولبس الكبود ودولت اظفاره وزلن وهو يقول الله تعالى
يفك سجن المسجونين و يفرج عن المكروبين ولم يزل يقول حتى اجتمعت عليه
الناس وجعلوا يسألونه عن حاله فقال لهم يا ناس اعلموا انى اسير اتيت من بلاد النصارا
هارب وكان معى عشرة آلاف اسير وعرفت بعض اسمائهم وذلك انى رأيت رجلا
يقال له الحاج عثمان من أرض الحجاز الله يفك سجنه ورأيت رجلا من العراق يقال
له الحاج شعبان الله يفك سجنه ومازال يقول مثل هذه الاقوال حتى قال ورأيت
رجلا يقال له حسن عجبور من القلاع الله يفك سجنه قال فلما ان سمعوا ذلك تجاروا
الرجال الى عجبور وهو جالس يبكى و ينوح على لده فاخبروه بما جرى لهم مع
اليسير فنزل بنفسه الى اعلا القلعه وقال يا رجال على باليسير فاتوا به اليه فسأله عن
حاله فقال له اعلم ان هناك رجلا يقال له شيحه بيعذب ولدك انا شيحه شفته بيضرب
ولدك انا شيحه جمال الدين سلطان القلاع رأيته يشغل ابنك انا شيحة جمال الدين
سلطان الفداوية نظرته يجوع ابنك ومازال يقول له انا شيحه حتى قال له المقدم
عجبور وبعد ذلك دعنا من ذلك كله فهل رأيت شيئا غير ذلك فقال له ولدك اعطانى
جواب وقال لى انى اعطيه اليك ولا اسلمه الالك فى يدك ثم انه شدد على بالاقسام
وقال لى اذا انت قابلت ابى فاعطيه هذا الكتاب وأمره ان لا يقرأه الاسرار
بينه وبين امى ولا يطلع على ذلك احد ثم ناوله الكتاب فمن فرحته بالكتاب
أخذه وطلع فرحانا الى سرايته وترك اليسير على مكانه وقال لام حسن ها انا قد
جاءنى جواب من عند الولد فقالت له اقرأ الجواب ففضه وقرأه واذا فيه الصلاة
والسلام على سيد السادات الذى نعلم ابى عجبور به فان الواصل اليك
المقدم جمال الدين بذاته وصفاته فاقبض عليه واضربه كما ضربنى وعذبه كما عذبنى
وانه قد فعل معى كذ وكذا واعاد عليه ما جرى من أول لامر الى آخره فلما ان
قرأ الكتاب زادت عليه نيرانه وصار لا يدرى ما بين يديه ثم قال للرجال هيا يا رجال
اقبضوا على اليسير فتجاروا اليه ليقبضوه فما وجدوا له خبر ولا وقعوا له على اثر
فعادوا الى المقدم عجبور خايبين فقال لهم ادركوه فى البر الاقفر فركبت له الخيول

فطلبوه فعند ذلك تأسف المقدم عجور على عدم قبض اليسير وتذكر قوله له انا شيخه سبع مرات وبكت امه على تلك الحالات وقالت له يا عجبور سير الى اولاد اسماعيل واقصدهم وقع في عرضهم عسى ان يخلصوا ولدك مما هو فيه واقصد الملك العادل في ذلك القضية فاجابها الى ذلك وركب حجرته وطلب البر الاقفر ولم يزل سائر حتى اقبل الى حصن صهيون فرأى الرجال مجتمعين فقال لهم انا في عرضكم يا اولاد اسماعيل فقالوا له ما الخبر فقال لهم اعلموا ان الوليد قد ظهر فقالوا له بالسلامة وقبضه القصير ايش يا خناس انت وولدك تقبض سلطان القلاع فقال لهم تأنوا حتى احدثكم فقالوا وبعدها قال لهم ثم ان ولدي ضربه سبع علق فعند ذلك تصايحت الرجال عليه فهداهم وقال لهم اسمعوا باقي القصة فقالوا له وبعدها فقال لهم وبعد ذلك مات القصير فلما ان سمعوا بذلك جردوا عليه الشواكر وارادوا ان يضربوه فصاح عليهم وقال اصبروا يا أولادالدم حتى تسمعوا باقي القصة فقالوا له وبعدها قال لهم اردنا ان ندفنه فخرج من الكفن ومرق قالوا احياه الله وقواه قال ورجع بالليل الي القلعة فسرق الوليد وعلق البواب على الباب واخذه وضربه اربعة وعشرون علقة واخذه وسار به الي الفيقيول وجري من الامر ما هو كذا وكذا واحكى لهم على الذي صار من اوله الى آخره وقال لهم ها انا في عرضكم فقالوا له وصلت ولكن ولدك قليل الحيا ومالنا الا اننا نركب ونسير كلنا الى الفداوي ابراهيم ونقصده في هذه القضية لعله يترجى السلطان في ذلك قال لهم افعلوا ما بدا لكم وقد جمعوا من بعضهم البعض خمسة وسبعين الف شربني وجعلوها في شكمجية وركبوا وساروا ومازالوا كذلك حتى اتوا الي قلعة حوران واجتمعوا بالمقدم ابراهيم فرحب بهم فاخبروه بالقصة من اولها الى آخرها واعطوه ذلك الدراهم فقال لهم غدا ان شاء الله تعالى تطلع للديوان الي الملك العادل وانا اكون واقفا على يمينه اتكلم لكم ثلاث كلمات عند الملك فقالوا له سمعا وطاعة فلما كان عند الصباح جلس الملك على عادته وتكاملت دولته وعشيرته وتكامل الديوان وجلس الرجال فبينما الملك كذلك واذا بالرجال قد اقبلوا اليه وسلموا عليه وما منهم الا من

قال الله ملا قلب ملك الدولة فرحب بهم الملك واجلسهم فقال ابراهيم اهلا
ومرحبا يااولاد العم ماانتم بخير قالوا نعم بحس امير المؤمنين قال الملك ماالخبر قالوا
له ياملك الاسلام جاء تناعندك دعوه قال ابراهيم الف مرحبا بكم عند ملك الاسلام
اماانتم اخوانه امااتم احبابه ورفقاه قال الملك والاسم الاعظم مرحبا بكم فاعادوا
عليه القصة من اولها الى آخرها وكشفوا اله عن باطنها وظاهرها فتعجب الملك من
ذلك غاية العجب وقال ليتني لم احلف بالاسم الاعظم وانا ايش ذنبي فى ذلك ولكن
يحصل الطاف خفية فبينما المقادم والرجال والملك والابطال جالسين فى الديوان
واذا بتذكرة سقطت على فخذ السلطان من سكنة باب المكان فاخذها السلطان
وقرأها فوجد الصلاة والسلام على صاحب المعجزات وسيد السادات خطابا من
المقدم جمال الدين شيحه الى بين ايادى ملك الاسلام اعلم ان حسن النسري ابن
عجبور قليل الادب واخذته اعلمه الادب اعلم ياملك الإسلام انى حالف يمين ان
كل من جاء ني يتشفع في حسن لا بدان اشغله في الطوب والطين ولو كنت انت ياملك
ولا بد للفداوي ابراهيم عن شيل السقف التي للكنيسة لانه لم تكلم فى شأن
ذلك الا باجرته وقد اخذ فى هذين الكلمتين من اولاد عمه خمسة وسبعين الف
شريفي من الذهب قال فلما ان قرا الملك ذلك التذكرة قال لابراهيم ماالذي فعلت
مع الرجال حتي تكلمت لهم واجبات رئيس قال له اخذت منهم كذا وكذا واعاد
عليه القصة من اولها الى آخرها قال له الملك الرجل يريد يشيلك السقفة التى
للكنيسة قال ابراهيم هذا لا يكون ابدا قال لهم اطلبوا اشيحه حول القلعة
فطلبوه فما وجدوه فامر الملك بالرحيل ورحل فى من معه من الرجال وسار طالب
القيقول فهذا ما كان من هؤلاء قال واما ما كان من المقدم جمال الدين شيحه فانه
بعد ان اعطى عجبور الكتاب سار الهضاب واخفى نفسه فى قلمة صهيول لاجل
مايري مايجرى من هذه الامور وقد اتاهم المقدم عجبور من الامر ماذكرنا وكان
المقدم جمال الدين شيحه حاضر ذلك وناظره كله حتي ان الرجال ساروا الى
ابراهيم واعطوه المال وتقرر الحال على انهم يأتوا الى الملك العادل فاتوا اليه

فسبقهم المقدم جمال الدين شيحه ورمى التذكرة وجرى من القصة ماجري فهذا كان الاصل والسبب

(قال الراوى) ثم ان المقدم جمال الدين شيحه تركهم وسار الي القيقول فلما ان اتي اليها دخل على حسن النسر بن عجبور واعلمه بما جرى فزاد همه وكثر غمه ونصحه شيحه وامره بالاطاعة فلم يمكنه ذلك ابدا فاعاده الى ما كان عليه من التعب والشقا وجعل يشغله وهو يخطر فى ذلك الاغلال والقيود فهذا ما كان منه

(قال الراوي) واما ما كان من امر الملك العادل فانه جمع الرجال واخذهم وسار بهم حتى اقبل الى تلك المدينة فنزل بالرجال واخذ لهم الراحه هذا وقد علم ملك البلد بمجيء السلطان فاغلق ابواب مدينته ولم يعلم ما سبب مجيئه فجلس الملك ثلاثة ايام ولما ان كانت الليلة الرابعة قال الملك يا رجال وبعد هذا القعاد فانهض الآن يا ابو سليمان يا نقيب الرجال وادخل الي هذه البلده لعلك ان تكشف لنا خبر من الاخبار فاجابه الي ذلك بالطاعة ونهض واخذ معه ولده وسار الى البلد فراى الابواب مغلقة فارمى مفرده وسار هو وولده حتى نزلوا الي داخل البلد وسار وا الاثنين فبينما هم سائرين واذا بغلام صغير مقبل عليهم وصاح عليهم وقال لهم من انتم يا كناسات انتم سراقين واخذ حجرا من الارض وضرب به المقدم سليمان في صدره فقال له المقدم سليمان يا ابن الملعون تضربني بالحجر وجرد حسامه وهجم على الغلام وكذلك فعل ولده فلما رآهم الغلام على هذا الحاله طلع يجري الي الخلوات فطلبوه الاثنين وطلعوا يجروا اذ سقطت من تحت ابطه بقجه فظنوها من الاموال واخذوها الاثنين وقالوا هذه احسن من ذات هذا الملعون ثم افردوها وجعلوا يقبلون فيها فخرجت منها روايح زكية فشموا الاثنين فبرمت رؤوسهم ورجوا ونقلبوا سوى فعاد اليهم الغلام واخذهم الي السجن وشكهم فى الاغلال واعطاهم ضد البنج عطسوا فقالوا نشهد ولا نجحد بدين النبي محمد اين نحن قال لهم انتم عندى يا كناسات انتم من بتوع محمد وقعتم يا كناسات ما بقى لكم خلاص من صيد القفاص قالوا له اطلقنا يا معرص لئلا نصيح لمن يأتى الينا ويخلصنا من يدك

ويقبض عليك فقال لهم افعلوا ما بدا لكم فعند ذلك صاح المقدم سليمان بمل رأسه انت فين يا حاج شيحه عز نصرك قال لهم الغلام والاسم الاعظم انا جمال الدين شيحه قالوا له الله ملا قلبك فقال لهم انا حالف بالاسم الاعظم ان كل من اتى الى ها هنا لا بد ان اشغله في الطوب والطين فماذا انتم قائلين قالوا له افعل ما بدا لك قال لهم خليكم على ما انتم عليه الى غد وتركهم وخرج من السجن فهذا ما كان من امر هؤلاء (قال لراوى) واما ما كان من امر الملك فانهم لما عابوا عنه هذين الاثنين ارسل خلفهم اثنين من الاماره فقبضهم شيحه وهو على صفة راهب ومازال الملك كل ما ارسل اثنين يقبض عليهم حتى قبض على الرجال ومابقي الا الملك والوزير وابراهيم فقالوا نحن نسير الى البلد ونكشف الخبر فقال ابراهيم اذا دخلنا البلد نكمن فيها الى النهار قال الملك ولاى شيء ذلك قال له ابراهيم خوفا من القصير قال الملك نحن نطيع امره وانا اول من يطيعه وما انت باعظم مني فقال له يا ملك افعل ما تريد ثم انهم دخلوا الى البلد وساروا فيها وكان الصباح قد اقترب ولاح الفجر والظلام قد ذهب ومازالوا كذلك حتى اتت البنايين والمهندسين واذا بالملك نأمل يرى رجاله وابطاله والجميع مقيدين فى الاغلال والباشات الثقال ومعهم اللئام ذات اليمين وذات اليسار وقد اشتغلوا فى الطين والاحجار فتعجب الملك من هذه الاخبار فبينما هو كذلك واذا بدر ويش عجمى قد اقبل اليه وسلم عليه واعطاه صحيفة ورد فأخذها فوجد فيها تذكرة يقول فيها يا ملك الاسلام انا حالف يمين بالاسم لاعظم فان انت خالفتني فلا بد عن شغلك كظما ورغما وان انت اطعتني فلا بأس بذلك قال الملك افعل ما بدا لك ايها الدرويش فعند ذلك اخذه هو والوزير وتاخر المقدم ابراهيم ثم اتى بهم الى البطارقة وقال لهم ائتوني بطشت من النحاس فاتوه بما طلب فملاه طوب وطين وحمله الملك والاغا شاهين ونفذ ذلك اليمين واخذهم بعد ذلك الى السجن وعاد الى السقافين وكان البنيان قد قرب الى الاتمام فعند ذلك سار وهو في صفة بطريق حتى اقبل الى ابراهيم وقال له انت ياسيدى على دين المسيح قال ابراهيم

هو الدين الصحيح قال له اعمل معروف وشيل لنا هذه السقفة وارفعها الى اعلا البنيان وخذ هذه السرة فيها عشرة آلاف دينار فعند ذلك قال ابراهيم اليد البطالة نجسه وانا في هذه البلد ما احد يعرفني ابدا من الناس وقد نسي كلام المقدم جمال الدين شيحه لما رأى الدراهم فاجابه الى ذلك بالطاعة وسار معه فاقبل به الي السقفة واتاه بجماعة من البطارقة وتعاونوا عليه حتى حملوا السقفه وطلع به الي اول اشغاله والثانية والثالثة واذا بالذي تحت الاشغال يقول له شد حيلك يا بو خليل فقد نفذ اليمين فعند ذلك قال ابراهيم هذا هو القصير وقد نفذ كلامه معي ولكن انا اقصف عمره ثم طرح السقفة على رأسه وقصده بذلك هلاكه ورمسه ووقف يتأمل واذ بالبطريق قد اقبل عليه من عند القبسد الفوقانية وهو يقول ما علينا ياسيدي وقعت غصبا عليك فانزل اليها واحتملها ثانيا قال ابراهيم انا لا احملها ابدا فتأمل اليه بعينه وقد فهم الاشارة وهو يقول والاسم الاعظم ان لم تنزل وتحملها لاتبات الليلة الا وجلدك معلق على حوران يا قليل الادب اما كفاك ما فعلت وما الذي من الرجال قد اخذت وايضا اخذت مني المال واردت قتلي بغير حق قال انزل انا اشلها وما باليد حيله ولكن تعطيني سرة أخرى مثل الاولى قال له من امرك ان ترميها قال ابراهيم صدقت ثم انه نزل واحتملها وطلع بها الى الاسوار وركبها مكانها كل ذلك يجرى في العمارة وملك البلد ما عنده خبر ولا جلية اثر لان البطارقة معتقدين ان هذا عيسى البريجي هذا وقدام المقدم جمال الدين شيحه بابطال العمارة فابطلوها وصبر الى الليل ودخل اليهم السجن وسلم على السلطان فسلم عليه الملك والوزير وسألوه فى اطلاق حسن النسر قال لهم لا بد من الاطاعة وان لم يطع فلا بد من عذابه فعند ذلك قال الملك انا اسير اليه فقال له سيرها هو فى ذلك المكان واوصله الى باب السجن الذي فيه المقدم حسن فتأمله واذا به قد انتحل جسمه ورق عظمه وجلده وما بقى الا رسمه فقال الملك السلام عليكم قال له عليك السلام من انت قال له انا ملك مصر والشام وقد اتيت اليك متشفعا فيك عند اخى المقدم جمال الدين شيحه وقد جرى من الامر

ماجري واعاد عليه القصة فقال حسن وبعد ذلك قال له تطيع المقدم جمال الدين شيحه قال حسن لا كان ولا استكان واذا فرمني اودقني في الهون ما اطيع رجلا قصير ابدا قال له الملك لاجل خاطرى فقال لا يكون ذلك ابدا قال له الملك لاجل خاطرى قال له لا يكون ذلك ابدا ولو سقيت كؤوس الردى فتركه السلطان وعاد وهو متغير حتي وصل الى المقدم جمال الدين شيحه وقال له يا اخي اسلخ قبة عينيه لانه فاجر وما عنده معرفة ابدا فقال له الوزير انا اسير اليه فسار اليه وفعل مثل الملك فلم يطيع وكذلك الرجال واحد بعد واحد ومامنهم الامن ذكر له مافعل المقدم جمال الدين شيحه من الاحتيال والاحوال وهو لم يمتثل فعادوا ساخطين عليه وعلى ابوه وهم يقولون خزيت انت وولدك ياخناس ولم يبقي من الرجال الا ابراهيم الحوراني فقال لهم ابراهيم انا امضي اليه واخليه يطيع القصير ولكن ايش تعطوني ان انا فعلت ذلك قالوا له نعطيك كل واحد منا مائة دينار قال الملك وانا اعطيك عشرة آلاف دينار قال الوزير وانا خمسة قالوا نصراء السلطان ونحن سته فقال ابراهيم وانت ياحج شيحه قال له انا أعطيك سره مثل الاولى قال ابراهيم هاتوا الدراهم قبل كل شيء قال الملك واذا لم يستطيع قال ابراهيم والاسم الاعظم اخليكم تضربوني بالشواكر جميعا فقالت الرجال خذ المال هاهو حتى ننظر ذلك اليمين الذى حلفته فقال الملك خذ المال سنى انا الآخر واعطوه جميع ماقالوا له عليه فجمعه المقدم ابراهيم وقال يارجال اعلموا ان هذا المال ديتي فان اطاع حسن فزت انا بالاموال وان لم يطيع فانا اكون طعاما للسيوف ثم انه نهض من ساعته ودخل على حسن وجرد شاكريته ونزل عليه ضربا بها وهو يقول ياخناس لارحمك الله لا انت ولا من يكون معك يا قرنان كيف ياتى الملك وانت ترده خايب هو وسائر الرجال اما انت مثلنا اما انت مثلى والاسم الاعظم الاكرم الامجد ان لم تطيع فى هذه الساعة والا قطعتك بشاكريتى هذه وعجلت اليك الموت قبل ان يقتلونى فما الذى تقوله قال له وقد تأسف فى بكائه وقال يابو خليل وانا ما بقى فى شيء يطيع

ولا جسم قال له ابراهيم القصير يرجمك سليما كما كنت واحسن فعندذلك قال له الله ملا قلبه ايدالله له السيادة الملكية طاعت الخوند اليه والاسم الاعظم فعندذلك اقبل اليه الملك وصافحه وسلم عليه وكذلك الرجال وقبل اليه المقدم جمال الدين شيحه وقبله بين عينيه وقال له لم يكن عندي اعز منك وسوف تعود الى أحسن الاحوال وانا والاسم الاعظم لابد لى من هدم ذلك البنا جميعه ولم اخلى له آثار (قال الراوي) ثم انه اتاه بقزازة صغيرة واسقاه اياها فتقاياها فنزلت منه مثل الدم الاسود فاسقاه الثانية والثالثة واخرج له دهان ودهنه به ولفه فى ثيابه واطعمه شيئا من الحكمة فقام لوقته وساعته وقال لهم خلوه على حالته فهذا ما كان منه (قال الراوي) واما ما كان من امر المقدم جمال الدين شيحة فانه ترك الرجال وسار الى المجارى الذى كان اصطنعها وفتح منافسها فنزلت المياه على الطفل الذى تحت الجدران فبوشته وتركه وسار الى الملك فقبضه واتى به الى عند ملك الاسلام فقال له الملك بعد ان قبضه ماتقول في الخراج وهدم البنيان وكلفة الركبة والا قتلتك قال له ياملك المسلمين انا اكتب روحي فى دفتر ملكك واورد الخراج فى كل عام وارد لك خزنتين مال كلفة الركبة قال الملك ومن يضمنك فى ذلك قال شيحة انا الضامن له ثم ان الملك اطلقه وسار الي سرايته وقد أرسل اليهم المال الذى قال لهم عليه وكتبه الملك فى دفتر ملكه وعاد بعد ذلك الملك برجاله ومعه الاموال وسار المقدم حسن النسر من قلعته بعد ان اطاع شيحة وكتب اسمه على شواكره (قال الراوى) فهذا ما كان من امر هؤلاء واما ما كان من الملك العادل فانه سار بالرجال حتى اقبل الى الشام فسلمت عليه أمه الست حسنه الدمشقية واقام فى ضيافتها سبعة ايام وقد اخبرته بانها تريد الحج الي بيت الله الحرام فامرلها بالمراسيم وسار طالب مصر وقد توجهت ايضا امه الى الاقطار الحجازية وأما السلطان فانه دخل الى مصر بالدولة فى ارقى رتب العز فهذا ما كان منه واما امه فانها سافرت فى البحار مدة من الايام وقد طلع عليها الريح فانكسر اردمون

غليونها فتكاثروا عليها اللئام الواقفين فى البحار فاسروها هى ومن معها وساروا بها وكانت هؤلاء الكفار يدورن على البحار و يأخذون الاسارى و يبيعوهم للملوك الكبار فلما ان اسروا ام السلطان الى مدينة يقال لها مقدونية ونزلوها الى سوق الدلالين وجعلوا ينادون عليها فهذا ماكان من امر هؤلاء وأما ما كان من امر اللعين جوان فانه ضاقت عليه المسالك والمهالك فاخذ برتقشه وسار فى البرارى والقفار ولم يزل سايرحتى انهم دخلوا الى مدينة مقدونية فلما ان اقبل جوان على مدينة مقدونية فلما ان اقبل جوان على مدينة مقدمين نهض له وتلقاه وترحب به واكرم مثواه وذبح له خنزير تحت رجليه فلما ان استقر به الجلوس التفت الى مقدمين وقال له لابد ياولدى انك تركب لك ركبه على بلاد المسلمين وتغزى لك غزوة فى سبيل المسيح قال له لا افعل ذلك ابدا ا تنظر الى الملوك قبلى ومافعل بهم ر بن المسلمين ومرادك انى اكون سادسهم فانا لا اركب ولا اركب ابدا فان جلست عندى من غير كلام فرحبابك وان انت سافرت فمع سلامة المسيح (قال الراوى) فلما ان سمع جوان ذلك الكلام سكت على مضض منه والتفت الى البرتقش وقال له سير بنا الى سوق المدينة نتفرج ياسيف الروم فسار معه وقال له جوان ياسيف الروم ادخل مقدونية وهي عامرة واخرج منها وهى عامرة فقال لاوحق المسيح لابد ان اجعل مقدمين مع الملوك المحبوسين ثم انه سار الى السوق فوجد الدلال يدلل على الملكة ام السلطان فاشتراها منه بعشرة دنانير واخذها وسار وقد عرفها الملعون ففرح بذلك الفرح الشديد (ياساده) قال للبرتقش متى ماخربت مقدونية ياسيف الروم ثم سار الى مقدمين وقال له خذ المرأة فهى أم ر بن المسلمين اعملها جناقة و بعد ذلك منظرها وارميها الى البحر فقال له واذا علم ر بن المسلمين فما يكون الخلاص فقال له لاتخاف ياراجل ها انا قاعد عندك ثم اغراه بالكلام حتى اطاعه وامر باطلاعها الى السراية وهى باكية حزينه على ماأصابها من ذلك الاسر والهوان فلما ان دخلت السراية وجدت بنت الملك جالسة كأنها البدر ليلة تمامه فلما رأتها القى الله حبها فى قلب البنت فنهضت على

الاقدام وسلمت عليها سلام الاحباب وقالت لها ياامي عليك الامان لاتخافي من
جوان ولامن غيرجوان ثم اجلستها الي جانبها قالت لها يابنتي انا في عرضك لان
جوان اغرى ابوك على فعل كل قبيح قالت لها لا تخافي ابدا فعند ذلك اطمأن قلبها
وجلست الى جانبها وجعلت تقرأ في القرآن العظيم والبنت تصغوا لها حتى اتى
وقت الزوال فطلبت الماء فاتت به فتوضأت وصلت صلاة الظهر فتعجبت البنت
نور المسيح من ذلك وسألتها بعد ان فرغت من صلاتها فقالت لها يابنتي انا أم
السلطان وان احسن المولى خلاصي زوجتك بالسعيد بن السلطان لانه اجمل منك
واحلى وجها منك وارشق قدا واعظم جمالا من جمالك اذا انت اسلمت فقالت لها
ياأماه انا اقول لا اله الا الله محمد رسول الله واسلمت البنت في عاجل الحال وجعلت
تعلمها الصلاة و بعض سور من القرآن فهذا ما كان من امر هؤلاء (قال الراوى)
واماماكان من امر جوان فانه صبر الى الليل ومكر هو و برتقشه ومقدمين وولده
وقد قال جوان يابرتقش قوم واطلع السراية وانظر الاخبار حتى اننا نطلع الي
عندام السلطان ونعملها جناقة فطلع البرتقش فقابلته نور المسيح وضربته بيدها
على وجهه وقالت له ماتريد ياكناس فقال لها لاارى يدشيء ابدا ثم انه نزل وقال لجوان
اطلع انت وانظر الخبر فاني رايت الاهل عند بعضها فقال جوان ماهذا الكلام
ثم انه سار الى اعلا السراية واذا بالبنت قابلته وسحبت الجزمة من رجلها وسارت
تضرب به حتى انه رجع خائبا وطلع ايضا مقدمين فطردته وقالت وحق المسيح كل
من اتى الى هاهنا لاعذبه العذاب القبيح فنزل البرتقش وقال لجوان انظر لك
طريقة غيرهذه الطريقة فالتفت جوان وقد يرى مقدمين وهو واقف في الديوان
قال له مااسمك قال عبد الصليب بن مقدمين قال له تقرب الي عندى حتى اني افيدك
فائدة لاترى احسن منها قال له سمعا وطاعة وتقدم اليه وساره في اذنه وقال
لابيه احزم له متجر يسير به الى بلاد الاسلام فاني علمته كيف يفعل فعند ذلك
فعل لجوان ما امره به وسافر عبد الصليب حتى اتى الى اسكندرية وانتقل
من المالح الي الحلو وسار الى مصر فتوطن في خان الي ثاني الايام فاما ان

كان الي الصباح واذا باللعين عبد الصليب طلع الي الملك وهو يقول نعم يارب المسلمين هدية على قدر مقامي ليس على قدر مقامك قال له الملك انت ايش قال تاجر اتيت من بلاد الناس أريد ان اتاجر في بلادك هذه ولكن اخاف ان احدا يدوس على طرفي قال له الملك عليك الامان فبينما اللعين يتكلم واذا بابراهيم نهض على الاقدام وقال يامولانا السلطان لا تقبل هذا الانسان فانه والاسم الاعظم دسيس وقال الملك خذ الهدية الذى اتى بها اليك قال ابراهيم ولكن دسيسه فنزل اللعين وأمنه السلطان على نفسه ولما ان كان ثانى يوم طلع للملك بهدية ثانية قال ابراهيم مقبوله ولكن هذا دسيسه قال الملك نحن لنا الظاهر ولم يزل اللعين كل يوم يطلع بهدية سبعة ايام وابراهيم يأخذها ويقول هذه دسيسه فلما ان كان سابع الايام طلع اللعين الديوان وهو يقول نعم ياملك الاسلام انا اقول على يدك قولا عدلا حقا صدقا اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله ياملك الاسلام ليلة امس اتانى سيدك الملك الصالح نجم الدين ايوب وقال لي انت من الفرقة الناجية يوم القيامة غدا اطلع الى السلطان ولدي الامير بيبرس واسلم على يديه وجدد اسلامك فانى اعلمه ان يقبلك قال وكان هذا كله تدبير اللعين جوان قال فان سمع السلطان ذلك الكلام من قبله وقال له مرحبا بك قال ابراهيم دسيسه ياملك الاسلام قال له الملك مالك من حاجة انت به يابن حسن قال ابراهيم اعطنى خطك وختمك يشهد عليك بانى نصحتك ولم تقبل النصيحه فكتب له ذلك ثم ان الملك قال للعين تمني على تعطي قال له تمنيت على الله ثم على جناب السلطان الملك العادل ان اكون سرك بدار الملك قال له الملك ان الله اعطاك والبسه من تلك الساعة سردار الملك فاقام على هذه الحالة فهذا ما كان من امره ؤلاء (قال الراوى) وأما ما كان من امر الملكه ام السلطان فانها لما ان سمعت عسير ابن مقدمين سألت نور المسيح عن ذلك فسألت ابوها فى سفر أخوها فاخبرها بان جوان ارسله الي السلطان واعطاه جزء من السم الخارق ودبره على تدابير يقتل بها السلطان واعطاه التجرة فاخذه وسار فلما ان سمعت البنت بذلك من ابيها اخبرت الست فلما علمت بذلك الخبر قالت لها يابنتي اذا كان الامر كذلك وفعل اخوك هذه

الفعال فمن اين انت يكون لك قبول عند السعيد بن السلطان قالت لها وكيف يكون الحال قالت لها هل عندك احد من المسلمين الماسورين قالت نعم عندي يا امي ثم انها ارسلت الى اليسيرجي فاتى لها منهم بيسير وكان هذا العامي على الانكاوى الذي قدمنا ذكره لانه لما ان ارسله شيحه الى الملك وانعم عليه فاخذ ما اعطاه اليك الملك وحزم اليه المتجر وسافر طالب بلاده فاستيسر في ذلك المدينة حتى مضت تلك المدة وآن له الاوان فاتوا به الى عند الست حسنه الدمشقيه ام السلطان قالت له ياهذا اريد ان اكتب اليك كتابا وتسير به الى المحروسه للملك العادل وتعيد الكتاب عليه وتأخذ منه العطا الذى رسمه اليك في الكتاب قال سمعا وطاعة قالت له قدم عندي حتى اكتب لك الكتاب على رأسك بالابره لاني اخاف ان احدا يقبض عليك فيرى الكتاب معك قال لها اقضي ما بدا لك ثم انها حلقت له رأسه وكتبت عليها الكتاب واعطته شيأ من الحطام وأمرته بالسفر فسافر من ساعته وطلب ارض مصر فهذا ما كان من امر هؤلاء (قال الراوي) وأما ما كان من امر ملك الاسلام فانه مقيم يوم من بعض الايام واذا بالامير عز الدين الحلبي وقف في محل الطلب قال الملك امير المؤمنين قال له ما الذي تريد قال له اريد ان اتمنى عليك تمنية فقال الملك تمنى قال تمنيت على الله ثم على جنابك السعد ان تاتى انت وسائر عساكرك الى قصرى فى بولاق وتاكل عز ومتى قال وكان الامير عز الدين الحلبي بنا قصر فى بولاق من داخل بستان على جانب البحر وسماه بقصر الحلبي وبعد ان تم البنيان سار الى الملك وعزمه وتمنى عليه فاجاب الملك الى ذلك وسار بالابطال والعلما ولم يزالوا كذلك الي ان دخلوا ذلك القصر وذلك البستان فتأملوه واذا به بدعة من بدع الزمان مشيد الاركان معتدل البنيان ومن حواليه ذلك البستان على رأى من قال فيه هذه الاوزان

قصر قد حوى كل المعانى — و بنيانه قد ساد على البنيان
وحوله جداول الانهار تجري — لها نغام يزهوا على العيدان
والاغصان دونه قد تمايلت — عجبا وسادت على الاعيان
والريح منه قد فاق العطور — والند والكافور والزعفران

يا له من مكان عجيب ترتاح فيه سائر الابدان
يبرالعليل اذا ما اليه اتى يشفى السقيم منه والسكران

فلما ان عبر الملك الي ذلك المكان فرح به واتسع صدره وانشرح وقال والله ماهذا الاشيء عظيم ثم انه دخل الي داخل المجلس فرأى الفراشات والمساند والوسايد فجلس الملك ومن معه من الاعيان وقد راق المكان ووقف الامير عز الدين الحلبي في خدمة السلطان وقد امتدت الاسمطة وحضر الطعام من مطبخ الامير عز الدين الحلبي وتسلمه شر بدار السلطان وسلمه للاغوات والخدامين وقد تقدم الى بين يدى الملك العادل مرطبات وشيء من الحلوات وتكاملت الاواني وقد اصطفت الرجال لاجل الطعام وجلس ايضا الوزير والسلطان وتقدم ابراهيم بن حسن الحوراني ليأخذ ششني الطعام لان له على ذلك ماهيات وعلوفات فشق ابراهيم وهو يطل و يتأمل فى الطعام ذات اليمين و ذات الشمال وكل ما رأى شيء من الطعام يقول سليم و يتركه ويمضى الى غيره حتى انه اتي الى المرتبات الذى عند الملك فتأملة ووقف وصاح اين الامير عز الدين الحلبي فاقبل اليه قال له خذ هذه المرطبات واتركها وهات للامير غيرها لانى رأيته قد هبت عليه نسمات الارياح فاصابه بعض الغبار قال الامير عز الدين الحلبي يا امير هذا شيء يشوه الملك منه وان طعامى لم فيه شيء ردي ابدا ولكنني ظننت انك انت فعلت ذلك الفعال لاجل انى لم اعطيتك شيئا من الحطام وان كان هذا ضميرك فانا ابطله عليك وآكل من ذلك المرطبات قبل السلطان قال له المقدم ابراهيم يا امير انت مغرور فى ذلك ولكن طاوعني وارفع ذلك المرطبات قال له لا ارفقها ابدا فعند ذلك صاح ابراهيم بملء رأسه وقال مسمومه المرتبات مسمومه فعند ذلك امتنع الملك وتأخرت ايضا الرجال ورائها وقد اخذ الملك شيئا من المرطبات على رأس الخنجر وارماه الى كلب هناك فما استقر به حتى وقع الى الارض لوقته وساعته فعند ذلك غضب الملك غضبا شديدا ما عليه من مزيد ثم قال يا علماء الاسلام ماذا تقولون فى مثل ذلك الاحكام قالوا له هذا جزاؤه القتل من غير كلام فعند ذلك صاح الملك على ابراهيم وقال له يا ابراهيم قال نعم قال له اضرب عنق الامير الحلبي قال له ابراهيم احلم

ياملك الاسـلام واعلم ان هذا الرجـل مظلوم ولم يكن له في ذلك جنايه ابدا قال له
واى جنايه بعد هذا قال له قد نصحتك والسلام ثم ان المقدم براهيم اتي الي الامير
عزالدين الحلبي واداره كتاف وقوى سواعده والاطراف واخذ منديلا عصبه
على العـين واخذ الاذن الاول من السلطان والاذن الثانى ولم بقى الا اذنا واحدا
هذا والملك قد امتزج بالغضب وظهرت له سبع جدريات ملـكته من الطارقة اليمين
الي الطارقة اليسار شعرة اسد بين عينيه سبع لحم بين حاجبيـه هـذا والامير يتضرع
اى الله و يطلب منـه النجاة فبينما الملك جالس واذا بعـلى الانكاوى داخلا عليـه
وهو يقول نعم قال الملك انت ايش قال له ياملك الاسلام شأنى انى أتيت من عنـد امك
الست حسنه الدمشقيه وعلى الانكاوي الذي اتيت اليك بكتاب المقدم جمال الدين
شيحه قال له الملك وما تريد قال أريد أن أتمني عليك تمنية واحدة قال له الملك تمني قال له
تمنيت على الله ثم على جنابك السعيد انك تقوم على حيلك وتحضر عدة الحلاقه الملوكى
وتحلق لى رأسي فعند ذلك قال علاى الدين آخ معرص روح جاتم بتاع حا كم هو اسطى
مزين يا كلب وقد قالت الامارة مثل ذلك هذا وأما الملك قال له ان الله اعطاك ونهض
الملك وقد اخذه الابتسام من هذا الـكلام وضحك الملك من كيد الغيظ واحضر ماء
الورد والعدة الملـكيه وبل له رأسه وجلس على الانـكاوى بين يديه وهو يقول له بل
الشعر طيب يااسطى ثم ان الملك افرد الموس وقشط اول قشطه فبان من تحتها سـطراً
مكتوبا فقرأه يرى فيه الصلاة والسلام على صاحب المعجزات الى بين ايادى ولدى
ملك الاسلام اعلم اننا وقعنا في اليسر في مقدونيه والسبب فى ذلك ان جوان أراد ان
يفسد عرضي فربى حماني على يد بنت مقدمين نور المسيح وقد اسلمت واوعدتها بزواج
السعيد ثم قشط قشطة اخرى فرأى مكتوبا اعلم ياملك ان اللعين جوان ارسل لك عبد
الصليب بن مقدمين بسبع هديات وخودته من السم وقال له افعل كذا وكذا واسلم
باطل على يد الملك فيمنيك فتمني عليه فتكون سردار الملك فيعطيك فارصد له الفرصة
واوضع الخودقة السم في اى شيء امكنك والسلام فسار اللعين على مثل ذلك واحترس
ياولدى على نفسك منه غاية الاحتراس واقتله اشد قتلة ولا بد من مجيئك الي مقدونيه

لاجل خلاصي وتنعم علي علي الانكاوي والسلام قال فعند ذلك نهض الملك وقال له يا علي قال نعم وحيات رأسك ما بقيت احلق لك بل الذى حلقته لك يكفى قال له على هذا اخطأ يا اسطى ولم يصح ابداً فضحك الملك من قوله وانعم عليه وقال له من اعلمك بانى هنا قال له انى دخلت الى القلعة وسألت فيها فاخبرونى فاتيت ولم توانيت ثم سار الي حال سبيله فهذا ما كان من امر على الانكاوى واما ما كان من امر السلطان فانه جلس على مرتبته وقال للمقدم ابراهيم يا ابو اخليل اطلق الامير عز الدين الحلبى من وثاقه فطلقه المقدم ابراهيم من وثاقه واعتذر اليه الملك وانعم عليه وطيب خاطره واجلسه فى مكانه وقد تعجب من ذلك كل من كان حاضر ثم ان الملك بعد ذلك نهض على الاقدام وسارر المقدم ابراهيم فى اذنه وجلس مكانه فسار ابراهيم الى ماندبه السلطان وكان الملك قد امره بحضور ابن مقدمين فسار اليه فرآه جالسا ماعنده من الدنيا خبر فاقبل ابراهيم اليه وضربه على رأسه بكفه الخفيف فطاش عقله واراد ان يصيح فصاح وقال واى قال له الملك العادل انت ايش يا لعين قال له انا عبد الصليب بن مقدمين اغرانى جوان ولهانى بذلك الشان فقال الملك اضرب راسه يا ابن حسن فوالله خاب من عادى نظرك قال ابراهيم وما الذى افعل بهذ قال جمع ماله ونواله وما تملك يده لك هبة كريم لا يرد فى عطاه قال ابراهيم مقبول ولو كان بيته براس ماله فلا خلاف ثم انه ضرب راس الغلام ونهض الملك من ذلك المكان فصار ذلك المكان خراب من تلك الساعة وهذه العزومة قال عليها (ياساده) وقد انقبض الحكم من ذلك الشان واما ما كان من شأن اللئام نزل الملك الى الديوان واجلس السعيد وامره بالعدالة والانصاف وقال للوزير غدا تركبوا في مصر وانا سائر انا وابراهيم واسير الى قضاء اشغالي فقال يا ملك الاسلام اماتا خذ معك احد من الانام فقال له لا ينبغى فانا اسير مع هؤلاء الاثنين ثم انه سار هو وابراهيم وعثمان وقد اقبلوا الى دكان رجلا يبيع بطيخ فبالامر المقدر ان الذي اشتهى الاكل من ذلك البطيخ وصعدوا الي الدكان وكانوا لبسوا ملابس العربان وجلسوا فرحب بهم بائع البطيخ وقدم لهم البطيخ يأكل السلطان من ذلك البطيخ شيء قليل وعثمان ايضا وما اكل كثير الا ابراهيم فانه اكل

اكثرمن عشرين والرجل ينظر اليه شطرا ويرمقه قدرا ووضع بعد ذلك الملك يده ليعطى بائع البطيخ شيئا من الحطام لم رأى معه شيئا ابدا فسأل ابراهيم قال وانا الآخر كذلك وانت يا عثمان قال وانا ما معى شيء قال الملك انا نزل قدامكم واتركم فقالوا له افعل ما بدا لك فنزل الملك وتقدم الى عند بائع البطيخ وقال والله زين يا شيخ ومليح قال له غور جاتك داهية انزل انت الآخر جاتك داهيه قال عثمان شيخ العرب الكبير حاضر عندك فعند ذلك تقدم الرجل بائع البطيخ الي ابراهيم والملك ينظر اليه هو وعثمان وقد تقدم الرجل اليه وقال له انت الذي اكلت البطيخ كله والذي كانوا معك ما اكلوا شيئا مثلك ولا نصفك فاعطيني الدراهم لانني والله العظيم سالفهم من مراتى قال وكان ذلك الرجل قد تاخر من التجاره وانكسر فيها فقعد فى البيت فقالت له زوجته وبعد قعادك الى جانبى اجيب لك دكة او دولاب فقال لها وكيف الرأى يا زوجتى فقالت له خذ ثلاثين قرشا ها هم استلفتهم من جيراني وهات البطيخ واقعد به فى الدكان التى جانب المكان فاجابها الرجل الى ذلك واتي بالبطيخ وجلس من اول النهار الى ان جاء وقت الظهر فما حداتى اليه ابد وما زال كذلك حتى اتاه هؤلاء العربان كما ذكرنا ومسك فى شيخ العرب ابراهيم وتعلق به قال ابراهيم يا شيخ الآن ما معى دراهم ابدا ولكن غدا آتي اليك واعطيك ثم انه رضى بذلك واعطاه الملك تمنية عشرة آلاف دينار وجعله شيخ الفكهانية (قال الراوى) ثم ان الملك سار فى طريقه قاصدا قلعة بيسان وقد مر على الشام واذا به يرى الخواجه حسن بن عنكر وهو يستحق الاحسان وكان معروفه سابقا على الملك لانه عمل له عزومة هو ورجاله عند نزوله غزه فأحسن اليه واعطاه ماهو شيمة الملوك واصلح ما كان من افساد عيسى الناصر حاكم الشام ثم توجه الى قلعه بيسان وقد تقابل معه سعد بن دبل وطلب ان يكون هو سلطان القلاع والحصون بدل المقدم شيحه وحصل الخلاف بينهما وجرت ملاعب وكان الفائز فيها المقدم شيحه واطاعه سعد كبقية المقادم وتحصل الملك بواسطتهم على خلاصي والدته واسرجوان والبرتقش وضرب جوان علقه كعادته وطردهم وبينما هم كذلك وقد اتي كتاب للملك بقتل عيسى الناصر

حا كم الشام والذى قتله منيرد السلختي صاحب قلعة سلختا فامر الملك المقدم ابراهيم بالمسير اليها وكان اللعين عنده حجرة لها فى الحرب محاووات غريبة وقد ماتت بحسرتها ملوك وسلاطين فهذا ما كان من امرهم

(قال الراوي) وقد سمع بذكرها المقدم ابراهيم فلذلك عرض نفسه الى ذلك الامر المهين ونزل هو وابن خالته والملك لا يعلم قصته ولا قضيته فكان هذا سبب نزوله وقد سار المقدم ابراهيم على عجل لانه كان يحلم بها اذا نام وبذكرها اذا ثار الغبار وقد نظمها بعد الشعراء بهذه الابيات

حجرة فاقت جميع الخيول ... ما مثلها في الهند ولا فى الحضر

تسبق الرياح عند مسيرها ... قد كل وصفها عن جميع البشر

تهب فى الهبوب بغير ريش ... ولا يلحقها فى المسير ضجر

تعلوا على الخيول بهمة ... وملاحة بالغرة والنظر

راكبها فى حصن حصين ... يدرك ماشاء من السفر

بحافرها درهم ليس كمثله ... شيء فى الخيول ولا المهر

(قال الراوى) ثم ان المقدم ابراهيم سار مسرعا وسعد قد تبع اثره وهو يقطع البرارى والقفار الى ان وصل الى قلعة سلحتا هذا وقد رآه اللعين منيرد السلختى مقبلا من كيد البر الا قفر فأمر باحضار الحجرة السلختيه فاحضروها اليه فركبها ونزل وهو لا يبالى بكل من اليه قد وصل وذلك منعه على نفسه بها لا بغيرها هذا ولما ان رأي ابراهيم الحجرة السلختيه فركب ونزل خارج القلعة هذا وقد صاح ابن حسن عليه جيتك يا ابن الكلب قال له وأنا تلقيتك فانطبق عليه اللعين وانطبق ابراهيم عليه وقد ارتمع عليهما العجاج وخرج من تحته وقد خرج من يد اللعين منيرد لطش للمقدم ابراهيم بن حسن فتاخر عنه المقدم ابراهيم وضربه ضربة جبار فجاءت الضربه على الطاسة وكان ابراهيم قاصد عنقه فزاغت الحجرة فوقعت الضربه على الطاسة فشقتها وسقطت على رأس للعين فجرحته ولما ان استحس بالسلاح وقد فلق الطاسة ونزل على رأسه خاف على نفسه فالقى روحه الى الارض سريعا وتحول عن ظهر الحجرة

فلما رأى ابراهيم الى ذلك قفز من ظهر جواده وركب السلختيه وقد بيت فى وسط سرجها وطلب اللعين فهرب منه في الفلا فقال ابراهيم هذا قصدى واما انت فما بقى لك حكم ابدا ثم اخذ ابراهيم الحجرة وسار هذا وقد رجع اللعين وهو يبكى على الحجرة و يقول وا حجرتاه وجوان بصبره و يقول انت قاعد عندى وانا ادبر امرها واسرقها اليك (قال الراوى) فهذا ما كان من امر هؤلاء واما ما كان من امر ابراهيم فانه اخذ الحجرة وسار وهو يغني و يدندن وكانه ملك الدنيا بما فيها ثم انه قال فى نفسه اا اسير بها الى السلطان يأخذها منى ومالى الاان اتركها فى مكان هاهنا ثم انه عبر بها الى قلعة فى طريق بها رجل نصرانى يقال له يعقوب الصيدناوى وكان ابراهيم يعرفه من مدة زمانية قبل ان يطلع للحج وسبب معرفته بهذا الرجل كان يسرق الخيول هو من سعد و يأتى اليه بهما فيشترى منهم و يبيع هو هذا ولما ان اتى اليه بهذه الحجرة قال له يا يعقوب خذ هذه الحجرة على سبيل الامانة وخليها لي عندك حتي انى اعود وآخذها أو ارسل اليك من يأخذها منك بامارة وانك لا تسلمها الالمن يأتيك بامارة كافية و تكون واثقا به واحرص لنفسك فقال يعقوب سمعا وطاعة ثم ان ابراهيم تركه وعاد طالب مصر ولم يزل سائر حتي وصل اليها وطلع الى الملك العادل وقال ياملك الاسلام انى سافرت الى اللعين منير دالسلختي فوحدته داخل القلعة محاصر فيها ولم عرفت أخذ منه لا حقا ولا باطلا ولا فتحت لى ابواب فقال الملك لا بدلي من الرواح اليه وأهدم قلعته على رأسه ثم ان الملك قال للرجال خذوا اهبتكم للرحيل واخذ الاهبة والملك اجلس السعيد وضم لجيوش وسار السلطان طالب أرض الشام وقلعة سلختى فهذا ما كان من امر هؤلاء (قال الراوى) واما ما كان من امر المقدم سعد بن دبل فانه لما ان سار تابع اثر ابراهم حتى رآه وقد اخذ الحجرة السلختية بامارة ما قال لك لا تسلمها الا لمن تثق به او تعرف انى ارسلته اليك قال فلم يشك اللعين فى ذلك ابدا بل سلم لسعد الحجرة فى عاجل الحال فاخذها سعد وسار بها في الخلوات وكان سعد لا يركب الخيل بل يسوقها بسوطه فتجري فى البر فيهمز وراءها فيلحقها ولم يزل سائرا الى ان دخل قلعة حوران فلقيه المقدم حسن الحورانى

وسلم عليه وقال له اعلم يامقدم حسن ان ابن خالتي أرسلني اليك بهذه الحجرة وقال لي خذ من ابي ثمنها خمسة آلاف دينارا واعطيها له فمند ذلك سلمه المال لما يعرف من ذلك الحجرة واصالتها فتسلم سعد المال وسلمه الحجرة وتودع منه وسار الي البر الاقفر وقد أقام فيه حتى جن الليل وعاد الي الحجرة فسرقها وسار بها الى قلعة بيسان فباعها لابيه وسرقها ليلا وسار بها الي المقدم حسن القصاص فباعها له وسرقها ايضا ولم يزل كذلك حتي انه باعها سبع مرات وذلك انه قد احتار بها وكان مراده بذلك كله ان يحرم ابراهيم منها ولما كانت المرة الثامنة اخذها وسار بها فى البراري والقفار وسار طالب بها ارض مصر فلما ان قارب قلعة سلختى بينما هو سائر بالحجرة واذا باللعين منيرد السلختي قد قاطع عليه الطريق هو ورجاله وكان السبب فى ذلك اللعين جوان لانه كان جالسا فى مجلس يكشف البر من سفر نصف يوم فرأي الحجرة السلختيه وهى مقبلة ومعها سعد بن دبل فصاح على اللعين منيرد السلختي وقال له ادرك الحجرة انت ورجالك فها هى مقبلة فى البرارى وحدها وما خلفها الا رجل واحد فقبل متبادرا واللعين الى ذلك وقاطع على سعد بن دبل وحلقوا عليه وعلى الحجرة من الاربع جهات فلما رأى سعد الى ذلك الحال وقد حلقت عليه الرجال فعلم ان ذلك لاجل الحجرة فتركها لهم ونجا بنفسه فى التلال وطلب النجاة على كل حال (قال الراوى) فهذا ما كان من امر هؤلاء واما ما كان من أمر السلطان فانه سار بالرجال والمقدم ابراهيم معه وطلب البرارى فبينما هو كذلك واذا بالغبار وقد ثار وعلا وسد الاقطار عن المقادم اولاد اسماعيل الفلك الاخر وكان السبب فى مجيئهم لان سعد قد لعب عليهم وباعهم الحجرة ونهب اموالهم وسرقها منهم واجمع امرهم على ان يهرقوا دماء وقد ظنوا انه تاب عن سرقته الخيل ابدا فقال المقدم موسي نادي عليه مهروق الدماء فقالوا الرجال لا نفعل شيئا من ذلك حتي نخبر سلطاننا المقدم جمال الدين شيحه ويكون ذلك باطلاعه ونخبر ايضا ملك الاسلام ثم انهم ركبوا الجمع وساروا فقابلهم الملك كما ذكرنا ولما ان وقعت العين على العين سلموا على بعضهم بعض الطائفتين وقد اقبلت المقادم وقبلوا يد الملك

العادل فسألهم عن حالهم والى اين يكون مسيرهم فاخبروه بالقصة من اولها الى آخرها وكشفوا له عن ظاهرها وباطنها فلما ان سمع المقدم ابراهيم بذلك الاخبار اشتعل قلبه النار لاجل الحجرة لكنه لم يقدر ان يبدي كلام خوفا ان يلوم عليه السلطان لانه لم علمه باخذها هذا وقد قال لهم الملك ها انى سائر الى قلعة سلختي فاذا حصلنا هناك وقضينا الاشغال نعرف نأخذ حقنا من المقـدم سعد بن دبل وننظره لاي شيء عمل هذا العمل فقالوا له المقادم هـذا هو الرأى الصواب والامر الذى لا يعاب ثم انه سارو اخذ المقادم بصحبته ولم يزل سائر الي ان وصل الى قلبة سلختا فاحتاط بها كما يحتاط النيل بالبلاد والبياض بالسواد وقد نصبت السرادقات والاعلام وجلس السلطان ونزل من داخـل الصيوان واستراحت الرجال ووقف المقدم ابراهيم على يمين السلطان فبينما الملك جالس واذا بسعد اقبل اليه وقبل الارض بين يديه فلمـا رآه الملك قال له لاى شيء فعلت ذلك الفعال فقال له اعلم يا ملك الاسلام انني انا وابن خالتى كنا نسرق الخيل سواء وكنا نبيع الحجرات سواء وكان بعد ذلك يقبض هو الاموال ولا يعطينى منها شيء فلما ان ظهرت انا من اللجج قلت له اعطينى شيء من بعض مالى عنـدك من المال حتى انى اقضى مصالحى فأبى عن ذلك وقال لى لم اعطيك ولا دانق من النصف الواحد فأضمرت له المكوسات وصـبرت عليه حتى رايت له الفرصة يا ملك الاسلام فبذلت هذه الفعال * واما هؤلاء المقادم فان ابى له عليهم المكارم وما يظهر منهم احد الا ويهاديه و يرسل له الاموال فلمـا ظهرت لم احد ارسل الى ولا اعتنانى فقلت فى نفسى لابد ان أأثر فيهم من اثر حتى انهم يشكونى الى السـلطان واظهر حقى عنـد الملك وفعلت هذه الفعال ايضا مع ابى لاجل ان لا يبقي يهادى من لا يتهادى الهدايا يا ملك الاسلام فلما ان سمع الملك ذلك الاقوال قال للوزير والله يا وزير الزمان ما عليه فى ذلك ملام ثم ان المقدم سعد وقف بعد ذلك فى مكان خدامته وابراهيم قد اشتغلت سريرته فاشار لسعد بفعلته وقال له يا سـعد والآن الحجرة فى اى مكان فقال له سعد من غير اشارة اخذوها يا كرشة النخال فسكت المقدم ابراهيم قليلا ولـكن ما هاوده قلبه ان يسكت فاشار ثانيا الى سعد فقال له سعد انت اخرس

ما تخبرني على الذي انت طالبه مني (قال الراوي) ولم يزل سعد يشمت على ابراهيم وهو يشاور عليه ولم يقدر ان يتكلم خوفا من الملك ان يسمع بالخبر حتى ان الملك سمع الفاظهما فقال الملك يا سعد ما الخبر فقال له يا ملك الاسلام اسأل هذا الرجل فقال الملك ما يكون الخبر يا ابراهيم فقال ابراهيم خبر خير يا ملك الاسلام ما في حاجة فقال الملك يا مقدم سعد اخبرني وحيات رأسي فقال سعد اسمع يا دولتلي انت ارسلت ابراهيم الي اي مكان فقال له الى قلعة سلختي فقال له وما قال لك قال فاعاد الى قال لي انه لم احداً فتح له القلعة فقال له وحيات رأسك يا ملك الاسلام تحارب هو ومنيرد السلختاني واخذ منه الحجرة وتركه وأوصل الحجرة الى يعقوب الصيدناوي واتيت انا وأخذت الحجرة وبعتها للمقدم وأحرموه فلقيني صاحبها فاعطيته اياها وهي الآن عند صاحبها يا ملك الاسلام فقال الملك وانت يا ابراهيم ما اخبرتني بان القلعة لم فتحت ومن اين اخذت الحجرة فقال اخذها صاحبها والسلام ولكن ما علينا يا سعد وتحمل منه هذا وقد أصلح السلطان بين الاثنين وبين المقادم ايضا وصفت القلوب وباتوا تلك الليلة فهذا ما كان من امر هؤلاء وأما ما كان من امر اللعين جوان فانه التفت الي منيرد وقال له رأيت سر عالم الملة ها هي الحجرة قد عادت اليك بالتأني فاترك البكا وانزل الي المسلمين وحاربهم فان المسيح اخبرني بان لك النصر عليهم فقال له اللعين الان احارب المسلمين ولا ابالي بهم اجمعين مادامت تحتي هذا الحجرة (يا سادة) ولما ان اصبح الله بالصباح وأضاء الكريم بنوره الفتاح فتحت ابواب القلعة ونزل اللعين منيرد السلختي على ذلك الحجرة الي الميدان وصاح باعلى صوته ميدان يا مسلمين ما في الميدان الا منيرد السلختي (قال الراوي) فلما ان رأى ابراهيم ذلك الحجرة وقد ركب عليها اللعين وابتدر بها الى حومة الميدان طار عقله ونادي يا سعد هات لي ركوبة كل ما كان فاتاه بركوبة ضعيفة فلما ركبها تحت به ولم يزل سائر بهذه الركوبة الى الميدان وذلك من غير اذن السلطان فعرف الملك ان نزوله لاجل هذه الحجرة فتركه هذا وقد نزل المقدم ابراهيم وانطبق على ذلك اللعين من غير ان يبدي كلامه فانطبق اللعين عليه وخرج من يد الاثنين لطشين صائبين واصلتين الى

الجسمين فاما لطش اللعين ذات المقدم ابراهيم زاغ عنه وكان اللطش قصير فوقع تحت الجواد الذي تحت ابراهيم فهو الى الارض قتيل فصاح ابراهيم آخ يا ملعون تقتل جوادي وتحول في عاجل الحال الي الارض وجرد حسامه وقال له الا ن فاقتل جوادك الا خر بهذا الحسام فعند ذلك خاف اللعين على الحجرة ان يقتلها ابراهيم وقد ظن ان كلامه صحيح فتحول عن ظهرها الى الارض فلما ان رآه ابراهيم فعل ذلك الفعال فهمز ابراهيم همزة كبيرة مثل همزات الغزال مع ثقله وكبر جثته وماهو حامله من السلاح فبات في سرج الحجرة وطلب اللعين فلما ان رأي اللعين الى ذلك خاف على نفسه خوفا شديدا وطلب طالب قلعته فبينماهو يجرى واذا بحجر من الزلط الاحمر يهوى من كبد البر وقد عمر في نافوخه فقلق رأسه خمس فلقات وكان الرامى له المقدم سعد ابن دبل لانه لما ان رأى ابراهيم وقد اخذ الحجرة واللعين اراد الهرب فاخذ هذه المعطه ووضعها في مقلاعه وضخه بها في راسه بحسن اهتمامه فوقع قتيل وفى دماه جديل هذا وقد عاد ابراهيم الي الملك واخبره بما فعل سعد ابن دبل ففرح الملك وشكره على فعاله ونادا ابراهيم ياولد الخاله الآن ذهب الغيظ الذي كان في قلبي (ياساده) ولما ان رآه جوان اللعين وقد مات قامر بغلق ابواب القلعة وجسر الرجال وقال لهم لا تخافوا يا اولادي انا آتيكم بمن ينصركم على اعدائكم ثم انه مازال يصبرهم الى ان اقبل الليل بالاعتكار واخذ برتقشه وتركهم وطلب البر الاقفر فقال له البرتقش ولاي شي فعلت ذلك فقال له ياسيف الروم ان قلبى طب وعيني رفت ولكن سير بنا الى هذا الجبل الذي قدامنا نتحصن فيه فان اصبحت القلعة في امان عدنا اليها وان اصبحت خراب هانحن خالصين فقال له البرتقش لا نصبر لما نأخذ جبر الخاطر فقال له البرتقش اخرس يا كناس هذا ولما ان جن الليل بينما الملك جالس واذا بالمقدم جمال الدين شيحه رهو يقول له اركب ياطاهر فاني قتلت الغفرجية وعطلت المدافع بالكلية وفتحت الابواب وان جوان هرب هو ورفيقه وانا حاضر وناظر فركب السلطان مع الرجال ودخلوا البلد فلم تفق الكفار الا وحبلهم مكبوس وشنيارهم معكوس والسيف يلعب في اعناقهم والطبر والدبوس فتقسمت الكفار على اقسام

من اسلم سلم ومن جهل ندم ومن ا كادا خذوه على سنا ن السيوف مثل القطن المندوف وجلس الملك فى القلعة واتوا بالغنيمة الى بين يديه فقال الملك يا ابن حسن الغنيمة ها هى كوم واحد والحجرة كوم باماتا خذ حقك من الغنيمة وتترك الحجرة يا تأخذ الحجرة وتترك الغنيمة فقال ابراهيم يعنى اذا كنت تحط على الحجرة اشياء من الغنيمة لا نها تبقى قسمه جيدة قال الملك مثل ماا خبرتك فقال ابراهيم والاسم الاعظم اذا اعطيتنى مال اهل الدنيا فى الدنيا ما تسمح نفسى ابدا فى شعرة واحدة من هذه الحجرة هدا وقد قسم الملك المال على اربابه ولم يا خذ ابراهيم شيئا خلاف الحجرة وبعد ذلك ترك الملك القلعة خراب وامر بهدمها ففعلوا ذلك وا تحل الى ارض الشام فجلس على تختها وتكامل الديوان بين يديه فبينما هو كذلك واذا بالامير فقد السجيبين على الاقدام ووقف فى محل الطلب وقال يا ملك الاسلام لى عليك تمنية فقال الملك صدقت وما تكون هذه التمنية التى تريدها فقال يا ملك الاسلام تمنيت على الله ثم عليك ان اكون باشا على الشام فقال الملك خذوا هذا الرجل الى السجن فساروا به الى السجن قدر ساعة من النهار وامر الملك بحضوره فأحضروه فقال الملك ماتريد قال لا اريد شيئا فقال له وحق راسى الا تقول لي فقال له انا لى عليك تمنية وهى ان البلد التى تعجبنى اكون بها حاكما واريد ان اكون باشا على الشام فامر الملك بضربه علقة ثم قال له ما تريد قال لا اريد شيئا فقال له اخبرنى بحياة راسي قال له اكون باشا بارض الشام فعند ذلك قال الملك ارموه الى نطعة الدم وقد فعل به كما فعل الملك الصالح فى الديوان السابق فى فارس البطريق ثم اوصاه بالعدل فى احكامه واولاه باشا بارض الشام

(قال الراوي) فقبل يد السلطان واقام بالشام فهذا ما كان من امر هؤلاء ثم قام الملك بعد ذلك فى الشام لاجل الراحة فهذا ما كان من امر هؤلاء واما ما كان من امر شيحه ورجاله

(تم الجزء السابع عشر ويليه الجزء الثامن عشر واوله ان شيحه الخ)

﴿ سيرة الظاهر بيبرس ﴾

تاريخ الملك العادل صاحب الفتوحات المشهورة (السلطان
محمود الظاهر بيبرس) ملك مصر والشام وقوادعساكره
ومشاهير ابطاله مثل شيحه جمال الدين واولاده
اسماعيل وغيرهم من الفرسان وماجرى
لهم من الاهوال والحيل وهو
يحتوي على خمسين جزء

الجزء الثامن عشر

﴿ الطبعة الثانية ﴾
١٣٤٤ هـ - ١٩٢٦ م
التزام
عبد الرحمن محمد
ملتزم طبع المصحف الشريف بمصر
بميدان الازهر

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

(قال الراوى) ان شيحة الحيل على رجاله كتب حجج وانا انادى بنهمق فداوى ظهر من اللجج مقدم على الحبر يقدم مخبر اولاد اسماعيل الفلك الاخبر يقال له المقدم حسن الشتايني وذلك انه ظهر من اللجج وكان دخوله اليها لاجل ان يدور على المقدم معروف فاراي معروف ولا من يحفظ المعروف وقد شغل نفسه بالمال وشكت نفسه من الغربة فعاد طالب قلعته فلما دخل اليها اجتمعت عليه كواخيه ورجالته وقد اتاه الحلاق حلق له قرعته وقص اظفاره وصلح له لحيته واعطاه المرآة فطل فيها اعجبته سحنته وتأمل فى قلعته فراى فى صدر القلعة كرسي المقدم جمال الدين شيحه وراى ان القلعة فيه بياض وزواق وكتابة فقال يارجال ماهذا الحال وماهذا الزواق الذى على الحيطان وسأل ايضا عن القلاع ومن هو عليهم سلطان فاخبروه بالمقدم جمال الدين شيحه سلطان القلاع والحصون والظاهر سيد الملوك فلما ان سمع ذلك الخبر ضحك حتى مال على قفاه وصاح بعلو راسه وقال معزول الضو بهرى فقالوا جميع الرجال معزول فقال لهم يارجال وشيحه القصير معزول فها انا واتسلطن على القلاع والحصون واشترى مماليك من مالى واسلطنهم على مصر والشام وسائر بلاد الاسلام

(قال الراوى) فلما ان سمعت رجاله الكلام قالوا ياخوند تكلم باحسان لان الحيطه لها آذان هاهو الملك الى الآن مقيما على ارض الشام فسير الى هناك واظهر نفسك عنده وافعل ماتريد فما انت باعظم من ابراهيم ابن حسن ولا من سعد ابن دبل ولا من المقدم حسن النسر بن عجبور واحكوله على ماجرى وما فعل المقدم جمال الدين شيحه مع الرجال من الابتداء الي الانتهاء فان اردت ذلك فسير الي ارض الشام فهاهو الملك

هناك وهو مجبيك بالمقدم جمال الدين شيحه
(قال الراوى) فلما سمع بذلك الكلام قال لهم هاتو الحجرة يارجال فاتوه بالحجرة فركب وسار طالب البرارى والقفار حتى ان وصل الى ارض الشام وقد اقام فى البرالى ان اقبل الليل بالاعتكار وحمله الغيظان يدخل الي بيت مبيت السلطان يقطع راسه فى المنام بحدا الحسام وهو نائم غفلان ثم انه عبرالي الشام ودخل على بيت مبيت السلطان فرآه نائم غير يقظان فعند ذلك جرد الحسام واراد ان يهجم على السلطان واذا بيد له اتوضعت على صدر الملك وكانت هذه اليد يد الملك الصالح ايوب وهو يقول له قم ياظاهر الاعداء تمكنت منك فانتبه ويده على اللت الدمشقى وكان المقدم شرع يده بالشاكرية ليضرب السلطان فوقع اللطش على اللت فانكسرت الشاكرية فعاد عند ذلك المقدم حسن البشاشتي وهو فزعان ونزل من السراية فوجد فى طريقه الفحل الادهم فضرب الشباحات بشاكرية اليسار فقطعهما وركب الفحل الادهم وطلب به البرالاقفر فهذا ماكان من امر هؤلاء واما ماكان من امر الملك العادل فانه صاح على المقدم ابراهيم ابن حسن وارساه على الذى حصل له وقال له ياقليل الادب كيف انى انام تحت امان الله وامانك وانت وسعد غفراجية وتتمكن مني الاعداء فقال المقدم ابراهيم ياملك الاسلام وكيف كان الخبر وما احدا علينا عبر فقال له خذا نظر الشاكرية فاخذها وتاملها فيها اسم المقدم حسن البشاشتي صاحب قلعة بشتان فقال الملك وماله ومالى هذا الرجل ولكن والاسم الاعظم لا بدلى من تحقيق هذه القضية ولا ابرح من مكانى هذا حتى احقق امر هذا الرجل فقال له المقدم ابراهيم احلم ياملك الاسلام وسوف ياتى لك الحال على ماتريد ان شاء الله تعالى
(قال الراوي) فبينما الملك كذلك واذا بعتمان داخل عليه وقال له سلام عليكم ياابو محمد قال الملك اهلا بالشيخ عتمان قال عتمان مالك جالك الرجل قال له اى رجل قال عتمان ابوحوطه الذى لم يفارقك لافى موته ولا فى حياته خسرك علينا قال له ومن اعلمك ياعتمان بذلك فقال له سيدك عقيرب قال الملك جاتك داهيه انت وعقيرب سوي قال عتمان انت ماتتغمش قال الملك ماذاجرى ياعتمان قال عتمان الذى اخذ

اخذ قسمته قال له وا يش الخبر يا عثمان قال عثمان اذا نصرت انا اجيب لك احسن منه هذا بقى مثل خيل الطواحين وانت عندك غيره كثير فقال الملك اخبرني يا عثمان قال عثمان الفحل الادهم سرق

(قال الراوى) فلما سمع الملك بذلك الكلام قال لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم قال وكان ذلك الجواد عزيز على الملك لاجل نجابته قال له ومن اخذه يا شيخ قال عثمان الذي كان مراده ينبطق الليلة الماضية لولا لحقك ابو جوطه لكنت رحت فى الف داهية انت الآخر فضحك من قول عثمان وقال له سير الى حال سبيلك فانا اعرف خلاصي فعند ذلك نزل عثمان الي حال سبيله فهذا ما كان من امر هؤلاء واما ما كان من امر الملك العادل فبينما هو جالس على الشام واذا باربع خواجات يقبل الارض عليه فقال الملك ما الخبر قالوا يا ملك الاسلام اعلم ان الملك البرتر قد عصى وحاصر على قلعته وهى طرابلس الشام وقطع القوافل السائرة فى البراري والقفار وقد اتينا نريد المسور على طرابلس فبلغنا الخبر عاوقع من ذلك الاثر فعدنا راجعين وكان مرادنا التوجه الى المحروسه فبلغنا الخبر بانك على الشام فاقبلنا اليك وقد اخبرناك والامر امرك اطال الله عمرك والسلام

(قال الراوى) وكان السبب فى ذلك ان اللعين جوان والبرتقش الخوان لما ان هربوا من قلعة سلخ كما ذكرنا وطلعوا الجبل كما وصفنا واقاموا هناك حتى جاء النهار وتضاحا واذا بالقلعة قد ملكت فطلبوا الانفسهم النجاة وساروا الاثنين فى الفلاة ولم يزالوا سائرين الي ان اقبلوا الى ارض طرابلس الشام وقد دخلوا على البرتر فقام لهم وتلقاهم وقد اكرمهم وحيا مثواهم وذبح لهم خنزيرة تحت ارجلهم والي جانبه اجلسهم فلما ان استقربهم الجلوس قال جوان يا ولدى اما تريد ان تغزى لك غزوة فى سبيل المسيح فقال له اعلم يا ابونا جوان ان الملك بيبرس هذا لم احد يقدر عليه ولو اتاه المسيح بنفسه لما وقف ساعة بين يديه وانا ما انا مجنون اما تعلم كيف اخذ جميع الملوك في السجن وها انا كافى خيرى شرى ولا اركب فان قعدت عندي فى امان المسيح فلا باس بذلك وان رحلت فافعل

(قال الراوى) فلما ان سمع جوان منه ذلك سكت على مضض منه وقال فى نفسه وحق المسيح لم ادخل هذا المكان عمار واخرج منه وهو عمار ابدا ولا بدا نني اجعل هذا اللعين كالة السبع ملوك فى سجن دين المسلمين ثم انه قام عنده وامر بعض اللئام بقطع الطرقات ونهب القوافل فساروا الكفار يعطعطوا فى البر ولم يزالوا يعملوا ذلك حتى وصلت الاخبار الى الملك بذلك كما ذكرنا وكان اللعين البرتر بلغه طرف من الخبر وذلك ان الكفار الذين اغراهم جوان وساروا ينهبون فى البرارى والقفار هجموا على قافلة وكان فيها بعض رجال قد شاهدت الاهوال فسطوا على اللئام فقتلوا منهم جماعة وقد نهبوا بعد ذلك هذا وقد وصلت الى البرتر الاخبار بان جماعة من الكفار محلقين على التلال فقال ما هذا الحال يا عالم الملة فقال هذه كلها من اذية المسلمين وانهم يتجارون اذيتنا و يدعون علينا وانت اذا ركبت ما عليك اثم فى دين المسيح وايضا ان الحوار يون اتوا الى واخبرونى ايضا بانك انت الذى تكون سببا لخلاص الملوك الذى في العرقانه فلما ان سمع اللعين بذلك انطلى عليه واغلق ابواب القلعة وعصى وامر بقطع القوافل حتى شاعت الاخبار بذلك وعلم الملك كما ذكرنا فهذا الاصل والسبب ولما ان سمع الملك بذلك حلف واقسم بالله انه لا يرجع الى مصر الا بعد ان يفتح طرابلس و ياخذ ملكها البرتر و يجعله كالة الملوك الذي عنده ثم ان الملك كتب كتابا في عاجل الحال وكتب يقول فيه الصلاة والسلام على سيد السادات خطابا من ملك الاسلام الى بين ايادى المقدم حسن البشتانى القليل الادب القليل الحيا من مثلك يتجاري على الملوك و يفعل معهما الفعال الناقصة و يريد قتل ملك الاسلام بغير حق و يخالف كلام الملك العلام و يدعي بعد ذلك انه شريف ينسب لسيد الانام فان اردت السلامة من العدم الى الوجود من القبر تاتى الى عندى طايع مختار اجمع بينك و بين المقدم اخو يا جمال الدين شيحه سلطان القلاعين والحصونين عز نصره تلعب معه مناصف وحيل فان انت غلبته تاخذ السلطنه وان هو غلبك تعطيه مثل ما طاعه غيرك وحامل الاحرف كفاية كل خير قادر يجيبك قتيل او اسير او طايع او مختار على اي حال كان والسلام على نبي تظلله الغمام ثم ان الملك طوى

الكتاب وصاح على ابراهيم ابن حسن فاجابه بالسمع والطاعة فقال له خذ هذا الكتاب وسير به الى قلعة بشنه واعطيه الى المقدم حسن البشتانى وهات لى منه رد الجواب سريعا فقال له المقدم ابراهيم ياملك الاسلام والاسم الاعظم انا لم اروح بهذا الكتاب فقال الملك وانت يامقدم سعد فقال سعد وانا الآخر لم اروح ابدا (قال الراوي) وكان امتناعهم لاجل سبب عجيب وامر مطرب بديع غريب وذلك ان المقدم حسن له اخت يقال لها عائشة البشتانية قد اعطاها الله من الجمال الباهر والكمال وكان المقدم ابراهيم وسعد يعرفونها وهى ايضا تعرفهم وكانوا الاثنين يحبونها وكان كل واحد منهم يقول فى سره اذا ظهرا خوها من اللجج اخطبها منه قال وكانت هى تحب سعدا ابن دبل وتكره ابراهيم ابن حسن ولذلك امتنعوا من الرواح بهذا الكتاب وقال ابراهيم فى سره لاأروح الى حسن ابدا ولا اعانده لعله يسعي لي فى زواج اخته وسعدا يضا كذلك لانهم غارقين فى حبها وتاهين فى بحر حسنها وجمالها لانها مثل ماقال فيها بعض واصفيها هذه الابيات

مليحة حازت جميع الدلال * وفاقت على اهل الكمال
لها عيون غنج لواحظ * ترمى على العاشقين نبال
لها خصر نحيل مارأيت مثله * فهو فى نحاله مثل حالى
لها ردف ثقيل وشعر كحيل * وخد اسيل وغرة وهلالى
لها حواجب وعيون سرهان * لها لفتات كمثل الغزالى
مارأيت فى العالمين كمثلها * ولالها فى البنات من امثالى
اذا عانقت شيخ هرم كبير * لاصبح فى عزة وشدة ونوالى

(قال الراوى) فلما ان امتنعوا هذين الاثنين من ذلك تحير الملك فبينما هو متحير واذا بعتمان اقبل عليه فلما رآه الملك قال اهلا بالشيخ عتمان خذ هذا الكتاب وسير به الى قلعة بشنه وسلمه الى حسن البشتانى وهات لي رد الجواب منه فقال عتمان السمع والطاعة وأخذ الكتاب من الملك فقال له اذا اتيت برد الجواب فتعالى لي به على ارض طرابلس لانى اريد الذهاب اليها فسار عتمان بالكتاب فهذا ما كان

من امر هؤلاء . قال واما الملك فانه بعد مسير عثمان امر بالرحيل فرحل الى طرابلس الشام وقد نزل عليها فى رجاله وكامل ابطاله وقد ضرب الوطق والاعلام ونزل الملك (قال الراوى) فهذا ما كان من امر هؤلاء واما ما كان من امر الاسطى عثمان وما قد يقع له من الكلام العجيب والامر المطرب الغريب وذلك انه مازال سائر حتى عبر على قلعة بشنه فدخل المقدم عثمان فرأي حسن جالس ورجاله من حواليه وعثمان يقول سلام عليكم يارجل يا حسن يا منشه قال له حسن منشه على قرعتك قال واوقف بادب واعطيني حق الطريق الفرش بأدب والا اضربك بالرزه اطير دهن رأسك فغضب حسن البشتاني من قوله وصبر نفسه حتى يقرأ الكتاب ثم انه اخذ الكتاب وفضه وقراه واذا فيه ما قدمنا ذكره فلما قراه التفت الى عثمان وقال له يارجل انت الذي تاتي بى الي عند الملك اسيرا وذليل او حقير قال عثمان يعني غليظ اسأل على ياغاير يقول لك انا ابو عياق مصر بيتنا في المراغه والقبر الطويل ولنا عبد اسمه فرج وعلى باب بيتنا قنديل قال فلما ان سمع من عثمان ذلك زاد غضبه وصاح اقبضوه يارجال فهاجت الرجال على عثمان وقبضوه وقد جردشا كريته وأراد آن يضرب عثمان وعثمان صاح بعلو رأسه وقال يا نفيسة العلم واذا بعائشة اخت المقدم قد اقبلت فلما رأتها الرجال تأخرت الى ورائها وكذلك اخوها جلس مكانه اكراما لها فلما اقبلت اليه سلمت وقالت ما يكون الخبر يا حسن فقال يا اختاه خذى كتاب الظويهرى الخناس وايش هو يقول فيه فلما قرأت الكتاب قالت له هذا الكتاب ما كان مكتوب لهذا الرجل وانما كان مكتوب لغرة النخال فهذا الرجل انا اعرفه من زمان ولي الله قطب كبير فانت اطلقه لاجل خاطري فقال لها خيراً نالا اطلقه ابدا ولا بد من قتله فقال عثمان انا فى عرضك ياخاله فقالت له لا تخاف ابدا يارجل ثم انها كررت على اخيها الكلام وهو لا يمتثل الى قولها فعند ذلك جرت حسامها وهجمت على اخيها وخلصت عثمان من بين يديه وضربته بالشاكرية صفحا على رأسه وقالت له ياخناس لا كنت ولا كان ولا عمر عملك اوطان تتشطر على رجل ولى مثل هذا الغلبان وانت قرمان ذليل جبان مهان لا لك قيمة بين الرجال ولا شان ولا تكرمه لاجلي وهو قد وقع في عرضي ثم اطلقت عثمان قوة واقتدارا وامرته بالمسير فسار فى البرارى

والقفار هذا والمقدم حسن غضب غضبا شديدا ماعليه من مزيد وقال لها يافاحته تضحكي على الرجال ولكن والاسم الاعظم لابد أن اركب واسير الى طرابلس الشام وادخل الى جوان واعينه هو الملك البرتر على الاسلام قال فلما سمعت منه اخته ذلك الكلام قالت له اخوى فى هده اللحية ايش تقول لربنا يوم القيامة تقول اعنت الكفار على الابرار ولكن انا الاخرى والاسم الاعظم لابدلى من الركاب واعين ملك الدولة على الكفار واهل الطغيان ثم ان كل واحد منهم ركب جواده وطلب البراري والقفار

(قال الراوى) فهذا ماكان من امر هؤلاء واما ماكان من الملك العادل فانه لما ان سار الي طرابلس ونزل عليه كما ذكرنا واخذ الراحة كما وصفنا كتب كتاب لابن حسن وقال سير بهذا الجواب الي البرتر وهات منه رد الجواب فقال ابراهيم اكتب كتابك وغلظ جوابك واعلم انى انا للكل كافى وحق البريه ثم سار ابراهيم بالكتاب وطرق الباب فقالت الحراس من بالباب فقال نجاب وحامل كتاب فاستأذنوا عليه الملك فاذن لهم فى دخوله فلما عبر ابراهيم الي الديوان وقف قدام اللعين جوان وصاح بعلو راسه قاصد ورسول وما على الرسول الا البلاغ بالدين قال جوان ايش معك من الاخبار قال كتاب قال البرتر هات الكتاب قال ابراهيم قم على حيلك بادب وخذ الكتاب بادب واقراه بادب واعطيني اياه بادب وحق الطريق بأدب ورد الجواب بأدب ان انت عملت اهلا للادب سرت انا الآخر من قدامك بأدب وان خطر ببالك انك تمزق الكتاب والاسم الاعظم قبل مايصل منه الى الارض شيء تكون قرعتك سابقة ها انت وجوان لان الملك كاتب لك كتاب فى ساعة جلال يكون كاتب شتمه اولعنه اوسبه اوكله لم تكون على مزاجك احرص لنفسك فقد نصحتك والسلام فقال له لا تخاف على الكتاب فارماه اليه ابن حسن فقراه اللعين يجد فيه الصلاة والسلام على سيد السادت خطابا من ملك القبله وخادم الحرم الى بين ايادى الكلب الاكلب والذئب الاجرب البرتر من مثلك يقطع الطرقات على المسلمين وينهب القوافل السائرين ويطاوع جوان اللعين فان اردت السلامة من

الندم والوجود من العدم تقبض جوان والبرتقش وتحط نفسك فى الحديد وتاتى الى عندي حافى الاقدام مكشوف الراس ارميك فى نطعة الدم تشفع فيك اقل من عندى من الرجال احاسبك على كلفة الركبة ان عملت هذا كان الحظ الاوفر لك وان لم تفعل السيف حكم بيننا وبينك والميدان يبين الجيد من الجبان وحامل الاحرف كفا يه قادر يأتى بك الي عندى حقيرا وذليل اوطايع اومختار على اي حال كان والسلام على من تظلله الغمام فعند ذلك التفت جوان الي البرتر وكان قرا الجواب من ظاهره فقال له يا راجل اوعى تطاوع رب المسلمين وتقبضني لئلا تكفر هذا وقد قال البرتر خذ ياسيدى الجواب هاهو فأخذه ثم كتب له رد الجواب فوضع الكتاب فى شده وظنطه ووضع رد الجواب فى كعب الجزمه وقال حق الطريق ياجوان فقال جوان اعطوه حق الطريق خمسة آلاف دينار لانه رجل فشار لاينشطر الا بالمنطار فاعطوه الدراهم فاخذهم وسار من وقته وساعته الى السلطان واعطاه الكتاب ورد الجواب فقرا الملك رد الجواب رآه بالحرب قطعه ورماه وعزم الملك على القتال ونادى فى الرجال باخذ الاهبة فهذا اما كان من امر هؤلاء (قال الراوى) واما ما كان من امر المقدم حسن البشناوى فانه دخل طرابلس الشام وعبر الى الديوان الذي فيه جوان فلما ان رآه سلم عليه فقال له من انت قال انا حسن البشناوى صاحب قلعة بشنه وقد جيت لك ياجوان انصرك على الملك الظاهر فقال له جوان مرحبا بك سلطنوه يا بطارقة على القمور والصخور مرحبا بك ياسيدي حسن فاخذه الافروى ونادي عليه لا سلطان على القمور والسخور الا المقدم حسن البشناوى وبعد المناداة عادبه الافرورى الى جوان فاقام عنده من داخل طرابلس فهذا ما كان من امر هؤلاء (قال الراوى) واما ما كان من امر الشيخ عثمان فانه سار الى طرابلس ودخل على الملك واعلمه بما وقع فهذا ما كان من امر هؤلاء واما ما كان من امر عائشة البشناوية فانها سارت الى طرابلس الشام ونزلت ليلا اليها وقد اقبلت الي خماره فدخلت الى تلك الخمارة فرايت فيها بنت واقفة من بنات اللئام الا ان هذه البنت ذات حسن وجمال وقد و بهاء ودلال كما قال فيها الشاعر المهزال

صفاح خدام سهام العيون * بهم رمينا ام بسحر العيون
ام ناعسات الطرف قد جردوا * سمر القنا حتى لنا يقتلون
فيا قلبي المعنى تصبر * على ما اعتراك من الشجون
وان هم خاضوا اولعبوا * فدعهم فى خوضهم يلعبون

وهذه البنت لها رجل وهو ابيها وهما يبيعون الخمور فدخلت عندهما الى ان تصور الليل وادعت بالطعام واتو اليها بالطعام وقد وضعت فيه البنج وتحملت هي بضد البنج ثم صاحت على البنت وعلى ابوها ليأ كلوا فدنوا من الا كل وا كلوا ولما ان استقر الا كل بهم رقدوا لوقتهم وساعتهم فنهضت عائشة وذبحت الرجل وشبحت البنت من داخل تلك الخمارة شبحة تقشعر منها الا بدان واعطتها ضد البنج عطست فلما افاقت على نفسها ورات ان ابوها مذبوح ونفسها مشبوحة وعائشة واقفة بالشا كرية على راسها خوفا من ان تصيح فقالت لها البنت ايش انتى قالت لها انا اسمي عائشة وانا من بنات الاشراف وها انا اريد العب منا صف وحيل فاتيت الى هذا المكان فانت ماتقولي فى دين الاسلام وعبادة الملك الديان فوحق ديني ان انت اسلمتي سلمتي من هذا الحسام وفزتي غدا فى يوم الزحام وان ابيتي الاسلام جعلتك مثل ابوكي وعلوتكي بهذا الحسام الصمصام فعند ذلك التفتت البنت اليها وتاملتها وقد فتح الله قلبها للاسلام فقالت لها والذى يسلم ماذا يقول قالت لها قولى مثل ما اقول اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فقالت البنت مثلها وكان اسمها صلبان فسمتها حسنه ذات الوشام ثم انها نهضت وفكتها وصافحتها وقبلتها وقالت لها يا حسنه ابشري بكل خير فلا بد انى ازوجكي بشاب مليح يكون مثالك فى الجمال والقد والاعتدال فقالت لها ياستاه ها انا بين يديكي فافعلي بى ما بدا لكى فها انا فى تلك الساعة لا اخالف مقالكي فقالت لها انى اريد ان تلبسي ثيابكي وانا البس كذلك ونقف فى الخمارة وندبر المكر حتى نقبض النصارة وان اسعفتنا يد الاقدار ملكنا البلد الى ملك الاسلام الحاكم على الكبار والصغار فاجابتها الى ذلك فى عاجل الحال ولبسوا وقد وقفوا على باب الخمارة وصاروا ينادون على اللئام والكفار

ويقولون الاكل والشرب بلاش والبيبار (ياسادة) وان الطماعين كثير فهرعت اللئام الي الخمارة وكل من دخل اليها فلم يرجع يخرج ابدا على طول المدا بل يكون فيها قبره الى يوم القيامة حسابه ونشره ولم تزل هذه الحالة حالتهم واقاموا فى ذلك المكان على مثل هذه الاحكام (قال الراوى) فهذا ما كان من امر هؤلاء واما ما كان من امر اللعين جوان فانه فى بعض الايام امر بدق طبل الحرب فدقوها وابواب البلد فتحوها وقال جوان قم حيلك ياسيدي حسن انزل الميدان فاجابه الي ذلك وركب ونزل الي حومة الميدان ولعب بالرمح والسنان ونادى برفيع صوته الا من عرفني اكتفى ومن لم يعرفني فما بي خفا انا المقدم حسن البشناوى سلطان القلاعين والحصون باطلاقه فلما ان سمع الملك ذلك صاح على الامارة وقال ابرزوا اليه يا عصبة الاسلام فاول من ابتدر اليه كان الاميرا يدمر البهلوان فاخذه اسير ونزل اليه التجاولي فاخذه وعلاى الدين كذلك حتي اسر خمسة امارة من امارات الملك العادل وكل ما اخذ واحد صاح بصوته ميدان ما فى الميدان الا سلطان القلاع والحصون ثم بعد ذلك امر الملك بدق طبول الانفصال فعادت كل طائفة الى مكانها وقد فرح جوان وقال للملك البرتر منطر أول باول فقال له البرتر تو يا بونا انا لم امنطر احدا من هؤلاء حتي اني اقبض على الجمع الرفيع منهم الوضيع وتدرى يدى على زين المسلمين و بعد ذلك امنطرهم اجمعين والآن فاني اجعلهم فى السجن فاذا نحن اسرنا احدا نفديه بآخر من المسلمين فعند ذلك سكت اللعين جوان على مضض منه هذا والملك العادل قد صعب عليه ماجري وكبرلديه وقال لوزيره ياوزيرى كيف يكون هذا من الاشراف و يفعل افعال الاتلاف فقال له الوزير يا ملك الاسلام هذا وقد تمكن منه الشيطان فاصبر انت على هذا الشان فان قلبي يحدثنى بكل خير واحسان فسكت الملك على ذلك ولما ان كان ثانى الايام نزل المقدم حسن الى الميدان ومحل الضرب والطعان فاسر خمسة من الفداوية والرجال المسمية ودقوا طبل الانفصال ولم يزل على ذلك الحال الى مدة ستة ايام تمام وقد أخذ ثلاثين من اعيان الدولة وجوان يشكره فى ذلك على كل نوبة ويقول له طيب عليك طيب ثم ان الملك ضاق صدره فقال الملك يا براهيم

خذ المقدم سعد وادخل الى البلد لعلكم ان تعينوا لنا مدخلا ندخل منه او باب او محل فقال ابراهيم سمعا وطاعة يا ملك الاسلام وأخذ سعد وسار وقد اقبلوا الي ظاهر البلد وارموا المقارد ونزلوا اليها وساروا من داخلها والاثنين لابسين ملابس اللثام ولم يزالو من مكان الى مكان حتى اتوا الي تلك الخمارة فقال ابراهيم يا سعد ادخل بنا الى ها هنا ادر بحا على راى من قال هذه الابيات

نزه النفس ان قدرت عليها * ولا تكن جالب الهم اليها
سوف يأتيك فى زمانك ضيما * تبقى انت والزمان عليها

قال فقال له سعد سمعا وطاعة ودخلوا الاثنين الى تلك الخمارة فراوا هذين البنتين وهما اوقفتين كانهما الغزلان او مثل قضيب الخيزران على راى الذي قال

اشاهد ذلك الحسن والقد * واحلف ما لكى فى الخلق من قد
ياجميلا قد حويت طباعا * ما حازها مالك الروم والهند
جردت فينا من اللحاظ سهاما * فاورثنا السهام غاية الوجد
والقوس من حاجبيك رمانا * بنبال صابت القلب والكبد
والخصر ناحل كمثل حالي * وما كادني غير الصدر بالنهد
فما رايت عينى مثالك فى الورى * ولا فى العجم والروم والسند
تلطف بحالى فانى مغرم * ورق لصب لك فى مقام عبد
بل العبيد لهم التهانى * وانا لم ازل فى ازدياد وجدي

(قال الراوى) فعند ذلك تأمل المقدم ابراهيم الى ذلك الحال فزاغ بصره وضاعت معرفته وتخبل غزله ولا بقا يعرف ما فى يده هذا وسعد قد شاهد منه ذلك فجعل يضحك عليه ويقول له يا أبو حليل الخمرة قد سلبت عقلك قبل أن تشربها فكيف اذا شربتها فقال له بالله يا سعد انك تسكت عني فقال سعد ايش هذا الحال وكيف أسكت ولم يزل يضحك عليه حتى أقبلت البنات وأخذوا بايديهم وأجلسوهم ولما أن استقر بهما الجلوس اتوهما البنات بالمدام فشربوا الاثنين فوقعوا الى الارض وهما لا يعرفون الطول من العرض فقامت عائشة وأخذت الاثنين الى داخل الخمارة

وادخلتهما سجنا ضيقا ظلام وقد أتت الى ابراهيم بقيد ثقيل وزند ثقيل وضامنة ثقيلة وشكلته فيهما ورمته الي الارض وأتت بمسند ومخدة وفرش وفرشته وقد اوضعت المقدم سعد عليه و ربطت يديه ورجليه بزنار حرير واعطتهم ضد البنج عطسوا الاثنين شهد ولا تجد بالدين العربي محمد وقال ابراهيم فين انا قال له سعد في نفسه وأربعة عشر هذا والبنات قد تقدموا اليهم وقالوا لهم انتم من تبوع محمد يا كناس وقعتم وما بقا لكم خلاص من ضيق الاقفاص ثم أغلقوا عليهم الباب وتركوا الاثنين فقال ابراهيم ياسيدا انا في قيد ثقيل قوى فقال له سعد وانا الآخر مثلك أنظر يا اخي فمد يده اليه فرأي ذلك السرباق فتعجب غاية العجب فقال له ياسعد ولاى شيء ذلك قال له يا اخي اني نحيف الجسم قوى والله يا ابن الخالة ان نظرهم جاء في محله (ياسادة) ولما ان جاء وقت الصباح ودخلوا عليهم البنات ومعهم آنية الطعام وقد قدموا لسعد الفراخ والحمام وقدموا لابراهيم البشماط والمدمس هذا وابراهيم قال ياسعد لاي شيء انت تاكل اللحم والفراخ وانا آكل العدس والبكشماط فقال له يا ابن الخالة قد نظروا محل النظر وابش يكفي هذا الكرش غير العدس والشرش (قال الراوى) ولم يزالوا على مثل ذلك الحال فهذا ما كان من امر هؤلاء واما كان من امر الملك فانه جلس في انتظار ابراهيم وسعد فلم احد منهم اتى اليه ولا رد عليه فتحير الملك في ذلك فبينما هو في حيرته واذا بالمقدم شيحه داخل عليه النبي فاز من صلى عليه فقام الملك وتلقاه واكرمه واخبره بالخبر من اوله الى آخره فقال له ها انا داخل البلد وانت انتظرني حتي اعود اليك او ياتى غيري اليك بالاخبار فقال له الملك سمعا وطاعة هذا ثم ان جمال الدين غير وبدل ودخل الي البلد وسار فيها حتى اقبل الي الخمارة فراى هؤلاء البنتين فدخل اليهما بنفسه ولقى عليهما بلغة اللئام فعند ذلك ظنوا انه بطريق فاجلسوه ولما استقر به الجلوس اتوه بالكاس المبنج فقال لها سلمه يابنت اشربي هذا الكاس انتى فقالت له انا اتيت اليك به انت فقال يا كناسات هذا الكاس مبنج وانا اطلع الآن الي ملك البلد يمنظركم انتم الاثنين فلما ان سمعت عائشة ذلك خافت وقالت له

يامعلم ومن اعلمك بانه مبنج فقال لها انا عرفته ياعائشة ولكن هذه صناعتي ومن امرك انكي تدخلي وتفعلي هذه الفعال فقالت له انت سلطان القلاع والحصون قال نعم فعند ذلك قبلت يده واقرت له بالاطاعة واعادت عليه اخبار البنت وسبب اسلامها وكيف اقبل ابراهيم وسعد فقال شيحه والله ان هذا ملعوب عظيم واني لم كنت اعرفه وماعرفته الا منكم الآن ولكن جعل الله لكل شيء سببا ثم انه جعل نفسه ثالثهم ووقف في الخمارة معهم وكل ما يصطادون رجلا من الكفار يقتلوه فهذا ما كان من امر هؤلاء واما ما كان من اللعين جوان والبرترفانه وصلت اليه الاخبار بالنقص في البلد فقال ياجوان وماذا يكون العمل فقال له ما في الامر الا اننا ننزل نشق البلد مع بعضنا ونكون من جهة اليسار وسيدي حسن يشق من جهة اليمين حتى ننظر ماذا يكون الحال ونجعل الاجتماع مع بعضنا في خمارة صلبان فقال البرتو هذا هو الصواب والامر الذي لا يعاب ثم نزلوا على مثل ذلك ولم يزل جوان سائر حتى اقبل الى الخمارة وعبر هو والملك والبرتقش اليها فلما رآهم شيحه شيحه اخفى نفسه منهم فلما اتاهم البنت صلبان ترحبت بهم واجلستهم هي وعائشة واتتهم بالمدام فمن شربه منهم قد نام ثم انها وضعتهم في الحديد وانزلتهم الى عند ابراهيم وسعد واعطتهم ضد البنج افاقوا فتامل جوان ورای سعد وابراهيم فضحك وقال ياابو خليل اني اراك في قيد ثقيل وانت ياسعد في فلة من الحر يروانا وحق المسيح اقول ان ما فعل معكم هذه الفعال الا عائشة البشنا نيه لانها تحب سعد وتكره ابراهيم فقال ابراهيم ياسعد ادعى تكون تحبها لانها ما هي من مقامك ولا انت من رجالها فقال سعد دعنا الآن من ذلك الشان هذا وقد عرفت عائشة انه لا بد من مجيء اخيها الى ذلك المكان فقالت للمقدم جمال الدين ياسلطان القلاع والحصون انا اعلم ان اخي كان مع جوان الملك والبرتقش واخاف ان ياتي الى هاهنا فيعرفني و يكشف ملعوبي وانا اريد ان اخفي نفسي وانت تقف مع البنت حسنه في باب الخمارة حتى ياتي اخي فتقبض انت عليه وتكون هذه النوبة قد فرغت فلما سمع المقدم جمال الدين شيحة ذلك استحسن رايها ووقف في مكانها

ودخلت عائشة وقد اخفت نفسها ولما ان استقر الجلوس بجمال الدين شيحة اقبل اليه المقدم حسن البشناني فلما رآه المقدم جمال الدين شيحه وقد اقبل عرفه فاستقبله وترحب به فقال له المقدم حسن يا خمار فقال له بيور ياسيدى ما انى الى هاهنا الشيخ جوان فقال له ياسيدى مر علي وقال لي يافليونى اذا احد سال عني فدعه يدخل الخمارة وينتظرني حتى اعود اليه لانى اريد ان اشق فى البلد ورايت معه الملك الكبير والبرتقش ولا بد لهما من الرجوع الى عندى لان هذه الخماره لا يدخلون غيرها ابدا فلما ان سمع المقدم حسن ذلك اطمأن قلبه وعبر الي الخمارة وجلس من داخلها ولما ان استقر به الجلوس اتاه الخمار بالكاس فشرب به فما عرف له رأس من رجلين وبرم وانقلب لوقته وساعته فكتفه ودخل به الى عند باقي الجماعة واعطاه ضد البنج عطس فقال اين انا فقال له الخمار انت عندى فقال له ومن انت قال له انا سلطان القلاع والحصون فما تقول فى الاطاعة ياحسن فقال له اخرس خرسك البلا خناس انا لم اطيع رجل مثلك ابدا

تعس الزمان وقد عطاك بفضله   غلطا ولكن البهائم ترزق
وكذلك الاصنام وهى حجارة   عبدت وليس لها لسان ينطق

فقال له شيحة وبعد ذلك ما تطيع فقال لا اطيعك ابدا فعند ذلك تقدم اليه جمال الدين واخرج السوط من حرمدانه فلما رآه المقدم حسن ضحك وقال له ماهذا يارا جل فقال له هذا مؤدب الفجار فقال له والله لانك مجنون تضرب مثل حسن البشناني بقطعة جلد يارجل اضرب حسن بشوا كرمن البولاد فقال له جمال الدين شيحه والاسم الاعظم انا علقتي بهذا السوط ثمانين ولكن ام الرجان بيني وبينك ثلاثة ان ضربتك ثلاثة ولم تقول لا آه ولا اواه اول من يطيعك انا وآخر من يمضي لك فلما سمع المقدم حسن ذلك منه قال مرقت السلطنة منك ياقصير الشؤم اضرب اضرب حسن ثلاثة فى ثلاثة لما لم يبقى في الدنيا ولا ثلاثة عيب على ان اقول من مثلك آه فقال واين اضربك فقال له على بزازتى فقال ها هو المقصود ثم تقدم شيحه وفك العنتري فراى له نهود مثل نهد البنت البكر فكشف صدره وتأخر عنه ورفع

يده الى سوادابطه وضرب به اللطش الاول فما نزلوا اللسانين بالاكرتين بالزورتين بالسفودين لاخرجوا الا بالحلمتين بعنشا بين من الدمافاراد المقدم حسن ان يسكن ويجلد نفسه فما امكنه لانه راى ذلك البهار حامى قوى فصاح بعلو راسه آ ياقصير اصبر على انت ضربتني قدرايش قال مرة واحدة فقال له يارجل عشرة آلاف والاسم الاعظم ان احدسألني وقال لى باى شئ دخلت جهنم لاقول دخلتها بصدري وانا اقول هذا السوط مسموم فقال له المقدم جمال الدين شيحه لا يامقدم السم فى الانامل ثم رفع يده واراد ان يضرب به اللطش الثانى فقال لا تفعل لانك اذا ضربتني به ثلاث اخر غيرهذا ينهرى لحمى فدعنى حتى اداوي نفسي فقال له انا عندي الدوا يامقدم ثم اخرج حق من حرمدانه ودهن مكان الضرب بة فعادت له فى عاجل الحال فقال له يارجل انت تجرح وتداوى في ساعة واحدة ياجمال الدين فقال هكذا شان الناس فقال له خاب من عاداك ولكن الله ملاء قلبك ابدا جعل الله لك السعادة الملكية طاعة الخوند اليك والاسم الاعظم فتقدم اليه شيحه حله من وثاقه وكتب اسمة على شاكره وقال له سيرمن ها هنا وادخل على الملك ودعه يركب ويدخل الى البلده ويغزيه وانا اسيرا يضا وافتح ابواب البلد واعطل المدافع والحصارات وانت ياعائشة خليكى فى مكانكى حتى اعود اليكى واحترسي على كل من كان عندكى فاجابته الى ذلك بالسمع والطاعة وخرجوا على مثل ذلك الحال هذا واطلق شيحه ابراهيم والمقدم سعد ابن دبل وقال لهما اقيموا مكانكما حتى يعبر السلطان واخرجوا للغزاة والجهاد فى طاعة رب العباد (قال الراوي) فبينما الملك جالس منتظر الاخبار واذا بالمقدم حسن البشنانى مقبل عليه فسلم واطاع وقال للملك اركب ياملك الاسلام واضرب فى اهلها بالحسام الصمصام واعلم ياامير المؤمنين ان الابواب مفتحة والملك مسجون هو وجوان والبرنقش وكل هذا من بعض فعال المقدم جمال ابن شيحه القرم الشديد الذى ماعليه من مزيد وركبت الرجال وعبروا الي البلد فرأوها مفتحة فلما دخل اليها وتوسطها نادي الملك فيها بالتهليل والتكبير والصلاة والسلام على البشير النذير ونادى الملك حاس الله اكبرانا ملك القبلة انا خادم الحرم

فبينما الملك يجاهد واذا بالمقدم ابراهيم قد اقبل ومعه سعد ابن دبل وصار السيف يعمل ونار الحرب تشعل والكفار تتجندل والجبان قد انبهل والشجاع قد ذل وزحل ولم تزل الاسلام تقاتل حتى تضاعفت الكفار وعمل فيهم البتار عمل النار فتصايحوا الامان الامان فقال الملك لا امان لكم عندى حتي توحدون الملك الديان فعند ذلك تقسموا على اقسام من اسلم سلم ومن فضل ندم وايد الله الابرار بتوحيد الملك الجبار وهلكت جميع اللثام وانقلبت البلد اسلام وامر الملك باخراج الصلبان وهدم البيع الذى فى ذلك المكان ونهب ما فيها من الاموال ففعلوا ذلك فى عاجل الحال ونهبوا كل من كان فى البد وما تركوا فيها عقال ونهض الملك وجلس على تخت البلد واحدقت به الرجال من كل جانب ومكان ودور الملك على ابراهيم وسعد فلم يجد لهما خبر ولا وقع لهم على جلية اثر هذا وقد اقبل المقدم جمال الدين شيحه والبنت عائشة والملك البر ترولما تكاملوا الجميع قال اين ابراهيم وسعد وانهم كانوا معنا في الغزاة فقال له شيحة سوف يا تو يا امير المؤمنين فبينما الملك كذلك واذا بسعد قد اقبل وما معه احد فقال له الملك اين ابراهيم قال له لا بد ان ياتى يا امير المؤمنين فقال وكان السبب فى ذلك ان سعد ضحك على ابراهيم وقال له سير معى واركب جواد من خيول الكفار حتى اننا ناخذ من هذا النهب صندوق وندفنه بعيدا عن هذا المكان فاذا تمت هذه النوبة اخذناه وحدنا ثم ان سعد اتى بصندوق فيه امتعة وقماش واخذ ابرهيم وسار الي الخلوات مسافة نصف نهار وقال له افحت لنا هنا وادفن هذا الصندوق واعلم انى من مدة قد كنت دفنت ها هنا شكمجية اخرى ملآنة اموال (قال الراوى) ثم ان سعد قال لابن خالته واعلم انى من مدة اتيت الى هذا المكان ودفنت فيه شكمجية من المال فاجعل هذا الصندوق معها فاذا قضينا الاشغال عدنا الى ذلك المكان واخذناهما نحن الاثنين فتاخذ انت الشكمجية وانا آخذ الصندوق اوانت تاخذ الصندوق وانا اخذ الشكمجية فقال ابراهيم يا سعد وقتها فرج وقال فى سره اذا انقضت الاشغال عدت انا واخذتها ولم اعط سعد شيئا منها ابدا ثم جعل

يكرر الكلام على سعد ويقول له من اين لك الشكمجية المال فقال له كنت سرقتها من زمان هذا وقدا توا الاثنين الى مكان وقال له افحت ها هنا فقال له ما معنا فاس ولا مقطف فغاب سعد واتاه بفاس ومقطف وجعل ابراهيم يفحت وسعد يشيل عليه التراب ومازال كذلك حتى بقت حفرة كبيرة بحيث لا يمكن ابراهيم ان يطلع منها وحده ثم ان سعدا رمى عليه المقطف وقال له اصبر على حتي ازيل ضرورة فوقف ابراهيم ينتظره ولم يعلم انه يضحك عليه هذا وسعد قد قفز فى الخلوات وهمز همزات حتى اقبل الى ملك الاسلام وقال له يا ملك الاسلام جئتك خاطبا راغبا فى الست المصونة السيدة عائشة البشنانيـــة فقال له حتى نشاور اخيها فيشاور عليها فاجاب الي ذلك واجابت البنت وخطب المقدم حسن ايضا الست حسنه السلمانية فاجابوه الاعيان الى ذلك وانعقد العقود على الاثنين ونزلت الشربات من الكرار فشربوا وكل ذلك فى غياب المقدم ابراهيم فهذا ما كان من امر هؤلاء واما ما كان من امر المقدم ابراهيم فانه مازال يفحت فى الارض ويكوم التراب وينتظر سعد ليأخذ منه فما اتاه احد فلما عياه الامر اراد ان يطلع من الحفيرة فكلما وضع رجـلاه فى جوانبها اخذه الرمـل وتهايل به الى اسفلها ولم يمكن الطلوع تلك الليلة ابدا فلما ان كان ثاني الايام مر عليه جماعة من القطرجية فقصدهم وطلعوه الى خارجها فلم يجد شيئا يركبه لان الجواد والملابس تركها سعد ايضا وما سال عنها وسار ابراهيم وعلى وجه اثر التراب وعلى بدنه ورجليه كذلك وسار يجد السير حتى اقبل الي طرابلس الشام وصار قاصد الديوان وقد وقف فى الباب وخشي ان يدخل فصاح عليه ثانيا وثالثا فقال سعد وهو بين يدى الملك ما تزيد يا رجل حقيقة انكم ناس لم تستحوا ابدا من الامور التى تفعلوا وايش تريد مني فقال الملك ما الخبر يا سعد فقال يا امير المؤمنين انا مات عندى رجل من رجال البياسنة واردت دفنه واتيت الجبانة وهذا الرجل التربى دفنه واعطيته بوب من الذهب فارماه لى وقال انا لا اخذ الا خمسة سوي هذا فقلت له ان الارض ارض السلطان فقال لي وانا لا اخذ اجرتى الا على يد الملك العادل واتيت الى عندك فها هو قد حصلني الى عندك وسار يناديني ويشير الي فانظر ماذا يريد يا امير المؤمنين

(قال الراوى) فلما ان سمع الملك من سعد ذلك الكلام تغير منه وقال الملك ياشيخ الارض ارض الله وقد اعطاك الله شيء فلاى شيء تفعل ذلك الفعال وتكلم خادمى سعد بمثل ذلك الكلام فقال له من هو ذلك يا دولتلى فتامل الملك ذلك فراي ابراهيم ابن حسن وهو على هذه الصفة فلما عاين الملك ذلك ضحك وما بقى قادر ان يحوش نفسه من الضحك وكذلك الرجال وقال الملك ما الخبر يا ابو خليل فاعاد عليه الامر من اوله فتعجب الملك وسال سعد عن القصة فاخبره بها ايضا فضحك السلطان من ذلك واصلحها بينهما وامره الملك ان يلبس ثيابه ويزيل هذه الوساخة والقذارة ففعل ابراهيم واتى الي عند الملك وسلم جلس فى مكانه فلما استقر به الجلوس نزلت اليه الشربات فقال له عقبال عندك يا ابو اخليل قال ابراهيم ما الخبر فقال له المقدم سعد ابن دبل تزوج بعائشة البشنانية قال فلما سمع المقدم ابراهيم ذلك غضب غضبا شديد وقال طلق يا عفلق فقال سعد جاتك داهية طارت الطيور بارزاقها وكل من اكل اكلة فاز بها فقال ابراهيم ضحكت على واتيت وكتبت الكتاب وانا غايب ولكن اسال الله العظيم انك لا تتهنأ عليها الا ليلة الدخله فاجاب الله دعاءه لان الله تعالي لم يخيب سائل هذا وقد شرع الملك للمقدم سعد فى الافراح والليالى الملاح وكان الملك قد ضرب جوان الملقتين وطرده هو وبرنقشه وقسم الغنائم على الرجال واقامت الافراح سبعة ايام ولما ان كانت ليلة الزفاف الليلة الثامنة دخل سعد على عائشة البشناوية فوجدها تتحلى كانها غصن بان على كثيب من الزعفران على راي الذى قال فيها هذه الابيات

عروس المحاسن قد أتت	تزور الدار فى ليل التهانى
حوت كل المحاسن واليها	فما لها فى العالمين مدانى
لها طرف قد أفتن الورى	ولها عيون فاقت الاعيان
والخصر ناحل مثل حالي	والميل منها كانها اغصانى
فاقت البدور جميعها	ما رأيت مثالها مدى الازمانى
من قدها استعارت الغصون	ومن لفتاتها استعارت الغزلانى

فدخل عليها سعد ابن دبل فازال بكارتها وكذلك المقدم حسن البشناوى
و بعد ان تهيأ الفراغ من ذلك نزل حسن وسعد الى عند السلطان و نزل عنده وقبل
يده واقام باقى ليلته عند السلطان وكذلك فعل المقدم حسن البشناوى مثل ذلك
الشان ولما ان اصبح الله تعالي بالصباح واضاء الكريم بنوره ولاح طلع المقدم سعد
المحل مكانه التى فيه زوجته عائشة البشناوية فلم يجد لها خبر ولا جلية اثر فندم لفقدها
غاية الندم وا كاد ان يلحقه العدم وزاد به الالام وانشد وترنم بهذه الابيات

يادار قد كنتى منيره والمصابيح فيكى موقدين
وكنت تفوقى على جميع الاراضى وما مثلكى ابدا مشين
وكنت فيك اعود لمتى وأفرح ذا القلب الحزين
اصبحت ظلاما من بعد الصبا فيارب التى الخاشعين
واجمع شملنا بكل حبيب فانت القدير رب العالمين
طالت بلوتى يارب اغثنى فانت غوثى وغوث المؤمنين

ولما ان فرغ المقدم سعد من ذلك الشعر والنظام نزل يبكى وهو ولهان ولا يدرى
اهل هو باى مكان قال وكان السبب فى ذلك اللعين جوان قال للبرتقش ياسيف الروم
وحق المسيح لم ابرح من هذا المكان حتى اسرق عائشة البشناوية واحسر سعد عليها
ولم يزل يرقبها جوان اللعين حتى نزل سعد من عندها من ذلك المكان و نامت عائشة
وتوكلت على الملك الديان ولم تعلم بما جرى من تقادير الزمان وقضاء الرحمن فنزل اللعين
وهجم عليها و بنجها وقد وضعها فى جمدان واحتملها وسار الى الخلوات ودخل بها
الى معار فى الفلوات وكتفها واعطاها ضد البنج عطست قالت اشهد ولا اجحد
بدين محمد اين انا. ل لها انت عندى يا كناسه انا مرادي احمل جناقه فافهمها مولاها
وانطقها قالت انا فى عرض البرتقش فلما ان سمع البرتقش ذلك صاح على جوان
وجرد خنجره بيده وقال له والاسم الاعظم ان قربت اليها فلا بد من متلك اروح
بعد ذلك اسلم فقال له ياسيف الروم لا تقول ذلك القول المذموم فها انا قد تركتها
لاجلك ولكن لا بد انى اغر بها عن اوطانها وادعها تبكى على اهلها وزوجها فقال

فقال البرتقش الغربة مقدرة ثم انه اخذها وسار بها الى رجل نصرانى يقال له زو بع فى قلاع الجبلون وحصن البطرون وتركها عنده هناك فهذا ما كان من امر هؤلاء (قال الراوى) واما ما كان من امر الملك فانه لما رأى سعد على مثل ذلك الشان سأله عن حاله فاخبره سعد بان عائشة سرقت فلما سمع الملك ذلك قال له انا اخلى اخو يا يدور لك عليها وطيب خاطر سعد بذلك فهذا ما كان من امر هؤلاء واما ما كان من امر الملك فانه ارتحل من على طرابلس واخذ ملكها فى الحديد وسافر برجاله حتى عبر الى مصر وركب بذلك اللعين البرتر وتفرجت عليه العالم وكثرت الاقاويل من القوى والهزيل وامر الملك بسجن الملعون عند الملوك السبعة وامر بالزينة والمهرجان وفرح الملك وارتاح من سفرته وكتب المقدم حسن البشنانى من ارباب خدامته ورتب له كل ما كان يلزم لحاجته وجلس يتعاطي الاحكام مدة من الايام فلما ان كان الملك فى بعض الايام جلس الي آخر النهار ونفض المنديل تحولت الرجال ودخل الي بيت مبيته وصلي ما عليه من فريضته وقرأ ورده وطلبت عينه حظها من المنام فنام وتوكل على العليم العلام واقام ابراهيم وسعد على بيت مبيت السلطان فلما ان تهود الليل وطلع نجم سهيل بينما ابراهيم وسعد جالسين واذا بالملك يصيح من قلبه وهو يقول ياعزيز يا قوى ادركني يارسول الله فقال ابراهيم ياسعد الاعدا تمكنت من الملك العادل فقال سعد يا ابن الخالة لاقفل انكسر ولا رجل دبت فقال له اصبروا انا اكشف الخبر ثم عبر ابراهيم الي بيت مبيت السلطان فوجده غرقان فى بحر من الغرق وقد زاد به الوجد والقلق فحط يده على جبهته فاستيقظ الملك من رقدته وهو يقول اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ابراهيم ما الخبر ياملك الاسلام فقال له يا ابو خليل رأيت منام لكنه مهول فقال ابراهيم ياملك الاسلام اعلم ان المنام لا يؤول الا على حبيب اولبيب وانا حبيبك ولبيبك ما الذى رأيت فى نومك يا ابا السعيدين فقال الملك يا ابو خليل نسيته فقال له يادولتلى هذه اضغاث احلام فقال الملك اعلم انى اريد منك انك تفسرلي منامى او تأتيني بمن يفسر لى منامى فقال ابراهيم ياملك لا يعلم الغيب الا الله وانا تبدلت بابن سيرين ولكن عندك العلماء فقال الملك صدقت ان شاء الله غدا اخبرهم بذلك ثم ان الملك جعل

يصلي حتى طلع الصباح وختم الملك ورده بعدان صلى صلاة الافتتاح ودخلت الاغوات اعلموه بان الديوان تكامل قال الملك وعلى الله الكمال ثم نهض الملك وسار الى الديوان فقامت الرجال حياء من السلطان ابداهم بالسنة وهي السلام ردوا عليه بالفريضة الشرعية على صاحبها ازكى السلام وجلس الملك على كرسي قلعة الجبل مثلك يوحد القديم الازل قرأ المقريء وختم دعا الدعوجي وختم رقا المرقي وختم صاح جاويش الديوان يقول

الله ربي مالك الممالك كلها   والخلق جمعاً وجمع العالم
يرضى جميع الخلق منه بفضله   ويعم الورى بخير نعائم

قال الملك آمنا سبحان مالك الممالك سبحان المنجي من الشدائد والمهالك راق الديوان اطمأنت العلماء بالجلوس فقال الملك يا سادتنا يا علماء الإسلام قالوا نعم يا ملك الزمان قال لهم انا ليلة امس رأيت منام فقالوا اله خير يا ملك الاسلام اعلمنا به ونحن نأوله فقال الملك نسيته فقالوا له يا ملك نسيته فقالوا له يا ملك الاسلام العلم عند الله فقال الملك هل فيكم من يعرف يقص منامي فقالوا هذا شيء لا يكون ابدا الان صاحب الغيب لا يظهر على غيبه احد فقال الملك يا ابن حسن قال نعم قال ارسل منادى ينادى في مصر كل من كان يفسر منام السلطان له ما يتمنى فاجابه الي ذلك واطلق المنادين ينادون بذلك فهرعت العالم وكل من اتى الي الملك يقول له ما رأيت يا ملك الاسلام يقول الملك انا نسيته يقولون هذه اضغاث احلام فينعم عليه السلطان وينزلوا الى حال سبيلهم وكان القصد بذلك الاحسان الي الفقرا والايتام هذا وقد نظر ابراهيم الى ذلك الخيرات وكثرت الاموال التي تأخذها الناس واصحاب الفعال فقال ابراهيم ياسعد غدا الملك يتسلف مني خزنة مال او خزنتين وانا مامعي شيء من الحطام والاولى انى اراجع الناس على ذلك الاحوال خوفا ان يلوموني الملوك على ذلك المنوال ويقول لى انت السبب فى ذلك الاحوال ثم ان المقدم ابراهيم وقف فى باب الديوان وصار كل من اقبل الى الديوان يمنعه حتى امتنعت سائر الانام هذا والملك جالس فلم احد اطلع عليه ولا اقبل اليه فقال الملك ياسعد هل استكفت الناس ولم بقى فيهم من يريد الاحسان حتى انى فى ذلك النهار لم احد اطلع الي الديوان فقال

سعديا ملك الاسلام اعلم ان ابراهيم شفق عليك وخاف ان تفشل وتنسلب منه
خزنة المال من كثرة الوارد عليك من الرجال فوقف في باب الديوان ومنع الناس
من ذلك الشان فقال الملك لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ثم ان الملك ارسل الى
ابراهيم فحضر اليه فقال له لاى شيء فعلت هذه الفعال ولكن يا ابراهيم امرتك ان
ان تأخذ سعدا بن دبل وتنزل انت واياه تدورلى على من يفسر منامي وحياة رأسي
ان انتم اتيتم الي من غير انسان يفسر لى منامى لاقتلكم انتم الاثنين فعند ذلك اخذوا
بعضهم البعض الاثنين وداروا فى الاسواق والملك لهم فى الانتظار (قال الراوى)
فهذا ما كان من امر هؤلاء واما اعجب ما في هذه السيرة العجيبة ان رجلا قزاز
صنايعى يقال له الشيخ محمد القزاز وهذا الرجل على غاية من الصلاح وانه عازب
خوفا من نساء الزمان وله نشاط فى الاشغال وقد حازت معه الدراهم فجمع ثمانين
قرش وكانت عادته اذا اراد ان يشتغل فينزل الي النول ويفتح الكيس ويخرج منهم
الدراهم ويتأمل فيهم ويردهم الى الكيس فينشرح من ذلك صدره ويقوي على الشغل
قلبه فيشغل قدر خمسة من الصناع واما باقى الصناع فان ما احد منهم معه شيء ابدا
فاخذتهم الغيرة والحسد لكثرة شغل
هذا الرجل ولما معه من الدراهم فاجتمعوا مع بعضهم البعض وقالوا لا بد لنا ان
ندبر المكائد لهذا الرجل ونعمل عليه ملاعيب وحيل حتى اننا نفقده هذه الدراهم
التي معه ونجعله مثلنا ثم لما تقرر الحال بينهم على ذلك اجتمعوا به وقالوا له يا شيخ
محمد اعلم ان العازب ينام مثل الكلب وان الزواج نعمة من الله تعالى الحال اننا ما اتينا
اليك الا نزوجوك بنتا لم يكن لها نظير فقال لهم الشيخ محمد القزاز وانا لم اتزوج ابدا
فقالوا له لا بد من ذلك لاننا نريد ان يكون لك بيتا مثلنا ونحب لك الذرية والخلف
فقال لهم اعلموا انى اخاف ان اقع فى ذلك الامر لاجل ابى لم اتزوجت ابدا فقالوا
لا تخف نحن نزوجوك من بناتنا وندعك بيننا فقال لهم و بنت من بريدان يزوجنى
بها منكم فقال واحد منهم بنتى انا ولم اعطيها اليك حتى انك تنظرها بعينك فقال لهم
سمعا وطاعة ثم انهم لما تقرر الامر على ذلك وانفض المجلس على ذلك اجتمعوا مع
بعضهم وقالوا ماذا يكون العمل فقال واحد منهم اجمعوا من بعضكم الدراهم وانا

ادبرهذا الامر بنفسي فجمعوا من بعضهم كل واحد ثلاثة فضة وكانوا عشرة فجمعوا قرش واحد وثلاثين فضه واخذه هذا الرجل وسار به الي بنتين من البنات المشبوهين وقال لها خذي هذا القرش اليكي واذا كان من الغد تاتي الى بيتي في المكان الفلانى فتراءى زوجتي قد صنعت الطعام فتأتى به الى عندى فى قاعتي الذى انا فيها مع رفقائى وتكونى اصلحتي امرك وتقدمي لنا من الطعام صحن بعد صحن حتي تنفذى وتجلى بين الصحن والصحن ضحكة رفيعة وتظهرى اللعب والضحك وما يناسبه وتنادي الى يا ابو يا وان سألك اى انسان تقولى له انا بنت فلان على انا قال ففهمت البنت العين وقالت سمعا وطاعة ثم تركها ومضى فلما ان كان ثانى الايام سارت البنت كما امرها وقد اصلحت شانها واخذت الغدا وسارت به الى القاعة فوقفت بالباب ونادت يا ابى فاجابها الشيخ عمران القزاز وقال لها ادخلى يا بنت فدخلت فتأمل الشيخ محمد القزاز واذا به راي

قمر قد فاق البدر قده * وزاد عليه في انواره

وعم الخافقين بطلعته * تكاملت الانوار من انواره

ياحسنه لما بدا مقبلا * فسكرت حين شفت هلاله

ارحم متيم قد غاب عقله * ومن عليه باللقا و وصاله

نادانى انا من طبعي الجفا * والهجر والاحراق فى خلانه

ان سمع الزمان عطيتك قبلة * ما نالها السلطان يوم حلوله

قال فلما رآها الشيخ محمد القزاز وتاملها واذا هي بهذه الصفة حاروا خذه الانبهار وقال يا شيخ عمر ان هذه بنتك قال له نعم قال له وهو فى وجل عظيم يا اخى جئتك خاطبا راغبا فلا تردنى خائبا فخذ منى هذه الدراهم وهم الثمانين قرش وادخل على زوجتى فقال له سمعا وطاعه ولكن على شرط قال ماهو الشرط قال له اعلم انني متشاجر مع شيخ الحارة ومع اهل الحارة ايضا فاذا كان عند كتب الكتاب والعقد لا بد لهم ان يرموا الك فيها و يقولون لك هذه لم تناسبك ابدا فلم تصدقهم فيما يقولوه لانك عاينتها بعينك فقال سمعا وطاعة (ياساده) ولما ان جاء وقت الغروب خرج الشيخ عمران من قاعة القزازة وكان ساكنا في درب يقال له الدرب المحروق وذلك الدرب عليه

امراة بوابة عجوز تعيش من العمر مائة غير الليل وقد برزت لها الاسنان الخضر وحناها تواتر الايام والدهر يقال لها شواهى صاحبة الدواهى فاقبل اليها الشيخ عمران وقال لها انا اتيت لك بعريس ماله من نظير وانه جدع صغير فقالت له الله يطرح فيك البركه والمهر كام قرش قال لها ثلاث قروش ستون فضه مقدم وثلاثون مؤخر فقالت له خذهم انت اشرب بهم دخان انا منى لنفسى اصطفل ثم سالت عن العريس فقال لها رجل مليح قوي ثم تركها وعاد الى شكاله الذين فى القاع واخذ الشيخ محمد القزاز واجتمعوا الجميع ثم ارسل الى شيخ الحارة عن الخبر فقال الشيخ عمران ان الشيخ محمد القزاز يريد لزواج بالست الماصون شواهى ذات الدواهي فلما ان سمع شيخ الحارة ذلك قال له يا شيخ محمد انت تعرفها قال نعم اعرفها قال له هذه قد رستك ام امك فقال له الشيخ محمد انا راضي بها فقالوا الحاضرين هذه مافى راسها ولا شعره سوداء ابدا فقال لهم انا راضي فقال شيخ الحاره راضى بها فقال شيخ الحاره حيث انه راضى فما لنا من دعوة من الوكيل قال الوكيل فى ذلك الشيخ عمران فعند ذلك كتبوا الكتاب وانصرفت الرجال ونهض الشيخ عمران واخذ الشيخ محمد القزاز وقال له خذ هذه الورقة وتعاطى مافيها واعلم انها تقويك على الجماع فقال له وما هى قال له هذا شيء يقال له المقوى واخذه منه واكله وكان هذا معجون ممزوج به هند ثم بعد ذلك صار يعطيه القهوة حتى علم ان المعجون ساح فى رأسه ثم اخذه وسار به الى قاعة هذه الملعونة خلف البوابه وادخله عليها فلما دخل عليها وتأملها فرآها عجوز ببوز كبوز القرد وان قلت اقبح فلما ان رأته قامت على حيلها وباست يده فقال لها انت ايش فقالت انا العروسه فقال لها واين بنت ابنك قالت له انا عروستك ثم دنت منه وقد غلب عليه المعجون وهيأله انها جميلة قوى فنهض اليها وتحزم برجليها وصار يحاسبها وتحاسبه حتى انكسر فى الحسبه وطلع عليها البواقى وقد حبته ذلك الملعونه حبا شديدا ماعليه من مزيد فلما ان طلع النهار وتأملها واذا بها على هذه الصفة وكان قدر أوا ما كان فيه فقال لها ايش انت قالت له انا العروسه قال لها وانتي طالق بالثلاث عشر فلما سمعت بذلك صاحت عليه مثل الكلب العجوز وقالت له ايش يانجس تميل بختى ولكن ماعليهش ثم ان الشيخ محمد خرج من عندها وسار الى قاعة شغله

ونزل الى نوله فما راى له نفس ان يشتغل فقعد ينظر الى النول ويتحسرا وذلك ساكت وهو لا يبدى ولا يعيد هذا والجماعة يضحكون عليه ويشتمون فيه فبينما هم كذلك واذا بالمعلم وقد اقبل وكان يقال له الشيخ حسن القزاز فلما دخل القاعة تامل فى الشيخ محمد فرآه كما ذكرنا وكان يحبه دون الجميع لانه ماهر في الاشغال فلما رآه كذلك سأله عن حاله وما الذي جرى له فاعاد عليه القصة من اولها الى آخرها وكشف له عن باطنها وظاهرها فلما ان سمع ذلك قال له لا تحمل هم ابدا وخذ هذه الثمانين قرش هام من عندي اليك هبة كريم لا يرد فى عطاه وانا مالى بركة الا انت ولالك الا ما يسر خاطرك وطيب قلبه فاخذهم منه ونزل الى شغله وتركه المعلم بعد ان لام رفقاه وطردهم من عنده من القاعة لاجل فعالهم معه وسار الى بيته فاخبر زوجته بما جري الى هذا الرجل وكان بيته الى جانب بيت امراة عالية القدر جليلة المقدار يقال لها الست حفيظة كانت مع رجل كاشف وتوفى الى رحمة الله تعالي وقد دارت يدها على جميع الارادات وهى فى عزضباها وقد بلغها ذلك الخبر فارسلت الى المعلم حسن فلما حضر قالت له اريد منك انك تزوجنى بهذا الرجل الذي ضحكوا عليه لانه رجل خالص النية وان الله قد عوض عليه وانا خطبته لنفسي فلما سمع ذلك منها قال لها ياستى انا اولي منه ومن غيره فقالت له انا لا اريد غيره ابدا فعند ذلك توجه فى عاجل الحال اليه وسلم عليه وقال له ياشيخ محمد قد اخلف الله عليك لان الله كريم وقد اعطاك زوجة صالحة ما لها من نظير ولم يكن لها نظير في ارض مصر ابدا فقال انا اخاف ان تكون مثل المرأة الاولي فقال له الضمان على الله وعلى انا فلا تخاف من شيء ابدا واعلم انى طلبتها لنفسي فابت عني فاجابه الي ذلك فارسل اليها فاعلمها بذلك ففي ساعة الحال ارسلت له بدلة كانها سرقت من كنز من بدل المرحوم وكيس من المال وارسلت اليه الشبك والعبد بالبغلة وقالت له بوس يد سيدك واعطيه الكيس من المال وقول له الليلة كتب الكتاب فلما وصلت اليه الاشياء ابتهج فرحا وسرورا ولبس وركب البغله وسار والعبد خلفه واقبل الى المكان فجلس على الدكه فانزلت اليه شيشت الكاشف والعبد جعل يخدم عليه حتى احتفل المجلس وقرؤا الفواتح وانعقد العقد ونزلت الشربات

والقهوات وانصرفت العالم وطلع الشيخ محمد الى الحريم وتامل فرأى على رأى الذى قال

يا بدرشام ايش بعد ما يشي والبصره * الايام الذين فى الملك مقتصرة
لمنيق ماحاز اوملك كسره البطن * طيات وطابق حسن فوق خد منتشره
ان رمش بعينه لتجر يده فقت كسره

قد نا مينها وتملا بحسنها وجمالها وقدها واعتدالها ولم يزل معها الى ان اصبح الله بالصباح فكان الحمام قد توضب من داخل المكان فدخل واسقطت الغسل وخلع اليه لة التى عليه ولبس غيرها اعظم منها من بدل المرحوم لانه كما قيل فى المثل السائر كل كيه خير من مطلب لان البغلة بتاع المرحوم والبدلة بتاع المرحوم والدراهم بتاع المرحوم والاماكن بتاع المرحوم والشبك بتاع المرحوم وبعد ذلك جلس ونزل عن الدكة وتقدم له الفطور ففطر والدخان والقهوة فجلس يشرب فى الشبك على الدكة واذا باللعينة شواهى مقبلة وهى محنية وتقول له ميلت بختي يا ديوس هيا اولاد الناس لعبه فى يدك فلما ان عاين ذلك قال للاغوات اطردوها فخرجت تبكي الى باب الحارة فاذاهى جالسة واذا با براهيم ابن حسن اقبل اليها فلما راته نهضت اليه وقبلت يده وكان معودها بالاحسان فقال لها اتركيني الآن لانى ما انا رايق فقالت له اخبرنى يا ابو خليل ما الخبر فقال لها الملك العادل راى منام وامرنى ان ناتيه برجل يفسر له منامه وامهلنى ثلاثة ايام واذا مضو الثلاث ايام ولم اتيت بمن يفسر منامه والا قتلنى اشر قتله وهذا هو اليوم الثالث وانا خايف فقالت له لا تخف ولا تحزن انا ادلك على رجل ينقل الحيط على الحيط ويفعل جميع الاشياء ولكنه رجل نجس لا يطيعك الا بكثرة الدعس فقال لها اريني اياه فاخذته وسارت حتى تقاربت من الشيخ محمد القزاز وقالت له اما ترى الي هذا الرجل الجالس على الدكة قال نعم قالت ها هو المطلوب تسيرا نت اليه وتركته ورجعت فسار ابراهيم اليه وهو مغضب فلما اقبل سلم فرد عليه السلام فقال ابراهيم انت الشيخ محمد قال انا قال له عليك سمعا وطاعة قم معى الى الملك لانه رأي منام و يريدك ان تفسره له فقال له يعنى انا ابن سيرين الثانى

قال ابراهيم كلمة واحده فقال له انا لم اعرف شيء ابدا فقال له ابراهيم قم معي بأدب
لئلا أبهدل مقامك واجرك من شالك واضربك على رأسك فلما نظر الى ذلك خاف
وارتعد ونهض معه وسار وقد تبعه العبد بالبغلة ولم يزل سائر حتى اقبل الى زاوية
مفتوحة فقال له الشيخ محمد يا ابراهيم وحين اصلى هنا ركعتين واعود اليك فقال
ابراهيم ياسعد ادخل انت الى هذه الزاوية لئلا يكون لها باب آخر يهرب منه الرجل
فدخل سعد اليها فما رأى لها الا باب واحد فعند ذلك امره ابراهيم بالدخول فدخل
وجلس ابراهيم وسعد على الباب هذا وقد دخل الشيخ محمد فرأي من داخل الزاوية
حنفية معقود عليها قبة الخشب فظن ان هذا مقام لواحد من اولياء الله تعالى فاخذ
حجر كبير وصار يضرب فيها وهو يقول تحرك يا دنس وان اعجب ما فى هذه السيرة
العجيبة ان شيحة دخل الي تلك الزاوية لاجل صلاة الضحا فى ذلك اليوم وهو متخفى
فلما راى تعالى ذلك الرجل تقدم اليه وساله عن حاله فاعاد عليه القصة من اولها الى
آخرها فقال له شيحة اخرج من هنا وصح على ابراهيم وسعد وافزع فيهم وخوفهم
وقل لهم انا قد حضرت الخدام واتيت بصي واركب بغلتك وسيرا الي الديوان وامر
الملك ان يقوم من مكانه واجلس انت فيه واذا اقص عليك الرؤية تقول له والاسم
الاعظم لم يفسر رؤيتك الا خادم البغلة واذا ارسلوا الى احضر وافسر للملك منامه
والسلام فقال له ما اسمك قال شعبان فقال له انا اخاف منك ان تتركني وتهرب فقال
لا تخف فانا لم اهرب ابدا والاسم الاعظم فلما ان سمع الرجل منه ذلك اطمأن
قلبه واخرج السبحة من عبه واخرج ينمنم عليها حتى اقبل الى ابراهيم فصاح فيه
وقال له قليل الادب لا تخاف ولا تستحي ارسل انا الآن الي مقرقش الجبال ادعه
يخطفك فقال ابراهيم ياسعد الرجل كان عليه الحدث ومنصرفين عنه اعوان الجان
وهذا الوقت دخل الى الزاوية واغتسل فاقبلوا اليه الجان وانا ياسعد اخاف منهم
ثم ان الرجل صاح ياولد ياشعبان فاجابه وقال نعام فلما رأى ابراهيم ذلك الغلام
تعجب وتحقق الامر عنده ولزم ادبه فصاح الرجل هات البغله فقال حاضر يا مولاى
فنهض فقدم له البغله اسرع من لمح البصر فقال ابراهيم هذا عفريت لامحالة لانه ياسعد

ما كان معه حين دخل الى الزاوية هذا وقد ركب الشيخ محمد وقال لابراهيم حط يدك
على كفل بغلتي وانت ذات اليسار وسعد ذات اليمين فقال له يا مولاى اجعل سعد
ذات اليسار وانا ذات اليمين فقال له انت مخالف يا ابراهيم فقال ابراهيم لا اخالفك
ابدا فقال له الرجل ان انت رددت على كلامي ثاني مرة انا اخلي الجان يخطفوك ثم
انه سار بالبغلة يجد المسير سيرا قويا وابراهيم قليل النهضة لكنه غضب على نفسه
وخاف من الرجل هذا كله وهو يهمهم وابراهيم قد انزعج منه الى ان اقبل الي
الديوان وطلع ابراهيم وسعد بالرجل الى عند الملك فقال الملك اتيت لي بمن يؤول
منامي فقال ابراهيم نعم يا مولانا السلطان ها هو هذا الرجل فقال له يا شيخ انت
تعلم بتفسير الرؤيا فقال نعم يا مولاى انا اعبر الاحلام فقال له وها انا رايت منام واريدك
ان تاوله الى فقال للملك انا لم افسره اليك حتى ارى منك الاكرام فقال له وما يكون
الاكرام فقال انت تقوم من مكانك الذى انت جالس فيه وتجلسني انا مكانك وتقف
انت مكاني وتسالني عن كل ما تريد فقال والله لقد اجبت بالسؤال واتيت باحسن
المقال ثم نهض الملك على الاقدام وقد تعجبت الحاضرون من هذا المرام وكيف ان
الرجل يحكي مثل هذا الكلام ولا ياخذه منه فزع ولا ملام هذا وقد اخذ الملك بيده
واجلسه مكانه فى دست مملكته ثم وقف بين يديه وتانى حتى استقر به الجلوس
وتقدم اليه فقبل يده واحسن الادب فى حقه وقال له يا مولاى رايت بالامس منام
فقال له خير ان شاء الله تعالى اذكر منامك وانا اوله اليك فقال له اعلم يا سيدى انى نسيته
ولم اعرف منه شيئا ابدا فقال له هذا امر هين قوى ولم كان يحتاج فيه الامر الى مخبر
ولا انزعاجي ابدا من مكاني وكنت اظن انه امر جسيم ولكن والاسم الاعظم والعلم
الشريف لم يؤول لك هذه الرؤيا الا خادم بغلتي فعند ذلك ارتعدت فرائض ابراهيم
ابن حسن قال يا سيدي غوث ياساكن حلب فقال الملك هاتوا خادم الشيخ فنزلوا
الخدام يتجاروا اليه فلم يجدوا له خبر ولا جلية اثر فعادوا الى الملك واخبروه فقال الملك
يا مولاى ما وجدنا خادمك والبركة فيك انت فاوّل المنام والسلام فقال له انا يا ملك
الاسلام حلفت بالعلم الشريف انه لا يؤوله الا خادم بغلتي فقال الملك يا شيخ كفر عن

يمينك او اعتق لك رقبة او تصدق على ستين مسكين او صوم ثلاثة ايام وفسر لى المنام الآن لانني من اجله فى شدة مايكون من التحير فقال الرجل يامولاى لا يكون ذلك ابدا فقال الملك ومايكون الراي يامولانا

(قال الراوى) فعند ذلك تحير الرجل والدولة تعجبت والملك الظاهر كذلك واراد الملك ان يمتزج بالغضب قال فبينما هم على مثل ذلك الحال واذا بباب الديوان وقد اشتد والستار قد احتجب واحتدوا واقبل من باب الديون رجال واى رجال كواخين واتباع من سائر الحصون والبقاع وكلهم فى افخر مايكون من الزينة والملابس وبينهم المقدم جمال الدين شيحه كانه القمر بين الكواكب او الكوكب بين النجوم فلما ان رآه الملك العادل نهض اليه حكم عادته وتلقاه واكرم مثواه وسعى اليه سبع خطوات بار بعة عشر نقل قدم ثم اخذه من تحت ابطيه واجلسه بجانبه هذا وقد صاح المقدم ابراهيم بملو رأسه اكثروا من الصلاة والسلام على سيد الانام سلطان وصل يا ملك الاسلام صاح متى صليت على البشير هان عليك الامر العسير ثم انه لما استقر به الجلوس وانطلق البخور وراق الديوان قال المقدم جمال الدين يا خوند قال نعم قال له انى أري كان هذا الشيخ له قضية عندك فقال له نعم يا جمال الدين ثم حدثه بالقصة من اولها الي آخرها وكشف له عن باطنها وظاهرها كل هذا يجري والمقدم جمال الدين يضحك من قول الملك والملك يتعجب منه ثم قال بعد ان فرغ من كلامه والاسم الاعظم يا أخويا ما كان صبي البغلة لهذا الرجل انا وقد اعاد عليه قصة الرجل من اولها الى آخرها وكيف انه تزوج وكيف انه دخل على البوابه شواهي ذات الدواهي وكيف فعل معه ابراهيم ابن حسن وكيف قابله شيحه فى الجامع وحلف له والقصة التى جرت من أولها الى آخرها ثم بعد ذلك قال المقدم جمال الدين شيحه يا ملك الاسلام هذه خرقة مستورة والرأي عندي انك تنعم عليه واتركه يمضي الى حال سبيله مثل ما طلع اليك عالم ينزل من عندك عالم لانه لم يعلم من امر العلم فانعم عليه ونزل الى حال سبيله وتوجه الي زوجته واخبرها الخبر بتعزيل العجوز من الحارة فهذا ما كان من امر هؤلاء (قال الراوى) واما ما كان من امر المقدم جمال الدين شيحه فانه التفت الى الملك وقال له يا مولانا السلطان

انا عارف بهذا المنام وعارف ايضا بتأويله وقدورد على فى كتاب اليونان من قبل ان اعرفك وسأخبرك به ياملك الاسلام وذلك انك رأيت فى منامك انك فى البر الاقفر فقال له الملك صحيح يا أخو يا ثم انك رايت ذلك الوادى قد امتلا عليك سخناز ير فقال صحيح فقال ثم انك رايت اربع سباع خرجوا من الجهة المصرية وقاتلوا ذلك الخنازير فوا حدمنهم تضايق فالقى نفسه فى البحر والثانى غطس مايان كانه ما كان والثالث رايتـه وقع تحت ارجلهم والرابع قطموه باظافرهم وانيابهم فتضايقت انت من ذلك وغرقت فى بحر من العرق واوقعت بعد ذلك رايته منام فهـذا الذى رايته فى منامك من غير زيادة ولا نقصان والعلم عند الله فقال الملك يا اخو يا وحيات راسى هدا لذي رأيته بعيني ولم اغير منه ولا حرفا واحدا ولـكن هذا المنام ماالذي يدل عليه فقال له هذا يدل على فقد اربع انفار من اعيان الدولة الظاهرية فى الغزاة مع الكفار بعيدا عن هذه الديار فقال لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وما الراي فى ذلك يا اخو يا فقال له الراى عندى انك اذا اردت ان تكفى شر هذا المنام لا تـكتب كـتاب الي بلاد الشام ولا تستقبل منهم كتاب ولا هديات ولا كلام مدة سبع شهور وسبـع جمع وسبع ايام فاذا امضت هذه المدة وعملت بتلك الوصية كفيت شر هذه القضية وفات اوان المنام والسـلام فعنـد ذلك فرح الملك العادل وامر بكتابة التاريخ من تلك السـاعة واخذ شيحة مجلسه مع الملك واوصاه غاية الوصية وانصرف الملك مع جمال الدين الي حال سبيله (ياسادة) وقـد تداولت الايام على الملك فيوم من بعض الايام بينما الملك جالس واذا بنجاب يقبـل الارض والاعتاب وهو يقول هذه الابيات

السلام على امير المؤمنين ＊ وماحوى المكان من الجلوس
سلام مستهل فى كل وقت ＊ الي ان تسكن فى الرموس
كفيت كل هم وضير كفاك ＊ رب الانام من العبوس
لانك لم تزل فينا نصيرا ＊ ومخذلا لكل طاغ مجوسى
بك انقامت الاقطار عدلا ＊ وزال الجور حتى والبؤس

فلازلت فى خير جزيل * معنا بقدرة القدوسى

(قال الراوى) فقال الملك من اين والي اين فقال له يا ملك الاسلام من ثغر اسكندرية يا صاحب الهمة العلية قال ما معك فقال كتاب فاخرج الكتاب من تحت جناح الطائر واستلمه المقدم ابراهيم وافرد على وجه النجاب فوجده سليم فاعطاه الى الملك العادل ففضه وقراه وفهم رموزه ومعناه واذا فيه خطاب من باشت اسكندريه الى بين ايادى الملك العادل اعلم اننا مقيمين يوم تاريخ الكتاب واذا بالبحر ارغا وازبدو بعد ساعة ظهر لنا منه برشن باربع بطون وممشة فجررنا عليها مدفع قصاص واردنا ان نقص به الاردمون الاكبر فاقاموا اهلها لنا ببنديرة الامان اخلينا لها البنط وكنا ارسلنا نكشف عنها الاخبار فراينا فيها اثنين وزراء واحد يقال له مخبتون والثانى فارنى وهما وزراء البب رومان وقد اقبلوا من رومة المدائن الكبري ومعهم هدية دارمغان وخزنة مال وهما طالبين اليك القرب بكتاب من عند البب رومان فان اردت بقربهم قربناهم وان اردت ببعدهم ابعدناهم ارسل جواب كافى من فضلك نعتمد عليه والسلام على نبي تظلله الغمام فقال الملك يا وزيرى قال له نعم قال له هذا رومان مكتوب فى دفتر مملكتي قال له الوزير لا يا ملك الاسلام فقال له ولاى شيء يكاتبني فقال له الوزير انت ملك ملوك الارض ذات الطول والعرض ويكاتبوك سائر الملوك والسلاطين فقال الملك نرسل اليه ونحضره وننظر ما الخبر قال الوزير شانك وما تريد فعند ذلك صاح الملك بالامير قلاوون فاجابه بالطاعة فقال له خذ معك خمسة وثلاثين امير وتملكوا من البر الغربى من اسكندرية الى بولاق فاذا اوردوا عليكم الوزرا كل من كان منكم فى محطة يفوته ليلة وانت يا أيدمر خذ الخمسة وثلاثين امير وتفرقوا فى البر الشرقي واذا مر عليكم الوزرا احجزوهم كل واحد منكم ليلة فلا يصلوا الى بولاق الا بعد سبعين يوما فقالوا سمعا وطاعة وقد اراد الملك بذلك كله عزة الاسلام وخذل اللئام هذا وقد ساروا كما امرهم الملك ثم ان الملك ارسل رد الجواب بابتقالهم من المالح الى الحلو هذا كله يجرى والقادير تجري وصاحب الملك يدبر كيف شاء والملك قد نسي التاريخ والنام ولم يحصل له كلام المقدم جمال الدين

شيحه على بال لاجل ماهو سابق فى علم الملك المتعال هذا (ياساده) وقد تفرقوا
الامارة فى البرين ذات اليسار وذات اليمين وسافر الكتاب الى باشت اسكندريه
بانتقالهم فامرلهم بالانتقال فانتقلوا وطلبوا المسير فى البحر فساروا الي نحو عن اربع
فراسخ واذا بحلة مدفع قد فرغت فتاملوا واذا عبادى يقول البر ياريس فقال الريس
ما الخبر فقالوا له احنا غفر الملك فما الذى معك فى هذه السفينة فقال معى وزراء البب
رومان فقال الاميرهات المركب فى البر وما تنتقلوا من عندى الي غدا فاجابه الى ذلك
فاقبلت المركب الى البر وقال لهم الريس اطلعوا الى عند الامير واعلموه بما انتم عليه
من المسير فطلعوا واستقبلوا البر واراد وا العبور من الامير واذا بالخدام تصايحت
عليهم الارض يا كلاب الروم فصفعوا الى الارض وقبلوها بين يدى الامير
فقال لهم ما تريدون والى اين انتم سائرون فاعادوا عليه القصة من اولها الي آخرها
فقال لهم باتوا عندى الليلة وتوجهوا غدا فاجابوه الي ذلك وباتوا تلك الليلة فلما
اصبح الله بالصباح استاذنوا وطلبوا المسير فاعاقهم قلاوون فى البر الثانى وفعل
بهم كما فعل ايدمر البهلوان ولم يزالوا على ذلك وكل واحد من الغفرا يعوقهم ليلة حتي
اتوا الى بولاق بعد سبعين ليلة تمام وهذا وقد وصلت الاخبار الى الملك بوصولهم
فقال الملك ياوزيرى نزل تنبيه على سائر الحارات والازقة والبيوت والدكاكين ان
كامل اولاد مصر يحصنوا اماكنهم بالسلاح و يعلقوه على الابواب فكان الامر
كما ذكر ثم ارسل اليهم الملك من طرفه اربعة انفار فساروا بهم الى الديوان فلما وصلوا
صاح كل من كان له جراية وعلوفة على السلطان وهو يقبل الارض فباسوا الارض
ولم يزالوا كذلك حتى اقبلوا الى بين ايادى أمير المؤمنين فقال لهم الملك من أين والى
ين ومن انتم وفيما اقبلتم فقالوا له نحن وزراء البب رومان معنا هدية وخزنة مال وكتاب
فقال الملك هاتوا الكتاب فاخذه الملك بعد ان اخذه ابراهيم واخذ شبشنيه على
وجوه الاثنين وناوله للملك ففضه وقرأه وفهم رموزه ومعناه واذا أوله صليب وآخره
صليب وانا وانتم نوحد الله الملك القريب المجيب خطابا من البب رومان الى بين
٣ الثامن والعشرون

١٢٦١

ايادي رين المسلمين اعلم انني ان لم يكن لي اسم في دفتر ملكك وقد حضروا الى نساء الملوك الذى عندك فى اسرك وشكو الى خراب الارض فاقتضي رايي ان ارسل اليك وزرائي بهذا الكتاب واكتب نفسي في دفتر ملكك وادفع لك حراج فى كل عام كان واشترمنك كل ملك من الملوك بخزنة مال يبقوا العشرة بعشر خزنات من المال والذى يوصلهم من طرفك الى عندي ياخذ حق طريقه خزنة مال وعليه الامان وعمار الارض احسن من خرابها شكر يامسيح والسلام (قال الراوى) فقال الملك ما الذي تقول ياوزيري فقال الوزير ياملك الاسلام شعرة من الخنزير خير منه فقال الملك ومن يسافر بالملوك رومة المدائن ويا خذ حق طريقه خزنة مال واذا با براهيم نهض على الاقدام وقال انا اسافر يا ملك الاسلام بشرط ان يكون معي ثلاث انفار فقال الملك ومن هما يا ابو خليل فقال ابراهيم اولهم سعد بن دبل وايدمر البهلوان وابو بكر البطريق فقال الملك حتى نسالهم فان اجابوا الي ذلك لاما نع وان لم يجيبوا تسافر انت قال ابراهيم اسالهم يادولتلي فقال الملك نسافروا مع ابراهيم المقدم رومة المدائن الكبرى ام لا واشارلهم بعين لا تسافروا معه ففهموا الاشارة وقالوا يا اميرلم نسافر ابدا فقال الملك ما احد منهم ارتضي بالسفر فقال ابراهيم لا يضر شيء يقلب الله الليل والنهار كيف يشاء الى غد يا امير المؤمنين يقع فى ملكه ما ير يدهذا وقد قال الملك ياوزير خذ انت الوزير مارين عنه لك لانه وزير الميمنة حتى يتهيأ الي السفر وانت ياعلاء الدين خذ وزير الميسره عندك ايضا فاجابوا بالسمع والطاعة ثم نفض الملك المنديل تحولت العساكر والرجال ونزل الوزير الى بيته واعد لمارين قاعة بخصوصه وهذه القاعة لها مخدع يكشفها من اعلاها فلما كان الليل جلس الاغا شهين فى ذلك المخدع والقي باله الى مارين لينظر ما الذى يفعله من الفعال واذا به راى مارين ارمي ماعليه من الملابس وداسهم برجليه واخرج من دبه مصحف شريف وفتحه وجعل يقرا القرآن ثم بعد ذلك نهض الى الماء فتوضأ واستقبل القبلة وجعل يصلي حتى قضى ماعليه من الفرائض وختم الصلاة وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم عاد الى المصحف وجعل يقرا فيه القرآن ويدعوا للاسلام بالنصر واللئام بالهلاك والحصر فلما عاين ذلك الوزير قال فى نفسه يا ترى هذا صحيح ام على سبيل

الهزل ثم قال حتى احقق امره فنهض من وقته وساعته ونزل ذلك القاعة وضرب عليه الباب ففتح له فدخل عليه وابداه بالسلام فرد عليه السلام فقال له باماربن هل انت مستهزى، بدين الاسلام ام هداك الله الملك العلام فقال له ياوزير الزمان وفريد العصر والاوان اسمع ما اقول ثم انشد وجعل يقول صلوا على طه الرسول صلى الله عليه وسلم

الا ياوزيرا الى السلطان * اسمع منى شعرى وأوزانى
انا كنت فى أوائل امر * من جملة من يعبد الصلبان
اتتنى عناية من عندربى * ولطف خفى من المنان
رأيت مناما فى بعض يومي * والسعدا قبل لي وزال هوان
رأيت كان القيامة قامت * والناس كلهم حدا الميزان
وما منهم الا فى شدة و بأس * وكلهم عطاشي فى ولهان
وأقبل سيد الخلق طرا * والى الحوض سار بالتيجان
وسار يسقى لكل العطاشا * وقدهرعوا اليه كامل الاخوان
وأقبلت نحو الحوض أبنى * بعد الظماء ونيل أمان
وحيرني قد زدت فيها * وعلى صدرى يدل لسانى
وقلت اغثنى أغثني اغثني * ياسيد الكونين والثقلان
فما جاوبنى ابدا بلفظ * ولا اسقانى ولا اعتنانى
بكيت دمعا باحتراق * وقلت انا فى حيرة الميدان
فقال لي ان اردت النور حقا * اترك عبادة الكفر والطغيان
واتبع سبيل الحق تنجا * فهو المعبود حقا بكل لسانى
اقر لله حقا بانه * هو المعبود وهو العلى الديان
واني انا رسول الله حقا * انا الشفيع في الحشر من النيران
وانت من اهل الايمان حقا * وقد هداك القادر الرحمان
فاسلمت في الحال جهرا * على المصطفى الهادي الى الثقلان

وشربت الماء من يد بدر * فاق كل البدور من انسها والجان
وافقت من نومي لنفسي * وفى قلبي حلاوة الايمان
فآمنت بالله العظيم جهرا * وصدقت بالرساله ياذوى العرفان
ودخلت بعد ذا الي اهل بيتى * فرايتهم قد امنوا بالعلى الديان
كذلك ازواجي واهلى واولادى * واحبابى مع الغلمانى
فكتمت هذا الامر حقا * ولم ابديه ابدا الى انساني
وكذلك كل من كان مثلى * قد كتم الامر عن سائر الاخوان
ولى مدة سنين معدة * خمسة اعوام على الايمان
ولم يكن لى غير الاسلام دينا * ومن خالفه سار فى خسران
وانا اسأل رب الخلق جمعا * ان يحفظ علينا ملة الايمان
ويشفع فينا خير البرايا * من جار الغزال من ذل وهوان
عليه صلاة الله ماهب ريح * وماطلعت شمس على امكانى
كذا السلام يخص آل وصحب * والتابعين وكامل الاخوان

(قال الراوى) فلما سمع الوزير من مارين هذا الكلام فرح واستبشر وقبل مارين في الخد والمنحر ثم قال له يا اخي ولاى شيء لم تسكن فى بلاد الاسلام فقال له ياوزير الزمان ان لى هناك منافع كثيرة وان اقامتى فيها هناك اصالح الاسلام على قدر اجتهادى فان امكنني اطلاق اسير اطلقته وان امكنني هلاك عدو اهلكته وان ملكت مالا منهم هلكته ونهبته ولا يسلم الامر ابدا من ذلك وانا هناك عونا للاسلام والقلوب يعلم بها الملك العلام فقال له الوزير والله لقد صدقت بما به نطقت فقال له الوزير لا بد انى اعلم الملك بامرك ولا اخفي عليه سرك فقال له شأنك وما تريد هذا وقد نهض الوزير من ساعته وامر بالركوب فركب واخذ مارين بجانبه وسار حتى وصل الى باب الجبل وطرقه فقالوا البوابين من هذا قال الوزير الاغا شاهين اريد الملك العادل في هذه الساعة فعند ذلك استأذنوا عليه فاذن له الملك بالدخول فدخل ومعه مارين فقال له الملك ما الخبر فقال له جرى من الامر ماهو كذا

وكذا واعاد عليه القصة من اولها الى آخرها ففرح الملك واستبشر وقال يامار بن انت تكون ملاحظا الى من يسافر من طرفي الي رومة المداين فقال له سمعا وطاعة ثم بعد الفراغ من ذلك رجع الوزير رومار بن الي مكانهما هذا ولما ان اصبح الله بالصباح واضاء الكريم بنوره ولاح ظهر الملك العادل وجلس على التخت وقد احدقت عن حواليه الرجال وسائر الابطال قرأ المقرىء وختم ودعا الدعوجي وختم ورقي المرقي وختم وصاح حاويش الديوان يقول

سلم الامر لرب البشر * واترك الامر ودع عنك الفكر

لا تعول فيما جرى كيف جري * كل شيء بقضاء وقدر

قال الملك آمنا سبحان مسبب الاسباب ثم ان الملك اراد يتعاطى القصص ويزيل الغصص حكم ما امر مولانا جد الاشراف واذا بابراهيم يقبل الارض بين يديه النبي فاز من صلى وسلم عليه فقال الملك ما الخبر فقال يادولتلي اعلم انى اريد السفر الى رمة المدائن ومعي الانفار الثلاثة الذى اخبرتك عنهم بالامس فقال الملك انا سألتهم فما احد منهم اجاب فقال ابراهيم اسألهم مرة اخري فقال الملك ياسعد تسافر مع ابراهيم رومة المداين ام لالالا فقال سعد يادولتلي اعلم اننا اتولدنا سوى وخدمنا سوي ونسافر سوى ونسرق الخيل سوى ورحنا الكتاب سوي وانا ياملك لم افوت وليد الخالة ابدا فقال ابراهيم هذا واحد اسأل الثانى فقال الملك ايدمر تسافر مع ابراهيم ام لالالا قال ايدمر المقدم انا مع ابراهيم سوي فقال ابراهيم وهذا الثانى اسأل الثالث فقال الملك وانت يابطرني تسافر قال له ياملك انا مليت فناطيس الغراب حتى ليلة البارحة ونسافر ونتوكل على الله قال فلما سمع الملك ذلك تعجب غاية العجب من الاجابة الى السفر بعد التمنع والتاخر وكيف انهم اجابوا ولم يمتثلوا الي نهى الملك فيهم ولم يعلم ما الخبر (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك سبب عجيب وامر مطرب مبدع غريب وذلك ان الملك لما سالهم اولا وفهموا الاشارة وامتنعوا من السفر قصبرا براهيم الى ان انفض الديوان واقبل الليل فقال لسعد ياوليد الخالة دير بالك حتى اوصل الى قاعة الحوارنية واعود فقال سمعا وطاعة ونزل ابراهيم ولم يزل سائر الى ان اقبل

الى بيت ايدمر البهلوان فارس بمفرده ونزل عليه فوجده نائم على قفاه مشاهد مولاه فايقظه من النوم فلما انتبه قال له المقدم ابراهيم يا أخي الفراق شطيط وانا كما تعهد عبد مأمور فانهض الآن وصلى لك ركعتين لله تعالى وسلم لي نفسك حتى اقطع رأسك واوصلها الى الملك لانه امرني بذلك في هذه الساعة فلما سمع الامير ايدمر البهلوان بذلك تعجب وارتعد قلبه وانزعج قال لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ولاى شيء ومايكون السبب ياابوخليل فقال له انك تستحق القتل لانك خالفت الامر ومن خالف الامر وجب عليه القهر فقال له ياابوخليل كانه الملك يشير الي ويعنى من ذلك فقال له اعلم ان الملك اراد ان يمتحنك ففعل ذلك معك فقال له ياابوخليل والاسم الاعظم ان سالني الملك ثاني مرة لم امتنع ابدا من السفر ولو غمزني او نهاني او ضربني او قتلني ولا بد من السفر ولو غمزني والسلام فقال ابراهيم وكيف اقول للملك الآن وقد أمرني بقتلك فقال له يا اخي عمل معروف وتشفع لي عنده وخذ مني هذين العقدين بالف شريفي ذهب فقال ابراهيم هات هات من يدلم اعدمها والمولى يفعل مراده انا افعل خلاصي ولكن والاسم الاعظم ان سالك الملك واتيت بالسر لابدلي ان اخذ رأسك في وسط الديوان ولم ابالي ابدا ثم تركه ونزل الى بطرني وفعل معه مثل مافعل بايدمر وسار الى سعد وفعل معه مثلهما فكان هذا الاصل والسبب ولما ان سالهم الملك اجابوا بالسفر خوفا من ابراهيم فهذا ما كان من امر هؤلاء (قال الراوى) ولما ان تقرر الامر بينهما على ذلك اخرج الملك من خزانته اربع صناديق مكتوب على كل صندوق اسم صاحبه وقال لهم لا تفتحوا هؤلاء الصناديق الا عند طلوعكما الى ديوان رومان فقالوا له سمعا وطاعة هذا وقد امر الملك باحضار الملوك في الحديد وسلمهم الى ابراهيم وتودعوا من الملك وتودع الملك منهم واخذ كل واحد منهم معه الف بطل من الرجال الشداد وللبطرني معه اربعمائة خمسة وسبعون مغربي وشرعوا في قضاء مصالحهم وزاروا الاسياد وتوجهوا الى بحر النيل فنزلوا في القرايب ومابقى معهم شيء يحتاجون اليه وامر المقدم ابراهيم المسير فانطلق المدفع وساروا اقدار اربع فراسخ

واذا بالملك العادل وقد اقبل فى صفة درويش عجمى فتامله ابراهيم وعرفه فقال ابراهيم ياريس والاسم الاعظم ان رجعت الى خلفك ثانى مرة لابد ان اقطع راسك وارميك الي البحر هذا وقد صاح الملك ياريس ياريس ارجع ياريس ارجع والريس لم يلتفت (ياساده) وقد صاح المقدم ابراهيم عليه وقال له يادولتلى ارجع انت فان عشنا يجمع الله شملنا وان متنا القيامة تجمعنا جرى القلم من القدم على الام بما حكم لاراد لقضاء الله تعالي قال وكان السبب فى مجىء السلطان فى تلك الساعة الى هذا المكان لانه نذكر المنام وتذكر كلام المقوم جمال الدين شيحه واخرج التاريخ فوجده لم يمض منه الا خمسة وعشرين يوما فاراد الملك ان يدركهم وعن السفر يمنعهم فما قدر بعد ذلك ابدا فرجع السلطان وهو يبكى وينوح من قلب حزين مجروح وقد حست نفسه بالقضاء والبعاد فانشد وجعل يقول هذه الابيات

الا يادار قد رايت العجب * وبعد الانس صرتي ظلام
واعترا كى الحزن بعد الهنا * واقمارك عادوا فى انسجام
ومن اجل الحبايب قد بقيت * لم اعرف المعنى ولا فى الكلام
رمانى رمانى بالبعاد * والبين رشقنى سهام
وقضي منى بجهله الجناح * وتركني انوح فى الضيا والظلام
عدمت القوى واعترانى الجوا * واختلف بى العزب والهرام
وصرت بعد اجتماع لمتى * وحيدا فى الربا والاكام
ولكن سالت الله قبل الممات * يجمعنا سوي فى انتظام
ويجبر لى كسرى لانه كريم * ويجمعنا على الاحبة والمرام

(قال الراوى) فهذا ما كان من امر الملك العادل واما ما كان من المقدم ابراهيم فانه لم يزل سائر حتى اقبل الى اسكندرية فطلع بمن معه هناك وقد قال للبطرنى خليك ها هنا حتى اعود اليك ثم انه اخذ سعد وسار هو واياه قاصدين قلعة حوران ولم يزالوا مجدين السير حتى اقبلوا الي قلعة حوران فنهض المقدم حسن الحورانى وتلقاهما وسلم عليهما وقال لابراهيم الي اين ياولدى فقال الى رومة المدائن الكبري فلما ان سمع ابوه بذلك قال له ياولدى هذه طرقات لا يطرقها طارق الا من كان

بنفسه هالك او خبير بالمسالك ارجع يا نور عيونى فقال له يا ابى لا اقول لا بعد ما قلت نعم وقد أقام ابراهيم تلك الليلة عند أبيه فلما ان ادركهم المنام نهض المقدم حسن الحورانى وصاح بعلو رأسه وهو يقول يا عزيزيا قوي فقالوا له ما الخبر فقال واله يا ولدى رأيت منام وقد راعنى ومن نومى ازعجنى فقال له خير ان شاء الله تعالى وما الذى رايت فى منامك ولذيذ احلامك فقال رايت كان شجرة مظللة على قلعة حوران وقنديل مسبل على بابها فاقبلت نسمات الارياح مثقلة فقصفت الشجرة من نصفها وطفت القنديل ولا شجرتنا وقنديلنا الا انت يا ولدى فارجع يا ولدى عن هذا الامر فقال له يا ابى ابن يومين لم يعش ثلاثة وانا لم اموت الا باذن الله فقال له يا ولدي خليك سبع ايام عندى حتي اتودع منك واملى مهجتى ثم ان المقدم حسن الحوراني بكى وان واشتكى وانشد وجعل يقول صلوا على طه الرسول

يا قلب ضرنى بعد الحبيب * وولى عنى العز والا كتساب
ونار الحرب قد اوقدت * وزادني فى حشايا التهاب
وولى خلى عنى وولى وراح * والدار بعده نعاها الغراب
ولم اصدق باجتماع الحبيب * بعد انقطاع الوداد والذهاب
وجار السوء اشتمتوا بى قوام * والعدا ابلغوا المنا والعتاب
وانكوا قلبى بنار الفراق * وسكنوا الاحبة لحود التراب
فيا ليت شعري كنت الفدا * ولا اعيش بعد الهنا فى العذاب
الا يا نسيم الريح بالله خبرى * مني جزيل الشوق والاكتساب
الى جمع احبابي وقولى لهم * من بعدكم ماراق عيش وطاب
يا رب صبرنى على ما بليت * بحق المصطفى سيد الاصحاب

(قال الراوى) فهذا ما كان من امر هؤلاء واما ما كان من امر المقدم سعد بن دبل فانه ترك ابراهيم فى قلعة حوران وسار هو ايضا الى قلعة بيسان لاجل يتودع ايضا من ابوه وقد جري له مثل ابراهيم فهذا ما كان من امر هؤلاء واما ما كان من امر المقدم ابراهيم ابن حسن فانه اقام عند ابوه ثلاثة ايام وسار قاصد الخلوات فلما ان كان وقت الظهر بينما هو سائر واذا به رأى غلاما صغير دون البلوغ فتامل الغلام ذلك واذا

به ذات حسن وجمال وبهاء ودلال بخدا سيل وردف ثقيل وخصر نحيل كما قال فيه بعض واصفيه هذه الابيات

غزال بدا يخجل البـدر غنجه * اذا ماس استمارت منه الغصون
تحجل في سيره مثـل الظباء * يقل للناظر بن كن فيكون
له لحاظ كانهـا سمهوريات * قـد قتلنا بطرفـه والعيون
يميس بهـا اذا ما تسنى * بالاطراف منـه حفظن الفنون
كل من راى شخصه اضحى غريبا * مغرما بحب ذاك المصون
يفتن الدراري اذا ما تناظرن * والبدر منـه ولي مكدرا مغبون
جل الذي اتقن لهذا الصفا * سبحانه يقول كن فيكون

ثم ان المقدم ابراهيم لما رأى ذلك الشباب وتامله اعجبه زيه وشكله ومنظره فقصد اليه الى ان قار به فرآه على اعلا شجرة وهو يرتعد مثل السعفة في الريح وتحت تلك الشجرة سبع غضنفر قدر ثور او أكبر وهو مضايق الي ذلك الغلام فاقبل المقدم ابراهيم ورأى ذلك الفعال ففهم ذلك المعنى وعلم ان ذلك الاسد يروم قتل الولد فأخذته عليه الرافة وصاح على الاسد بعلو رأسه وقال وطول في كلامـه حول عنه ياقطيط البر فلما سمع الاسد صياح المقدم ابراهيم شخر ونخر وضرب برجليه الارض والحجر ونبش في الرمل وعفر وقد احمر منه النظر وبان في عينه الغضب وزجر وهدر على المقـدم ابراهيم وظن ان به يظفر فلما بر السبع عليه تأخر عنه وجرد شاكريته وتحدر واقبل الى الاسد بقلب اقوى من الحجر وجنان اجرى من تيار البحر فقال له دونك السيف الابتر ورفع يده بالحسام وضرب الاسـد في جبهته فسرى السلاح الى سرته فوقع على الارض قطعتين وانشق فلقتين فقال الغلام لاشلت يداك ولا شمتت فيك اعداك فمن انت يامولاى فقال له انا الفقير الي الله تعالى المقدم ابراهيم بن حسن الحوراني وانت ياولدى من تكون قال له ياابويا انا كمال الدين ابن باشت حمص وقد خرجت الى الصيد والقنص ووقعت لنا خشفة غزال فضايقناها فهربت من اعلا راسي فتبعتها حتى انتهت بي الى هـذا المكان وقد فارقت رجالي ودخلت الى داخل البستان فتبعتها فلم اعرف الي اين ذهبت وقد ظهر

على هذا الاسد الغضبان وما يقي فهربت منه حتى اتيت انت الي وقتلته وقد اغاني الله بك وكنت سببا في خلاصي ولك على المعروف فسر معي الى عند أبي فان شاء الله تكون معرفة مباركة فسار المقدم ابراهيم معه وكان ذلك اكبر رايه لانه حب الغلام حبا شديدا ماعليه من مزيد هذا ولما ان وصلوا الاثنين الى الديار تلقاهم ابو الغلام وسلم عليهم واكرم المقدم ابراهيم غاية الاكرام وابذل له الانعام وقد اخبره الغلام بما حصل له مع السبع وكيف كانت نجاة الغلام على يد المقدم ابراهيم والقصة التي جرت فقال له ياسيدي هذا الغلام بقا ولدك ومن الان هو مشدودك وفى قبضة يدك فقبله ابراهيم وعاهده وكتب له كتابا وارسله به الى مصر قاعة الحوران وكتب له كتابا الى السلطان فسار كمال الدين حتى عبر الى قاعة الحوران واعطا الرجال جواب ابراهيم فرده لوصية فاكرموه غاية الاكرام ثم طلع بالكتاب الثاني الي الديوان وقبل الارض بين يدى السلطان وقد أعطاه الكتاب ففضه وقراه وفهم مافيه من معناه واذا فيه الصلاة والسلام على سيد الانام خطابا من المقدم ابراهيم الحوراني الي بين ايادى أمير المؤمنين نعلمك ان الواصل اليك ولدنا كمال الدين بن محمد كمال المتجان باشة حمص تكرمه لاجل خاطرنا وتجعله ملازم الديوان بعاهية وترسله الى باشة الكواهى يعلمه الحرب والطعان فهذا ما كان من أمر هؤلاء (قال الراوى) ففعل الغلام كما أمر المقدم ابراهيم وأقام بالديوان المصرى وأما ابراهيم فانه تودع من باشة حمص وصار قاصد الرجوع فبينما هو سائر فى طريقه واذا به قد التفت المقدم داوود اخيه المقدم شاهين المسايطة اصحاب قلعة مسياط وهما فداوية من الرجال الاشراف اولاد اسماعيل فلما رأوه صاحوا عليه الرجال اهلا وسهلا ومرحبا ضيفنا يادولتلي لو علمت الدار بمن زارها فرحت * واستبشرت ثم باست موضع القدم وانشدت بلسان الحال قائلة * اهلا وسهلا ببيت الجود والكرم (قال الراوي) ثم انهم ترحبوا به وقالوا له ما احنا قنطرة تعديه فاجابهم الى ذلك ودخل معهم الى داخل القلعة وتقدمت الما آكل والمشارب والحلوات ومايلزم اليه الحال ومازالوا فى انشراح ولعب ومزاح الى ان ذهب النهار واقبل الليل بالاعتكار وطلبت العين حظها من المنام وكرهت الاسهار فاخذ ابن

حسن الشمعة فى يده وسار قاصد المرحاض ليزيل الضرورة فلاجل امر يريده الله تعالى طفات الشمعة من يده فتأمل فراى نورا على بعد فقصد ذلك النور ليوقد الشمعة وما زال حتى انتهى الى ذلك المكان فراى فى صدره سرير من خشب الساج الهندى مرصع بانواع الذهب المعادن وعلى ذلك السرير بنت ذات حسن وجمال و بهاء وكمال وقد واعتدال وهى راقدة فى ذلك المكان وقد غلب نور وجهها على السراج فتاملها البطل الاروع واذا بها على راى الذى قال فى حقها هذه الابيات صلوا على سيد السادات

مليحة القد سبت من لها * راى ذاك الجمال الباهر
قد حازت كل الحسن والبها * فسبحان خالقها القادر
لها لحاظ مثل السهام المقوم * ترمى العاشقين بسيف باتر
والشعر اسبا كل من قد راى * والنهد قد ابرز شبه النوافر
وطبع الحسن من فوق خدها * وشفايفها تحاكى لؤلؤ احمر
والعنق عنق غزال قد زانه * طيب رمانها فى المصدر
وجمالها التانى اصفى لونه * اشفا العليل عند المنظر
تغنيه حقا عن تعطى الدوا * اذا ما ارشفته رشفه من سكر
والخصر ناحل لكل الورى * والردف عالى مثل برج زاخر
ما راى الراؤن حقا مثلها * فى بلاد الروم ولا بملك قيصر
ولا فى هندها ولا فى سندها * ولا فى برها ولا فى بنى الاصفر
فيا فوز من كان يحظى بها * فى نهارا وفى جنح ليل اعكر

(قال الراوى) فلما ان رآها البطل الاروع الهملم زاد به الوجد والغرام واوقد سراج ورجع و ومستهام وغارق فى بحر من الاوهام وقد ترادفته الاسقام والنار اضطرمت فى قلبه اضطرام وقد زالت حاجته من الضرورة و ادمنزعج الحواس حتى اقبل الى داود وشاهين فراى الاثنين جالسين وهم له منتظرين فلما ان رآه بتلك الحالة فما خفى عليهم احوله فقالوا له ما الخبر وما الذى عليك كدر وجلب لك الفكر ومنع النوم عنك بالسهر فقال لهم انى رايت عندكم بنت فى هذا المكان يا هل نري هى ذات

بعل ام ذات خدر فقالوا له يا مقدام هذه اختنا يقال لها نا فلة الحصون وهى بكر ذات خدر وخبا فقال لهما قد جئتكما خاطبا وفيها راغبا فلا تردني عن طلبي خائبا فقالوا له على الرأس والعين والسعة والكرامة فقال لهما خذوا هذين العظيمتين باربع آلاف شربني ذهب فاجعلوهما مهرها وخذوا هذا الكشتوان ومائة الف دينار فى نظير النفقة ونقراً فانحتها من غير كتاب الآن حتى انى أعود اليكما بالسلامة فان رجعت سالما امهرتها وعودت عليها ودخلت بها وكل ماقدمته اليكم على سبيل النفقة لها ففرحوا بذلك غاية الفرح واتسعت صدورهم ومامنهم الا من انشرح وقرؤا الفواتح واعلموا البنت بذلك ففرحت بالمقدم ابراهيم وسلمت امرها الي اخوانها ثم ان المقدم ابراهيم تودع منهم بعد ذلك وسارطالبا الى اسكندرية وذلك بعد أن تودع من ابيه واجتمع بالمقدم سعد وعادوا فلما وصلوا الى أسكندرية تلقاهم البطرنى وسلم عليهم ونزلوا الى البحار وساروا طالبين رومة المدائن ولم يزالوا سائرين نحو خمسة ايام وقد تغير البحر واظلم وأرغي وازبد وهدر وصار يرمي الرياح بالسرر وبعدما كان ابيض صار اعكر وقد دام الامر على ذلك سبع ايام فضاقت صدور الرجال وكذلك ابراهيم وابو بكر وايدمر البهلوان فقال ابراهيم للناظر يا عبد القدوس اطلع الى اعلا القليون وانظر الخبر وما يكون فاجاب الناظر الى ذلك الخطاب وطلع الى اعلا الابراج ونظر فى الافواج وتامل فى الهضاب والشعاب فقال الناظور لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم الملك التواب يا اخوانا يا ركاب سلموا اموركم للعلى التواب فقد اقبلتم الى بستان مهول تندهش منه الرجال الفحول وتنذهل منه العقول يقال له بستان الغول المهول هو أوائل رومة المدائن الكبرى فقال ابراهيم وما يكون هذا البستان فقال وكان السبب ان البب رومان لما انشأ ذلك المكان وجعله بستان وجعل فيه سائر الالوان من اقح واقحوان وخوخ ورمان وتفاح وبرقوق وسفرجل وبرتقان وشيء كثير من ذلك الشان فسكن اليه ذلك الغول المهول وكان ذلك الغول على هيئة ابن آدم بعين واحدة وله فوق عينيه عرف مثل عرف الديك اذا نام الغول نزل ذلك العرف على عينيه واذا فتح عينه واستيقظ انفتح العرف الى اعلى راسه وله اظافر كانهما الخناجر وله جلد كانه طبقات النحاس يخلق الله مايشاء

و يختار لان امه كانت دابه بحريه من دواب البحر وابوه وحش من وحوش الدير البريه فلما ان اعجبه ذلك البستان اقام به وقد طيبه من رومان وسار رومان يرسل اليه ركبة بعد اخرى وهو يكسرها و يقتل كل من اتى اليه وقد غلب رومان وترك له ذلك البستان صار مستوحش فيه ولم يقدر يدنو منه انسان الى ان طلع الناظور ورأى ذلك المكان وقال قال للركبان واخبر المقدم ابراهيم بذلك الامر والشان فعند ذلك قال المقدم ابراهيم للريس ارمي المراسي وانا وعزة الله لم اخرج الى ذلك الغول الا بمفردى ولم يتبعني منكم احد فارموا المراسي وطلع ابراهيم بمفرده ولم يزل سائر حتى عبر الى البستان بقلب من السنديان وصاح بعلو رأسه انت فين ياصاحب الغابة غابتك ملكت

(قال الراوى) فما تم الكلام حتى اقبل عليه ذلك الغول من داخل البستان وهو يفرقع برجليه فى الارض واراد ان يدنو من المقدم ابراهيم واذا بابراهيم جرد الحسام فلما رآه ذلك الغول مد رقبته الى المقدم واشار له يعنى اضرب ماشئت بالحسام فضربه على عنق رقبته اربع ضربات كل ضربة لو نزلت على عشر سباع لاسكنتهم التربة ثم اعتدل الغول ذات اليسار واليه قد اشار فضربه اربع مرات ذات اليسار وكذلك ضربه على اجنابه وعلى ظهره وعلى اعصابه فلم يؤثر فيه لسلاح وقد خاف البطل الاروع من الافتصاح وتركه الاسد وراح الى صدر المكان فعلم ابراهيم ان الاسد له ردة عند وقوع الشدة فوقف منظره وانيابه واذا به قد اقبل اليه ورفع يديه حتى بان سوادا بطيه وهجم على ابراهيم يريد ان يخرج روحه من جنبيه هذا وقد اسلم المقدم ابراهيم امره لصاحب سره وجهره وتامل ابراهيم بنظره تحت ابطه اليسار فرأى نقطة قدر القطعة مدورة مثل الدرهم فالهمه الله تعالى وقال فى نفسه لابد ان هذا الكلب لا يموت الا من هذه ثم ان البطل الاروع استقبله بذبابة الحسام وحكمها في هذه النقرة فسرح الحسام حتى خرج من الجهة الاخرى وسقط الغول الا الارض مقتول وفى دماه مجدول ثم ان المقدم صبر عليه حتى طلعت روحه الخسيسة من هذه الجثة الخبيثة وقطع رأسه وعلقها فى كلاب من كلاليب القطفة وحمد الله تعالى على ذلك الشان وعبر الي داخل ذلك البستان اذ راي رجال

مقتولة عدد الجراد المنتشر ومعهم اموالهم والعدد والسلاح وشيء لا ينحسر فتعجب المقدم ابراهيم من ذلك وفرح وحمد الله الذى نجاه من المهالك وقد راى من الفواكه المذكورة ما يكل الوصف عنه وذلك انه لم احد يجسر ان ياخذها ولا ياكلها والطرح فوق بعضه البعض وقد امتلاءت به جنبات تلك الارض هذا وقد اعجبه التفاح وتقدم اليه وجمع منه شيء كثير وجعل يجمع من تلك الفواكه الغزيرة ويجعله فى جانب تلك الحديقة والحصيرة فبينما هو كذلك واذا بالمقدم سعد بن دبل انحدر اليه من اعلا شجرة فى البستان وتقدم فى ذلك المكان واخذ بيده تفاحة واراد ان ياكلها واذا بالمقدم ابراهيم اقبل اليه وقال له هو دعنها لا تقربها بل فى محلها اوضعها فقال له سعد ولاى شيء ياولد الخالة فقال له هذه الفاكهة بدما ياسعد وحق رافع السما وانني اقول انني كنت مقتول من يد ذلك الغول المهول فلو كان قتلنى وعلى وجه الارض جندلني ما الذى كنت تصنع انت فقال سعد والله يااخي صدقت واذا كان الامر كما وصفت كنت اخذت الرجال ورحت بهم الي مصر ولكنني حمدت الله الذي نجاك من القهر واعلم انني ما اتيت هاهنا الا من شدة خوفى عليك تركت الرجال وقد اقبلت اليك وقد نجاك الله تعالى مما كان بين يديك وارحت الناس من شر هذا الملعون الذى كان فى ذلك المكان وتلك العيون فقال له ياسيدى هذه فتوح الخير ان شاء الله تعالى كفينا شر الضير ثم ان المقدم ابراهيم جعل يترنم بالاشعار وهو يقول هذه الابيات صلوا على سيد السادات

لنحو رومه قد اتينا نريد * الكسب من اهل الضلال
وسرنا في جبال مقفرات * واودية راسيات مع تلال
ونزلنا البحر بالرجال جميعا * وحزنا العزة حقا والدلال
وعاهدنا رجال فاتكات * مثل محمد هو ابن الكمال
وتزوجنا بنات مخدرات * ومن نسل اشراف الرجال
بنافلة الحصون لقد عزمنا * ونرجو الوصل من رب الوصال
متى نعود الى الديار جمعا * ويجمعنا الاحبة والليالي
نقيم ليالى الفرح فيها * ونحظى بالجمال وبالدلال

ياسعدان سمح الزمان الينا * وعدنا بعد التفرق للبيال
لافرح القلب من بعد حزن * واجمع وسط لمتي وسط الاصال
انا ابراهيم ربي قد اتاني * وهو الكريم ومولي الموالي
قتلت الغول المهول بيدي * سقيته بحسام كاس الوبال
وحزت مالا وفخرا عاليا * وجمعت فواكها كلها لي

(قال الراوي) ثم ان المقدم ابراهيم بعد ان فرغ من اشعاره وما قاله من اقواله وانتثاره قال للمقدم سعدا علم يا وليد الخالة ان الرجال فرغت منهم الذخيرة وهذه الفواكه كثيرة فهي تكفيهم الي ان يصلوا الى رومة المدائن واما انا فيكفاني ما اخذت من هذا المكان من الاموال فسر يا سعد من ها هنا الي الرجال وبشرهم بقتل ذلك الغول وامرهم ان ياتوا الى عندي ويحولوا الي هذه الفاكهة الى الغليون فان هذا رزق قد ساقه الينا الذي لا تراه العيون فاجابه سعد بالسمع والطاعة وتركه وسار من تلك الساعه ولم يزل سائر حتى اقبل الى الغليون فتلقوه الرجال وسالوه عن الذي جرا من الاحوال فعاد عليهم المقال ففرحوا بما قد جرا من الافعال ونهضوا من وقتهم وساعتهم وساروا مسرعين في مشيهم الى ان اقبلوا الي البستان فرأوا رأس الغول وهي معلقة مع البطل الاكرد فقبلوا يده وهنوه بالسلامة ونقلوا ما هناك من الفواكه الى الغليون وما تركوا هناك شيئا هذا والمقدم ابراهيم قد اغلق المكان وأخذ المفتاح وسار متوكل على الملك الفتاح ولم يزل سائر حتى اقبل الي الغليون فنزل اليه وامر الريس بالمسير فسار الريس بالرجال وهم طالبين رومة المدائن وتلك الاطلال (قال الراوي) فهذا ما كان من امر هؤلاء قال واما ما كان من اللعين جوان والبرتقش الخوان فانه كان في بعض الايام مقيما عند اللعين دوفش ابن البب رومان وكان دوفش له قصرا على البحار فتامل اللعين رأس الفجار فرأي الغليون قد أقبل بعصبة الابرار فقال للبرتقش هؤلاء المسلمين وقد اقبلوا والي رومة المدائن طلبوا ولابد لي من هلاكهم قبل وصولهم ثم ان اللعين التفت الى الطبجي وقال له يا عبد الصليب فقال له نعم يا ابونا فقال عمر مدفع كبير وحرره على هذا الغليون واضرب به

به غرقه فى البحر بمن فيـه وان انت فعلت ذلك وهبت لك خمسين سنة زيادة فى عمرك وخمسين فدان فى الوادي الاحمر فقال اللعين شكر يامسيح لا بدا لي اخليك من هذا الغليون ومن الذى فيه تستريح ثم ان اللعين عمر مدفعه وحرره ورفعه واخذ على الغليون بالنشان واراد ان يضرب المدفع (قال الراوي) وكان الريس ابو بكر فريد عصره في علوم البحار فادرك المعني وهو محاسب من مثل تلك الفعله فصاح على رجاله وقال لهم ديروا القراب ميسره ياأولاد عيشة فتحركت اللوالب وداروا الغراب أسرع من البرق الثاقب فعند التفات الغليون خرجت الجلب من الـكلب الفتون فذهبت في البحار ولم يظهر لها آثار وقد انعقدت الدخنة فى البحار وماراق البحر من الدخان حتي القبطان وصل لي كان المينة ودق المراسي بالمينة هذا ولما تأمل جوان ورأى مافعل القبطان قال وحق المسيح والمذبح والذبيح هذا ريس مليح ولم يوجد مثل هذا الرجل فى دولة الاسلام لا نه على معرفة من أمره وانعام وقد خاب النشان وملك المينة فى أمان ولـكن سوف أدبر عليه ولم أدل به حتى أخرج روحه من بين جنبيه (قال الراوى) وكان سبب مجيء جوان فى ذلك المـكان ان نساء الملوك الذين هم مسجونين عند أمير المؤمنين اجتمعوا ببعضهم البعض وقالوا هذا الامر ماله الا عالم الملة فانه هو الذى يدبر لنـاو يخلص رجالنا من يدر ين المسلمين ثم انهم أرسلوا اليـه فلما حضر أعادوا عليه الامر الذى قد تدبر و بينهم تحرر فقال لهم وحق المسيح هذا الامر ماله الا روماني لا نه على كل حال كبير القرانات فاجمعوا بعضكم وسيروا اليه وادخلوا عليه واشكوا حالـكم اليه فانه لا بدان يرق لـكم و يرثي لحالـكم وأما انا فانى لم أظهر له ولا ادخل عليه بل انى اسير الي ولده وآمره ان يعاون ابوه على ذلك فامتثلوا أمره وساروا من ساعتهم الى عنده وسار اللعين الى دوفش وتخفي عنده وصار يدبر المـكائد كما ذكرنا حتى اقبل الي الغليون وفعل ماذكرنا فهذا كان الاصل والسبب (قال الراوى) وأما ما كان من امر القبطان فانه لـما ملك المين ودق الاوتاد وارمى المراسى وصار بها راسي طلع المقدم ابراهيم وأمر بنصب الخيام فنصبوها واعلوا القباب وجلس المقدم ابراهيم وقد اصطفت

حوله الرجال ووقف المقـدم سعد على يمينه وايدمر البهلوان على يساره وابو بكر ملتزم الغليون ومعه الرجال متوكلين بالملوك المأسورين والمقدم ابراهيم بن يدان يأخذ لنفسه الراحة ذلك النهار وقد سبقت الاخبار الى البب رومان بمجيء المقدم ابراهيم سبع حوران ومعه الملوك فى الاسر والهوان ففرح رومان بذلك الشان وقد ساروا الوزرا اليه وهما مار ين ومخبتون واعلموه بكامل مايكون وجلسوا عنده فى أماكنهم هدا ما كان منهم واما ما كان من المقدم ابراهيم فانه جالس كما ذكرنا واذا ببطريق داخل عليه فقال له ابراهيم ماالخبر يامعلم قال له بنشير عليك ياغندار قال ابراهيم مرحبا ماتريد قال له انت ابراهيم الحوراني قال نعم قال له اعطيني ألف شريفي ذهب دق سرة الغليون بتاعك قال فلما سمع المقدم ابراهيم بذلك قال له ولاي سبب قال له البطريق اعلم انني شاري المينة من البب رومان ملك القرانات بعشر خزنات مال فى كل سنة ولي على كل غليون الف شريفي ذهب فقال له سعد يا ابن خالتي اعطيه ماطلب لان كل ارض متوصية باهلها قال ابراهيم اسكت انت ياسعـد وانظر العجب ثم التفت الى البطريق وقال له يامعلم احنا اتينا بسبب الملوك بتوعكم وبامر ملـككم واتينا نأخذ دراهم ولم اتينا نحط دراهم فانا يامعلم لم اعطيك ولا نصف فضه واحدة فان كان ولا بد فانت تمضي الى رومان وتأخذ منه ماتريد (قال الراوى) فلما سمع الملعون ذلك الـكلام قال له فتح عينك انا عبد الصليب ابن اخت البب رومان انت من غير عقلك يا كناس فما تم كلامه حتى لحق البطل الاورع الغضب وجرد الشاكرية وقال له خذها يا ابن ستمائة معرص انت ورومان سوى وضربه بالشاكرية على عتقيه خرجت تلمع من بين جنبيه فوقع الى الارض قتيل وفى دماه جديل وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار وصاح ابراهيم بملورأسه جروه يارجال فسحبوه الرجال وخرجوا به الى جانب التلال هذا ولما ان رأوه اصحابه وعاينوا ماقد اصابه حملوا على وجوههم واعلنوا بصياحهم فسمع المقدم ابراهيم ضجيج فنهض عليهم وتبعته رجاله وضرب فى اقفيتهم بالحسام ففروا هاربين فى الآكام

وما زال ابراهيم يمنع الكفار عن تلك الاطلال والآثار حتى انتهى بهم المسير الى قصر عبد الصليب الجركشي وكان الى جانب المينة فقال ابراهيم يالهامن وقعة ما احسنها اسكت ياسعد ثم عبر المقدم ابراهيم وصاح الله اكبر فتح الله ونصر واخذل بالشام من كفر وصار ينشد ويقول صلوا على الرسول

ألا مبلغا عني سلامى * الى أهل ذلك الحجا والمقامى
بلغ سلامى الى أهلى وعترتى * واقر بهم وامنى جزيل سلامى
وقبل بد الاحبة جمعا * وأمى وأبى نسل الكرام
وسالهم منى فى كل وقت دعا * فى النهار وجنح الظلام
وأعلموهم وابانى قد نلت فخرا * على جيوش الضلال وجمع اللئام
وقتلت بيدى غواهم جهارا * وسأخرب ارضهم بحد الحسام
وقتلت عبد الصليب بصارمى * وجمع اللئام فروا الى الانام
نسيم الصبح بلغني تحية * الى الظاهر المنصور بالاعلام
وخبره عني باني فعلت فعالا * مانالها كسرى ولا هضام
وسيعود الفخر جهرا الينا * ونحظي حقا بنصرة الاسلام
انا الذى لا اخشى ولا ابالي * اذا دنى الموت حين وجل عظامى
بشرنى شيخ باني امينا * لا ابالى بكل الاقران والاقوام
فلا اموت الاعلى فراشى * كما اعلمنى عن رب الانام

(قال الراوى) ثم ان المقدم ابراهيم احتوى على قصر الجركشي بما فيه من الاموال والاشياء وقال ابراهيم للرجال هاتوا ما فى الغليون من الاموال واجمعوها فى ذلك المكان ففعلوا الرجال ذلك وجلس المقدم ابراهيم على القصر وصار ينظر الى البلد والي القصر والرجال من حوله مثل القمر فهذا ما كان من أمر هؤلاء واما ما كان من امر البطارقة فانهم حملوا عبد الصليب وطلعوا به الى البب رومان وقالوا له ابن اختك مات قال فتأمله رومان واذا به قطعتين فقال لهم ومن الذى فعل به ذلك الفعال فقالوا له فعل به المقدم ابراهيم سبع حوران الذى اتى من عند السلطان فلما

ان سمع ذلك الكلام صار الضياء فى عينيه ظلام ولطم على وجهه ورمى القلنسوة
من على راسه وصاح واى واى ثم التفت الى مارين وقال ياوزير مارين هذا يصح
من المسلمين فقال مارين الحق عليك انت وجماعتك فقال له ولاى شيء فقال
مارين تعالى ياراجل يامخبتون احنا لما رحنا بلاد المسلمين ورسينا على مينة
اسكندرية حدش دق مرسة غليونا قال مخبتون لا لا قال مارين
واحنا كنا رايحين فى حاجة تخصنا احنا وهؤلاء الرجال اتوا فى خدمتنا والذى
معهم ملوكنا وهؤلاء اتوا يأخذوا دراهم ولا يحطوا دراهم فقال رومان يأخذوا
فقال مارين هؤلاء تجارا توا ير يدون المكاسب والا اتوا بسبب خدمتنا فقال
مارين الناس يقولوا يجعل مالهم وعيالهم غنيمة للمسلمين والا لعبد الصليب ابن
اختك قال له الحق بيده يامارين ولكن اربعة بطارقة كوخدارية ينزلوا الى
ابراهيم و يأتوا به الى عندي حتى نحقق الامر منه فعند ذلك نزلوا الاربعة الى المقدم
ابراهيم وقبلوا يده وقالوا له ياسيدي اجب البب رومان فقال ابراهيم نقول في
ارزاقنا يافتاح ياعليم ثم نهض ابراهيم واخذ منه الملوك وهم فى الحديد واخذ
ابراهيم وسعد وترك البطرني عند الغليون وسار بالرجال حتى وصل الديوان وعبر
المقدم ابراهيم وصاح بالعين يارومان يا كلب فعندما نظر اللعين رومان اخذه
الفزع والهيبة ونهض له على الاقدام وسلم عليه وامره بالجلوس فجلس على كرسي
من الذهب ولما ان استقر به الجلوس قال له البب رومان ياسيدي ابراهيم اين
الملوك فقال له ها هم معى ثم صاح على سعد فاقبل بالملوك فجعل يقدم واحد بعد واحد
و يسأله و يقول له من امرك بالركوب على بلاد المسلمين يقول له علام الله جوان
و يقول له رومان جوان عقلك ثم يامر بضرب به علقة و يقول له سر الى بلدك وارسل
لى خزنة مال ثمنك و يفعل بالآخر كذلك حتى اصرف الجميع على هذه الحالة وصار
كل ملك يطلب ارضه و بلاده وهو يدعو على جوان وما فعله معه من عناده فهذا
ما كان من امر هؤلاء واما ما كان عن رومان (قال الراوى) فانه التفت الى ابراهيم
وقال له انت قتلت الجركشي وهو ابن اختى فقال ابراهيم اسأل اصحابه هو الذى
اتى الى عندى واراد ان ياخذ منى مال فاخبرته بانى اتيت فى طلب المال من هاهنا

فما صدقني بل شتمني وكذبني فضربته بشا كريتي هذه فوقع قطعتين فقال له الى سقر والوادي الاحمر جزاء ماحل به فقال ابراهيم اعلم انني اتيت اليك وسلمتك الملوك والآن اريد ان اخذ العشرة خزن مال واخذ خزنة حق الطريق واخذ رجالي وارتحل الى بلاد الاسلام (قال الراوي) فقال له اصبر على عشرة ايام حتى انى اجمع اليك المال وتسير من عندي بالسلامة والامان على كل حال فقال ابراهيم اعلم يا رومان ان معي رجال تكلف اموال فقال له مرحبا بكم وما معك من الرجال فقال له معي ثلاثة آلاف واربعمائة وخمسة وخمسين فقال له لك على فى كل يوم الفين دينار ذهب كلفة الرجال فقال ابراهيم كثر الله خيرك يا رومان من اجل هذا الشان ولكن ما بقى فى الامر الا شيء واحد فقال رومان وماهو قال له اذا انت طلبتنى الى عندك يكون لي عليك حق الطريق خمسة آلاف دينار وان انا اتيت اليك وحدي فلم اخذ شيء منك ابدا فقال رومان واحنا رايحين نطلبك كام مرة انهى الا مرة واحدة يوم تسليم المال نبقى نعطيك الذي ذكرته يا ابو خليل فان كان البيب لم يدفعهم انا ادفعهم اليك قال وكان المقدم ابراهيم لبس البدلة التي اعدها الملك اليه وكذلك سعد وايدمر فكانت بدلة ابراهيم من اعظم بدل الملك الظاهر وسعد بدلة شاهين وايدمر بدلة الملك السعيد والبطرني بدلة قلاوون الالفي (يا ساده) ولما انتهيا الفراغ عن ذلك نهض المقدم ابراهيم على الاقدام ونزل من الديوان على حمية واى حمية ونزل الي قصر الحجر وجلس فما استقر به الجلوس حتى اقبل اليه ابو بكر البطرني وسلم فرد عليه السلام وقال له اعلم يا ابو خليل ان هذا القصر يناسبنى لانه على البحر فاذا انا كنت جالس فيه القي بالي من الغليون فقال له المقدم ابراهيم صدقت يا ابو بكر فيما نطقت ولكن اعلم انه ما مال يخلو من بيع اشترى مني وانا نبيعك فتعجب البطرني من ذلك وقال له تبيعه الي قال نعم ابيعه لاني قاتلت عليه حتى ملكته فقال له هو بخمسة آلاف شريفي قال ابراهيم الله يكسبك ولو كانت بيعة بثمنها وخذ الحجة ها هي بختمي وان احد عارضك لم يكن له خصم غيري فاخذ الحجة وقال ابراهيم اجمعوا لنا ما فيه من الفراشات والاسرة والبتات والنحاس وجميع ما كان فيه فقال له البطرني واني ابقى انا كل انا ورجالي فى الفخار فقال ابراهيم انت شاري القصر

مني لا غير فقال البطرني والحاجة كلها بخمسة آلاف دينار فقال ابراهيم الله يكسبك في الحاجات كلها الا الصر والمال فاني لم ابيعه ابدا ثم انهما تقررا الحال بينهما على ذلك وجلسوا مطمئنين الى ان جاء وقت العشا فاكلوا وشربوا ورفعت الزبادي وغسلت الايادي وقامت ذكرت النبي الهادي ثم اتوا بعد ذلك بالكاس والطاس وجعلوا يشربون ويلعبون ومازال المقدم ابراهيم يشرب الراح حتى غاب عقله وراح فقال ابراهيم يا سعد اذا نحن رحنا الى الاوطان بالسلامة وسألونا الاخوان عن رومة المدائن نبقى نقول لهم من البحر الى الديوان ولكن قم بنا يا سعد حتى نشق البلد فقال سعد ولاي شيء يا ابن الخالة دعنا في حالنا ولا نتعرض لشيء من ذلك فقال له اسكت يا سعد ثم نهض ابراهيم ومعه الرجال وشقوا البلد واذا بالمقدم ابراهيم وجد سوق الجوهرجيه مفتوح والجواهر تضيء على الاماكن كانها المصابيح فقال ابراهيم طاب الموت يا سعد ثم التفت الى الرجال وقال لهم كل اثنين منكم يقصدوا على دكان ومثل ما افعل انا افعلوا انتم فقالوا سمعا وطاعة وابتدروا الرجال من تلك الساعة وابراهيم اقبل الى شيخ الجوهرجية وكان يقال له بولص فقال له ابراهيم بنسير يا معلم فقال له مرحبا يا سيدي قال ابراهيم يا معلم عندك جواهر كثير قال له نعم عندي كل ما تطلبه ثم تأخر له الى داخل الدكان وعزم عليه بالجلوس فنهض ابراهيم وجلس ذات اليمين وجلس سعد ذات اليسار وطلب لهم القهوات والشربات فشربوا وقال له عندك عقد يناسب داسر بن رين المسلمين قال له يا سيدي انت المقدم ابراهيم قال نعم فعند ذلك اخرج له عقد يساوي عشرة آلاف دينار فلما رآه ابراهيم قال له هل عندك غير هذا قال نعم فقال سعد الله يضرك يا كلب الفرنج ثم ان اللعين اخرج من داخل الدكان صندوق صغير وفتحه فاخرج منه عقد يساوي مائة الف دينار فقال له ابراهيم فرغ هذا الصندوق هنا يا معلم فوضعه بين يديه فقال له يا معلم انا افصل وانت تقول يفتح رب المسيح وانا ازودك فلوس فقال اللعين بولص الجوهرجي يا سيدي تفصل هذا كله مرة واحدة فقال ابراهيم نعم اعلم ان البيع والشرا لم يكن فيه حيا ابدا فقال له اللعين افصل فقال ابراهيم هذه الجواهر كلها بعشرين فضه يا معلم فقال له بولص

و قدا كادا نصحك ان يفتح رب المسيح فقال ابراهيم الآن انت اعجبتني و بقيت أزودك فلوس بخمسة وعشرين فضة فقال له المعلم دعنا من المزاح واشترى ان كنت تريد فقال له ابراهيم بثلاثين فضة يا معلم فقال له يفتح رب المسيح فقال باثنين وثلاثين فضه فتضايق الجوهرجي وكاد الغيظ ان يخنقه واحمر وجهه وظهر عليه الغضب وقال له ياسيدي ابراهيم هذه الجواهر غالية عليك فدعني من ذلك الكلام الذي تقوله فقال ابراهيم انت تقول يفتح رب السيح وانا ازودك فلوس هؤلاء باربعين فضة كلمة واحدة ماتقول يامعلم فعند ذلك ازداد غضبه وقال له اعلم ان هذه الجواهر ثمنها علاغلايين فلوس من نحير عددانت يا راجل من غير عقل قال فما تم الكلمة حتى ضربه ابراهيم بساحته كانها نجمة في ليلة مظلمة وقعت راسه الي الارض مثل الصرمة فلما رات الرجال ذلك فصار كل من كان جالس على دكان يقطع راس صاحبها والذى يريد النجاة يخلع ماعليه من الثياب ويمضى هارب يخلواله الرجال الطريق ثم ان ابراهيم امر الرجال فنهبوا سوق الجوهرجية بما فيها وقتلوا اهاليها وخرجوا منها وهم مجرد بن السلاح وقد جعلوها بلقع مثل المداح وساروا جميعهم الى قصر الجركشي بهذا ماكان من امر ابراهيم ورجاله وماجرا من فعاله واما ماكان من امر المنهزمين فانهم ساروا طالبين رومان واليه قاصدين حتي طلعوا اعليه وهم مثل المجانين وهم يدعون بالثبور وعظايم الامور فلما رآهم على تلك الحالة انزعر وانقهر واخذه الضجر وقال ما الخبر قالوا له ابراهيم نهب سوق الجواهرجيه بما فيه فلطم اللعين على وجهه وكاد ان يخرج عقله وعظمت مصايبه وقال له يصح ذلك يامارين فقال له مارين الحق عليك يارومان فقال وكيف ذلك فقال مارين ياراجل يامخبتون احنا لما رحنا بلاد المسلمين وجدناهم واضعين السلاح في اي جهة من الجهات فقال له على شوارع الاماكن وابواب البيوت والدكاكين والحارات والازقات ولايخلوامكان من النفر ولا من الحذر حتى البحر فقال مارين وان المسلمين فى بلادهم لم يجدوا مثل هذه الامور ومع ذلك محصنين اما انتم مفرطين و لكن هوا ابراهيم هرب من البلاد اتركوه ولا تحركوا اساكن حتي ياخذ الاموال ويسافر وتتركوا هذه الجواهر يأخذها والحق عندكم الذى

تفتحوا سوق الجوهرجيه فى مثل هذه المدة ولكن اطلبوا لنا المقدم ابراهيم
حتي نساله وكان قصده بذلك نهب اموالهم اليه فاجابوا بالسمع والطاعة ونزلوا
الى قصر الجركشي قبلوا يدا براهيم وقالوا اجب البيب رومان فقال ابراهيم نقول
فى ارزاقنا يا فتاح يا عليم ثم سار من ساعته الى الديوان فتلقاه رومان وسلم عليه واجلسه
وبعدان استقر به الجلوس ساله ماالذى جرى فقال له اسال رفقائه يارومان انا
فقال اشتريت منه عقد وفصلته له يفتح الرب المسيح زودته دراهم هذا حصل يامعلمين
مني ومن الشيخ بتاعكم قالوا حصل ياسعد ثم انه سفه على قتلته فوقعت الضجة فى
السوق منهبوا بعضهم ببعض واما انا والاسم الاعظم لا اخذت شر يفى ولا اثنين
ولا عقد ولا اثنين ولا ثلاثة فقال له يابو خليل لاجل خاطرك وخاطر رين المسلمين
تترك هذا الامر ثم ان ابراهيم قال له اعطيني الآن خمسة آلاف شريفي حق الطريق
واعطوه ونزل ابراهيم على حمية وأى حمية ولم يزل فى حظ وائتناس ، الى ان اقبل
الليل وسكر هو ورجاله فلما غاب رشده صاح ابراهيم ياسعد قم بنا نشق البلد فقال
له ياسعد البلاد قفر خراب ينعقها البوم والغراب وما كان فيها مكان مفتوح فقال
له قم ياسعد ونهض ابراهيم على الاقدام وسار حتى اقبل الي خمارة مخبتون فوجدها
مفتوحة من سائر جهات البلد فصبرا برهيم وقال للرجال قموا على الباب ولا تتركوا
حدا ينجوا الا من نزع الثياب ودخل ابراهيم فترحب به الخمار وسقاه بكاس من
الراح فوضعه قدامه وأخرج كيسا من الذهب وفرغه فى قلب الكاس وشرب
الخمر من فوق الذهب فرده بعض الشام وهو يفعل ذلك الفعال فقال له ولماذا فقال
ياخذ الصدى الذى يكون فى الحي من محل الدسوت وينزل فى الجوف صافى فقال
له صدقت ثم انهم فعلوا مثله وعملوا كعمله وشربوا الخمر من فوق الذهب الاحمر
وارادوا بعد ذلك ان ياخذوا الذهب فصاح فيهم وقال لهم هذا الذهب صار حقي
انا دونكم لانى انا الذى علمتكم ولو كنتم انتم علمتمونى كنتم اخذتم مامعى فقالوا اله
من يقول هذا الكلام فقال ابراهيم انا الذى اقول فعند ذلك تشاجروا معه فتشاجر
معهم فاقبل اليه الخمار وكان اسمه تومه وقال فتح عينك هذه خمارة مخبتون ماهي لعبه
فقال ابراهيم بتعرض انت واياه سوى فقال له انت منه مجنون يا كناس فضربه

واما ما كان من ابراهيم اطاح منه الراس ونزل فى كل من كان هناك فقتل ما قتل وما نجا الا من تجرد من الملابس والحلل ونهبت الخمارة وما بقى فيها شيء يساوى زبلة حماره واخذا براهيم كل ما فيها وسار الى قصر الجركشي فى هناء وسرور وهو لم يبالي بكل هذه الامور بينما هو جالس واذا المنهزمين طالعين عليه وهم يدعون بالوبال والثبور وعظايم الامور فقال ما الخبر فقالوا له خمارة الوزير مخبتون نهبت فهذا ما كان ولما سمع مخبتون ذلك رمى القلنسوة من على راسه وصك وجهه فقال له مارين اقعد مكانك يا كناس يعني انت محتاج الى خمارة فى مثل هذه العبارة احنا رحنا بلاد المسلمين ما وجدنا شيء خماره مفتوحه على قارعة الطريق فقال له لا فقال لما بقيت تطلب الخمر تأتيك بالليل وبالنهار قال له بالليل فقال له يا كناس انت تعلم ان المسلمين يكرهون الخمر فلاى شي تفعل ذلك الحق عليك ثم صاح فى اللئام فنزلوا الي حال سبيلهم وترك مخبتون هذا الامر من ساعته فهذا ما كان من امر هؤلاء

(قال الراوى) واما ما كان من ابراهيم فلما جن عليه الليل طلب الراح فسكر وقال يا سعد قم بنا حتى نشق البلد فقال البلد ما بقي فيها شيء ابدا فقال له قم بنا فسار بالرجال ولم يزل ساير من مكان الى مكان حتي اقبل الى حارة من جملة الحارات فراى بطارقة داخلين وبطارقة خارجين فسال ابراهيم عن ذلك فقالوا له هذا بيت روم الازرق ابو رومان وعنده اكابر البطارقة فى عزومة فقال ابراهيم مسكنا يا سعد ولكن افتحوا ثلاثة اقسام كل قسم فى دور وانا اطلع فوق فاذا سمعتم الصياح فنظفوا الاماكن الذى انتم فيها فقالوا له سمعا وطاعة وصعد ابراهيم وقال بنا سيروا فالتفت اليه روم الازرق وقال له مرحبا يا سيدي انت مين قال له انا ابراهيم ابن حسن الحوراني قال له والى الآن ما اخذتم الفلوس قال له ابنك تاركنا ولم يسال عنا ولكن انا مرادى اخبرك بشيء واحد فقال له قل ما تريد فقال له اعلم انا سالنا على بيت نريد ان نسكن فيه فما راينا ابنك لم اعطانا بيت نقيم فيه ومرادى انك انت تعزل من هذا المكان وانا اقعد برجالي فيه حتى تنقضي الاشغال واترك البيت اليك وامضي الى حال سبيلي يعنى انا رايح اخذ البيت معي وارتحل قال فلما سمع ذلك قال له يا راجل اعزل الفلوس والالاوانى والالايش الذى اعزله قال له ابراهيم اعلم ان

مثلي من يتامن على الاموال والاحرار والمهج فانت تترك الفلوس وتطلع بطولك فقال انت مجنون يا كناس فما سمعها حتى ضربه المقدم بالشاكرية وقعت الراس من الشباك الي المكان الوسطاني فلما ان رات الرجال رمي راس الازرق وقدسقطت بين يديهم جردوا اشواكرهم وصاحوا فيمن عندهم فتجاروا الكفار يريدون الهرب فتلقوهم الرجال الذين في الدور الآخر ولم ينفذ من الكفار الامن خلع ملابسه وخرج كيوم ولدته امه هذا وقدام ابراهيم بنقل كلما كان لقصر الحركشي فنقلوه وجلس ابراهيم برجاله وهو مطمئن القلب والخاطر فهذا ما كان من امر هؤلاء واما ما كان من امر المنهزمين قال الراوى فانهم ساروا الى رومان قاصدين وهم يدعون بالويل والثبور وعظايم الامور فقال عن الخبر فقالوا له ابوك منطر وذهب الى السفر فلما ان سمع رومان ذلك الخبر لطم على وجهه وشق الشعر ومزق اثوابه وعلى انيابه كشر وقال هذا يحصل يامارين فقال له الحق عليك وعلى ابوك يعنى ما يعمل العزايم الا في مثل هذه الايام ولكن احضروا النا ابراهيم حتى نساله فذهبوا اليه النجابين وقبلوا يده اليمنى وقالوا له اجب البب رومان فقال نقول في ارزاقنا يافتاح ياعليم ثم نهض ابراهيم وسار الى الديوان وقال قبل كل شيء ائتوني بخمسة آلاف شربني حق الطريق وبعدها اسالوني عن ما تريدوا فاحضروا له ما طلب وقال رومان ياسيدى من الذى قتل ابويا فقال له اعلم انه كان عنده اكابر اللئام وانا دخلت عليه فلم اكرمني ولا سأل عني فقلت له ياروم دعني اقيم عندك قدر ثلاث ايام لان رومان ماافرض لنا فقال ياراجل انت من غير عقل فعند ذلك جردت الشاكريه واشرت اليه بها من عندي فكانت رقبته مسوسة لانه بقي كبير ورقبته عتت فوقعت راسه الى الارض واما انا فاني لم قتلته عمدا فعند ذلك لان اللعين رومان فى اموره وقال له يا ابواخليل ابويا فداك ثم صاح في اللئام فنزلوا وهون عليه الامور مارين وقال له يابب غدا يسافر ويترك هذا كله وقد انقضت الاشغال على مثل ذلك ونزل ابراهيم على حمية واى حمية واقام حتى ادركه المسا فطلب الراح ودارت الاقداح فغاب الصواب وحضر الافتضاح فصاح ابراهيم ياسعد قال نعم فقال له سير بنا نشق رومة المداين ونهض سعد وايدمر والرجال ومازال من مكان الى مكان من اول

البلد الى آخرها فلم برا فيها حس حسس ولا امس انيس فقال ابراهيم ولاى شيء لم نر فى طريقنا احد لا ابيض ولا اسود فقال له يا ابن الخاله اعلم ان البلد الآن خراب ولم يقدروا واحد يسير فيها من بعد المغرب خوفا من العطب فسير حتى نرجع الي مكاننا فقال ابراهيم سير فطاوعه وسار وقال سمعا وطاعة فسار وراجعين والى مكانهم قاصدين واعجب ما فى هذه السيرة العجيبة ان ابراهيم سابر واذ يسمع تحت الارض دوي كانه دوى النحل فوق ابراهيم وتسنط وقال ما الخبر فوجد الدوى تحت الارض فاخرج الخنجر وجعل يحفر الارض ويغور حتى انه ذلك المكان فيه الدوى ومال براسه اليه فوجد خلقا تحت الارض مثل الجراد للنتشر وكلهم يستغاثوا ويقولوا اللهم احسن خلاصنا على يد المقدم ابراهيم ابن حسن الحورانى اللهم ارسله الينا فمند ذلك تعجب ابراهيم من ذلك وقال يا سعد ما الخبر فقال له يا ابن الخاله اعلم ان هؤلاء من الجان وانهم يستغاثوا بك ويطلبوك ولم ادرى ما خبرهم فقال يا سعد اعلم انني اخاف من الجن فقدم انت اليهم واسالهم عن حالهم فلعل ان يكون لنا سببا فى نجاح امورهم فتقدم سعد واوما براسه اليهم وقال يا خلق الله فقالوا والله نعام من انت قال ومن انتم قالوا والله نحن خلق الله فقال لهم من الانس او من الجن فقالوا والله نحن من الانس ولنا فى هذا المكان مدة طويلة وكنا الف واربعة وعشرين الف يسير وكلنا مؤمنين نهز العرش بالتوحيد فمات منا سبعة آلاف يسير من الجوع ومن الشقا ومن الحبس والفعل وما اشبه ذلك فقال ابراهيم عندما سمع ذلك الكلام لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ثم تقدم ابراهيم واخبر سعد ودنا منه وقال لا باس عليكم جاءكم الفرج القريب من الله تعالي فاين باب المكان الذى انتم فيه فدلوه عليه فسار ابراهيم اليه قاصد وله طالب واورد حتي اقبل اليه فوجد الحراس نحو عن مائة رجل الذين هم جالسين فى ذلك المكان فصاح عليهم ابراهيم وقد جرد الحسام وكذلك سعد ابن دبل وايدمر البهلوان ومالوا على من كان هناك من الرجال اسقوهم كاس الوبال وضرب ابراهيم باب السجن بالشاكرية قطعه بالكلية وعبر وقال لمن هناك قوموا على بركة الله وغدا انا اعرف شغلى مع رومان واخذ الاسارى وسار بهم حتي اقبل الى بيت روم الازرق وقال اطبخوا لهؤلاء

العدس والقوافيه البقسماط ففعلوا ذلك في عاجل الحال وتقدم الطعام فاكلوا وشربوا ولذوا وطربوا وزال عنهم الغم وايقنوا بالوجود من العدم وجعلوا يتضاحكون ويلعبون فقال لهم ابراهيم اذا كان غدا كل واحد يعرف سيده ويقف الى جانبه فقالوا سمعا وطاعه ثم ان المقدم ابراهيم لم ياخذه منام حتى ذهب الظلام وطلعت الشمس على الاكام فنهض ابراهيم بالرجال الاساري وسار قاصد الديوان (قال الراوى) فبينما رومان جالس والرجال حواليه واذا بابراهيم طلع الديوان كانه القضاء اذا انحدر والبلاء اذا حضر وهو مغضب بمجرد الشاكرية في يده وهو يقول يارومان ياكلب الافرنج لابد لي الآن من قتلك وخذ نفسك ولا ابالى بكل من كان عندك من الرجال كلهم قليلين به شاكريتى هذه قال فلما راى رومان الغضب وقد لاح في عين ابراهيم وهابه وخاف منه الخوف الشديد وقال له الخبر ياسيدي ابوخليل فقال له انا اتيت الى هنا بسبب ايش قال له بسبب عشرة ملوك قال ابراهيم ياخناس انا ما اتيت بسبب هؤلاء الملوك الذين ما يساووا عندى لامة ظفر مسلم واحد وانما اتيت بسبب خلاص اربعة وعشرين الف يسير من الاسلام ومن جنسي فكيف انك تأسر هؤلاء الذين من جنسى وتطلب عشرة كلاب من ابناء جنسك انت واعلم انا اهلهم اوصونى واعلمونى باسمائهم وقد اطلقتهم الآن من سجنك وجردتهم فوجدت منهم سبعة آلاف فالآن اريد ان آخذ دية السبعة آلاف واوصلها الى اولادهم لانهم فقراء الحال واحاسبك ايضا على ماهيتهم من مدة ماماتوا الي هذا الوقت ثم صاح ابراهيم ياسعدهات ما عندك فطلع بالاساري فقال ابراهيم كل من كان يعرف صاحبه يقف الى جانبه فتفرقت الاسارى الي اصحابهم ووقفوا بجانبهم وجلس ابراهيم وسار يطلب واحدا بعد واحد من اللئام فاول من طلب رومان فقال له انت عندك كام يسير قال له الف وخمسمائة قال ابراهيم مات منهم كام وباقي كام قال منهم اربعمائة وباقي الف ومائة قال ابراهيم بقا عليك اربعمائة الف شريفى ذهب دية الذين ماتوا عندك وعليك ماهيات الباقى وجماكيهم الى لآن فاجابه الى ذلك وقبض ابراهيم الاموال ثم فعل بمخبتون كذلك وكل ما كان من اللئام اخذ منه دية من مات له من الاسارى وماهية من بقي حتى اخذ ما يخص

الجميع ثم قال ابراهيم كل من له يسيرا او اثنين او ثلاثة او عشرة يأتي الى كل واحد منهم بجواد يركبه وعدة يلبسها وسلاح يحمله ويركب هوا اوادو واللعين يمشي بجاريه ويسنده ويطعمه في النهار كلما كان يشتهيه وعند الغروب يعلق على جواده و يسقيه و يعطي السيد دينارين من الذهب دينار له برسم المصروف ودينار لي انا وكل من خالف ذلك لا يكون حصنه الا شاكريتي هذه فاذا قابلون انتم فقالوا اللئام نحط كل ما تأمرنا به ياسيدنا فقال ابراهيم وانتم سمعتم قولي يا اسارى قالوا نعم نفعل مع هؤلاء الملاعين لانهم طالما اتعبونا واشغلونا وجوعونا وحبسونا وما اكرمونا

(قال الراوي) ثم لما انتهى الفراغ من ذلك نزل المقدم ابراهيم الى مكانه واقام الى آخر النهار واذا بالاسارى وقد اقبلوا اليه وتقدم احدهم اليه وقال له افرد كفك ففتح ابراهيم كفه فقال له خذ سبعة ذهب تمام هاهما فقال له وما الذي فعلت قال له اخذت لك انت شريفي وسعد شريفي وابدمر شريفي وابو بكر شريفي وانا شريفي وجوادي شريفي وغالطته في شريفي فقال له حياك الله وقواك خليك على هذه الكيفية ثم قبض من كل واحد سبعة وصارت هذه العادة في كل يوم وصاروا ياكلون كل ما يشتهون ويشربون كما يريدون وظهرهم المقدم ابراهيم ابن حسن والكفار يخدموهم و يلبسوهم و يطعموهم و يعطوهم الاموال وكل ذلك خوفا من ابراهيم ان يقتلهم فهذا ما كان من امر هؤلاء (قال الراوي) واما ما كان من امر اللعين جوان وما يفعل من كلام العجيب والامر المطرب الغريب وذلك انه بلغه الخبر الذي شاع في رومة المدائن وهو لم يقدر ان يظهر خوفا من ابراهيم ان يبطش به لانه لا يعرف كتاب يونان ولا اينان فقال في نفسه لا بد ان ادبر مكيدة على هؤلاء الكلاب ثم انه دخل على دوقش في بعض الايام وقال له يادوقش لم يبق لك تذكار الا بحركة واحدة وذلك ان ابوك عنده اربعة مثل هؤلاء الاربعة الذين اتوا من عند رين المسلمين فاذا لعبوا هؤلاء مع هؤلاء في الفرح الذي تعمله انت يتسع ذكرك بين اهل الدنيا وتدخل انت على بنت القمص الذي كلل لك ابوها

اكليلها فقال له سمعا وطاعة ونهض دوفش من تلك الساعة ودخل على ابوه قال وكان يهيبه اذا رآه لانه على اواخر الزمان يقتله بيده ويسقيه كاس حتفه ولاجل ذلك كان يكرمه ويداريه ولا يكلمه فيما شرع فيه ولما ان رآه ابوه نهض اليه وقال له ما تريد يا قليوني فقال له اريد ان تعمل لي فرح وتدخلني على بنت القمص فقال له ابوه صبرا حتى يرحل ابراهيم ابن حسن فقال له توا انا مرادي ان هؤلاء الاربعة بتوعك يلعبون في فرحي مع الاربعة بتوع رين المسلمين فقال له ابوه ياولدي اعلم ان ابراهيم اخرب المدينة وتركها خراب بعد ان كانت حصينة ولكن لابد لنا ان نسالوه في مثل ذلك القصة فقال له دوفش شانك وما تريد فعند ذلك ارسل البب رومان الى المقدم ابراهيم فلما حضر اجلسه وسلم عليه فقال له قبل كل شيء اعطيني حق الطريق فاعطاه ماطلب واعاد عليه ماجري من هذا السبب فقال ابراهيم تلعب انت يا ايدمر انت والبطرني وسعد فقالوا كلهم و ياك انت يا ابوخليل فقال ابراهم تلعب يا رومان و تقيم الافراح فقال البب رومان ياسيدي اريد منك فرمان مختوم مختمك انت و رفقائك بالامان على اهل مدينة البب رومان فاجابه ابراهيم وسعد وايدمر البهلوان والبطرني ورومان واعطاهم دوفش الهدايا الملكية في نظير ختم الفرمان فنزلت المناداة في المدينة والافر وري ينادي هوه يا بطارقه يا علوج يا مارقه حكم ما امر سيدي ابراهيم الحوراني وسعيدات ابن دبيلات وسيدي ايدمر البهلوان والبطرني بتاع السلطان عليكم الامان لا تخافوا من شيء لا في الليل ولا في النهار افتحوا اماكنكم وزينوا بيوتكم وحواصلكم واوقدوا اشموعكم وعليكم الامان وكل من كان يخالف هذا الفرمان بروح المنطار لا اسيطه ولا ظمامه شكر يامسيح قال فتزينت البلد وفتحت الخانات والدكاكين وامنت الناس وهرعت النساء والبنات وقال رومان هذا النهار اول الملاعيب قال ابراهيم مفتاح الملاعيب البهلوان فقال رومان نعم صدقت يلعب سيدي ايدمر مع عبد الصليب البهلوان فامر ابراهيم باحضار الاثنين الى بين يديه فلما حضروا قال ابراهيم يا معلم اللعب غالب ومغلوب وسوي فقال اللعين انا من منطار يا اما يغطرني يا اما منطرته قال ابراهيم اشهد يا رومان اشهد يا مارين اشهد يا تخبتون ثم اخذوا عليه مكاتبة اذا مات في الملعوب

ما يكون له د به ابدا ثم قال ابراهيم و كل من قتل خصمه فى الملعوب يكون مال المقتول للقاتل فرسي عبد الصليب بذلك لثقته من نفسه فقال ابراهيم قبل الملاعيب اكتب لنا مالك و نوالك واما كنك حتى اعرف ماعندك وكذلك مال ايدمر تكتبه فقال له اكتب يا سيدي عشر صناديق ملا نه دوا كيت وار بع خانات وعشرين حاصل وخمسين جوهرة و تسع بيوت فكتب ابراهيم كل ما كان له و قال اكتب لايدمر البهلوان عشرين حمام فى مصر وخمسين وكالة وثمانين صندوق من المال فكتب والوكيل فى ذلك مارين ورومان وكل ذلك الكلام من ابراهيم هزيان ثم قال ابراهيم هاتوا عقدة الرهان فاخرج ايدمر عقدا من الجوهر يساوي عشرة آلاف دينار واللعين كذلك فقال ابراهيم ان انت غلبته انا اخدت هذين العقدين وان هو غلبك انا اخذت هذين العقدين وان راحت الصنعة بتناسوى وانا اخذت العقدين فقال له اللعين رضيت بذلك هذا وقد اجتمعت اللئام وتعروا الاثنين من الملابس وفرشت لهم جلودا جاموس المدهنة بالزيت الطيب والصابون ووقف كل خصم قبال خصمه وهرعت العالم ذات اليمين وذات الشمال ووقف المقدم ابراهيم ومن معه من الرجال المخبورة رالرجال المأسورة وقد مدح ابراهيم النبي

مدح النبي العربى * يزيل همتى وكربى
يا حاضرين صلوا على احمد * صاحب المقام والمشهد
اله السما صلى عليه * كذا الاحجار نطقت اليه
هو الحبيب الشفيع * لمن كان له مطيع
اجارنا من النيران * بفضله دخلنا الجنان
رب العلا اوحى اليه * والجذع طاطا سلم عليه
والسطيح انعدل بين يديه * والغزالة جاءت اليه

يا سعد من كان على مذهبه * يفوز بالنعيم المقيم * ويسكن فى مقربه

(قال الراوى) ثم ان المقدم ابراهيم صاح وقال اثني يا امير ايدمر يا بهلوان وفعل ابراهيم ما يلزم اليه الحال من فن السراع والقانون ولم من الحاضرين النقوط وقال لعبد الصليب يا معلم اعمل لك انت الآخر كلمتين كل اخوانك يجابروك

و ينقطوك فنهض اللعين وقال

يابنت بولص قولي لى وانا سمع كلامك
خذى بيدك لبولص حطيه فى كشكوانك

فقال ابراهيم طيب عليك يامعلم انت مثل الورق مطوى على كلام فنقطوه اللئام وصار يتحنجل و يلم منهم العمل هذا وقد أخذ ابراهيم ماجاء الى الاثنين من الاموال ثم ان ابراهيم قال لايدمر شد عزمك ياعز عسكر السلطان ولا تبالى فوحق الاسم الاعظم هؤلاء كلهم هكيلات ناس على شا كرية وليد حسن فاشد عزم الامير ايدمر البهلوان وانطبق على اللعين عبد الصليب ولعب معه أربعة وعشرون بابا من ابواب فن السلاح والصنعة فى بيت السوى هذا وقد قال اللعين مابقا الاباب الخوخة فقال ايدمر بها يتم الصلاح من الذى يلعب اولا فقال اللعين انا اعمل خوخة وانت تنفذ منها ثم وقف على رجليه وفتح رجليه شبرا واحدا وقال لايدمر ان كنت تمج فاخرج من بين الكعبين فقال له أيدمر السمع والطاعة ثم تأخر عنه قدر فرسخ وقد اقبل اليه وجعل رأسه بين رجليه وقفز بفن الصراع فخرج من الجانب الآخر فتعجبت اللئام من فعاله ومارأوا من اعماله وقال الامير ايدمر الآن نلعب انت يامعلم انت فتحت لي رجليك قدر ايش فقال له شبرا واحدا فقال له هذه رجلاى شبرين كاملين فقال له سمعا وطاعة وتأخر للعين قدر فرسخ واقبل برأسه الى بين رجلين الامير ايدمر وادخل رأسه واراد ان ينفذ بأكتافه فلم يقدر على الخروج فاراد ان يرجع الى خلفه فلم يستطيع ذلك ابدا فقال اللعين فى نفسه ارفع خصمك على رقبتك واحذفه من خلفك فيقع على ام رأسه فيموت والسلام ثم انه هم الى اعلا واراد ان يهلك الامير ايدمر البهلوان و يرفعه من الارض فوجده هو والارض والجلود والزيت والصابون قطعة واحدة كانه تستمر فى الارض بكلاليب فتحير اللعين وغلب ولم يدرى كيف يصنع فقال الامير ايدمر الآن طاب الموت اقفل على هذا الكلب باب الخوخة ثم انه حكم سمانين رجليه على جوزة رقبته وقرص فضرب اللعين مدافع السلامة ورقص وهو مكب على وجهه وقد خرجت روحه الخسيسة من

الجثة الخبيثة وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار ثم بعد ذلك رجع الامير ايدمر
وليس ملابسه ونظرت اللئام الى ذلك اللعين فوجدوه بتلك الحاله فجردوا السلاح
فعند ذلك صاح المقدم ابراهيم وجرد شاكريته واراد الهجوم فمنعه من ذلك مارين
ورومان وصاحوا فى اللئام فردوهم وقال البب رومان خذوا هذا اللعين احرقوه
وكفروا سيئاته فراح الي حال سبيله وباع ابراهيم فى عاجل الحال كل ما كان
يحكم عليه اللعين وقبض وقال ابراهيم هذا اول الملاعيب وهذا يكون الملعوب
الثانى وهو ملعوب ابو بكر البطرنى مع بشماطه القبطان ويكون الاجتماع على
حافية البحر فتوجهت اللئام وباتوا تلك الليلة يحلمون بالملاعيب حتى اقبل الصباح
واقبل الكريم بنوره الوضاح فابتدرت اللئام على حافية البحر ذات اليمين وذات
اليسار وعقد اللعين الرهان بينه وبين ابى بكر البطرني واخذ الرهان ابراهيم
وقال كيف يكون الملعوب قال اللعين كل واحد منا يكون فى مركب صغيرة ويقف
فيها برجل واحدة ويشاغل الدفة بالثانية وينطبق على خصمه بعد ان يطلق المدفع
على زنده فقال ابراهيم تلعب يا بطرنى قال له نعم المسب فقال سمعا وطاعة هذا وقد
قال اللعين بشماطه اتوا الي مدفع زنته نصف قنطار وحطوا فيه بارود خمسة ارطال
وجلد خمسة ارطال فاتوه بما طلب فرفعه اللعين على زنده اليمين واعطاه الذخيرة
فخرجت الجلده قد رسبع فراسخ الى الجانب الاخير والمدفع باقى على زنده لم
يتحرك ابدا فعند ذلك فرحت اللئام بذلك المرام وأيقنوا بالظفر على الاعداء
وقالوا هذا ملعوب بشماطه رالآن نرى ملعوب القبطان فعند ذلك لعب البطرنى
بالمدفع واطلقه مثله وعمل كعمله وانطبقت الاثنين على بعضهم البعض بالسلاح
وساروا يقاتلون على رسم الحياة ويلاعبون الدقات بارجلهم عشرة ابواب بالسلاح
وعشرة ابواب بالمزارق وقد تعجبت الاباذى منهم بالاحداق (ياساده يا كرام)
ولم يزالوا كذلك حتى كادوا ان يقتلون انفسهم ولم يبلغ احدا من خصمه فرصة
ابدا فعند ذلك قال ابو بكر البطرنى هذا كله بطال ومايكون قتالنا الا فى قاع البحار

الجزء الثامن عشر ويليه الجزء التاسع عشر واوله فقال له اللعين الخ

﴿ سيرة الظاهر بيبرس ﴾

تاريخ الملك العادل صاحب الفتوحات المشهورة (السلطان محمود الظاهر بيبرس) ملك مصر والشام وقوادعساكره ومشاهيرابطاله مثل شيحه جمال الدين واولاده اسماعيل وغيرهم من الفرسان وماجرى لهم من الاهوال والحيل وهو يحتوي على خمسين جزء

الجزء التاسع عشر

﴿ الطبعة الثانية ﴾

١٣٤٤ هـ - ١٩٢٦ م

التزام

عبد الرحمن محمد

ملتزم طبع المصحف الشريف بمصر

بميدان الازهر

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم

(قال الراوي) فقال له اللعين افعل ما تريد ثم ان اللعين ارمى نفسه قاع البحر وتبعه الامير ابو بكر فيقال ان ابو بكر عند النزول نزل على راس اللعين فلما استحس به قبض على الآلة وقال للبطرني الان بقيت امنطرك من بالوصك يا كناس فلما ان علم بذلك البطرني مال اليه برأسه وحكم انيابه على رقبته وقبض بانيابه على رأسه وزوره فمن شدة ضيقه التهى اللعين بتلك الصيبة التي قد اتته فسيب البطرني وسقط الي قاع البحر قتيل وفي دماه جديل فنزل البطرني وخاص على رأسه وقبض على شعره باسنانه وصار طالب الظهور الي اعلا البحور هذا وقد سبقه الدم الى الماء فعند ذلك اشتغلت خواطر الطائفتين وعلموا انه قد هلك واحدا من الاثنين

(ياساده) وقد نظر المقدم ابراهيم الي الاسلام فرأي قلوبهم وقد كادت ان تنكسر فنهض ابراهيم واقبل الي البحر واخرج قطنة وغمرها من الدم وشمها وصاح ابراهيم علو راسه دقوا الطبل ياعصبة الاسلام فوحق الاسم الاعظم هذا دماء من لا يقول لا اله الا الله محمد رسول الله وان كان غير ذلك لا خلي كل الحاضرين يبيدا في جسمي ما شاء من السلاح قال ففرحت الاسلام ودقت الطبول والانزه والزمور فبينما هم كذلك واذا بالبطرني وقد ظهر وبان من فوق البحر وهو قابض بانيابه على راس خصمه من الشعر فلما ان راوا اللئام ذلك غضبوا وارادوا ان يجردوا الشواكر فصاح فيهم دوفش والملك رومان فعادوا على اعقابهم راجعين وانصرفوا الملاعين هذا وقد قال رومان غدا يكون ملعوب المقدم سعد ابن دبل مع مسرور الطيار فقال ابراهيم يلعبوا مثل ايش فقال رومان وفيه هنادير وفيه راهب وكل من سار الي ذلك الراهب واتى الينا من عنده ومعه امارة كافية يكون هو صاحب الملعوب فقال ابراهيم تلعب ياسعد قال نعم العب يا ابن الخالة واتوكل على الله تعالي وانصرف

كل واحد منهم الي حال سبيله (ياساده) واعجب ما فى هذه السيرة العجيبة ان اللعين جوان كان مختفيا بين اللئام فلما ان سمع ما دار بينهما من الكلام وما اتفقوا عليه من المرام ارسل من ساعته نجاب بكتاب الى ذلك الراهب يقول فيه من عند عالم الملة جوان الي بين ايادى البطرك زنعنع نعلمك انه قد جرا من الامور كذا وكذا فاذا اتاك مسرور الطيار فاقضي حاجته فى اسرع وقت واذا اتاك سعد ابن دبل فأخره عندك حتى يفوت الميعاد شكرا يامسيح والسلام فوصلت الرسالة اليه فاجابه عالم الملة بالسمع والطاعة وكتب له بذلك رد الجواب وأرسله مع النجاب وقد كان اللعين جوان دبر امرا آخرا اقبح من ذاك وذلك ان بين رومة المدائن و بين هذا الراهب ثلاث جبال وكل جبل فيهم ملك بالف بطريق ساكنين فيه فارسل اليهم جوان يعلمهم بذلك و يقول لهم ان كان عبر عليكم مسرور فسلكوه واذا عبر عليكم سعد فعوقوه وان قدرتم على هلاكه فاهلكوه فانه بمفرده وما منهم الا اجاب بالطاعة فهذا ما كان من امر هؤلاء (قال الراوى) واما ما كان المقدم سعد وابراهيم فانهما اقاموا حتى طلع النهار ولاح وصلوا صلاة الافتتاح واجرى المقدم ابراهيم الشروط حكم ما سبق وقال ابراهيم من هنا الى الدير سفر قدر ايش فقالوا له سفر ثلاث ايام فقال سعد انا اسافر واعود فى يومين قال مسرور الطيار فى يوم واحد قال سعد فى ثلاث ساعات من غير زيادة قال مسرور انا لم اقدر على اقل من ذلك فقال ابراهيم كل من اتى عند تمام الساعة الثالثة يكون صاحب اللعوب قال فمسكوا الساعات وانصرفوا الاثنين طالبين الدير فهذا ما كان من امر هؤلاء واما ما كان من جوان فانه جلس فى قصر دوفش فى مكان ينظر فيه ما كان من امر الاثنين كل هذا يجرا وجوان لم يظهر نفسه الى رومان خوفا من ابراهيم ابن حسن وخوفا ان يبطش به رومان لما جرا منه من الفتن والاثام وان الملوك ما وقعت الا بسببه فهذا ما كان منه واما ما كان من سعد ومسرور الطيار فاما مسرور فانه سار بجد المسير حتى اقبل فى اقل من ساعة الى ذلك الدير وطلق الباب فطل اليه الراهب زنعنع وقال من بالباب قال له انا سعد ابن دبل فرد الطاق وسكت فاعاد عليه سعد

القول فطل اليه وقال من هذا قال له انا سعد اعطيني امارة حتى امضي بها الي البب رومان فرد الطاق وسكت فحط سعد الثالثة وقد اخذته الحيرة من الملعون فطرق الباب فطل اليه فقال دامين فلما طل اليه قال له سعد يا معرص وكم تتوانى علي وتتركني ولكن انا لم يكن لي امارة اوفق من راس هذا اللعين ثم ادركه قبل ان يغلق الطاق ومسكه من لحيته وتعلق بها وجذبه اخرجه من الطاقة والقاه الى الارض فوقع قتيل وفي دماه جديل فقطع سعد راسه وتركه ملقي في الخلا وعلق راسه في كلاليب منطقته واعاد راجعا يريد ابراهيم فبينما هو سائر وقد اقبل الى اول جبل واذ بجهنم قد فتحت ابوابها تنسمت تخرج عليه اللعين الذي سلطه اللعين جوان بملك ذلك الجبل وهم ينادون بري بري بري من اين تروح في الهرب ونحن وراك في الطلب يا كناس فعند ذلك اخرج سعد خنجرين من حرمدانه وجعل احدهما في اليمين وآخر في اليسار وخرج عليهم وجعل يقفز قفز مثل قفزات الغزال وهو يقول حاس الله اكبرانا الذى في نهار الحرب اوفى وعدى واصيح على الكفار صيحات مثل الرعد من بعد ما اهجم عليهم يا فتى من بعد ما اخطف جماجمهم واسمي سعد (قال الراوى) ولم يزل يقاتل حتى نفذ من اول جبل وهو على آخر نفس واراد ان يسلك الطريق واذا بالكهين الثاني قد خرج عليه من ثاني جبل يقاتل سعد حتي اشرف على الهلاك وصار يطعن ويقتل بخناجره وينط حتي نفذ من الكمين وقفز الى الجبل الثالث وهو على آخر ما يكون من الشدة والتعب وقد كاد ان يشرب شراب العطب واراد ان يأخذ لنفسه الراحة ويسير واذا بالكهين الثالث خرج وبرز اليه وكان فيه أكثر من ثلاثة آلاف نفر فصار يقاتل حتى ضاق صدره وعيل صبره وتخلص من هؤلاء ولم يبق لهم من اثر الا الانفار الذين هربوا من بين يديه وبقي على آخر ما يكون من المشقة وسار طالب المقدم ابراهيم حتي وصل اليه وهو على آخر ما يكون فلما ان وقعت العين على العين ارمى سعد الي ابراهيم راس الراهب ووقع مغشياً عليه فلما رآه ابراهيم بهذه الحالة رش على وجهه ماء الورد وصبر عليه الى ان آفاق من غشيته فلما افاق على نفسه سأله ابراهيم عن الذى جرا له فاعاد عليه القصة من اولها الي آخرها فعند ذلك تغير المقدم ابراهيم

وصاح بدوفش وقال له انت تريد لنا الهلاك وقد جرا من الامر كذا وكذا فقال له دوفش الحق على انا وصالحه دوفش واعطاه عقدين من الجواهر هذا وقد شهدت اللئام لسعد بالفروسية وحاسب ابراهيم على مال سرور الطيار وباع امتعته لان سعد كان قتله وهو راجع واتى ايضا برأسه مع رأس البترك زنسنع ثم لما نهيا الفراغ من ذلك قال البب رومان غدا ملعوب ابراهيم ابن حسن الحوراني مع يعقوب الكتناوى وكان هذا يعقوب الكتاوى فارس لا يطاق وعلقم مر المذاق فقال ابراهيم انا لم اقدر احارب الا على ظهر جوادي فان غلبته كان لى الملعوب وان غلبني كان له الملعو هذا وقد وقعت الشروط على ذلك الي ان جاء الصباح ركب يعقوب وابراهيم وانطلقا على بعضهما البعض وفتحا فى الارض ميدانا واجادا ضربا وطعنا ولم يزل يطاعنة ويضاربه الي ان جاء آخر النهار ودقوا طبول الانفصال فعاد كل واحد منهم الى حال سبيله ولما كان اليوم الثانى جرا بينهما مايطول الشرح فيه ولم يزل القتال بينهما نحو عن ثلاثين يوم تمام ولم يأخذ احد من الآخر حق ولا باطل فلما كان اليوم الحادى والثلاثون عند الزوال هرعت طبول وانقرة وزمور فى كبد البر الاقفر فالتفت يعقوب لينظر ما الخبر واذا بابراهيم خطفه من بحر سرجه مثل البرق الخاطف ورفعه على قائم زنده فقال له يا ابو خليل هذا غدر وما هو سيمتك فقال له نعم هذا غدر ولكن الذى تغلب به العبه ولكن سيرالى قلعتك والاسم الاعظم ان خدمت لا بد عن قتلك وقد اوهب اليك عشرة خزن من المال والزم قلعتك وازرع واقلع ولا تخدم فلو كنت مسلم كنت اخذتك معى لان الدين المحمدى أحق بمثلك فقال له صدقت يا بو خليل ولا بد لى من الهداية ولكن كل شىء له أوان ثم ان يعقوب اخذ اهله وعياله وترك تلك الارض وسار الى قلعته واقام بها من ساعته فهذا ما كان من قصته قال واما ما كان من المقدم ابراهيم فانه رجع ونبه الرجال بالرحيل وقال خذوا اهبتكم فعند ذلك اقسم عليه دوفش وروماني لا يرحلون الا بعد العزومة وقد دارت الافراح والعزومات والكرامات وعزموا ابراهيم وسعدوا يدمر الا ابو بكر فانه ملازم الغليون فقال دوفش نرسل لهم العزومة الى عندهم فعند ذلك ارسلوا الى القبطان العزومة وقد حضر ذلك جوان وارما البنج فى الطعام وكان ذلك بمعرفة اللعين

دونش وساروا بها الرجال حتى اتوا الى ابو بكرفا كل هو ورجاله وقد تمكن البنج من الجميع الرفيع منهم والوضيع فنزلت عليهم اللئام وادا روهم وقووا سواعدهم والاطراف وحلوا القراب من المينة وكتب جوان كتاب وارسلهم به الى جزائر الغلق وقال للرسول ارحل بهذا الكتاب على الاصطالود الغلفي واعطيه الكتاب ودعه يعمل بما فيه فاجابه بالسمع والطاعة وسار بالجميع كل هذا وابراهيم لم يكن عنده بذلك من علم فسار الرسول بالكتاب حتي وصل الي جزائر الغلق ودخل على الاصطالود الغلفي وخدمه واعطاه كتاب جوان ففضه وقراه واذا به وآخره صليب وعنوانه صليب ونحن وانتم نوحد الملك القريب المجيب خطابا من شيخ الاراجيس وخليفة ابليس الكلب القرنان عالم الملة جوان الى بين ايادي الاصطالود الغلفي الواصل اليك البطرني بما معه من المغاربة فحال وصولهم الى عندك تقتل البطرني وتحرق القراب وتستيسر الجميع عندك يشتغلون في الخشب والاحجار ولك مني الرضا والغفران من المسيح شكر يا مسيح والسلام (قال الراوى) فلما قرأ الكتاب سال وزراءه في ذلك فقالوا اعلم ان جوان هذا لم فعل معك طيب ابدا بل انه اقبل بالنار الى رأسك وقربها الي قرصك فالاولى لك ان ترد البطرني في غاية من التكريم والاستعذار وتبقي هذه جميلة عنده وعند رين المسلمين فلما ان سمع ذلك الكلام قال لهم انا لم يمكني مخالفة عالم الملة جوان ولم يمكني ان اقتل هذا القبطان ومن معه من الاخوان ولكن غاية الامر اني اسجن القبطان وجماعته والقراب فان حصل في حقهم سؤال اشترى سعد من رين المسلمين بهؤلاء وان لم يحصل سؤال افعل فيهم ما امر عالم الملة ثم انهم شكوا المغاربة في القيود والاغلال والباشات الثقال وأعطوهم ضد البنج عطسوا انشهد ولا نجحد بالدين العربي محمد اين احنا قال لهم انتم عندي يا كناسات يا فينقات ثم ادخلهم الي المطامير وافرد مكانا للبطرني برسمه وجعل القيد في رجليه والغل في عنقه واعطاه ضد البنج عطس يجد نفسه في اسوأ الحال فايقن بالمصيبة وتأوه وانشد يقول

ايا دهر اورثتني ذلا * واجريت دمعي على الوجنات منهملا
وارجفت قلبي من مشابهة * واحرمتني نوما واورثتني خبلا

واورثتنى بعد الصفا كدرا * والقيتني بعد عزي ذلة وبلا
فقد كنت فى هناء وغنا * واليوم اصبحت فى قيد العدا هزلا
من بعد عزى وقعت مع القصا * والوعد الفانى فى البلا وملا
كنت مع الاحباب امس متفرجا * واليوم فى قيد وغل دنا وعلا
وضاع مالى وعزى حقا وعندى * وعصبتي ولتى والجمع مرتحلا
فيارب داركني فى جميع ما ربى * وهب لي لطفا دائما هطلا
وفرج كروبى وغثنى ابدا * انت رب الارضين والسماء العلا
لان فرجت عنى فانت الكريم بنا * وانت الذى بالعفو لم تزلا
وان قدرت فانت ربى ومعتمدي * صبرا لحكمك يارزاق مؤملا

(قال الراوي) واقام فى ذلك السجن وكذلك رفقاءهم ولم يعلم بهم احد من اهل رومة المدائن الاجوان والرسول ودوفش فهذا ما كان من امر هؤلاء (قال الراوي) واما ما كان من المقدم ابراهيم فانه اقام عند دوفش فى العزومة ثلاثة ايام وامر بالاهبة للرحيل ونزل الى الديوان يطلب البطرني على البحار فلم يجد له خبرولا وقع له على اثر فبحكم القضاء والقدر ظهر على ابراهيم الغضب والكدر وضاع لاجل امر يريده الله تعالى منه النظر فقال ابراهيم والى اين ذهب ابو بكر البطرنى استكثر على هذا المال والنوال فقال لنفسه انا آخذ القراب واسير به الي الاوطان والاطلال واتركه يغلب بالمال والرجال ولكن ماهذه سيمة الابطال ولكن والاسم الاعظم الا كرم الامجد انا لم بقيت اسافر بعالى رومة المدائن الا فى البر الاقفر والمهمه الاغبر فعند ذلك بكى سعد بن دبل وقال له ياابن خالتى لا تفعل ولا تحدث نفسك بهذا الخبر لان هذه طرقات لا يطرقها طارق الا من كان بنفسه هالك او خبير بالمسالك فياولد الخالة صوم ثلاث ايام اوتصدق على عشرة مساكين او اعتق لك رقبة فقال ابراهيم حلفت وكان ما كان فقال له سعد والله والله ياابن خالتى انت طاير من عيونى فاترك هذا الامر وابعدنا عن افعال الشر فقال ابراهيم لا كان ذلك ابدا ولو سقيت كاس الردى هذا وقد نهاه الامير ايدمر البهلوان فلم يقبل وكذلك مارين نهاه فلم يقبل فتقدم اليه البب رومان

وقال له ياسيدي ياابوخليل وحق المسيح لوكان دين المسلمين عندة عشره رجال مثلك لكان يملك بهم الدنيا فقال ابراهيم اعلم يارومان انني انا اقل الرجال عند الملك العادل فقال له رومان ياابوخليل خذ الغليون بتاعى فهو مكان خمسة خزن من المال وأفدي يمينك وسافر فيه فقال نوصله وتأخذه ثانى مرة فقال له رومان عطايا ابوخليل فقال ابراهيم وأنا اقدر العطايا يارومان ولكن انا مسافر فى البر وانا ابيعك الغليون الله يكسبك فيه فقال رومان وقد تعجب مرحبا بك ياسيدى فاعطاه الخمسة خزن المال وقال له خذ الخمس خزنات المال وخذ الغليون فقال ابراهيم جزاك الله كل خير بعتك الله يكسبك فوحق الاسم الاعظم لوا وهبته اوهبته الي عشر مرات لا بيعك اياه واالخذ ثمنه ولا اسافر الا فى البر ثم انه امر بالتحضير والتحميل واخذ من مار ين المال الذى اتى بسببه وضم الاسارق والمال والنوال وسلم سعد المال وتودع من رومان وسار طالب البراري والقفار وصار ينشد الاشعار و يقول هذه الابيات صلوا على سيد السادات

لنا البطل الهمام انا * فارس الاقران والاسلام
وكم من خصم اضحى طريحا * مجندل بحد هذا الحسام
وكم لي من وقعات ثابتات * يكل عنها نسل الحسام
وكم حميت من الاعدا خلاطي * وسقيتهم شراب حام
وكم لى صرخات عاليات * يفر منها الخصم فى الآكام
شيخى بشرنى بانى * لا ابالي بشدة وصدام
ولا اموت الا على فراشي * لو كنت القى بصدرى جميع اللئام
اتيت من مصر ابغى كتبنا * ونصرة الى دولة الاسلام
قتلت الغول المهول بيدى * وارغمت انفه بشدة واهتمام
وقتلت جمركشهم بيدى * واهلكت جما من الاخصام
نهبت الجواهر نهارا * وقتلت حاكمهم بحد حسام
ونهبت مالا كثيرا جزيلا * وخمارة مخبتون خربتها باهتمام

وقتلت روم بيدي جهـارا * ولا ابالى بكثرة الازدحام
ولعبت ملاعبا فى ارض روم * وحزت فخارا ورب الانام
ولكنني غـدرنى زماني * وخانني دهرى واضنى غرام
وتركني ابو بكر وحيدا فريدا * وسار يطلب الاطلال والآكام
وحلفت ايمـانا جهارا بانى * اسافر فى البرارى مع الآكام
وخلصت الاسارى سريعـا * وحازوا فخارا وعزم واكترام
وان شاء ربى سا ملك ديارا * لاهل الكفر جهرا واللئـام
واريح الارض منهـم حقيقا * واكسر الاوثان والاصنام
وان كان ابو بكر حقا غدرنى * فجـزاؤه على العـــــلام
وان كان قد لعبوابه الاعادى * فربى غفور لـكل الانام
فيارب حقق لقولي * وثبت مقالي خالقي مع الكلام
وانصر الاسـلام يارب جمعا * بجاه محمد سيد لـكل الانام
عليه الصـلاة ليـلا نهارا * كذا التسليم حقا مع السلام
والآل والاصحاب والتابعين جميعا * وتابعيهم الي يوم الزحام

(قال الراوى) ولمـا فرغ المقـدم ابراهيم من انشاده وماقاله من كلامه سار يجد المشي ويطلب البر القفير هـذا وقد تأمل على يمينه فرأى مارين محاذيه وساير الي جنبه وساويه فقال له مارين ما الخبر يامارين وما الذى يعجبك مني فقال له اعلم يا ابو خليل ان لى غفيرفى قلعة من قلاع هذه المدينة وقد امرنى رومان آتيه الآن فقلت فى نفسي أسير مع أبى خليل فى عفوه تحت أمان الله تعالى فعند ذلك قال له بالاسم الاعظم يامارين انت ما مرادك انك تغفرنى فقال له نعم هذا مرادي وقصدى من شدة خوفى عليك فقال له والاسم الاعظم لولا انت مسلم مثلى وانا اعلم ذلك منك والا كنت قتلتك الآن فارجع يامارين من حيث اتيت فعند ذلك تودع منه وعاد راجعا فلقيه دوفش وسأله عن حاله واعاد عليه الامر الذى تدبر والحال الذى تقرر فقال دوفش فى نفسه لا بدلي ان ألحقه وانصحه قبل ان يأتى امر غيرهذا ثم لحقه دوفش وسلم عليه وقال له يا ابو خليل اعلم انى اخاف عليك من الطريق ومعك

مثل هذه الاموال ومرادى ان اسير معك لاجل ان اغفرك فقال له ارجع الي حال سبيلك ولا تفعل لانى اغفر عشرين ألفا مثلك فتودع منه واراد الرجوع واذا بالمقدم ابراهيم تأمل فى وجهه دوفش فرأى خبرا بو بكر البطرني بين عينيه فقال ابراهيم يادفش قال نعم قال له بحق دينك و بحق ماتعبد من يقينك هل عندك خبر من ابى بكر البطرنى فقال له يا سيدي ابراهيم والا يكون هبلار مقطوع الزنار رافض قبر اصفومه برجل حمار والا اكون مسلم رين المسلمين ما اعلم ولا عندى خبر منه فقال ابراهيم وايش يكون هذا اليمين الذى لا ينفع ولا يشفع ثم ان ابراهيم جرد الحسام من غمده وقال له يادوفش احلف على هذا الحسام وقول وانا اعلمك وحق من جعل هذا الحسام يقطع اللحام و يفري العظام بقدرة الملك العلام انى لا اعلم بخبر أبو بكر القبطان وان كنت اعلم بخبره وكتمته عنك يا ابراهيم لتجرد نى الا بهذا الحسام فقال دوفش هذا الكلام وأمن ابراهيم على ذلك (قال الراوى) فتقبل الله منه الدعا ولا يموت الا من بد ابراهيم بن حسن بهذا الحسام عند انتهاء الاجل واذا اتصلنا اليه نحكي و نتكلم عليه والنبي صلى الله وسلم عليه ثم تودع دوفش من ابراهيم وصار كل واحد قاصد مكانه ولم يزل ابراهيم سا ير حتى قطع الستين قلعه الذين فى حكم رومان واستقبل السفرى ذلك الوديان وسار ومن معه من الرجال الاعيان قدر أربع فراسخ من غير نقصان فبينما هو سا ير واذا بالغبار قد سار وعلا وسد الاقطار عن كرتين بشنيار ين بملكين من ملوك الكفار برى يا كلاب الى اين تمضوا فى الهرب ونحن لكم في الطلب يا كناسات كيف انكم تنهبوا مال القرانات وتسير وا به الى ديار كم وتلك البقعة دونكم والقتال قال فعند ذلك صاح المقدم ابراهيم باليسار وقال لهم اركبوا يا عصبة الاسلام من عاش منكم عاش سعيد ومن مات منكم مات شهيد فقالت الاسرى نحن عمرنا ماقتلنا ولا ضر بنا فصاح ابراهيم عليهم وقال لهم ان لم تقاتلوا والاحل فيكم العزاه فقال واحد لآخر قدم يا حج محمد يا بو طبرنى فقال له الآخر ها انا معك يا ابوالر وس هذا وقد حمل المقدم ابراهيم وجعل يبدد الكفار شمال و يمين وسعد حافظ المال وقد ساعدته عليهم به الاقدار والرجال الحوارنه والغز والميامنه فلم تكن الساعه حتى ولوا الكفار الادبار وركنوا الى الفرار هذا

وابراهيم يقول لايدمر البهلوان غدا تفتخر على سابر الاقران وتقول فى الديوان المصرى انا قتلت جانب ابو خليل فى مياه والوف ولوحت منهم الانوف ثم ضرب بقلعة العساكر والياسرفراي قد مات من اليسارى خمسة آلاف فارس وخمسة وعشرين من الغز وخمسة وعشرين من البياسنه وستة انفار من الحوارنه فقال ابراهيم هؤلاء كلهم سعدا ياسعد فى سبيل الله تعالى ثم امرهم ببرجين ذات اليمين وذات اليسار وجعل الجشت فى برج والروس فى برج واقام البطل الاروع بمن معه قدر فرسخين كاملين واذا بالغبار قد ثار وعلا وسد الاقطار عن اربع كرات باربع شنا نيربار بع ملوك وذلك الاثنين الذين هربوا واضيف لهم مثلهم فقاتل ابراهيم وايدمر والرجال والاساري من اهل النهار الى ان جاء وقت الزوال وقد ولت الكفار فى ذلك الاودية والتلال فحمد الله المقدم ابراهيم على ذلك الحال ودفن من مات من اليسارى والاسلام واقام للراحة وسار فلما ان كان فى اليوم الثالث وهى ثالث وقعة خرجت عليه ثمانية كرات كل كرة ثمانية وثمانين الف امم مثل الجراد المنتشر فقاتل ابراهيم ومن معه ذلك اليوم وقد ماتت الاسارى باجمعهم ولم يزل ابراهيم يقاتل الى ثانى يوم الى العصر ولت اللئام الي الهروب واقام يومين كاملين بعد ان دفن من انتقل بالوفاة فلما ان كانت الواقعة الرابعة خرجت عليهم ستة عشر كرة بملوكهما فاستقبلوهما وقاتلوا قتالا شديد ماعليه من مزيد ولم يزالوا فى قتال وضراب ليلا ونهارا بلياليهما وولت الكفار باثر من فتأمل المقدم ابراهيم لينظر من بقى معه من العساكر واذا به وجد نحو عن عشرة انفار لاغير زياده وهما الثلاثة فقال المقدم ابراهيم ياسعد انت للمال وانا وايدمر للقتال والانفار الباقين ليكونوا للغفر ثم انه نظر الى وجه المقدم سعد فرآه علاه الاصفرار وذهب مابه من الانوار وكذلك ايدمر البهلوان ركبه الذل والهوان فقوي قلوب الجميع وقال لهم اعلموا يارجال بانه بطول المال ماهو طيب اناطيب فقال له سعد يابن خالتى لاتعرض نفسك للبلا تهلك وتهلكنا معك فقال له ياسعد لاتتكلم بمثل هذا الكلام وسير وتوكل على الملك العلام فقال له سعد والله يابن خالتى انك طاير من عيونى وقلبي يحدثنى بانى لم احد منا راجع الاوطان ثم ان سعد بكى وان واشتكى وانشد يقول هذه الابيات

اسمع مقالي يابطل الزمان * واحرص لنفسك من ذى الهوان
واسمع نصيحة عاقل فطن * كم عالج الابطال والاقران
اترك البرسيرافى مثل نوبتنا * والزم الاعتكاف يامصان
لان الاعادى قد هرعت الينا * يريدون لنا ذلة وهوان
وقد جمعوا جموعا كثيرا * واقبلوا في ذلك البر والوديان
فاحرص لنفسك لاتكن عجلا * ودع عنك غية الشيطان
هذى الامور الذى عرضت * ماخطرت ابدا على انسان
وماحاز ابدا مثلك من مليك * من الاموال مثل هذا الشأن

(قال الراوى) فلما سمع المقدم ابراهيم والامير ايدمر البهلوان قال له ايدمر يابوخليل والله لقد طرق كلام المقدم سعد اذنى وخطر ببالى ومافى الامر الا اننا نرجع من حيث اتيناو نعد البحار وننزل الامان الى ان نصل الى الاوطان لاننا يابو خليل سرنا ثلاث انفار من غير زياده هؤلاء اقوام كثيرة وامم غزيرة ومانصنع فيما معنا من الاموال لاسيما وقد راى الملك العادل هذه الرؤية قبل مسيرنا من الاماكن وقبل ان نقصد هذه المواطن فارجع يااخى عن هذه الفعال لان الشجاعة ماهى بالمال ولا بالنوال وانما هى بكثرة الرجال والابطال ثم ان الامير ايدمر البهلوان انشد وجعل يقول هذه الابيات

سير بنا الى مينة البحار * واقصد بنا ماتريد من الديار
وارجع عن المسير في البرجهرا * فما لنا سير بالمال فى الاقفار
نقيم ونرسل رسولا الى * ملك الاسلام ياتى على الآثار
ونسلم كلنا من جور الليالى * ونكتفى من عصبة الاشرار
هما رجال فى مثل القطر عدا * ونحن صرنا ثلاثة من الانفار
هلكوا الرجال منا جميعا * وعدنا منفردين فى الاقطار
ولابد للكفار ان ياتوا الينا * و يطلبوا اذانا مع الاضرار
ومامنا الا من يرد السلامة * لذي الاطفال حقا والصغار
وعندى قلامة ظفر يدك * خيرا عندي من جملة الكفار

فانت ياأخى مالك من معين * ولا مساعد على الاشرار
فارحم لنفسك والرفاقه * وارحنا من شر هذا النار

(قال الراوى) فلما ان سمع المقدم ابراهيم ذلك منه قال اسمع يا امير ايدمر ماتدرى هذا النافيه الشرف العظيم والجاه الجسيم عند الله الكريم وعند امير المؤمنين يا امير ايدمر انت لا تموت الا باذن الله وكذلك انا وكذلك هؤلاء الذين ماتوا فان عشنا عشنا سعدا وان متنا متنا شهدا وانا قد حلفت بالاسم الاعظم الاكرم انى لا اسافر الا فى البر الاقفر والمهمة الاغبر واذا مطرت السماء افرنج ان لها كفية وحق رب البريه بطول المال ماهو طيب انا طيب وايضا يا امير ايدمر ان الكفار اخذهم الرعب منى ومن حملاتى ولا يقدرون ان ياتوا الى ولا يتلقونى الا اذا كانوا فى جمع كثير وانا اقلل جموعهم ولا ابالي بكثرتهم فاعتمدوا على الله وسيروا ولا تبالوا ثم ان ابراهيم جعل يترنم بالاشعار وهو ينشد ويقول هذه الابيات

انا جمل المحامل كلها * اذا ثار العجاج بكل وادى
ابيد الكفر جما بيدي * واسقى اللئام شراب المنادى
اصيح عليهم صيحا بتاتا * والناس تسمعنى حين انادى
واهجم على الكفار وحدي * واشتت الاقران حقا والاعادى
واقطع جماجمهم حقا بسيف * ولا ابالى بكثرة الاعادى
واخذ السلب منهم جهارا * وعزمى لم يزل في ازدياد
شيخى يبشرني بانى لم * اموت قتيلا ولا غريبا فى البلاد
بل على فرشى تأتينى المنيه * من بعد نصرى لدين الهادى
ان كنت كليت فى الحرب يوما * فاكون مني دولة الاعادى
انا المحامي لدين الحبيب * مقطع الرؤس حقا والايادي
وانى وان متم جميعا * فلا اسير الا بهذا الوادى
واهلك الكفار بسيفى جميعا * ورمحي وعدنى وجلادى
وا اخذ المال حقا لوحدى * وعلى ربى توكلى واعتمادى

(قال الراوى) فلما فرغ المقدم ابراهيم مما قاله من الشعر والنظام امر بالمسير فساروا

وماسار والا قليل حتى ثار عليهم العجاج وخرجت عليهم الرجال افرادا وازواج من سائر الجهات والفجاج افواجا بعد افواج واحتاطوا بالجميع وداروا عليهم جميعا عشرة ابراج وكانت عدتهم اربعة وعشرين تخت باربعة وعشرين شنيار كلهم ينادون بعيسى ومريم والصليب المصخم فلما راى سعد ذلك تغير خاطره وصاح علو راسه وقال يا سلام يا ابن خالتي والى كم تقاتل هذه الامم الذى لا يحصيها دفتر ولا قلم فقال له ابراهيم احفظ المال والنوال ولا تتعرض لمثل هذه الاشغال انا للجميع كفيل هذا وقد تلقاهم البطل الاروع بصدره وتبسم كما تبسم الارض العطشانة لاوائل النيل السعيد والرجل الكريم للقاء الضيف العزيز ثم انه تكبكب وارتمى وا كحل الكفار بمراود العما وعضت الخيل على الالجما وتبعه الامير ايدمر وكان الآخر مقدما وقرا وا آيات معظمات والجمر اوقدوا البرتز ودوضاق الخناق وعظم الزعاق ووقف الحرب على قدم وساق وكان هذا اليوم مثل يوم الفراق فلم بقيت ترى من بد الاثنين الا كل راس طائر وحصان غائر وتفقعت المرائر واطلع على هذه الوقعة القادر الظاهر ولم يزل السيف يعمل والدم ينزل والكفار تتجندل حتى ولي النهار ورحل واقبل الليل وانسدل والكفار لم تنفصل وابراهيم يقاتل ويتوسل وايدمر الى جانبه حتى ذهب الظلام واقبل النهار بالابتسام وزاد الحرب نارا ضرام ولم يزالوا على مثل ذلك المرام نحو عن اربعة ايام واربعة ليالي تمام وقد قتل من الكفار اكثر من الثلثين والباقين ولوا الى الادبار وركنوا الى الفرار ونزل المقدم ابراهيم يريد الراحة من ذلك النيا والتعب وقد مكث فى هذا المكان هو ومن معه من الاخوان سبعة ايام حتى اخذوا لانفسهم الراحة التامة وزال ما كان اعتراهم من تلك وبعد ذلك امر المقدم ابراهيم بالرحيل فرحلوا من ذلك المكان وساروا فى تلك الوديان ولم يزالوا سائرين الى ان اقبلوا الى مكان يقال له وادى الزهور ومنبع النهور فبينما هم سائرين واذا بالغبار ثار وعلا وسد الاقطار وانكشف الغبار عن ثلاثين كرة بملوكهم كرة اثنين وثمانين الف وكلهم ينادون بري من اين تنجون ونحن بكم لاحقون فاستقبلهم ابراهيم ودار الحسام البتار ذات اليمين وذات اليسار ومازال القتال عمال والطعن شفال الى ان جاء وقت

الزوال قال فبينما هم يقاتلون واذا بالكفار قد ولت وعلى اعقابها رجعت ومن القتال تأخرت فحمد الله تعالي سعد على ذلك وكذلك أيدمر البهلوان واما ابراهيم فانه قال لهما اعلموا ان الكفار ولوا الادبار ولكن والاسم الاعظم ماولوا مني الآن في مثل هذه المرة ولكن اصبروا ها هنا قليلا حتى يتبين ذلك الدليل فصبروا قليلا حتى بان الخبر وتصدر البر الاقفر وظهر منه غلام كانه البدر اذا ابتدر ليله اربعة عشر كانه القمر بين النجوم وحوله ثلاثة واربعون غلام يكل عن وصفهم كل البيان ونزل ذلك الغلام الى ذلك الوادي فنزلوا لنزوله الغلمان وتقدم ابراهيم وتأمل هذا الغلام فرآه جميل هندام على رأي من قال في حقه هذا النظام صلوا على البدر التمام

له خال على الخد ما مثله * في الأنام من انسان

مخلص القد كامل البها * مدور الوجه والاعيان

يصبح العاشقين مراضا * كذا المجنون زاد جنون

(قال الراوي) فتقدم ابراهيم الي بعض الاتباع وقال له من هذا الغلام فقال له ان هذا ابن البب مفلون صاحب ملك الرتقان وصحبته اولاد ملوك الجزائر فقال ابراهيم حتى تنظره وتتحقق امره ثم عبر ابراهيم وقصد ذلك الغلام فلما رآه نهض له على الاقدام وسلم عليه سلام الاحباب وقال له مرحبا بك يافارس الزمان وفريد العصر والاوان ثم اجلسه الى جانبه وقال له يامولاي لابد لك انت منا كل عز ومتى فقال ابراهيم يانور عيوني جزاك الله خير وجميلك وصل ولكن سامحني عن ذلك لانكم تأكلون لحم الخنزير ودهن الخنيس السمين الكبير فقال له اعلم ياسيدى انني ماانا مثل هؤلاء ولا اخالطهم في مآكلهم ولا مشاربهم وانما انا لي طباخين مسلمين فأكلي من لحوم الضان السمين وكذلك الذين يذبحوه مسلمين وخدامين مسلمين وفراشين مسلمين فطاب قلب ابراهيم وادعا بايدمر وسعد والرجال النفرا وكانوا عشرة فلما جلسوا اخرج الغفر من عند هذا الغلام للمال والنوال واكلوا العزومة ولما تهيأ الفراغ من ذلك طلبوا الانصراف فقال لهم ذلك الغلام لا يكون الانصراف الا بعد الحمام قال وكان الحمام معه بصناعة الافرنج قاطع ومقطوع وبارد وخادم هذا وقد دخلوا الى الحمام والغلام معهم وقد طلعوا ملابسهم فتأمل الغلام

فوجدآ ثار الاسلحة فى صدر ابراهيم ابن حسن ورأى ايدمر آ ثار اللطوشات فى ظهره وسعد فى اكعابه فقال الغلام ياسيدى ابراهيم انت بون البون رزون الوزون وسيدي سعد هذا طيار وسيدي ايدمر فشار فقال له ابراهيم وما معنى ذلك الكلام ياغلام فقال له انت تلقى الضربات بصدرك وايدمر يلقاها بظهره وسعد يلقاها فى اكعابه فلما ان سمع ايدمر قوله فشار تغير خاطره وكتم ذلك فى سره ولم احدا يعلم بأثره وقد اثرت تلك الكلمة معه وصارت العداوة بينه وبين هذا الغلام الى تلك الساعة حتى اذا ظهر وانتسب يقع لهذه الكلمة موقع عظيم واختلاف جسيم بينه وبين البهلوان هذا وقد اخذوا الراحة وازالوا ما كان عليهم من الاوساخ وغير ذلك وارادوا المسير فقال الغلام ياسيدي ابراهيم خذ هذا المنديل وهذه النشابة فاذا انت سرت بها ولو كان بمفردك وطلعت عليك اللئام ورأوها معك فلا يثبتون بين يديك مادامت نشابتي معك فقال ابراهيم جزاك الله خير ثم اخذها منه وتودعوا من بعضهما وكان من اكبر الناس فرحا بالنشابة المقدم سعد بن دبل هذا ولما ان استقبل المقدم ابراهيم قال ياسعد قال نعم قال له والاسم الاعظم ان هذا الغلام من ظهر شريف ولا بد له من الظهور فان ظهر هذا الغلام وآن له الاوان فربما ارسلني اليه الملك بكتاب فاذا دخلت عليه وكلمته بكلام فصيح يعايرني ياسعد ويقول لى كنت تتكلم بمثل ذلك فى المكان الفلاني وانا لم اغفرك الا نشابتي ومنديلى ورأيتي فياسعد ان عندى الموت اهون من ذلك الكلام وانا اقول من استعان يوم بغير رب البرايا ذل ثم المقدم ابراهيم مسك النشابة فكسرها اربع قطع وكذلك الراية وقال لسعد خذ هؤلاء واجعلهم فى حرمدانك فوحق الاسم الاعظم اذا طلبتهم منك فى اى الاوقات ولم اجدهم ياسعد فلا بد لى من قتلك فعند ذلك جعلهم سعد في حرمدانه ثم سار المقدم ابراهيم وطلب البرارى والقفار ولم يبق بينه وبين جسر الانجبار الا مرحلة واحدة (قال الراوى) وهذا الغلام الديابره اسمه عرنوس الذي قدمنا ذكره عند كنيار القطلاني ولما ان جرى ماجرى اشتراه البب مغلوين من كثرة اذاه في اللئام لاننا ذكرنا انه قلع عين كنيار فلما اخذه مغلوين جعله ولده فلما نشا اجتمع باولاد ملوك الجزائر وصار فصحهم ورئيسهم لما اعطاه الله تعالى من الفصاحة

والمقل والملاحة فهذا كان الاصل والسبب و يقال ان هذا الجسر كان اصطنعه الملك الانجبار لرجل من اللئام يقال له عبد الصليب القيطلانى وهو جد كنيار القيطلانى والآخر قد اصطنع الملك الانجبار هذا الجسر الذي فى الغيطلان وذلك لما جرا بينهما من العداوة لان كلا منهم كان يبغض الآخر والسبب فى ذلك الرئاسة فلما ان هلكوا الاثنين بقى ذلك الجسر والسجن فقسم الجسر للمقدم معر وف ابن حجر والجسر المقدم ابراهيم ابن حسن الحورانى (ياساده) ورجعنا الى سياق الحديث ثم ان ابراهيم سار حتى بقى قريبا من الانجبار فبينما هو سائر واذا بالغبار ثار وعلا وسد الاقطار وانكشف الغبار عن ستة وثلاثين كرة بستة وثلاثين تحت بستة وثلاثين ملك لكل ملك شنيار وكل شنيار تحته كرة كاملة اثنين وثمانين الف وكلهم بالسلاح وآلة الحرب والكفاح فتأمل ابراهيم ورأى ذلك الجمع الجسيم فصاح ابراهيم يالها من صيحة وقال ياسعد لو تنبت الارض كل يوم افرنج انا للكل كفيه وحق رب البريه هذا وقد استقبل الكفار بصدره وصاح الله اكبر ثم انشد يقول

الله اكبر انى جئت انى * احرمكم ركوب الصافنات
انا لا اخلى منكم فى الارض شيئا * لو كنتم عدد الحصا والنبات
انا لو حصلت عنترا ابى * الفرسان سابقا قبل الوفاة
لحاربته لو كان الف عنتر * واسقيه بيدى كاس الممات
سلوا عنى الحصون وساكنيها * وفرسان اللقا عن طيبات
سلوا عنى الفرسان جمعا * بانى مبيد العدا فى الفلاتى
رجال الكفر هجموا والتقونى * وانظروا عزمى مع ثبات
انا الهجام فى يوم التدانى * انا الخطاف رؤوس المنكرات
انا راحت الاسلام اذا ما * اشتد كربهم يوم اللقات
انا الذى فى الحرب لا أبالى * اذا اتونى كل العاديات
حجرتى تحق تشكر لعزمى * كذا سيفى ماضيا مع قناتى

لاأبالي باهـل الارض جمعا * لوأتونى من جميع كل الجهات
ستعلموا من المغـلوب منـا * ومن يكون من الفـائزات
وتعلموا اني قـرما عنيـدا * مامثالي فى الورى ضار بات
انا ابراهيم فارس كل قرم * انا ابراهـيم طبعى فى ثبات

(قال الراوى) ثم انه جعل يضرب في الـكفار بالسيف البتار و ينشد مثل هذه الاشعار وايدمر الى جانبه يرد عليه هذا وابراهيم قد صاح و نادى باعلى صياح وهو يقول المال ياسعد فرد عليـه سعد وهو يقول المال محفوظ ياابن خالتي فعند ذلك اشتد عزم المقدم ابراهيم وصار يرمى الرؤوس كالاكر والـكفوف كاوراق الشجر واوقد البر والحجر وكان ذلك النهار مثل يوم المحشر وتمنى الجبان ان يقبر والشجاع كل وماصبر ولم يزل السيف يعمل ونار الحرب تشعل والـكفار تقتل وابراهيم يجندل وايدمر كانه البلاء المنزل حتى ولي النهار وارتحل واقبل الليل واسدل ودقوا ظبول الانفصال فرجع ابراهيم وايدمر وقد تشطب ايدمر البهلوان من الجراحات فجعل ابراهيم يطرب و يطلب شد به وعزمه وهو يقول له لابد لك ان تجلس فى ديوان الملك العادل وتفتخر على سائر الاكابر والاصاغر وتقول قاتلت مع ابراهيم تحت جسر الانجبار فى مئين والوف ولوجنا منهم الانوف فيكون لك العز الدائم على سائر الدولة الظاهرية فقال له هـذا بنفسك ياابو خليل هـذا ولـما ان كان اليوم الثانى نزل ابراهيم مع ايدمر البهلوان وايدمر يقاتل من حرارة الروح ولم يزالا فى قتال ونزال الى ان كان وقت الظهر فبينماهم كذلك واذا بالامـير يدمر سقط من اعلا جواده الي الارض فعاينه المقـدم ابراهيم فادركه وحمل على تلك الامم بيـده اليسار ومال الى الارض وقبض على الامـير من منطقته ورفعـه على زنده افاق وفتح عيناه فاركبه جواده وقال له قاتل ياعز عسكر السلطان فقاتل ولاقصر قدر ساعة وسقط من على الجواد فاخذه ابراهيم من منطقه وهزه فلم يقدر ان يفتح عيناه فالقاه الى الارض بالطف مايكون من الرقة وقال له في وداعة الله يارفيق الهنا ثم ان ابراهيم لماراي ايدمر وقد حل به ماحل بكى وان واشتـكى وقال آه واواه وانشد يقول

متى قد يعود لى زمانى * ويزول عنْي شدتي وهوانى
وانصر على الكفر جميعا * والكل افنيهم بحد يمانى
وما كادنى واظني فؤادي * الا رفاقتى واحبابى وخلانى
فايدمر كان عزي ومنيتى * وكان لى من اكبر الاخوان
فياليتنى كنت القه القاً * وما قد اتاه اليوم كان اتانى
فلقد كرهت العيش بعده * وما تكن الدنيا الا بالخوانى
فيا اسفى على اعز احبتى * فوالله فيه قد غدرني زمانى
كذا الدهر الخؤن اصاب قلبي * بنبلة الاحداق والاحزانى
فيارب صبرني على فراقه * وادخله بالفضل خير جنانى
واجمعنى عليه يالهي سريعا * والحقني به على الايمان

(قال الراوى) ثم ان المقدم ابراهيم لما القاه الي الارض ارمى عليه كثيرا من اللئام القتلا حتى صار تحت الجميع واشتغل ابراهيم بالقتال بمفرده وصاح باخذ ثار ايدمر البهلوان رفيق الهنا فسمعها الامير ايدمر البهلوان باذنيه ولكنه لم يتحرك من شدة ما اصابه من القتال هذا وقد انطبقت الامم على ابن حسن الى ان جاء آخر النهار ودقوا طبل الانفصال فرجع ابراهيم تعبان ورجعت اللئام فقفلوا على الملوك وجوان فصاح فيهم جوان وقال لهم يا كلاب المسيح يقل بركتكم كل هذه يحاربها رجل واحد بمفرده و يقتل كل هذه الامم وحده فهذا عار عظيم وذل لهؤلاء الملوك جسيم (قال الراوي) وكان السبب فى ذلك الركبة اللعين جوان والبرتقش الخوان وذلك انه لما تهيأ الفراغ من الملاعيب فى رومة المدائن ورأي ابراهيم القبطان وقد عدم وحلف انه لا يسافر الا فى البر وشرع فى اخذ الاهبة للرحيل شرع اللعين جوان ايضا فى ارسال الكتب الى تلك الملوك وعلمهم كيف يصنعون وما يعملون وساعده على ذلك دوفش ونفذت المكاتيب الى هؤلاء الملوك قبل سير ابراهيم فجهزوا اموالهم وساروا اثنين بعد اثنين واربعة بعد اربعة وانتقل اللعين جوان وسار بصحبة الملوك وجرا من المقصد ماجرى واجتمعوا الجميع فى الانجبار كما ذكرنا وصار جوان يدبر على قتل ابراهيم كما وصفنا فهذا كان

الاصل والسبب (ياسادة) واما ابراهيم فانه رجع على غاية من التعب فتلقاه سعد وسلم عليه و بكى وقال له يا ابن خالتي قد مسك الم الشقا فارح نفسك دريجات فقال له صدقت يا ولد الخالة ثم اكل شيئا من الزاد وقال لسعد التي بالك حتى افيق من نومى ثم نام ابراهيم قدر ساعة من الليل ونهض على الاقدام وهو يقول يا غياث المستغيثين فقال له سعد ما الخبر يا ابن خالتى فقال له رايت المنام الذى رآه ابى بعينه يا سعد فلما سمع ذلك بكى و بكى ايضا ابراهيم و نهض الى سلاحه وملابسه وتحضر الى الكفاح فبينما هم كذلك وإذا بالملكين اصحاب الارض مقبلين على الاثنين وكان يقال لهما الملك الانجبار والملك المنكبرد فلما دخلوا اسلموا فقال لهم ابراهيم مرحبا بكم ما الذي تريدون فقال لهم نحن اتينا اليك فى امر يكون لك فيه الصلاح فقال لهم وما هو قالوا له اعطنا ما معك من المال والنوال وخذ علينا سندا باختامنا و بعد ذلك انت مخير فى نفسك يا اما ان تركب من ساعتك هذه انت وسعد وتترك المال لنا وتطلب النجاة والبعد عن هـذه الامر يا اما ان تلقى بنفسك الى التهلك واما المـال فانه يصير من الآن فى تسليمنا فان رجعت السلامة الى امير المؤمنين اعطيه هذا السند الذى معك ونحن نرسله اليه بالكتابة وان لم ترجع فـلا بد ان يأتى امـير المؤمنين بنفسه فاسلمه المال والنوال والسلام قال ابراهيم وانتم طايعـين الملك ام عاصيين عليه قالوا له نحن طايعين له ولامره وندفع له خراج فى كل عام فقال لهم ولاشىء استقبلتم جوان والملوك فقالوا له نحن لم قدرنا على منعهم لانهم قالوا ان لم تطيعونا والا حاربناكم قبل المسلمين ونحن كنا نعهد ما لنا جرءة على مثل هذه الامر فقال ابراهيم صدقتم والحق معكم وانا اسلم لكم المال كما ذكرتم لان الامر ما فيه خلاف فى ذلك ابدا ولكن هاتوا الحجة فكتبوا الحجة على انفسهم بتسليم المال وقدره مائة وار بعين خزنة مال الا نصف خزنة وختموا الحجة فاخذها ابراهيم وجعلها معه فى حرمدانه وقال لهم يا كلاب اتعب انا واشقى واقاتل وانتم تاخذوا المال بقطعة ورقه ثم صاح فيهم وطردهم فخرجوا من عنده صفر اليدين فقالوا لبعضهم هذا ما هو نافذ من

هذه الامة ونحن لم نفرط فى المال لا سيما وقد صار مكتوبا علينا ثم انهم صاروا طالبين اماكنهم فهذا ماكان منهم واما ما كان من ابراهيم فانه صبر حتى طلع النهار ونزل يريد القتال هذا واللعين جوان قد دبر المكائد وفعل فعلا فجزع عنه الرجال الشدائد وقد جمع الملوك وقال لهم انقسموا ثلاثة اقسام اثنى عشر تقاتل في الحوراني بالنهار ومثلهم بالليل والباقي ينقسم قسمين قسم يقاتل سعد بن دبل وقسم ياخذ المال وقد كل ابراهيم ومل وكيف يقدر يقاتل بالليل والنهار سوى من غير منام فلا بد له ان يتعجب و يضجر و يتقطع بالسيف الابتر فاجابوه بالسمع والطاعة (ياساده) ثم ان اللعين جوان تأمل فى اللئام فراي رجل عايق فاشار اليه فاقبل فقال له خذ هذه البدلة والبسها واركب على جواد وسير من الانجبار حتى تقطع الجسر وبعد ان تقطع الجسر تنزل على جوف الوادى وتسير قاصد الركبة حتى تاتى الى عند ابن حسن وتنادى حاس الله اكبر فتح الله و نصر واخذل باللئام من كفر فاذا التفت اليك ابراهيم وقال لك من انت فقل له انا تابع من اتباع المقدم موسي سريت بهذه الاودية وجدتك منفردا وحدك تقاتل فى هؤلاء المياه والالوف فقال لى عقلى قاتل معه الى ان تستشهد فى هذه المعركة تفوز بالنجاة يوم المهلكة ثم تقاتل الي جانبه حتى انك تنظر منه غفلة وتضربه بالحسام تقطع راسه والسلام فاجابه اللعين الي ذلك ولبس البدلة وكانت بدلة من ملابس الرجال الاشراف ونزل وسار طالب البر الاقفر قال فبينما ابراهيم يقاتل تحت الحلزون واذا بقائل من خلفه يقول حاس الله اكبر فالتفت اليه ابراهيم وقال له من انت فاعاد عليه كلما علمه له جوان فقال ابراهيم ان كان مرادك فى القتال تاخر عنى وقاتل لان احذ بي الفزع منك ياخناس والاسم الاعظم مافى بدنك شعرة واحدة تهز العرش بالتوحيد (ياساده) ثم ابراهيم صار متيقظ لنفسه طول ذلك النهار وهو ينادى المال ياسعد يقول له سعد المال محفوظ يا ابن خالتي ولما ان جاء آخر النهار وتوقدت المشاعل ورجعت الطائفة التى كانت تقاتل ونزلت طائفة اخرى فقاتل ابراهيم وقد اشتد الامر عليه ونزلت باقى اللئام وقصدت سعدا بن دبل فانفرد القتال وترك المال فاخذوه

الرجال الذى اعدهم لذلك جوان هذا واللعين الذى نزل لابراهيم ضربه بالسلاح بغير معرفة فجاء فى جبهته فضربه ابراهيم بالشاكرية فطارت راسه بالشد والظنط الى السماء نحو عن اربع قامات وقد ظن سعد ان هذه راس ابراهيم لانه لم يكن هناك احدا غيره يمثل هذا الذى قتل ابدا ولم يعلم بالعايق الذي ارسله جوان فبكى سعد وترك المال والنوال وقال لنفسه

فوز بنفسك ان اصبت ضيما * وخلى الدار تنعى من بناها
فانك واجد ارضا بارض * ونفسك لم تجد نفسا سواها
مشينا خطا كتبت علينا * ومن كتبت عليه خطا مشاها
ومن كانت منيته بارض * فليس يموت فى ارض سواها

ثم انه سار قاصدا الى البحر والكفار خلفه يريدون تلفه حتي اقبل الى البحر وارما نفسه من ضيقه فهذا ما كان من سعد وقصته واما ما كان من ابراهيم فانه قاتل بعد ذلك قدر ساعة من الزمان ثم صاح على سعد ونادى المال ياسعد فلم يجبه احد لا ابيض ولا اسود فصاح ثانيا فلم يجبه احد فصاح ثالثا فضعف عزم ابراهيم عن القتال ويبست اعضاؤه وخفى صوته ودمعت عيناه فتأمل ابراهيم فراى المال وهو طالع من اول حلزون واللئام محدقين به فلما رآه ابراهيم قال والاسم الاعظم لوكنت ملكت الحلزون الاول ما كان احد املك هذا المال ولا كنت عنه اتحول ثم اراد ان يجرد شاكريته فلم يقدر أن يرفعها بيده ولحقته الدوخة فاصفرت الدنيا فى عينيه وسقط الى الارض من على حجرته الى تحت ارجل الخيول وكان ذلك قريبا من نصف الليل وقد خفي صوتهم وصاحت الافرنج على بعضها وخيل لهم ان ابراهيم وراءهم وقدامهم فلم تزل الكفار تضرب فى بعضها الى ان ذهب ليلها واقبل نهارها وعرفت اللئام بعضها وتاخرت عن قتالها ونزالها ودوروا على ابراهيم فلم يجدوا له خبرا ولا وقعوا له على اثر فعند ذلك فرحت الملوك وقالوا بقينا نقسم المال على هؤلاء الرجال فقال المنكبردوا لانجبار هذا شيء لم يخطر على البال ولا يمكنكم ان تفعلوا هذه الفعال لان المال علينا مكتوب وممدود ومحسوب ولا بدان يظهر الامر

و يتضح هذا الخبر و ياتى رين المسلمين و ياخذله با لثار ويجلى عن نفسه العارفقال جوان اسمعوا قولى نحن نجمع المال وندخره فى مكان ونقيم حتى ياتى رين المسلمين ونحن فى مثل هذا الجمع الكبير فاذا قتلناه قسمنا المال والنوال وان هو غلبنا اشترينا انفسنا منه بهذه الاموال شكر يامسيح والسلام فقالوا الملوك هذا هو الرأي الصواب والامر الذى لا يعاب وقد تقرر الحال بينما على ذلك المنوال وامروا الملوك بشيل القتلى وتصليح الارض من الدماوان ياخذوا فى الاسباب والبيع والشرا ففعلوا ما أمروهم به الملوك امر فهذا ما كان من هؤلاء (قال الراوى) واما ما كان من سعد بن دبل و ما يقع له من الكلام العجيب والامر المطرب البديع الغريب وذلك انه لما القي نفسه الي البحار فغطس فى البحر وطلع على وجه الماء فعام قدر ساعة حتي ادركه التعب وثقلت عليه الملابس وشربت الماء فغطس ثانيا و صعد الى وجه الماء وكم جهد ما يعوم فى البحر المحيط فعند صعوده الى وجه الماء رفع طرفه الي السماء وهو لم يقدر ان ينطق بلسانه بل ارمى بطرفه الي نحو السماء ولسان حاله يقول يارب الارباب هون علينا الامور الصعاب فبينما هو فى اضيق ما يكون واذا بسلوره من الجريد الاخضر بعقدافين من الجريد الاخضر بقنديل مسيل برجل مهيكل جالس من داخلها وقد اقبل والى سعد عول ومد يده وجذ به من البحر ووضعه فى ذلك السلوره وهو لا يعقل على نفسه من شدة ما جرى عليه ثم قدف اول قذفة وقال سبحان هاديه والثانية قال سبحان مجريه والثالثة قال سبحان من يعلم عافيه وقد اقبل بقدرة الله تعالى فى هذه الثلاثة قدفات الى بولاق وبحر العشاق وكان هذا الاستاذ سيدي عبد الله المغاوري رضى الله تعالى عنه فاخرج سعد بيده وصرحه على البر واخذ سلورته وسار الى حال سبيله فهذا ما كان منه واما ما كان من امر المقدم سعد فانه ما زال فى سكره ومن شدة السفر والحرب والغرق ازدادت بليته ولم يزل كذلك حتي ذهب الغسق وانشق الفجر وانفلق وظهرت رجال بولاق الى جهة البحر وتاملوا هذا الرجل وقد ظنوا انه غريق فلما عاينوه وحققوه عرفوا انه سعد بن دبل فعند ذلك اخذوه والي

المسجد ادخلوه واتوا اليه بماء الورد ورشوه على وجهه فافاق من غشوته وهو يقول اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله ابن انا فقالوا له اهل بولاق انت عندنا فى مصر بولاق قال فتعجب سعد امن هذا الاتفاق الذى يجب ان يسطر فى الاوراق وتذكر ماجرى له وماتم له مع ابن خالته وماطرأ فبكى بكاء شديدا ماعليه من مزيد وانشد وجعل يقول هذه الابيات

ايا عبرتى جودي بالدموع * واطفى عبرتى من وسط الضلوع
وياقلبي المضنا تاهل * وصبرى على مااعترانى من هلوع
وياعيونى بالبكاء اسعفونى * فبلوتي قدزادت وقلبى قطوع
فلاالماء يطفى حري وجوي * وما زالت نيرانى بالفؤاد ولوع
فلا كانت المداين ولا رومه * ويا ليتنا لم نرذلك القطوعى
فقدت حبيبى ونور عينى * وصبحت لم استطيع طلوعي
فياليتنى كنت الفداء له * واموت ولم ارماحل بين ضلوعي
فيارب يارحمان ترحم عظامه * وتسقيه عيشا هاطلا وهموعى
فلقد كان لنا حصنا منيعا * وكان لجمع الاعادى دفوعى
وكان مجيرا لنا يوم حرب * وكان كاشفا للبلاورفوع

(قال الراوي) ثم ان سعد لما ان انشد الاشعار وبكا بالدموع الغزار نهض من ساعته على الاقدام وسار قاصدا الى الديوان يريد ان يخبر السلطان وساير الاخوان بما قدجرى من الامر والشان فهذا ما كان من امر هؤلاء واما ما كان من ملك الاسلام فانه ذلك النهار لما تكامل الديوان جلس تحته وتكاملت سائر رجاله وجنده وتضاحى النهار وجلست الرجال وقرا المقري وختم وصاح الجاويش وهو يقول

تامل فى الوجود بعين فكر * ترى الدنيا الدنية كالخيال
وكل مافيها سيفنى * ويبقى وجه ربك ذوا الجلال

قال الملك آمنا سبحان مالك الممالك سبحان المنجى من المهالك ثم ان الملك قال ياوزير الزمان ذهبت الاحباب والخلان فلم جاءنا عنهم خبر ولا بيان فاين ابراهيم وسعد

وايدمر والقبطان تعادى عليهم الزمان ولاظهر لهم اثر ولا شان فياليتنى ما كنت ارسلتهم الى ذلك المكان فقال له الوزير ياملك الاسلام ثلاثة لم تستعجل عليهم لا الخبر ولا القمر والحيل (قال الراوى) لهذا الديوان فبينما الملك مع الوزير فى مثل ذلك الكلام واذا بسعد مقبل عليهم من باب الديوان وهو ينادي و يقول نعام ياملك الاسلام قال فلما ان رأه الملك ونظر اليه وعرفه نهض له على الاقدام واجلسه بيده واخذه ملا الاحضان وقبله فى الرأس والخدان واجلسه بيده الي جانبه وقال مرحبا بريحة الحبايب ولما ان استقر به الجلوس امر له بالشربات فشرب وقال له اين وليد خالتك يامقدم سعد فعند ذلك بكى سعد ونزلت دمعته على وجنته بلت لحيته وقال له ياملك الاسلام ابن خالتي مات وانقضت ايامه ووفات فلما ان سمع الملك ذلك الكلام اسودت الدنيا في عينيه وقد عظم عليه وكبر لديه وصار لا يسلم ما بين يديه وقد غشي عليه وسقط الي الارض وهو لا يعرف الطول من العرض فعند ذلك بكى جميع الحاضرين ورشوا على وجه الملك الماء الورد افاق وهو يقول آه يا بو خليل والله لقد انهدم ركني وقل صبري وعيل جلدى ووهى عظمى لاجل فراق حبيبى وخلي ولكن احكى لي ياسعد فصار سعد يحكي له وهو يسمع والماء من عينيه يدمع ولم يزل يحكي له سعد حتى سقط ثانيا الى الارض فقيقوه فلما افاق وجلس على تخته قال له احكى يا سعد فقال سعد والاسم الاعظم ياملك الاسلام انا رايت راسه طارت بالشد والغلط الي السماء ونحو اربع قامات فلما ان سمع الملك ذلك غشي عليه فعند ذلك قال الوزير الاغا شاهين يامقدم سعد وانت قتلت هؤلاء الرجال ومرادك تقتل الملك العادل ما تنزل الآن من الديوان وامضى الي حال سبيلك فنزل سعد من الديوان وهو يبكي و ينتحب و ينشد و يقول هذه الابيات

قبح الله ايام الفـــــراق * لانها ابعدتنى اعز رفاقي
فيادهر لاتبغي عـلى * يوما بعد احبتي واعتناقي
فما الفـراق الاصعب ومر * فبلا الله الفراق بالفراقي

فيارب صبرني على فقد حبيبي * وعجل منيتي بالالتحاقي
عسي ان يكون في الآخرة يوما * وتزول عنا مشقة واحتراقي
فلا يحلو العيش بعد الاحبه * ولا يصفو الزمان بغير رفاقي

(قال الراوى) ثم ان سعد سار قاصد القلاع والحصون وهو لا يعلم الى اين يسير ولا الى اى محل يقصد بل انه صار هاجا فى الفلوات وسار طالب ارض القلاع فهذا ما كان منه واما ما كان من الملك فانه لما ان افاق من غشوته سال على سعد فقال له نزل من الديوان فمنذ ذلك بكي الملك العادل بكاء شديدا ما عليه من مزيد وانتحب وانشد يقول هذه الابيات

يادهر قد افجعتني * وابليتني سقما وازعجتني
اخذت مني اعز احبتي * ومن رؤ ياهم يادهر احرمتني
فوالله يادهر انك عايب * وجبار على وانت ظلمتني
واخذت ركني وحظ عمدتي * وبنار فراقه قد احرقتني
فلقد كان لى حصنا منيعا * وحصارا منيعا مبتني
ذهب عزى وراحي وراحتي * واقبل ذلى وانت هلكتني
فالله اشكو اظلامة جائر * وهو العليم بما قد اصابني
ولكن سآخذ بالنار حقا من العدا * وافني جميع الكفار لما ضرني
ولا اقبل فداء عن احد منهم * لو كان بالمال الجزيل اثقلتني
قسما بدين الله والنبى محمد * خير الوري فضلا وعزا منني
لا ابقى من الكفر ابدا واحدا * ولا حرثن الارض وعرا ومبتني
ولعلها فى الفلات بلاقع * واخربها بعزم شديد معتني

(قال الراوى) ثم ان الملك حلف ان يجمع الملوك الذى له الخراج عليهم وكل من تخلف منهم لا بد عن غزوة قبل ان يسير الى الانجبار وقد كتب المكاتيب لسائر الملوك الذين يؤدون الخراج واعلمهم بانه يريد ان يغزي الانجبار ويأخذ بثار ابراهيم ابن حسن ويحرث ارض الانجبار بالفدان ويزرعها ويطعمها الي

خيله ثم اخذ يكتب المكاتيب الى سائر الملوك وشبان الارض والبلاد وكذلك الفداوية اولاد اسماعيل الاشراف وجعل الملك يكتب الي رجال وابطال لمثل هذه الغزوة فهذا ما كان منه (قال الراوى) واما ما كان من سعد بن دبل فانه ما زال سائر حتى اتى الي قلعة حوران فدخل على حسن الحورانى فسلم عليه وساله عن ابراهيم فبكي واعاد عليهم القصة من اولها الي آخرها وكشف لهم عن ظاهرها و باطنها فما تم كلام حتي ثار الصياح فى قلعة حوران و تصارخت الرجال والنسوان والاطفال والبنات والولدان وثارت النيران واشعلها سعد فى ذلك المكان فلما ان رأى سعد ذلك الحال زادت بليته وترك القلعة وخرج هاجا على وجهه في نفسه فقال والى اين تقصد يا سعد ولكن سر الى ابوك المقدم دبل البيساني فسار حتى وصل الى القلعة فتلقاه ابوه وسلم عليه وقال له مرحبا بك يا ولدي اين ابن خالتك فاعاد عليه القصة وما لحق سعد ان يتم كلامه حتى ان اباه نهض على الاقدام وقبض على سعد واداره كتاف وقوى سواعده والاطراف وجرد الخنجر واراد ان ينحره و يقطع منحره واذا بتبع قد اقبل عليه وقال له شفعني فيه يا اخي فقال له اعلم يا هذا ان هؤلاء انولد واسوى وقرأ اسوى وخدموا اسوى وظهر واسوى وسافروا اسوى فلاي شيء هذا يموت وهذا ياتي سالم فقال له يا اخي اما تعرفني فقال له اكشف اللثام فكشفه فتامل دبل فرآه المقدم حسن الحوراني فقال له يا اخي لا تعدم الاثنين فاترك هذا الاجل خاطري وشفعني فيه فقال له اما من الموت شفعتك فيه ولكن والاسم الاعظم ان لاحت عيني عليه فى القلاع لا بد عن قتله ثم تركه يفك حسن الحوراني كتافه وتركه فخرج هاجا على وجهه كانه المجنون فهذا ما كان منه واما ما كان من الملك العادل وما قد يقع له من الكلام العجيب والامر المطرب البديع الغريب فانه لما امر بالمكاتيب وسافرت فاقبلت الرجال من كل مكان من روم واسلام وكفار واعجام وغير ذلك من اهل المدن والاكام كل من كان فى دفتر ملك الاسلام وامر الملك بالرحيل وارتحل من ارض مصر وقد تبعه ناس كثير من اهل مصر وسائر الاقطار واخذه الدعا من كل مكان وارتحل

وقد قطع البراري والقفار ولم يزل سائرحتى حط بالرجال على جسر الانجبار وقد اقبلت الامم كانها الجراد المنتشر ونزل السلطان وضربت له السرادقات والاعلام هذا وقد اقبلت الامم الادرعة والفداوية اولاد اسماعيل واقبل المقدم عاصي والمقدم عجبور فلما ان رأى ذلك اللعين جوان وسائر الملوك خافوا خوفا شديد ما عليه من مزيد فصبرهم جوان وقال لهم لاتخافوا من العرب وسوف ترون ما اصنع من التعجب ثم جعل يدبر المكايد والحيل فهذا ما كان من امر هؤلاء واما ما كان من السلطان فانه اقام ذلك النهار وثاني الايام امر الملك بدق طبل الحرب فقال جوان ابرزوا يا كستريان فنزل الى الميدان فارس في الحديد غاطس فاراد الملك ان يقول ابرزوا له يا عصبة الاسلام واذا بالغبار ثار وعلا وسد الاقطار واقبل من كبد البر فارس كانه قلة من القلل او قطعة نزلت من جبل وصاح حاس الله اكبر يا لثار البطل الاروع وصار يقاتل كلما هلك واحد من الكفار اخذ اذنه وشقها في حبل الليف معه الى ان جاء آخر النهار ودقوا طبول الانفصال فرجع ذلك الخيال ووقف بازاء عرضي السلطان وقال مرحوم في حياتك ياظلويهر وارمي ذلك الحبل الذى فيه الاوزان وعدهم واذا بهم الف اذن من غير نقصان فقال الملك لله در هذا البطل من شجاع وقرم مناع فقال له المقدم حسن الحوراني يا ملك الاسلام اعلم ان هذه اخت الوليد فاطمة الحورانية فقال الملك يحق لها اكثر من ذلك ولكن الاقدمين يقولوا يا للرجال ولم يقولوا يا للنساء ابدا وانت يا مقدم حسن نبه عليها انها لم بقت تنزل الميدان فلما بلغها الخبر ابت واخذها الضجر فلما ان كان اليوم الثاني نزلت اللبوة ام ابراهيم سوت الاهوال ولعبت بالكفار مثل شعل النار وثالث الايام نزلت اللبوة الشنيعة ولم يزالوا على مثل ذلك حتى بلغوا سبعة ايام وهم لا يسمعون للملك كلام فلما كان في اليوم الثامن كان يوم الاحد والميدان بطال بين الكفار والابرار وقد جاء وقت الظهر وامتد السماط وجلس السلطان للطعام وسار والرجال ياكلون فتامل الملك ذات اليمين وذات اليسار واذا به راى المقدم سعد ابن دبل وهو في اوساط الرجال ضارب لثام وهو ياكل الطعام فنهض الملك العادل من مكانه وترك الطعام وخرج

من الصيوان وسار من حظ الرجال وقصد سعد بن دبل واخذه من يده وسار به الي الخلوات ولم يشعر بذلك احد من الرجال ولا من الابطال وكان سعد لا يعرف هو في اي مكان لانه لما خرج من عند ابوه مطرود من القلاع وصار هاجا على وجهه وهو لا يعقل على نفسه مما فاض عليه وضاعت منه الحيل ولم يزل سائر حتى اقبل الى ذلك المكان فراي ذلك العرضي ولم يعلم بانه عرضي السلطان قد خل عليه وهو ولمان وكان فى ذلك الساعة جيعان فاخذه السلطان كما وصفنا وساربه الي الخلا كما شرحنا وسلم عليه وقال له يامقدم سعد ارني محل ماوقع ابراهيم ابن خالتك ان كنت تعرفه فقال له نعم اعرفه فقال سير بنا حتى آخذ من مكانه شيء من التراب لعلي اشم رائحته فيه وكل ذلك اسباب خفية من رب البرية فقال له ياملك الاسلام لم نقدر ندخل الي ذلك المكان ونحن بهذه الملابس فقال له الملك قف مكانك وغاب الملك وعاد ومعه بدلتين من ملابس اللثام فلبسو الاثنين وساروا الي الحلزون الاول واقبل سعد حتى انتهى به الى دكان رجل فطاطرى والتفت سعد الى الملك وقال ياملك الاسلام ابن خالتي وقع في قلب هذه الدكان فقال الملك ياسعد ادخل بنا اليها وقد ظن الملك ان سعد جيعان ولما دخلوا ترحب بهم البطريق الفطاطري وقال لهم مرحبا بكم انتم على دين المسيح قالوا نعم وقال الملك هلم الينا بفطيرتين طيبين قوى بشريفي ذهب فقال لهم ادخلوا الى داخل الدكان فدخلوا وتامل الملك فراي صندوق من الطين طوله اثني عشر ذراع وعرضه اربعة ازرع وجلس الملك وسعد الي جانب هذا الصندوق وقال الملك احكي لي ياسعد عن ماجرى فجعل سعد يحكي للملك والاسم الاعظم شفت بعيني راسه طارت فى الجو بالشد والظنط نحو عن اربع قامات قال فبينما هم فى الكلام واذا بانين من داخل ذلك الصندوق يقول ياسعد ياوليد الخالة انا طيب المال مائة واربعون خزنة الانصف خزنة فعند ذلك قال سعد ياملك ها هو شيطانه قد ظهر من داخل ذلك المكان فتعجب الملك من ذلك وقال كيف ان يكون مجاهد ويطلع شيطانه ثم اراد الملك ان يحقق الامر واذا بالفطاطرى دخل عليهم وهو يبربر ويقول انتم تفوشوا الاي شيء يا كناسات كلوا وروحوا الى

حال سبيلكم فاكلوا الاثنين فثقلت رؤسهم فانقلبوا الى الارض فصبر ذلك البطريق حتى جن الليل وشبحهم من داخل المكان وقد اعطاهم ضد البنج عطسوا فقالوا نشهد ولا نجحد بالدين العربي محمد فقال لهم البطريق يا كناسات انتم مسلمين قوموا كلكم عند المنطار فلما نضايقوا منه قال الملك يا سعد يعني اذا اند هنا للمقدم جمال الدين شيحه يحضرها هنا قال سعد هذا رجل ثابت ومن اين يحضر الى هنا الآن فقال الملك حتي ننظر ثم صاح الملك انت فين ياسلطان القلاع والحصون يا حج شيحه عز نصرك واذا بالبطريق خرق اللثام وقال له والاسم الاعظم انا شيحة جمال الدين اعلم ان ابراهيم ما توجه من مصر الا وانا معه وما قتل الغول المهول الا وانا حاضر وما فعل مافعل في رومة المدائن الا وانا حاضر والملاعيب الا وانا حاضر وما فعل جوان هذه الفعال وانا حاضر وما وقع لابراهيم الا وانا حاضر ولكن سوف يظهر لك ما كان مخبي والصبر اولى وانت تترك هذا الامر كله لانك يا ملك الاسلام قد لعبوا بك العدا وعمل جوان مكيدة ما سبقه اليه احد فلله دره ما اخبره بالمكائد وذلك انه اصطنع من تحت الارض في الحجر لغما من البارود وهو محيطا لعرضي والعساكر الاسلامية ويريد ان يحرق الاسلام بالكلية فسيرا نت من هاهنا ورحل الاسلام جميعا ليلا ولا تخلي الوظائف القديمة زوالا كالاعداء ثم انك تحارب غدا الى وقت الظهر فاذا وجدت الكفار وقد اقبلوا اليك بكليتهم وسمعت الطبول وقد دقت من عرضي اللئام فلم تقف يا ظاهر ولا دقيقة واحدة بل ولي هارب على خلفك انت ومن معك ولا تجعل مساكنك الا في الجبال وانا ادبر هذه النوبة على قدر ما يمكنني واراد الملك ان ياخذ سعد وينصرف فقال المقدم جمال الدين امض انت بمفردك وعود الى ما اندبتك اليه لاني اريد سعدا الآن في بعض الاشغال فتركه في الحال وسار وشرع فيما قال له عليه المقدم جمال الدين شيحة ثم ان المقدم جمال الدين التفت الى سعد ابن دبل وقال له يا سعد خذ هذه التذكرة واعطيها لحسن الحوراني يعمل بما فيها هو وسائر الرجال واتيني بفاطمة الحورانية الي هذا المكان فاجابه بالسمع والطاعة وسار فيما امره به من تلك الساعة واعطا التذكرة الى حسن الحوراني فقراها واذا

فيما يرحل الجميع الرفيع منهم والوضيع فنبه عليهم بالرحيل باذن شيحه جمال الدين فرحلوا الجميع من ذلك المكان وسعد اخذ فاطمة وسار بها الي شيحه فقال لها خذي شا كرية اخوكي وملابسه واخرجي الى الغار الفلاني تجدي حجرته هناك وخذي هذا اللوح الصغير وهذا المسمار وعلقيه في قاعة اخوكي فتجدي هذا الصندوق وقدا نتقل الي هناك فاتركية ولا تسألي عنه ولا تفتحيه الا اذا مضي سبع شهور وسبع جمع وسبع ساعات وسبع درجات وسبع دقائق فقالت له انا ماأعرف هذا الحساب قال لها لا تفتحيه حتى تسمعي طبول ورمورا بقي افتحي ذلك الصندوق فقالت له وما فيه فقال لها اعلمي ان فيه روحي القديمة لاني اتالي روحين لما تتعب واحدة اقلعها والبس الثانية فتعجبت من ذلك وظنت ان قوله صحيح ثم اخذت ما اعطاها وسارت الى مكانها وفعلت ما امرها وقد رحلت الرجال فهذا ما كان من امر هؤلاء (قال الراوي) واما ما كان من امر السلطان فانه دخل العرضى من وقته وساعته واسبنا لنفسه ونبه زجاله واعلمهم سرا بالخبر فاخذوا الاهبة لانفسهم فهذا ما كان منهم واما ما كان من امر شيحه فانه نزل من الدكان وجعل يلطم على خديه ويقول ياخساره يا بو يا فقالوا له ما الخبر قال ان راح المنطار واريدان ابيع الدكان فاشتراه احد الناس وسار شيحه الى الخلوات وهو يطلب من الله قضاء الحاجات واذا به يرى رجل بطرني وهو يقول اعيش من العمر تسعين ولم اري سقر مرة واحدة ابدا فقال له شيحة وهو على هيئة بترك ان كان مرادك تنظر الى سقر في ذلك الوقت خذ هذه الاكرة والقيها الي ذلك المكان وانت وحق المسيح تروح سقر في هذه الساعة ثم تقدم شيحة الى باب اللغم وحوله الى جهة الجسور السبعة والحلزوات وامر البطريق بذلك وسار الى اصحاب الطبول وقال لهم يا اولاد عالم الملة يقول لكم دقوا الطرنبيطات فلما دقت الطبول ارمى اللعين ذلك الاكرة من يده وكانت من الكبريت المصنوع بالحكمة فلما سمع الملك ذلك ولي الادبار وركن الى الفرار واتبعوه الرجال هذا وقد لعبت النار في البارود واحتاط الملك بالجبال من الاربع جهات هذا وقد ذهب اللعين الى سقر الذى ارمى الاكر في اللغم واما الكفا فانهم ركبوا وساروا ايريدون الهرب فوقع بهم العطب حتى

بقى الكافر منهم يرتفع من شدة النار والبارود بجواده الى السماء قدر عشرة قامات ويهوي محترق هذا وقد تحصنت الملوك من داخل الانجبار وكذلك جوان وهو يقول للبرتقش ياسيف الروم عمري ما رأيت النصارى تبنى كرامات الا هذا النهار ثم ان جوان ما زال قلقان حتى ادركه الظلام فقال لرفيقه ياسيف الروم احنا ما لنا ومال هذا الامر الكفار انتظروا والاسلام قد اقبلوا وان وقعنا احنا فى مثل هذه المرة منطر نار ين المسلمين فامضي بنا تحت الليل فقال البرتقش الرأى عندى انك تصبر حتي انظر ين المسلمين ينطرك كما تسببت فى منطار ابراهيم ابن حسن فقال له ياسيف الروم وحق المسيح لم مات وما جرا عليه شيء ابدا وسوف يظهر الخبر فقم بنا حتى ننفذ بعمرنا ثم ان الاثنين انسلوا من ذلك المكان وساروا فى تلك الوديان فهذا ما كان من هؤلاء هذا النار تلعب فى الكفار مدة ثلاثة ايام بلياليها فى جيش الشام وكل من طلب الهرب اخذه الحسام فما بقى منهم ديار ولا من ينفخ النار ودارت يد الملك على الجبال بما فيها واقبلت الرجال ونصبت الوظائف وقال الملك انهبوا الاماكن والحارات فبينما الملك كذلك واذا بالمقدم جمال الدين شيحه مقبل عليه ومعه الملوك فى القيود والاغلال والباشات الثقال وكان السبب فى ذلك انه لما غاب جوان كما ذكرنا تنكر المقدم جمال الدين شيحه بصفته ودخل عليهم فلم ينكروا عليه فلما ان تمكن من اماكنهم طرح البنج فى ماكلهم ومشاربهم وصبر حتى تمكن البنج منهم وصار الى عرضي السلطان فأخذ منه رجال واى رجال وشك الملوك فى الحديد وسلمهم اياهم وسار هو فى اوائلهم حتى اقبل بهم الي السلطان فلما رآه الملك سلم عليه وفرح به وحلف الملك انه لم يقبل شفاعة فى هؤلاء الملوك وكانوا ستة وثلاثين ملك فتقدم السياف وقطع رؤوس الجميع هذا وقد اقبل الملك الانجبار والملك المنكبرد وتقدموا بين يدى السلطان فقال الملك لا بد من قتل هؤلاء الاثنين فقالوا له يامولانا السلطان قد جري من الامر كذا وكذا وها هى الحجج فأخذ الحجج منهم بالمال وما جرا بينهم وبين ابراهيم ابن حسن وكيف طردهم بعد ان اخذ عليهم الحجج والمكاتبات واخذوا ايضا عليه ذلك فعرف الملك ان هؤلاء ما لهم ذنب من هذا فعفى عنهم (ياساده) وقد صار النهب فى تلك الاماكن جميعا حتى اتوا الى وسط

الجبال واذا حارة مكتوب على بابها رقعة من الحرير مرتفعة على اعلاها وحق الملك المنان هذه الحارة مكرومة لاجل الامير ايدمر البهلوان فعند ذلك اهيرعت الرجال واعلمت السلطان بذلك الامر والشان فلما سمع الملك ذلك البيان ظن انه منام او اضغاث احلام وركب الملك وسار الي ذلك المكان وسال عن ذلك الشان واذا برجل قد اقبل اليه و قبل يديه وسلم عليه وقال له اعلم يا ملك الاسلام انى كنت نائما فى بعض الايام وكان يقال لى قرقطين الحاجب ولما ان وقعت هذه الواقعة وجري ما جري للاسلام ووقع الامير ايدمر البهلوان تني الست نفيسة فى المنام وقال لى انزل الى المكان الفلانى وخذ ايدمر البهلوان لان دواه على يدك واسلم على يده تنجوا من بطش السلطان ثم انى نزلت اليه واخذته وداويته وهو عندى الآن على غاية من السلام قال فلما ان سمع الملك ذلك الكلام ابتهج فرحا وقال لقرقطين اين هو ايدمر فاخذه بيده الى داخل المكان فلما ان دخل الملك عليه ورآه ايضا ايدمر واذا به نهض له على الاقدام فاخذه الملك ملا احضانه وسلم عليه سلام الاحباب وقبله بين عينيه وسلم عليه وجلس الى جانبه وساله عن حاله فاعاد عليه كلما جري من اول الامر الى آخره فتعجب الملك غاية العجب وشكر قرقطين الحاجب على ذلك الجميل وقال له قد عفوت عن هذه الحارة لاجلك واذا انت اتيت الي مصر يكون لك عندي الجاه العظيم واليد البيضاء فقال له يا ملك الاسلام وانا الآخر ضامر يا على ذلك لانى لم يبقى يمكنني المقام فى بلاد الشام وانا صابر الا ن حتى أجمع مالي وما تملك يدى فقال له الملك شأنك وما تريد ثم تودع منه واخذ الامير أيدمر وسار به الي الصيوان فتلقوه الرجال وسلموا عليه سلام الاحباب وسألوه عن حاله فاعاد عليهم ماجرى وبعد ذلك امر الملك المنكبرد والانجبار فحضروا بين يديه فقال لهم الآن هاتوا المال والنوال فاحضروه ولم ينقص شيء ابدا (ياسادة) ثم ان الملك قال ما بقى على الا اليمين واريد الآن ان افدى اليمين وأحرث هذه الارض قال فبينما الملك يتكلم بمثل ذلك الكلام واذا بالمقدم جمال الدين شيحة داخل عليه فلما رآه سلم عليه وحياه وقبله بين عينيه واجلسه الى جانبه ولما ان استقر بهم

الجلوس قال له شيحة يا ملك الاسلام احرث الارض وزرع فيها الشعير لان الشعير ينبت قوام واطلق الخيل عليه بعد ثلاثة ايام ينفد عينك فامر الملك بذلك ونفذ عين السلطان و بعد ذلك ارتحل الملك بمن معه وسار طالب ارض مصر ودخل من غير زينة ولا مهرجان (قال الراوى) فهـذا ما كان من امر هؤلاء واما ما كان من امر سعد بن دبل فانه اقام بعد ذلك عند المقدم سليمان الجاموسى مختفيا عنده (قال الراوى) واما ما كان من امر ابراهـيم بن حسن ومايقع له من الـكلام لعجيب فان اباه حسن الحورانى بعد ان ارتحل ودخل القلاع او الحصون شرع فى عمل العزار بعين يوم و بعد ان تهيا الفراغ من ذلك جلست م ابراهيم وجعلت تميط عليه وتنوح وكانت الي جانب الصندوق واذا بالقدم ابراهيم من داخل الصندوق يجاوبها و يقول لها انا طيب يا اماه المال مائة وار بعين خزنة الا نصف خزنة فلما ان سمعت ذلك الـكلام تركت المـكان و نزلت تجري الى عند حسن الحورانى وكان مريضا بالحمه فدخلت عليه وقالت له ياخناس عفريت الوليد ظهر فقال لها يا فاحشة المجاهد يطلع له عفريت قالت له تعالى حتى تسمع باذنك فنهض معها الى جانب الصندوق وقالت له ولول فجعل يبكى و ينوح و يقول آه ياوليداه يا نور عينى واذا بجواب من داخل الصندوق و يقول يا ابتاه انا طيب المال مائة واربعين خزنة الا نصف خزنة فعند ذلك تعجب حسن الحورانى وقال اين اخت الوليد فحضرت بين يديه المقدمة فاطمة الحورانية الحورانية فقال لهـا ماهذا الذى فى الصندوق فقالت له هذه روح شيحة القديمة فقال لها ابن آدم يبقى له روحين هذا لا يدخل في عقل احد ثم انه جرد الشاكرية وضرب غطا الصندوق فصصه اربع قطع وتأمل واذا به المقدم ابراهيم من داخل الصندوق وهو مرشوم بالقطن الابيض من رأسه الي اقدامه فمن شدة فرحه صاح بعلو رأسه يارجال والاسم الاعظم شيحة طبخ الوليد ورجعه الى الدنيا ثانى مرة ثم اخرجه من الصندوق وأخرج القطن الذى عليه فصار الجرح الذي طاب يخرج قطنه من غير مشقة والذى لم يقطب جرحه خرج بالدماو بعد ذلك ألبسه ملابس خفيفة وفرش له الفراشات واجلسه فيها وقد فرح بذلك الفرح الشديد فقـال

المقدم ابراهيم يا ابي انا جائع فقال له وماتريد من الماكل فقال اريد كشك بصوصان فعملوا له الكشك بالفراخ الصغير ووضعوه قدامه فجعل يا كل من ذلك الكشك فبينما هو يا كل واذا بالمقدم سعد بن دبل داخل عليه وكان السبب فى ذلك ان سعد كان عند المقدم موسي كما ذكرنا فبلغت الاخبار اليه بان ابراهيم تداوى وطاب وهو الآن فى قلعة حوران فلما ان سمع ذلك المقدم سعد ظن ان هذا منام او اضغاث احلام وصار بين الكذب والصدق ثم انفرد في البر الاقفر وعبر الي القلعة ولم احدا يمنعه من ذلك وتامل فراي ابراهيم وهو يا كل ذلك الكشك فقال له انت طيب يا ابن حسن والله لا بدلى امضى الي مصر وابشر الملك العادل بذلك وتركه سعد وسار قاصد مصر فهذا ما كان من امر سعد واما ما كان من امر ابراهيم فانه أكل من الكشك كثير فلما استقر الكشك فى جوفه تفتحت سائر الجراحات عليه وصاح صيحة عظيمة وخر مغشيا على وجهه فصاح ابوه على الاتباع وقال لهم ادركونى بحكيم يا رجال فتجارت الاتباع الى الخلوات واذا هم باثنين حكما سائرين فاخذوهم وساروا بهم اليه فلما ان عاينوه واذا بواحد منهم اخرج ريشة ممزوجة من السم الخارق وتقدم الي سرة ابراهيم واراد ان يضربه بها واذا بتبع من القلعة تسربه كفاه على وجهه ورفصه برجله فصاح المقدم حسن وقال شلت يداك وشمتت فيك اعداك لاي شيء تفعل تلك الفعال فقال له وقد كشف له اللثام وتأمله واذا به المقدم جمال الدين شيحة فلما رآه قال له الله يملأ قلبك ايد الله لك السيادة الملكية فقال له الآن ضيعت تمي يا حسن يا حوراني اما تدرى من هؤلاء قال لا قال له هذا اللعين جوان والبرتقش الخوان قال وكان السبب فى ذلك ان البرتقش كان كثير النواح والبكا على المقدم ابراهيم بن حسن الحوراني فقال له جوان وحق المسيح ان ابراهيم مامات وانا قرات ذلك في تاريخ اليونان فقال له البرتقش الا اصدقك ابدا فى ذلك لانك انت كذاب وان كان كلامك صحيح فسيرمعى وارينى اياه فسار والاثنين وقد لبسوا ملابس الحكماء حتى اتوا اليهم الاتباع واخذوهم وكان شيحه قرا ايضا ذلك فى تاريخ اليونان فسار تابع خبر الاثنين خوفا على ابراهيم بن حسن فهذا كان الاصل

والسبب ثم ان شيحة قال للمقدم حسن احورا ني اعلم ان ابنك لا يطيب ابدا مادام هذ اللعين خالص فان اردت النجاة لولدك فاسجن هذ ين الاسنين عندك واحترس عليهم انت بنفسك وان هرب هذا اللعين قتل ابنك عن يقين فعند ذلك قيد الاثنين وامر لهما بالسجن وجعل عليهما خمسين تبع بالليل وخمسين تبع بالنهار لاجل حفظهما وكانوا يفتقدونهم فى كل ساعة فهذا ما كان من امر هؤلاء واما ما كان من امر المقدم جمال الدين شيحة فانه تقدم الى ابراهيم واخرج له الدواء وسقاه اول مرة فاخرج ما فى جوفه ثم سقاه الثانية فنظف جميع ما كان داخل الجوف وسقاه الثالثة فتقايا ها على حالها خوفا عليه ان يخنقه الارصاد اذا بال او غوط فى الصندوق ثم انه جعل يلم القطن الذى اخرجه المقدم حسن و يجمعه و يعلقه على الجراحات حتى انه اعاده عليه من عادة القطن انه يكش فبقى وجهه من غير قطن فاخرج له قطنا آخر من تاريخ اليونان بمعرفته يقال انه ينفع مادام ابراهيم رايق واذا تكدر ظهر على وجهه تشاطيب الانجبار واذا تاملت فى وجه المراة الحامل تضع حملها للوقت والساعة ثم بعد ذلك اعاده كما كان الى الصندوق واعاد عليه الغطا وقال لهم لا تقربوه حتى تسمعوا داخل الصندوق طبول وزمور وصياح و بيارق فاجابوه الي ذلك وتركوا انصرف الى حال سبيله فهذا ما كان منه (قال الراوى) واما ما كان من سعد بن دبل فانه سار قاصد مصر فبينما الملك جالس على التخت و بين يديه الرجال واذا به يقبل الارض وهو يقول نعام يا امير المؤمنين فقال الملك اهلا وسهلا برائحة الحبايب اللهم ارحم ابراهيم بن حسن الحورانى فقال سعد يا امير المؤمنين على من تترحم فقال له على وليد الخالة فقال له سعد اعلم يا ملك الاسلام انه طيب بخير وما جري له شيء ابدا وقد رأيته بعيني وهو جالس على قلعة جوران يأكل كشك بصوصان واتيت اليك ابشرك بهذا الشأن قال فلما سمع الملك ذلك قال لا حول ولا قوة لا بالله العلي العظيم يا وزير سعد طار عقله وصار مجنون و يحق له انه يختل على مثل ابراهيم بن حسن فقال الوزير يا ملك الاسلام تفقه منه الكلام حتى يتضح البرهان فقال الملك الامر قاصر يا وزير الزمان وسوف تعلم ذلك عيان ثم ان الملك التفت الي سعد وقال له يا مقدم سعد قال نعم قال له من الذى رأيته يأ كل

الكشك فى قلعة حوران قال له ابن خالتى قال له ومن الذى طارت رأسه الى السماء بالشد والظنظ فقال له ابن خالتى قال الملك ومن الذي رأيته يأكل الكشك قال سعد فى نفسه والله ان الملك اثبت جنانك ياسعد حيث ان القول ينافى بعضه هذا وقد قال الملك ياسعد بنى آدم له كم راس فقال سعد فى نفسه اخلط ياسعد فقال له راسين يا امير المؤمنين فقال الملك لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ثم قال الملك على بالمارستانى فحضر فى عاجل الحال بين يديه فقال له خذ هذا الرجل ولا طفه وثقل جريده فقال سمعا وطاعة واخذ سعد وادخله المارستان وقد ترتبت له الجرايات والعلوفات والاجر وما يلزم له الحال (قال الراوى) فهذا ما كان من امر سعد بن دبل واما ما كان من امر الملك العادل فانه ترك ابراهيم وايامه وما كان من الشجاعة والقوة والبراعة وانشد يقول

لقد كنت يا ابراهيم فارس خيلنا * لقد كنت يا براهيم مكيد العدا
لقد كنت فارس الاسلام باسمهم * و برجالهم حصنا مشيدا
وكنت ترد الخصم اذا مادنى * الى حومة الميدان عاد مشردا
وكم قطعت عزما وجيشا كاملا * وكم فجعت نفوسا تركتهم سدا
فالله يرحم للعظم الفانى * اذا مضى يوما واقبل غدا
وادخلنى جنات الخلد فضلا * منك يارحمان صار مخلدا
فحق دولة الاسلام ماعاد باقيا * من الآن حتى تقوم من السدا
فيا خجلة الزمان حقا لاجله * فقد عزا لهم وملجا ومنجدا
فى مثل رومه على فرسانها * اسدا عظيما مكيدا للعدا
فكم فتك فيهم همة وهمية * لدولة الاسلام والنبي محمدا

(قال الراوي) ثم ان الملك بعد ان فرغ من انشاده وما قاله من اشعاره امر بعشرة آلاف دينار واعطاهم الى المقدم محمد بن كامل الهجام مشدردا براهيم ابن حسن وقال له خذ هذه الاموال وسير بها الى قلعة حوران وسلم على المقدم حسن الحورانى واعطيهم اياه لان المطله جبر فأجابه بالسمع والطاعة واخذ الاموال وسار ولم يزل سايرحتى ادركه المساء عند قلعة مسياط فدخل على داود وشاهين

سلموا عليه واكرموه وفي صدر القلعة اجلسوه ولما رأوه مامعه من الاموال رغبوا في زواجه بأختهم نافلة الحصون التي خطبها ابراهيم في الديوان الذي قدمنا ذكره هذا وقد اخذوا معه في الكلام واعرضوا عليه المرام فأجابهم في ذلك الشان ثم دخلوا على ناقة وقالوا لها الا أن نريد ان نزوجك بالمقدم محمد كامل الهجام لانه مشدود ابراهيم بن حسن وابراهيم بن حسن قدمات وانقضت ايامه ومات والحي افضل من الميت فماذا انت قايلة فقالت معاذ الله ان اتزوج ابدا على ابو خليل فهو زوجي في الدنيا والآخرة وانتم أن فعلتم خلاف ذلك فما انا منكم ابدا فقالوا لابد من ذلك وخرجوا من عندها وعقدوا عليها بغير رضاها وشرعوا لها في الافراح والليالي الملاح وهي باكية العين حزينة الطرف ولما ان دارت الافراح قال المقدم شاهين نريد لنا مهر عشرين رأسا من الغنم فعند ذلك نهض المقدم محمد كامل وقال لهم انا آتيكم بما تريدون ثم لبس عمته وركب وسار الي الخلوات ولم يزل سايرحتى اقبل الى قلعة حوران وكان ابراهيم قد طاب وخرج من الصندوق وجلس في اعلا القلعة في مكان يكشف البراري والقفار هذا وقد اقبل محمد كامل وهجم على الرعاة واخذ مامعهم من المواشي وسار بهم طالب قلعة مسياط ولم يبالي بمن هناك من لرجال لانه متيقن ان ابراهيم قدمات هذا وقد تجارت الرجال ودخلوا على المقدم حسن الحوراني واعلموه بما جرى وكان فقال لهم لا تذكروا هذا الكلام عند الوليد ابدا هذا وقد صار ابراهيم ينظر ويري فلما ان رأى ذلك صاح بأبيه فأقبل اليه وقال ما الخبر قال له ياوليدى الاتباع قالوا لي ان بقرة من المواشي جاءت تولد فماتت فقلت لهم ارموها خارج القلعة الي الكلاب فقال ابراهيم هات لي لامة حربي وكفاحي فقال له ياوليدى لا تبرح حتى تشد حيلك فقال له اذا لم تفعل والا قتلت نفسي بيدى فلما عاين منه ابوه ذلك اعطاه ماطلب وخاف عليه من المعطب فلبس وافتعل وسار وركب حجرته وسار الى البر والقسطل وكانت تلك الليلة ليلة فيها الزفاف على نافلة ومحمد بن كامل هذا وقد سار ابراهيم في البر واذا بالغبار ثار وعلا وسد الاقطار وانكشف الغبار وبان عن خيال كانه طود من الاطواد او من بقايا قوم عاد وهو راكب على حجرة كانها الثعلب تطير في البر

وتتقلب كانها كوكب بذنب كانه سبايك الذهب وهو يصيح على المقدم ابراهيم و يقول له جيب الغفر فقال ابراهيم الارض ارض قريش جدنا فقال له جيتك فقال ابراهيم مرحبا بك ثم انطبقا كانهما جبلين وافترقا كانهما بحرين والتزما وانجزما واصطدما وسال العرق كانه الماء وتمبت لرماح من يد الرماة وكان لهم ساعة يالها من ساعة ما اشنعها ثم ان ابراهيم صبر على خصمه حتى ضايقه ولاصقه ومد يده الى جلباب درعه ورفعه على زنده وقال له الآن من الذي يحط الغفر الي رفيقه فقال له تستاهل السلامة ياولدي فلما ان تيقن ابراهيم انه ابوه جعل يلومه و يقول ولاى شيء فعلت ذلك يا ابتاه فقال ياولدى من خوفى عليك من العدا ان يبطشوا بك فلبست سلاحي وطلبتك في البر الاقفر وقلت فى نفسى اذا كان يحمي نفسه مني يبقى يحمي نفسه من غيري فجرا ماجرى ياولدي فقال له ارجع الى قلعتك ثم تركه وسار فى البرارى ولم يزل حتى اقبل الى قلعة مسياط وايد حجرته فى بعض المغارات وتسلق الي اعلا السراية وجعل ينتظر مايكون من امر هؤلاء الفرسان هذا وقد رق العريس وادخلوه على عريسه واغلقوا الباب على الاثنين وتركهما لبعضهما واغلقوا الابواب وذهب كل واحد منهم الى حال سبيله فهذا ما كان من امر هؤلاء واما ما كان محمد بن كامل فانه اقبل الي نافلة فوجدها تبكى وتنوح من قلب ظنين مجروح وتقول لا كان ذلك ابدا والاسم الاعظم لم يتصل بى احدا خلاف ابن حسن فى دار الدنيا ثم انها نهضت على اقدامها وضربت محمد بيدها على صدره كادت ان تخفه وقالت له ان انت دنيت مني قتلتك بيدى ياخناس فلما ان عاين منها ذلك جعل يلاطفها ويمازجها وهي لا تزداد الا قسوة و بغضة فيه (ياساده) ولما ان اعياه الامر رجع الى الباب وضربه وصاح بعلو راسه ادركني ياداود انت واخيك شاهين فعند ذلك وقع الصياح في آذانهم واتوا اليه وادركوه ودخلوا فى عاجل الحال عليه وسالوه عن الخبر فاعاد اليهم ماقد تحرر فلما سمعوا ذلك الكلام من محمد ابن كامل نحوها ورادوا ان يدنوا منها واذاهى باكية العينين حزينة الطرف وابراهيم على اعلا ذلك المكان وقد قال فى نفسه ان استغاثت بى اغثتها واذا لم تذكرني بلسانها رجعت عنها واليه تركتها قال فبينما هو يحدث نفسه بذلك واذا

بنا فلة تقول لمحمد ارجع عني بحق العهد الذي بينك و بين كبيرك ابراهيم بن حسن فقال لها كبيري مات وعهده بطال والحي افضل من الميت ثم دنا منها واراد ان يفتضها واذا هي تقول انت فين يا ابراهيم يا ابن حسن فما تمت قولها الا وهو نازل من الاعلى للادنى كانه القضا المنحدر فلما رآه محمد ابن كامل حلف انه عفريت ابراهيم فلعبت مفاصله وارتعدت انيابه وعظم مصابه وكثر عذابه وتمنى لو ان الارض تنفتح له وتبلعه ولا يرى هذا القضاء ومن شدة ماجرى عليه لعبت كما شانه فبال فى ثيابه وصاح بملو راسه و بطنه وقال انا فى عرض النبي وكاد ان يغتني عليه ووسخ فى حوايجه هذا وابراهيم حل نافلة مماهي فيه وربط محمد بن كامل وقال له اعبط العامود ياخناس والاسم الاعظم ان هيمت لاخليك انت والعامود اربع قطع ولا ابالى بكل من فى القلعة فسكت على مضض هذا وقد ضربه ابراهيم بن حسن ثمانين بالشاكريه سطح وتركه مربوط واخذ ابراهيم نافلة صعد بها من حيث اتى وطلب بها البر الاقفر والمهمه الاغبر والحط والحجر (قال الراوى) فبينما هو ساير فى مطرقات واذا به يري رجلا يلى كبد البر واقف فى مقبره وفى يده حجر كبير وهو يضرب قبرا بيه و يقول له تحرك يا دنس تحرك يا خنس الاموات فلما رآه ابراهيم على مثل ذلك تعجب منه وتقدم اليه وقال له لاى شيء تفعل هكذا فقال له ذلك الرجل امضي الى حال سبيلك لانك لو نظرت كبيري ما كنت تركب هذه الركبه ولا تمشي هذه المشية فقال له كبيرك من فقال له كبيرى ابراهيم بن حسن الحوراني قال له وكيف اجتمعت عليه قال له لم اجتمع عليه ولكن انا شديت نفسي له على السيط والمدح ولا بدالك انت الآخر سمعت ما فعل المقدم ابراهيم فى رومة المدائن الكبرى ولكن الآن حصل لى اهانة لموت كبيرى المقدم ابراهيم بن حسن فعند ذلك تبسم المقدم ابراهيم و قال ها هوانا ابراهيم بن حسن الحوراني فقال له بالاسم الاعظم انت قال نعم و الاسم الاعظم هو انا فقال له القمح فى الجنة غالى والارخيص فقال له كل شيء فيها موجود ماهو غالى ولكن ما اسمك قال له انا اسمي على ابن الشباح ولي حكايه من العجب لو كتبت بروس الابر على اماقي البصر صارت عبرة لمن يعتبر وذلك ان ابى يقال له

حسن بن الشباح وعمي اخو ابى بقال محمد الشباح وعمي له بنت يقال لها صباح الشباحه وانا ابن عمها على الشباح وابى كان رجلا ذات مال ونوال وكان التجار يعرفونه فلما ان كبرت البنت وكبرت انا فقال ابى لعمي يا اخى مرادى ان ازوج ولدى بابنتك صباح ونفرح بالاثنين قبل ان يصيح علينا غراب البين فقال له عمى هو الصواب والامر الذي لا يعاب ولكن هؤلاء صغار فقال له ابى تكتب كتابهم على بعضهم ونتركهم يعمرون الاماكن ومتى ما ارادوا الدخول ببعضهم ادخلناهم فقال له افعل ما تريد فعند ذلك امهرها ابى وكتب كتابها على يد حضرة جمع من المسلمين والفقهاء واهل البلدة وبعد ذلك مكث ابى ستة اشهر وانتقل بالوفاة فعلمنا ما يلزم اليه الحال ودفناه فى هذه المقبرة وهى التى بها اهله واقاربه وبعد ذلك طلبت الدخول على زوجتى فقال لى عمى يا ابن اخى لا تتكلم بمثل هذا الكلام خوفا من ان الناس يقولوا لك انت فرحت فى موت ابيك وهى لك وانت لها على طول الزمان ولكن يا ولدى من الواجب ان تجعل مكانك ومكانى واحد فقلت له وهو كذلك ثم جمعت مالى ومال ابى والدفاتر وما دارت عليه يدى ونقلته فى بيت عمي واقمت عند عمى وقد مضى بعد ذلك مدة من الزمان فطلبت الدخول فمنعنى وصبرني من ذلك وقال لى يا ولدي لاى شيء نجعل لنا خدم وخدام وها انا وانت رجلا واحدا فالاولى انك يا ولدى تمسك المقشة وتكنس الحوش وتتسلى فى رشه وتوفر علينا اجرة الخادم ومؤنته لاننا اولى بها فقلت سمعا وطاعة ثم خلعت ملابسى وكنست ورشيت وثانى يوم ارسلني اتيت له بالخضار واللحمة وثالث يوم بقيت املا المالح وحلو واجيب الحطب والاخشاب الى الحريق واقمت على الحال ستة اشهر بالكمال وفى بعض الليالي قلت له يا عماه انى اريد الدخول ببنت عمي فقال لى استحى على عرضك يا قليل الادب ابوك مات وخلف ديون كثيرة والديون مطلوبة مني وما رأيت له شيء من المال فمن انت يا كلب الرجال حتى ازوجك صباح ذات الدلال ثم صاح فى وطردنى فاتيت بكل من كان حاضر مجلس العقد وسألتهم كلهم عن ذلك فقالوا الحق ما قاله عمك وانت الكذاب ثم انى قلت له لا يكون ذلك بدا ولم امكنك من ذلك حتى اشرب شراب الردى فعند

ذلك احضر جمعا من الناس وكتب كتاب البنت على رجل آخر وشهد القاضي بذلك وطردوني بعد ذلك بهذه الملابس الرثة وهذه الليلة دخلتها على زوجها فمن شدة ضيقتي اتيت الى هذه المقبرة حتى اتيت انت وسالتني اخبرتك وهذه حكايتي وماجرالي والسلام على نبي تظلله الغمام (قال الراوى) فلما ان سمع المقدم ابراهيم ذلك الكلام قال في نفسه هذه القصة تشابه قصتي ودعوته مثل دعوتي لكن لما من الله علي وظفرت بنا فلة لا بد ان اجتهد في خلاص زوجة هذا الرجل واخلصها من يد عمها قبل ان ادخل الى قلعتي ثم قال لعلي يا علي سير انت بهذه الملابس الى هناك واجلس في جملة العالم حتى تاتي الزفة بالبنت فانهض واقبض عليها ولا تدعها تخرج من يدك ابدا وقول لهم انا لم اسيبها الا على يد كبيري المقدم ابراهيم بن حسن الحوراني وانا في تلك الساعة اكون عندك واخلصها لك ان شاء الله تعالى فقال له على الشباح احلف لي يمين بالاسم الاعظم على ذلك فحلف له ففرح على بذلك وقبل يدا براهيم ومضى الى حال سبيله هذا والمقدم ابراهيم توجه بنا فله من جهة اخرى واتى الى مغارة في وسط الجبل فادخلها وترك عندها الحجرة وقال احترسي لنفسك من العدو فيها حتى اعود اليك فقالت له سمعا وطاعة ثم تركها ابراهيم وسار تابع اثر على ابن الشباح وهو ينشد ويقول

الهم في الدنيا كثير * والحظ ماله وقت معين

والبلا فيها غزير * وما احد فيها معين

(قال الراوى) فهذا ما كان من امر ابراهيم واما ما كان من امر على ابن الشباح فانه سار وهو فرحان بكلام ابراهيم و باجتماعه عليه وسار يجد المسير وهو ينشد الاشعار و يقول هذه الابيات

انا الذي كواني الغرام * وصرت معذبا دون الايام

وبعد عزي في دياري * شربت المر بكاس السقام

في زمن ابي كنت ارعى * رغيد العيش دلو الكرام

وزوجني صباح بنت عمي * ذات الدلال ودر اللثام

وأهانني عمى بمكره * وتركني خادمامع الخدام
ونهب جميع المال مني * وتركني مولها مستهام
وكتب كتابها لغيرى * وخالف شريعة رب الانام
فيارب انجزلي مطالبي * وانصرني يار باه على الخصام
انت القدير على ما تريد * وانت المسبب لكل الانام

(قال الروي) ثم ان على سار حتى وصل الى الدار وجلس هناك الى جانب المكان وما من الناس الحاضرين الا من يسبه و يلوم عليه و يقولون له ارحل عن هذا المكان لئلا يراك الخواجه فيقتلك شرها قتلة ومن اين لك القرابة بمثل هذه العصابة يامسكين ياذليل يا ندل ياعويل و يسمع منهم ذلك ولا يرد عليهم جواب ولا يبدى لهم خطاب ولم يزل جالس حتى اقبلت الزفة وفى وسطها البنت كانها كوكب تلعلع في السماء الصاحية ومع ذلك كله وهي تبكي شوقا لابن عمها ولا تريد غيره لنفسها وانما كان خوفها من ابيها ان يقتلها لانه رجل فاجر وعلى مثل ذلك قادر فبينما هي كذلك والزفة قد اقبلت واذا بعلى نهض على الاقدام كانه ذكر النمام وفرق الناس وهجم على البنت وقبض على يدها وقال هذه زوجتى وانا بعلها ولم اسيبها من يدى حتى اعمل دعوتها على يد كبيرى المقدم ابراهيم الحوراني فقال له رجل من الحاضرين استحى على عرضك ابراهيم صار عظمه مكاحل وان هو اتى الى هاهنا قتلناه ولا ابقينا عليك انت واياه فقال آخر هذا الغلام اخذه الجنون وقال آخر اضربوه فجاء ابوا العروسة وقال ما هذه الفعال ياكلب الرجال فلا كان ذلك بدا ومن انت حتى انى اناسب مثلك اواتقرب على شكك فلا كان ذلك ابدا وان لم تسب هذه البنت والا ارسلت الي حاكم البلدة يقتلك و يعمل على قتلك و يريحنا منك هنا وقد تكاثرت الرجال عليه ودار وامن حواليه ولا منهم الا من يسبه و يلعنه و يتكلم فى حق ابراهيم وحق الغلام فبينماهم كذلك واذا بزعقة دوى منها البر الاقفر والقائل يقول على رأسه حاس عنه يا قرون تروني البطل الاربع سبع حوران المقدم ابراهيم بن حسن الحوراني منذ ذلك تأخرت الرجال الى ورائها و بالت فى

سراو يلها وقال احدهم للآخر والله يا أخي ان الحق كله بيد هـذا الغلام وان عمه ظالم عليه لا محالة فقال الآخر وانا اعرف ذلك جيدا فقال الآخر انا نصحته مرارا فلم يقبل قولي هذا وابراهيم جلس على الدكة واجلس الغلام الى جانبه والعروسة الى جانب الغلام وتأخرت العالم عنهما ولم احد يقدر يتكلم بكلمة واحدة هذا وقد قال ابراهيم يا محمد يا شباح قال نعم قال هل تعرف هذا الغلام قال له نعم هو ابن اخي وانا عمه فقال له اين الدفاتر الذي لابوه والاسم الاعظم ان لم يحضروا في هذه الساعة والاعلوت رأسك محد هذا الحسام فعند ذلك طلع الى الدار واتى بالدفاتر على تمامها ثم جردوا ما فيها وأمر المقدم ابراهيم باحضاره فاحضروه في الحال وما غاب من مال ابي الغلام شي فقال ابراهيم اين الفقيه الذي كتب الكتاب والاسم الاعظم لا بد عن حضوره فاحضروه وكان اسمه الشيخ مرفع فقال له يا شيخ انت كتبت كتاب هذه البنت على غير هذا الشاب الذي هو ابن عمها فقال له يا سيدي وما اسمها قال اسمها صباح قال له اعلم ان العقد الذي عقدته على بنت يقال لها نزهة الارواح ولم اسمع بهذا الاسم الا منك في هذه الساعة وحيث اختلفت الاسماء وتغيرت ذات البنت ولم تكن هي نزهة الارواح فالعقد باطل لا محالة ومني عليك السلام ثم تركهم الفقيه ومضي الى حال سبيله فضحك عليه هذا وقد قال ابراهيم ابن حسن اين حاكم هذه البلدة فقالوا له في مكان كذا وكذا فقال ابراهيم احضروه الى بين يدي حتى اسأله فقالوا له انه لم يطيعنا فكتب تذكرة وختمها بختمه واعطاها الي علي ابن الشباح وقال له امضي الى هذا الخناس واعطيه تذكرتي وها انا في انتظارك فسار علي حتي وصل الى ديوان حاكم البلد ودخل عليه وناوله التذكرة ففضها وقراها واذا فيها خطاب من المقدم ابراهيم ابن حسن الحوراني خادم امير المؤمنين الى بين ايادي حاكم هذه البلدة القليل الادب والاسم الاعظم ان لم تحضر الي بين يدي في هذه الساعة حافي الاقدام عريان الراس لآتي اليك واخذ روحك من بين جنبيك والسلام على نبي تظلله الغمام فلما قرا الكتاب نهض على الاقدام وسار حافي الاقدام عريان الراس مكتوف اليدين حتي وصل الي بين ايادي البطل الهمام فلما رآه قبل يديه وقال له يا سيدي ما الذي تريد قال له اريد ان تشك نفسك في الحديد واخذك

معی الی مصر واقدمك الی ملك الدولة واعرض ظلمك عليه وامره بقتلك فقال له
ياسيدی انا فی عرضك فقال له يا كلب تبقی فی بلد مثل هذه البلدة ويفعلوا فيها مثل
هذه الفعال فوالله ماهذا شأن الاسلام فقال له ياسيدی العفو من شيم الكرام وهؤلاء
عقدين بالف لراسك يا ابوخليل فقال ابراهيم مقبول ولكن والاسم الاعظم اذا
كان يجرا امر من غير ذلك و يصل خبره الی لا بد لی عن قتلك بلا محالة ثم صاح فيه
وقال له امضی الی حال سبيلك فمضی من ساعته واخذ ابراهيم العقدين منه واعطاهم
الي علی ابن الشباح وقال له يا علی هذه زوجتك وهذا مالك فانهض وادخل بزوجتك
فی هذه الساعة وها انا ها هنا فقال له سمعا وطاعة واخذ زوجته ودخل بها فی
مكان وازال بكارتها فی ساعته هذه وتركها ونزل الی المقدم ابراهيم وقبل يده فقال له
ابراهيم يا علی امرتك ان تكشف عمك بيدك وتعقله حتی اضرب رأسه فقال له
علی ياسيداه العفو من شيم الكرام فقال ابراهيم والاسم الاعظم لا بد ما اعقله ثم
هجم عليه وادار كتافه المقدم ابراهيم وجرد شاكريته وقال لعلی خذ هذا الحسام
واضرب راس عمك فاخذ الحسام وقال له يا ابوخليل مرادی اتمنی عليك تمنية فقال
له تمنی فقال تمنيت علی الله وعلی جنابك العفو عن عمی فقال ابراهيم هكذا وانا
الآخر جعلته الآن من معاتيق سيفك ثم امره بحل كتافه فحله وقال ابراهيم لعمه
قم علی حيلك وقبل يد علی ابن اخيك وراسه ففعل ذلك ثم انه خزن مال ابيه عند
زوجته واوصاعليها وقال له ابراهيم خليك عند زوجتك يا ابن الشباح فقال له يا ابو
خليل كتب علی الله ان اكون خادم الحجرة حتی توارينی التراب ففرح ابراهيم
واخذه معه وتودع الغلام من زوجته وسار مع المقدم ابراهيم ابن حسن الحورانی
ومازالوا سائرين حتی اتوا الی المغارة التي فيها نافلة الحصون فدخل عليها المقدم
ابراهيم وسلم عليها فقبلت يده واجلسته وسلمت عليه وسالته عن ماجری فاعاد عليها
القصة من اولها الی آخرها ففرحت بذلك وسالها عن حالها وهل اتی اليها احد ام لا
فاخبرته بانه لم ياتی اليها احد فقال لها انی اريد المنام فالتی بالك مني حتی افيق ثم تجرد
من السلاح ونام فی تلك المغارة ونام علی باب الغار فبينما هما كذلك واذا باخواتها
داوود وشاهين قد اقبلوا من كبد البر يقتفون اثر نافلة الحصون وكانوا ثانی يوم

الصبح جلسوا ينتظرون محمد ابن كامل ان يخرج اليهم من عند زوجته نافلة فلم يخرج عليهم حتى تصاحى النهار فقال داوود ما الخبر فقال اخيه لا ادري فدخلوا الاثنين على تنهة الاصابة فراوا محمد كامل مشبوح على العمود ومضروب علقه جسيمة فسالوه عن ما جري فاعاد عليهم ما فعله ابراهيم ابن حسن من الاول الي الآخر وكيف اخذ نافلة ونزل بها من اعلا الاسوار وكيف ضربه في وطلب البراري والقفار فعند ذلك اغتاظوا الاثنين فضربوه كل واحد منهم علقة وبعد ذلك اطلقوه من الشباح واخذوه من العلقة واعطوه جواده وقالوا اسير الي الملك واعلمه بما رايت فركب ادهم ومصر طالب مصر فهذا ما كان منه واما ما كان من داوود وشاهين فانهم ساروا يقتفون اثر نافلة كما وصفنا حتى اشرفوا الى ذلك المكان وقدراتهم نافلة فركبت حجرة المقدم ابراهيم وتسلحت بسلاحه وضربت اللثام وقاطعت على الاثنين في البر الاقفر وصاحت عليهم بقلب اقوى من الحجر وقالت لهم الى اين يا فرون انتم تريدون فقالوا لها ومن انت ومن تكون قالت لهم انا سبع حوران انا عروس الميدان في نهار الطعان انا المقدم ابراهيم ابن حسن انا مبلي الاعادي بالمحن فلما ان سمعوا ذكر ابراهيم ابن حسن تزحزحت همتهم وارادوا الرجوع الي قلعتهم فلم تمكنهم نافلة من ذلك ابدا بل صاحت عليهم وقالت لهم جئتكم انتم الاثنين وانطبقت عليهم ومسكت الاول بيمينها والاخر بيسارها ورفست الاثنين بهمتها على زنودها وارمت الاول ذات اليمين والآخر ذات اليسار وقالت لهم اذهبوا من حيث اتيتم فها انا قد اخذت نافلة الحصون غصبا عنكم وتركتكم بالحياة لاجلها ولولا اعلم ان يصعب عليها لقتلتكم ثم تركتهم بهذه الحالة وعادت الى مكانها هذا وقد نهضوا الاثنين من على الارض وركبوا خيولهم وهم في اسوا الاحوال وقالوا لبعضهم هذه القضية ما لها الا ملك الاسلام ثم ساروا قاصدين مصر فهذا ما كان منه (قال الراوي) واما ما كان من ابراهيم فانه افاق من منامه فاعلمته بما فعلت مع اخواتها فشكرها الآخر على فعالها وركب هو واياها وسار بهم ابن الشباح الى قلعة حوران فدخلوا اليها واقاموا فيها وأمر المقدم براهيم لنافلة ان تطلع الي السراية فطلعت وأقام ابراهيم وقال اغلقوا باب القلعة وأقيموا الحصارات واقطعوا الطرقات عن المسير حتي يصل الخبر الي

ي ويأتي الى هنا فما بيني و بينه الا حرب يقد وطعن يصد الفرسان في
ه الميدان وحومة الميدان تظهر الشجاع من الجبان فنهاه ابوه فلم يقبل منه ابدا
هذا ما كان منه (قال الراوي) واما ما كان من امر الملك العادل فانه جالس في بعض
الايام والديوان متكامل بالرجال الافاضل واذا بمحمد ابن كامل المجام يقبل
الارض عليه وهو يقول نعام يا ملك الاسلام فقال الملك اهلا وسهلا وصلت المال
يا ابن كامل فقال له صل على النبي يا بعض شاه انا سافرت من عندك بالمال دخلت قلعة
مسياط اردت الراحة فيها فرأيت بنتا هناك خطبتها فزوجوني بها ودخلت عليها
فنزل على ابراهيم ابن حسن الحوراني وشبحني على العامود وضربني ضربا شديد
ما عليه من مزيد واخذ وجتي مني وسار بها الى الخلاء وقد اتيت اليك بعد ذلك
والسلام قال فلما سمع الملك ذلك قال لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم يحق لك ان
يطليش عقلك و يطير وعيك الم تعلم انه كبيرك وله عليك حق الربابة فقال له يا ملك
الاسلام والله ان هذا الكلام الذي ذكرته لك حقا وصدقا من غير زيادة ولا
نقصان فقال الملك هاتوا احد يدفاتوا بالحديد فشكه فيه وامر بوضعه مع سعد فارسلوه
الى عدة ثم بعد ذلك حضر داود وشاهين وهم يقولوا نعام يا امير المؤمنين مظلومين
قال الملك ومن ظلمكم قالوا له ابراهيم بن حسن اخذ اختنا نافلة وتحارب معنا
واهاننا قال الملك هاتوا الحديد لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وامرهم الى
هناك ثم ان الملك التفت الى الوزير وقال له والله يا وزيري ان موت ابراهيم جاء
فيه فتنة عظيمة لاذهاب عقول كل هؤلاء الرجال فقال الوزير كل شيء بقضاء الله
تعالى ثم ان الملك جعل يتعاطى لاحكام بالجد والانصاف واذا بالمقدم جمال الدين
شيحه قد اقبل عليه من باب الديوان فلما رآه الملك نهض له على الاقدام وسلم
عليه سلام الاحباب وسعى اليه سبع خطوات باربعة عشر قدم واخذه من تحت ابطه
واجلسه الى جانبه النبي فازمن صلى وسلم عليه ثم لما تهيأ الجلوس وراق الديوان قال الملك
يا اخويه يا جمال الدين قد جاء موت ابراهيم بن حسن الحوراني على
الرجال وقد اخذهم الجنان والخيال وقد ذهب عقل سعد ابن دبل وقال لي انني رايت
راس ابراهيم طارت لي الجو الاعلى ورجع بعد ذلك يقول لي انني رايته ياكل

كشك بفراخ فقال جمال الدين صدق سعد والاسم الاعظم فقال الملك لايش باخويه قال سعد صدق وصدق محمد ابن كامل وشاهين وكل هذا من فعال ابراهيم ابن حسن الحوراني ياملك الاسلام فقال الملك والله انت الآخر تحولت عقلي ولم ادري معني ذلك الكلام على اني اقول انك انت الاخر ذهب عقلك فقال يا اخي انت معذور ولكن اسالني عن السبب وانا اعلمك بكل عجب فقال له حدثني قبل ان يذهب عقلي فقال له المقدم جمال الدين اعلم ياملك الاسلام انا براهيم لما سافر الى رومة المدائن كنت حاضر معه وناظر ولما نهبوها وقتلوا الغول المهول كنت حاضر ولما قتلوا الجر كشي ونهبوا الاسواق كنت حاضر ناظر ولما لعبوا الملاعيب كنت حاضر ناظر ولما حلف ابراهيم ان يسافر في البر كنت حاضر ومامن وقعة الاوانا حاضر حتى وقعة الانجبار ياملك الاسلام فكل ماجرى لابراهيم كنت مشاهده وحاضره وقد سبق في كتاب اليونانو علمت ان ابراهيم يحصل له هذا الامر والشان وعلمت دواءه وبحثت على مايحتاج اليه وهو امر عجيب وذلك ان الله تبارك وتعالى خلق رجلا يقال له عبد المسيح وكان يحكم على سائر من يضرب الرمل ويخدم ارهاط الجن ياملك الاسلام وكان معه ولد يقال له عبد الصليب وعبد الصلب اعتراه مرض شديد فوصفوا له لحم الكلب فلما اكل منه ابراه الله تعالى فطلع ذلك الغلام آفة من الآفات وقد طلع يعشق البنات ويفسد بالنساء المخدرات ولا يرى بنت في البلد حتى يفتحها ولا ينظر الى امراة حتى يفسد بها على اى الحالات واهل البلد لم يقدروا يراجعوه خوفا من ابوه فيوم من بعض الايام نظر الى بنت فرآها ذات حسن وجمال وبهاء وكمال وقد واعتدال كما قال فيها الشاعر المفضال هذه الاقوال

عذرة بهية تفوق البدور * وتخجل الشمس عند التداني
مارأت الناظرون وجها كوجهها * ولا نهد ولاصدر مع يداني
ياهامن غزال سلبت عقل الورا * اذا مارآها العاشق الولهان
طاش منه العقل بعد السكون * وصار عقله متلبسا بجنان

اذا ارمت بسهم من لحاظ * تركت اهل الامان فى توهان
فالوصل منها يبرى لكل عليل * والهجر مااستثناه على انسان

(قال الراوى) ثم ان المقدم جمال الدين شيحه قال للملك الظاهر واعلم يااخى ان هذا عبد الصليب الكلبى لما راى ذلك البنت تعلق قلبه بحسنها وجمالها واراد ان يهجم عليها وياخذها من دادتها فقالوا له تاخر يا عبد الصليب ان هذه ابنة وزير كبير المسلمين بحر اسحر فلما سمع الغلام ذلك الكلام قال انا اكرمتها لاجل ابوها ثم ان الغلام سار خلفها وتبع آثارها حتى عرف بيتها وكانوا الدادات بالهم معه فاعادوا الامر على ابوها فلما سمع بحر اسحر ذلك طلع الى الديوان فرأى الغلام هناك فشكاه لابيه وقال له يا ملك الامر ابنك يبعد عن فليوتي ويكرمها لاجلى فقال له عبد المسيح ياولدى لا تقرب بنت الوزير فقال له الغلام نو يا بوياهى بنت حلوه وانا جبارى طار على واعمل ايش بقا انا لم ارجع عنها ابدا فقال ابوه للوزير ياوزير اذا اتى هذا الغلام الى بيتك اقتله ولا تبالى من احدفها انا قد امرتك بذلك قال وكان قصد الملك بذلك تهذيب اخلاق ولده ويريد تخوفه واما الوزير فانه اخذ الكلام على ظاهره واسر ذلك فى نفسه والغلام حمله الهوى والهيام على انه يذهب بيت الوزير ففتح الباب ودخل من غير استئذان ولا جواب فلما صعد رأس المكان رآه الوزير عيار فاتى اليه وقبض عليه وادار كتافه وربطه ربطا وثيقا واتاه بعصا ثقيلة من خشب الآبنوس لها راس كراس الدبوس ومازال يضربه على راسه وجثته حتى قطع نخاعه ولم يبقى فيه حركة واحدة ابدا ثم وضعه فى فرد من الخوص وخيط عليه وارماه ليلا فى الخلوات وقد هدى نار قلبه منه (ياساده) ولما ان اصبح الله بالصباح واضاء الكريم بنوره ولاح جلس الملك عبد المسيح على كرسى مملكته واحدقت حواليه رجال مملكته وجاء الوزير جلس على كرسى مرتبته وهو لا يبدى كلام فبينما الملك جالس واذا باربعة صيادين داخلين عليه بذلك الفرد الذى فيه الغلام ثم خدموا وترجموا وقالوا ياملك احنا صيادين خرجنا نصطاد فى ذلك البر فوجدنا ذلك الفرد مخيط ففتحناه وتاملنا ما فيه واذا هو

ولدك عبد الصليب الـكلبي فقلنا لعفلنا نوديه لابيه فاتينا اليك وها هو بين يديك فانظر في امرك شكر يامسيح والسلام (قال الراوى) فلما ان سمع الملك ذلك علم انه ما فعل ذلك بولده الا الوز يرنجرا سحرفالتفت اليه وقال له يا كناس يا قيقان ياهبلار يامقطوع النخاع والزنارا ناقلت لك اقتله عن حقيق والامرادى اخوفه واهذب اخلاقه لاجل ان يمتنع من السنت وكيف تـكون وزير ولم انت بالتدبير خبير فقال له كلام الملوك تمام فقال له يا كلب اكلب انالم يرزقني المسيح بغلام غيره وماعندي الا هو فـكيف انت تحسرني عليه ثم ان الملك جرد الحسام وضرب الوزير على عاتقه فوقع الوزير قتيل وفي دماه جديل هذا والملك جعل يلطم على وجهه و يندب ولده حتى حضرت بين يديه الحـكماء والفلاسفة والاطباء وارباب الرمل والاقلام واهل الخابر وصبروا الملك عن البكا واخرجوا الغلام من الفرد وجسوا نبضـه فراوا فيـه عروق تشيل وتحط ففرحوا بذلك جميعا وقالوا له ان هذا الغـلام يرجى و يطيب فقـال لهـم افعـلوا ما بدا لـكم فعند ذلك ارسلوا الاعوان اتو اليهم بطين من قاع البحر المالح واصطنعوا له صندوق على قدره طولا وعرضا فجردوا الغـلام من ملابسه وكان هؤلاء واحد وستون كهين وكل كهين عمل فيه عملا منهم من اصطنع له طين الحكمة ومنهم من اصطنع له حب يا كل منه المريض و يشرب ووكل به خدام على اشخاص من نحاس اصفر من الميعاد للميعاد تلبسهم الاسماء الروحانيـة فالذى معاه الحب يسقط في فم العليل حبة فهي تغذيه والثاني يسقط حبة اخرى في فيه ترويه من الوقت لمثله لانه لا يا كل ولا يشرب مادام داخل الصندوق ومنهم من اصطنع فيه نسمات مثل نسمات الارياح ومنهم من اصطنع جناين ومياه بعلوم الاقلام ومنهم من اصطنع آلات وكمنجات فاذا كان فيه العليل لا يحصل له زعل ولا احترار فاذا جفت الجروح وطاب العليل ضربت تلك الآلات والطبول والانقره والزمور وكل واحد منهم اصطنع فيه على قدر ما يقدر عليه من الاعمال فلما ان تـكامل ذلك الصندوق جردوا ملابس الغلام وارادوا يدخلوه في ذلك الصندوق فرأوه قدمات وانتصلت ايامه وفات فصعب عليهم ذلك الاعمال فاراد الله تعالى ان يجري على لسان

ذلك الملك السؤال فسألهم الملك عن ذلك وقال لهم يا حكماء الزمان وهل بقي ينفع ذلك الصندوق ام لا فقالوا له حتى نضرب الرمل ونحققه ثم ضربوه وحققوه وبينوا اشكاله واستنطقوه فظهر لهم الحال وانكشف لهم ضمير السؤال فقالوا يا ملك اعلم ان هذا الصندوق ينفع لرجل مجاهد فى آخر الزمان يقال له ابراهيم ابن حسن الحوراني وذلك انه يأتى فى آخر الزمان نبى يقال له محمد بن عبد الله قرشى النسب ويتناسل منه اشراف وهذا الفتى من جملة الطلاب الا انه شجاع وقرم منام ويكون الحاكم عليه من الرجال في ذلك الزمان رجل يقال له شيحه جمال الدين صاحب حيل وخداع ويحفظ على ظهر قلبه تاريخ اليونان وحكمة اهل زمان يكون شفاء هذا الرجل على يده لان الملك الكبير يرسله الي رومة المدائن فينكبها ويأخذ مالها ويسير فى البر بهذا المال فيحارب اهل ملة الكرستان حتى يأتي الى حلزون الانجبار فتجتمع عليه ستة وثلاثين كره برجالها وستايرها وخدامها وسلاحها وخيولها ويحاربوه ليلا ونهارا وهو منفرد لوحده ولا يقصر على القتال الا بعد اخذ المال فلما ان سمع الملك من الحكماء ذلك المقال انطقه ذوا الجلال لان من الجابزان الله تعالى يجعل نجاة الشخص على يد عدوه فقال الملك وحق المسيح ان هذا خسارة فى الموت لان الحكماء ذكروا له انه اذا رأى المال وقد اخذوه الكفار يقع تحت سنابك الخيال فيشطبوه بالجراح فقال الملك لا بد اننا نجتهد مع هذا الرجل ونجعل ذلك الصندوق برى ونقرنه باعه ثم ادخلوا فيه الاشخاص والقطن والحبوب وما يلزم اليه الحال واغلقوا ذلك الصندوق يا ملك الاسلام وقالوا ومن الذى يقدر ان تحمل هذا الصندوق ويرفعه من الارض ومن يعلم به شيحه فقال الملك نوكل به اربعة اعوان ونصطنع له لوح من الرصاص ونكتب عليه اسماء وطلاسم ونجعل له مسمار رفيع مكتوب ايضا ونرصد الصندوق على اللوح فاذا انتقل اللوح ينتقل وراه الصندوق فعملوا ذلك ووكلوا باللوح رهطا من الجان ووكلوا بالصندوق اثنين من الاربعة ووكلوا الرهط الرابع بالمقدم جمال الدين شيحه وقالوا له اذا تداولت الايام واتت الوقعة على جسر الانجبار لا بد انك تصيح على جمال الدين

شيحه وتقول له سيرالي الغار الفلانى وادخل وخذ حكمة اهل زمان ثم تدله على ذلك الصندوق فاذا رآه عرف المعنى لانه يحفظ تاريخ اليونان وبه يظهر له كل شيء وبيان ثم انهم علقوا ذلك اللوح فى مكان قريب من الانجبار وهو كهف فى وسط الجبل داخل مغار وقالوا للخدام لا تدعوا احدا يدخله الا صاحب هذه الاثار (ياساده) فلما آن الاوان وظهر النبي عليه افضل الصلاة واتم السلام وتناسلت الاشراف وظهر ابراهيم وسار الي رومة المدائن وجرا الدم كما قدمنا ذكره وعاد الى الانجبار الي ان كانت تلك الليلة التى وقع فيها ابراهيم صاح على الرهط يا ملك الاسلام واخذنى ودلنى على الكهف والغار فدخلت اليه وتليت تاريخ اليونان وحكمة اهل زمان فدلنى الخدام على كل ما افعله فصبرت الليل ودخلت العركة واخرجت ابراهيم وهو كامل الاعضاء والاوصال غير انه متشطب بالجراحات فى سائر جسده واما ما ذكر من سعد من كون انه رأى رأسه طائرة الى الجو الاعلى فهذا عايق يا ملك الاسلام قد ارسله جوان لهلاك ابراهيم ابن حسن واعاد عليه قصة العايق هذا والملك يسمع ويتعجب ويقول لجمال الدين شيحه وماذا جري بعد ذلك يا اخي فقال له يا ملك الاسلام فاخذته وجردته من ثيابه وكان جوفه خالى من الطعام فدهنت جراحاته ولصقت القطعة عليه وجعلت كل رجل خدمته واغلقت عليه الصندوق ودورت على حجرته حتى وجدتها فجعلتها فى مغار اعرف معناه وعدت الى مكان الواقعة فوجدت جوان امر برفع القتلا وفتح الدكاكين خوفا منك فاخذت دكان وحملت نطاطري فجئت انت وسعد ورأيت الصندوق بعينك ولما جلس سعد الي جانبك وذكر ماجرا رد عليه ابراهيم بن حسن من داخل الصندوق وقال له انا طيب يا سعد المال مئة واربعين خزنة الانصف فقال الملك والله يا اخو يا لقد صدقت لانني سمعت ذلك بأذني وقال لى سعد هذا عفريته قد ظهر ودخلت انت علينا بعد ذلك فسينا هذا الامر واشغلتنا انت ثم ماجرى بعدها فقال له ثم اني يا ملك الاسلام اخبرتك عن اللغم الذى عمله جوان وقلت لسعد ائتيني بفاطمة الحورانية فلما اتت الى اعطيناها البدلة والحجرة والسلاح وجميع ما كان لاحيها وقلت لها خذى هذا اللوح وعلقيه في قاعة ابراهيم ابن حسن الحورانى

محل ما كان ينام فتري ذلك الصندوق جاء الى تحت اللوح فلا احد منكم يفتحه ابدا
لان فيه روحي القديمة وما تفتحوه الا بعد ان تسمعوا آلات تضرب و بيارق تخفق
وطبول وزمور فاجابت بالسمع والطاعة وسارت يا ملك الاسلام من تلك الساعة
فلما ان كان في بعض الايام جلست امه تبكي عليه فرد عليها من داخل الصندوق
فذهبت الى ابيه وقالت له عفريت الوليد طلع فاقبل الي الصندوق وسمع كلام
ولده فلما سمع ذلك ضرب الغطا وفتح الصندوق ففرح به واخرجه وقال له ماتا كل
قال له كشك بصوصان فطبخ له الكشك وجعله بين يديه فجا سعد في تلك الساعة
ورآه ففرح واتى اليك ليبشرك بذلك فاثبت جنانه وبعد ان اكل الكشك تفتحت
الجراحات عن آخرها وسقط ابراهيم الي الارض فقال ابوه حكيم يا رجال فاتوا
اليه بالحكيم ورفيقه وكان هذا الحكيم جوان والبرتقش فاراد جوان ان يسم ابراهيم
فادركته وعنه منعته وامرت بحبسه وعالجت ابراهيم حتى اتى الى الصندوق اعدته
وتركته من تلك المدة وقد اوصيتهم عليه الى ان آن الاوان وارسلت انت ابن
كامل فسار بالمال وخطب نافلة الحصون وجري ما قد مناذكره واخذها
ابراهيم وجاء ابن كامل يشتكي اليك فاثبت على جنانه وكذلك داوود وشاهين
اثبت ايضا على جنانهم وامر بحبسهم الى ان حضرت انا وسألتني اخبرتك وهذه
القصة التي جرت والامور التي تدبرت يا ملك الاسلام وحق الملك العلام واعلم
يا ظاهر الا ن في قلعة حوران عاصي علي وعليك فحضر نفسك وسير بنا اليه
في ركبة حتي تشاهد بعينيك وتسمع باذنيك والسلام على نبي تظلله الغمام

(قال الراوى) ثم ان المقدم جمال الدين شيحه قال للملك اجمع الرجال وسير الى
حوران وانا آتي اليك ولا يكون الا خير ان شاء الله وانصرف المقدم جمال الدين
شيحه من وقته وساعته فهذا ما كان منه

(قال الراوي) واما ما كان من الملك فانه امر بفك المقدم سعد وابن كامل
والمسايطه من الحديد وضمنهم الي الرجال وامر الرجال باخذ الاهبة للرحيل
و برز ثلاثة أيام وارتحل في عساكره بعد ان ركب في ملك مصر وقد شاعت
الاخبار في اهل البلد بان الملك العادل يريد الركوب على قلعة حوران لان ابراهيم

عصي عليه قال واحد منهم ابراهيم شاعت عنه الاخبار بانه مات فى الانجبار فقال الآخر والله يا أخى انه لم يموت الا الناس الفقر الان هؤلاء الملوك عندهم ماء الحياء وقال الآخر بطول شيحه ما هو موجود لم يموت احد من الدوله الظاهر به ابدا لانه يطبخ الرجال وكثرت اقاويل العالم فى ذلك واخذ الملك الدعا من سائر الناس الى ان تبطن فى الخلوات والقفار ولم يزل كذلك بالرجال حتي انه حط على قلعه حوران واحطاط بها كما يحتاط النيل بالبلاد أو البياض بالسواد ولما ان وصل اليها خرجت عليه جل المدافع فحط الملك على حدرمى النار وقال الملك حقيقة ان كلام خويا والرجال صحيح ولكن ماذا أصنع ياوزيرى قال الوزير اكتب له كتاب وانظر ماذا يكون الخطاب فكتب الملك الكتاب وقال ياوزيري من يروح بالكتاب اليه فقال الوزير ارسل اليه سعد بن دبل فقال الملك ياسعد قال نعم قال له خذ هذا الكتاب وامضي الى ابن خالتك وائتيني من عنده برد الجواب فقال سمعا وطاعة واخذ الكتاب وسار به الي ان وصل الى القلعة وطرق الباب فتصايحت الفقراء وقالوا من بالباب فقال انا سعد بن دبل معي كتاب الي وليد الخاله فاستاذنوا عليه فاذن لهم فى دخوله ففتحوا الباب فدخل سعد وسار الي ان اقبل الى الديوان فوجد ابراهيم جالس بين الرجال فصاح عليه وقال قاصد ورسول وما على الرسول الا البلاغ بدين النبي العربى امير النحل قم على حيلك بادب وخذ الكتاب بادب وتردلى رد الكتاب بادب وتعطيني حق الطريق بادب حتى امضي من قدامك بادب فقال ابراهيم سمعا وطاعة ياسعد ومد يده سعد بالكتاب وابراهيم قبض على زند سعد كادان يملخه من كتفه فقال سعد ولاى شيء فعلت ذلك فقال له اصبر ياسعد حتى اعطيك حق الطريق فقال سعد وقد عرف اشارة المعين الله يبرى الذمه يا ابن خالتى فقال له اصبر وفض الكتاب وقراه وهو قابض على سعد واذا فيه الصلاة والسلام على سيد السادات وصاحب المعجزات خطابا من الملك العادل الى بين ايادي أعز الاحباب يا بو خليل ما الذى فعلناه معك من السيئات حتى انك تعصي علينا وتحاربنا وكلنا مسلمين فحال حضور سعد الى بين يديك تحضر الى عندنا الذى لك تأخذه والذى عليك تحطه وتصفى

القلوب ولم تكن لك الاما يبر خاطرك والسلام على نبي تظلله الغمام فلما ان قرا الكتاب تبسم وقال يا سعد الملك لم تكلم بكلام معيب ابدا ولاى شيء انت تتكلم بهذا الكلام من اخذك الجنان ام طاش عقلك ام ظننت انى انا البب رومان فقال له الحق عندى يا ابن خالتى فقال لا بد من حق الطريق ثم امه كتفه على العامود وقال له ان صححت قتلتك ياسعد ثم ضربه بالشا كربة صفحا ثمانين وقال له هل تريد غير ذلك قال يكفى يا وليد الخالة ففكه وقال له اعلم ياسعد انى عملت سلطان مصر والشام وار يدان اعملك سلطان القلاع والحصون فقال سعد انا اكون سلطان مصر والشام فقال لا ياسعد ثم البسه القفطان وجلسوا مع بعضهم البعض هذا والملك قعد منتظر رد الجواب وسعد فما اتاه رد الجواب فقال ياوزيرى ما الخبر فقال الوزير العلم عند الله ان ابراهيم اخذ سلطنة مصر والشام والبس سعد سلطان القلاعين والحصونين وعز لوكان انت واخوك ياملك الاسلام وسوف يظهر لك صحة قولى (ياساده) فبينما الملك جالس واذا بابواب القلعة فتحت ونزل المقدم ابراهيم بن حسن الميدان وقال مافى الميدان الاملك مصر والشام وسائر بلاد الاسلام فلما سمع الملك الظاهر ذلك الكلام تغير كيانه وقال الملك ياامير ايدمر يلبهلوان قال نعم يابعض شاه قال له امرتك ان تنزل الميدان وتقابل سبع حوران فقال ايدمر استغفر الله ياملك الاسلام والاسم الاعظم لم انزل ابدا الى الميدان ولا اقيم فى وجه سيدى ابراهيم حسام ولا حربه ولا سنان ولا اتكلم فيه قط بكلام لانه ياملك الاسلام كان ظهرى وعزي وذخرى وفعل معي من الجميل مالا اقدر على مكافأته بطول عمرى الم تدرى ياملك الاسلام انه قال لى في وداعة الله يارفيق الهنا وكم تحمل من اجلى من المشقة والعنا فانا خادمه على طول الليالى والايام ومطيعا لامره فى جميع الاقوال والاحكام لوأمرنى ان اقتل نفسي لفعلت ذلك ياملك الاسلام لان المعروف عند الحردين وقد قال القائل في المعنى هذين البيتين

جزا الله الشدائد كل خير * لانها حكمت بافراجى وضيقى
وما مدحى لها طربا وشوقا * ولكنها عرفتنى عدوى من صديقى

قال فلما سمع الملك ذلك شكر أ يدمر على فعاله وما كان من اعماله ثم قال الملك ابرزوا ياعصبة الاسلام فبرزت له الرجال فاسر خمسة من الامارة ودقوا طبول الانفصال فرجع ابراهيم بن حسن وقال حاش الله ا كبرما في الميدان الا سلطان القلاع والحصون ياطلابه فتعجب الملك من ذلك ونزل له فارس من الرجال فاسره والثانى والثالث والرابع حتى اسر خمسة من الفداويه وعاد آخر النهار وكان صفة حربه فى الميدان انه كان يقف فى الميدان ويطلب الفرسان فاذا نزل اليه الفارس وهو على جواده التقى سعد الى خلفه وركب على عقب الجواد الذى للفارس ووضع الخنجر على قفا الفارس وقال تسوق الجواد والا اسوق انا فيخاف الفارس فيسوق الجواد حتى يصل الى القلعة فيقبضوه وهكذا الى آخر النهار (ياسادة) ياكرام ولما ان جن الليل بالاعتكار وجلس المقدم ابراهيم هو وسعد واكابر الدولة وحضر الكاس والطاس وجعلوا يشربون الخمر الى ان غيبوا البر ثم ان المقدم سعد قام يزيل الضروره فاخذ الشمعدان وسار نحو بيت الخلا وجلس واذا بورقة سقطت اليه من الاعلى للادنى ففضها وقرأها واذا فيها خطاب من سلطان القلاع القديم الى بين ايادى سلطان القلاعين الجديد والاسم الاعظم الاكرم الامجد ان لم تقبض على ابن خالتك وتأتى به الى عندى والا سلخت جلدك بيدى وهذا اقرص بنج داخل التذكرة والسلام على نبى تظلله الغمام (قال الراوى) فلما ان قرأ سعد الكتاب فرح فرحا عظيم وقال لا بدلى من القبض على ابراهيم فى هذه الليله ثم نهض من المرحاض واتى الى عند ابراهيم فتأمل الى سعد فعرف الغدر من عينه وقال فى نفسه لا بد ان اضمر له ضمير الغدر واذا كان كذلك فيكون هذا شغل النصير ولكن خذ حذرك منه ثم انهما جعلوا يشربون الراح بالاقداح حتى غالط سعد والقى القرص البنج فى الكاس وناوله الى ابراهيم وقال له خذ يا ابن حسن ياسلطان مصر والشام قال له ابراهيم هذا الكاس لرأسك ياملك القلاع والحصون قال سعد هذا دورك ولم يصح اننا نخالف الدور قال ابراهيم نعيد الحساب من الاول وانت تشرب هذا الكاس قال سعد أقول لك الحق قال نعم قال هذا الكاس مبنج قال له ولاى شيء فعلت ذلك ياسعد قال له هذا ماهو بامرى ولكن امرنى بذلك المقدم جمال الدين

شيحه فعند ذلك تغير كيانه وقال له اقبض العامود وضرب سعد العلقه وأخذ نافلة الحصون واردفها خلف جواده وترك القلعة وسار طالب الخلوات وقال فى نفسه اترك هذه الديار حيث قد حل فيها قدم القصير فهى له وتركها وسار فهذا ما كان من امر ابراهيم (قال الراوي) واما ما كان من امر الملك العادل فانه لما ان اصبح الله بالصباح جلس فى صيوانه وقد احدقت حواليه سائر اقرانه واراد ان يامر بالميدان واذا بابواب القلعة فتحت وخرجت منها الرجال المأسورين وعليها الكساوى وهم راكبين على الخيول الموسومه ومقدمهم المقدم حسن الحورانى ومازالوا سائرين حتى اقبلوا عند الملك العادل وتقدم المقدم حسن وقال نعم ياامير المؤمنين

العبد اسير وقد عاد معتذرا * والذنب من نفسه بدا جوهرا
وقدقرانا فى الكتاب المبين * لولا الذنوب ما كانت المغفرا

قال الملك ما الخبر قال له ياملك الاسلام ان هذه الفعال لم تكن بارادتى ولا بمرادى بل كانت فعال ولدي وها هو قد ترك القلعة وهرب منها واخذ نافلة الحصون معه وسار بعد ان ضرب سعد علقة كبيرة ولما ان فعل ذلك الفعال فتحت انا ابواب القلعة واطلقت سعد والماسورين واتيت بهم الي عندك والسلام على نبى نظلله الغمام قال فلما سمع الملك ذلك الكلام تعجب وتحير ولم يدرى الي اين يذهب فبينما الملك كذلك واذا بالمقدم جمال الدين شيحه قد أقبل وسلم على الملك فقام له وتلقاه واكرمه وحيا مثواه واعاد عليه القصة من اولها الى آخرها وكشف له عن باطنها وظاهرها قال له ياملك الاسلام انا اعلم انا قابل على ايش مع ابراهيم بن حسن وانت خليك جالس هاهنا حتى آتى اليك او تأتيك على عنى الاخبار من السفار ثم تودع شيحه من الملك وسار طالب القفار فهذا ما كان منه (قال الراوى) واما ما كان من ابراهيم بن حسن فانه سار طالب الخلوات الى ان وقت الظهر فنزل فى مغار يكسر فيه القيلوله فما استقر به الجلوس الى ان حضر بين يديه جوان والبرتقش الخوان قال له نعم يا ابو اخليل قال له اهلا ومرحبا بالشيخ جوان قال له بلغني انك هربت من حورن وانت الآن غضبان وحردن قال قال له سيرمعي ولا تبالى بكل من فى

الارض ثم انه اخذ هو سار ولم يزل سائر الى ان وصلوا الى طرابلس الشام وكان بها ملك من الملوك الذين كانوا مسجونين عند الملك فبينما هو كذلك واذا بجوان دخل عليه ونافله الحصون فلما رآه قام له وقبل يده واجلسه واكرمه غاية الاكرام قال له انظر ياملك هذا ابراهيم بن حسن الحوراني ومراده يعصى في قلعتك و يحارب رين المسلمين فلما ان سمع الملك ذلك قال له لا كان ذلك ابدا ولم أعصى ولا احارب ويكفي ماقد جرى ياعالم الملة قال له ابراهيم لا تخاف والاسم الاعظم الاكرم الاتجدانا انا اصطلحت مع الملك لم يجري عليك شيء ابدا ولم تنهب بلدك ولا ياخذ منك ولا نصف فضة واحد وكلفة الركبة على انا وهذا خطي وختمي يشهد على بذلك فاطمأن قلب الملك بذلك واغواه جوان فقبل ثم انه امر بطلوع نافلة الحصون الى السراية فاطلعوها وجلس ابراهيم وامر بغلق ابواب قلعة طرابلس فاغلقوها واقاموا الحصارات وكل هذا بامر جوان لان جوان كان في حوران مسجون كما ذكرنا ولما ان هرب ابراهيم اخرج جوان من السجن لاجل ان يدبره على ما يريد وهذا اقوى الاقوال هذا وقد تحاصرت قلعة طرابلس الشام وانقطعت الاسفار وكثر النهب في سائر الاقطار (ياسادة) وقد عبر المقدم جمال الدين شيحه الى ذلك المكان فوجده حصار كما ذكرنا فسأل عن الخبر من بعض العربان فاخبروه بان الملك البرتر عصي على السلطان ومعه المقدم ابراهيم وجوان (قال الراوى) فلما ان سمع الملك الكلام اقام في تلك البرية وجعل يدبر نفسه في حيلة يدخل بها الى القلعة لانها حصار وهي مغلقة الابواب والاصوار محصنة بالرجال ولم يزل سائر حتى اقبل الليل بالاعتكار فبينما متفكر هو في امره واذا ببغال قد اقبلت من البر عليهم براميل الخمر فلما ان رآهم المقدم جمال الدين شيحه عرف ان هذا الخمر للملك البرتر فعارضهم في وسط الطريق وجعل يعربر عليهم ويقول لهم يا كناسات قد ابطيتم على الملك البرتر وانتم تعلموا انه ما ارسلكم الا على سبيل العجلة وقد ارسلني في طلبكم لآخذ اخباركم قالوا والله نحن ماعندنا ذنب ولكن الذنب على عبد الصليب الخرجي الذي اعاقنا الي هذه الساعة لاننا ما راينا البراميل حاضره بل صبرنا حتي ملاهم لنا واتينابهم قال لهم لا تخافوا فانا اشفع

لكم عند الملك لانه لا يخالفني فحملوا قوله على سبيل الصدق وطرقوا البـاب فصاحوا عليهم الحراس وقالوا من انتم قالوا لهم نحن المكارى اتينـا للملك بالخمر من عند عبد الصـليب ففتحوا لهـم باب المدينة فاول من عبر كان المقدم جمـال الدين شيحه فلما ان صار داخل البلد سار فى مقدمة المـكارى حتى عبروا من باب الديوان فسبق المقدم جمال الدين شيحه الي عند الملك وقال له ايدك المسيح بالنصر المليح ها انا قد ارسلني اخوي يا عبد الصليب مع المكارى بالخمر فترحب به الملك البرتروا كرمه غاية الاكرام وكان الملك البرتر يظن ان هذا اخوا عبد الصليب الخمورجى والقوم تظنون ان هذا من بعض خواص الملك (ياساده) ولم يزل جمال الدين شيحه يتقرب الى الملك حتي صار بين يديه فى جملة الخواص هذا وقد اقبل الليل بالاعتكار واتوا بالخمر العقار وجلس ابراهيم وجوان والبرتروالوزير والبرتقش وجعلوا يشربون الخمر حتى غيبوا البرفعند ذلك قامت عيني جوان فى وسط راسه وتقطعت اعضاءه وارتعد ورفت عيناه فتامل من حوله فراى ذلك البطريق القصير كانه البدر المنير فقام جوان على اقدامه وسار بين الرجال وجذب البطريق بين ايادي الحاضرين هذا والبطريق قد تكلم بالرومى وهو يقول لاى شيء تفعل ذلك يا عالم الملة المسيحية قال له جوان يا كناس تعمل هذه الامور على وانا مربيك بدينك ونبيك وما لعبد من بقينك من انت فعند ذلك تبسم جمال الدين شـيحه وقال له يا كلب الكلاب اقبض وافعل خلاصك ها انا المقدم جمال الدين شيحه وشرط الطـير الحر اذا وقع لا يتلعبط فلما ان سـمع ذلك الكلام فرح جوان ورقص وكذلك ابراهيم وصاح جوان هذا الاسلام كله ثم صاح بالبطارقه وقال لهم هاتوا حديد فاتوا اليه به فحددوه وسلمه جوان الى ابراهيم بن حسن الحورانى وقال له خذ هذا اكبر اعداءك يا بو خليل فاستلمه المقدم ابراهيم واخـذه وسار به الى السرايه وصاح يا نافلة الحصون فأجابته بقولها نعم يا نور العيون فقال لها خـذى القصير عندك حتى اطلبه منك واحرصي عليه غاية الاحتراس لانه من ارباب الحيل والكباير والمناصب فقالت له سمعا وطاعة ثم ناولها اياه ونزل من ساعته الي جوان وانعكف معه على الخمر العقار هذا وشيحه يقول

وحقه لاسلمت لامره * فى كل معسرة وضيق خناق
موسي وابراهيم لما سلما * سلما من الاغراق والاحراق

(قال الراوي) فهذا ما كان من امر شيحه واما ما كان من امر ابراهيم بن حسن فانه مازال مع اللعين جوان حتى انه غيب عقله واذهب لبه ووعيه وقال له يا بوخليل والي متى وانت تارك هذا القرنان فان طاوعتنى فى قولي فأتى به الينا الان وكل حظنا بهلاكه ودعنا نسقيه شراب الهوان فقال له المقدم ابراهيم بن حسن وهو غايب عن الرشاد لقد قلت الصواب والامر الذي لا يعاب يا شيخ جوان ثم سار ابراهيم الي السرايه وصاح بنا فله فأجابته فقال لها هاتى القيصير فناولته اياه فاخذه وسار به الى هؤلاء الكلام فقال جوان يا كلب المسلمين كيف وجدت نفسك وانت فى ايدينا فلم يرد عليه جواب ولم يبدى لاحد منهم خطاب وكل هذه اسباب فسبحان مسبب لاسباب (يا ساده) ثم ان جوان اقبل بحبل فكه من على وسطه وجعله فى عنقه وقال لابراهيم خذ بطرف الحبل فمسك طرفه الاول وجوان مسك طرفه الثانى وكل واحد منهم جذب الحبل اليه حتى طقت الجوزه من شدة الجذب وخرجت عينى شيحه من وجهه ومات لوقته وساعته فامر جوان بعد ذلك بان يصلبوه على باب القلعه ففعلوا ما امر به عالم الملة وصلبوا شيحه على اعلا الجدران قال البرتقش لجوان لاى شيء فعلت ذلك الفعال فقال له لاجل ان تشيع الاخبار و يعدى رين المسلمين ليأتى الي هذه الديار ليقتل ابراهيم ويخرب هذه البلد و يقتل ملكها و يهلك من فيها من الكفار وارحل انا وانت بعد ذلك الا نام ولم بقيت ابالى بعد قتل هدا الغدار لاني علمت انه قد خرب تاريخ اليونان وحكمة أهل زمان والسلامة (يا ساده) ولم يزل ابراهيم فى سكرته حتى فرغت ليلته ولما ان كان الصباح وعقل ابراهيم على نفسه فخطر بباله ماقد جرى منه فى امسه فتنهد وتصعد وتندم حيث لا ينفعه الندم وقال لعن الله الكفار ما كان اقبح مشورتهم فيا ليتنى كنت له الفدا وكيف اقول بين يدا الله تعالى بعد ان قتلت بيدي نفسا حرم الله قتلها الا بالحق فيا فضيحتى و يا ندامتى على فعالي وذلتى ثم انه انشد جعل يقول

لقد لعب الزمان بمهجتى * واركبنى ذنبا عظيما وذلتى

اطعت اللئام فاوقعوني * فياذلي ويا اسفي ويا حسرتي
قتلت مليكا ليس بوجد مثله * له على جميلا ومعزتي
وداواني واحماني من العدا * وعدت سليما بعد سقم ومضرتي
وكم اعطاني من نعايم وذخاير * وكم وهبني مالا جزيلا ونعمتي
وكم طالت يداه الي بالعطا * وكم تجاوز عن نهبي وفعلتي
اغراني جوان اللئيم بمكره * حتي عملت الغدر في اعز رفقتي
فلعن الله الكافرين بجمعهم * وبلاهمو بكل داء وعلة
فلاخير في الدنيا ولا في نعيمها * اذ هي فرقت بين الاحبة
فيا اسفي عليه مدا المدا * ويا طول نوحي بكرة وعشية

(قال الراوى) فلما فرغ ابراهيم من انشاده وماقاله من اقواله بكى بكاء شديدا ندما عليه من مزيد ونأسف وقال لاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ولكن يا ابراهيم لم بقي يفيد من هذا شيء وان الظاهر لم بقي يبقى عليك ولا على اولاد اسماعيل ابدا ومافي الامر الا انني انا الآخر احاصر واحارب حتي يحكم الله وفي الاواخر آخذ نافلة الحصون واسير بها الى اى البلاد واكتب كتابها واقيم معها حتي يقضي الله مايشاء والسلام هذا ماخطر ببال المقدم ابراهيم ومانواه في سره ثم انه التفت الى جوان وقال له ماذا انا فعلت البارحة قال له جوان اسكت يا ابوا خليل ياماجرى منك البارحه وانا بقيت اقبل يديك ورجليك واحوشك واتلطف بخاطرك ان تدع شيحه الى الصباح فلم ترضى بذلك قال ابراهيم لاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم كان ما كان (قال الراوي) فهذا ما كان من امر هؤلاء واما ما كان من امر الملك العادل فانه مقيم على حوران كما ذكرنا واذا بالاخبار قد وصلت اليه من السفار بان ابراهيم ابن حسن هو وجوان والبرتقش الخوان والملك البرتر محاصرين طرابلس وقد قطعوا القوافل عن المسافرين ووقع المقدم جمال الدين شيحه في يد ابراهيم ابن حسن فصلبه على باب طرابلس فعند ذلك لما سمع الملك ذلك الكلام صار الضياء في عينيه ظلام وبكى واخذه الهيام وكذلك كل من كان حاضر عند السلطان ثم ان الملك امر من ساعته ان يوضعوا اولاد اسماعيل في الحديد ففعلوا ذلك وهم

لا يمانعون عن انفسهم وقال الملك ان كان هذا الامر صحيح فلم ابقي احد منكم لا ابيض ولا اسود فبكوا والزموا نفوسهم الخطأ ثم ان الملك امر بالرحيل على طرابلس الشام فرحل بالرجال والابطال وهو ينشد ويقول هذه الابيات

كواني الزمان منه بذله * وكوى قلبي بنار الفراق
واذاقني ذلا من بعد عز * فمتى يكون التلاقى
ايا دار كنت لنا مجملة * والا صرتي من اشر البواقى
اظن النيل لو يجرى كدمعى * ماخلا على الدنيا شراقى
روى الحجاز وارض مصر * واصبح سائر نحو العراقى
ولو كانت العيون تسيل * سيلا مثل سيل الاماقى
ماكان فى البقا اناسا * يحتاجون لماء السواقى
وهكذا كله من اجل اخ * كوى قلبي بنار الحراق

(قال الراوى) ولم يزل الملك سائر حتي اقبل بالرجال الى طرابلس الشام وتأمل الملك الى البواب واذا به يري المقدم جمال الدين منصلب على اعلى باب فلما عاين الملك ذلك زاد فى البكاء والانين والاشتكاء وكذلك الرجال الاشراف واقسم الملك بالايمان انه اذا كان ابراهيم هو الذي فعل بالمقدم جمال الدين شيحه ذلك الفعال لم يبق على احد من الرجال ولا بد ان ياخذله بالثار ويخلى عن نفسه الفا رهدا وقد كاد الملك ان يمشي عليه من البكاء والعويل لانه كبر ذلك عليه وعظم لديه ولم بقى يدري مابين يديه وقال الملك لابد فى اول الامر عن قتل حسن الحوراني ثم امر به الى نطعة الدم فالقوه اليها وعصبوا اعينيه وابتدر السياف على رأسه وهو يستغيث ولا يغاث ويستجير فلا يجار ويطلب الفرج من الله تعالي عالم الاسرار وهو يقول هذه الابيات

يارب يارحمن ياعالم السر * تهب لي نصرة وتعفو عن الضر
وتنجيني يالهي وياخالقي * وتجبر كسر القلب من الشر
وترسل لي يارب من يجيرني * انت العليم بسري وجهري
وانت القدير على فرج الورى * وانت حافظ يالهى من الضر
وانت تميت الخلق حقا باسرهم * وانت تحييهم فى مجمع الحشر

انت رازقهم يا الهي جميعهم * وانت حاميهم من سطوة القدر
وانت الذى قدرت بالقضا * وانت اللطيف ورب الخبر والخبر
نسألك اللطف يارب فى القضا * ولا نسالك رده فى حكمة تجري
بل اللطف ياتى منك تفضلا * فكن لطيفا حافظا واعلا الى البر
توسلت اليك باشرف الورى * محمد المبعوث بالشكر والنصر
كذا الآل والاصحاب هبنا قربة * ولطفا عميا وصونا من الكفري

(قال الراوى) فبينما المقدم حسن يتوسل و يتضرع الى مولاه والسياف منتدب على رأسه وقد اقسم الملك انه لا يقبل فيه شفاعة احد من الناس الا ان تكون شفاعة المقدم جمال الدين شيحه ان كان باق (ياساده) وقد ايقنت الرجال بهلاك حسن الحورانى واذا بدر ويش من العجم داخل على الملك من باب الصيوان وهو يقول هذه الابيات

كيف طرف اللسان ان ردت تسلم * ولا تكن شاهدا ماليس تعلم
لم تكن فى الملك مثل قيصر وكسرى * ولا فى التقى مثل ابراهيم بن ادهم
كم جليل مخلل بعياه * وكم نعيم بالطيلسان مطلسم
لا تعن ظالما على مظلوم ابدا * انت تعلم غدا على ايش تقدم

صلى على النبي يا ملك الاسلام وفارس المصر والا وان شفعني فى ذلك انسان قال له الملك اسمع ايها الدرويش انا قد اقسمت بالايمان انى لا أقبل فيه شفاعة انسان الا ان كان المقدم جمال الدين شيحه فارجع من حيث اتيت والا اقول اخروا هذا وقدموا هذا قال فلما سمع الدرويش ذلك رفع اللثام فتأمل الملك واذا به المقدم جمال الدين شيحه فتامل الملك الي خلفه وقال له من انت ومن تكون قال له انا المقدم جمال الدين شيحه سلطان اولاد اسماعيل اخوك ياظاهر قال الملك اصبر وامن هذا الذي مصلوب على باب القلعه قال له شيحه ومن انت قال له شيحه قال له الملك كم يكن شيحه فى الارض قال واحد ياملك الاسلام قال له انت تحولت عقلي يا جمال الدين حدثني بقصتك وماجرى لك فى نوبتك قال له يا ملك روق ذهنك والقى سمعك واكثر من الصلاة على اسعد العرب والعجم قال له الملك صلى الله عليه

وسلم قال المقدم جمال اعلم انى دخلت هذه القلعة بالحيلة وقد قبضني جوان وسلمني
الى ابراهيم بن حسن الحورانى فاخذنى حسن وسلمني الى ناقلة الحصون وانا فى
الحديد وأوصاها بحفظي فلما نزل علمت انا مقبل عليه مع ابراهيم فالتفت الى ناقلة
وقلت لها يا ناقلة اعلمي انك انت الآن تحبي ابراهيم وكذلك هو يريدك ولكن
ان عملتي جميل جاز يتك عليه ولا بد من زواجك بالمقدم ابراهيم بن حسن الحورانى
وان لم تفعلي والاسم الاعظم لم ادعه ياخذك ابدا مادمت على قيد الحياة قالت لي
وما يكون الجميل قلت لها تطلقي سبيلي وانا انزل ادبر نفسي واعود فى ساعتي هذه
قالت لي اخاف اذا اطلقتك لا تعود الي وتقع الحرارة فى نفسي انا فحلفت لها ان
اعود اليها فاطلقتني يا ملك الاسلام فنزلت من عندها فوجدت بطريق يشابهني
فى الصفة والطول وهو سكران مذهول فبنجته وعقدته فى عرق لسانه واخذته
وعدت الى ناقلة الحصون وسلمته اياها فغللته فى القيود والاغلال والباشات الثقال
ونزلت الى الديوان حتى تحرك جوان واغرا ابراهيم وفعل هذه الفعال ولما أفاق
ندم على ما فعل وبكي وتأسف على ما فعل ولما بلغك ان الخبر اتيت الى ها هنا وفعلت
ما فعلت واردت قتل حسن الحورانى فأتيت اليك وشفعتك فيه وغدا ابراهيم ينزل
الى حومة الميدان وها انا داخل البلد فاذا نزل ابراهيم الميدان انزل اليه ابوه لانى
اعرف ان اباه يأسره فى هذه النوبة واطلق الرجال من الوثاق والاغلال فاطمان
قلب الملك بهذا الاتفاق الذى يجب ان يسطر بالذهب فى الاوراق واطلق الملك
الرجال وبات فرحان ينتظر الصباح هذا والمقدم حسن الحورانى حمد الله تعالي
على نجاته وسلامة شيحه واطمأنوا الجميع وجعل يغنى بطول ليلته فى كلام
الله تعالى حتى طلع النهار وراه بالانوار فبينما الملك جالس واذا ابواب البلد فتحت
ونزل ابراهيم الى حومة الميدان وهو كانه الاسد الغضبان وهو يقول ميدان يا عصبة
الاسلام فارس لفارس اوعشرة لفارس أو ألف لفارس اوكلهم لفارس فما فى الميدان
الا المقدم ابراهيم سلطان القلاع الذى قتل القصير وقطع منه النخاع قال فما استتم
كلامه حتى ابتدر اليه اباه وهو يقول جيتك يا ابن ستماية مطبله

(تم الجزء التاسع عشر ويليه الجزء العشرون واوله فلما رآه الخ)

﴿ سيرة الظاهر بيبرس ﴾

تاريخ الملك العادل صاحب الفتوحات المشهورة (السلطان
محمود الظاهر بيبرس) ملك مصر والشام وقوادعساكره
ومشاهيرابطاله مثل شيحه جمال الدين واولاده
اسماعيل وغيرهم من الفرسان وماجرى
لهم من الاهوال والحيل وهو
يحتوي على خمسين جزء

الجزء العشرون

﴿ الطبعة الثانية ﴾

١٣٤٤ هـ - ١٩٢٦ م

التزام

عبد الرحمن محمد
ملتزم طبع المصحف الشريف بمصر

بميدان الازهر

١٣٥٧

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم ﴾

(قال الراوي) فلما رآه ابراهيم تعجب وقال وانا تلقيتك فاخذ منه واعطاه وبايعه الى ان كان وقت الظهر فمد يده المقدم حسن الحوراني وجذبه من منطقته وقال يا اولي العزم من الرسل واذا سار على قايم زنده واخذه وسار به الى السلطان وصاح على رأسه حديدها يا رجال واوضعوه في القيود والاغلال والباشات الثقال ونزل المقدم حسن الحوراني وهو يقول يا ملك الاسلام اسلخ قبة عينيه فلا اما لعك ابدا (يا ساده) فلما ان سمع الملك ذلك الكلام قال دعوه حتى يحضر المقدم جمال الدين شيحه يفعل كلما يقدر عليه فبينما هو كذلك واذا شيحه مقبل عليه بجوان والبرتقش الخوان والملك البرنز ونزلت اصحاب القلعه وهم يقولون يا ملك الاسلام نحن لم نكن عاصين بل طايعين ولم عصينا ابدا وها نحن بين يديك والقلعه قدامك فافعل بها ما تريد قال الملك هاتوا جوان فاتوا به فضربه شيحه العلقتين واخذ برتقشه وطلع الى حال سبيله ثم قال شيحه يا بو اخليل اخبرني ما سبب عصيانك علي وعلى هذا الملك وما الذي الجاك الي ذلك والى هذه الامور قال المقدم ابراهيم اما الملك فانا عاصي عليه لانه اخذ مال رومة المداين كله قال الملك اما مال رومة المداين مايه خزنة لكن الجواهر لم يكن لكم فيها شيء ابدا لانها تخص المملكة قال ابراهيم نعم قال الملك واربعين خزنة مال ونصف هي التي تخصكم وانتم اربعة مقادم منكم ثلاثة والرابع غايب فها هي مودوعة تحت يدي حتى يحضر رابعكم كل انسان ياخذ حقه منكم قال ابراهيم انا رضيت بذلك يا ملك وقروا الفواتح على ذلك وقد قال شيحه وانا ما يكون ذنبي معك قال له انت داويتني ولكن انظر الى اصبعي هذا الخنصر فتامله شيحه فرآه ناقص عقله قال له يا ابو اخليل والاسم الاعظم لم يكن عندي دوا ابدا قال ابراهيم انا والاسم الاعظم ما دمت كذلك لم اطيعك ابدا حتى يعود اصبعي

كما كان فلما تحالفا الاثنين فبينما هم كذلك واذا بولي الله الخضر عليه السلام وقد اقبل فى هذا المحضر وسلم وقال ان لله رجالا اذا سألوا ربهم اعطاهم فيقول لهذا الصباع ارجع كما كنت بقدرة الله تعالى واشار الاستاذ على ابراهيم بن الكلب فعاده كما كان فعند ذالك نهض ابراهيم على الاقدام وقال الله ملا قلبك ايد الله لك السياده الملكيه اى طاعة الخوند اليك والاسم الاعظم قال ولما تهيأ الفراغ من ذلك قال الملك العادل هاتوا اللعين البرنز فقال له ابراهيم دعه لاجل خاطرى لانى انا الذى امرته بذلك وكتبت له خطي وختمي فاطلقه الملك العادل وارجعه الى بلده ولم يجرا عليه شي ابدا فهذا ما كان من امر هؤلاء واما ما كان من امر الاثنين المسايطة دواود وشاهين فانهما وقفوا بين يدى السلطان وقالوا اين اختنا ياملك الاسلام فقال الملك ياابراهيم اين ناقلة الحصون قال هى عندي ولكن انا لم اسلمها ابدا لهؤلاء فقال له المقدم جمال الدين شيحه يا بواخليل سلم اليهم اختهم ودعهم ياخذونها الان انا والاسم الاعظم ازوجك بها وانت معزز مكرم ولم تحط من عندك شيا ابدا فعند ذلك احضرها المقدم ابراهيم من الفلعة وسلمها الي السلطان والملك سلمها الى اخواتها وقال لها المقدم جمال الدين شيحه يا بنت كيف يكون العرض فقالت له مثل اللبن الابيض فاخذوها اخواتها وساروا وامر الملك بالرحيل فرحل بالرجال ولم يزل كذلك حتي اقبل الليل بالاعتكار ونزل الى مصر فزينت له ودخل فى موكب عظيم وقدام وكب الملك بالمقدم ابراهيم بن حسن الحورانى وسعد بن دبل وايدمر البهلوان والناس تتعجب وتتكلم الى ان طلع الى الديوان ابطل الظلم والمكوس واطلق باقى المحبوس وجلس الملك يتعاطي الاحكام الى آخر النهار طلع الملك السرايه لانها كانت ليلة جمعه واول شهر مهلول فبات الملك الى ان اصبح الله بالصباح واضاء الكريم بنوره ولاح ونزل الملك فقال يا ابراهيم مرادى ان اصلي الجمعة فى الجامع الازهر فقال ابراهيم انا لا اصلي الا فى الامام الشافعى فقال الملك شانك وما تريد ثم توجه الملك الى الجامع الازهر وتوجه ابراهيم هو والمقدم سعد الى الامام الشافعى لاجل الصلاة فسار المقدم ابراهيم حتي طلع الى الخلوات والمقابر فتامل واذا به يرى رجلا قواس خارج من

وسط المقابر ويده مغموسة بالدم الاحمر فلما رآه ابراهيم قال ياسعد والاسم الاعظم هذا الرجل قاتل لامحاله ولكن ياسعد ائتيني به فانطلق سعد خلفه حتى ادركه وجذبه من اطرافه وقال له سير معي الى رئيس الديوان المقدم ابراهيم بن حسن الحوراني فسار معه وهو يرتعد كانه السعفه في الريح العاصف الى ان وصل بين يدى المقدم ابراهيم فقال له يا راجل انت قاتل وهذه اشارة لا بحة القتل عليك فاصدقني فقال له الرجل لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم نعم انا قاتل يا بوا خليل فقال له حدثني بقصتك فقال له اعلم انى قواس عند الامير الجاولي وهذا الامير لم يرزق من الاولاد الا هذا الغلام وهو حيلته وحيلة امه وقد جمله بالملابس الفاخره والزينه وطرح عليه من الاموال شيء كثير وان ذلك الغلام لاف على ديوان اهل البيت كلهم ولا ينام الا فى حضني ولا يأكل الا معي فاكرمني ابوه غاية الاكرام لاجل خاطر الغلام فصرت آخذه واخرج به الي السوق وكانت هذه عادتي معه فلما ان كان ذلك النهار نزل لي الغلام وهو فى اجل زينة واتم ملبوس فاخذته على كتفي وخرجت به فاغراني الشيطان على قتله فقتلته واخذت عليه من الملابس واتيت انت فرأيتني فقبضت علي وسالتني اخبرتك وهذه حكايتي والسلام (قال الراوى) فلما ان سمع المقدم ابراهيم ذلك الكلام قال له هات ما اخذته منه من الاموال فاعطاه البدله والجواهر فاخذها منه وقال له والله يا هذا ما انت الا خاين وما رماك الا عيش ابيه ثم ان المقدم ابراهيم بن حسن جرد حسامه وطسه على هامه حذف رأسه قدامه وصاح بسعد وقال له آتيني بالتربي الذي في ذلك المكان فاتاه اليه فى اسرع وقت فلما حضر بين يديه قال له ادفن هذا الرجل مع هذا الغلام من غير غسل ولا كفان فاذا سالتك عنهما فى اى وقت تريني طريق مدفنهم واحرص لنفسك فاجابه بالسمع والطاعة ثم ان ابراهيم اخذ معه رأس الغلام وسار حتى صلى الجمعة فى الامام وعاد هو وسعد حتى اقبل الي الرميله فوجد رجل كحكي يتشاجر مع رجل مخللاتي ويقول له يا تابت اعطيني حقي فيقول له الرجل اعلم انى انا لم اعطيك شيا ابدا مما على ومحل ماتروح روح فلا ابالى باحد من خلق الله ابدا وهذا كيس الذهب ها هو معي وكذلك الخرده والفرانسه والقروش فلما

علي المقدم ابراهيم الي ذلك الرجل عرف منه الثبات والسماجه قال له ابراهيم لاى شي ء يارجل ما تعطيه حقه حيث ان معك هؤلاء الار بعة اكياس قال له تعالي انت خلص له حقه مني بشطارتك قال ابراهيم ما اسمك قال له اسمي الشيخ محمد الثابت الخللاتى قال له ابراهيم حقيقة انك ثابت من غير شك ثم التفت الى الكحكى وقال له ما الذى لك عنده قال عنده ثلاثين فضة قال ابراهيم خذها من عندى انا فاخدها الكحكى ودعا لابراهيم بن حسن الحورانى وانصرف الى حال سبيله ثم قال ابراهيم ياسعد جرهذا الرجل فجذبه سعد فسار معه وهو يقول هذا ايش انت غرك الكلام الذي اقوله وظننت انى معى معاملة لا وحق رأسك ما معي شي ء ابدا وكل هذه الاكياس خرده من عند السمكرى وانا الثابت الخللاتى ما الذى تصنع معي ياشيخ ثم ان القي الاكياس فرآها ابراهيم خرده صفيح فلم يعني بذلك هذا وسعد يجره وهو يتكلم ويسب ويشتم ولا يبالى ابدا من خلق الله تعالي باحد حتى انه قال لابراهيم اعلم انى انا ساكن فى بيت وذلك البيت لم ادفع له اجره ابدا وكلما احتاج الى دراهم اخلع ابواب البيت وانزل ابيعها فيدركونى اصحاب البيت ويشتروها مني ولم يقدروا يعزلونى ابدا وما زالا كذلك حتي دخلا به الى قاعة الحورانية واختلى به ابراهيم بن حسن هو وسعد وقال له اعلم ياهذا انى ما اتيت بك لالامر مهم ولى عندك حاجة ان انت قضيتها لى جالي منك ألف شريفى ذهب قال وماهي الحاجة قال له مرادى انى البسك ملابس الخواجات وغدا تطلع الى الديوان الذي للملك العادل وتقول مظلوم يقول لك الملك من ظلمك تقول له انا خواجه تاجر عن ابى وجدى اتاجر فى بلاد الناس وقد رزقني الله تعالي بغلام فاخذته معي واردت ان اعلمه التجارة فى بلاد الناس فامسي على الوقت يا امير المؤمنين على قلعة يقال لها قلعة المسايطه بها رجلين يقال لاحدها داود والاخر يقال له شاهين نزلوا على وذبحوا ولدى على صدرى وقالوا لي لو وجدنا الذي يودي خبرك لقتلناك انت الاخر ولكن ودى خبر نفسك بنفسك والسلام ثم تظهر للملك هذه الرأس تمام الكلام على انا فقال له وايش تكون هذه الدعوه انا احكى اعظم من ذلك للملك بتاعك انا اعرفه من زمان ولا اخاف منه ولا اخشاه

ابدا فقال ابراهيم حتى انظر همتك في ذلك (ياساده) ولما كان عند الصباح تكامل الديوان وظهر السلطان وجلس على تخت مصر يتعاطى القصص ويزيل القصص ويحكم بالعدل والانصاف كما امر النبي جد الاشراف واذا بالمختلاتي مقبل لابس قفطان وجوخه وبنش وهو يقول مظلوم ياملك الاسلام مظلوم يا امير المؤمنين

ايظلمني الزمان وانت فيه * وتاكلني الدياب وانت ليث

ويروى من جنابك كل ظامى * واظما في حماك وانت غيث

قال الملك يا ابراهيم انظر الى هذا الرجل وما ظلومته كيف يقول مظلوم وانا كاتب على بيرقي لا ظلم اليوم لا افلح من ظلم عندها تقدم المقدم ابراهيم الى هذا الرجل فما لحق ان يصل اليه واذا به وقع مغشيا عليه فوضع ابراهيم فمه على اذنه وقال له قم فقد تمت الحيله على الملك فقال لا اقوم الا بعمال فاعطاه ابراهيم مائة دينار سرا حتى وقف فقال الملك ماظلومتك ياشيخ فقال ياملك ما كل الظلم مثل بعضه انا مظلوم في مالي وفي ولدي فاما المال انا مسامح فيه ياملك واما الولد فما يمكن المسامحة

بعاد الحبيب فتق على الجراح * وضاع الحواس من وقل الجلد

وسر تربة خالد بن الوليد * ماتم اصعب من فراق الوليد

ثم قال اعلم ياملك اني انا رجل تاجرا سافر بمتاجري من مصر وابيع في بلاد الشام وكذلك اشترى تجارة من الشام وابيع في مصر ومعي ولد لم يكن لي غيره ولا رزقت من الاولاد سواه فقلت في نفسي آخذه معي يتعلم التاجره ويعرف البلاد ثم اخذته معي وسافرت من مصر قاصد بلاد الشام فعبرت على قلعة مسياط فخرج على اثنين مقادم فداويه احدهما اسمه المقدم داوود والثاني شاهين فنهبوا تجارتي فبكا ولدي فذبحوه فقلت لهم هكذا في حكم الملك الظاهر كنا قتلناك ولكن خذ راس ولدك وسافر الي الملك الظاهر اعلمه بحالك ردعه يفعل مايشاء ويركب اعتاما في خيله واحمض مافي طعامه يشرب واخذت راس ولدي وسافرت من مسياط ماشي على اقدامي حتى وصلت الي هذا المكان وحضرت بين يديك وانا على ذلك الحال سألتني حكيت لك والسلام فعند ذلك أمر الملك باحضار داوود من

قلعة مسياط واخيه شاهين فركب ابراهيم بن حسن بامر السلطان وتوجه الى قلعة مسياط بكتاب معه اعرضه على الاثنين فاجابوه بالسمع والطاعة وسافروا مع ابراهيم حتى انهم عبروا على مصر فادخلهم قلعه الجبل وسلمهم الي سجان العرقانه ونزل الى قاعة الحورانه واحضر بتاع المخلل وعلمه علي امور مخفية يفعلها قدام السلطان ولما كان عند الصباح احضر ابراهيم الاثنين الفداويه قدام الملك فقال الملك يا مقدم كيف تجاراتم على رجل تاجر واخذتم امواله وقتلتم ولده فقالوا حاشا الله يا ملك الزمان تفعل هذه الفعال اخفينا بين اولاد اسماعيل وحضر خصمنا يعرفنا فامرهم السلطان بالاختلاط بين الرجال وامر ابراهيم ان يحضر الرجل فحضر فقال الملك اعرف اخصامك من بين الرجال فالتفت الرجل الي ابراهيم فقال ابراهيم لا اله الا الله واشار باصبعه الى داوود وقال محمد رسول الله واشار باصبعه الى شاهين فتقدم الرجل ومسك الاثنين وهدر وصاح يا ملك هؤلاء قاتلين ولدى وناهبين مالى ثم اخرج من تحت باطه مخلاه شعر واطلع منها رأس الغلام الذى اعطاه ابراهيم قال الملك لاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ثم صاح على الرجال فاخـذوا الاثنين المقاديم ووضعوهم على نطعة الدم من بعـد ما كتفوهم ووقف على رأسـهم المقدم ابراهيم واخـذ الاذن من الملك بقطع رؤسهم وادا باعناق الرجال تسايلت وباب الديوان استد والستار احتج وطالع سلطان القلاعين والحصونين فصاحوا داود وشاهين وقالوا يا حج شيحه احنا فى عرضك احنا مظلومين فسال المقدم جمال الدين شيحه عن اخبارهم فاعلمه السلطان بالقصه وقال المقدم ابراهيم يا حج شيحه هذين المقدمين قاطمين الطرقات على السفار والتجار ينهبوا الاموال ويقتلوا الاطفال قال المقدم جمال الدين اذا كان هذا فعلهم يقتلوا شرعا ولـكن هذا بعد الاثبات قال ابراهيم ثبت عليهم ذلك قال شيحه واين خصمهم فقال المخللاتي انا يا مقدم جمال الدين الذى اخذوا مالى وقتلوا ولدى قال شيحه يا مولانا السلطان اناذن لى ان افصـل هذه الدعوة قال السلطان اذنتك ان تفصلها وتعيدها على حتى آخذ للمظلوم حقه واجازى الظالم بمـا يستحقه فامر شيحه بسجن داود وشاهين وبعد ذلك احضر الرجل المخللاتى

وقال له انت اذا ارت السفر الى جهة الشام فى أى محل تبرز حمولك قال ابراهيم فى العادليه قال الرجل نعم فى العادليه قال شيحه ولما تسير من العادليه فى اي مكان يكون بيتك قال ابراهيم برأس الوادى قال الرجل براس الوادى قال شيحه يا مقدم ابراهيم والاسم الاعظم لم بقيت تنطق ولا تتكلم قال ابراهيم طيب يا حج شيحه وسكت قال شيحه يا شيخ ومن رأس الوادي تسير الى اي مكان قال الرجل الى سيرة المكاسه الى طحله الى المناشي حتى تصل الى الشام قال شيحه نعم صدقت ولكن يا هل ترى ثمن المخلل الذى عليك للمعلم وقد اشتكا منك لى فى تحصيله كيف يكون الراى فيه قال الرجل انا معسر ولم لى مقدره على دفعه قال شيحه وحيث ان عليك ثمن المخلل للمعلم كيف يدعى انك تاجر وتطلب مالا يستحق يا قليل الادب وتريد ان تهلك اثنين اشراف بالزور والمحال ويروحوا غلط بالباطل قال الرجل يا سلطان الفلاعين انا الذى امرني بذلك هذا المقدام والحمد لله هم رجالك وانت الذى تحكم لهم وانا مذنب واريد منك السماح قال شيحه تكلم يا ابراهيم هل هذا يخلصك من الله قال ابراهيم يا حج شيحه يجوز فى دين الاسلام ان اموت انا فى الوجد والغرام او اصير مجنون فى حب نافلة الحصون والله يا حج شيحه ان خرجوا من ذلك الدعوى سالمين فلا بد لى ما اركب على حجرتى واقف لهم فى الطريق واعدمهم السعد والتوفيق قال شيحه لا يا ابو خليل انا اتولي هذه الدعوة ولا ياتيك الامر الا بما تريد ثم قام شيحه ودخل على داود وشاهين وقال لهم يا مقادم اعلموا ان المقدم ابراهيم تلا قصتكم واذهب غرعكم واعطاه دية ولده وكلما ادعا به من المال اعطاه اكراما لكم وقال هؤلاء اولاد عمنا ولا يجوز تركهم فى ذلك القضية يروحوا غلط وهو الذى يتكلم لكم بالاصلاح قدام السلطان فاذا كان يفعل ذلك كيف انتم تكرهو انسبه وتريدوا ان تزوجوا اختكم لحمد كامل وهو لا تصلح لها ولا هو من رجا لها قال المقدم والله يا ملك الفلاعين اننا اخطانا فى حق المقدم ابراهيم ونطلب منك انك تسعى فى صلحنا معه وكلما امرتنا به نمتثله ونتبعه فعندها اخرجهم من السجن واخذهم واخذ الرجل الي قدام السلطان وقال يا امير المؤمنين ان هذا الرجل اخذ جميع حقا

وكذلك دية ولده وسامح المقدمين وانا كنت الواسطه وهاانا قد حضرت بين يدى مولانا السلطان لاجل اساله العفو عن داوود وشاهين ويمضوا الى قلاعهم وانا الضامن لهم من الفساد واما كلما ضاع لذلك الرجل فيه ابراهيم بن حسن عنهم فقال الملك وابن الرجل فقال شيحه يحضر ثم حضره قال السلطان ياشيخ خلصت بحقك قال نعم قال الملك يااخى ياجمال الدين اذا كنت انت الضامن لهم فدعهم يمضوا الى قلاعهم فعند ذلك تقدم داوود واخيه شاهين وقالوا ياملك الاسلام نحن سائقين الجمع والجمع والصدر والجناحين على المقدم ابراهيم ان يقبل ناقلة الحصون اختنا تكون له اهلا وهو لها بعلا والذى جرى لا يعاد فقال السلطان وانا على كلفة الفرح والولايم فقال ابراهيم اذا كان الامر كذلك فانا ما اخالف يا حج شيحه امرك ولا امر مولانا السلطان ثم تقدم ابراهيم وقبل اتك السلطان وقال يا امير المؤمنين اريد اتشرف بوطيء الركاب الشريف فى قلعتنا حتى تحضر عرستا ووليمتنا كما قال القائل فى ذلك

لا بعاد ولا ندم * سعى الموالى الى الخدم

فقال السلطان انا لا اسير فى شان ذلك الا اذا اعلمتني كيف كانت قصة هذا التاجر مع المسايطه وكيف قضية هذا التاجر وولده وكيف سامح ولكن يكون بالحق والا ما احضر فرحك فاحكا ابراهيم بالصدق للسلطان وقال يا مولانا السلطان

قاتل الله المحبة انها * تذل الفتى حتى يقاتل بالنفس

والله يا امير المؤمنين لم اقدر على زواج غيرى بناقلة الحصون وانا بحبها مجنون فعذره السلطان وامر باحضار الخلاتى وتوبه وانعم عليه ومضى الى حال سبيله وبعد ذلك اخذ ابراهيم الاذن من امير المؤمنين وتوجه الى قلعة حوران وكذلك داوود وشاهين توجهوا الي قلعة مسياط واما باقي بنو اسماعيل المقيمين بمصر اخذوا الاذن بالتوجه الي قلاعهم وكلا منهم احضر هدية على قدر مقامه الى المقدم ابراهيم واما ابراهيم فانه شرع فى الافراح وثالث الايام تشرف ركاب السلطان بقلعة حوران وكان لقدومه موكب عظيم الشان وضربت المدافع ودقت الطبول وانقامت الافراح مدة ثلاثين يوم وانعم السلطان على ارباب الفتون الذين لعبوا فى الفرح واكسا النفرا وخلع على المقادم والامراء وركب المقدم ابراهيم فى موكب

من الرجال ودارت به الكواخي والابطال وكانت ليلة تعد بليلة حتى وصل الى محل العروس وكانت فى غاية الزينة والملبوس وهى فى قاعة رؤيتها تذهل النفوس فدخل المقدم كلب الاسلام ووقف على المواشطوا صرف الحاضرين وتقدم الي ناقلة الحصون وجدها درة ماثقبت ومطية لغيره ماركبت فمال عليها ازال بكارتها وبات معانقها الى الصباح ولما كان عند الصباح رحل الملك بالعساكر الى مصر ردخل الي قلعة الجبل يحكم بالعدل والانصاف كما امر جد الاشراف واما المقدم ابراهيم فانه شرع فى امر الهروبة امر رجاله ان تنقل الطعامات والشربات الى البستان ففعلوا ذلك وركب ابراهيم وركبت الرجال وقضوا يومهم فى انشراح وا كل طعام وشرب اقداح وعند المسا تبدلت الافراح اتراح والغنا بنواح لان الدهر تقلباته عجيبة ويحدث فيه كل بدعة ومصيبة والسبب في ذلك ان المقدم ابراهيم اتاله تبع من قلعة حوران واعلمه ان ناقلة الحصون سرقت من القلعة ولم يعلم احد بسرقتها ولا كيف كانت قصتها فركب وسار الي قلعته وسال ابوه عن الخبر قال ياولدي والله ما اعلم وانما يوم توجهت انت الي الهروبة كنت انا مقيم على ماكنت عليه وتضاحا النهار ولم تخرج زوجتك ناقلة فطلعت والدتك واختك فاطمه ليهنوها بما كان و يفرحوا بها مثل العادة فوجدوا على حسب من قال

ساروا وسار الربع يندبه الثرى * قلت باتوا اين مثلك باتوا
فاسال منازلهم بحيك يافتى * كانه بها وكانهم ماكانوا

فاتوا الي واعلمونى فطلعت رأيت الجوار مبنجين وراقدين فعتقتهم وسألتهم فلم يعطونى خبر ولا وقعوا على جلية أثر فركبت انا والرجال يمينا وشمالا بعد ما أرسلنا لك نعلمك بالحال وهذا الذى جرى اعلمتك فلما سمع ابراهيم ذلك ركب على حجرته وطلع يقتفي آثارها يقع له كلام واما السبب فى سرقة ناقلة الحصون كلام عجيب وهو ان الملعون جوان لما سجنه المقدم جمال الدين فى قلعة حوران لما كان جاء عامل حكيم واراد ان يسم ابراهيم فى جراحه يقتله وحضر شيحه وسجنه فى جوران فاستقام حتى جري ما جرى بين السلطان والمقدم ابراهيم ولاحت له فرصه فهرب ومادام مقيم حتى جرى الفرح وزواج ناقلة وكان الملعون بجملة من

كان في الفرح ولم احد ملتفت اليه حتي اتقن حيلته وجاء من خلف القاعة في الثلث الاخير من الليل وارما مفرده وطلع الي سور القاعة وارخي الا كره بتعفينة بنج فبنج الذى في القاعه ونزل يكر على الرواق حتي تمكن من ناقلة لما تبنجت ووضعها في جمد ان وزر عليها ار بعة وعشرون زرار وعروة ورفعها على كتفه ونزل وضعها على ظهر الحارة وقطع بها الفلوات وهو يكمن بالنهار ويسير بالليل حتى اتى الى مغار واراد ان يسطوا عليها بالخنا وهي مربوطة اليدين فرأت البرنقش قالت له يا برتقش انت تعرف من هوانا ومن هو بعلي والله ان وقعت في يده لم تجد لك خلاص اما لك ان تصنع جميل معى وتمنع عني هذا الشقي جوان وانا اجازيك بها ان وقعت في يد زوجي فلما سمع البرنقش كلامها قام الي جوان و يده على خنجر امضى من لمح البصر وقال له والله يا جوان ان لم ترجع عن المقدمة ناقلة الحصون لاشق امعاك بهذا الخنجر وآخذها واعيدها الى بلادها واقول الكلمة الذى تعرف ان اقولها في تاريخ اليونان قال جوان يا بختك يا برتقش بختم لك بخاتمة السعادة قال البرنقش يا جوان اما تعلم ان الذى يموت على ملة الايمان يختم له بالسعادة فلم لا تسلم وتبلغ هذه الرتبة قال جوان السعد من القدم والشقا من القدم و بعد ذلك اخذوا ناقلة الحصون وساروا بها الى حصن يقال له حصن الجمهور و به واحد عايق يسمي المقدم جمهور فدخل بها جوان عليه واعلمه ان هذه من بلاد المسلمين فاراد ان يبطش بها فقال له البرتقش لا تسمع قول جوان تخرب بلادك ثم اعلمه بانها زوجة المقدم ابراهيم فاخلا لها مكان في الحصن واكرمها وجعلها مثل الاخت وكان قصده بذلك ان يجعلها جميله على ابراهيم بن حسن لاجل الكاين في علم الله حتى تنفذ الارادة و يظهر ولدها من ذلك الحصن في كلام اذا اتصلنا اليه نحكي عليه العاشق في جمال النبي يصلى عليه ورد ابراهيم ولم يعلم بها (قال الراوي) و اعجب ماروى ان الملك الظاهر بيبرس لما رجع من قلعة حوران وجلس على تخت مصر يتعاطى حكم المسالك الى يوم ظهر جلس في الديوان واذا بالامير علاى الدين طالع يقول مظلوم يا بعض شاه قال الملك ايش الذى جرى عليك يا امير علاى الدين فقال اعلم يا امير المؤمنين ان في ليلة البارحة طلع عندي واحد فلاح بطرطور رطويل

اسود مسك شاكريه وقال امسك عامود احنا مسكت عامود هو اضر بك ثمانين
بعدين اخذمنا الف محبوب اجرة بتاع تكسر اضلاعك وراح على باب الله وثانى
الايام جر البشتك وثالث يوم الجاولى والخطيرى وسلسلت الاماره على هذه الصفه
فقال الملك ايش آخر هذه انا نخفى واشق البلد ليلا عسى اعثر بالغريم قال ابراهيم
ياملكنا وانا معك اينما سرت اتبعك وكذلك قال سعد وخرجوا تحت الليل وظلام
الاعتكار فكان السلطان فى الوسط وابراهيم عن يمينه وسعد عن يساره وكان المقدم
ابراهيم قوي النظر فرأي زول فصاح ايش الزول فى ظلام الليل ويلك اسرع قوى
بقصاص عماوى كل قصاص برجال فجاويه الزول وقال له على رسلك يا ابن حوران
وضربه شاكريه فاخذها ابراهيم على ظهر شاكريته اى شاكريه زهير ورد
عليه بالشاكريه فحكمت على زند الغريم فارما كفه وهرب الغريم وستره منهم
الظلام وعاد الملك وابراهيم الى قلعة الجبل ولما كان عند الصباح جلس الملك بعدما
صلى ماعليه من الفريضه واذا بالاغا جوهر تقدم قدام الملك واعلمه بان الملك عهد
السعيد عدم فى الليل وموجود كفه فى الفراش فامتزج السلطان بالغضب وقال
يامقدم ابراهيم الزمتك بالغريم فقال ابراهيم على الرأس والعين ونزل ابراهيم وسار
الى قاعة الحورانية واقام حتى دخل الليل وخرج يفتش فى البلد واذا يزول فصاح
ابراهيم ايش الزول فى ظلام الليل فلم يتم كلامه حتى اطبق عليه الغريم واخذ منه
واعطاه وبايعه وشاراه فضربه ابراهيم بالشاكريه وقع الضرب فى بيت الحرم
قسمه نصفين وركنه الى جانب حيط فى الطريق (قال الراوى) اعجب ماوقع
واغرب مااتفق ان المحل الذى وقف فيه المقدم ابراهيم ساكن فيه رجل لكنه
حشاش وصنعته مغسل فى حوانيت وكلما جاءه نفقه فاتفق انه قعد مدة ايام لم يموت
احد احتى باع كلما معه ونفقه وبقى عليه اجرة البيت اربع شهور وباع متاع زوجته
ونفقه الى ان كان فى ذلك اليوم مات رجل شربجى وكان غنيا فغسله فاعطوه اولاد
المتوفى اربعدنانير فعاد كسانفسه وزوجته ودفع اجرة البيت وخبز عيش وطبخ
ولا جاء آخر النهار الا وهو مكتفى كساوى ومؤمن وزاد معه نصف دينار واشترى
بجديد معجون رومى واشترى بطيخه بجديدين ووصل الى بيته وقطع البطيخه

لاجل ان يبردها واذا هي ماوي فاصفاها من اللب وردها الى قشرها ووضع فيها قطعة سكر ووضعها على كرسى وقعد يتعشا فمع بواخ الطعام فى رأسه ساح المعجون فتصور له انه تزوج زوجة جميلة غير زوجته وجامعها ودخل الحمام ووقف على الحنفيه واراد ان ياخذ الطاسه يكبها على رأسه فاخذ البطيخه وفرغها فوق رأسه وكانت حمره وقميصه ابيض فصار احمر وابيض هذا وزوجته وانفه تنظره فضحكت عليه فانتبه ونظر الي زوجته وقال لها لاى شيء مامنعتيني عن اخذ البطيخه وانا غايب عن رشدى وصوابى قالت له انا ظننت انك اخذتها تشربها ولم اعلم انك عادم عقلك ولو علمت ذلك كنت منعتك وايضا اذا كنت انت علي ذلك الحال فانا ما اعيش مع المجانين قال لها ومن الذى يخلصك من يدى ويحكم على طلاقك منى قالت له والله امضى الى قاعة الحورانية وادخل على المقدم ابراهيم ابن حسن الحورانى واجعله وكيلي وهو يخرج لبن الشرك من بين اضلاعك قال لها ياملعونه ابراهيم بن حسن الذي تذكرينه كان يقرا عندى في الكتاب وكم ادخلته فى كنيف الجامع وصنعت معه عجايب ووقايع فصاح ابراهيم كذبت يا كلب والله ما رايتك الا فى هذه الليلة ولكن انزل فعند ذلك نشفت اريال الرجل وارتعدت اعضاءه قال سعد انزل يا شيخ لاتخاف مايحصل لك الا كل خير قال الرجل يا اسيادى انا رجل ذاهل العقل فلا تؤاخذونى بما وقع مني قال ابراهيم انزل وعليك الامان فنزل الرجل وهو فى غاية الفزع فما خرج من بيته حتى نظر القتيل قال اعوذ بالله ايش هذا فقال ابراهيم اسكت لاتتكلم ثم اعطا للشيخ حرمدان المقتول وقال له خذ هذا الحرمدان بيعه فى السوق وان قال لك احد من اعطاك هذا فقول له اعطاه لى ابراهيم بن حسن وخذ هذه مائة دينار واحضر لك عشرة فقهاء يكونوا اولاد ليالى واعمل مولد للرسول فى الليلة القابلة وانا اكون عندك وتركه ابراهيم واراد ان يسير فقال سعد حط اشاره الي والى مصر لاجل اذا رأى المقتول يشيله من غير شوشره فتقدم ابراهيم وكتب تذكره ووضع نصف الرجل برجليه تحت والنصف الذي باليدين فوق والتذكره وضعها بين النصفين وسار ابراهيم لحاله واما اولاد الحاره فكان لهم امام جامع اخذت عمامته فى الليلة الماضية ولما كان ذلك

اليوم ارادوا العبور للجامع لصلاة الصبح فجمع بعضهم البعض وارادوا المسير فرأوا على جانب بيت الشيخ محمد المغسل قتيل قالوا لبعضهم ان هذا الرجل هو سوسة حارتنا بالنهار مغسل وبالليل خطاف عمايم وقتال قتلى ثم صاحوا عليه فلم يرد عليهم فارسلوا جماعة منهم الى بيت الوالى فلما احضر الوالي رفع النصف الاول فراى التذكره فصاح سلام ورحمة الله ثم مسكها واذا فيها مكتوب الى ولي مصر هذا غريمنا وغريم السلطان احذفه في الجب فاخذه وارماه فى الجب واما المقدم ابراهيم فانه اجتهد فى شغله وسار الليلة الثانية الى بيت الشيخ فراى الفقهاء حاضرين يقرؤن القرآن فاختفى ابراهيم فى ذلك المكان واقام ينظر ما تحدث به الدهور والازمان وكان السبب فى ذلك القصة انه قد ظهر فداوي من اللتجبج مقدم على الخير يعدم فارس معلم بجر مدان مهندم معه الابره والمرهم لتقطيب الجرح المعظم فداوى للاسد يقاوي كم جديقاوي صدر من صدور بني اسماعيل الفلك الافخر اسمه المقدم عز الدين مهلك لما وصل الى قلعته وجلس بين كواخيه ودولته سأل عن معروف وكيفيته وغيبته فاخبروه رجاله ان معروف الى الآن ما ظهر فسال عن سلطنة القلاع والحصون ومن متولى عليها فاعلموه بالمقدم جمال الدين شيحه وكيفيته وصناعته واتفاق حيلته فطفى وتجبر وادعى باثنين كواخي من اتباعه يقال لاحدهم خزيت والثاني ثابت والاثنين ادرعيه فلما حضروا الاثنين بين يديه قال لهم اريد منكم ان تمضوا الي مصر معي حتي اقبض على شوحه اقتله واتولى انا على سلطنة القلاع والحصون ومن متولى عليها فاعلموه بالمقدم جمال الدين شيحه وكيفيته وصناعته واتفاق حيلته لاجل ان افتح لكل واحد منكم مدينه واجعله ملكا عليها فسار وامعه الي ان وصل بهم الى مصر وتفرقوا فى الطرقات فاما خزيت فانه القاه ابراهيم اولا وهو مع السلطان وانقطعت يده فعاد الي المقدم عز الدين وهو بغير كف ودمه سايل فقطب له الجرح واخذ الكف المقطوع وسار الى قلعة الجبل وكانت ليلة الجمعه فراد الديوان حتى عرف من اين يسلك واتى فى الليل وارمى مفرده وكان قصده ان يسرق الملك فحكم نزوله على سراية الملك محمد السعيد فرآه نائم على سريره ووجه الي جهة سقف المكان كما قال القائل

امنتم وتمتم واغتررتم بلذة * وائتمنتموا للدهر وهو خؤون
خذوا حذركم من نكبة الدهر انها * اذا لم تكن كانت فسوف تكون

فوضع على وجهه منديل مبنج التي النوم على النوم ولفه في ثوبه ووضعه في جمدان وزرعليه الجمدان وطلع من محل ما نزل وسار به الي مكان في المحجر ووضعه في بيت هناك هذا كان اصل فقد الملك السعيد ولما نزل ابراهيم ابن حسن بامر الملك فالتقا بثابت كما ذكرنا وقتله بجوار منزل الشيخ طقيطق المغسل كما قدمنا واخذ الشيخ الحرمدان وسار به الي سوق السلاح فالتقى به المقدم عزالدين مهلك وعرفه وساله من اين اتاك هذا الحرمدان قال له والله ياخوند هذا اعطاه لي المقدم ابراهيم بن حسن وهو الليلة عندي قال له الفداوي واين بيتك قال له بيتي بالمحجر بحارة المغسل قال له الفداوى يارجل وانا ضيفك خذ هذه عشرة دنانير وكثر العشا ياشيخ وهذا ثمن الحرمدان عشرة اخر فاخذهم الشيخ وعاد وكان ابراهيم اختفا في منزل الشيخ كما ذكرنا والفقها يقرءون القرآن الى ان مضى الثلث الاول من الليل والمقدم عزالدين مهلك مقبل على رأى القابل

يهتز تيها بالشجاعة معجبا * في نفسه مثل الهزبر الاغلبا
فيطلى بحد مهند في كفه * وسنان رمحه مثل نجم ثاقبا
ان المنية ان تخالط عرمه * عند التصادم ان يكون مقاضيا
لبس العبا من فوق سابغ درعه * وضياء خودة رأسه كالكوكبا

(ياساده) وكان هذا الفداوى من الجبابرة المعدودة فلما دخل الي المكان صاح ياشيخ اين ضيفك اين جران حوران الذي قتل كخيتي ولم يخشى سطوتي فعند ذلك خرج عليه ابراهيم كلب الاسلام وهو غارق في لامته وجاذب في يديه شاكريته ومقبل على رأي من قال

يهتز من تحت السلاح كانه * ريحانة لعبت بها ايدي الصبا
في كل منبت شعرة من جسمه * اسد يعد الي الفريسة مخلبا
ويصيح في الضجات بالحفاجة * فتجاوبه من كل جانب هللبا
قد أظلموه ان قلدوه بصارخ * لو انصفوه لقلدوه بكوكبا

(ياساده) عند ذلك صدم المقدم عز الدين الى المقدم عز الدين الي المقدم ابراهيم بن حسن فارس حوران فتلقاه بقلب لا خايف ولا فزعان وتضاربوا بالسيوف على الدرق وازور منهم الحدق وضجموا في بركة من العرق وكانت لهم ساعة تقشعر منها الجلود ويذوب لحرارتها الحجر الجلمود وبعد ساعة وقف المقدم ابراهيم وقام يده بشاكرية زهير وصاح في عز الدين فنظر عز الدين الى شجاعة المقدم ابراهيم وانه ماهو من رجاله فعمد على وجه الطيقان وضرب به الشاكريه فوقع وجه الطيقان على السوق فعفر تلك الفداوى وقال حيلك عندك لا تقول جيتك فانا مرقت وخليتك فعفر المقدم ابراهيم تابعاله واما الفقها فان جميعهم غلطوا في القراءة والبعض منهم يقول للآخر اقرا اذا زلزلت ياشيخ سليمان هكذا جرى واما المقدم ابراهيم لما تبع عز الدين مهلك وسار على اثره واذا في وسط الطريق شارع المحجر ثريات وقناديل موقوده ومشايخ اولاد ليالي منشدين وذكر دايرفقال ابراهيم انا طالب من لا لي معه ميعاد وعز الدين مرق وان تبعته مابقيت الحقه ثم قصد الي ناحية ذلك الفرح واذا بصاحب البيت تلقاه وهو يقول اهلا وسهلا ياابو خليل ثم مشا قدامه حتى اجلسه على دكة في صدر المكان وأمر باحضار سفرة طعام فقال ابراهيم والله ياشيخ ما اقدر اكل فقال صاحب الفرح ياخوند ايش الذي يمنعك عن اكل الطعام وانا مرادي اشكي لك من واحد فداوى فلاني جاني هذا الوقت وهو مثل المجنون وهو يقول انا سلطان الحصون وصاح علي واراد ان يضربني ويبوظ ليلتي وانا مكلفها مبلغ يزيد عن خمسة عشر درهم فضه فلما تباين لي منه انه جبار فضربته بالعكاز هذا فوقع كتفه وقلت له لا بد لي ان اخدمك قدام المقدم ابراهيم فقال لي مااعمى قلبك انا سلطان القلاع عز الدين مهلك فقال ابراهيم ياشيخ وهو الساعة عندك قال نعم تحت الدكة التي انت قاعد عليها فنظر ابراهيم واذا بالفداوى ممدود مثل النخلة السحوق فقال ابراهيم ياشيخ ايش اسمك فقال الرجل انا الذى شاركتك على طبريه قال ابراهيم ومتي عملت فرح ومتي علقت القناديل ومتي احضرت الذاكرين ومن اين جئتم ياحج شيحه فقال المقدم جمال الدين والله ياابوا خليل هذا باب من المسيحيه ولم يكن فيه لا فرح ولا قناديل احمل الفداوى وادخل

به على السلطان فقال ابراهيم وبأى شيء قبضت عليه فقال شيحه دخل قاصد

المطبخه فقدمت له الطعام فطلب الماء فشرب وكان الماء مبنج خذه احمله الى السلطان

ولا تكثر الفضول فحمله ابراهيم كلا كتافه وكان الليل قد مضى والنهار ظهر وأضاء

ودخل المقدم ابراهيم على الديوان وهو متكامل ووضع عز الدين مهلك قدام

السلطان واعطاه ضد البنج افاق ونظر نفسه مكتف والتفت الى ابراهيم وقال له انا

فين فقال ابراهيم انت بين ايادى ملك الاسلام ايش الذى تريد منى فقال السلطان

اين ولدي السلطان محمد السعيد يا فداوى فقال عز الدين كانه في عبايتى او فى عمامتى

يا ملك الاسلام وانا ايش الذى يعلمنى بولدك انا خصمى شيحه واما ولدك لا رأيته

ولا اعلم به فقال السلطان تحلف بالاسم الاعظم انك ما تعلمه فقال وايش الذي يلجئنى

لليمين حتي احلف انا على ولدك وعلى غير ولدك الذي يخلصك افعله وابنك لم هو

عندى وان كان عندى فلم اعطيه فامر الملك بضرب عز الدين حتى يقر على محمد

السعيد فضرب به الف كرباج ولم يقر فقال المقدم جمال الدين يكفى يا ملك فان هذا ما مقامه

انه يضرب ثم تقدم شيحه الى عز الدين وكشف عن راسه وحلق قطعة من راسه

ودهن المحلوق بدهان يعرفه واوقفه فى الشمس نصف ساعة فصاح الفداوى انهى

يا شيحه امسح لى راسي فقال شيحه السعيد فين فقال عندى احضره سيروا معي الى

المكان الذى هو فيه فتبعه ابراهيم وسعد حتى ادخلهم في بيت خراب فى الحجر

فوجدوا السعيد فى منده اطلعوه واحضروه قدام السلطان فامر السلطان

بتفتيش البيت فلم يجدوا فيه شيء مطلقا فامر الملك بوضع عز الدين فى سجن العرقانه

وقال فى غداة غد اشهره فارتفع الفداوي الي السجن ولما كان ثانى الايام حضر

السجان وقال ان الفداوى الذى كان عندى البارحة اصبحت لم اجده فقال السلطان

الي حيث القت واذا بخادمين الامير علاى الدين اليثربى طالعين الديوان يخبروا

السلطان بان الامير علاى الدين فقد البارحة من فرشه وكذلك الامير حسين والامير

بهاء الدين والجاولى والخطيرى خمس اماره عدموا فى ليلة واحدة والليلة الثانية

كذلك خمسة والثالثه خمسة فكان خمسة عشر أمير عدموا فى ثلاث ليالي فعند

ذلك امر السلطان ان كل باب من ابواب البلد يكون عليها خلق ففعلوا بامر السلطان

(يا ساده) وكان السبب في ذلك ان عز الدين لما انسجن في العرقانه فكان المقدم خزيت الذي قطع يده المقدم ابراهيم وهو مع السلطان مشاهد كلما جرى فحشر نفسه مع السجانين وصار يساعدهم واقام معهم ولما دخل الليل صبر حتي نامت العيون واندك على باب العرقانه سرق المفتاح ودخل فك المقدم عز الدين وأراد ان يذبح السجان فقال عز الدين وايش ذنب السجان او الغفير حتى نقتله امضى بنا حتى نأخذ بالثار من هذه الامراء و نعدمهم نفوسهم حتى ان الظاهر يبقي مثل الطير الذي بدون اجنحة ثم انه اندك على الامراء ثلاث ليالى سرق خمسة عشر امير كما ذكرنا ولما خرج السلطان على البوابات فقال له خزيت كيف يكون الرأى يا خوند فى الطلوع من البلد فقال عز الدين يا مقدم خزيت اذا انا ما كنت اقدر انفد بالامراء واطلع بهم من مصر فما اكون سلطان الحصون ثم انه اشترى خمسة عشر صندوق و وضع كل امير فى صندوق واكتري من عرب غزاويه عشر جمال ووضع كل ثلاث صناديق على جمل وسلم الجمال الى المقدم خزيت واتى الي غفير الباب وقال له يا أمير انا رجل تاجر ومعى خمسة عشر صندوق قماش واريد ان انفدهم من المكاس بلا جمرك وهذه لك خمسين دينار فقال له الغفير هاتهم فى الليل فصبر الفداوى الي الليل وطلع من الباب بالاسرى محملين على الجمال كما ذكرنا وسار طالب بلاد الشام ومادام سائر فى الليل الى ان نزل على نجع مسافرين فسلم عليهم عز الدين وسألهم عن رحيلهم فاخبروه انهم قاصدين الشام فقال عز الدين وانا معكم فقالوا مرحبا ثم قام كبير القافلة واتى بخاروف وذبحه وقطعه ووضعه فى القدر حتي استوى واحضر قصعة وكسر فيها عيش مقدد وفرغ عليه مرق اللحم ووضع اللحم وقال للمقدم عز الدين مهلك دونك والزاد يا شيخ فقال الفداوى نعم ثم تقدم مع العرب واكل وبعد الاكل بجلس ثقلت رأسه فانقلب فقام اليه شيخ النجع وكتفه وفتح الصناديق وطلع منهم الاماره وذبح خزيت لما علم انه ادرعى و بعد ذلك فيق عز الدين فنظر الى نفسه وقال انا فين فقال شيخه انت عندي يا قليل الادب و يا ناقص التربيه ايش قولك فى الاطاعه فقال والله لو يكون الذي الدنيا كلهم مثلك لم اطيع قصيرا ابدا فعند ذلك اعرض عليه ضربه بالسوط فلم يبالى بل قال احتمل

ان يكون هذا السوط مسموم وحرام عليك ان تعذب الاشراف بالضرب بذلك السوط فعندها عتقه وساقه بين يديه مع الامراء حتى دخل الى مصر وقدمه بين يدى السلطان قال الملك يافداوى لم لا تطيع سلطان الحصون وتتوب عن هذا الضلال فقال عز الدين يا ملك الاسلام كيف اطيع رجلا لا اعرفه ولا هو من بنو اسماعيل ولا رأيته ركب حجره ولا غزا غزوة ولا فتح قلعه وانا يا ملك الاسلام فى جيرتك منه وأريد الانصاف بينى وبينه حتى يظهر لى باب يليق بالملاعيب بيني وبينه ان هو افترس بالملعوب وظهر له برهان ووفاق على اطيعه واكون من تحت امره وان انا ظفرت بالملعوب وبلغت ارب اتولى السلطنه ويصير هو معزول فقال شيحه وانا ارضي بذلك واتفقوا على ذلك بين يدي السلطان الى يوم من الايام جلس الملك على كرسي قلعة الجبل واذا بالبراج يقول سبحان هادي الطير ومعه كتاب من الاسكندريه يذكر فيه انه ورد غليون من البحر وفيه رجل تاجر لم نعلم له لغات ابدا واعرضناه على قناصل موجودة فى الاسكندريه فلم احد يعرف كلامه فلما عاينت ذلك يا ملك الاسلام تحفظت على التاجر وارسلت اعلمك والامر امرك اطال الله عمرك وظهرا بوابك (قال الراوي) ثم ان البراج لما اعطى الى السلطان الكتاب الذى من الامير محمد فارس باشت الاسكندريه يذكر فيه التاجر الذى لم احد يفهم لغاته ولا لسانه ولم يعلم من اي البلاد فقال السلطان لا بد لى من التوجه الى الاسكندريه وانظر ايش يكون الخبر فقال ابراهيم يا ملك انا اسير معك وكذلك سعد فقال عز الدين مهلك يا امير المؤمنين اتاذن لى ان اسير معك لعلى ان اعرف كلام هذا الافرنجى فقال الملك سير على بركة الله تعالى فساروا الاربعه فى صفة تجار الى ان وصلوا الى الاسكندرية ودخل امير المؤمنين على الباشه وامره ان يكتم حضوره ثم ان السلطان بات ليلته ولما كان عند الصباح امر السلطان باشت الاسكندريه ان يطلب ذلك التاجر فلما حضر وتكلم فلم يعرف كلامه احد وتبدلت العناصر والترجمانات فلم يعرف احد قط ذلك اللسان واذا برجل سمسار وقف قدام السلطان وقال يا ملك الاسلام اتأذن لي انا اكلمه حتى اعلمك بما هو فيه فقال له السلطان كلمه حتى نعلم به ان كان عندك معرفة واذا بالسمسار كلمه فجاوبه النصرانى بمثل مافعل فعند ذلك ساله من اى البلاد وما الذى اتى بك الى هذه البلاد فقال له انا رجل

تاجر من جزاير الغلف فقال له السمسار ان جزاير الغلق بعيدة وان متجرك كله ما يساوي اسفرك وتعبك الى ذلك المكان وانما اخبرنى بصحيح الخبر فقال له انا من جزاير الغلف ومتجرى على قدى وانت تقول انك سمسار ولاى شيء تسال عنها لا يعنيك فقال له السمسار الحق بيدك وكان المقدم جمال الدين هو السمسار فقال يا ملك الاسلام ان هذا الكافر لم يخلو من مكيدة اتى من اجلها ليفعلها فى بلاد الاسلام وانا لا يمكننى ان افترعنه حتى اعلم قضيته والتفت الى ذلك التاجر وقال له اعلم انى انا غريب من البلاد وانت ايضا غريب منها وحيث انك من جزاير الغلف وانا منها واصلى سردار البب اصطالود الغلفى وانت من بلادي فيجب اكرامك فان ما احد امرف كلامك غيرى انا وار يدك تنزل فى بيتي ونكون معا ومالك الا كلما تريد حتى تسافر من ها هنا مكرم وارسل معك مكتوب الى اهلى فقال له التاجر طيب فاخذه وسار به الي مكانه وكان للمقدم فى كل بلد بيت مفروش مخدوم فيه جميع ما يحتاج اليه فادخل ذلك البطريق التاجر واجلسه فى صدر المكان واكرمه ورفع قدره وبعد ذلك احضر السلطان وعز الدين مهلك وابراهيم وسعد وعمل للجميع ضيافه واحضر سمكه من السمك الفنشر وشرحها وبتلها بالبهارات الحامية وقلاها بالزيت الطيب القديم وبعده طفاها فى الخل الحاذق واحضر مربع ملآن من نبيذ العنب وقدم ذلك قدام التاجر فصار ياكل وطلب يشرب فقدم له بلور ملآنة سكر كسر منقوع وقال له انت عندي عزيز فسار يشرب من ماء السكر ويأكل من السمك حتى حمي جوفه واشتاق الى الماء وقال للمقدم جمال الدين اريد الماء فقدم له قلة ملآنة ماء بحرى نيلى فشرب بفرحة وبعد ساعه انحصر بالبول وكان الملعون مندهش العقل فقام الي المرحاض واراد ان يحل شرواله فتقدم السمسار وحله ووضع فى احليله قدوطر مثلث وكسر عليه كسرة وقوى عصبة الرباط فانتفخ مجرى البول فصار مثل رباط فم القربة وادار يديه واوثقه كتاف فصرخ التاجر من شدة حرقان ذكره وقال بلسانه انا فى عرضك يا سمسار فكلى بالوصي قال الصمصار يعني شيحه اخبرنى ايش الذى اتا بك من جزاير الغلق الي هذه البلاد وايش الذى جرى عندكم فان حكيت بالصحيح فكيت بالوصك وان

خادعتني فى كلام وحق دين المسيح لم افكك حتى اعذبك باشد العذاب قال له انا احكى لك على الصحيح ومارأي الملعون يحكى الى المقدم جمال الدين وانا احكى للسامعين صلوا على اسعد الانبياء والمرسلين وكان السبب فى ذلك ان القبطان بشماطه قبطان البب رومان ملك رومة المداين لما ارسله الملعون جوان الى جزاير الغلف بكتاب الي اصطالود الغلفي فسافروا اعطا الكتاب الي الملك اسطالود وحسن ابو بكر كما ذكرنا ولما عاد الى رومة المداين اجتمع على الوزير مرين قال له من اين طريقك ومن اين كنت غايب فاخبره بانه قادم من جزيرة الغلف وكان معه قبطان المسلمين فحبسه هناك بامر عالم الملة وان فدخل الوزير مرين الى البب رومان وقال يا بب بحيث ان قبطان المسلمين صار محبوس فى جزاير الغلف وانا اولادك محبوسين عند ملك المسلمين فارسل من عندنا كتاب الى اصطالود الغلفي يطلق ابا بكر البطريني من السجن وانا اتوجه الى ملك المسلمين والشفع فى اولادك احسن من اثارة الفتنة فان جوان ماقصده الا حرب النصاره والمسلمين ولا يسال ان ماتوا اوعاشوا قال رومان صدقت يا وزير ثم كتب كتاب واعطاه للقبطان بشماطه وقال له مثل ما سجنت البطريني قبطان المسلمين لا الزم خلاصه الا منك انت وهذا الكتاب مني الى ملك جزاير الغلف كاخذ الكتاب وسافر القبطان على ظهر البحر مدة ايام حتى وصل الى قلعة اصطالود الغلفي ودخل عليه وناوله كتاب رومان ففرده وقراه وفهم رموزه وامتثل قول البب رومان واراد ان يطلق البطريني كما فى الكتاب واذا بعيطة وقعت وضجة قد ارتفعت فسال عن الخبر فقيل له وصل القس من كفر قدام شيخ الاراجيس وخليفة الابالس ومقدم كل بترك وقسيس القرنان بن القرنان المسبوب بكل لسان الملقط من واحد وار بعين بتاركه وقسيس ورهبان الكاهن جوان والبرتقش الخوان فلما طلع الملعون جوان حتى ظهره وتوكا على عكاز وقرا قداس وهو كله لحنات وغلطات وكفر واعتزالات يستاهل من يلعنه فى الحياه وبعد الممات ولما وصل الى مصر اصطالود الغلفي قام اليه وقبل يده واجلسه بجانبه وقال له يا بونا الى اين العزم قال يا ولدي من بحيرة ايغره وقد علمت باخبارك من الحواري مخبروت فاتيت طاير على كنف الحوارى حتى احضرك واد بركك ايش الذى

عندك من الاخبار قال الملك اصطالوديا بونا انا جانى جواب من البب رومان يامرني باطلاق قبطان المسلمين وها انت حصرت وهذا القبطان بشماطه الذى اتا به اراد ان يأخذه بالغراب المنصور بتاع رين المسلمين وها انت حضرت اعلمنى قال جوان انا ياولدى اطلقت البطرنى لئلا يخرج من ملة النصارى ويحرم من سقر ولا يبقالك حيط فى الهاويه ابدا وقيل انك ربما يدخل جنة المسلمين و ينحرم من الجحيم فبكي اصطالودو قال يا ابونا كيف العمل قال قول للقبطان رومان سافر انت وانا اطلب البطرنى بعد سفرك فاذا سافر الى رومة المداين انا اعمل لك حيله عظيمة نسلك بها بلاد المسلمين وتملكها من غير تعب وتقتل رين المسلمين ورجاله وتسقي خيلك من الروضه والمقياس ان طاوعتني وتفكر خالفتني قال اصطالود على الرأس والعين ثم ان اصطالود طلب القبطان بشماطه وانعم عليه واعطاه رد الجواب بالاجابة وقال له توجه انت الى البب رومان وانا ارسل خلفك البطرنى بامان فسافر القبطان بشماطه الى رومة المداين ودخل على رومان واعطاه ردجوابه فاطمأن قلبه واما جوان فانه عباً مركب تجارة من جزاير الفلف واحضر ذلك الكافر الذي قدمنا ذكره وقال له انا اعلم من كتاب اليونان انك تكون رين المسلمين والحوار يون صدقوا على ذلك ان كان اسمك بولص فقال نعم يا ابونا اسمى بولص فقال له بتسافر بهذا المتجر وتهادى باشت اسكندريه وتتداخل حتى انك تعرف مسالك قلعة مصر وتدخل تحت الليل تقبض على رين المسلمين وان تمكنت منه اذبحه وانا امدك بعساكر تملك بها بلاد الاسلام وان تضايقت او وقعت فى محذور انده جوان ولا تخشى من انسان وها انا فى نظير ذلك كتبت لك مائة سنة زيادة فى عمرك وهذا عقد فيه مائة عقده كلما تفرغ سنة حل عقده حتى تفرغ المايه سنة وان كنت بعد ذلك تريد الدنيا اعقد المايه عقده ثانيا يعود عمرك اليك تحل فيه بايدك وتربط حتى يأتيك الذى يخليك لا تقدر تحل ولا تربط وأوهبك كمان مقدار عشر فدادين فى سقر ومصطبه فى الهاويه فلما سمع بولص ذلك الكلام قال يا ابونا اريدان تبخرني وترقيني وتعطيني النفس فبخره جوان قصر اجله وسافر الملعون الى الاسكندريه وتلقاه الريس جمع عليه رين السفار ولم يعلم بلقاته فاعلم به باشت

الاسكندريه وكتب الباشا الى السلطان وحضر ومعه ابراهيم وسعد وعز الدين مهلك وجرى ماجرى وقبض شيحه على ذلك الملعون ومن شدة حرقان احليله لم يطق ان يكتم بل احكى على كلما جري فقال له المقدم جمال الدين شيحه وقبطان الاسلام في جزاير الغلف قال نعم فعند ذلك احكا المقدم جمال الدين الى السلطان على ماجرى بينه وبين ذلك الكافر والتفت الى المقدم عز الدين مالهك وقال له يامقدام تقدر تسافر الى بلاد الغلف وتخلص البطرني والغراب المنصور واذا فعلت وتاتى به الى الاسكندريه ذلك تنازلت لك عن السلطنه فقال عز الدين نسافر انا وانت ويعطى السعد لمن يشاء فالتفت شيحه الى سعد وقال له امضى الي مصر وهات كل ما كان فيها من بنوا اسماعيل لاجل ان يسيروا معنا ويشهدوا على مايجرى بيني وبين المقدم عز الدين مهلك فسار المقدم سعد واخذ كتاب من المقدم جمال الدين شيحه ووصل مصر واعلم بنوا اسماعيل فما كانت الا ايام قلائل حتى حضروا الى الاسكندرية فقام السلطان فاعلمهم شيحه بالخبر فاجابوا بالسمع والطاعة وتحضروا اللطب من تلك الساعة وانزلهم المقدم جمال الدين في غليون وسافروا على ظهر البحر مدة ايام حتى بقوا اقرب جزيرة الغلف هنالك ارسى بهم القبطان على جزيرة من الجزاير فطلعوا يستريحوا فقام المقدم جمال الدين شيحه واصطنع لهم عصيده ووضعوها بين ايديهم فلما اكلوا من هذه العصيدة صار البعض منهم له سلعة بشيء على ظهره مثل قتب والاخر على صدره صندوق وآخر بسلعه فى رقبته واما المقدم عز الدين مهلك صارت له فردتان لم يخرجهم فبان فلما نظر الى ذلك قال ياحاج شيحه ايش هذا الحال فقال شيحه لا تخاف هذا ما نه ممك ولما نخلص آخذها منك فقال له انا ماار يدا ماين خذها يا شيحه فقال شيحه يا مقدم لا تخف هذه حيلة حتى تخلص الغراب المنصور وابو بكر قبطان الاسلام فسكت على غيظ فعند ذلك البسهم جميعهم ملابس رهبان وسمى كل واحد باسم واما المقدم جمال الدين شيحه فانه لبس ملابس بطرق وسمى روحه البطرق ابو العجايب ملدعون وبعد ذلك نزلوا جميعا فى الغليون وطلبوا جزيرة الغلف وثانى الايام طلعوا على الجزيرة فطلع المقدم جمال الدين واخذ بيده عكازوانحنى وساروتبعوه الرجال وهم فى صفة

الرهبان وشيحه قرا قداس وهو لا يغلط ولا يلحن يستاهل من يترحم عليه بعد مماته وما دام سائر حتي دخل الى اصطالود الفلفى بقلب اقوي من الجبل لا فيه خوف ولا وجل فنظر اليه الملعون جوان وكان قاعد بجنب اصطالود الفلفي وكذلك شيحه نظر الي جوان فلم يلفتت اليه ولا عن عليه ثم تقدم المقدم جمال الدين شيحه وكان له صوط حنين فقرأ قداس قدام اصطالود اطربه واطرب الحاضرين ونظر الى البرتقش بعينه نظرة الاسد الي اضعف الحيوان وقال له بالرموز اذا كان جوان يسلط على قبصى فلا تساعده فهذه بنوا اسماعيل معى أأمرهم ان يضربوا بالسيف حتي نا خذ الحريه قهرا بالقتال وبعد ذلك اقبض عليك واسلخ جلدك كما افعل بالادرعيه واما ان اردت الخلاص من يدي تساعدنى وتطمس على عيون جوان فقال البرتقش والاسم الاعظم لم يجرى عليك الا كل الخير وانا ادخل فى عيونه واسبك عليه العباره فعند ذلك التفت اصطالود الفغلى وقال له من هذا الذى اتى اليك فقال يا ابى لما اساله وما دام حتي وقف المقدم جمال الدين شيحه قدامه واطلع له كتاب بختم البب رومان ملك رومة المدائن ففرده وقرأه يجدطالبه بالصليب وما صلب عليه ونحن وانتم نذكر النبي الحبيب ونصلى عليه اما بعد فمن حضرة البب رومان الى ابنا ابادى البب اصطالود صاحب جزائر الفلف سابقا ارسلت اليك القبطان بشماطه على انك تطلق قبطان المسلمين ابو بكر البطرنى فعادلى واعلمنى انك تطلقه فيما بعد والى الآن لم اطلقته فقادم اليك البطرق ملدعون ابو العجايب وصحبته رهبان دير نجران حال وصوله اليك تسلمه البطرنى حتي نرسله الى ملك المسلمين ولا تعتمد كلام البطرق جوان وتعمل على خراب بلادو الحذر ثم الحذر من المخالفة وشكر يارب المسيح (ياده) فلما قرأ اصطالود الكتاب التفت الى جوان وقال له ايش قولك يا بونا فى كتاب البب رومان وانت الذى سابقا امرتنى بعدم اطلاق البطرنى فقال جوان دكلام لا فيش ولا عليش وهذا الكتاب لم هو من رومان ولا رومان كتبه وهذا الذى قدامك شيحه سراق المسلمين فقال اصطالود يا بطرق ملدعون ان عالم الملة يقول عليك انك شيحه فقال كذب جوان وكيف ينجس اسمى باسم المسلمين ولكن انا وهذه الرهبان قسم والبرتقش وجوان

قسم اصنع لنا يا بب جوره من النار ونقع فيها اذا كان فينا مسلمين تاكلهم النيران فقال البرتقش انا اشهد انك البطرق ملدعون وهذا جوان كذاب مجنون فقال جوان انا لم ارضى بذلك الشرط فقال شيحه يا بب اصطا لودا وضمني انا وجوان في الحديد نبات تلك الليله حتى لا يهرب احدمنا وفي غداة غدا ارسلنا الى البب رومان فمندها قبض اصطا لودا الجميع ووضعهم في السجن فقال عز الدين مهلك فعلتها معنا يا قصير خيبة الله على كل قصير خلقه الله مثلك فقال شيحه يا عز الدين اعلم ان الله على كل شيء قدير وبعباده لطيف خبير وان دين الاسلام له رب نصين وانا وانت نعجز فعل المولى عن صاحب المقدرة فقال عز الدين صدقت ولكن يا شيحه انا ما اريد الا بس رفع هذه الداهيه الذى وضعتها لي في بيضي من اين جبته الي والاسم الاعظم اذا اراد الله تعالى لنا بالخلاص ما اسير بهذه الغليطة الا واقول لاصطا لود الغلفي هذا شيحه المحتال وصدق جوان فيما قال بينما هم في المشاجره والمقال وحائط السجن انشق واقبلت انوا عبد الله المغاوري وهو يتكلم بهذه القصيدة ويقول

اشرف الضوء وابهجا * بعد ما كان مزعجا * لاح لنا النور بالضيا
وانجلا غيب الدجا * عيسنا يسرى وسرعى * واحمو لك مبوجا
اتبعوا اثر من سري * بالبراق المسرجا * وارتقى سابع السما
وبلغ كلما ارتجى * خير من ناج ناجيا * في نجا صاحب النجا
صاحب التاج واللوى * والتنايا المفلجا

ايها الحديد المتصل باذن الله تنفصل ثم نقر على الحديد الذى فيه المحابيس فانفصل من بعضه ثم قال يا شيحه يا جمال الدين خذ هذه البدلة البسها وهذه البوق فاذا اردت الصعود وزر كل رز تعلو اذراع وان اردت النزول فتفك كل زر تنزل ذراع وان اردت ان تلف وانت طاير فكمها اليمين اذا اردته تدور على اليمين وان فردت الكم اليسار تدور على اليسار قوم على حيلك اطلع الي الكافر الفاجر من الهوى وانفخ في وجهه بذلك البوق يخرج منه نار تشوى وجهه وباقي الشغل عليك يا جمال الدين يا سيف المجاهدين اعانك رب العالمين فقال عز الدين

مهلك ياسيدى سابق عليك مولاك ان تقيلنى من هذه القليطة التى اعطاها الى
القرن شيحه فقال له اذا كان شيحه قرن فكن انت المقرون هات القليطه
وخذ القرون عند ذلك نظرت الرجال واذا بعز الدين مهلك له قرنين والقيله عدمت
فقال ابراهيم استر وجهى ياسيدي من هاتيك السلعة التى جعلها لي شيحة فقال له
صدقت فان وجهك معروف عند كل نصرانى خذ هذا البرقع اوضعه عليه فقال سعد
جعلت واحد تيس والآخر حرمه فقال الاستاذ اخرص ياسعد حتى تقضى هذه
الشغلة وتتم حيلة جمال الدين ويأخذ أموال هذه البلاد نفعا للاسلام وخرج
الاستاذ مثل مادخل فعندها خرج المقدم جمال الدين بالرجال فى ظلام الليل
ووصل الى تحت قصر اصطالود وزر زر بعد زر وهو يعلو بكل زر ذراع حتى ركب
سطح القصر ثم اتى من باب القصر ونفخ فى البوق فخرج شرار ونار فنور المكان
وافاق اصطالود ونظر الي ذلك فتخبل واندهل فى عقله هذا والمقدم جمال الدين
نزل عليه مثل نزول الكابوس حتى بقى قدامه ونفخ فى البوق فخرج الشرار على
وجهه فصاح واى انا فى عرضك ياسيدى انت ايه فقال له انا الحوري محروقون
أمرنى المسيح ان احرقك لكونه ارسل البترك ابو العجايب ملدعون يامرك ان
تطهر بلادك واموالك فخالفته وقبضت عليه وسمعت قول جوان وجوان يريد
هلاك النصاري والمسلمين سوي ومن حيث طاوعت جوان فامرنى المسيح ان
احرقك واطهر انا هذه البلاد اذا لم تطاوع ثم انه نفخ فى وجهه حتى حرق
باقى ملبوسه فقال اصطالود ياسيدى فى عرضك انا اطلق البطرق ملدعون
واولاده وا كون على مراده فقال ملدعون اطلقه والمسيح يأمرك ان تطلق
ابو بكر البطرنى وتصالح الغراب المنصور كما كان وتنزل كل ما كان في بلادك
من اموال نجسه بمعرفة البطرق ابو العجائب ملدعون ونزله هو واولاده
الرهبان ونزل مائة من بطريق عندك غفر معهم ان يوصلوهم الى القدسية لانه فى
عين سلوان ويمو داليك طاهر وكذلك جوان تسلمه لهم حتى يتوبوه في التمام عن
الجنافات فى الفلايين والشبانيك سوي وعن فتنة النصاري والسعى فى خراب البلاد
وان خالفت فعلت فيك هكذا ثم نفخ فى وجهه صاح فى عرضك وطلع شيحة مثل

ما نزل ودخل على جوان فوجده نايم على وجهه فبنجه وفتل ذقنه جعله مثل التيس ودخلها فى قعر البرنقش ولطخ حولها بجانب عراشامى ونزعه وعادالي الغليون ولبس ثياب البطرق ملدعون ونزل فى قلب الغليون واما اصطالود الغلق فانه ماصدق ان النهار يطلع حتى قام على حيله ودخل المحل الذي فيه جوان فوجده مكنى على وجهه وذقنه فى طيز البرنقش وهو مبنج فامر بتغييبه وتركه ووصل الى السجن ودخل على البطرق ملدعون فى قلب الغليون فوجده يقرأ قداس والرهبان جميعهم حواليه ونظر الي المقدم ابراهيم وغلظ جثته والبرقع اللحم الذى على وجهه ونظر الى المقدم عز الدين مهلك والي قرونه الذى واقفين فى رأسه فاحتار ولحقه الانبهار وقال ياابونا انا فى عرضك خلصنى من الذنب الذى اذنبته فى حقك واغفرلى يابونا الذنوب القديمه الذى سلفت منى قال البطرق اول ما اسألك ان كان يريد المسامحة تعطيني جوان والبرنقش الذي ينجوا اسمى و يقولون على هذا شيحة المسلمين قال له قم يابونا خذهم فعند ذلك امر الراهب ابو برقع وابو القرون ان ياتوه بجوان الملعون عندها قام المقدم ابراهيم والمقدم عز الدين مهلك ووصلوا مع اصطالود الي المحل الذى فيه جوان ونظروا الى ذلك الحال فاحضر ابراهيم ضد البنج وفيق جوان عطس ثم اراد ان يرفع راسه فراى دقنه مغروزة فى قعر البرنقش قال ياغادره فيقوا البرنقش فافاق وقال لجوان شد دقنك ياجوان جرستنا وفرجت الناس على دقنك وهي مغروزة فى طيزى وصار جوان يشد دقنه والبرنقش يشد قعره حتى خصوا لكن الشيء الذى كان فى الوسط طلع سليم وانما منعاص واما الذى فى الدابر اتسلخ على قعر البرنقش وبعد ذلك اخذهم المبرقع وابو القرون وصفوهم قدام الملك اصطالود والبترك ملدعون قال ملدعون يابرنقش احتفظ على استاذك لكن بحق البطرق زراره صاحب الدير والحماره انا من قال البرنقش انت البطرق ملدعون نائب المسيح على الدنيا كلها والذى مايحسب حسابك يكون بلاعقل ولا فؤاد سرك ياخذ فى جميع البلاد ثم انه تسلم جوان و قال يابونا هذا

تسليمى قال اصطالود قال ياابونا انا امس جاءنى حوري من عند المسيح واعلمنى ان جميع مال بلادى متنجس ويامرنى ان اطهره فكيف يكون تطهيره قال ملدعون اعتمد واحد يكون غرقان فى ملة المسيح ويكون لم اسجابوا قط ولاجاب الماء جهة ظهره ولاغسل وجهه الا بالبصاق وسلمه اموالك يطهرها فى عين سلوان و يغطسها فى جرن ماء العمود يه و يانيك بها طاهره فاخره قال يابونا لم اجد من يصلح لذلك الا انت ثم انه امر باخراج الغراب المنصور من المينة الى البحر واصلاحه باحسن مايكون واطلق البطرنى وسلمه الى البطرق لمدعون ونزل جميع امواله وبطل المظالم والمكوس ونادى المنادي بحفظ الرعية وقلة الاذيه ودخل ابو بكر البطرنى وسلم على السلطان قال ياقبطان الاسلام هاانت حضرت بالسلامه واموال رومة المداين الذي وردت هاهم موجودين عند الخذندار بهذا يكون منه الثلث لبيت مال المسلمين والثلث للسلطنه يدخل الخزنة والثلث لكم وقدره اثني عشرة خزنه فكلا منكم ياخذ ثلاث خزن قال البطرنى يامولانا السلطان انا السلطان انا احمد الله على سلامتي خلاصى من بلاد الكفار من بعد الاسر والاضرار وكلما يخصنى من ذلك المال فانى تنازلت عنه نزولا شرعى للمقدم ابراهيم لكونه تعب فى هذه النوبه تعب زائد ولما علم انى فى جزاير الفلف لم تاخر بل سعي فى خلاصى صحبة المقدم جمال الدين لله يحرمني منه قال ابراهيم والله ياقيطان الاسلام انك ملك البحر حقا وابن ملك وبمثلك تفتخر الملوك على كراسها وتبيت الفلابين على مراسيها قال الملك بقا ابراهيم يستحق النصف وايدمر البهلوان والمقدم سعد الصنف قال ابراهيم وانت يا امير ايدمر نسيت ما جرى وانا ارفعك و اقول لك لا تخاف يابهلوان الاسلام روحى فداك ولكن ياحسن جميل غزاه راح فى بحور التهاوي والمبتلى حتى يبراه ينسى جميل المداوى قال الاميرايدمر لا يا بو خليل انا ما انسا جميلك ابدا و تنازلت عن الذي يخصنى فى ذلك المال لك نزولا شرعيا قال سعد الا انا لا افوت من حق ولا درهم واحد قال يا سعد الدنيا فانيه والآخرة باقية وانا على كل حال ابن خالتك ومالى و مالك بالسوى قال

سعدا الدنيا فانية اذا كانت لغيرك واما لك انت تجرى وراءها ولا تفترعنها ولكن تنالت لك عن قسمى اجمع انت يااخى فى المال حتى لا يبقا احد عنده مال الا انت فشكره ابراهيم على ذلك واخذ ابراهيم جميع ما خص الاربع رجال قال الناقل و بعد ذلك تقدم ابو بكر البطرنى الى بين ايادى السلطان وقال ياملك الاسلام انا صحبتى من المغاربه ما ينوف عن الف وستمائه مغربى كلهم اولاد بحر خدامين فى الغراب المنصور وار يد من انعام مولانا السلطان ان يامر لى ببلد اقيم فيها برجالى واذا افتح باب غزوزة والاسافر الي جهة اكون حاضر قال السلطان ياقبطان الاسلام البلد التى تعجبك عمر فيها اما كن على قدر عسكرك ورجالك على طرف السلطنة واذا رأيت محلات عامره واردت اخذها لامانع انا آخذها لك وادفع مايجب عليها من خزنتى قال البطرنى يامولانا السلطان ما انا الا فى نعمتك مغمور ولولا سعادتك ما تنتج لى امور وار يد اذن دولتك بدستور ان افتح من بلاد الكفر بلد تكون على البحر واطلب من الله الفتح والنصر فاذا نصرنى الله تعالى بسيف مولانا السلطان تكون البلد التى تنفتح ملكا لى اعمرها و تبقى اسلام واقيم فيها وا كون لك من جملة الخدام قال السلطان وهو كذلك واذا تعسر عليك فتحها اساعدك والله تعالى يساعدنا جميعا ثم ان السلطان كتب له بذلك وطلع من قدام السلطان وهو فرحان وركب وسافر الى اسكندريه ونزل الى الغراب المنصور فى البحر وجميع المغاربة وقال لهم ان السلطان اذن لي ان افتح بلدا بالسيف وتكون ملكى افتحها واعمرها بالاسلام واقيم بها فماذا تر يدون من البلاد حتي نجتهد فى فتحها كل الاجتهاد فصار كلا منهم ينظر على بلد فمنهم من قال على السو يديه ومنهم من قال طرابلس ومنهم من قال غير ذلك وساروا على غير الاستوي واقام البطرنى ينظر ما تحدث به الايام ولما كان ثانى الايام تضاحا النهار فسار الى مقام ابى العباس وقرأ الفاتحة ومشى جهة البحر واذا بشوطية من الجريد مقبله وفيها قطب ذلك الاوان عبد الله المغاورى وهو جالس فى قلب ذلك الشوطيه و يترجم ويقول

قم يامغرور جنح الديجور * وكون سهور فالليل دجا
ابسط كفاك لمن كفاك * فهو يكفاك ان اردت نجا

قد حار الفكر لقدرة من * ياتى بالصبح المبلتجا
ضياء الشمس يدور به * كل الاوقات له درجا
تزيلة قدرة ربى * تعود به من حيث اجا
ظلام الليل يطوف لي * بواد عمق اذ هو نجا
والبدر ضاء شرقا وغربا * بضاعة مولانا سرجا

السلام عليك يا ابا بكر يا بطرنى انا اعلمك ياولدى اذا اردت تفتح بلاد فاعزم على الاتقية وافتحها اسلام واطلب النصر من الملك العلام فتقدم اليه البطرنى وقبل يده وقال له ياسيدى اطلب منك ان تراعيني بالنظر فقال له الملك معك وانت سلطان البحار وعاد الاستاذ فى علم الله واما ابو بكر البطرنى فانه رجع الى الغراب المنصور ولم يحرك ساكن واقام على ذلك الحال لينظر تدبير الملك المتعال

و بعد ايام قليلة جاءه امر من الملك الظاهر بان نخرج وتحاصر على مينة الاتقيا فى البحر حتى انتى الحفك بالعساكر من البر ففرح البطرنى وقال يا اولاد عيشه ان السلطان يامرني بالحضار على الاتقيه من البحر هيا هيؤا حالكم للسفر ثم انه فرد القلاع بعدما لف مراسى الغراب المنصور وسلك ماوى البحر العجاج طالب الاتقية يكون له كلام والسبب في ذلك ان ملك الاتقيه كان يوم من الايام جالس اذ دخل عليه الملعون وقرا قداس وجلس بجانبه وقال له ياولدى كيف العمل فى ذلك الولد المملوك الذى تولي على مملكة المسلمين يريد ان يخرب بلاد الروم ويعمرها اسلام فقال يا بونا وما الذى تريدان تصنع فقال له اريد منك ان تعصي عليه وانا اجمع لك عساكر من البلاد واساعدك حتى تملك بلاد الاسلام فاعتمد كلامه واقام شواشي العصيان وركب جوان وطلع يجمع له عساكر هذا ما جرى واما الملك الظاهر فانه كان جالس واذا باثنين كواخي مقبلين وقفوا على رخامة الطلب ودعيا للسلطان فقال الملك اتم ايش فقالوا ياملك الاسلام نحن من توابع المقدم موسى بن حسن القصاص طفنا بلاد الروم وفى عودتنا مررنا الى الاتقية فوجدناها عاصيه وملكها قائم شواشي العصيان بامر الملعون جوان وجوان ركب يدور على ملوك الروم يجمع له عساكر فقلنا الصواب اننا نعلم مقدامنا ولما حضرنا الى مقدمنا

المقدم موسى اعلمناه فقال لنا سيروا الى مصر واعلموا اميرالمؤمنين وها قد اتينا
واعلمناك ادام الله مجدك واعلاك (ياساده) ولما سمع الملك الظاهر ذلك الكلام انعم
على الاثنين واعطي كل واحد الف دينار وكسوه وكتب كتاب الي البطرني وسلمه للبراج
ارسله الي اسكندريه على جناح الطير يامره بمحاضرة الاتقيه كما ذكرنا وسافر البطرني وما
دام سائر حتى وصل الى مينـة الاتقيا ارما مدافع على فجاو بته المدافع من
ابراج المينة ودام الامر كذلك حتى انهدم كلمـا كان في المينة عمـار حتى لم يبقا الا
الابراج وكان فى المينة برجين يرمون على البحر وكذلك كان للملك برجين يرمون
من السر ومادام الرئيس ابو بكر البطرنى يرمى بالمدافع على المينه حتى هدم ابراجها
وكبس داخل المينة واما رجاله فقد تراموا على العلو حتى هـدموا باقى الابراج
ودخل ملك المينة ثم رجع قدام العساكر طالب البلد وتبعه عساكر المغار به و فى تلك
الساعة حضرت من عساكر الروم مقدار خمسة آلاف كافر زنديق حالوا بين البحر
و بين البطرنى هنالك قاتل قبطان الاسلام وتوكل على الملك العلام وقال بمتهافى
سبيل الله يا كلاب الـكفره اللئام واعجب ما روي انه كان عنـد ملك الاتقيا عايق
جبار من جبابرة الروم ملعون يقال له المقدم نصرون فلمـا رأي ذلك الملعون ان
الوصول الى البطرنى بعيد وانه فارس شديد دخل من خلف باب الاتقيه وجمع
جماعة من الروم وفتحتر اخندق متسع وسقفوه بالاخشاب وفرشوا عليه بالتراب
وفتحوا باب البلد وانكسروا قدام البطرنى فلاجل القضاء المحتم دخل البطرنى
خلفهم من باب البلد فطب به الجواد فى قلب ذلك الحفرة واطبقت عليه الـكفار
واخذوه قبضا باليد وقفلوا ابواب البلد ومنعوا المغاربة من العبور وساقوا
البطرنى الى بين ايادى ملك الاتقيا فقال له يامسلم انت الذى اردت ان تاخـذ بلدى
فقال البطرنى يا ابن الـكافرة ان شاء الله الرحمن الرحيم تأخذ بلدك ونتحي رأسك
فامر بقطع راسه وانتدب على دماغ البطرنى سياف وبيده حسام ورفع يده واراد ان
يضرب به بالحسام واذا بلطش على منبت الشعر وقعت رأسه من على الاكتاف ونظروا
اهل الاتقيا واذا باثنين ابطال وبيد كل واحد منهم حسام فعاله ولهم قلوب اقوى
من الجبال فواحد منهم قتل السياف وقطع كتاف البطرني والثاني حل طالب

باب الاتقيا وهو يصيح الله اكبر فتح ونصر بدين النبى محمد القمر

لنا فى القناعة دون جميع العباد * رؤوس الموالى فى ثياب العباد
ونلبس مع الهجران ثياب جداد * وفى الحرب سطوتنا تذيب الحديد
وتروي فصاحة نطقنا فى البلاد * وعند الحبيب يرجع علينا البليد
ويرخي من العين كل من جاء وراح * وسطواتنا حقا تزيل الجنون
سلمنا من النشاب وضرب السلاح * ولا صابنا الا سهام العيون

فواحد من الاثنين خلص البطرنى واركبه على ظهر جواد من الخيل الجياد ولحق به الحرب والجلاد وانطبوا الثلاثة على عصبة الكفار ولعب البتار ولحق الانصار ولحق الانبهار والندل حار فلا ترى الا دماء سايل وجواد بصاحبه غائر تنفتك منه الضمائر صارت وقعة يالها من وقعة تجلى عليها الملك العظيم القادر وداموا الثلاثة ابطال يضربوا بالحسام حتى ولي النهار بالابتسام اسخنوا الاثنين الفداوية بالجراح وكلا منهم ايقن بفراق الارواح ونظر ابو بكر البطرنى الي ذلك الضر والبلوى فرفع قامته لمن يعلم السر والنجوى وقال آه يارب

يارب اين خلقت الخلق قاطبة * يامن تفردت بالتعظيم ياالله
يارب نا وقعنا فى مخاطرة * نرجوا بها نصرة الاسلام ياالله
ثلاثة قد بخادم مهجتنا * وسعينا فى سبيل الله ياالله
وقد تناهي بنا اتلاف انفسنا * ونرتجيك عونا بالنصر ياالله
اجب دعانا ولا تسمت بنا اسما * لم يعرفوك ولم يدعوك ياالله

(ياساده) ياكرام ماتم ابو بكر البطرنى هذا القول واذا بباب الاتقيا قد انفتح وهجمت عساكر الاسلام مقدمهم المقدم جمال الدين شيحه ويتبعه اثنا عشر مقدم من بنى اسماعيل اولهم المقدم حسن النسر ابن عجبور وآخرهم المقدم عز الدين مهلك ويتبع الجميع اثناعشر الف مجاهد من كواخي المقادم ونظر الملك الى ذلك الحال ايقن لملكه بالزوال فنزل يعاون عسكره فلم يقدر بل عاد الى قلعته فالتقاه المقدم نصرون وقال له ما الخبر فاعلمه بقصة الرجال الذين فتحوا البلد ودخول الاسلام فقال له لا تخاف من هذا الحال لا بد ما يحضر عالم الملة جوان ويدبرك على

الحرب والطعان ثم انه اخذه ودخل به الى البلد ودام السيف يعمل الى آخر النهار والمقدم شيحه وقف على الاصوار وينادى قاتلوا ياعصبة الابرار من عاش عاش سعيد ومن مات مات شهيد ولما امسا المساغير المقدم شيحه نفسه حتى دخل على الملعون الملك الاتقيين ملك الاتقيا فى صفة وزيره وقعد يتسا يرمعه الى الثلث الاول والقى عليه البنج بنجه وقبض عليه ولما اصبح الصباح جلس المقدم جمال الدين على تخت الاتقيا واحاطت به بنو اسمعيل وامر باحضار ملك الاتقيا فلما سار قدامه امر بقتله قال له ياسلطان القلاع ايش الذى بلغ من اذيتى حتى استحق القتل قال لكونك قمت شواشى العصيان قال له ان الذى اغرانى الى ذلك جوان وانا اتوب على يدك قال البطرنى يامقدم جمال الدين هذه البلد انا تمنيتها على مولانا السلطان وانتم لى بها قال البب لا تفتنى يا قبطان الاسلام اذا اردت الاقامة بالاتقية مافى خلاف ولكن هى بلادنا ولم لنا بلاد غيرها فاذا طرد تنا منها في اي ارض نقيم وانما اريد من فضلك انك تكون انت الحاكم فيها ونحن ان انفيتنا تكون رعيتك من تحت طاعتك قال البطرنى الكافر لا امان له قال الاتقيين ضمانى على سلطان القلاع والحصون وانا فى عرضك يامقدم جمال الدين قال جمال الدين شيحه يا امير ابو بكر اترضى ان تكون الاتقيا بحكمك و يكون البب الاتقين نايب عن النصاري من قبلك وان حصل منه ادنى خلل انا الضامن له و يبقى دمه لك حلال رضيت بذلك ولكنى يامقدم جمال الدين لما ادور على عسكري واشوف من مات ومن بقا فعند ذلك داروا على العساكر يفتقدوهم ثم قال البطرينى يامقدم جمال الدين انا رايت اثنين فداويه حصر وامن البر وقاتلوا معى يوم كامل وبعد ماخلصني واحد منهم واركبني على حصان ولما دخلت عساكر الاسلام تلهينا عنهم ولم نعلم مكانهم قال المقدم جمال الدين والله يا اخى انا ماعلمت بك الا من المقدم اخى موسى بن حسن القصاص واردت ان ارسل اطلب عساكر من مصر فبلغنى ان السلطان اتاه خبر من الاسكندريه بعصيان الاتقيين ولما علم الملك بذلك توجه اليها فجمعت انا بنوا اسماعيل واتيت لك ثم انهم فتشوا في القتلا فوجدوا الاثنين المقادم مجروحين جراح بليغه فعالجهم المقدم جمال الدين شيحه وقطب جراحاتهم وقال لهم يامقادم

ما تقولوا فى الاطاعة قالوا له يا مقدم جمال الدين نحن سبعة مشتبكا ولا دعم فان اطاعوك
اولاد عمنا اطعناك وان عصوا عليك عصيناك فتركهم جمال الدين شيحه يرتب
قواعد الانقيا لابو بكر البطرني واذا بالمقدم سعد بن دبل اقبل عليه قال شيحه
اهلا وسهلا قال يا مقدم جمال الدين اعلم ان امير المؤمنين الملك الظاهر عدم من
الاسكندريه وارسلني المقدم ابراهيم احضر الرجال الفداويه من الانقيا وقصده
فتح حصن السلاسل والتفتيش على السلطان قال المقدم جمال الدين سير وامه يا بنوا
اسماعيل حتى اسبقكم انا وادور على السلطان اينما كان قال وكان السبب فى ذلك
ان السلطان جالس واذا قد اقبل ابو على البراح بطير تحت باطه كتاب قام به من
لاسكندريه فقرى على السلطان مضمونه انه حدث فى الاسكندريه سرقة اولاد
الناس وكثرت علينا الشكاوي من اهالى الاولاد المعدومه ولم نعلم الغريم الذى
يفعل ذلك ولما اعيانا الحال ارسلنا لك هذا الكتاب تداركنا بسيفك المسنون
وجوادك الميمون وامرك المكنون فاننا فى ريب المنون ادركنا والا فارسل
لنا من يدركنا الامر امرك اطال المولى فى عمرك فلما سمع الملك ذلك قال لا بد لى
ان اروح الى اسكندريه بنفسي واكشف الاخبار ثم ان السلطان تنكر فى
صفة تاجر بعد ما اوصى ولده محمد السعيد على الملك واوصاه بالعدل والانصاف
وركب السلطان وحده لان ابراهيم وسعد كانوا اخذوا اجازه برواح القلاع
لاجل يوطنوا اموالهم الذى اخذوها من رومة المداين ومن جزاير الغلف فذهب
السلطان الى اسكندريه وحده ومادام سعى حتى دخل البلد ووصل الى باشمت
الاسكندريه فتخفى ولم يعلمه بحاله بل دخل الى خان ونزل عن ظهر جواده ثم قام
الى الليل ودخل يتسلسل قاصدا ان ينظر اثر الغريم وكان السبب فى ذلك ان الملعون
جوان لما اعيقه الحيل وضاقت حضيرته فقال للبرتقش سير بنا الى جنوه لعلنا ان
نرسل جماعة من عند الربن حنا الى الانقيا يبنوا سلك على المسلمين فدخل جوان
على الربن حنا فقام اليه واستقبله وقال يا ابونا انا فى انتظارك فقال جوان يا ابنى انا
اتيت الى عندك قصدى ان تساعدنى على اشتهار دين المسيح لان المسلمين افترسوا
بالنصارى والانقيا ملكوها المسلمين وانت يا ولدى ما تجتهد فقال الربن حنا انا ما

طاوعتك الا على خراب بلادى اولا بنى اخذها معروف وجرما جرى ولم حصل منك ثمره فقال جوان في هذه النوبه انا املكت بلاد المسلمين عن بكرة ابيها فقال الرين حنا يا ابو نامو جود بحصن السلاسل المقدم براميل فامضي اليه لعلك تحرضه يكون معنا على المسلمين فقال جوان انا اعهد انى رأيت في مدينة جنوده سرادب تحت الارض يتصل الى حصن السلاسل قوم افتحه حتى اسير منه اليه فقام الرين حنا وفتح السرادب ونزل جوان والبرتقش وماداموا حتي طلعوا من خلف بير في حصن السلاسل وطلع جوان فرش شيبته على وجهه وانحنى على عكاز وقال يا مسيح

بحق من بعد الممات قمصا * وكان فى حياته يتبعبصا
وكان يمشي فى الهواء بقرصا * يجرى شبيه الريح لما برقصا
ومن له فى الرأس قرنا معجبا * وعقله من رأسه منسبا
ودائما كالقوس محنى الظهر * يمشي يحرك رأسه والدنيا

فقام اليه المقدم براميل وقبل يده وقال له يا ابو نامن اين طريقك قال جوان من السما من عند المسيح امرنى انزل الى الارض وآمر الكرستيان ان يجتهدوا فى تصحيح شريعته وشريعة مريمة الزكيه والدته وامرنى ان اساعدك يا ولدى حتي املكك بلاد المسلمين لان صورتك رايتها في كتاب اليونان واخبرنى المسيح ومار ين حنا المعدان بانك تكون ملك على المسلمين فقال براميل يا ابو نا اذا كنت تعلم ذلك عرفنى كيف يكون الحال فقال انت عندك اخ اسمه بتوت قال نعم فامره فاحضره ولما حضر علمه جوان على ما يفعل وعباله مركب تجارة ونزله عليها بصفة تاجر وكتب له كتاب الى كافر فاجر فى اسكندريه اسمه علاى الدين بن الصورى الظاهر للناس مسلم والخافى نصرانى رومي يعبد الصليب دون الملك القريب المجيب فاخذ الكتاب المقدم بتوت وسافر على ظهر البحر من حصن السلاسل حتى وصل الى اسكندريه وطلع من العمار وحط متجره فى خان وامر القبطان ان يقف بالغليون فى المينة الخراب ودخل بتوت الي علاى الدين ابن الصورى واعطاه كتاب جوان ففرده وقرأ مرادانيه يذكر انك تدل بتوت على السرادب الذي يوصله الى المينة الخراب وتاريه عندك حتى يتم اشغاله ولك نظير ذلك البركه

من عالم الله جوان فاجاب بالسمع والطاعة واخذه الى منزله واكرمه وثانى الايام اخذه الى السرداب ونزله منه وسافرمنه حتى اخرجه من وسط الليمنة الخراب كما امره جوان وذلك اقام بتوت يسرق اولاد الناس من الاسكندريه وطلعت اهل الاولاد واشكوا الى باشت اسكندريه وارسل الى السلطان وتوجه السلطان كما ذكرنا حتى وصل الى الاسكندريه ولما كان فى الليل توجه السلطان يدور الى البلد فى ظلام الليل ومادام سايرحتى عبرعلى سوق التجا وفنظر الى زول سايرفتبعه وكان هذا الزول بتوت اخو براميل ومازال سايرحتى وصل الى بيت علاى الدين ابن الصورى والملك خلفه فدخل الملعون قفل الباب فوضع الملك اللنت بين الباب والعتبه ودفع الباب ودخل واراد ان يصيح على الملعون بتوت فرأي بتوت تحته وارمي عليه البنج فوقع السلطان من طوله اتكا عليه اوثقه كتاف وقوا السواعد والاطراف وشممه ضد البنج افاق يجد نفسه على رأى الذى قال

دري مسيئا لك واظهر بانني لطفك * ونزه النفس وارخ الهم عن كتفك
لوكنت تملك خاتم الملك فى كفك * يجرى القلم رغما عن انفى وعن انفك

وتامل يجد الملعون بتوت مبسوط سكران يغني وهو فى غاية الافراح والمسرة قال الملك انت ايش يا نصرانى قال له اخو براميل صاحب السلاسل ولا اتيت الى هذا المكان الا بامر عالم الله جوان لانه اعلم اخى براميل انه يصير ملك على المسلمين بعد ما يقتلك وهذا اليوم آخر ايامك من الدنيا ثم انه بنجه ووضعه فى صندوق وامر رجاله وكانوا اربعين نشالوا الملك ونزلوا به من السرداب وطلبوا المينة الخراب ونزلو فى الغليون وطلبوا حصن السلاسل واعجب ما وقع ان واحد من الاربعين كان سكران ودخل المرتفق يزيل ضرورة فمن سكره غرق فى الكنيف ولما افاق طلب السرداب رآه مغلق فطلع الى المينة الخراب فرأ الغليون سافر تحت الليل اراد الدخول الى المينة العمار فنظر اليه الريس جمعه رئيس وغاز اسكندريه قام اليه وقبضه باليد وسأله من اين اتيت ذلك المكان فلم يعلمه بخبر بل قال انه نصرانى من النصاره (ياساده) واما المقدم ابراهيم بن حسن وسعد بن دبل فانهم عادوا الى مصر من القلاع فلم يجدوا السلطان فسالوا من الوزير فاعلمهم انه توجه الى اسكندريه

من اجل حادث حدث فيها وهو مسافر وحده ولم معه احد قال ابراهيم لا بد لي ان اتبعه ثم اخذ المقدم سعدو توجه معه الى اسكندريه ومادام حتي وصل اليها وسال عن السلطان من باشة اسكندريه قال له والله يا مقدم ابراهيم ان السلطان لم اتا الى اسكندريه ولا علمنا به قال ابراهيم كيف ما علمت به وهو خرج من مصر الى هذا المكان من اجل كتابك الذى ارسلته اليه قال له والله يا مقدم ابراهيم لم رأيته قط فعند ذلك نزل المقدم ابراهيم يدور فى اسكندريه وصل الى الخان فرأى حصان السلطان فمسكه ومسك الخانجى وساله الخانجي عن صاحب هذا الحصان قال انه طلع ليلة البارحة ولم عاد فبينما هم فى الكلام اذا بالرئيس جمعا قبل وهو قابض على النصرانى واتى به الى قدام المقدم ابراهيم فعند ذلك قال ابراهيم ايش هذا فاخبره انه رآه مقبل من جهة المينة الخراب وقبض عليه قال ابراهيم انت النصرانى فلم يقر فقال ابراهيم يا ملعون اين السلطان فقال انا ما اعرف السلطان فانحمق ابراهيم وضربه بالكف على وجهه وصرخ عليه وهز الشاكريه فى يده فارتهق وقال اصبر يا سيدى فانا احكى لك على الصحيح ثم انه احكى على القصة التي جرت من اولها الى آخرها والتجارة التى فى الخان والسرداب الذى يمدى الى المينة الخراب وعلاي الدين الصورى وسرقة السلطان منه فعند ذلك احضر ابراهيم علاء الدين الصورى وقرره فاقر بالصحيح من بعد الضرب الشديد فضربه ابراهيم بالشاكرية قسمه نصفين وختم على منزله وامواله وحرق جثته بالنار وامر المقدم سعد ان يمضى الي الاتقيا و ياتى ببنوا اسماعيل فما كانت الا ايام قلائل حتي حضروا واخبرا نه امرهم ان يسبقوه على جنوده وصحبتهم المقدم جمال الدين شيحه وبعد ذلك اخذ النصرانى واستدل منه على السرداب واطلق الاولاد لاها ليهم وارسل كتاب الى مصر على جناح طير بامر الاغا شاهين الوزير ان يخرج بالعساكر الى عرضي الاسلام و يلقا المقدم جمال الدين والمقدم ابراهيم على مدينة جنوه فان ملك الاسلام انما ق بها فوصل الكتاب و برز الاغا شاهين الافرم الى العادليه حتى تكامل العرضي وسافر يقطع الاودية والبراري الحول

حتى وصل الى جنوه فصادف وصول العرضي بالوزير ووصول المقدم ابراهيم
وبنوا اسماعيل فى يوم واحد فضربت المدافع من اسوار مدينة جنوه ومنعوهم
على قدر رمى النار وبعد ذلك انتصب العرضي وامتدت الطوايل للخيول
وانتصبت الخيام عرضا وصول وتحضر للحرب كل بطل بهلول وبعد ذلك كتب
الوزير كتاب وسلمه الى المقدم ابراهيم بن حسن وركب على ظهر حجرته وسار
الي مدينة جنوه واعلم النفر بانه نجاب فاستأذنوا عليه الرين حنا وفتحوا له الباب
فدخل وسار الى قدام الرين حنا وقال قاصد ورسول بالزوج البتول وابن عم
الرسول وسيف الله المسلول الامام على ابن ابى طالب مظهر الاهوال والعجائب
كرم الله وجهه ورضى عنه بالقوة نكس الاصنام وعمر البيت الحرام لا تبع منهزم
ولا هتك حرم ضرب بسيفه فى الارض كبرت ملائكة السماء سمع الندا من العلا
لا سيف الا ذوا الفقار ولا امير النحل الا الامام على الذى خرب خيبر وقاتل
من كفر وابن عم النبي محمد القمر فقال له الرين حنا هات كتابك وخذ رد جوابك
فقال له قم على حيلك خذ كتاب الوزير بأدب واعطيني رد الجواب بعد ما تقراه
بأدب واعطيني حق الطريق بادب وانا اسير من قدامك بادب ولا تعمل قلة ادب
لان الوزير كتب فى ساعة غضب يكون كتب شيا يتغير منه خاطرك تقوم تمزق
الكتاب فيكون غير صواب وقبل ما تقطع قطعة من هذا الكتاب يكون راسك
على الارض والتراب ولا يغرك كثرة رجالك فانهم قليلات على قبضة شاكريتي
وانت يارين حنا تعرف همتى وها انا قد نصحتك من قبل ان تاخذ الكتاب فقال
الرين حنا يا ابن الحورانى انا ما اتشطر على الكتاب ثم قام على حيله ومد يده
اخذ الكتاب فرده وقراه يجد طلعه الصلاة والسلام على من اتبع الهدى وخشى
عواقب الردى واطاع الله الملك العلى الاعلى واللعنة على من كذب وتولى اما بعد
فمن حضرة الصدر الافخم والوزير الاعظم الوزير شاهين الافرم الى بين ايادى
الملعون حنا صاحب جنوه اعلم يا ملعون انك تعديت وجاوزت الحد وظلمت
وخنت العهد بالتجاري على بلاد المسلمين وارسال الملعون بتوت اخذ براميل
صاحب حصن السلاسل وسرق الاطفال واخيرا عمل حيله وسرق السلطان

ووصل به الى عندك وهذا من نوع التجبر والافترا ولكن كان الذى كان وها انا اتيت الي هذا المكان بعسكر الاسلام والفداوية الكرام ان اردت السلامه من المقدم والوجود بعد الندم تطلق امير المؤمنين وتعتذر اليه من هذا الخطأ لعله ان يقبل عذرك و يسامحك ويحاسبك على كلفة الركبة و يبايعك نفسك بالمال ويضاعف عليك الخراج فان فعلت ذلك كان لك الحظ الاوفر وان خالفت سوف تري مايحل بك من السوء والضرر والسيف اصدق انباء من الكتب وحامل الاحرف كفاية كل خبر والعمد على الختم فيه حجة والسلام على نبي ظللت على رأسه الغمام وكان جوان قاعد بجانب الرين حنا ذلك الساعة قال الرين حنا ياابونا ايش هذه العبارة الذى فتحتها وماهذا البلا قال جوان انا عارف الذى فى الكتاب وانا كتب بالحرب واعطي حق الطريق الي ابن الخورانى خليه يروح وانا ادبر لك كل شىء طيب ففعل ماامره جوان وأخذ ابراهيم رد الجواب وحق الطريق وعاد الي عرضي الاسلام واما جوان فانه احضر بتوت اخو براميل وقال له ياولدي آدي وقتك فان نصرة دين المسيح على يديك قال بتوت ان المسلمين فشار ولا احمل لهم هم ابدا وأما الوزير فانه امر بقرع الطبول وجاوبتها طبول الكفار وبات الطبل يقرع حتى اصبح الله تعالى بالصباح هنالك فتحت ابواب جنوه وخرج الرين حنا فرتب عساكره وعباد ساكره وخرج من عسكر الروم بطريق مزقه الكفر تمزيق راكب على جواد اشقر ومتقلد بسيف ابتر وعلى كفه رمح اسمر يتخطف الارواح ويترك على الارض اشباح وصال وجال فى جنبات المجال واشار الى الاسلام وقال ميدان يامسلمين من عرفني فقد اكتفي ومن لم يعرفنى فما بى خفا انا المقدم قريعة بن عزاريل فعند ها ركب مفتاح حرب الاسلام الامير ايدمر البهلوان ولطمه لطمة مجدرة تعتمه على ورى اخذ منه واعطاه بايعه وشاراه ضربه بالسيف على وارديه اطاح رأسه من على كتفيه ونزل الثانى الحقه باخاه وثالث ماخلاه ورابع اعدمه الحياه والخامس والسادس جعلهم على الارض نواكش والسابع والثامن خلاهم على الارض رهاين والتاسع والعاشر ساروا على الارض دواشر ومازال كذلك الى آخر النهار وقتل من الكفار خمسين واسر عشرين

وثانى الايام كان الحرب على بنى اسماعيل خرج المقـدم حسن بن عجبور قطع الجماجم والبحور وفعل فى الاعدا افعال البطل الغيور واخرق بطعناته الصدور ودام الامر الى آخر النهار عاد وهو يرقص حجرته طرب ويتمايل على ظهرها عجب وكذلك اليوم الثالث فعجزت الـكفرة عن البراز وقالوا الجوان يا ابونا كل من خرج الى الميدان يموت والمسلمين لم احدا منهم قتل ولا خرج وهذا شيء لم لنا به طاقة قال جوان لا تخافوا اولادى ان الذي ماتوا قليل ولا بد ما اجيبهم ثانيا لمـا يكملوا قدر ثلاثة آلاف واوقد لهم شمع الصفصاف واسبكهم يعودوا بالحيا جدد لهم الرين حنا لما وعوا عالم الملة قالوا لا يمكن عمرنا لم رأينا احدا مات وعاد استحيا ابدا فعند ذلك التفت جوان الى بتوت وقال له قم على حيلك قاتل على دين المسيح قال حاضر ثم انه قام خرج الى الميدان اسر الامير ايدمر و بعده اسر علاى الدين وما تم ذلك اليوم حتى تم اسر خمسة اماوه فعند ذلك تضايق المقدم ابراهيم وخرج الى الميدان ولطمه بتوت واخذ معه فى القتال ساعة زمانية وضربه بالشاكريه على صدره قسمه من وسـط ظفره فخرجت الـكفار فتلقاهم المقدم ابراهيم وقاتل ما قصر وقال حاس يا كلاب الروم الله اكبر وتبعه المقدم سعد وتبعه عصبة الاسلام الابرار وغنا الحسام البتار وقتل الانصار ولحق الجبان الانبهار والندل ولى وجار فلا يرى الا دماغ طاير ودما فاير وجواد بصاحبه غاير تفرقعت المراير وتحولت النواظر وكانت ساعة يا لهـا من ساعة تجلى عليها الملك العظيم القادر القاهر ونظروا الكفار الى حرب الاسلام الابرار فلم يجدوا لهم اصطبار فولوا الادبار وركنوا الى الهرب والفرار وانقلعت ابواب جنوه واعتمدوا على الحصار وارسل الرين حنا اعلم المقدم راميل بقتل اخوه بتوت فامتزج بالغضب وحلف انه لم يبق من الاسلام لا راس ولا ذنب وطلع الى قصره فالتفت ابنته وقالت له ايش الذى جرى فاخبرها بقتل اخوها فبكت فقال لها وانا عوات على قتل ملك المسلمين وقتل كلمـا كان معه من المجوسيين قالت له يا ابى اعلم ان المسلمين الذين على جنوه كثيرين وجبارين فاترك هؤلاء المجوسيين وانزل الى حرب المسـلمين ان اسرتهم جميعا اقتل الجميع وان هم اسقوك نبقا نفديك منهم بهؤلاء المأسورين فاستصوب رأيها وركب على ظهر

حجرته وخاض في لامته وتقلد سلاحه وعدبه وسار الى مدينة جنوه من السرداب الذي ينفذ من حصن السلاسل ولما وصل الى جنوه دخل على جوان ففرح به وسلم عليه وهناه بالسلامة وقال له يا برامبل لا تقول ان اخوك مات وفات وانما المسيح هو الذي طلبه واخذه وعن قريب يرده الي الكرستان فاركب بكره ولا تخشى من المسلمين وانا يا ولدى اراعيك وانصرك على اعاديك قال يا بونا انا ما بقا لي صبر عن حرب المسلمين حتى انشيهم اجمعين واعود الى حصن السلاسل واقتل من كان هناك المأسورين قال له جوان وانت لما اتيت من الحصن خليت مين هناك لحفظ الاسار قال له هناك ولدى سابق قاعد لحفظ الحصن ومافيه من النصاره قال جوان ان كان الصواب قدوم السابق معك حتى كان على حرب المسلمين يساعدك قال يا ابونا ما اظن انه يرضى يأتي قال جوان انا ارسل له البرنقش يأتى به الى عندي ثم كتب جوان كتابا يقول فيه بعد التحميد والتسييد من حضرة عالم ملة الروح والامر المحتوم البركة جوان الى ولدي المقدم سابق حال وصول هذا الكتاب اليك واطلاعك على ما فيه تأتى الي مدينة جنوه انما يكون قدومك من السرداب حتى تحضر حرب المسلمين وانا ما على الان اساعدك ببركه من بركاتى ونظرة من نظراتى وشكر يامه واعطا الكتاب للبرنقش فاخذه وسار من السرداب حتى دخل على حصن السلاسل ومضي الى المقدم سابق وسلمه الكتاب ففرده وقرأه وضحك على ما فيه حتى استلقا على قفاه وقال للبرنقش اذا كان جوان له بركات ونظرات فلاى شيء لم ينظر الى الربن حنا ويبارك فى عسكره حتى كانت تكسر المسلمين ثم مد يده قبض خناق البرتقش فتصور للبرنقش ان هذه المسكة مسكة شيحه بعينها فامتثل ولم يجادله حتى ارماه الى الارض وضربه عشرين سوطا ثم مزع الكتاب وارماه عليه وقال زى ماجيت روح وقام ودخل على امه وقال لها قال جوان له بركه ولماله بركه ليه ما بارك فى السفاره حتى يغلبوا المسلمين وحق دينى ان جوان كذاب قالت امه وايش الذى ذكرلك جوان فاعلمها بالكتاب وكيف انه ضرب البرتقش وشرمط الكتاب قالت له ياولدي ولاي شيء تتأخر عن حرب المسلمين قال لها المسلمين لا طلبونى ولا حاربونى فان حاربتهم انا من نفسي اكون انا المتعدى

من ابواب الظلم فقالت له انت لك عليهم ثار فانهم قتلوا ابوك وانت كنت صغار فقال لها ابو يا براميل حي فقالت براميل ابو يا انا واما ابوك انت قتلوه المسلمين ومن شفقة ابو يا عليك ومحبته لك اوراك انك ولده حتى لا تعلم ان ابوك مات فقال السابق اذا كان ابو يا قتلوه المسلمين فانا ما اخلي ولا مسلم حتى اقتلهم اجمعين ثم انه قام ونزل من السرداب المذكور وسار الى ان دخل الى مدينة جنوه ودخل على الربن حنا ونظر جوان الى ذلك الغلام فكشت امماه والتفت الى البرتقش وقال له ياسيف الروم اعلم ان هذ الغلام زاد منه فكرى وازعج خاطرى وانا اقول انه شيحة المسلمين فقال البرتقش ما اعمى بصيرتك ياجوان ايش قدر عمر هذا الغلام واما شيحه عمره يزيد عن اربعين والفرق بعيد بين هذا وذاك وانما اذا كان تتشابه فقول انه ولده لاشك ولاريب فعند ذلك قام جوان استقبل السابق استقبال المحب الى حبيبه وقال له يا ابني اجتهد فى نصرة دين المسيح وخذ لبراميل ثار اخوه بتوت فقال ياجوان انا اتيت آخذ لابى بالثار من المسلمين ثم انه بات واصبح برز الي الميدان فنظر اليه الامير بهاء الدين واستهزء به كون انه ماشى ولا له حصان فقاتل معه ساعة وبعد ذلك قفز اليه السابق وركب خلفه على ظهر الحصان ومكن خنجرا من قفاه وقال له يامسلم وحق ديني ان ما رديت حصانك الي جنوه الا مكنت هذا الخنجر من رقبتك اعدمك مهجتك فعندها دار الامير بهاء الدين رأس جواده واستوي الى جنوه والتقوه عساكر الربن حنا وانزلوه عن جواده في اقل من لمح البصر واخذوه يسير ونزل من بعده الامير فارس قطايا والامير كوشي قدم وتمام عشرة امارة وثانى الايام اخذ منهم اثنين فداويه بهذا الحال وثالث يوم عشرة امارة ورابع يوم عشرة فداويه الى تمام عشرة ايام شطب كراسي الامارة وكراسي الفداويه عند ذلك التفت الوزير شاهين الى المقدم ابراهيم بن حسن وقال له يا ابو خليل هكذا يجرى على الاسلام وانت موجود فقال ابراهيم يادولتلي ياوزير اذا اشتد الكرب هان ثم ان المقدم ابرهيم دخل فى لامته وتقلد بعدته وركب على حجرته وقفز الي الميدان وصاح على المقدم سابق وقال له دونك والميدان يا كلب الكفره فقال له السابق سوف تري ثم انه تحارب معه ساعة زمانية اراد السابق

يفعل به كما فعل بغيره فرآه محترس على نفسه وكان المقدم ابراهيم شاكرية ثانية خلاف شاكرية زهير اسمها البازقة فوضعها على كفل الحجرة احتراسا من ذلك الكافر ان يعلوا على كفلها ويفعل به كما فعل بالامراء قبله ودام الامر كذلك وضرب ابراهيم بالشاكرية فزاغ منه الى تحت بطن حجرته مثل الثعبان وقال له افرى لك كرشها بالخنجر فقال له اضرب بني انا يا ملعون ايش لك عندي لحجره فخرج السابق وامتنع من المقدم ابراهيم الي بعيد وحدفه من يده من يده اليمنى بخنجر احد من القضا والقدر فحكم في فخذ الفداوي خرق الزرد وخاض في اللحم الى صلب العظم فصاح المقدم ابراهيم جرحتني يا ابن الملتفته فقال له روح يا كناس داوي جرحك وتعالى حارب بني وقفز من قدامه مثل الطير الطاير ودخل الى جنوه فتلقاه الوين حنا وقال له ياولدي ما سبقك على ذلك لا من قبلك ولا من بعدك فعند ذلك فرح السابق بما قال فقال جوان يا مقدم سابق اعلم ان هذا الذي هو المشهور في المسلمين لم بقا يقدر يبرز ثانيا اليك وجوان داعي لك حتى تاسره او تقتله فقال له يا جوان انا مار يدك تدعى لي ولا تدعى علي وتركه وطلع الى القصر اراد ان ينام فلم يطيق النوم فقام ونزل من السرداب ووصل الى حصن السلاسل وكان حصن السلاسل بعيد من المدينة قدر مئة نشاب وله مينة مخصوصة بجهة البحر خلاف مينة المدينة وله باب حديد يرتفع الى فوق الشرايف بسلاسل بولاد وله مجرور في الحجر من الجانبين للنزول والطلوع وله سرداب الى جهة البر وسرداب الي جهة مدينة جنوة من تحت الارض قطع في الحجر صناعة الحكما اليونانيه وباب السرداب الذى جهة البحر لوح رخام ازرق يعرفه الذي متردد عليه واما سردابه الذى جهة البلد له باب حديد بلوالب للنزول والطلوع فلما نزل السابق من السرداب الذى من المدينة قاصد حصن السلاسل لاجل الكائن في علم الله امتحش بزول مقبل من السرداب الذى للمينة فالتصق الى جانب الحيط وتحمل بضد البنج حتي قرب ذلك الزول ومر على السابق فتأملهوا اذا به بترك يوناني سار تحت الارض في ذلك السرداب قاصد حصن السلاسل ويقول اذا كان عون الله للعبد مسعفا جهي له من كل مراده (ياساده) فتبعه السابق على بعد

حتى وصل الي باب السرداب الذي يطلع الى حصن السلاسل وكان عليه غطا خشب سنديان مصفح محديدوله زركل واحديز يدعن وقتين فطلع البترك من تحت باطه حجرا اخضر ووعكه على تلك الرزفانخلع من الخشب ووضع يده وقال بسم الله توكلت على الله فرفع الباب بكفه وطلع ورد الباب مثل ما كان كل هذا والسابق يتأمله حتى غاب عن الباب بعدما رد الزر كما كان وتقدم السابق ولعب في قلب النطا كما يعرف وفتح باب السرداب وطلع خلف البترك فرآه وصل الى المكان الذي فيه الملك الظاهر ورآه ذبح السجان واخذ مفتاح السجن والسابق فعز عليه وصاح دالي يا ابن الروم فادركوه جماعة من الحصن قبضوا على تلك البترك وقال السابق بحق دينك وما تعبد وما تعتقد من المعبود الذي تعبده ما انت شيحه المسلمين الذي يذكرون منك انك سلطان السراقين فقال نعم يا ابن الملعون انا شيحة سلطان القلاع والحصون فمندلك كتفه ووضعه في الحديد ودخل ربطه بجانب السلطان والملك جالس واذا بشيحه دخل عليه مكتف فقال السلطان لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم دا انا يا اخي كنت متكل عليك واقول انك تخلصني فها انت صرت معي فقال شيحه يا ملك الاسلام والازمان الا اتكالك على وها بقينا سوى واتكالنا على فالق الحب والنوى قال السلطان وهو كذلك ان ربي على كل شيء قدير واما السابق فانه طلع فرحان واخبر امه بما جرى فقالت له ياولدي رب المسيح ينصرك على كل اعداك و يبلغك من الخير قصدك ومناك ففرح بدعاها ونزل من السرداب وثاني الايام وصل الي جنوده وتحدر الى الميدان و يقعله كلام واما المقدم ابراهيم فانه عاد من قدام السابق مجروح فالتقاه المقدم سعد ومعه باشه وضامنه وقيد وقال له هات يا ابوا خليل يارسول الغضب و يارسول الرضي ياراحات الحرب اذا اشتد الكرب والله ما يسمح الزمان بفارس مثلك ابدا فقال ابراهيم لا تضحك ياسعد والله ان هذا الصبي جسور على الحرب خبير بطاعن الضرب وانت ياقرن تضحك حيث انك ماجربته وتلقى حملته ولا صرخته فقال سعد في غداة غد اذا اراد الله ار بك ما افعل به في

الحرب والطعان اذاقابلته انا في الميدان ولما كان عندالصباح برز المقدم السابق الى الميدان نخرج اليه المقدم سعد كانه شيطان وانطبق عليه فتلقاه السابق مثل فرح الجان وتحادفوا على بعضهم في الخناجر بكى الصدور والمحاجر ودام الاخذ والعطا بين الاثنين مشيتك حتى تركبت الشمس في قبة الفلك هنالك نظر السابق الى المقدم سعد فرآه ناراً لا يسطلا وجبلا كلما قار به شمخ وعلا فدار وجهه الي جنوه وطلب الهرب قال سعد يا كلب الكفره اين تفدوا بين من يدى واخرج من على حزامه مقلاع ووضع في كفه رغيف من الرصاص وطوحه الي الهوى وضرب به السابق فاصابه في ظهره ارماه على وجهه فقام مطرود فادركه برغيف آخر حكم بكتفيه وكفاه على باب جنوه قام ودخل وقفل باب جنوة فمع قفلة الباب جاءه رغيف ثالث فحكم في الباب كادان يكسره ولولا انه مصفح بالحديد ودخل السابق على جوان يرتعد مثل قصبة الريح فتلقاه جوان فاستحى منه ولم يلتفت اليه قال جوان لا تخف انا اوقع لك سعد بن دبل وابراهيم بن الحوراني بلا حرب ولا قتال قال له باي وجه ياجوان قال انا ادلك على سرداب تحت الارض تخرج منه من خلف عرضي المسلمين وتسوقهم اجمعين قال له ان فعلت ذلك ملكت جميع عسكر المسلمين فعندها قام جوان واخذه ودخل على كنيسة خراب واورا له باب حجر واذا به سرداب تحت الارض وقال له هذا تسير منه وتطلع من صومعه خربانه خلف عساكر المسلمين فنزل السابق تعلق بكلام جوان ودام ساير حتى خرج من صومعة واقبل الى ناحية المرضي فالتقا ابراهيم وسعد وهم يتحدثون في قصته والسبب في ذلك ان المقدم سعد لما عاد من خلف السابق تلقاه ابراهيم وقال له ياسعد والله ماقصرت في حرب هذا الملعون ولكن هرب منك قال سعد اذا كان نفذ اليوم ماينفذ غدا ولله الامر والتقدير ثم اكلوا شياً من الطعام وصلوا فرضهم وطلبوا النصر من الملك العلام وقعدوا للمشورة و الكلام وفي ذلك الوقت اشرف السابق من خلفهم كما علمه جوان وكان السابق عايق زمانه يعرف البنج وضده فالقا على الاثنين دخينة بنج فمالوا الى الارض فكتفهم وعاد

الى امه بعدما تركهم مكتفين واعلمها بما فعل ومراده ان ياخذ معه بطارقة لاجل حملهم الى السجن قالت له يا ولدي ايش ذنب دول معك انا لا اعرفك ولي الا شيحه سلطان السراقين قال لها ان شيحه عندى فى السجن وان اردتى احضرته اليك قالت له حضره حتى اشفى منه غليل صدرى فى هذه الليلة فانه ياولدي كان نظرنى نظره وانا صغيره فاطبق على وضربنى بفرخ نشاب مسموم فى محل ضيق جرحنى جرح لم عاد يقطب ابدا وكل الجراحات تطيب الا هذا الجرح ابدا فلما سمع السابق كلامها خرج من بين ايديها ودخل السجن واخرج شيحه وهو يقول له يا كناس تضرب امى تجرحها لا بد ما اعذبك اشد العذاب قال شيحه ومن هي امك قال له ها انت رايح تنظرها وتنظرك ثم دخل على امه ومعه شيحه وقال لها هذا طلبك قالت اربطه يا ولدي فى رجل السرير حتى اعذبه العذاب النكير فربطه لها وخرج ليحضر ابراهيم وسعد حتى وصل اليهم فوجد المقدم على بن الشباح فيهم فعاد على عقبه حتى وصل الى امه فوجد باب القاعة مغلوق ونظر من شق الباب فوجد المقدم جمال الدين مركب الدولاب والسبب فى ذلك ان المقدم جمال الدين لما قدمه السابق لها وربطه في السرير تركه ونزل قالت له هكذا يفعل الملوك يا مقدم ازواجهم ام هذه عادة الاسلام اذا تزوجوا حرمة رغبت دين الاسلام يهجروها لكونها تركت دين الكفار وتبعت دينهم فقال شيحه حاشا لله ان يكون ذلك فقالت له انت فعلت معي ذلك فقال لها انت من فقالت له انا مرينه بنت الخانجى الذى تزوجتنى فى مصر وعقدت عقدى وامهرتنى بهذا العقد الجوهر الذى فى رقبتي وفاجعتني وحملت منك بهذا الغلام وهذا السابق ولدك لا كلام ثم تقدمت اليه وفكته وقالت له اين الوداد الذى كان بيني وبينك هذه ثمانية عشر عام ولا كان لك زوجة ولا غلام ولكن بهذا حكم بيننا الملك العلام

تقطعت الرسائل وانتسينا * وعدنا مثل زوار القبور
ولا خبر يجى من عند خل * ولا انا طير اطير مع الطيور

فعند ذلك قام المقدم جمال الدين عانقها وضمها الى صدره وكذلك هي ضمته فحنت الاعضاء للوصال فواقعها فى الحال وفى تلك الساعة عاد السابق ونظر الى

ذلك الفعال فضرب الباب بيده فانكسر عند ذلك قام له المقدم جمال الدين وكان خلص اشغاله واراد ان يتقاتل معاه فقالت له امه ياولدي تخلد فى النار يداك اذ مد يتها على امك وابالك فقال لها ومن هو ابى فقالت له المقدم جمال الدين ابوك وانا امك واما هذا برميل فانه كان عايق من عياق الروم حكم علينا هذه المدة حتى ظهر الحق باذن الحى القيوم فقال لها ولاى شيء ما اعلمتيني انى مسلم حتى كنت اخذتك وسرت بك الى المسلمين قالت له ياولدى لو علموا النصارى انك مسلم ما كانوا لهذا الوقت خلوك فقال السابق وحيث ابيك شيحه يا ابى علمنى حتى اسلم فقال شيحه تطلق الاربع وتقيم الاصبع وتقول كما قال موسي ياممبد ويامبدى من العلم علمنى عسى الله ان يرفع مجدى قال الله ياموسي فضل ما يقول عبدى لا اله الا الله حقيقة على اللسان محمد رسول الله بها يكمل الايمان وصابون القلوب كلمة التوحيد يسعد من عليها توفا كلمة فى الموازين ترجح للاسن عليها خفة ولولوا جميع الاعمال فى كفه وهى فى كفه والجبال وثقل الاراضين ياقوم ما يرجح الا هى وهى لا اله الا الله محمد رسول الله عند ذلك اسلم السابق اسلام صحيح ففرح المقدم جمال الدين باسلامه فقال ياولدى حيث انك بقيت مؤمن بقا يجب عليك المعاونة لدين الاسلام فقال السابق ياابى والمعاونة ايش تكون فقال له اولا القبض على جوان والبرنقش واطلاق ملك الاسلام والمجاهدة فى الكفرة اللئام وملك الحصن هذا حصن السلاسل فقال السابق هذا امر ساهل ثم انه نزل من السرداب وسار الى جنوده ودخل على المقدم برراميل وقال له قوم بنا حتى اننا نقتل ملك المسلمين وشيحه ونرتاح منهم وبعدها نلتفت الى غيرهم فقاموا معه ونزلوا من السرداب فقال له السابق يابراميل اعلم انى انا اسلمت وامرى الى الله سلمت وانا اريدك ان تسلم وانا ابقا اقبل يدك كما اقبل يد ابونا المقدم جمال الدين شيحه فاولك فعند ذلك حط يده براميل على الحسام واراد ان يضرب السابق واذا بضربه على وريديه اطاح رأسه من على كتفيه وكان الضارب له المقدم عز الدين مهلك والسبب فى ذلك ان المقدم جمال الدين شيحه لما تركه السابق ومضى من السرداب دخل اطلق السلطان واخبره بالقصة والسلام وان السابق ولده وتركه ومضي الى

جنوه اطلق الرجال وامرهم ان يجهزوا انفسهم و يتحدروا للقتال و نزل بهم من السرداب فرأى ولده مع المقدم براميل كما ذكرنا وكان بجانبه المقدم عز الدين مهلك فضرب براميل قتله ونزل على حصن السلاسل ليلا هلكوا كلما كان فيه وطلعوا منه كبسوا على عساكر الروم الذي من خارج مدينة جنوة واول ماهجم كان الملك الظاهر وصاح الله اكبر

انا ملك الاسلام انادم الحرم * انا الظاهر المنصور بالبند والعلم
انا ترس قبر الهاشمي محمد * ولى عزم يوم الملتقا يعلق القسم
وتحتى جوادادهم شاع ذكره * صبور على الهيجان لا قط ينهزم
ودرعي كاحداق الجراد تخاله * يرد حداد البيض والرمح ينحطم
وخودبة مادية اى مدهبه * تضيء كما ضوء الكواكب فى الظلم
وقنطاربة بن اباديس قد ملكتها * ولى عشر ارطال دمشقي قد احتكم
وخدمت ابطال الحصون لرفقتى * وقرقف وديلم ثم فرفة من العجم
و بسعدوا براهيم قد نلت رفعة * شوا كرهم تبرى الرؤوس من العمم
وسلطانهم شيحه انا شاكر له * يهجم على الكفار يورثهم نقم
ومثل جمال الدين لم عاد يتقشى * من الآن حتى ان يعود الى الرمم
وصل الهى بكرة وعشية * على المصطفى من خص بالجود والكرم

فجاوبه المقدم ابراهيم وهو يصيح الله يعينك ملك الاسلام

الله اكبر كم قتلنا مفترى * ولكم ضحينا فى العجاج غضنفرى
ولكم فتحنا كل قرية كافر * بالسيف والرمح الاصم المهرى
صارت من الاسلام نوراساطعا * وانزاح منها كل طاغ وكافر
مانمهدوا لي يارجال بالنى * اؤذن لكل مهلل ومكبرى
و بنيت للدين الحنيف قواعدا * وحميتها من كل طاغ مفترى
ماتشهدوا لى بوم سبس وحربها * من بحرها الدم العجاج الاعبري
خضنا بحور الدم فى يوم الوفا * كانت مراكبنا الخيول الدمرى
وقلوعها كانت ببارق حربنا * ويعوج فيها كل ليث قصورى

انى انا ابراهيم فى يوم اللقا * افنى جيوش الكافرين يابترى
اهجم على الغابات اقنص اسودها * والهيش راقد فوق مجده عنبرى
يارب صل على النبي وآله * من جاء بالبرهان مع البشاير
(ياساده) وصاح المقدم سعد بن دبل حاس الله اكبر
كلاب الكفر دونكموا القتالا * فشرب دماكم حقا حلالا
كفرتم بالذى انى البرايا * وخالفتموا الشريعة فى المقالا
فليس لكم جزا الا المواخا * وطعان المشففة العوالا
انا سعد المسمى بسعد عصري * واسعدنى المهيمن ذوا الجلالا
خدمت الظاهر المنصور صدقا * يقينا ليس يعياني محالا
اسوق الجمع سوقا فوق ساق * الي سوق الجامع والنزالا
وكم ليل قطعت البرفيه * وكوكبه لنحو القرب مالا
الا يامعشر الاسلام جودوا * بانفسكم جهادا فى القتالا
تري الدنيا تزول بما عليها * ولا يبقا سوى ربي تعالا

قال الناقل وكلا من هؤلاء تكبب وارتمي كصاعقة نزلت من السماء كحاوا الاعدا الكفرة بمراود العما وقرأ عليهم آيات الله المعظما وما رميت اذرميت ولكن الله رمى وصاحت بعدهم بنوا اسماعيل والامراء الابرار وفتكوا فى عصبة الكفار وغنا البتار وقل الانصار ولحق الجبان الانهار والندل ولي وحار لا تري الا دماعابر ودماغ طاير وجواد بصاحبه غاير وشقت البطون وتعلقت العيون وحام على القتلا طير المنون وكانت ليلة عتمة مظلمة حجب الغبار بين الارض والسماء واشتد الزلزال وبرقت البيض النعال وفتكت الاسلام الابطال فى عصبة الكفرة الانذال فما افاقوا الكفرة الا يجدوا جيدهم مكبوس والسيف يلعب في عواتقهم والدبوس فصاحوا العرك العرك يعني الامان الامان من سيفك يا ملك الاسلام والسنان فنادى المنادى من قبل الملك الظاهر لا أمان الا لمن يسلم او يرمى سلاحه و يسلم نفسه للاسر فما اصبح الصباح الا والدنيا كلها رمم واجسام على

الارض تنداس بالقدم ونظر جوان هذه الاشارة ورأي نصرة الاسلام ظهرت بالامارة فصاح على البرتقش وقال له ياسيف الروم الحقني ياابني وهات لي الحماره فعند ذلك احضر له البرتقش الحمارة واحضر جوان وطلب البرا والصحصحان واعجب ماروي في هذا الديوان ان المقدم جمال الدين كان في هذه الدعوة تمكن من اصوار جنوده وعطل المدافع وذبح الطبجيه بعدما بنج الحراس ثم وقف على شرايف الصور فرأى جوان والبرتقش طالعين والى البرارى هاربين فصاح شيحه وقال يابرتقش قسما بالله العظيم ان ما قبضت على جوان ورديته الى جنوه لا اتبعك ولو تعلقت بالمقام واسلخك وانتقم منك غاية الانتقام فعندها تقدم البرتقش الي جوان وقال له انت سامع اليمين وهذا رجل صعب وعمره ما حلف باطل وانا ما استغناش عن جلدي ولا أرضي ان شيحه يسلخني ويرتمى كتافك وابسط لى العذر يا بونا فعندها يكى جوان وادار البرتقش كتاف وعاد به الي مدينة جنوه واستلم الاثنين شيحه ووكل بهم ولده محمد السابق وما تضاحا النهار الا والملك الظاهر جالس على تخت جنوه ودخل عليه المقدم جمال الدين بالرين حنا مكتف وجوان والبرتقش الخوان وقدمهم قدام السلطان فقال السلطان يا حنه يا ملعون اما اعتبرت بما جرى عليك سابقا حتى فعلت ذلك الفعال وتجاريت على حرب الاسلام فقال الرين حنه ياملك وانا ايش ذنبي هذا فعل المقدم حصن السلاسل وها هو قتل فقال السلطان ولاى شيء مامنعته فقال ياملك ما امكنني ان امنعه من جوان فقال جوان وانت ماعند كش عقل لما تطاوع جوان حتى تخرب بلادك فقال الرين حنه صدقت وانا استاهل لكن ياملك الاسلام انا اشترى نفسي بكلما تكلفته ركبتك واضاعف لك الخراج وان كنت بعد ذلك اخالف سيفك أولى بى واما جوان ضربه شيحه مايه سوط واطلقه ثم قال الرين حنا ياملك والذى يضمني سيدى شو يحات فقال شيحه قبلت الضمان ياملك الاسلام شفعني في ذلك الملعون حتى انه يعمر بلده لان هذه الوقعة اخربتها وانا ياملك الاسلام اضمنه لانه كما تعلم ابيت عنده فقال السلطان وهو في كرمتك ثم انهم نهبوا كل ما كان في حصن السلاسل وضربوه بمدافع حتى جعلوه خراب وقال السلطان لا نقسم الغنايم الا في بحر بلامه والبساتين

ودق طبل الرحيل من على جنوه وسافر الى مصر زينه بغير مناداة وانعقد موكب السلطان فى يوم عظيم الشان حتى وصل الى قلعة الجبل اطلق من فى الحبوس وبطل المظالم والمكوس ونادى المنادي بحفظ الرعية وقلة الاذية وبعد ثلاث ليالي تمام ورد من عند باشت اسكندريه كتاب على جناح طاير يذكر فيه ان يوم تاريخ الكتاب ورد على مينة اسكندريه غليون مقبل من بلاد الغرب وفيه واحد وزير وبصحبته شاب صغير اسمه قار اصلان المغربي وقصده الاتصال الى بين ايادى ملك الاسلام فارسلنا نعلم مولانا السلطان بذلك ليكون فى علمك الامر امرك اطال المولى فى عمرك والعمدة على الختم حجة فيه والسلام فلما سمع السلطان الكتاب قال لا بد من حضور ذلك الغلام وذلك الوزير حتى نعلم ايش اتوا فيه وامر برد الجواب للباشا باحضار الوزير والغلام قار اصلان الى حضرة السلطان ولما وصل امر السلطان الى باشة اسكندر ينقلوا الوزير والغلام من البحر المالح الى البحر الحلو وسافر بهم الرئيس من طرف الرين جمعه حتى قدم الى بولاق وبلغ خبرهم الى السلطان فارسل لهم ركوبه بموكب على قدر مقام القادمين ولما طلعوا الديوان امرهم الملك بالضيافة ثلاثة ايام وبعدها فى اليوم الرابع طلبهم السلطان الى بين يديه فلما حضروا امرهم الملك بالجلوس ولما جلسوا اسالهم السلطان عن حالهم وقال للوزير احكى انت بالصحيح على هذا الغلام وسبب مجيئه من عند ابوه الى هذه الارض قال الوزير سمعا وطاعة وابتدا يحدث السلطان وكان السبب فى ذلك ان فى بلاد الغرب مدينة اسمها مدينة مراكش الغرب وكان بها ملك يقال له المولي عبد القادر فخلف ولدين احدهم اسمه احمد والاخر محمد فمات المولى عبد القادر واستقاموا اولاده من بعده فاحمد خلف ولدا وسماه محمد ومحمد خلف بنتا وسماها عزيزه ثم مات احمد وبقا الملك لاخيه محمد فاراد ابن اخيه احمد ان يخطب بنت عمه فزوجها له بشرط انه لا يكايدها ولا ياخذ غيرها ولا يضاجع الا باذنها فاخذها على ذلك الشرط ومات ابوها وبقيت المملكة بيد زوجها المولى محمد بن عمها واستقام محمد بمدينة مراكش مدة ايام وهو الملك عليها ولم يرزق اولاد من بنت عمه عزيزه ولم يتزوج غيرها الى يوم من ايام قالت له انت بيضك رايق ولم

تخلف اولاد قال لها انما انت بغلة فامرته ان يدخل بجارية حتى يظهر العيب من احدهما ولما دخل بالجارية فلم تقدر على الغير فدخلت عليه واخذته الي عندها وكملت ليلته معها فبالقضا والقدر حملوا الاثنين فى ليلة واحدة ولما كان بعد تمام ايام الحمل وضعت الست مولود ذكر كانه فلقة قمر قال مولاي محمد هذا علامة الخير سميه قار اصلان قالت له انا ما اسمي ابني على اسم الهسه وما اسميه الا شلبي فارس والجارية وضعت غلام آخر فسماه ابوه قرأ اصلان ولما جري ذلك شلبي تسلمته المراضع والدادات وصار مخدوم واما قار اصلان ارضعته امه فقط وفى بعض الاوقات اذا كان لها شغل تطرحه على الارض وتقضي اشغالها لكون انها جارية لم لها احد يخدمها ولما اخرجوا الاثنين من ايام الرضاع فاحضروا لهم مؤدبا الاطفال يعلمهم القرآن وداء وعلى ذلك سنة كاملة وبعد ذلك قعد مولاى محمد طلب الاثنين وقال ياشلبي انت قريت قال لاما قريتش قال وانت ياقار اصلان قريت قال نعم قال ايش قريت قال بسم الله الرحمن الرحيم الم نشرح لك صدرك الي آخر السورة قال له ياولدى الله يفتح عليك وبعد ايام قلائل طلب الاثنين وقال ياقار اصلان ايش صورتك قال يا ابى انا فتحنا لك فتحا مبينا ثم انه استفتح وقرا اصلان سورة الفتح الي آخر فطلب شلبي وقال له ايش قريت ياشلبي اقعد سمعني قال شلبي الالف مادامت قشلانه وغيرها لم حفضت شيء ودام الامر كذلك حتى ان قار اصلان ختم القران وشلبي لم يعرف الا الالف مادامت قشلانه والباوحده من سفلاها فلما كان فى يوم من الايام قعد مولاى محمد فى البستان على جانب فسقيه وكان بيده حزمة وردوفل فارماها فى الفسقيه وقال لشلبي هاتها فمد يده ليأخذها فوقع فى الفسقيه وابتلت ثيابه فطلع وهو مبلول ولم يجيب الحزمه قال مولاى محمد ياقار اصلان هاتها وكان بيده الكتاب يقرأ فيه فوضع الكتاب على الفرش واتى الي جانب الفسقيه وصار يجمع الماء ويجره الى عنده حتي قربت اليه الحزمه فاخذها من الفسقيه وناولها لابوه قال مولاى محمد ياولدي الله يكمل عقلك ويزيدك كمال ودام كذلك حتى كبروا الاثنين قرأ اصلان السلم حتى صار عالم فطين ماهر فهذا ما كان منهم

(قال الراوى) ثم بعد مدة من الايام سأله ابوه وقال له يا قار اصلان ايش يكون افخر الخزن فقال له يا ابى ان الخزن لا يكون الا للكتب واحسن الخزنة الكتبيه فقال له وايش يكون الختام فقال ختام الملك وانت ختام الملك ففرح الشيخ محمد بكلام قار اصلان ولده وقال له يا قار اصلان الله يجعلك سعيد الدنيا والآخره وبلغ الخبر الي الست عزيزه فاغتاظت منه ولما دخل الشيخ محمد قالت له انت تحب ولد الجاريه ولا تحب ولدى فقال لها هذا ولدى وهذا ولدى وهل احد فى الدنيا يكره ولده يا بنت العم الله تعالى يرشد الاثنين فعند ذلك ادعت الست عزيزه بعبد من عبيدها وقالت له يا ميمون اتبع اثر قار اصلان واينما اختليت به فى مكان فاقتله وانا اعتقك من رق العبوديه واز وجك بجارية غريبه فطاوعها وصار يلاحظ قار اصلان مده ايام حتي انه اختلا به وهو فى الصيد وضربه بنبلة فى ظهره فحكمت في حزامه ولم تخرق فى العظم واراد ان يهرب فادركه قار اصلان وضربه بالسيف اطاح رأسه وبعد ذلك اخذه حذره ولم يعلم اباه بما جري ودام الامر كذلك الى يوم امرهم ابوهم ان يطلعوا الى الصيد كل واحد منهم فى فريق وهذا يخدمه اول يوم اتى قرا اصلان وهو يقود سبع من البر وثانى يوم كذلك وثالث يوم اتى بنمر ورابع يوم اتى بلبوه ودا وم كذلك على الصيد مدة ثلاثين يوم واما الشلبي فارس فانه بعد ثلاثين يوم اتى بسبع مصاب بالحمي ضعيف البدن اقام ثلاثة ايام ومات فصارت العداوة فى قلب الشلبي فارس زائده على قار اصلان ولم يقبل ذكرنه ولا يقدر ينظر صورته واما الشلبي فانه كان يوم سائر جهة النهر فراى بنتا واقفة فقال لخدامه هاتوها فجذبوها الخدام الي بين يديه فقال لها امضى معى الي البيت وامر الخدام ان يسحبوها غصبا ويريد ان يفعل بها الفاحشة فمر قار اصلان فراى ذلك فقال له ايش هذه الفعال يا شلبي اما تخاف الله الذي خلقك اما تعلم ان الذى تريد تفعله معصية لله عز وجل ارجع يا اخى عن هذا الضلال ولم تفعل قبيح الفعال فقال له وانت ايش لك فى ذلك انت ابن اجاريه وانا ابن الست عزيزه فقال له قار اصلان صدقت ولكن اذا كنت انا ابن جارية وانت ابن ست فنحن الاثنين اولاد ملك وماهو مقام اولاد الملوك ان يتجاروا على الخناء والفساد بل يكونوا هم اصلح

الاولاد وانا يا اخي يجب علي ان اردك وامنعك عن ذلك لاني انا اخوك وابن امك وابوك فاغتاظ الشبلي فارس وقال له انت يا ابن السكوره مرادك ان تحكم علي وتمنعني عن مطلوبي وتكون انت تأمر علي وحط يده علي الحسام وضرب قار اصلان بالحسام فزاوغه قار اصلان وضربه بدبوس كان في يده ادهشه وخلص منه البنت وقال له والله ان رجعت فعلت فعل قبيح لا بد لي من قتلك ثم انه تركه ومضى فعاد الشلبي الي امه واعلمها بما فعل قار اصلان فيه فصبرت حتى دخل زوجها وقالت له ان هذا ولد الجارية مايحكم علي ولدي وانا ارید منك اما تقتل هذا ابن الجاريه او تمتنع عن تحت اني وانا لي الملك عن والدي فقال لها يا عزيزه قتل الولد لا يرضى به احد وهذا يغضب الله ايضا فقالت له انا ما اطيق ان اراه ابدا فلما اعيته الحيل اعاد على وزيره وكان اسمه سبع الاندلس فقال له يا ملك الصواب ان ترسله الى مصر بكتاب منك الى الملك الظاهر فانه اولا يكون مجاهد معه في الكفار وثانيا يتعلم الفروسية مع ابطال الاسلام وثالثا يبقى بعيد عن بنت عمك ولا يبقى عليك عتب ولا ملام فقال مولاي محمد هذا هو الصواب وانت الذي توصله الى ملك الاسلام بمصر وتأتي منه برد الجواب ثم انه حضر له غليون ونزل معه ماية غلام من شبان وانزل معه الوزير سبع الاندلس وشحن له كتاب الملك الظاهر وحضر الوزير وقار أصلان الي مصر واحكاهذا الي الملك الظاهر وبعده قدم كتاب المولاى محمد الى السلطان وقال له هذا بالكتاب ارسله مولاى محمد اليك ففرده واذا فيه

سلام كتسليم به المسك يختم * على جميع جمع مابه الذكر يعلم
حوى كل سيد وابن سيد * فصيح لبيب بالاشارة يفهم

اما بعد فمن حضرة المولاى محمد صاحب مدينة مراكش الغرب الى بين ايادي سيد ملوك بني آدم وظل الله في العالم اعلم يا ملك الاسلام انه قادم اليك ولدي قار اصلان والسبب في ذلك انه تشاجر مع اخيه ولم لقيت لهم راحه مع بعضهم واخاف ان احدهم يقتل الآخر فارسلت ولدي الى خدمة دولتك لكن انه لم يكن ارفع من جنابك ولا ارقى في المعالي من ابوابك فارسلته الى حضرتك ليقيم تحت ظل حسامك ويخدم مواطي اقدامك فان كان لنا في ذلك نصيب فلا بأس وان لم يكن نعوذ بالله

من قطع الرجا والامر امرك اطال الله فى عمرك والسلام على النبي البدر التام فلما قرا السلطان الكتاب امر له ببيت ابن اباديس السبكى وانزله فيه و بعد ايام قلائل عمل السلطان ملعب ميدان لعبت فيه الامرا والفرسان ولعب فيه قار اصلان و تقلب على ظهر الحصان فانبسط منه السلطان وقال هذا يصير مجاهد فى الكفار وناصرا للاسلام الابرار ثم انه امر له بكرك سلطانى وقال له البس انت اميرا ومقدم على حيش ففرح الامير قار اصلان بذلك وثانى الايام نصب له كرسى الامارة وجلس عليه وكان بجانب الاميرا يدمر البهلوان فتضايق ايدمر منه ليكون انه لم هو من الترك وقال لاى شيء انت اعطيت هذه المراتب لا فتحت قلعة ولا جاهدت تحت بيرق السلطان وانما كل من انطرد من بلاده يأتى الى هذا المكان فقال له قار اصلان اذا كنت تذكر حراية ولم اكن فيها قبلكم ابقى مااستحقش هذه المرتبة واما اذا كنت وقت القتال اسبقك الي الحرب والنزال فكيف يكون لك على مقال فسكت ايدمر البهلوان ولكن على مضض (ياسادة) و بعد ايام الملك جالس وباب الديوان استد ومقبل رجل خواجه وهو يقول مظلوم يا ملك الإسلام

اتملكني الاعدا وانت حمايتى * واظلم فى الدنيا وانت خبيرى
يعار على راع الحما وهو في الحما * اذا ضاع فى البيدا عقال بعيرى

فقال السلطان ياشيخ من الذى ظلمك وانا كاتب على بيرقى لا ظلم اليوم لا افلح من ظلم فقال الرجل يامولانا السلطان انا رجل تاجر من بلاد الشام اسمي حسن السكري عادتى اسافر من مصر الى الشام ومن الشام الى مصر وفى هذه النوبه مسافر مرتين على عكه فطلع على ملك عكه اسمه يعقوب العكاوى فاخذ مالى غصبا ونهبنى نهبا ولو كنت تغالظت بالكلام كان قتلنى فما كان لى الا الوصول الى هذا المكان واشتكى الى مولانا السلطان فما تم كلامه حتى قام الامير قار اصلان وقبل الأرض قدام السلطان وقال ياامير المؤمنين سامحنى اذا اسأت الادب وابسط لى العذر وأذن لى انوجه الى عكه بنفس مولانا السلطان افتحها اسلام فقال السلطان ياامير قار اصلان انت عندى جديد اصبر حتى تطول عندنا مدتك فقال ياملكنا سايق عليك الرسول المكرم سيدنا المصطفى اشرف العباد لم تحجزنى

يا ملك عن الجهاد وها انا معى الف مغربى بسعاده مولانا السلطان افتح بهم قلاع
ومداين و بلدان فانعم له السلطان بالسفر الى مكه و نزل من قدام الملك الظاهر من
قلعة الجبل فنظر خلف الدرب الاحمر محل خراب اشتراه من اصحابه و بنا جامع
واخذ له اماكن واوقفها على الجامع و قطع كل تعلقاته من مصر واقام المهندسين
باجتهاد البنائين والنجارين وارباب الصنائع ففى ظرف اربعين يوما تكامل
الجامع واوقف ماله كله للجامع الازهر وسماه على اسمه وكذلك الحاره بالبيوت
سماها على اسمه وكان فى مدة اقامته هذه المدة بمصر اجتمع عساكره الف ومائتين
وكلهم مغار به خلاف مائة شب قادمين صحبته لما حضر مع وزيرابوه سبع
الاندلس فاخذ الجميع وبرز الى العادليه احضر الفقهاء فرأوا ختمة قرآن ومولد
لسيد المرسلين و بعد ثلاثة ايام طلب البر الاقفر والمهماه الاغبر والحصا والحجر
ومن يصلى على النبى يكسب ليس يخسر هذا ما جرى ها هنا واما ما كان من صاحب
عكه فانه كان رجل مسكر ماله شغل الا شرب الخمر والتنزه على الامياه والمناهل وفى
بعض الايام خرج الي الصيد وفى عودته التقى بذلك التاجر فحسن له السكرانه ينهب
ماله وان عصى يقتله ففعل ذلك ولما افاق من سكره قال لمن حوله كان الصواب قتل
الرجل التاجر حتى لا يثور علينا من اجله. لك المسلمين قالوا له دولتها انت ما امرتنا
الا بنهب ماله و لو كنت امرتنا بقتله كنا قتلناه ولكن لا بد له ان يعود و يطلب
خلاص ماله ثم انهم اقاموا على ذلك منتظرين حتي قدم قار اصلان المغربى و نظر
الملعون يعقوب الى قدومه فخرج بعساكره الي خارج مكه والتقا بقار اصلان
ومن معه وتحاربوا يوما كاملا وفى ثانى الايام هجر قار اصلان وتبعه المغار به وما
زال يضرب بسيفه حتى وصل الى الشنيار وقتل حامله وهجم على صاحب عكه
وقبض على اطواقه وجذبه اخذه اسير وسلمه للمغار به ودعس فى عساكره ...
فرقهم ووقفهم الي ابواب عكه وملكها ضرب البوابين ارما رؤسهم فى الارض
وكبس البلد وافني من الكفار عدد كثير وملك عكه و بعد ذلك افني كل من فيها
من الكفر والذى اسلم اعفاه من القتل وانعم عليه فكان الذى اسلم خمسمائة نفس
فاقام فيها نائب من طرفه وملك عكه قال له انا اشترى نفسى منك بمائة الف دينار

فقال له قار اصلان يا ابن الكافره والله ما اطلق سبيلك حتي ترضي التاجر فى ماله الذى نهبته منه وبعد ذلك تعطيني دية رقبتك والا عجلت منيتك وكان الخواجة صحبة قار اصلان فسلم كلما له بالتمام والكمال واخذ من صاحب عكه تحت نفسه اموال جسيمه واطلقه وجعله رعية من تحت امر الاسلام يحكم على طائفة المغار به المقيمين بعكه واما قار اصلان فانه هدم الكنائس والصوامع وبنا مدارس وجوامع وقلب البلد اسلام لعبادة الملك العلام واقام ستة اشهر حتي انتهت اشغاله وبعد ذلك قدم عليه نجاب من عند الملك يستخبر على ماجري فوجد البلد اسلام تنور بتوحيد الملك العلام بعدما كانت كفر وظلام فاعطي كتاب السلطان الي الملك قار اصلان ففرده وقراه وعرف رموزه ومعناه واذا فيه ان الذى نعلم ولدنا الملك قار اصلان من حين توجهتم الى عكه فما اعلمتمونا بما فعلتم غيرانه ورد علينا من السفار اخباركم بان الله نصركم على من كان فيها فحمدنا الله تعالى وحصل لنا غاية السرور فحال وصول جوابنا هذا اليكم تجعلوا نايب من طرفكم على عكه وتحضروا عند نا سريعا حتي نشرفكم بما يليق لكم من الاكرام والعمد على الختم والسلام على نبي ظللت على رأسه الغمام فلما قرأ الكتاب قار اصلان التفت الى الذي حضر به وكان من اتباع المقدم ابراهيم وقال له قبل لى اياد يمولانا السلطان وقول له يقول لك عبدك قار اصلان انه ما برضي ان يقيم تحت يد ملكين فان ابى ارسلني الى مولاى الملك الظاهر فقط وهذا ايدمر البهلوان كان مشاركه فى المملكة لكونه يأمر وينهى على من يقيم تحت ظل سيف السلطان فهذا يجلب الذل لخلق الله واذل الله من اذل نفسه لمخلوق مثله واعطا النجاب الكتاب فاخذه وعاد الى مصر واما قار اصلان فانه اشترى كلما يحتاج اليه للزوم السفر ووضع جميع اموال عكه فى الخزنه وسلمها الى نايبه وجعل عنده الف عسكرى من المغاربة لاجل حماية البلد وسافر قار اصلان من عكه الى جهة الشام فالتقاه الامير اقش النجيلى باشة الشام واراد ان ينزله فحلف الملك قار اصلان انه لم يقيم فى بلد يحكم عليها الملك الظاهر مادام ان ايدمر البهلوان مقدم على عساكره وتوجه من الشام الى حلب وكذلك فعل معه عماد الدين ابو الجيش فلم يقبل قوله بل ترك حلب وتوجه الي ان رمته

الاقدار على مدينه برصه ولاجل الامر المقدر ان الملك قار اصلان نزل لياخذله ولن معه راحة ثلاثة ايام ولما كان في اليوم الرابع اشتهي ان يتسلى بالصيد والقنص وطلع الي محل الصيد فصار يصيد غزلان وارانب وخلافه حتى حمى الحر اراد ان يعود فسمع صوت آدمي في وسط اجمه وتبعه فدخل ورأى سبع غليظ مضايق آدمي يروم ان يفترسه وذلك الادمي منه تعبان فترجل الملك قار لصلان من على ظهر جواده واخذ حسامه في يده وصاح على ذلك الاسد فلما سمع الاسد صيحته ترك الذي بين يديه واتى الي قار اصلان وصرخ عليه فاجابه بزعقته وحمل عليه بكلتيه وضربه بالحسام في وسط جبهته فصادف الاسد وثبته والحسام وحدته والفاس وشجاعته فما زال الحسام يقطع من بين عينيه حتى خرج من بين فخذيه فوقع الاسد شطرين ومسح سيفه في جلده ونظر الغلام الذي كان مضايقه الاسد الى فعل قار اصلان فايقن بعد الخوف بالامان ومشا الى عنده وقال له احسنت يا قار هذا الزمان لاشلت يداك ولا كان من يشناك قال له قار اصلان يافتى اعلمني ما اسم هذه المدينة وما اسم صاحبها فقال الغلام ياقار هذه اسمها مدينة بورصه وملكها اسمه الملك مسعود بيك ابن عثمان وانا ابنه واسمي دمرشاه وانت ياقار مابقى لك منها براح حتى تنزل عندنا وتتشرف فقال له قار اصلان يا اخي بارك الله فيك اقبل عذرى فاني صدر مني يمين اني لم انزل على بلدة تكون تحت حكم الملك الظاهر فقال له دمر شاه ياملك اعلم ان هذه البلدلم هي من حكم الظاهر ولاله علينا حكم ابدا وانما ابي ملك على بورصه قائم بنفسه وهذا شيء لم تحنث فيه ابدا ثم انه اخذه الى عرضه واجتمعوا المغاربة مع عساكر الملك دمرشاه وعمل دمرشاه ضيافة الى قار اصلان واكرمه غاية الاكرام وارسل من طرفه رسول اعلم اخوته وابوه فخرجوا اولاد الملك مسعود بيك واخذوا قار اصلان بموكب عظيم الشأن من محل الصيد حتى دخل بورصه وعند ماوصل الي الديوان قام الملك مسعود بيك وهناه بالسلامة وزاد في اكرامه واقام عنده مدة سبع ايام وبعد السبعة ايام اراد ان يسير فقال له الملك دمرشاة ياملك قار اصلان ايش الذي يفيدك من السفر في البرارى والبلدان وانت على هذه الحالات بغير زواج الصواب تطاوعني

حتى انني اعقد لك على زوجة ذات حسن وجمال وقد واعتدال وتقيم عندنا في هذه الديار ولا طلال و بعد ذلك اذا اردت عدم الاقامة والسفر فهو بين يديك ولم احد يقدر يغضب عليك فقال له قار اصلان افعل ماتريد فعند ذلك قام الملك دمرشاه اعلم اباه بذلك فكان عنده جارية محضية بديعة ذات حسن وجمال وقد وبهاء وكمال اسمها الست ناهل فعتقها الملك مسعود بك وعقد عقدها على الملك قار اصلان وعمل فرح عظيم الشان ودخله بها فبات ليلته عندها فرآها درة ما نقبت قط وهي بكر عزرا فزال الملك بكارتها وتملا بجمالها والفته والفها ولم يقى يطيق فراقها ودام الامر كذلك مدة ايام بعدها اشتاقوا له اولاد الملك مسعود بك فارسلوا اليه يعاتبوه عدم اجتماعهم عليه فقام ونزل لهم وسلم عليهم واقام معهم وآخر النهار طلع الي مكانه المعدله وثاني الايام كذلك و بعد ايام قالواله نريدك ياملك قار اصلان ان تسير معنا الى الصيد والقنص فقال لهما ناما يمكني افارق زوجتي ناهل ولا طرفة عين فقالواله خذها معك فقال وهو كذلك فاخذها في تخت وركب هو وجماعة من رجاله ولحق اولاد الملك مسعود بك واقام في الصيد والقنص شهر كامل وعاد وبعد ايام اشتهت زوجته عليه ان يأخذها للبر حتي يتصيد مثل النوبة فاخذها وطلع بها مثل النوبة الاولى فبينما هو سائر واذا ببغلة تخلق وراكب عليها رجل اختيار وهو يقرأ في القرآن فلما نظر الى الملك قار اصلان فقال له السلام عليكم فرد عليه السلام وامره ان ينزل فنزل وهو يقول اسعدنا واسعد ذرياتنا اللهم ارفع قدرنا وردعنا كيدا عدائنا وارمي كيدهم في نحورهم اللهم لا تجعل لنا اولاد يلعبون الكوره ولا المقلة ولا تجعل اولادنا يلعبون في قعور بعضهم شغل الجبد مشد وارخي تجعلنا من الذين يستسقون الماء من تحت بيضانهم فقال له الملك قار اصلان ياشيخنا ما اسمك فقال ياولدي انا اسمي صلاح الدين فقال له ولاي شيء ماشي في هذا الخلا وحدك فقال هكذا انا لا ارافق الا تلميذ واحد يقال منصور طالب فارسلته يأتي لي ببعض حشايش للبغله وسوف يأتي فانا ياولدي لا يمكن ان ادخل بلاد ولا انضاف عند احد من العباد لاني انا من علماء مصر وهذه البلاد قايمة بنفسها لم يحكم عليها ملك مصر من ذلك لا ادخلها ابدا فقال له قار اصلان ياشيخ انا كمان

من مصر واحكى على كلما جرى له فى مصر وفتوح عكه فقال له ياولدى هذا مسعود بك كان رجل طيب وفى تلك الساعة حضر رجل مجاور فقبل يد الشيخ ووقف فى الخدم فقال له الشيخ يامنصور اتيت بخضرة لاجل البغله والحمارة فقال نعم له خذ هذا الدينار وائتينا بشىء نأكله فقال قار اصلان ياسيدى هذا عيب حيث انك عندى فانت وتلميذك تأكلون الليلة معى فتصعب الشيخ وقال يا ولدى هذا يضرنى ولا جلك اتحمل واقام الى ظهر النهار وصلى الظهر فصلى ورائه قار اصلان وكذلك العصر والمغرب ثم تقدم العشا فاكل معه واقام الى صلاة العشا صلى معه وبات تلك الليلة ولما كان عند الصباح انتظر قار اصلان حتى يأتى الشيخ ويصلى معه الصبح فلم يجده وجاءت له جارية من الحريم تعلمه ان الست ناهل عدمت فضاق صدر قار اصلان وقال كيف كان اعدامها قالوا لا نعلم فركب قار اصلان وامر كل من كان معه ان يتفرقوا فى جميع الجهات فلم يقع لها ولا الشيخ على خبر واقام كذلك ثلاثة ايام وهو لا يدرى مايفعل ولا يعلم اين مضت زوجته ودخل بورصة واعلم الملك مسعود بك بفقد زوجته واعلمه ايضا بالشيخ قال له ياولدي اظن ان هذا الشيخ الذى قدم عليك فما هو الا جوان قال قار اصلان وايش يكون جوان ابن الكافر وقال له هذا رجل نصرانى يحتال على الاسلام بالاذيه وهذه جارية تعدى عليها هذا الملعون وسرقها ولا بد لها من العودة اليك لان الاسلام محفوظ وانا لو اعلم قبل ذلك ما كنت زوجتك الا ابنتى واقاسمك فى نعمتى فطب نفسا وقر عينا ولا بد من البحث على جاريتك حتى تحضر الى بين يديك هذ ماجري هاهنا واما ماكان من النجاب الذى كان ارسله الملك الظاهر الى قار اصلان وهو فى عكه فانه عاد للملك الظاهر واخبره بما رأى فى عكه من فتحها اسلام ومابنا فيها قار اصلان من المساجد وصارت اهلها مؤمنين (قال الراوى) ثم اعلمه بما قال قال اصلان وتظمه من ايدمر البهلوان فلما سمع السلطان ذلك امتزج بالغضب وامر بالقبض على ايدمر البهلوان وقال لا بد من قتله وكان فى مجلس الملك الظاهر علماء الاسلام فاستجار فيهم ايدمر وقال (ياساداتنا) ياعلماء الاسلام انا فى عرضكم فعند ذلك قام من العلماء جماعه وقالوا ياملك الاسلام ايش ذنب هذا الامير

حتى تقتله فاحكى لهم بالقصة قالوا له لا يجوز لك الشرع قتله قال ارفع اسمه من دفاتر ديواني
قالوا له هذا لك اخير من قتله و بعد ذلك ارسل مكاتبات الى نياب البلاد كلمن فات
عليه الملك قار اصلان وحاشه تكون بلده له ومايليها من البلاد اقطاع بلا اخراج
ولا اعداد و بلغت الرسائل الي الملك مسعود بك فارسل الى ملك الاسلام
كتاب يقول فيه الذي نعلم به مولانا السلطان ان قار اصلان الذى يريد مولانا
حضوره فانه فعل معنا جميل وزوجناه بابنتنا ومن حيث ان مولانا السلطان
يريده نرجو تشريف الركاب حتي يحضر الفرح فان زواجه لاجل اقامته عندنا
وعدم سفره قال الملك الظاهر حيث ان مسعود بك فعل بالملك قار اصلان ذلك
الفعال فيجب علينا ان نسير الى برصة حتى نحضر وليمته قال ابراهيم والله
يا ملكنا ماقلت الا الصواب فان الله تعالي ماخلق احسن من جبر الخواطر
وهذا على كل حال رجل غريب (ياسادة) فركب السلطان واخذ معه ابراهيم
ومسعود وساروا قاصدين بورصة فجاءت طريقهم على غابة بجوار دير العروس
الذي قريب من الشام فنظر ابراهيم واذا برجل يمسك اشجار الغابة السنديان
الناشفات ويهز الشجرة يمين ويسار و يرقصها برجله فيقلعها بجذورها
فتعجب السلطان قال ابراهيم ائتنى بهذا الرجل ياابراهيم حتى اعرفه قال
ابراهيم على الرأس والعين وتقدم ابراهيم الى ذلك الفداوي فمد يده الي الارض
واخذ فأس وصاح على ابراهيم جيتك ياابن حوران فنظر ابراهيم اليه وخاف
على الشاكرية وتأخروا لم يطبق عليه وعادوا علم السلطان قال السلطان لا بد
لي منه ثم قام السلطان قصد الى ذلك الغابة فلم يرى ذلك الرجل فتتبع محل
قدمه هو وابراهيم وسعد (قال الراوى) وكان هذا الفداوي يقال له المقدم
صوان ابن الافعا والسبب في مجيئه الي ذلك المكان انه لما وصل الى قلعته كان
معه خاله المقدم جبل بن رأس الشيخ مشهد فتركه خلفه قادم من اللجج وسبقه هو
ودخل القلعه فسأل عن ذلك القلعه وسال عن السلطنه فاخبروه بشيحه فتجبر وقال
معزول هذا القرن ولا بد من قتل هذا القصير من قبل مايحضر خالي المقدم جبل
وقام من قلعته وسار حتى وصل الى دير الناروس و نظر الى النصارى وقال في نفسه

ان كان شوحه بعمل حيله فما يكون الا فى هذا الدير وسار يتأمل فى السفاره ونظر الى بطرقهم واذا به قصير من دونهم فقال لباله ياصوان اصبر حتى يدخل الليل واقبض على هذا الملعون ان كان هو شيحه قطعت رقبته وان كان بترك اطلقته ولا يحوجك الى البيات فى ذلك الدير الا اذا اخذت عقدة خطب وتجعل نفسك انك تبيعها فى ذلك المكان واذا امسي المساء ابات وهي معى وانزل على هذا القصير واقبضه واكون قضيت الاشغال ثم انه دخل الى تلك الغايه يكسر خشب فالتقاه المقدم ابراهيم على الشاكريه فاخلا له الطريق وعلم السلطان فتبعه هو وابراهيم وسعد والفداوى بين ايديهم مطرود حتى دخل الى ذلك الدير ونظر الى مافيه من النصارى المقيمين فلم يجد البطريق بينهم فقال اين البطرق فقالوا له طلع من الدير قاصد مدينة الافلاق فقال مرق القصير والله ماارجع عنه ثم انه طلع قاصد الي جهة الافلاق بينما هو سائر واذا ببنت بدويه واقفه وعلى كتفها طفل صغير وهي اتقول له ياولدى اصبر حتى يأتى ابوك بالغنم من المرعى واحلب لك شاة وهاهو قادم ابوك ثم ان البدويه جريت والطفل على كتفها يعيط واق واق ونزلت على مرعى غنم وحلبت بعض النعاج حتى ملت قدح كبير ووضعته بين يديها واذا بالمقدم جوان اقبل عليها وقال لها يابنت هل عبر عليكى رجل قصير مقبل من الدير قاصد مدينة الافلاق فقالت له ياشيخ انا ملهيه فى هذا الطفل الذى اعيانى بكاه ولا اعلم بعياه ولا عبر على احد الا رجل قصير وقال لى يا بنت ان سألك احد على لا تعلميه بي وها انا سلطان القلاع وقاصد ملك الافلاق ثم ان البدويه همت وانفة والطفل على كتفها تتعثر فى اذيالها والولد يصيح على كتفها ورفعت القدح اللبن ووضعت فيه شيئا وشربت منه وقالت له تشرب يافتى من هذا اللبن فمد يده المقدم صوان واخذ القدح وشرب مافيه واذا به برم وانقلب فارمت البدويه الولد من على كتفها واوثقته كتاف لكن كتاف ماكن وشدت يديه ورجليه اعطته ضد البنج فعند ذلك فتح عينيه جد نفسه مربوط فصاح انت فعلت ذلك فقالت له لكونك فلانى قليل الادب فقال لها وانت من تكونى من بنات العرب فقالت له اسمع

انا الذى ادبت كل فاجر * وخاف باسى البدو والحواظر
كم من لئيم مثلك اتى مبادره * اديته بالضرب على الخواصر
بسوط فوق السوط ضربة قاسى
وكم اتى ابن ابن ادرعية * يريد لى الهلاك بالكليه
سلخته كالثور بكشافيه * فسارت اعضاءه فى الارض مرتميه
وجلده كالبون محشى ساسى
انا جمال الدين سلطان عصري * كم قلعة اخربت بعد الحصر
وكم طوال تعجبوا من قصرى * وخصنى ربى بتاج النصر
وذل من فعلى شديد البأس .
وايسر وتى الروم فى الديوره * وذكرتى بين الامم مشهوره
فى كل وقت اختفي فى صوره * راهب و بطرق مع قسس مخبوره
وتارة مطران اوشماسي

وانت يا فداوى قليت عقلك وانيت تجادلني يا قليل الادب من غرورك وجهلك فقال المقدم صوان انت يا بنت شيحه قالت نعم فقال لها ومتى صرت بنيه ومتى جبت هذه الغنم ومتي ولدت هذا الطفل الذى على كتفك مع انك كنت فى الدير فى هذا الوقت هل انت ساحر فقالت له يا مقدم اما الغنم هذه شرك فى الطريق واما كون انني اصير بنيه فهذا ليس ببعيد واما هذا الطفل الذى تراه فهى قطعة خشب ادعكها تصيح كالطفل وانت لا بد لك اما من الاطاعة او العذاب الذى اعذبوا لك لم ترى فى طول عمرك نظيره فهم كل بنى اسماعيل بهذه الكيفيه مثلك ثم انه سحبه ودخل به الى مغار وربطه بين اربع سكك وطلع على اكتافه واذا بالملك الظاهر وابراهيم وسعد مقبلين وكان السبب انهم تبعوا الفداوي حتى دخلوا الدير فسألوا من فيه من النصاري عن البترك فاعلموهم ان بترك الدير قصد الى ملك الافلاق وتبعه واحد مسلم سراق فخرجوا من الدير وهم تابعين الجره حتى وصلوا المغار فوجدوا المقدم صوان مشحوط وشيحه راكب فوق اكتافه فصاح المقدم صوان وقال هكذا يكون الفعل بالرجال الاشراف فى بلاد الاسلام اذا كان رجل ما يطيع

القصير بن يقتل فقال السلطان يا اخي لا تقتله وانما نحن قاصدين الى برصة نأخذه معنا ان اهداه الله للاطاعة لا باس وان عصاك ولم يطيعك افعل فيه ماتريد ثم انهم كتفوه وأخذوه معهم وساروا طالبين برصة (قال الراوى) واما ما كان من الملعون جوان فانه لما اسرق الجاريه تأهل جارية قارا صلان المغربى سافر بها الى مملكه بني الاصفر وودعها هناك وعاد الى ان دخل الى مدينة الافلاق ودخل على الملك الانجبيرت وقرا قداس وذكر فيه تفخم لدين النصارى وثواب عزو الاسلام فهام قلب الانجبيرت وقال له يابونا انا كلما اريد حرب المسلمين لم ابلغ منهم غرض وذلك من شدة المسير والسفر بالعساكر واما لو كانوا المسلمين يسافروا الي عندنا كنا نحارب بهم واحنا مرتاحين وهم نكونوا تعبانين فقال جوان اذا اردت ذلك فانا ابلغك ماتريد واجيب لك المسلمين الى حد عندك ثم ان الملعون جوان اختلى وكتب كتاب يذكر فيه من عند المقدم موسى بن حسن القصاص الى الملك قارا صلان المغربى اعلم الجاريه الذى سرقت منك فهى فى مدينة الافلاق عند الملك الانجبرت فى اشد ما يكون من الكرب العظيم وهى تستجير بك ان تخلصها من هذا الاسر فاحضر ياملك قار اصلان ثم انه اعطا ذلك الكتاب الي واحد أسير وسيره به فسافر الاسير بالكتاب وهو لا يصدق و بخلاص نفسه حتى وصل الى برصه واعطا الكتاب للملك قار اصلان فأخذه قراه وفرح بظهور خبر زوجته ودخل اخبر الملك مسعود بيك بذلك فجهز له عساكر مقدار الفين وركبت معه اولاد الملك مسعود بيك وساروا طالبين الافلاق وأما الملك الظاهر فانه وصل الى مدينة برصه فخرج الى لقائه الملك مسعود بيك فسأله السلطان قار أصلان فاعلمه بالكتاب الذى اتاه وركوبه على مدينة الافلاق عند ذلك التفت شيحه الي المقدم صوان بن الانفه وقال له انت تريد سلطنة القلاعين وهى مرهونه على فتح مدينة الافلاق وخلاص الملكة ناهل زوجة قار اصلان المغربى فقال صوان مرقت السلطنة منك خلصنى واتاه باقل مايكون آتيك بما تريد فعند ذلك اطلقه شيحه وسافر صوان قاصد الافلاق واما الملك قارا صلان فانه لما حط على الافلاق وبعت كتابا الى الانجبرت يقول له ياملعون انت كنت سرقت زوجة الملك ناهل فحال وصول هذا الكتاب اليك تحضر بها

والا اخرب بلادك على رأسك وارسل الكتاب مع نجاب فلما قرأ الانجبرت الكتاب اراد ان يرد الجواب ويقول انه لم يعلم بالجاريه واذا بجوان داخل عليه ومعه صوان ابن الانفه وكان النقاه وهو مقبل لما اطلقه شيحه لاجل ان يملكه الافلاق فلما اجتمع عليه جوان حلف له انه يملكه سلطنة القلاع و يقتل له شيحه فاستوى هو واياه ودخل به على الانجبرت ونظر الى النجاب وسأل عن الخبر فاعلمه الانجبرت بقار اصلان المغربي وقدومه الى ذلك المكان وطلب زوجته منى وانا ما اعلم بهذه الجاريه مطلقا فقال جوان انا ماقلت لك انى اجيب المسلمين الى عندك حتى انك تحاربهم وتغلبهم حكم الشرط الذى جرى بينى و بينك هيا اكتب له رد الجواب وقول له ماعدى الا حرب شديد وطعن اكيد تلين له الحجارة الجلاميد واول الحرب بيني وبينك في غداة غد اشكو يامسيح فعاد النجاب الى قارا صلان المغربى فامر بدق طبل الحرب وجاوبته طرنبيطات الروم و بات الطبل يقرع الى ان اصبح الله تعالى بالصباح فتحت مدينة الافلاق وخرج منها عساكر الروم واصطفت امام عساكر قارا صلان المغربى و بعد ذلك خرج من عساكر النصارى بطريق ممزق الحديد تمزيق و برز الى الميدان فخرج اليه واحد من المغاربه وتقاتل معه ساعة زمانية قتله وثانى جندله وثالث زمله ورابع قطعه وخامس رحله وما فرغ النهار حتى قتل عشرين فارس كرار وثاني الايام كذلك ودام الامر فلما رأت الكفار ذلك قالوا لجوان يابونا ايش هذا الذى جبلته لنا وان المسلمين مالنا بهم طاقه فقال لهم جوان انا اكفيكم شر المسلمين ثم التفت الى المقدم صوان بن الانفه وقال له هيا شد عزمك حتى انتا نبلغك مأمولك من سلطنة شيحه فعند ذلك ركب المقدم صوان و برز الى الميدان اسر فى يوم واحد من المغاربه اربعين فاغتاظ قارا صلان ولما كان ثانى الايام خرج الملك قارا صلان وتقاتل مع المقدم صوان بن الانفه قتالا شديدا واخذ منه واعطاه و بايعه وشاراه تضاربوا بالسيوف على الدرق ازورمنيهما الحدق تنجموا فى بركه من العرق وآخر النهار وقف المقدم صوان فى ركابه وضرب الملك قارا صلان بالشاكريه فضربه على

الخوده قطعت فى وسطها وجرحته فى وسطه معرأ سه جرحا بليغا هنالك طبقت
المغار به وعساكرهم وطبقت اولاد مسعود بك وازدحمت الصفوف وطارت
الرقاب ودام الحرب كذلك الى آخر النهار لكن هلكت خلق كثير من الاسلام
ومن الكفار ولما اقبل الليل خرج المقدم صوان وهو فى زى مغربى ووصل الي
عرضي قارا صلان وجاء من خلف الصيوان وشقه ودخل عليه فوجده نايم على
قفاه يشاهد مولاه فرمى على وجهه منديل ودخل عليه سقطه فى جمدان وحمله الى
عرضي الانجبرت سلمه لجوان فقال الحقني يا بني باولاد مسعود بك فقال له اعطيني
جماعة فاعطي له مائة بطريق فطلع المقدم صوان ودخل على اولاد الملك مسعود بك
وارمى فى وسطهم دخنة بنج ومال عليهم وكتفهم وحمل جماعة منهم وسلمهم الي
البطرقه تم ليلته الى ثلث الليل حتى تكامل عنده اربعين اسير خلاف قارا صلان
واولاد الملك مسعود بك فقال جوان ما بقي يمكن اقامتهم هنا ثم ان جوان احضر
الف بطريق وقدم عليهم البرتقش وقال له يا سيف الروم خذهم واسجنهم فى دير
الزيت الذى خلف مدينة الافلاق فاخذهم البرتقش وسار بهم تحت الليل فبينما
هو سائر واذا بالسلطان وابراهيم وسعد التقوهم فى الطريق فاعدموهم السعادة
والتوفيق وهلكوا كلما كان معهم من النصاري واطلقوا جميع الاسارى ودخلوا
المسلمين فى دير الزيت وكانوا مقدار اربعين وعاد البرتقش اعلم جوان فالتفت
جوان الى الانجبرت وقال له يا ملك انا قصدي ان اروح ازور الدير فقال له روح يا بونا
وانا الحقك فركب جوان وطلع من الافلاق واذا بالمنادي يقول يا برتقش اقبض
على جوان فعند ذلك قبض البرتقش على جوان وعاد الى شيحه فوضع اكرة في فمه
كتف البرتقش ووضع الاثنين فى مغار ما الملك الانجبرت فانه سار من مدينة الافلاق
وحتي دخل الدير تامل واذا فى قلب الدير جماعة الاسلام ونظر فلم يجد جوان ولم
يرى الاسارى الذى ارسلهم جوان فاراد ان يعود وكان بصحبته المقدم صوان بن
الانفه فاراد المقدم صوان ان يحط يده على شاكريته ويقاتل فيمن فى قلب الدير
من الاسلام وقال للانجبرت يا بب ارسل وهات عسكرك وانا اقاتل بين يديك
حتي املكك كلمن فى الدير واذا ببترك الدير طلع يقرأ قداس بصوت حنين

وبارود بنغم وتلحين فلما سمعه الملك تقدم اليه وقبل يده وقال له يا بونا اين البوكه جوان فقال البترك ان جوان لم اتى الى عندى ولا رأيته فقال الملك واين الاساري الذى ارسلهم اليك مع البرنقش فقال انا ما رأيت اسارى ولا رأيت البرنقش غير انى سمعت عيطه وقعت وقتال تحت الدير اظن ان المسلمين خلصو اسراهم وخلفوهم فقال يابونا وكيف العمل فى هذه المسلمين الذى عندك وكيف يكون قبضهم فقال البترك يا ببانا لو كنت من الاول علمت بهذه الكيفية كنت ستحضرت لهم وقبضت عليهم الالم اعلم ولكن اذا كنت انت تطاوعني على ما أقول كنت اقبض لك على المسلمين فقال يا بونا ان هذا المسلم احضره لى جوان واعلمني انه يكون معنا على المسلمين ونزل وحارب واسر مسلمين وارسلهم جوان الي الدير وها نحن جينا خلفهم فرأينا هذه المسلمين فى الدير عندك وهذا المسلم ان يقاتلهم حتى ارسل انا اجيب العساكر فقال البترك اعلم يا ملك ان المسلمين ما يقبضوا على بعض ولا يفرطوا فى بعضهم وان اردت اخذ المسلمين اقعد انت هاهنا مع هذا المسلم حتى انى احضر لكم الاسري واسقيه حتى يسكر اقبض عليه وانا ادلك على حيلة تقبض بها على المسلمين وبعد ذلك املكك بلاد المسلمين فعند ذلك نزل الانجبرت فادخله البترك فى قلب مخدع واحضر له طبق ملآن سمك مقدد ومر بع ملآن من الخمر العتيق فقعد والمقدم صوان بجانبه فملا له البترك الكاس وقال له اشرب انت وصاحبك فقعدوا الاثنين سكروا وكان هذا البترك جمال الدين فغاب عنهم ودخل الدير واطلق البخور وطاف جميع الدير حتى بخره كله وكان البخور مبنج فبنج كل من فى الدير وطاف على الجميع بكشافيه فقتلهم جميعا بعد ما بقى يعرض عليهم الاسلام واجلس السلطان فى قلب الدير على كرسي البترك وعاد الى الانجبرت والمبخره بيده مبنجة و بنج المقدم صوان واحضر المقدم ابراهيم وسعد قدام السلطان والملك قار اصلان المغربى واقعدوهم واعطوا لهم ضد البنج افاق المقدم صوان بن الافعه ونظر الي ماهو فيه من الكتاف والقيد فالتفت الى المقدم جمال الدين وقال له هذه فعالك يا فيترى لالك همة تقاتل الرجال ولالك عزم تلقا به شدة الاهوال بل عامل حاوى يا قرن والله لو قطعتنى قطعا لم تجدنى مطاوعك ابدا ولا بد

لي ان اقتص منك ان احياني رب الارض والسماء وان كان اجلي على يديك فدونك وما تريد قال له المقدم جمال الدين يامقدم صوان انت تدعى انك شريف وهذا الفعل الذى فعلته فعل اشراف اما تختشي انت تركب ولا تقاتل الاسلام فاذا كان هذا افعالك وانت شريف كيف يكون فعال الكافر ولا بد ما احدك الحد الشرعى على تعديك لانك قليل الادب يا ناقص العقل والتربية ثم انه كشف عن صدره وجرد الصوت وجلده ثمانين وبعد ذلك امر له ان يثقل عليه بالحديد وان وضع فى السجن هذا والملك التفت الى شيحه وقال له واين جوان قال شيحه عدى ثم غاب وعاد به ووضعه هو والبرتقش بجانب الانجبرت قال السلطان ياملعون اين جارية الملك قار اصلان المغربى قال الانجبرت والله ياملك هذه ولا الجارية لم رأيتها ابدا قال الملك هذا قول باطل قال شيحه يا جوان قال جوان يا ابو محمد انت تعلم جوان ماهو مخصوص بسرقة البنات وانما عكن ان احد البياق سطى على الملك قار اصلان واخذ جاريته وتريدوا ان تتهموا بها لم يعلم بها فمنذ ذلك قام شيحه وضرب جوان بالسوط مائة ولم يقر ولم يعلم واما الانجبرت لما نظر الى ضرب جوان وضرب المقدم صوان حار فى امره وعلم ان هذا الوقت غضب فصاح ياملك المسلمين انا سايق عليك نبيك وهو الذى يذكرون عنه انه نبي الرحمة وشفيع الامة فبحقه عليك لم تظلمني فى جرة جوان وانما انا ادفع كلفة مجيء السلطان الى بلادي خمس خزن كل خزنة الف ومائتين كيس كل كيس الف دينار وتضاعف على الجزيه في نظير اطاعتي لجوان والضامن لي المقدم جمال الدين شيحه وكنت بعد ذلك اطاوع جوان استاهل كلما يجرى على ياملك الزمان ثم انه حلف على قدر قاعدة دينه ان الجارية لم يعلم بها انيا ولا دخلت بلده ولا رآها فصدقه السلطان والملك قار اصلان وطلقه يعمر بلاده وثاني الايام اتى السجان واخبر ان جوان هرب قال السلطان الى حيث القت رحلها ام قشعم والله لم يكن على قلبي اثقل من رؤيته قال المقدم جمال الدين شيحه انا الحاوى وهو الثعبان واقبضه اينما كان ثم امرهما الملك باخذ جميع ما كان فى الدير من الاموال ووزن الانجبرت الخمسة خزنات الي السلطان وتوجه السلطان الى مصر وبعد مدة قليلة وصل الى قلعة الجبل وكان الملك الظاهر

اراد ان ياخذ الملك قار اصلان معه قال يا ملك سامحني حتى اقتفي اثر زوجتي الذي سرقها مني جوان وانما بقيت نسيب الملك مسعود بك وكان قار اصلان متولع بالزوجة الذي زوجها له الملك مسعود بك فتوجه السلطان الى مصر وخلاه في برصة ولما وصل السلطان انعقد له موكب مثل العادة ودخل قلعة الجبل واطلق من في الحبس ودخل شيحه ووضع المقدم صوان ابن الافعه في سجن العرقانه واقام الملك الى ليلة من ذات الليالي بات الملك واصبح يصلي على نبي في كفه الورد فتح ظهر وجلس قاعة الجلوس فرأى شا كريه نصل من غير جراب ولا قبضه وخنجر مثلها ورأي تذكره مكتوب فيها يا ظاهر اصحى لنفسك لانك تعديت باعطاء سلطنة القلاع الي القصير شيحه وسجنك الي صوان ابن اختي وها انا اتيت خلصته من سجنك ووضعت بين يديك شا كريه وخنجر تعمل لهم قبضتين وخفيرين وترسلهم لي في العادليه مع صحبة سلطنة القلاع والحصون فان فعلت ذلك كان لك الحظ الاوفر وان خالفت نزلت اليك الليلة القابلة أخذتك باليد ولو تداريت مني تحت التخوم او تعلقت بالنجوم وان اردت ان اعرفك باسمي اجلالا لقدري انا صاحب السعد والاقبال سلطان الدنيا باجمعها السلطان بن السلطان المقدم جبل بن رأس الشيخ مشهد (ياساده) فمنذ ذلك طلع السلطان يتبسم واراد ان يأخذ النسشة يتقلدبها فلم يجدها فاغتاظ وطلع الى الديوان والتذكره في يده واذا بالسجانه قادمين يقولوا ياملك الاسلام نزل علينا رجل وفي يده شا كريه كانها صاعقه وهو طول القصبه وعرض المصطبه ضرب باب العرقانه كسره ودخل اخذ الفداوى الذى اسمه صوان وطلع من محل مانزل فضحك السلطان من الغيظ واذا بتبع من اتباع المقدم جمال الدين شيحه اقبل يقول ياملك الاسلام صبحنا رأينا على قلعه المقدم جمال الدين شيحه من فوق ان شيحة معزول ولا سلطان القلاع والحصون الا المقدم جبل و بعده لم يبقى في الدنيا سلطان فقال الملك الظاهر سمعت وعرفت وشيحه كان غائب فقال نعم فسكت الملك وجلس يتعاطي الاحكام واحضر ايدمر البهلوان وعفا عنه وسلمه الشا كرية والخنجر وامره ان ينزل سوق السلاح يعمل لهم قبقبتين

وجرابين وكان السبب في سلطنة شيحه الحيل على رجاله كتب حجج و بعد
ماانطاع جمعهم ظهر فداوي من اللجج فقدم على الخبير والسعد فارس صنديد
واسد ضيغم بحرام مهندم ومعه الابره والمرهم لتقطيع كل جرح معظم وهو بطل
اوحد وفارس أمجد اسمه المقدم جبل بن رأس الشيخ مشهد وهو خال المقدم
صوان بن الافعه لما وصل الى قلعته ورأي انك المقدم جمال الدين شيحه سأل
عن ابن اخته المقدم صوان فاعلموه انه سافر الي مصر يقتل شيحه و يأخذ السلطنة
قال كيف يبقا سلطان وانا ايش اعمل وانما الحقه انسلطن انا واجعله وزير
عندي احسن ثم انه قام وصل الى مصر سمع من الكفار ماجري على المقدم
صوان فاتى الي مصر وطلع الى قلعة الجبل وتخايل وتأمل حتى عرف من اى
محل يكون الدخول والخروج وكذلك سأل عن قاعة شيحه حتى عرفها واتى
في الليل ارما المفرد وطلع الي قاعة الجلوس وكان ابراهيم وسعد توجهوا الى القلاع
باجازة السلطان يوطنوا اموالهم و ينظروا اهلهم فاغتنم الغفلة المقدم جبل وفعل
تلك الفعال وخلص ابن اخته المقدم صوان كما ذكرنا ومضى الى حال سبيله واقام
بالعادلية ينتظر اجري هـذا والمقدم صوان يقول له ياخال انا عمري مارايت
مثل ذلك القصير شيحه في حيله وافعاله المستقلة فهم كذلك واذا برجل بدوى
غدار مقبل من كبد البر راكب على ناقة حمرا فلما وصل اليهم ابداهم بالسلام
فردوا عليه السلام فقال له مقدم جبل يا بدوى من اين ظر يفك فقال صوان
هذه بلد شيحه فقال المقدم جبل ياشيخ وشيحه هناك فقال والله ياخوند انا
شيحه مااعرفه بل انا رجل عابر سبيل فعند ذلك اطبق عليه المقدم جبل وقال
له كان انا يا قرن مرادك ترميني بحيلتك المقلبه بالاسم الاعظم ماانت شيحه
فقال نعم يافداوي انا شيحه امسك طيب شرط الطير الحر اذا وقع لم يتململ
فاوثقه كتاف واراد ان ياخده الي قلعته واذا بغبرة انعقدت وانكشفت عن خيال
مقبل وكان هذا ايدمر البهلوان وهو مقبل بالشاكريه والخنجر وكتاب من
الملك الظاهر الي المقدم جبل فتقدم و باس الارض واعطى الكتاب للمقدم
جبل وسلمه الشاكرية والخنجر ففرد الكتاب يجد طالعه الى حضرة المقدم جبل

اعلم يا مقدم انك تعديت واخذت النمشه وها انا ارسلت لك خنجرك والشاكرية حكم طلبك واما سلطنة القلاع فهي بيد شيحه دونك واياه ان انت غلبته تكون سلطان وان وقعت فى يده يخرج لبن امك من بين اظافرك وها انا اعلمتك فضحك حتى استلقا على قفاه فقال له الاميرا يدمر ما تجيب البقشيش يا خوند فقال له مرحبا بك يا بيلو بجى ثم انه طلع ورقة وكتبها وختمها وقال خذ هذه تذكرة بنصف اردب شعير بقشيش الملك تملق منه على حصانك لكن يكون من قلعتى واما هنا ما عندي اعطيك ثم انه بعد ذلك قال يا امير اعلم ان الظاهر يحذرنى من شيحه مع انني قبضت عليه وها هو فى قبضتى ثم انه احضره قدام ايدمر وضرب به ماية كرباج فارادا يدمر ان يشفع فيه وتقدم الى المقدم جبل وقال يا خوند ما يستحق ضرب هذا المقدم فانه من اكرم العالم فصاح فيه وقال له امرق يا قرن ايش لك انت فى الفضول قدام السلاطين فعاد الاميرا يدمر وهو باكى العين على المقدم جمال الدين شيحه ومازال سائر حتى وصل الي السلطان واعلمه بما جرى على المقدم جمال الدين فقال لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم فهو كذلك واذا بالمقدم ابراهيم والمقدم سعد اقبلوا من القلاع وسلموا على السلطان فاحكا السلطان لهم على ما فعل المقدم جبل فقال ابراهيم ان كان المقدم جبل ظهر يروح شيحه فيبيع ترمس فانه يا ملك المقدم جبل جبار عنيد وشيطان مريد فقال السلطان اذا كان كذلك بقيت الحق اخو يا المقدم جمال الدين حيث انه عند مسجون وسار الى القلاع والحصون فقال ابراهيم وانا معك يا ملك فقال سعد وانا اروح معكم فعند ذلك ركب السلطان واخذ معه ابراهيم وسعد وطلعوا الثلاثة جياله اثنين وقراب واحد حتى وصلوا الى الشام فسبق المقدم سعد واعلم باشة الشام بقدوم السلطان فطلع الي لقاه ودخل الملك وجلس على كرسى الشام وبينما هو جالس وابراهيم وسعد بين اياديه وباب الديوان استد ودخل رجل وفى يده كتاب وضارب على وجهه نقاب وصاح مظلوم يا ملك الاسلام وتقدم قال الملك ما ظلومتك قال انا كاتب ظلومتى فى هذا الكتاب وناول الكتاب للملك فقرده ليقرأه واذا بالرجل اغتنم الغفلة من المقدم ابراهيم وسعد

ووضع يده على قبضة شاكريته سطعت والتمعت فالتفت السلطان وقفز من على الكرسي وكان الملك عنده ادراك فى ابواب الصراع وخفة فوقعت الشاكرية على الكرسى محل السلطان وقال امسك يا ابراهيم فقفز الفداوى الى بر الديوان وطلب البر فتبعه المقدم ابراهيم والمقدم سعد وقال السلطان لا الزمه الا منكم وكان الذي فعل ذلك الفعال هو المقدم جبل بن رأس الشيخ مشهد ولما خرج من قدام السلطان جد فى مسيره حتى دخل الي دير بجوار قلعة صوانه يسمى دير التقديس دخل الدير رأى طائفة الرهبان يتلوا فى الانجيل وبترك الدير بينهم يفسر لهم ما بين التحريم والتحليل ولما قبل المقدم جبل ورأى ذلك النصارى فصاح عليهم وأراد ان يضرب فيهم بالحسام فقال له البترك ايش باغندار الذى اوجبك انك تقاتلنا اخذنا منك شيء او قتلنا لك احدا تريد تخلص تارك ما اما تعلم ان اهراق الدما حرام فى كل الاديان وأنت لا بيننا وبينك شيء فقال المقدم جبل اعلم يا بترك انى انا مخاصم الظاهر واريد اقيم فى هذا المكان حتى اقضى اشغالى وأقضى على اخصامى واروح في حالي ولكن اخاف اذا خليتكم طيبين تقبضونى وتعلموا ابى المسلمين فقال البترك قبل كل شيء حاذر من شيحه واما المسلمين بعده ما تخاف منهم فانه هو الذي يدخل كل ساعة فى حيله جنس فقال شيحه قبضت عليه وسجنته ولا بقى مرادى الا الظاهر فقال البترك اذا قبضت على شيحه يبقى القبض على غيره اهون ما يكون خذ لك مخدع فى هذا الدير واقيم فيه وكل وقت انزل ليلا واقبض على كلما تقدر عليه وهاته هنا اذبحه وبعد ذبحه ارميه فى هذا الجب يروح على البحر المالح كانه ما كان فقال المقدم جبل واين الجب يا معلم فقال هذا هو خلف ظهرك ارفع هذا اللوح الرخام فرفعه راى مكان هاوى الى تحت فعلم ان هذا كلامه صحيح فاطمأن المقدم جبل وبعد ذلك قعد ياخذ الراحه بجانب البترك فامر البترك ان يحضر له شيء من الزاد فأتوا له بعلبه فكشفها واذا فيها هريسة لوز فقعد البترك ياكل وبعد ذلك عزم على المقدم جبل فتقدم جبل وهو مطمئن القلب لكن انه ساجن شيحه فى قلعته ثم انه اخذ لقمة ووضعها في فمه فكان فيها القضا ولم اخذ غيرها فانكفي الى الارض مثل جذع النخيل وقام البترك شده كتاف وقوى منه السواعد والاطراف وفيقه

ونظر الى البترك وقال من انت يا قرن فقال له فتح يا مقدم جبل ودع عنك الجهل
يا قليل العقل انا خصمك الذى ضربتني ولا اختشيت مني ولا وقرتني وانا فى هذا
الوقت قصدي اذوقك الضرب واعلمك الادب فانك قليل الادب فقال المقدم
جبل وايش الذى خلصك من قلعتي يا قرن والله لولا انى مطمئن بحسك فى القلعة
لم كنت قدرت تقبضني ابدا عند ذلك اراد المقدم جمال الدين ان يجازيه على فعله
ويقتص منه واذا بصيحة من باب الدير وقائل يقول حاس عن خالي يا قرن واراد
ان يهجم على شيحه واذا بابراهيم وسعد من خلف ظهره فلم امكنه الهجوم على شيحه
بل انه تقاتل معهم فرأى نفسه ما يقدر يخلص الا بالهروب فقفر هارب والى النجاة
طالب والتها ابراهيم وسعد بشيحه لما راه خالص وقابض على المقدم جبل فتقدموا
اليه وسلموا عليه وسألوه عن سبب خلاصه فاخبرهم وكان على يد ولده محمد السابق
فانه بلغه ان ابوه شيحه مسجون بقلعة الصخر والذي ساجنه المقدم جبل بن راس
الشيخ مشهد فسار حتى وصل القلعة واختلط بالاتباع الى الليل ودخل على ابوه
اطبقه وقال له اطلب خصمك فهو قاصد الشام وجاء شيحه ولتي ذلك الدير على
طريق الشام فجلس فيه بعد ما اهلك النصارى منه واقام واتباعه فى صفة رهبان وهو
بترك والسابق بواب الدير ودخل الفداوى وجرى ما جرى وبعد ذلك قال
ابراهيم يا حاج شوحه ايش مرادك فيه هذا طالبه مني ملك الاسلام ولا يمكن
ان افتر قوم على حيلك يا مقدم جبل كلم خادم الحرمين الشريفين فقام معهم وهو
مكتف اليدين ماشي على الاقدام حتى انه وقف قدام السلطان فقال له السلطان
انت راجل كامل يا فداوى وتفعل فعل الجهال وهذا مقامك مشيك مكتف
من دير التقديس الى هذا المكان وانت لما نزلت على قاعتي وسرقت نمشتي وسامحت
لك وقلت هذا رجل جاهل لعل الله ان يهديه ويرجع يكون من المجاهدين وارسلت
شاكريتك وخنجرك حكم ماطلبت وكان مرامي انك ترجع عن الضلال فما
ازددت الا طغيانا ومحال وابيت الي هذا المكان وضربتني بالسيف فى وسط الديوان
يا قليل الادب فسكت المقدم جبل فقال ابراهيم يا ملك الاسلام ما احدمنا الا وهو
من غلمانك وخدامك والمقدم جبل ها هو بين يديك فان امرتني ضربت رقبته فقال

ياجبل ايش الذي حملك على العصيان وعدم الاطاعه فقال ياملك وهذا الحاج شيحه
ايش عطا حتى يكون علينا سلطان فقال شيحه اذا اردت يامقدم جبل ان تقاضيني انا
اقاضيك ثم انه كر السوط الغضان من على حزامه وقال له انا تحملت منك مائة سوط وانا
ساكت فان تحملت انت مني ثمانين سوطا نزلت لك على السلطنة نز ولا شرعيا
فقال المقدم جبل يحتمل ان يكون هذا السوط مسموم فلا يتحمله لا انا ولا غيري
وهذا الذى ادخرته تطيع به الرجال فقال له شيحه يافداوي لا تطيع الا اذا رأيت
الغلبه ايش الذي تريد فقال اريد العب انا وانت ملعوب وهو ان نركب على احد
ملوك الروم نكسره و ننهب ماله ونفنى عسكره ان كان على يدى انا اخذت السلطنه
وان كانت على يديك اطيعك واكون من جملة خدمتك فقال شيحه وانا رضيت
بذلك فقال السلطان اذا كان كذلك فاتركوا البغضه والعناد واصفوا لبعضكم
الرأي تنظروا ما يتجدد باذن رب العباد فحلف شيحه انه لا يؤذى المقدم جبل ولا
يتأتى فيه ضرر حتى يبلغه ما هو طالب فقال المقدم جبل وانا والاسم الاعظم ان
اطلقتني يا شوح لم اغدرك ولا ادمر لك سوء مطلقا حتى العب معك ملعوب ظاهر
بلا خفا ان غلبتني اطيعك وان غلبتك تنزل عن السلطنه مشرط فهنا لك اطلقه
المقدم جمال الدين شيحه وقام المقدم جبل وقال للمقدم جمال الدين ما اروح قلعتى
حتى تنقضى دعوتى يا بها اغلب يا بها انغلب فقال شيحه وهو كذلك واذا بتبع من
اتباع المقدم موسى بن حسن القصاص مقبل من البر ودخل قدام السلطان ودعا له
بدوام العز والنعم فقال السلطان ايش عندك من الاخبار فقال ياملك مريت على
قلعة هنا فرأيت ملكا يقال له صليب الروم وعنده جوان والبرتقش الخوان
وهم اغروه على العصيان وجميع له الملعون عساكر واي عساكر ضربوا طبلهم
على قلعة هنا ونمروا امر ذلك الكافر ان يزحف على بلاد الاسلام فلما سمع
الملك هذا الخطاب انعم على التبع الذى اتاه بذلك الخبر واراد ان يرسل الي مصر
يحضر العساكر فقام شيحه على الاقدام وقال ياملك الاسلام لا تتبع العساكر بهذا
السبب وانما هذا المقدم جبل موجود وهو قصده ان يكون سلطان على القلاع
والحصون وهذا الكلب صليب الروم في قلعة صافية يريد ان يزحف على بلاد

الاسلام فانا والمقدم جبل نكون اخصام هذا الملك فكل من فتح تلك القلعة واتى
بذلك الملك اسير في القيود والاغلال يكون هو سلطان القلاع والحصون ويكون
الاخر تبعا له فقال المقدم حبل انا رضيت بذلك والشاهد علينا امير المؤمنين ثم ان
المقدم جبل ركب حجرته وسار طالب قلعته مافيتا واعجب ما روي ان الملك قار
اصلان المغربي بلغه ان جوان والبرتقش على قلعة مافيتا صحبة الملعون صليب الروم
فركب واخذ معه اولاد الملك مسعود بك وانتقل من برصة وحط على تلك القلعة
وكتب من عنده كتاب الي الملعون صليب الروم يقول فيه اعلم يا ملعون انك انت
جمعت هذه العساكر وتريد ان تزحف على بلاد الاسلام مع ان دين الاسلام
منصور كذا قالوا اهل البصاير وان جوان عندك هو خصم لجميع الاسلام فان
اردت السلامه تقبض على جوان وتسلمه لي حتى اخذ منه طلبي وبعد ذلك ترجع
عن هذا الضلال وان لم تفعل ذلك اخربت قلعتك على رأسك واخذت جوان قهرا
عنك والسلام على نبي ظلت على رأسه الغمام وختم الكتاب وطواه ودعى بواحد
مغربي يقال له عبد القادر وقال له امضي بهذا الكتاب الى ذلك الملعون الكافر فسار
النجاب حتى وصل الى القلعة فاستأذ نوا عليه الغفر فدخل الى قدام صلب الروم
وناوله الكتاب فلما قراه التفت الى جوان وقال له يا بونا تأخذ الكتاب وتنظر كلام
المسلمين قال جوان انا عارف كلامهم اكتب الحرب ثم انه التفت الي البطارقة
وقال يا اولادي كل من اتاني باسير مسلم اعطيه مائة سنة زيادة في عمره ولما عاد النجاب
الى الملك قار اصلان برد الجواب رآه بالحرب ضرب الطبول وجاوبته طبول
الكفار ولما كان عقد الصباح رجعت عساكر قار اصلان فالتقتها عساكر الروم
ولعب الحسام في الرؤوس والاجسام وكان يوم اشد الايام ودام الحرب والصدام
حتى اقبل الظلام وخفيت مواضع الاقدام وهلك من الروم رجال واشياء شي
وكذلك من عساكر قار اصلان وثاني الايام كذلك وثالث ورابع حتى بقيت
الارض دم والاجساد تنداس بالقدم عندها التفت صليب الروم وقال يا جوان
هذا القتال لم ينفع وتهلك العساكر والمسلمين لا تنقنع وانا عندي رأي احسن
من الحرب وانفع ثم ان الملعون غير رايه واقام ليلا وكان من الميافه في مقام عظيم

فأخذ جماعة من رجاله واحاط بهم خلف عرضي الملك قار اصلان واوقفهم
ودخل هو الي العرضي وسار حتى بقي خلف الصيوان وانسل من تحته مثل الفار
وارمي من يده قرص بنج طيار على منقد النار خرجت الدخنه على الجميع فتبنج كل
من كان فى الصيوان وكانوا خمسين بطن خلاف الملك فار اصلان واولاد الملك
مسعود بك وحول الجميع ادخلهم القلعة ووضعهم فى السجن ونظر جوان الي قلمة
فقام رقص قال صليب الروم يا جوان انت فارغ العقل لم تعرف الا الجهل ثم انه قام من
قدامه صليب الروم ودخل الى دير حنا فراى فيه بترك واقف على حيله و بيده كاس
من النحاس يدق به على يديه ويقرا فى قداس بصوت شجي فوقف الملك صليب
الروم واشجاه صوت البترك وتقدم اليه وقبل يده وكبش من الذهب ووضع فى
كفوفه فارماه من يده وقال له انا ما اريد من الدنيا شيء ما تعلق به ابدا يكفى الانسان
الذى ياكله ولم يعطى رب المسيح حق عبادته بل ينقوي على غضب الصلبان ومارى
حنا المعمران فامتزج به الملعون صليب الروم وقال له يابونا اريد من احسانك ان
تنقل أقدامك عندى فى قلعتى وتدعي لي دعاء بتمسكين حتى ينصرنى المسيح على
عسكر المسلمين فقال له البترك اما من جهة الدعي يا بنى انا داعى لك في الدير واما
رواحى معك الي قلعتك فلا يمكن فقال يابونا ايش عدم الامكان فقال البترك لان
عندك جوان يكره جميع البتاركه والرهبان ولو راى البترك الكبير الذى يحكم على
كنيسة المقدس والغمامه القدسية ودير نجران يقول عليه هذا شيحة المسلمين مع
انه فى ذلك معذور من وجهين الاول انه يخاف من شيحة المسلمين لا يقتله وتبقى
الدنيا من غير جوان واما الوجه الثانى انه جسور لكل بترك وقسيس وراهب
ومطران وقصده ان لا يكون فى ملة النصرانية عالم الا جوان فلذلك اريد ان لا ارا
ولا يرانى فقال صليب الروم ياابونا وانا عرفت ان جوان فارغ العقل لما
نظرنى قبضت على المسلمين فبقا يرقص كانه من بعض المجانين فقال البترك
ياولدى ان جوان لم له عقل اذا انا رحت معك وقال على هذا شيحة المسلمين
ينجس اسمى ويمكن انت مع اعتقادك فى جوان تصدقه وتحب انك تؤذينى لكن
انا يخلصوني منك الحواريون وانت يغضب عليك البترك الكبير الذى عمره

ينوف عنماية وعشرين سنة فى الكذب والنفاق وابتلاه رب المسيح بالابنة
والشقاق وقط ماغسل وجهه هذه المدة الا بالبصاق فقال البب صليب الروم دستور
سكان الديوره والكنايس لكن يابونا وحق الانجيل والقربيصه اذا كان جوان
يقول عليك ان هذا شيحة لا امنطره (ياسادة) عندذلك مضى مماة شيحة حتي
صلوا الى القلعة ونظر الشقي جوان الى شيحه وقال يا بب صليب من الذى
معك فقال اخرص ياجوان وحق الصليب وما صلب عليه ان قلت على هذا
البترك شيحه لا بد من قتلك واستريح ولو صدق على كلامك المسيح فقال البرتقش
يا بب صليب جوان معذور عمره ولم يرى بترك صالح الا و يقول عليه شويحات فاذا
كان ملك عاقل مايصدقوش واذا كان ملك مجنون لا بد انه يقتل البترك او يؤذيه
فمن ذلك تنزل عليه نقمة من المسيح تأخذ عمره وتخرب بلاده وتهلك عساكره
واجناده فقال جوان ايش هذا الكلام يابرتقش قال البرتقش صحيح انت ياجوان
تكره كل علماء الكرستيان فعند ذلك قام البيباظ وقال ياجوان لا يصعب عليك
من البب قوم اقعد فى خيمتك والا وحق ما تعتقده من الاديان ان ما اخذت البرتقش
وسرت الي محلك اخرجك من جلدك فى هذه الليلة واصبحك بغير جلد فعند ذلك
اخذ البرتقش جوان وقال قوم يا بزره نجسه مابقى لك مقام المعلم انعم صنعته واما
البترك نظر فى العساكر المقيمين قدام الملك فرأي المقدم جبل بن راس الشيخ
مشهد وهو واقف وقفة الاسد فالتفت الى صليب الروم وقال له يا بب الرأى
عندى ان تقبض على هذا السراق الذي واقف فى وسط العساكر فانه مسلم ولكن
لا تتكلم حتي اعمل انا طريقة على مسكه فانه جبار وان قلت للعسكر يمسكوه
يعورهم ولا يقدر احد يمسكه ثم انه قام على حيله وطلع من سياله جانب لوز مقشر
وصار يفرق على الواقفين واول ما اعطي الى البيباظ فاكل وكذلك البترك اكل
وكلمن اخذ لوزتين اكلهم فاكل المقدم جبل مثلما اكلوا على رأى الذي قال

يامن يريد فك الرموز * وكشف استار الخيال
هذى طلاسم مع كنوز * ما كل ما يعلم يقال

ثم ان المقدم جبل لما اكل اللوزتين وقع مغشيا عليه فامر الملك صليب الروم

بتكتيفه و وضع القيد فى رجليه و بعد ذلك فيقه البترك ونظر مالي هو فيه و الى البترك قال يا قصير انت جاعل حالك بترك مع انك شيحه قال البب صليب الروم انت مسلم قال نعم انا مسلم وهذا شوحه الذى يخرب بلاد النصارى بحيله اقبض عليه كما قبض على وانت تنجوا من مكره واقتلنا نحن الاثنين قال صليب الروم اذا قبضت عليه يقر انه شيحه قال المقدم جبل اذا ضربته وعاقبته يقول ذلك قال البترك والضرب والعقاب على مثلى حرام هنالك قام البيباظ وقبل يد البترك وقال له يا بونا هذا بدايتك ومن اتباعك وانت لاي شيء ترده هلا كه قال له دايما يسرق والسرقة ناهى عنها المسيح وهذا لم يرجع وكم انصحه وهو لا يسمع فالتفت البيباظ الى البب صليب الروم وقال يا بب هذا من اتباعه فيأخذه يؤديه وانت لا تتعرض للناس الذي اصطفاهم المسيح فان هذا بترك وهذا من اتباعه و يجب علينا ان نصالحهم مع بعضهم احسن ما يغضب المسيح علينا قال الملك يا بيباظ انت تعلم عقيدة البتاركه واتباعهم فاصلح بينهم وان كان هذا الرجل يخالف البترك او يتكلم فى حقه بما لا يليق لمقامه اقتله قدامه قال البيباظ انا اصالحهم ثم انه اخذ المقدم جبل مكتوف اليدين وهو يصيح و يقول يا ناس هذا شوحه وانا سارق والبيباظ يضربه على رأسه و يقول اخرص يا كناس حتى مضى به الي الدير وادخله فى مخدع وهو غايب عن الوجود و يتعجب لكونه ينصح هؤلاء القوم ولم يقبلوا نصحه ولما بقي في المخدع قال له البترك خليك يا مسلم لما امتر الليله وآريح منك النصاري هذا والمقدم جبل يتهدد وكاد قلبه ان ينفطر ولما جن الليل قام البترك غاب وعاد ومعه جوان والبرتقش والبب صليب الروم والبرتقش حامل جوان والبترك حامل الملك والتفت الي المقدم جبل وقال له يا فداوى قلعة صافينا فتحت ومدافعها عطلت والطوبجية والحرس ذبحت وهذا ملك البلد قبضت لك عليه خذه وامضي الي ملك الاسلام سلمه اليه وخذ سلطنة القلاع والحصون فانك مقامك في القلاع كبير وليس من المروءة ان يقال عنك ان قلعة ما قدرت تفتحها ثم انه فكه من الكتاف بعد ما كان مشرق على التلاف فقال المقدم جبل على حيله يرى الملك قار اصلان المغربى وأولاد الملك مسعود بك ملكوا القلعه ودايرالدبع فى عساكر

القلعة والبيباظ واقف على الصور وهو ينادى قاتلوا يامعشر الاسلام فى طاعة الملك العلام من عاش سعيد ومن مات شهيد فلما نظر المقدم جبل الي هذا الحال قال ياحجشوحه اصبر على حتى اشفي غليل قلبي من الجهاد واساعد الاسلام في طاعة رب العباد ثم انه تمتع شا كريته سطعت ولمعت وصاح الله اكبر

كلاب المشركين لقد بغيتم * على الاسلام فى فعل الضلال
وطاوعتم جوان واعتديتم * وقد بادرتمونا بالقتال
فدونكموا وسوق الحرب جهرا * بضربات المهندة الصقالى
اناجبل بن رأس الشيخ اسمى * اجيد الطعن بالسمر الحلالى
ساقطع منكم الهامات جزرا * واجعل دمكم على الارض سالي
تقدم ياصلب الروم عندى * وجمع الكافرين الى القتالى
لقد غرك فعال الحاج شيحه * مع البيباظ بالقول المحال
وقد اضحي دياركموا خرابا * واطلالكم عادت خوالي
وصل المى فى كل وقت * على المختار من حاز الكمال

وتكبب وارتمى كصاعقة نزلت من السما كحل الكافر ين بمراود العمي ابلاهم بالقيل والقال والذل والخبال وغنا البتار وقل الانصار ولحق الجبان الانهار ولا ترى الا دماغ طاير ودما فاير وجواد بصاحبه غاير تفرقعت المرايركانت ليلة تعد بليال تجلا عليها الملك القادم الكبير المتعال وما اصبح الصباح الا وقلعة صافيتا لم فيها احد من النصارى من يخبر بخبر بل راحوا اعلى مراشق السيوف وعاد المقدم جبل والدما على يديه مثل كبد الابل وقال ياحاج شوحه اين البيباظ الذى كان يقول على هذا تابع البترك فقال يافداوى هذا ولدى محمد السابق فقال اسم الله على من يجيب مثله فقال له المقدم جمال الدين يامقدم جبل كان الذى كان قوم بفاديك انت فتحت القلعة بسيفك وروح اخبر السلطان فقال المقدم جبل ياحج شوحه الذى يعصي عليك يكون معرص واما انا اقول هي طاعة الخوند لك حتى تقوم الجبال فى ماء البحار عدو لمن تعادى صديق لمن تصادق اي والاسم الاعظم فعند ذلك كتب اسمه على شاكريته وبعد ذلك فتشوا على جوان والملك صليب الروم والبرتقش

فلم يجد ولهم خبر فقال شيحه الى حيث القت هيا بنا نصلح السلطان فصاروا حتى وصلوا الى الشام ودخلوا على السلطان واعلموه بما جرى واما الملك قار اصلان لما علم ان جوان هرب وعاد الى مدينة برصه وأما المقدم جبل لما دخل على الملك الظاهر واعلم انه اطاع شيحه انعم عليه واعطي له حجره عربيه تنقى الرياح الغربيه وطلع من عند الملك الظاهر بعد ما ودع الرجال وطلب البرارى والجبال وهو فرحان بما جرى له من الهدا بعد الضلال ولما تمادى به المسير وقطع الحر والهجير واقبل عصاري النهار رأى غابة اراد النزول للراحه واذا باثنين طالعين عليه من ذلك الغابه فتأملهم وعرفهم واذا من اولاد اخته احدهم يقال له الحنش بن فارس والثاني سيف الدين ناب الفيل وكان السبب في مجيئهم الى هذا المكان فانهم ظهروا من اللجج حتى وصلوا الي قلعة الكهف والقرموص فسألوا عن السلطنة مثل غيرهم فاحكوا لهم الاتباع المقيمين بالقلعه على المقدم جمال الدين وعلى حيله وافعاله وقالوا لهم فى آخر الكلام وخالكم المقدم جبل توجه اليه بعد ما كان اتى به الي قلعته وسجنه فتسبب له الخلاص من عالم الغيب والى الآن لم عاد المقدم جبل فطلعوا من القلاع وهم قاصدين جرة خالهم ليعاونوه على أخذ السلطنه فالقوه فى ذلك المكان وسلموا عليه وقالوا له انت ياخال لابس كسوه وراكب حجره هل تري اخذت السلطنه وعزلت شيحه حتى اننا نفتخر على بنو اسماعيل ونقول ان خالنا سلطان فقال المقدم جبل والله يامقدم ان شيحه يستاهل الف سلطنه على سلطنة القلاع وانا والله ما اجى قطرة من تياره ولا شراره من ناره ثم احكى لهم على ماجري بينه وبين شيحه وقال فى آخر الكلام ولما رأيت نفسي ما انا قياسه اطعته وكتب اسمه على شواكرى وها انا راجع الي قلعتى فقال له الحنش ابن فارس وانت ياخال طعته قال نعم فالتفت الى اخيه سيف الدين وقال رأيت يااخى فقال فرجني كيف كتب اسمه على شواكرك فاعطى الشاكرية الى سيف الدين فقال الحنش فرجنى الثانية فاعطاه الشاكريه الثانية فلما بقوا بايديهم الشواكر صاحوا عليه وقالوا له كدا ياقرن ثم ضربوه الاثنين بالشواكر وقعت واحده فى كتفه والثانية في جبهته وثانى عليه وثالث ورابع حتى صار مقارب تشطيب ابراهيم بن حسن على جسر الانجبار وتركوه ملقح فى

البر وساروا هار بين وكان مع المقدم اثنين اتباع قتلوهم وساروا كما ذكرنا ولما ارتمى المقدم جبل كان فى عصارى النهار وعادت رعاة الضبع من البرار فرأوا المقدم جبل فاعلموا اشيخ ضايعه فاتى اليه واخذه وسار به الى مرستان الشام ودخل على الامير عيسى شرف الدين الناصر وقال له انى رايت فداوي في البر مجروح وهو من الذى طايعين شيخه واسمه المقدم جبل ابن رأس الشيخ مشهد فاتيت به الى المرستان فلما سمع باشت الشام بهذا الخبر فارسل فى الحال اعلم الملك الظاهر وكان الملك معزوم فى قلعة المعره عند المقدم سليمان الجاموسي لانه لما علم ان الملك الظاهر بالشام ركب فى مقادم بنوا اسماعيل لانه نقيب الرجال واتى السلطان وسلم عليه وطلب منه التشريف بنقل الركاب الشريف الى قلعته فاجاب الملك وراح معه الى المعره فلما اتى السلطان الخبر بما جري على المقدم جبل كان المقدم سليمان حاضر ولما ركب الملك واتى الي الشام فاتى المقدم سليمان بصحبته اجلالا لقدره ولما دخل السلطان الى الشام فسار عامدا الى المرستان وامر بنقل المقدم جبل الى سراية الشام و نظر الى المقدم سليمان والفداوية فصعب ذلك عليهم فلما جلس السلطان واخذ الراحة قام على الاقدام ومشي دخل على المقدم جبل ونظر الى حاله وقال يا فداوى هل تعرف خصمك فقال الفداوى مالي خصم فعل ذلك واما اذا مت خلوهم يعمروا القلعه اخير من قطع الشجرة يا مولانا السلطان اذا علموا الرجال بالذى قتلونى يقتلوهم وهم لحمى ودمي ولكن غرهم الجهل فان الجهل يعمى البصا بروا نا يا مولا نا ما كادنى الا ضرب الجراح منهم لم اقدرا نام فقال المقدم ابراهيم انا اعلم ان بالشام جرايحيه بكثرة نجيب لك جراح يداويك فقال السلطان قم يا ابراهيم هات جراح فغاب ابراهيم واخذ سعد معه واذا بدكان وفيها عدد جراحه واقف على بابها رجل اختيار فقال المقدم ابراهيم يا شيخ انت رجل فقير يا هلتري اذا اخذتك الى قدام السلطان تعرف تداوي المجروح فقال ان شاء الله لا يتم يومه هذا الا وجراحه مقطبه فقال ابراهيم اذا فعلت ذلك فان السلطان يعطيك انعام لكن على شرط انك تشاركني بالنصف فقال الجرايحي طيب عند ذلك اخذه ابراهيم ودخل به على السلطان فامره ان

يتقدم الى المقدم جبل فلما رآه تحسر وقال لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ثم انه كشف الجراح وقشط الدم الجامد وصار يجمع الجراح و يخيط بالابره حتى قطب جميع الجراح ودهن بدهانات يعرفها فبرد الالم و بلط محل الجرح وعاد دون المقدم جبل مثل ما كان ولا كأنه جرح وقعد على حيله فنظر السلطان الى ذلك الفعال ونظر الى الحكيم وقال له تبالك من حكيم تمنى فقال ابراهيم ياشيخ تمنى على مولانا الملك الظاهر كلما تريد فقال الحكيم الف كرباج قال الملك لاي شيء الكرابيج فقال ما اريد غيرهم فبالله عليك يامولانا لا ترجع كلامي فان هذا مرامي فامر الملك له بالف كرباج فقال اولا اعطي نصفهم لشريكي وهو المقدم ابراهيم فقال ابراهيم انا ما اشارك فى الكرابيج قال الحكيم الشرك على هذا وهذا قال ابراهيم انا ياشيخ عمرى ماشاركتك قال ولا على طبريه قال ابراهيم اسم الله عليك ياحج شيحه انا عبدك وخادمك ايد الله سيادتك الملكية سلطان الحكما قال شيحة يامقدم جبل من الذي جرحك هذه الجراح واذا بالمقدم جبل م واقفا على قدميه ومد يده قبض على اثنين طوال فنأملوهم الرجال واذا هم الحنش ابن فارس وسيف الدين ناب الفيل وكان الحنش فى يده اليمنى واما سيف الدين فى اليد اليسرى فصاح خاله وهو قابض عليه على ما ادركته الرجال هرب سيف الدين من بينهم كانه فص ملح وذاب فلما وقع الحنش قال له شيحه انت الذى فعلت بخالك هكذا قال أخى الذى فعل واما انا مافعلت قال الملك اوضعوه فى الحديد فوضعوه وقعد المقدم جبل واحكي للسلطان على ما فعلوا معه قال السلطان انا آخذ لك حقك منهم ولما كان ثانى يوم واذا بنايب الشام اقبل واعلم السلطان ان الذى حبسوه عندى البارحة هرب قال شيحه ضمان الاثنين علي واذا بالخزندار لحقه وقال فى هذه الليلة سرق من الخزنه صندوق قال شيحه وكذلك الصندوق على ضمانه وكان السبب فى ذلك ان المقدم سيف الدين لما انفلت دخل جامع فى الشام واقام تحت المنبر حتى دخل الليل وطلع المشا مع المصلين وسار الى لجن الشام واختلط مع الناس وارصد السجان حتى انه ناموا نقضى على السجن فتحه واخرج اخيه الحنش من السجن وقال له سير معى حتى ناخذ معروفنا من خزينة الشام

وساروا الاثنين الي تحت سراية الشام وارما الحنش مفرده وطلع الي اعلا المكان وسيف الدين واقف له برصده حتى نزل على الخزينة واخذ صندوق ملان ذهب وعاد الى اخيه وطوى سر يافه وخرجوا الاثنين من تحت السراية وا كنوا باقى ليلتهم فى حام خربان ولما طلع الفجر خرجوا من البلد الى بساتين الشام ارادوا يفتحوا الصندوق ليأخذوا منه المال فرآه مصبفح بالحديد واقفاله جسيمة فارادوا كسره والانصراف من هذا المكان واذا بصاحب البستان مار عليهم وحامل على كتفه فاس فندهوا عليه وقام الحنش واخذ الفاس منه واراد ان يكسر الصندوق قال لهم البستانى انا افتحه لكم من غير كسر قالوا له دونك افتحه فطلع حجر من تحت باطه وجره على الاقفال فتساقطت قال الحنش ياشيخ انت صنعتك حرامى قال ياخوند انا لى فى هذا المكان مدة سنوات وجميع ما يسرق من الشام فى الليل لا يبات الا عندى واحفظ لهم اموالهم ويطعمونى من الذي يسرقوه قالوا له ياشيخ ايش اسمك قال انا اسمى مخادع قال سيف الدين ياشيخ مخادع ترضي ان يكون عندك مقامنا حتى نبلغ مقصودنا ونظفر بخصمنا وكلما نكسب شيأ نعطيك منه قال لهم مرحبا واهلا وسهلا قال الحنش ياشيخ خذ دينار وامضى الي الشام واحضر لنا به طعام قال على الرأس والعين ثم انه اخذ الدينار وغاب ساعة واتاهم بقصعة ملانه بسبسة قال سيف الدين كل منها ياشيخ اولا قال كذلك ثم انه اكل قدامهم وكان هذا البستانى شيحه ومتحمل بضد البنج فأكلوا لما رأوه اكل فانقلبوا الاثنين فشدهم كتاف وبعد ذلك فيقهم فنظروا اليه وهو كانه الاسد وبيده سوط كالثعبان الاسود قالوا له ايش انت قال لهم ياقليلات الادب هكذا تعمل اولاد الاخت بالخال وايضا لما انصرفتم من سجن الشام لاى شيء سرقتم الصندوق قالوا له انت حقيقة يا قرن مخادع والحق عندنا الذى ما قطعنا جلدك وايتمنا ولدك والآن ايش الذى تريد منا فقال لهم اريد منكم انكم تقوموا فى ادبكم حتى اقدمكم قدام السلطان والا وحق الاله الدائم الذى تفرد بالدوام والبقا اشوى اجسادكم بذلك السوط الغضان واشعل فى ابدانكم النيران ثم انه قام على حيله فقالوا له سير ياشيحه وها نحن سايرين معك الى محل ماتريد فساقهم قدامه مكتفين حتى دخل بهم الى

قدام السلطان والصندوق محمول معهم فلما نظرهم ملك الاسلام تعجب من شيحه ومن افعاله فقال السلطان يامقادم اماتستحوا ان تكونوا مقادم ويكون هذا الحال حالكم فقالوا له ياملكنا اما كوننا نطيع رجل مثل هذا قصير فهذا لا يكون ابدا فقال شيحه اذا لم تطيعوني والا ظيرت جلدكم الكشا فيه ادبا لغيركم فقالوا له يجوز في دين الاسلام سلخ الاشراف فقال اشراف لكن افعالكم جور وغدر واسراف فقالوا له خالنا اطاعك باى سبب فقال لهم اسألوه فسألوا خالهم المقدم جبل فأخبرهم بفتح قلعة صافيتا على يديه فقالوا ونحن ايضا يجري بيننا وبينك ياشيحه رهان ان غلبناك عزلناك وان انت غلبتنا اطعناك قال شيحه يامقادم مرحبا بكم ثم انه امر باطلاقهم وان يقيموا حتى يظهر شيء من الغيب واذا يتبع من اتباع المقدم موسى بن حسن القصاص مقبل اخبر السلطان ان ملك القيقيول الاصطفرت قائم شواشي العصيان وعنده جوان والبرتقش الخوان فما تم التبع كلامه حتى قام الحنش ابن فارس على قدميه وقال ياملك الاسلام انا واخى نفتح لك مدينة القيقيول ونقبض على الملك الاصطفرت ونحضره الى بين يديك وتعطينا سلطنة القلاع والحصون ونعزل شيحه فقال السلطان تشارطوا انتم واياه فقال شيحه والاسم الاعظم ان فتحتم القيقيول كما تقولوا واتيتم بملكها اسيرا او قتلتموه تنازلنا لكم عن السلطنة نزولا شرعيا فقال سيف الدين تريد شاهد فقال السلطان ها انا شاهد بهذا الشروط فعند ذلك طلعوا الاثنين من قدام الملك الظاهر قاصدين مدينة القيقيول يقع لهم كلام اذا وصلنا اليه تحكى عليه اللى بعشق النبى يصلى عليه (قال الراوى) وكان السبب في ذلك ان جوان لما هرب من قلعة صافيتا ضافت الدنيا فى وجهه فسار الى مدينه القيقيول ودخل على الاصطفرت وقال له قوم على حيلك يابنى وحارب المسلمين قال الحور يونا اتونى من المسيح يلزمونى ان ألزم النصارى بالجهاد في دين المسيح فقال الاصطفرت يابونا انا اعرف ان المسلمين دائما منصورين على النصارى وانا عسكرى يابونا قليل فقال له جوان انا اجيب لك عساكر تملك بها بلاد المسلمين وتسقى خيلك من الروضه والمقياس ودير النحاس فامتثل وقام شواشي العصيان وطلع جوان يجمع له عساكر من ملوك الروم حتى

بقا عنده نحو عن عشرة آلاف مقاتل بطارقه وعمالقه وقسس ورهبان الي يوم من الايام قاعد جوان بجانب الاصطفرت لاحت منه التفاته فرأى الحنش بن فارس وسيف الدين ناب الفيل وهم مقبلين ومن باب الديوان داخلين لكنهم مغيرين زيهم ولابسين ملابس اهل الكفر المارقين فنادى عليهم وقال لهم اهلا وسهلا يا سندره الكرستيان ثم الى الاصطفرت وقال له بلسان الروم قوم سلم عليهم بصدر منشرح وقال لهم بالسلامة فقالوا له يا شيخ جوان انت ايش عرفك بنا فقال انا بالحقيقة لم اعرفكم وانما اتاني حواري من الحوار بين الطيارون وقال لي يا عالم الله اعلم ان في هذا العام يظهر اثنين مقاديم من بنو اسماعيل يعصوا على شيحه ويتنحا لقواعليه ويدخلوا مع الاصطفرت ويحاربوا المسلمين وينتصرون على الاسلام ويتولى احدهم على مصر والشام وساير بلاد الاسلام والثاني يبقى ملك على القلاع والحصون فلما سمعت من الحوارى ذلك الكلام مرت الاصطفرت بالمصيان وقعدت بجانبه انتظر الاثنين الذى خبرني عنهم الحوارى فرأيتكم اقبلتم فقمت سلمت عليكم لكن ما اعلم انتم ام غيركم اعلموني باسمائكم قال واحد انا اسمي الحنش بن فارس وهذا اخي سيف الدين ناب الفيل قال جوان هذا هو المقصود يا مقاديم ان شيحه سلطان القلاع والحصون فانه كان صبي حمارتي وانا الذي علمته الحيل والمناصب حتي بلغ هذه المرتبة وبعدها طلع على لم عرفني وها انا منتظركم اعاونكم على عزلانه وآخذ سلطنته لواحد منكم والثاني يكون ملكا على مصر والشام وسائر بلاد الاسلام لما سمعوا الاثنين هذا الكلام فرحوا غاية الفرح وايقنوا بالنجا واستند المتعوس على خايب الرجا ثم انهم اقاموا عند الملك الاصطفرت يدبروا مكريات فهذا ما كان منهم (قال الراوى) واما ما كان من امر المقدم جمال الدين فانه سار حتى دخل الى مدينة الفيقيبول وتمشى فى اسواقها فرأى خمارة وواقف على بابها بطريق فسلم عليه ودخل معه الى الخمارة اشارة انه يريد سكر فدخل الخماره وملا له مطلوبه فاخذ منه الخمر وقال له هذا الخمر طعمه مخالف طعم البيبار النقى قال له البطريق الخمار هو بيبار طيب قال له المقدم جمال الدين انا صنعتي اخرج الخمر من جميع الفواكه والذي اعرفه فى هذه الصنعة لم يعرفه احدا

مثلي ثم انه قام على حيله وقال له هذا الخمر مايشرب فان كان عندك طيب هات والا ذوق هذا البيبار الذى معى منه قصله وان اردت فانا اصطنع لك مثله ثم طلع من جيبه قزازة صغيرة وصب منها فى الكاس واخذمنه بين شفايفه واعطا الخمار يذوق فما هو الا اتي به على فمه فوقع فقفل شيحه باب الخماره وكتف الخمار واعرض عليه الاسلام فلم يرضي بذلك فاذبحه وارماه فى قارب على البحر ولبس على صفته وكان اسمه كاورت ووقف المقدم جمال الدين ثانى الايام يستقبل النصارى وكلما خلا بأحد قتله الى يوم واقف المقدم جمال الدين واذاهو بغلام امرد مقبل وهو يتعاجب بنفسه فاستقبله المقدم جمال الدين واجلسه قال له عندك قرفه شراب قال نعم ثم انه ملا كاس من شراب القرفه ووضع فيه قيراط سم خارق وناوله للغلام وهو يظن ان هذا ابن ملك القيقيول قال له الغلام اشرب انت هذا الكاس واملا لى غيره فانحمق المقدم جمال الدين وضربه بالكاس فكان ذلك الغلام محاذر منه فراح عنه فانكسر الكاس وسال منه الشراب على الارض وصار يغلى على الارض كغليان القدر على النار قال الغلام وايش الذنب فعلته معك يا ابى حتى تريد تسقيني هذا الكاس قال شيحه اعوذ بالله انت السابق قال نعم قال له ياولدى اجعل بيني و بينك امارة اذا احدنا قابل الآخر فكلا منا يمسك اذنه بيده فصارت هذه امارة بين شيحه والسابق واما ما كان من امر الملك الظاهر فانه انتظر الاثنين الفداوية يعودوا له فما عادوا فاخذ ابراهيم وسعد وسليمان الجاموس واربعة عشر مقدم من بنوا اسماعيل باتباعهم وشال وحط بالعرضي على القيقيول وقبل مسيره ارسل المقدم سعد بكتاب الي مصر يامر الوزير يلحقه بالعساكر علي القيقيول ولما وصل السلطان ضربت المدافع من الاصوار منعوه على قدر رمى النار ونصب السلطان العرضي وقام بالسا كرحتى اقبل الوزير الاعظم الاغا شاهين الافرم وضربت المدافع لقدومه ونظر الاصطفرت الى ذلك الحال فقال لجوان يابونا انا كنت مرتاح من المسلمين وانت الذي كنت السبب فى مجيئهم لي فى هذه الايام فقال له جوان لا تخف من شيء وعندك عالم الملة البرك جوان ولما كان بعد ثلاثة ايام كتب السلطان كتاب واعطاه للمقدم ابراهيم اخذه وسار به الي باب المدينة فاستاذنوا له

فدخل على الاصطفيرت وجوان بجانبه فقال له قوم على حيلك خذ كتاب الدولة بادب فقام الملك اخذ الكتاب منه وفرده وقراه واذا فيه الصلاة والسلام على من اتبع الهدي وخشي عواقب الردى واطاع الله العلي الاعلا واللعنة على من كذب وتولى اما بعد فمن حضرة ملك القبلة وخادم الحرم الى بين ايادي الملعون الاصطفيرت يا ملعون ايش بلغ من قدرك حتى انك تعصي وتطاوع الملعون جوان فها انا اتيت اليك علمت ذلك فان اردت السلامة من الندم والوجود بعد العدم تاتي الى عندي حافي الاقدام مكشوف الرأس احاسبك على ما تكلفت الركبدوا بايمك نفسك بالمال وآخذ عليك الجزيه والخراج فى كل عام فان فعلت ذلك كان الامان والا يكون ديارك خراب وقلع اثارك والسيف اصدق انبا من الكتب وحامل الاجرف كفاية كل خبر والسلام على نبي تظله الغمام فلما قرأ الكتاب قال لجوان يا بونا تسمع كلام ملك المسلمين وقال جوان عارفه وهو كذلك فقال الاصطفيرت وايش نرد الجواب فقال بالحرب فاعط ابراهيم الكتاب وكتب له ردالجواب واعطاه حق الطريق الف دينار وعادا براهيم الى السلطان بالكتاب وردالجواب فقال بالحرب مزقه وامر بدق الطبل الحربى جاوبته طبول الروم ولما كان عند الصباح فتح باب المدينة وخرج بطريق فخرج اليه ايدمر البهلوان قتله والثانى خذله والثالث عجل من نحله وما فرغ النهار حتي قتل عشرين فارس كرار ثانى وثالى الايام نزل حسن النسر بن عجبور مفتاح حرب بني اسماعيل قاتل ماقصر كانه الليث الجسور وفعل فعال تعجز عنها صناديد الرجال ودام الحرب عشرة ايام وقصرت الروم فمنذ ذلك قال جوان للاصطفيرت يا بب الليلة دي حضر لنا بيبار حتي انى اريك ما افعل فعند ذلك حضر له الخمر العقار واحضر المقدم سيف الدين ناب الفيل والمقدم الحنش بن بفارس وقال يا مقدم الذي يريد نفيس يخاطر بنفيس فقالوا واله قل لنا على كلما تريد فقال طول بيبرس ماهو جالس على الكرسي يقول للمسلمين حاربوا يحاربوا ولم يخالفوا كلامه واما لو يكون عندكم ادراك لسرقة بيبرس كان العرضي كله ينكسر فقالوا واله فى هذه الليلة نحن نأتيك بالظاهر وقاموا الاثنين واختلطوا باتباع بنى اسماعيل حتى تمكنوا من

ظهر صيوان السلطان وتقدم الحنش وخلع وتد بصنعة لطافة وزق دخل الصيوان وكان ذلك فى نصف الليل فرأى السلطان نايم على قفاه ووجهه مقابل به مشاهدة مولاه فارمى على وجهه منديل معبق بروايح البنج التى النوم ووضعه فى جمدان وزرر اربعة وعشرين زرو عروه وحمله على كاهلية ولحق اخيه سيف الدين وكان وقف له ديدبان وطلع مرخف المرضي على حميه واعجب ماوقع من الاتفاق ان المقدم جبل بن رأس الشيخ مشهد فى هذه الليله اخذه القاق وقال يعنى ان اولاد اختي الحنش وسيف الدين تعرضوا قدام السلطان و قالوا نحن نفتح القيقيول وناتى بملكها والى الان لم ظهر لهم خبر وانا ما اظن الا انهم انعاقوا ثم قام على حيله واخذ عدته وطلع قاصد المدينة فلما وصل البب عرضي الاسلام وعرضى الكفرة اللئام حتى يطلع النهار فان الله تعالى يسبب الاسباب على اي حال بينما هو كذلك واذا بالاثنين مقبلين حامل احدهم جمدان والثانى قدامه يكشف له الطريق فصاح المقدم جبل ايش الزول فى ظلام الليل ويلك اسرع قوس بقصاصه عمادى كل قصاصه يا رجل من اتى سالم راح سالم ومن عرض نفسه صار عادم فالتفت الحاش الى سيف الدين وقال له هذا حسن خالنا المقدم جبل فما بالله العظيم ان وقع احدا منا فى يده ما يبقى عليه فالصواب اننا نرمي هذا الجمدان ونعرق والا تكونوا هالكين ولا ينفعنا جوان ولا كل الكافرين ثم انهم ارموا الجمدان وتجاروا خاف بعضهم اراد المقدم جبل يتبعهم ولكن قال ربما يكونوا حراميه سارقين شيأ من عرضي السلطان وارموه واتبعهم انا يكون جماعة ياخذوه ثم انه تقدم الى عند ذلك الجمدان ومسكه فرآه ثقيل ففتحه واذا به السلطان عند ذلك فيقه واحكى له على ماجرى وقال انا اظن يا مولانا ان هؤلاء ا ولاد اختي لان هذا الجمدان للحنش بن فارس وان كانوا تداخلوا مع المشركين لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ثم عادهو والسلطان معه حتى دخلوا صيوان من محل ما خرجوا به الاتباع ومشى الملك الي باب الصيوان وجدا براهيم وسعد واقفين على اقدامهم فكتم ماعنده وقال والله ما يحفظ المخلوق الا الخالق ثم انه قال للمقدم جبل اخفى يافداوى هذا الخبر هذا ماجري واما ما كان من الاثنين الفداويه فانهم لما رجعوا

استحوان يدخلوا على جوان و يقولوا انناسرقنا السلطان ولكن انفلت من يدينا فما كان لهم الا انهم دخلوا البلد فعبروا على الخمارة الذى فيها السابق و كان ذلك الوقت قاعد وحده فما يشعر الا وهذين الاثنين قابلين من باب المدينة لكنهم زايغين البصر فأملهم عرفهم فلما اقبلوا راوا هذه الخماره مفتوحه دخلوا الى داخلها وهم مذهولين العقل و ارادوا ان يلقوا الباب فقال لهم لاى شيء تقلوا ابواب الخماره قالوا يا معلم احنا مطرودين ولكن نحق ما احنا غربا بل اننا كنا طلعنا من عرضى اليب فى شغله ولا قضيناها فاستحينا اننا نعود بالخيبه ولكن خلقنا اخصام مسلمين وخايفين ان يتبعونا الى المكان فقال لهم لا تخافوا ايش الذى جرى عليكم فاحكوا له على القصة التى جرت فعند ذلك قال لهم لا تخافوا انا اسرق لكم رين المسلمين والمقدم جبل ولكن لا يكون ذلك الا اذا كان بامر عامر الملة جوان واما انتم فما امن منكم لكون انكم مسلمين ولكن لا تخافوا ثم انه قام على حيله وأوقد النار وأرما فيها من البنج الطيار فما قعدوا الا والدخنة اخذتهم فانقلبوا الى الارض فوضعهم فى جدانين وادخلهم فى مخدع و وقف فى باب الخمارة ينتظر ما يتجددوا ما جوان فانه نعد منتظر الاثنين الفداوية فما عادوا اليه قال يا برتقش قوم بنا فنكشف الاخبار وقام دخل المدينة فنظر الى ذلك الخماره ورأى غلام واقف وعليه بدلة تكاد ان تكون سرقت من كنز قال يا برتقش هذا الفليون جميل وانا قبل كل شيء ادخل معك هذه الخماره واسكر من يد هذا الفليون قال البرتقش وانا معك دخلوا الاثنين الى الخماره فالتقاهم الخمار ورحب بهم فقال البرتقش يا غندار حصلت البركة عندك لما دخل عليك البركه جوان قال الغلام انا اسمع ان جوان فى السماء داعا عند المسيح وايش الذى يأتى به الى عندي وانا فى الارض قال البرتقش المسيح الزمه ان ينزل الارض و يبارك للنصاره قال الغلام عسى يكون لى نصيب فى بركات المسيح ثم انه تقدم الى نصبة الخماره وصار يفرغ من المريع فى الفنانى حتى ان جوان بقا واقف يرشح و بعدها تقدم و بيده ثلاثة اقداح فشرب واحد على وجههم واعطا واحد لجوان والثانى للبرتقش فشرب جوان فمال كما يميل الجزع اذا ضربه ريح الشمال والبرتقش ينظر اليه والكاس فى يده وقال له

الغلام اشرب والا وحق من تفرد بالدوام والبقا اصبح جلدك على باب هذه الحماره قال ما نرضا نى ان اكتف لك جوان قال انا اكتفه فعندها شرب البرتقش فكتف السابق الاثنين هذا ما جري واما الاصطفرت فانه لما طلع النهار كانه نظر جوان غاب فطلب الطعام والمدام فكان نديمه فى تلك الساعة المقدم جمال الدين وقبض عليه ونزل اجتمع على ولده ووضع الملك وجوان والبرتقش فى الحمارة وطلع شيحه ذبح الحرص وكتب تذكره ووضعها فى فتلة ورماها قدام صيوان السلطان فاخذها ابراهيم قدمها للسلطان يجد فيها من حضرة المقدم جمال الدين الي بين ايادي ملك الاسلام اعلم ان الحرض ذبحته والمدافع عطلت وابواب المدينة فتحت وقبضت على جوان والبرتقش والاصطفرت والخنش وسيف الدين ولا بقا قدامك عايق اركب ما عليك باس فقال الملك الخيل يا ار بابها علت على تلك الروح ركابها حضرت فرسانها ونوابها فصاح الملك الظاهر فى مقدم العساكر الله اكبر

انا ملك الاسلام فى كل مشهد * انا ترس قبر الهاشمى محمد
انا الظاهر المنصور فى كل غزوة * وحد حسامي قاطعا كل جاحد
ولى عشر ارطال دمشقي عسكم * اقد به هام العدا والورايد
وقنطارية ابن باديس قد ملكتها * اقلبها فى وسط كفى بساعدى
وتحتى جواد ادهم ذات غرة * صبور على الهيجا قوى الموارد
وحولى اماري فى الحروب كانهم * سباع ومنهم كل قرم مجاهد
واما بنو اسماعيل فداوية اللقا * يخوضوا الظما جمر الوغا المتوقد
وسيفى ابراهيم وسعد مثله * فكم يسعفونى فى لقاء الشدائد
واما جمال الدين سلطان جيشنا * فكم ينصر الاسلام بنفي المعايد
وايدنى ربى بتأييد نصره * ومن كل ضيق فهو لا شك منجد
وصل الهي بكرة وعشية * على المصطفى خير البرايا محمد

ومن بعده حمل المقدم ابراهيم ابن حسن وهو يقول الله اكبر دع التلاهى ولبس الحذ والتنعيم ان الاسنة التى قد طعمت تطعم قوموا وابرزوا للمعامع واتركوا التوهيم ومن تنمرد فما خصمه سوى ابراهيم وصاح بعده المقدم

سعد ونبهم عصبة الاسلام فـما اصبح الله بالصباح الا والملك الظاهر على
كرسي المدينة وهلكوا جميع مافيها والذي يطلب الامان امنه السلطان ودوروا
على الملك الاصطفرت وجوان والبرتقش فما وجدوا لهم خبر فاغتاظ الملك
الظاهر وكان السبب فى نجاتهم صوان ابن الافعه فقال المقدم جمال الدين
يامولانا السلطان هذا المال الذى انتهب من القيقول نظير ماتكلفت ركبتك
واما الاصطفرت لا يقدر يعمر فى بلاده الا بامرك اذا كنت راضى عليه
وجوان والبرتقش ماهذه اول هروبهم حتي تخاف منهم وانما انا اقول ان
هـذين الفداويين الذين اعتمدوا على النفاق وهم سيف الدين والحنش
وانضم عليه هذا الملعون صوان ابن الافا فلا بد لهـم من دخول الشام
وانمـا ياملك الاسلام انت تأمر العساكر وحوالي مصر و بنوا اسماعيل كلا
منهم يتوجه الى قلعته وانت كمان تركب و تقيم فى الشام حتى يقضي الله ماهو قاض
ولمـا تبقى فى الشام ياامير المؤمنين باذن ربى اقبض على ذلك الرجال واطلب منهم
الاطاعة والاادبت بهم بنوا اسماعيل فعند ذلك ركب الملك الظاهر وتوجه الى
الشام وامر كل من كان له قلعة يتوجه لها بعد ما فرق مال القيقول واعطي كل
مغازى حقه واخرج الخمس لبيت مال المسلمين وسافر السلطان حتى نزل بالشام
ولمـا نزل السلطان الشام كتب شيحه لجميع القـلاع كل من آوى صوان والحنش
وسيف الدين اخصامه لا جزاء الا السلخ وتعليق جلده على قلعته وأرسل الكتب
الى جميع القلاع و بعد ذلك نادى المقـدم جمال الدين على اهـل الشام كل من يبيع
و يشتري لا يبـع شيء لاحد مجهول المعرفه الا اذا كان معه تذ كره من المقدم جمال
الدين شيحه وكل من كان يخالف ذلك جزاء خراب بيته و يكون دمه مهدورفلما
سمعوا اهل الشام هرعوا الى السلطان وقالوا له نريد لنا تذاكر للبيع والشراء فامر
السلطان ان يصنع قالب يعمه باسم المقـدم جمال الدين بقـدر فرخ ورق كبير
و يكون فيه عشر صفوف كل صف عشرون اسماله يطبع على ورق فلما انفعل
ذلك طبع شيحه يوم واحد الف فرخ بمائة الف تذ كره وكل ارباب الاخذ والعطا
اخذوا تذا كر لكن باعتراف بعضهم البعض واعجب ماوقع من الاتفاق ان

الحنش بن فارس وسيف الدين دخلوا الشام ومرامهم يفعلوا مكيدة يغيظوا بها المقدم جمال الدين لان المقدم صوان من الانه كان دايرا في مدينة القيقول فدخل الحجرة الذي فيها جوان والبرتقش والقوم في حروب ولم احد التفت الي احد فوجد الفداوي بين والبرتقش وجوان والاسطفيرت فاطلق الحنش واخوه فلما اطلقوا جوان والبرتقش وولك القيقول فكلا منهم هجم على وجهه اما جوان قدم له البرتقش الحمار موركب وطلب بحيرة ابغرموا اما الاصطفرت يروح الى بلده ويجمع كل من كان هرب من الحروب ويطلب ان يعمر بلده ويترضى خاطر السلطان يقع كلام واما المقدم الحنش بن فارس واخوه سيف الدين ناب الفيل فانهم دخلوا الشام في طلب جرة شيحه ومرامهم ان يدبروا على مكيدة فداروا طول يومهم في الشام وهم ينظرون اين يكون دخولهم ومتى يبلغوا مقصودهم الى آخر النهار احتاجوا ان يأكلوا قال الحنش يا اخي نحن جعنا واحنا داير بن طول النهار قال سيف الدين قوم على حيلك خذ هذا الدرهم الفضة وروح اصرفه جدد وهات منه بجديدين خبز وهات باربع جدد كبتين كل واحد يأكل كبه وينام ليلته فان الكبة الواحده تغني عن الخبز ان قام الحنش بن فارس وغاب ساعة وقال يا اخي مارضي احد يبيع لنا لا خبز ولا كبه ولا طعام مطلقا وكون البياعين لا يبيعوا الاحد طعام الا اذا كان معه تذكرة من شيحه قال سيف الدين اما هدا يا اخي بيقيلط ثم قام معه ومضى الي بقال وطلب ان ياخذ طعام فلم يرضي يعطيه وكذلك كل البياعين ثم ارادوا ان يدخلوا في قلب خان قال الخا نتجي لا تدخلوا الا بتذكره من شيحه قالوا الله لا يرحم ابوك ولا بوشيحه احنا ناس غرباولا شمنا شيحه ولا نعرفه فلم يقبل كلامهم وردهم عن الدخول فباتوا ليلة الخلا مع البرد الزايد وكان عند الصباح قال الحنش لاخوه يا اخي ان الجبانه ياتي فيها حريمات يفرقوا على روح الاموات سير بنا نعمل فقها ونقري ولا بد ما يعطونا فطير وخلافه ثم انهم ساروا الي الطرب فمنعوهم الحريمات ولم يقبلوهم ولم يقروهم فما دوا في احتشم سحال فضاق صدرهم من شدة الجوع فبينما هم سائرين واذا هم بمحل مبنى على قبور وجالس فيه رجل بدوي وقدامه حوض سبيل ملان بالماء وموضوع طاسات نحاس اصفر وذلك

الرجل يملا الطاسات والناس يتقدمون ومن الماء يشربون فاقبلوا الفداوية ومسك كل واحد طاسه واراد والشرب فقال الرجل ياجماعة اين التذاكر الذى بيدكم من سلطان الحصون شيحه فقالوا له ياشيخ هذا سبيل انت تسقى لله فاذا جاء كافر لابد يشرب منه فكيف تسال عن شيحه وغيره فقال لهم حكم امره ولا اقدر خالف فان من خالف والى الامر عدا المذاهب ويخاف الانسان لا يكون جاسوس منه فيقتلني فقالوا له ياشيخ ما احنا جواسيس وانما نحن ناس غربا ولا لنا من يعرفنا ولا نعرف احد منا فقال لهم اذا كنتم غربا اشربوا مرحبا بكم وان كنتم تأكلوا دونكم والطعام لكن تأكلوا وتسيروا فى ضربكم لئلا يطلع على وعليكم احد فقالوا له ياشيخ جزاك الله خيرا ثم انهم شربوا من الماء وبعد ما شربوا نظروا الى محل الرجل واذا فيه عيش مرصوص على قفص وبجانبه عنب فاندفعوا الاثنين الى داخل المكان وطبقوا على العيش والعنب واكلوا حتى اكتفوا فانقلبوا على الارض نايمين كانهم موتى من حين وكان السبال المقدم جمال الدين فخلع باب المكان ووضعهم عليه وقلعهم ملابسهم واحضر الماء وغسلهم وكفنهم فلما فعل ذلك فتح لهم قبر ووضعهم فيه ودخل معهم فى القبر وكان فى ذلك للقبر متسع واعطاهم ضد البنج بعد مادهن وسط كل واحد بدهن الجماد حتى اذا افاق لا يمكنه القيام ولما جن الليل اعطاهم ضد البنج واختفى في منزل القبر وافاقوا الاثنين وكلا منهم يقول اشهد ولا اجحد بدين محمد واراد ان يقوم فرأى اعضاءه كالخشب لا يتحرك فقال لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم كانى انا مت وكان المتكلم سيف الدين فقال الحنش وانا يا اخي معك انا الحنش بن فارس فقال سيف الدين وانت كان يا اخى مت فقال والله ما بسرف ولكنني لاقى حالي فى كفن والكفن لا يكون الا للاموات سبحان الدايم فقال سيف والله يا حنش ما اسفى الا على خروجى من الدنيا ولا قتلت شيحه كل هذا يجرى وشيحه يسمع واذا بالذى نزل من منزل القبر فوقه وهو مثل شخص لكنه باضراس نار وبيده شدة نار وعلي كتفه مقمعه حديد وهو كانه من زبانية جهنم ومد يده جذب فنظر شيحه الى صورته فانذعر فوضع يده على اذنه السابق فقال له قطعت ولدى لله لا يطلعك من دون الاولاد

ثم ان شيحه سال الفداو بين عن ايمانهم فاجابوا وعقدوا لنهم موتى فصار يشدد
عليهم وقال اعترفوا بما فعلتم فى الدنيا قالوا ونحن في الدنيا كنا نكتسب من الكافرين
و نعاون الاسلام على حرب المشركين فقال لهم وانتم طائعين ام عاصين فقالوا طائعين
لله ورسوله فقال لهم هل اطعتم سلطانكم من قبل موتكم فقالوا واله سلطاننا اسمه
معروف بن حجر وغاب ولم حضر فقال والمقدم جمال الدين له طائعين ام عليه
كنتم عاصين فقالوا والله هذا ما طعناه ولا كنا نعلم انه سلطان بامركم حتي كنا
نطيعه فقال لهم بقا يلزمكم حد العصيان ثم انه رفع يده بالصوط الغضبان ومال عليهم
واحد بعد واحد حتى غابوا عن الدنيا واعجب ماروى ان الملك الظاهر وابراهيم
وسعد كان السلطان قلق ذلك الليلة واخذ ابراهيم وسعد وداروا الشام وطلعوا
للجبانه اتوا الي ذلك المكان وقف الملك وقرأ الفاتحة واوهب ثوابها الى عروس
القيامه والى روح الاموات فمشى ابراهيم يمين وسعد يسار نظر سعد الى محسن
فتقدم وسمع الكلام والسؤال عن الدين والضرب فراح الى ابراهيم وقال يا ابن
خالتي توب عن جميع المال واقنع بالقليل فان يا اخي ناكر ونكير يضربوا الاموات
ضرب شديد فقال ابراهيم ايش غرضك ياسعد فقال تقدم شوف فتقدم ابراهيم
وسمع ضرب الصوت الغضبان فقال ياحماية الله المانية تعالى ياملك الاسلام
انظر كيف يكون عقاب الموتى فى قبورهم فقال السلطان ايش الذى يورينا فقال
ابراهيم ها قدامنا ظاهر ما فيه خفى فمشى السلطان ونظر ماذكرنا وقال لا شك
ان ميعاد القيامه قرب والا ما كان على قدر ذلك يحصل على الاموات ثم ان الملك
الظاهر تقدم وقرأ الفاتحة ثم قال ياخلق الله ايش هذا الفعل الذى عمرنا لم سمعنا
به ولا رأيناه فسمع المقدم جمال الدين كلامه فطلع نار جيه من النحاس ووضع
فيها بنج وحذفها من منزل القبر وكانوا الثلاثة رؤوسهم مكفية الى ذلك
المكان فخرجت الدخنة عليهم فشموها انقلبوا فطلع المقدم جمال الدين وولده
محمد السابق وادخلوهم الي محل السبيل وقفلوا عليهم الباب وبعد ذلك عادوا الى
الفداوبين واعادوا عليهم العقاب حتى غشى عليهم وبعده اخرجوهم ورفعوهم
الي محل السبيل وفوق السلطان واخبره بالقصة التي فعلها فضحك السلطان على

ذلك وفيقوا ابراهيم وسعدو وقال لهم السلطان قوموا بنا الى محلنا فقال ابراهيم ياحج شيحه انا رأيت حساب الاموات فقال له يا ابراهيم على اكسابك في الدنيا وانفق منه والا تعاقب عليه فعاد ابراهيم وسعدو والسلطان الى مراية الشام واما شيحه فانه ترك الاثنين الفداويه في مكانهم محل السبيل وارما على افواههم ضد البنج وتركهم وغاب عنهم فلما أفاقوا رأوا أنفسهم في ذلك المكان ولا كأنهم ماتوا ولا جرى عليهم شيء. فقال الحنش يا أخي انا رأيت اني انا وانت كنا مدفونين وعلينا الاكفان فقال سيف الدين يا اخي وانا كان رأيت ذلك وهذا ما فيه شك ولا ريب وانا والله يا اخي اكلت عذاب وعقاب لم يطيقه احد من ذوي الالباب وهذا شيء ماهو خافي واحنا يا اخي والله مالنا قدرة ان نعادي سلطان القلاع طايعينه الملائكة قوم بنا عند ذلك قاموا الاثنين وساروا الي بين ايادي السلطان وتقدموا وقبلوا الارض وقالوا ياملك الدولة ايد الله سيادتك الملكية وهي طاعة الخوند الى سلطان القلاعين المقدم جمال الدين ونحن مستجيرين بك ياملك الدولة ان تكون سياق على الحاج شيحه يقبلنا وعلى خالنا المقدم جبل يسامحنا فقام المقدم جبل انا اسامحكم اذا سامحكم المقدم جمال الدين وعفا عنكم فقال شيحه يا مقدم جبل مرحبا بهم ولو كانوا قاتلين ولدي ثم فرح باطاعتهم وكتب اسمه على شوا كرهم وسألهم عن ابن خالتهم المقدم صوان فقالوا له نحن ما نتكلف الا بانفسنا فلا تأخذنا بذنب غيرنا وفي ذلك الوقت الا والا صطفرت ملك القيقول اقبل وهو مكشوف الراس حافي الاقدام وتقدم قدام الملك الظاهر وقال ياملك الاسلام اريد منك العفو والسماحة حتي انني اعمر بلدي واقيم فيها وان حصل مني ادنى خلل يكون سيفك اولا بي فعفا عنه السلطان وامره ان يقيم في بلده وامر المقدم جبل واولاد أخته الاثنين ان يوصلوه الى بلده بعد ما انعم عليه السلطان وكتب شيحه على شواكر الاثنين الفداويه وساروا معه الي القيقيول ثم بعد ذلك عادوا قاصدين الي قلاعهم فالتقوا بالمقدم صوان ابن الاخته في طريقهم فسلم عليهم فقالوا له يامقدم صوان روح الى الحج شيحه وطيعه وخليه يكتب اسمه على شاكريتك وتبق

مثلنا ولك مالنا وعليك ماعلينا فقال انا عمري ماطيع شيحه ولو قطعت
قطعا و بضعت بضعا فقال له المقدم جبل والاسم الاعظم لم تدخل قلعتنا الا وانت
طايع شوحه فقال له يا خال وانا ماطيع شوحه وقلعتك ما بقيت ادخلها ابدا
فمضي المقدم جبل الي قلعته وقال للاتباع الذى منكم يقيم على اطاعة شيحه فليقيم
والذي يعصي يتبع صوان ابن اختي فتبع المقدم صوان الف خيال وقالوا نحن ما نقيم
تحت مذلة شيحه ولا نمش الا بقوائم سيوفنا حتى نعودوا الى اللجج ولا نذل لاحد
فقال المقدم صوان فشر شوحه وكل من يتبعه فمضى بهم الى حصن مقدام عارق
افرنجى يقال له المقدم ترجيل فهجم عليه فى قلب حصنه وقتله وملك ذلك الحصن
واكن فيه وقال انا ماار يد سلطان ولا وزير انا سلطان نفسي فبينما هو مقيم واذا
بجماعة دوم يزيدون عن خمسمائة خيال ومعهم اموال فى صناديق محمله على ابغال
فسال عن ذلك الحمل لمن فاخبروه انه من انطاكيه خراج للملك الظاهر فقال لهم
الظاهر انزل وانا صرت سلطان القلاع مطرحه و هو الخراج وصلني وانتم
امضوا من حيث اتيتم وان كنتم مارضيتم بدلك دونكم والقتال فقال المقدم عليهم
وكان اسمه عبد المسيح احنا لانحار لك ولا نضار بك اعطينا تذكرة منك للملك
الظاهر ومنك له تصطفل قال صوان كذلك واعطاهم تذكرة اخذها عبد المسيح
وعاد الى ملك الاسلام اخبره وقدم له التذكرة فانغاظ السلطان فقال شيحه يا ملك
الاسلام لا تزعل انا اجيب لك صوان طايع غصبا عنه ثم ان شيحه خرج من قدام
السلطان قاصد حصن ترجيل فبينما هو مسافر فى الطريق لاحت منه التفاته فراى
غلام ماشي فى طريقه فرآه المقدم جمال الدين فراى هيئته صفه تبع من اتباع الفداويه
فقال شيحه يا غلام تعرف الطريق التي يسير منها الناس على حصن صهيول فقال له
ماهذه البلاد اسال غيري يدلك على طلبك واما انا غريب فقال له ومن اين اتيت والى
اين سائر قال له اما سؤالك مني عن مجيء فانا من اتباع المقدم جبل ابن راس الشيخ
مشهد واما الى اين سائر فانا ارسلني مقدمنا الى واحد يقال له المقدم جمال الدين
شيحه فى الشام ولكن لم اعلم هل التقيه فى الشام او يكون سار فى جهة من الجهات
وانا اطلب من الله تعالى ان يقرب المسافه ولا يحوجني لتعب فقال له المقدم جمال الدين

لاى شيء داير عليه قال له ان المقدم صوان بن الانفه يريد الصلح مع المقدم جمال الدين
وطلب حاله ان يكون واسطة في الصلح بينهم فقال المقـدم جمال الدين يا فتى ها انا
مطلوبك فلما سمع الغلام كلامه قال له وايش يكون الراى تسير معي ام تعطيني
انت له امارة فقال شيحه ها انا سائر الي صوان سير معي وسـر المقدم جمال الدين
والغلام بجانبه ساعة زمانية والغلام تاخر من خلف المقدم جمال الدين شيحه ووضع
يده على دبوس حديد ورفع زنده وضرب المقدم جمال الدين على راسه ضربة جبار
فوقع المقدم جمال الدين على الارض فكتفه ذلك الملعون وقال له وقعت يا شوبحات
(قال الراوي) وكان السبب فى ذلك الملعون جوان وهو انه لما سار من بحيرة
ايغره فاحضر غلام عايق يقال له بطرس بن جرجس فلما حضر عنده قال له سير على
طريق الشام متخفيا واذا اجتمعت بشيحه وامكنك القبض عليه هاتوا الى
عندى وانا املـك القلاع والحصون بعد ما نقتله وناخذ مرتبته وعلمه على ذلك
الترتيب حتي وقع شيحه فى يده وفرح وغنا واخذه قاصد به بحيرة ايغره ولاجل
امر يريده الله تعالى حكم طريقه على حصن ترحيل الذى مقيم فيه المقدم صوان
ابن الانفه وكان المقدم صوان راكب على ظهر حجرته وواقف على باب القلعة كما
قدمنا لعصيانه يريد مال يكسبه او قفل سائر ينهبه فنظر الى بطرس بن جرجس
وهو ساير وحامل جدان فخرج عليه المقدم صوان وقال له ارمي الذي انت حامله
ياقرن وان كنت ما ترميه ارميت رقبتك انا بهذه الشاكريه فعند ذلك وضع
الجدان فى الارض وصاح على المقدم صوان وانطبقا فى الميدان وكان يشيب لهولهما
الولدان ونظر المقدم صوان الي ثبات ذلك الملعون فغضب عليه ومال بكليته عليه
وضربه بالشاكريه على رديه اطاح رأسه من على كتفيه ونزل المقدم جمال الدين
به وكان الملعون وضعه فى الجدان لاجل لم يراه احدا و ينفذ به الى جوان فيبلغ به
قصده فحكم تدبير الرب احسن من تدبير العبد واما المقدم صوان لما راى شيحه
فرح به وقال له وقعت ياقصير ياقرن يا بدوى ياقرقيط يا ابن المطلبه والله ما بقى
يخلصك من يدي الا ملك الموت وهذا قبرك فى ذلك المكان فقال له شيحه يا صوان

كلما فعلته لك بنظيره فلا تظن انك اذا فعلت شيء يفوتك مثله فقال صوان لما اصلبك اولا واخلي جثتك طول النهار في الشمس والقيض وفي الليل في البرد الشديد فقال له شيحه افعل ما تريد فعند ذلك اغتاظ المقدم صوان وقام واحضر خشبه طويله وربط المقدم جمال الدين من تحت ابطيه وصلبه على تلك الخشبه واذا بتبيغ من اتباعه مقبل وقال له يا خوند قوم على حيلك تلقى المقدم سالم القنواني فقام المقدم صوان وتلقى المقدم سالم وهو ابن خالته وسلم عليه باشتياق ومن بعد السلام قال له يا اخي ايش بينك وبين ذلك الرجل القصير الذي يخبر واعنه انه صاحب حيل ومناصب شتى وانا والله يا اخي لما سمعت بخبر تضايقت فقال صوان اذا كان هو صاحب حيل يحتال بها على الرجال فانا يا اخي قبضت عليه وها هو مصلوب بين الخشب والجبال ولا بد لي من قتله على كل حال فقال المقدم سالم وهو في هذا الوقت عندك قال نعم فقال له يحرص دينك قوم يا اخي فرجني عليه فعند ذلك اخذه صوان الى وسط الحصن واوراه كيف انه مصلوب في وسط القلعة على خشبة سر ومن ابطيه فقال له المقدم سالم والله يا مقدم صوان ما قصرت وانا قلبي من هذا الرجل فيه خوف الصواب تريحنا منه يا اخي بالمره وها انا اقعد عنده وانت قوم هات لنا سيخ حديد وحضر لنا آنية المدام حتى نشوي شوحه وناكل لحمه على الخمره فقال صوان وهو كذلك وقام بجيب السيخ فالتفت المقدم سالم العتواني وقال له يا مقدم جمال الدين لا تخاف روحي فداك ولا تشمت بك اعداك اعلم اني طايعك وانا عدو لمن تعادي صديق لمن تصادق اي والاسم الاعظم (يا ساده) والسبب في ذلك ان ذلك الفداوي المقدم سالم الفتواني وهو في اللجج ثقل ظهره بالمال من كثرة ما اخذ من بلاد الكفار حتى اراد العوده الى بلاد الاسلام وفي ليلة من الليالي دخل في مدينة القطول واراد ان يأخذ شيئا منها فدخل في بيت ليلا يقصد انه يأخذ شيئا باللصوصية واذا بصاحبة البيت على يديها طفل جنين يبكي قالت له بالصليب، والمسيح فلم يسكت وقالت له بالعذرا مريم ام النور فلم يسكت واخيرا قالت له اسكت والا الان سمعك ملك السرامين بتاع المسلمين واتى اليك فما لك خلاص من يده فسكت كان له الف سنة نايم فعرفت إن هذه من كرامات الاوليا الذين يسكتوا

بذكرهم الاطفال ونظرت فى ذلك وتعجبت وقلت لله على نذارا صادقا اذا وصلت سالما الي بلاد الاسلام اطيعه بلا تعب ولم اشاققه قط واكون له من جملة الاصحاب والله على شاهد فيما قلت وسرت طالب بلاد الاسلام وقال فى آخر كلامه هذا سبب طاعتي لك يا حج شوحه بينما المقدم سالم الفتوانى يحكى لشيحه على ماجرى له وشيحه يتعجب من الطاف الله الخفية واذا بالمقدم صوان اقبل و بيده سيخ حديد كبير قال له المقدم سالم فى هذا اليوم نأكل لحم شيحه مشوى هات المدام يامقدم صوان فغاب وعاد ومعه زق ملان بالخمر ووضعه بين ايادى المقدم سالم فملا منه السكوباية وادخر فيها قرض بنج واعطا للمقدم صوان فشرب وانقلب الي الارض قام على حيله المقدم سالم وكتف المقدم صوان وفك المقدم جمال الدين وفتح باب الحصن وادخل رجاله وكان معه ستة آلاف تبع من اتباعه وقال لاتباع المقدم صوان يابنوا اسماعيل والاسم الاعظم كل من حرك ساكن لا بد من قتله فهو كما تعلموا اننا اهل فى بعضنا وانا ما ارضى الفساد واترك المقدم صوان على جهله يعادي الملوك وسيف السلطان طويل عن اسيافنا والمقدم صوان بجهله يريد اهراق الدما بيننا و بين ملك الاسلام قالواله الرجال صدقت ياخوند فعند ذلك فيق المقدم صوان فلما افاق ونظر الى ما هو فيه ورأى المقدم جمال الدين مطلوق وهو مكتف قال للمقدم سالم لاى شيء فعلت معي هذه الفعال قال له ياصوان لا تكون احمق وجاهل طيع سلطان القلاع الحاج شوحه واترك هذه الحماقة والا وحق الرب القديم الدايم على الدوام اذا لم تطيع شوحه اضر بك بهذه الشاكرية على ور يدك ارمى عنقك من على كتفك فقال المقدم صوان وانت ياسالم تطيع شوحه فقال نعم فعند ذلك اطاع المقدم صوان وكذلك سالم الفتوانى وكتب اسمه المقدم جمال الدين على شواكرهم و بعد ذلك سألهم عن الاثنين اولاد عمهم سيف الساعي وخالد اليزاعى فقالوا له ياخوندهم فى الحصون وهم وشأنهم اخيرفاخذهم وساربهم الي الشام ودخل على الملك الظاهر وكانوا نهبوا حصن ترحيل وسلم المقدم صوان كلما كان اخذه من خراج السلطان واعتذر للملك الظاهر فسامحه وركب السلطان من الشام وسار الى ان وصل الى الديار المصريه وانعقد الموكب لدخوله وجلس على تخت قلعة الجبل وامر بكتابة اسماء

الفداويه وأقام السلطان يتعاطى القصص ويزيل القصص ويحكم بالعدل والانصاف كامر النبي جد الاشراف الي يوم جمعه ركب السلطان على ظهر جواده القرطاسي ونزل قاصدا الجامع الازهر ليصلى الجمعه فعبر على سوق السلاح فتلاعب الحصان تحت السلطان فمسه بالركابات فدق الحصان الارض بعزمه فتر الاربع فرد النعلات وكانوا من الفضه الحجر الصافى ومساميرهم رفاع فواحده طارت الى جهة الرميله وكان رجل فقير مغطى رأسه ولكن عليه اثار النعم اراد أن ياخدها فسبقته امراة اخذتها و وقعت الثانيه تحت دكان خياط فاراد الرجل ان يأخذها الخياط منه غصبا وقال حرامي واطبقت الناس ومسكوه لانه فقير والثالثة وقعت عند رجل مغربي اخذها فلم يقدر فيكون ان الناس مطوفين عليه و يقولون حرامى فبكا الرجل و قال لا حول ولا قوة الا بالله (قال الراوى) وكان الملك الظاهر عامل هذه النعالات عمدا وجاعل مساميرهم مسرعين العطب لاجل وقوعهم فى يد صاحب نصيبهم من الفقرا ولما وقع ماوقع وراى السلطان هذه الخلق واجتماعهم على هذا الرجل الفقير فامر المقدم ابراهيم ان يحافظ على ذلك الرجل حتي ان السلطان يعود من صلاة الجمعة و يطلبه منه فامر ابراهيم احد التوابع ان يمضى الى هذا الرجل ويأخده بالرافة و يوصله الى القلعة حتى يعود ملك الاسلام من صلاة الجمعة فعاد الرجل واخذ الفقير ومضى به الى القلعة واما ملك الاسلام فانه وصل الى الجامع الازهر و صلى صلاة الجمعة مثل عاداته وانعم على خدماء الجامع الازهر وعاد الي قلعة الجبل بعد صلاة الجمعة وقال المقدم ابراهيم يامولانا ان الرجل الذي امرتنى بحضوره احضرته فكيف العمل قال السلطان ايتنى به فلما احضروه الي بين اياديه قال له السلطان ياشيخ انت حرامي كما يقولون عنك اهل الرميله قال الرجل لا وحق من اولاك ارقاب العباد وما انا قط عمرى اعرف الحرام فقال السلطان ولاي شيء مغطى راسك دون الناس وهذه صفة الحراميه فقال ياملك انا سبب تغطية راسي له سبب لو تعطينى حلمك احكى لك عليه قال السلطان احكى لى على هذا السبب قال يامولاى انا رجل حمامى ولى حمام ملك فى خط بين القصرين ولكني جار على الزمان وخرب ذلك الحمام ولم لى مقدرة على بنا يته واستلفت من الناس اموال

واردت ان ابني الحمام فكل ما ابني جهة تخرب جهة ولم يقالي طاقة على تمام بنايته فرهنت حجته عند رجل تاجر على مائة دينار واخذتهم واشتريت بهم قماش وبعض بضائع وصرت ابيع في ذلك شهرا كاملا فجمع المبيع سبعين دينار وخسر مني ثلاثين فاشتريت بالسبعين وبعد شهر جمعت خمسين فصرت انصب على الناس وابيع واشتري والزمان يعاندني حتى ثقل على الدين ولم بقي احد قط يأمنني بشيء واجتمعوا الديانه وارادوا ان يحبسوني على مالهم فعارضهم صاحب المائة دينار الاول وقال لهم انا اضمنه لكم وحسب المطلوب مني للناس فكان ثلاثمائة دينار وقال لي هذا عندك فقلت نعم قال لي ومائة لي يبقوا الجميع اربعمائة دينار فاصبر عليك ثلاثين يوما ان اتيت بار بعمائة دينار تخذ حجه حامك مني وان عجزت فانها ثمن الحمام ويبقى الحمام ملكي فمن عجزي وعدم قتداري رضيت بذلك وقلت لعل الله يحدث بعد ذلك امرا وهذا اليوم آخر الميعاد ولما ضاقت حيلتي وعدمت معرفتي فسرت الي قلعه الجبل واردت ان اتحايل على الوصول الي بين ايادي مولانا السلطان فرايت الركاب الشريف قاصد صلاة الجمعة فغطيت رأس خوفا من ارباب الديون فنترا الحصان النعالات من رجليه واردت ان آخذ هذه الفرده وابيعها واتجهز بحقها واسافر الى غير هذه البلاد لعل الله تعالى يجعل لي من بعد العسر يسرا كما قال القائل في المعني هذين البيتين

اذا كنت في بيت يهينوك اهلها * ولم تك ذوا فضل بها فتغرب
فان رسول الله لم يستقم له * بمكة حال فاستقيم بيثرب

فلما قدمت ان آخذ الفرده النعالات تكاثروا على الناس واخذها الخياط اردت ان آخذ غيرها فلم يمكنوني وقالوا على هذا حرامي وقد ضربوني وهذه قصتي يا ملك الاسلام وحق الملك العلام (ياساده) فلما سمع السلطان منه هذا الكلام امر باحضار اصحاب الديون فرأى كلام الرجل صحيح لم فيه شك ولا تلويح فامر الخزندار ان يدفع ديونهم وامر الرجل ان يأخذ حجة حمامه منهم ثم ان السلطان امر مهندس الديوان ان يمضي الى ذلك الحمام برفقة صاحبه ويحضر ارباب الصنائع الذي تليق للحمام و يدور الشغل في هذا الحمام حتي يتم بناه على طريق السلطان

و بعد تمامه امرله بفراشات وفوط ومحارم وطشوت وطاسات وثيران لاجل دوران الساقيه وكلما يحتاج اليه على طرف السلطان و بعد ما نعم الرجل وكان اسم الرجل حسن القصري فسمى حمام السلطان وقال السلطان لصاحبه تسلم حمامك وها انا شريكك فلا نعطي اهمال فى خدمته فاجاب بالسمع والطاعة وسار الرجل الى الحمام ودورها على اسم السلطان واراحه الله من الفقر واغناه هذا ما كان منه الي يوم من الايام تخفى السلطان فى صفة درويش شيخ تكيه وسعد تلميذو ساروا الثلاثة فى شوارع مصر بينما الملك سايرفرأى الناس تجاروا خلف بعضهم طالبين الفرجه الى جهة الديوان فتبع السلطان الناس الى حد القلعه فرأي الامير قلاوون قادم على الديوان وراكب خلفه غلام جميل الصوره مبدع فى جماله فتنة للرجال والنساء باهتاله ومن رأى صورته يتمنى وصاله على ماقال فيه القائل

حابك الطربوش على الخد اليمين * ورخا الحبكه على الخد الشمال
شعر اصفر على ضوء الجبين * مثل نور البرق فى يوم الهلال
يلتفت يسبي عقول العاشقين * بالتفاته فاق فتاة النزال
تاج كسرى فوق جبينه عن يقين * والنجاشي فوق صحن الخد خال
جل انشاه من ماء مهين * قد تفرد بالمحاسن والجمال

ولما نظر السلطان الى ذلك الغلام تركه ودخل الى قاعة التبديل قلع ما كان لابسه للتبديل ولبس ملابس الملك وجلس في الداوان والتفت الي الامير قلاوون والى ابنه وقال له يا امير قلاوون هذا الولد ايش يكون مملوكك والا قريبك وايش الذى الحاك ان تطلعه الديوان فقال قلاوون ياملك الاسلام هذا ولدى اذا كان ولدك جعلته الناس يتفرجون عليه اما تعلم ان الولد الامرد مفتتن للرجال والنساء فمن اليوم ما بقى يطلع الديوان الا اذا كان يوضع المشط علي خده و يعلقه فى وجهه قال قلاوون سمعا وطاعة ثم ان حجز ولده من هذا اليوم ولم عاد يطلع الديوان ابدا وتم الامر على هذا الحال واما خليل بن قلاوون لما لزم بيت ابوه مابقى يطلع منه فضاقت حضيرته وكان بمنزل الامير قلاوون رجل عايق ركبدار ولكنه فى فن العياقة والصراع بمكان عظيم فاتفق ان خليل بن قلاوون دخل اوضة الركبدار

فوجد عنده اثنين من مشاديد الركبدار يتلوا الصراع فوقف يتفرج عليهم وتعلق اماله بذلك الفن فعاد في يوم يتفرج عليهم وجعلهم نصب عينيه الي يوم قال للركبدار انا تعلمت فن الصراع فقال له اقلع ثيابك والعب مع هؤلاء فقال له لا العب الا معك انت فقام الركبدار وتصارع مع خليل بن قلاوون فوجده في ذلك الفن مكان عظيم فقال له يا اميرا تعلم ركوب الخيل والكر على ظهورها بالقوى والحيل فقال له وهذا قصدي فصار الركبدار يعلمه ركوب الخيل مدة حتى تفرس و بقي بمكان عظيم و بعد عظيم و بعد ذلك سال من الركبدار وقال له يا عم من الذى هو في الصراع والخياله والفروسية بمكان عظيم فقال له ان هذه الاشغال لكل من كان فالصراع لا بد من البهلوان والخياله للفداويه واما الذى احتوى على الفريقين ابراهيم بن حسن فقط فعند ذلك تعلق آمال خليل بن قلاوون بحب المقدم ابراهيم بن حسن واجهد نفسه حتى بقي معه عطية من اصناف الذهب والفضه والجواهر شيء كثير ثم قدمه بين يديه وسار الى قاعة الجورانيه ودخل على المقدم ابراهيم بن حسن قال له بعد ما قبل يديه يا مقدم انا مرادي ان اكون من جملة مشاديدك وغلمانك فقال له المقدم ابراهيم مرحبا بك واهلا وسهلا ولكن يا ولدي لا يكون ذلك الا ان كان تسوق على بنو اسماعيل والحاج شوحه قال له يا عم وفي اى محل يكون اجتماع بنو اسماعيل حتى اسوقهم عليك قال له في يوم الجمعة يكون خالي وانا اكون في طاعة الجورانه والمقاديم جميعا عندي فتاتي وحدك وتسوقهم على وانا اريحك في جميع مطالبك قال سمعا وطاعه ولما كان في يوم الجمعة اجتمعت بنوا اسماعيل في قاعة الجورانه وحضر الامير خليل بن قلاوون و بعد ما جمع قعدوا جميعا قام خليل وقال يا اخوندات انا اسايقكم على المقدم ابراهيم فلا تردوا سؤالي خايب قال للمقدم جبل ايش تريد يا حبيبي قال اريد ان تكون سياق على المقدم ابراهيم بتخذني غلام مشدوده بقام عبد الله قالوا جميعا مرحبا بك اقبله يا مقدم ابراهيم قال ابراهيم يا مقدم سياقكم مقبول لكن لا بد من مشورة الحاج شوحه فانه سلطاننا وقانون طريقنا فاذا رضي بذلك قبلته فبينما في الكلام واعناق الرجال تمايلت وباب القاعة انسد بستة و ثلاثين كيخيه وتبع و بينهم ملك القلاعين

فان قاناة الحصون وعـزها * شيحه جمال الدين يعني الظاهري
سلطان من شد الشوا كر في الوغا * يوم العزاة وكان لخصمه قاهري

فعند ذلك قامت الرجال على الاقدام واستقبلوا المقدم جمال الدين وسلموا عليه ولما جلس كل من كان بارم شوار به ارخاهم وكل من كان مقنطر عمامته كبسها سبحان من اودع سره فيمن يشاء من خلقه وبعد ذلك سال شيحه عما كان بينهم من الكلام فاحكاله المقدم ابراهيم بالقصة فنهض خليل بن قلاوون قبل الاتك وقبل المقدم جمال الدين وقال له ياسيدى انا في عرضك تكون سياق على المقدم ابراهيم يتخذني ولده بعهد الله واكون من تحت طاعتك مثل بنوا اسماعيل قال المقدم جمال الدين مرحبا بك ثم انه امر نقيب الرجال فرد السباط وفتح طريق العهد وانشد خليل بن قلاوون الي المقدم ابراهيم بن حسن ولما اتم ذلك اطلع له المقدم ابراهيم يشق زرده وخوده ومنطقة وخنجر وشاكريه واما المقدم جمال الدين طلع ثاني الايام واعلم السلطان بالذى جرى قال السلطان يا اخي تبقى فتنـة بين الامرا وبين الفداويه قال المقدم جمال الدين اجعله صنجق امير وفداوى قال السلطان وهو كذلك ولما كان ثاني الايام لبس خليل لبس الفداويه وتقلد بالشاكرية وتمنطق بالمنطقة وطلع الديوان وعرفه ابوه طار عقله وقام وقف على محل الطلب وصاح مظلوم يا بعض شاه فقال السلطان ما الخبر قال الامير قلاوون ابني خليل اخذه المقدم ابراهيم وجعله فداوى وهذا لايجوز وانا اريد ان يقلع الطرطور ويلبس مثل ما البس انا فقال السلطان يا امير قلاوون هذا ما خرج عن سنة الاسلام ولا فعل شيأ حرام حتى تدعي بالظلم ولا احد غصبه على ذلك اللبس الذى هو لابسه حتى كنت ارده عنه ثم ان السلطان طلب خليل قام وقبل الارض قال له السلطان لاى شيء قلدت بنوا اسماعيل وتركت طريقة ابوك قال يامولانا هذه المرتبة اتخذت فيها ابي المقدم ابراهيم بن حسن حتي انه يجسر قلبي للجهاد واما مرتبة الاميريه فهي عن ابي الاصل قال السلطان هاتوا قفطان البس يامقدم خليل انت فداوى حور اني مع المقدم ابراهيم في مسعاة الميمنة ولك شهرى الف دينار ثم طلب السلطان قفطان ثاني وقال له البس انت امير ماية مقـدم على جيش الف صنجق

سلطان تبعا لابوك قال قلاوون اعوذبالله من الشيطان الرجيم والله العظيم بالله
الكريم خليل ابنى ده اشهدوا على (ياسادتنا) ياعوالم ويا قاضي بتاع اسلام ان خليل
ابن بتاعنا انا برىء عنه وخذ يا قاضي هذه مايه دينارا كتب حجه بيننا و بينه قال
السلطان ايش الذي غاظك ياقلاوون قال هذا مقصوهى قال خليل انا ما بقيت
ارجع عن ذلك ابدا فان شئت اغضب وان شئت ارضى فكتب له القاضي حجة
منع بينهم واما خليل صار يطلع الديوان يوم اميرو يوم فداوى واجتهد فيه المقدم
ابراهيم حتى علمه خداع الحرب وعرفه مواقع الطعن والضرب حتى بقي فارس
لا يطاق وعلقم مر المذاق قال له المقدم ابراهيم ياولدي روح على بيتكم وخذ خاطر
ابوك فان رضي الوالد من رضاه الرب وغضب الوالدين من غضب الرب قال له سمعا
لك وطاعة انا اروح لابى من هذه الساعة فارسل معه تبع من اتباعه يقال له المقدم
قطايا فلما عبر خليل على بيت ابوه فصاح قلاوون اقفلوا الباب فانقفل الباب وقام
الامير قلاوون واطبق على ولده ارادوا الخدم ان يساعدوه
فمنعهم مقدم قطايا الحوراني وقال كل من تقدم قطعت رأسه
ودام القتال بين قلاوون وابنه ساعه زمانية فنظر قلاوون
من ولده ما ابهره مخاف منه على نفسه فما كان له الا دخوله الحريم فطلع فالتفتت أمه
وقالت له أما تستحي ياخليل ان تطارد ابوك قال خليل اساليه انى على دينى فما الذي
يوجب قتلي قالت ايش الدعوى قال قلاوون عمل نداوى قال خليل انا تبعت
ركن المجاهدين شريف عفيف مجاهد فى سبيل الله تعلمت منه ابواب الحرب
ومواقع الطعن والضرب على كل حال اذا وقمت فى وسط قوم اقدر بقدرة الله
تعالى احمى نفسي بالحسام فعند ذلك دخلت بينهم بالصلح فاصطلحوا صلحا كافى
ولكن قلاوون فرح بابنه لما رأى من شجاعته وبقى عنده أعز من روحه ومهجته
الي يوم من بعض الايام مر الامير قلاوون فرأي ولده خليل مقبل وهو خلف
المقدم ابراهيم فسلم عليهم فترجل خليل على الارض وقبل يد أبيه فدعى له وكان ذلك
من المقدم ابراهيم ولما كان بعد مدة ايام شق خليل ان قلاوون فى حارة اليهود
فالتقاه يهودى صيرفى قاعد على دكانه سأله خليل عن اصناف الذهب العالي فقال

له يا اميران الذهب العالى الكامل المعيار يكون اربعة وعشرين قيراط فقال له انا اريد منه جانب أصنع منه قراب للشاكريه ومثله الغنا جرواريد فصوص جوهر اكلل بهم المنطقة مثل كبيري المقدم ابراهيم بن حسن فجاب له كلما طلب وفعل مطلوبه وسار يتردد على اليهودي مدة ايام الى يوم دخل على ذلك اليهودي فرأى بين يديه آلة الخمر فسأله عنه فقال له ياسيدي هذا يتعاطى لاجل انشراح الصدر ونفى الهموم فقال له هات حتى اشرب انا مثلك فاعطاه وكان اسم اليهودي عزار فاسقا خليل من الخمر حتى غيب السكر عقله وقام من عنده وهو منذهل فجاز في النحاسين فرأى بنتاسايره قاصدة الحمام وكانت هذه البنت من بنات الاكراد الايوبيه وابوها من كبار الاكراد يقال له عليان الكردي فلما نظرها اختبك فيها ومسك يدها فاراد الطواشي ان يمنعه فانفاظ ووضع يده على الحسام وضربه على هامته اطاح رأسه قدامه ولما نظرت البنت الي ذلك قفزت من خوفها ودخلت الحمام فهجم خليل خلفها فزاغت منه واختلطت بين النسا فامتزج خليل بالغضب وسار الى داخل حرارة الحمام فوجد جاريه عريانه فواقعها فى الحمام زال بكارتها واما جميع النساء فانهم طلبوا من الحمام وتركوه حايم كالسخون فى قلب الحمام حتى هدي روعه وطلع مضي الى قاعة الحوارنيه فلم يجد كبيره هنالك ومضى الى بيته وبات ليلته فلما كان عند الصباح اجتمعت الاكراد الايوبيه وطلعوا الى الديوان وشكي الامير عليان وصاح حسان الكردي الله ياداىم هكذا فى بلاد الاسلام يجوز يا ظاهر ان تسبي الحريم فى زمانك اما تعلم ان الله سبحانه وتعالى يسألك عن رعيتك ويطلب منك حق المظلوم فقال السلطان ما الخبر فاحكا له عليان الكردى على ما فعل خليل بن قلاوون فى بنته فى الطريق وهروبها ودخولها منه فى الحمام ودخوله خلفها ولم يراقب الله تعالى وثانيا سكران لما سمع السلطان ذلك الخبر امر باحضار خليل وقال يامقدم ابراهيم لا بد من حضوره فقال ابراهيم يامالك على الرأس والعين ونزل ابراهيم الى بيت قلاوون وطلب خليل فنزل وهو فيه بعض السكر فلم يعاقبه المقدم ابراهيم بل قال له انت مطلوب للسلطان واخذه غصبا عاديه الى قدام السلطان فقال السلطان يا امير

خليل انت ايش الذى فملته البارحه فقال يا مولانا ما فعلت شيء فقال وهذا عليان
الكردى يدعي انك عارضت بنته فى الطريق وهي قاصدة الحمام وقتلت الطواشي
فقال حاشا يا ملك الاسلام فقال له وهذا الطواشى المقتول ما انت قاتله فقال لا
وعز يزرأس السلطان فقال له ياخاين تحلف براسي وتكذب الا كرادايش الذى
بينك وبينهم من العداوة سابقا حتي يدعوا عليك بالباطل فقال لا فعلت ذلك ابدا
فقال عليان الكردي ياملك اطلب اهل بين القصرين حتي يحكوا لك الصحيح
فقال السلطان اذحضرت البينه وشهدوا عليك يبقي عليك حد السكر وحد
الزنا وحد الانكار واما اذا قلت على الصحيح فيرفع عنك حد الانكار فقال يامولانا
كنت سكران فعلت ذلك وانا غايب العقل فقال السلطان ماقولكم ياعلماء الاسلام
فقال الاستاذ عز الدين الحلبي يحد حد السكر واما حد الزنا فانها جارية وهو غير
محصن يضرب ماية جلدة ويدفع ثمن الجارية ويتغرب عام فامر السلطان بطرح
خليل وضربه فصعب على ابوه وقال يامولانا ادفع ثمن الطواشي وثمن الجاريه فقال
السلطان انعد ياقلاوون يقال ان فى زمن الملك الظاهر يكون السكر والزنا
والقتل لا بد لابنك ان يتربا فقال له انت يقال عنك عادل فقال له هذا من باب
العدل ياقليل الادب هذا والضرب دايرعلى خليل فقال قلاوون ياملك الاسلام
راقب الله فامر برفع خليل ووضع قلاوون تحت الضرب محله فصاح من عزم الضرب
ادركني يادولتلي وزير فقام الوزير وقبل رجل السلطان وقال يامولانا قلاوون
غلامك ومولانا يعفو اعن كثير فقال السلطان قيدوا خليل واسجنوه فلما نظر
قلاوون ذلك قال انا وابني سوى قال الملك يا اخينا انت تسجن فى سجن
اسكندرية واما خليل يسجن بالقيد وحق من اولانى رقاب العباد لا يقلع القيد من
رجليه الا وهو على دكة المغتسل واما قلاوون ودوه الى برج اسكندريه يسجن
هناك فعند ذلك قيدوا خليل بقيد حديد ووضعوه فى سجن المرقانه بالقلعه وارسلوا
قلاوون الى اسكندريه وسجنوه فى برجها يقع له كلام اسمع ماجرى
من امر الملعون جوان فانه لما كان مقيم فى بحيرة ايغره ضاق عليه صدره
وقال للبرتقش ياسيف الروم جوان راح يطق ولم يطيق السكوت عن المسلمين

قوم بنا يا بني ندور على داهيه للمسلمين فركب على حمارته وسار البرتقش ينادي قدامه ويقول يا ابناء النصرانية ويا عابدين في الملة المسيحيه لا تأكلوا عدس ولا بصل ولا سمن ولا حلاوة جوزية ولا تأكلوا الا لحم الخنزير بدهن الخنيس حكم ما امر عالم ملة الروم والامر محتوم الام نكاحها حلال والاخت والعمه والخال نكاحهم حلال الابنت العم وبنت الخال وسع لكم في الدين لما بقا برمح فيه الحصان تدخلوا سقر في امان قالوا يا البركه جوان واما جوان فانه مشى خلفه يتوكأ على قصب ابنوس وهو عزقان في الكفر كانه من بعض التيوس ويقول جوان ياشيخ الماء يأتي من البحر . ومن الجبل يأتي الحجر ، ومن السحاب يأتي مطر . يجري على الطين منحدر . يروى مياه الارض يخرج حشيش يملا الوديان . ترعى الخنازير في الوديان . ولا سمن تقطع رجاه . والناس لحمه يطبخم . فاسمعوا ما قال جوان عن مارى حنا المعمدان . ان الفلا بين الحسان . طول المدد وهم في امان . بطول ما يتسخموا. انكح ما شئت من البشر ، حتي الحمير والفقر . أمك واختك لا تذر . والملتقى على سقر فعند ذلك جاءت اليه الروم يتبركوا به ومازال كذلك حتى وصلوا الي قدام البب مقدمين قام اليه وترحب به واجلسه الي جانبه قال له جوان يا بب مقدمين انت قعدت على رين المسلمين ولم بقيت تحار به ولا تضار به وتركت ما فعل فيك من اخذهم بنتك ونهب مالك وهذا كله هين عليك حتى ان المسيح غضب وقال يا ناس انا كرهت ملك مقدونية لانه لم يجاهد في نصر ملتي ولا تتبع امانة شريعتي وانا يا بب مقدمين على اتى اينك ما يمكني ان اتركك من دون النصاره تروح فشاره في ذهاب لاعمار ادين اتيت اليك اطلبك لطاعة المسيح والجاهده عن الدين الصحيح فان طاوعتني يا بب شفعت لك عند المسيح واوهب لك ماية قدر ماية سنة زياده في عمرك واوهب لك من نايب جوان مصطبه واحدة في الماوية تبقي تقعد عليها تتبخر ببخور السعير وتتجرع من الزفير واما ان خالفت المسيح يمنع عن بلادك المطر ويسخط اهل بلدك ويصير كل واحد منهم حجر فقال مقدمين يا بونا انا في عرضك انا اجاهد في المسلمين لكن مرادى ان تأتيني

بواحد يكون يعرف فى ضرب السيف طيب ليعلم النصارى فانهم لما يقولوا المسلمين الله اكبر يبقوا المسلمين يضربوا بالسيف والنصاري ما يعرفوش وان جئت لي بواحد يعلمهم ضرب السيف انا حالا اركب على المسلمين وافنيهم فى الحرب اجمعين قال جوان انا اجيب لك مطلوبك ثم ان اللعين جوان نظر فى الديوان فرأي غلام عايق يقال له غريب ولكنه خنزير فقال له اريد منك ان تقضي لي حاجة واكتب لك حاجة نظيرها فدان في سقر ومصطبه في الهاوية انعام بركة جوان علي انك تروح الى بلاد المسلمين وتتفرج عليها وتغير زيك وتلبس زى المسلمين وتتحايل على سرقة ايدمر البهلون او قلاوون الالفي قال له سمعا وطاعة وسافر الملعون الى الاسكندريه ويوم دخوله الى الاسكندرية كان دخول قلاوون وسجنه فى برجها فلما نظر الملعون اليه سال عنه وكان يعرف بالعربى قالوا له اهل الاسكندريه بان هذا قلاوون الالفي غضب عليه السلطان وامر بسجنه فى ذلك المكان قال في نفسه ان هذه كرامة جوان لقرب الطريق وحصول التوفيق ثم انه صبر الى الليل واندك البرج ارمي على قلاوون دخنة بنج وحمله من البرج ونزله في الغليون ومثل ما جاء رجع وما دام يطعمه ويسقيه ولم يعلمه بشيء حتى انه سلمه لجوان ولما نظر الامير قلاوون الي جوان قال له ياجوان ايش مرامك بمجيئى الى ذلك المكان قال جوان انت حرامي انا عمري ما رايت ان الامراء والصناجق الذين يركبوا على ظهور الخيل الجياد ويضربوا بالسيف فى الحرب والجهاد يسجنوا ويتغربوا عن بلادهم فقال قلاوون ياجوان اما تعلم ان الدهر خوان يوم لك ويوم عليك فقال جوان وايش الذى يزيد عنك بيبرس حتى يبقي ملك على جميع الامراء وانت تنحبس وانت من الامراء فاحكاله قلاوون على ولده خليل والقصة التي جرت من اولها الى آخرها وقال ياجوان وها انا ضاقت حضيرتى وقلت حيلتى فقال جوان انا ابلغك مقصودك واملكك السلطة على المسلمين ان طاوعتني فقال قلاوون ايش مرادك حتى اطاوعك فقال جوان انا اجمع ملوك الروم والافرنج واقول لهم يحاربوا رين المسلمين بيبرس واذا ملكنا بلاده نجملك انت سلطان المسلمين ويكونوا النصارى

في بلادهم من تحت امرك وانت لا تحارب ولا تضارب وتاخذ السلطنة بلا تعب ولا عناء فقال قلاوون يا جوان اذا فعلت ذلك تبقى لك جميله على قال جوان لا بد من ذلك ولكن نريد منك ان تعلم عساكر الروم ضرب السيف فان الروم فى ضرب السيف ماهم مثل المسلمين فقال قلاوون انا اعلمهم فعند ذلك فرح الملعون جوان وامر له بكل ما يحتاج اليه من فرش واوانى ومأكول ومشروب وصار يعلم عساكر مقدونية ابواب الحرب ومواقع الطعن والضرب منظر الملعون غريب الذي كان سرق قلاوون وتعلم ضرب السيف طيب وحضر ارباب الصنايع وامرهم ان يصنعوا له حسام من الحديد الطيب الصافى ويكون فارغ القلب ووضع فى ذلك الحسام شعره من البولاد الازرق رفيعه بحد ين ماضيين واذا اراد الانسان يضرب بحد الحسام فتكون ذلك الشعره مخفية فى قلب السيف واذا اراد ان يغدر شخص فيقرص بكفيه على البرشق يخرج ذلك الشعره مثل لسان الثعبان نصيب الخصم فى اى مكان ولما ان تم هذا السيف فرح واوراه لجوان ففرح المعلون جوان وامره ان يلعب مع قلاوون ولم يوريه ذلك الحسام فقال له اذا علمت به على قلاوون فتكون سياف تمام ولما كان عند الصباح لعب مع الامير قلاوون فعلم عليه وبهاء الدين وحوش قدم والامير حسين والامير فارس مطايا والامير عيسى ودام الامر كذلك ثلاثة ايام حتى ان الملعون علم على جميع الامرا واراد الملك ان يأمر الفداويه ثانى الايام تلعب معه فقال ابراهيم يا ملكنا هذا من العار اذا قيل ان فرقة الامرا اجمعها لم يكن فيها واحد سلم من سيف النصرانى فهذه حطه فى حق الاسلام وثانيا تروم ان تنزل قدامه رجال الحصون فهذه اكبر مصيبه لان الفداوى تأنف نفسه ان يكون معادل واحد نصرانى واذا امتثل الامر لك ووقف قدامه تخشى ان يعلم عليه وان علم عليه يتضايق الفداوى ولم يرضي بكسف نفسه يتحمق ويقتله وان كان ما يقدر على قتله يعاونه بنى عمه وهذه ينتج منها فتنة لا لها نظير نعوذ بالله من اسباب الفتن قال وكيف التدبير يا ابراهيم قال يا مولانا اقابل الداء بالدواء هذا سياف ماله الا سياف مستعد مثله فان ضرب السيف ما يعرفه الا الذى متعلمه وديوانك ما يخلو من السياف المستعد لضرب السيف قال الملك ومن الذى يصلح لذلك قال

ابراهيم أخاف اتكلم تنسيني لغرض وانا والله ما اتكلم الا بشفقة على دين الاسلام قال تكلم ولك الامان الثاني فقال ارسل يا ملك حضر خليل بن قلاوون يقلب ذلك الملعون فاذا انقلب ذلك الملعون على يده فتكون انت وخدامك تصطفل ان شئت تعفي عنه وان شئت اعدته السجن نافيا قال الملك وخليل يلعب هذا الملعون قال ابراهيم نعم يا ملك خليل بن قلاوون واحد هذا الزمان في ضرب السيف واطعن السنان وانا ضامن له يا ملك الزمان قال الملك وحق الاله الحنان المنان ان كان خليل ابن قلاوون يغلب هذا الملعون اعفى عنه وعن ابوه واعيدهم الى اماكنهم واز يدهم مرتب ثم ان السلطان امر باحضار خليل قال ابراهيم كيف يحضر هنا مقيما قال السلطان انا حالف لا ينفك قيده الا على دكة الفسل قال ابراهيم نجيب دكة من حانوت ونوضعه عليها ونفك قيده قال الملك هاتوه اولا لما اشوفه فعندها حضر خليل وهو مقيد فاعلمه السلطان قال يا مولانا وحيات رأسك ما الاعبه الا وانا بالقيد لاجل ابقا اذا لم اقصر خصمي اكون كما كنت حتى لا يحنث مولانا السلطان في يمينه فعند ذلك احضر الملك ذلك الكافر قال له الوزير اعلم ان مولانا السلطان حملك على بساط عدله وفي هذا اليوم يريد ان ينزل اليك واحد سياف فان الذين لاعبوك ماهم اهلا لضرب السيف وهذا الذي نازلك حقيقة سياف فان انت علمت عليه ينعم عليك السلطان ويردك الى بلادك بامان قال المقدم غريب رضيت بذلك فامر الملك الى خليل ان يلاعبه فنظر الملعون الى خليل وقال له ايش اسمك ياغندار قال له يا ملعون تسألني عن اسمي هل انا جاي انا سبك انا اسمي خليل بن قلاوون الالفي قال يا غندار عودوا ترك الجدال فان ابوك في مقدونية عندنا وانا علمت عليه قبل ما اجي هاهنا قال خليل دع عنك كثرة المقال ودونك وضرب السيف الفصال حتي تري مني العجب والاهوال قال البطرني اذا كنت تلاعبني فالدما بيننا حلال وكل من ظفر بخصمه يقتله وينزل به النكال قال خليل كذلك لكن حتى انظر ذلك السيف الذى معك قال له وما يخصك بسيفي خذ انت أي سيف اردت قال له خليل لا بد من نظر السيف وانت كان اذا اردت خذ سيفي وانظره قال السلطان احق ما تقول فعندها اعطي الملعون سيفي الي الى الامير خليل

تفرج عليه و نظر الي قبضته و ثقله حتى عرف ما فيه قال له يا ملعون خذ اي سيف اردت ولا عبني به الا هذا السيف فانه محوف قال الملك مجوف يعني ايه قال الامير خليل انا اذن لي يا مولانا حتى اوريك تجويفه قال الملك نعم لا بد من ذلك فعندها كسر خليل السيف نصفين فوجد فيه شريط من البولاذ بحدين قال الملك بق بق هيا نصراني هيا العب بغيره فعند ذلك اخذ سيف آخر وهجم على خليل وضربه الضربة و بطلها بمعرفته وكان في يد الامير خليل غشه امضى من القضا والقدر فرفع بها ذراعه وفتح باعه وضربه بيت في الحزام وكانت ضربه مشبعة بتمام فقسمه نصفين وسار على وجه الارض دلوين فصاحت الامراء صل على النبي قال السلطان هاتوا الذين مع الكافر فكان معه اربعين فقال لهم الملك رأيتم الذي جري فقالوا نعم رأينا فقال السلطان لا بد ان تحكوا لي على سبب مجيء هذا الملعون وعمايل ذلك السيف وقدومه الى بلاد الاسلام فاحكوا له على القضية فقال خليل يا مولانا السلطان اذا كان ابي في مقدونيه فان الملعون مقدمين يقتله اذا علم بقتل ذلك الملعون قال السلطان اطلقوا خليل على دكة غسل حتى يفتدي يميني فقال خليل وعزيز رأسك يا مولانا السلطان ما أطلع من السجن الا اذا احضر ابويا والتمس رضا امير المؤمنين فامر بجهيز العساكر بعد ثلاثة ايام و برز الى العادليه عمل مولد لسيد المرسلين وثالث يوم ضرب مدفع الختم واليوم الرابع ضرب مدفع التنبيه وبعده ضرب مدفع ورحل بعساكر الاسلام حتى قرب من مقدونيه هذا ما جري قال البرتقش وانت ايش عامل الدنيا فقال جوان يا سيف الروم انا ربيتك اصنع معي جميل واطلع شوف متى يحضروا المسلمين وانا املكك تقبض على ملك المسلمين او على احد منهم او مكيدة تعملها فيهم قال البرتقش واذا فعلت ذلك ايش يكون لي عندك قال له خذ هذا عقد جوهر يساوي خمسة آلاف دينار ولك على جوان اي بنت اعجبتك من بنات ملوك الروم تعملها جناقات قال البرتقش يجد الظاهر نايم على قفاه يشاهد مولاه فالقى على وجهه المنديل مطلق بالبنج ولفه بعيد عن العرضي ولما قرب من الصور اعلم الملك ففتحوا له الباب واخبر الملك بقدوم البرتقش ومعه ملك المسلمين فركب وقال لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

تم الجزء العشرون ويليه الحادي والعشرون

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٩٦/١٥٢٥

I.S.B.N 977-01-4654-4